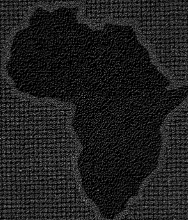
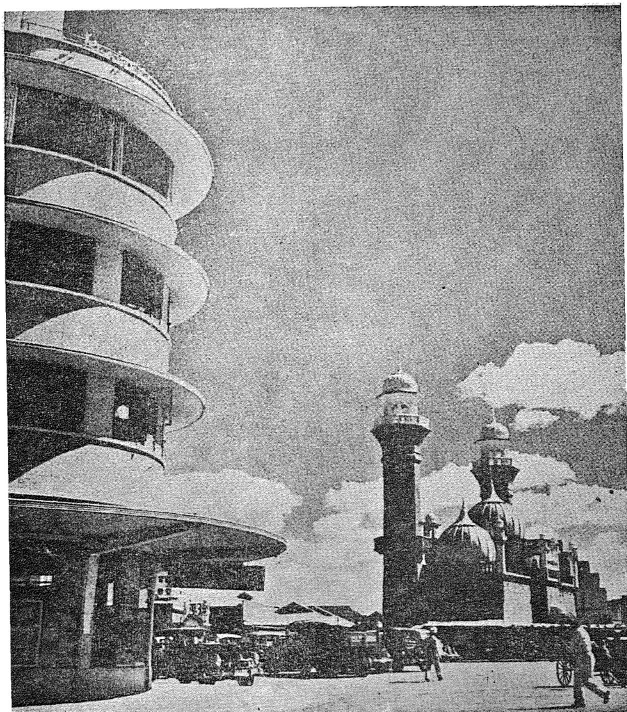
السنة الثالثة　　فبراير ١٩٦٠　　(العدد ٢٧)



نهضة افريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



((منظر من أثيوبيا))

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

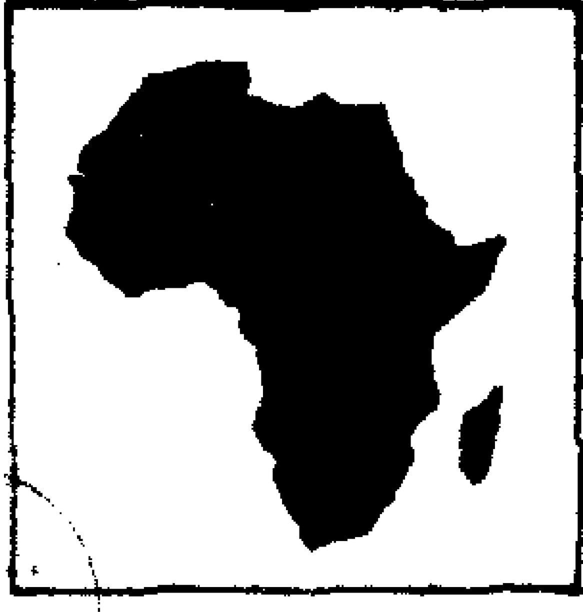
دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة افريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

توجهت الأنظار الآن الى افريقية، وأصبح السادة المترفعون يسيرون فى رهبة الى القارة الافريقية ، وعلى شفاههم ابتسامة بلهاء لا تعبر عن السرور بقدر ما تعبر عن الضيق الذى يحسونه أمام حركات الوعى الجماعى الذى يعم القارة ، ويتحدث فى عين عامل المنجم باللغة التى يتحدث بها فى عين الزعيم . فكل شىء فى افريقية الآن وعى ! وصحو ! وعزم !.

فذهاب ديجول ، وماكميلان ، ودوق أدنبره ، وملك بلجيكا له مدلول كبير اليوم وهو القيام بعملية ((توديع)) النفوذ الأجنبى فى افريقية التى كانت تدار من مدة بصغار الموظفين !

فبالرغم من الابتسامات الدبلوماسية ((الجاهزة)) على الشفاه ، والانحناءات المضطربة التى كانوا يقابلون بها المسئولين . كان كل شىء هناك يزلزل أعماقهم ، ويدق على رءوسهم بانه لا مكان لكم ،فالفراغ قد ملأته الحرية ! والسماء قد غطاها العلم الأسود الكبير ، والأرض لا يمكن لغريب أن يشق فيها الطريق المزروع بالحراب . طريق افريقية الجديد !.

ان هؤلاء الزوار لن ينسوا أبدا ـ كما لن ينسى العالم ـ هذا المنظر الجميل لغروب الاستعمار من فوق الربوات ، والجبال ، والغابات فى افريقية الخالدة .

((عبده بدوى))

محتويات العدد

السدود الأفريقية العالية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

كانت الشهور القليلة الماضية شهورا تاريخية فى حياة الأنهار الافريقية الكبرى : ((النيل)) وال ((فولتا)) وال ((زمبيزى)) ..

ففى ((وادى النيل)) ، الذى شهد اول تجربة ((لاستقرار)) البشر ، وتحولهم من حياة الرعى الى حياة الزراعة ، والذى نبتت فيه أروع الحضارات القديمة ، وازدهرت على شاطئيه العلوم والفنون والآداب ، فى هذا الوادى ، تركز اهتمام العالم اجمع ، يوم وقف الرئيس جمال عبدالناصر وضغط باصبعه على ((زر)) كهربى صغير ، فقفزت فى الهواء الوف الأطنان من صخور أسوان ، ثم استقرت على جنوبها تنتظر الروافع الضخمة ، التى سوف تلقى بها الى قاع النيل ، مؤذنة بقيام السد العالى العظيم ! .

لقد ظل نهر النيل منذ فجر التاريخ عاتيا يأتى بالخيرات كما يأتى بالكوارث والنكبات ! كان سكانه ينتظرونه فى كل عام ، وهم لا يعلمون، على التحقيق ، ماذا يخبئه لهم النيل بين أمواجه الخمرية السمراء ، أهو الخصب الشامل ؟ أم اللقمة الجافة؟ أم الطوفان الكاسح المبيد ؟ ! .

وعلى أية حال فقد كان يروى الأرض بأقل القليل من مائه الدافق، ويندفع بأكثر الكثير الى البحر ليضيعه هباء . .

ومرت القرون الى أن استطاع أبناء وادى النيل أن يقيموا عليه «القناطر» ثم «السدود» لكى يحتجزوا «ماتيسر» من المـــاء الغالى الثمين ، ولكن تلك القناطر والسدود لم تكن لتجرؤ على أن تقف فى وجه الفيضان ، وانما كانت ــ اذا جاء الفيضان تفتح عيونها فى استسلام ، لكى يمر التيار الدافق الجامح ، ثم تتلمس الفرصة اذاضعف التيار ، فتحتجز وراءها قدرا يبل غليل الأرض أيام التحاريق .

وفى الربع الأول من هذا القرن تفتحت أذهان البشرية على مزايا الكهرباء ، وأخذت عقول العلماء تتجه الى استنباطها من مساقط المياه ، وامتد هذا التفكير الى « مصر » منذ نحو عشرين عاما ، ونادى المصلحون بالاستفادة من مياه النيل فى استنباط الكهرباء ، وبدأ التفكير فى الاستفادة من مساقط مياه خزان أسوان ، وتطور التفكير الى مشروعات « على الورق » ، وأوشكت المشروعات أن تتبلور على الطبيعة .. ولكن الاستعمار كان هناك ..

لقد توجس الاستعمار خيفة من انسياب الكهرباء فى وادى النيل، فأخذ يحرك عملاءه فى الخفاء ، وكان هؤلاء

العملاء منبثين فى « قصر الملك » وفى صفوف الأحزاب ، وشهدت « مصر » صراعا خفيا كان من نتيجته التسويف فى مشروعات توليد الكهرباء من مياه النيل ، وامتد التسويف فشمل كافة المشروعات الحيوية التى كان من شأنها ان تمكن ((**المصريين**)) من التفكير العلمى ومن اتخاذ العلم وسيلة للحاق بالشعوب القوية الناهضة ، الطامحة الى حياة العزة ، والمنعة ، والرخاء ..

وقامت الثورة فى يوليو عام ١٩٥٢، فمهدت أرض وادى النيل كلها لحياة جديدة . لقد بدأت باصلاح ((**البشر**)) فأطاحت بـ « راس الفساد » ثم حلت الأحزاب ، ثم تلفتت الى الأرض الطيبة فطهرتها من عقابيل الاقطاع ، ثم وجهت عنايتها الى النهر العظيم وبدأت بالاستفادة من مساقط مياهه فى اسوان ، وسرعان ما انطلق المهندسون والعمال ، يثبتون الـ « توربينات » على « عيون الخزان » ..

وتمهلت الثورة قليلا ، ثم ومضت الفكرة الرائجة ، فكرة ((**السد العالى**)) ..

لقد كانت الفكرة رائعة بقدر ماهى ضخمة مهولة ... انها محاولة لترويض « اله » جبار ، ظل منذ الأزل هائجا مطلق السراح ، انها أول محاولة من نوعها فى التاريخ . محاولة « ايقاف » نهر عظيم ايقافا تاما ، ثم اصدار الأوامر اليه بأن « يتسايل » على مدار السنة بقدر معلوم . .

ولم تتردد الثورة فى الاقدام على تنفيذ المشروع بعد أن درسته دراسة مستنيرة مستأنية ، وطرحته على بساط البحث أمام العلماء فى العالم أجمع ، وأخذت تدبر له الامكانيات المادية التى تناسبه ضخامة وهولا ، وهى امكانيات لم يكن يخطر على البال انها فى وسع أمة واحدة ، مهما بلغت من الثراء ، وانما السبيل اليها هو التعاون الدولى على أوسع نطاق . .

وخاضت الثورة معركة ((**السد العالى**)) .. اتجهت الى « الغرب » فتباطأ ، ثم رحب ، ثم دخل فى « التفاصيل » ..

واذا «التفاصيل» مزالق عسكرية، ومؤامرات سياسية ، ومساومة على كرامة « شعب النيل » ومستقبله ، واذا القروض المطلوبة « مشروطة » يمكن أن يتسلل من « شروطها أخطبوط الاستعمار » ..

وتراجعت الثورة عن ((الشرك)) المنصوب وضربت ضربة ((التاميم)) ثم ضربت الاستعمار المتحالف مع الصهيونية على أم راسه فى بورسعيد، ووقفت من مواقف البطولة موقفا جعل ((الغرب)) يرتد مذعورا ، وجعل ((الشرق)) ينبهر اعجابا ..

وما لبث « الشرق » أن مد يدا « اقتصادية » و «فنية» نظيفة ،ليس بها من « شروط » ولا « التزامات » سياسية ، ولا نوايا توسعية استعمارية ، واقدمت الثورة فعقدت اتفاقية السد العالى التاريخية ، وبدأت فترة طويلة مضنية من الأبحاث المشتركة ، الى ان استقر الرأى ، وتبلور على هيئة المشروع الذى افتتحه الرئيس « جمال عبد الناصر » والى جانبه الملك «محمد الخامس» والمواطن

العربى العظيم « شكرى القوتلى » فى ٩ من يناير الماضى .

ولن تمضى سنوات قليلة ، تعد أياما فى تاريخ الأمم ، حتى يقف السد العالى شامخا فى وجه الأمواج العاتية ، يختزنها كلها ، ثم يبسطها على أرض الوادى فيمد من أطرافها ، ويكثر من «أرزها» وخيراتها ، ويحيى من مواتها وينبع من صحرائها ، ومع كل قطرة تنهمر وراء السد العالى تنطلق شرارة كهربية ، تلمع فى أنحاء الوادى ! .

وهكذا استطاعت جمهوريتنا المتحررة أن تثبت أقدامها فى ميدان التعاون الدولى النظيف ، وأن تبرأ من الاستعمار الموبوء ، وأن تضع حدا فاصلا فى تاريخ النهر الأزلى ، نهر النيل العظيم ..

والى أقصى الغرب من قارتنا الافريقية المترامية الأطراف ، يجرى نهر ((الفولتا)) مخترقا الهضاب والسهول ، من الغرب الى الشرق ، ثم ينحدر جنوبا ، لينطلق فى بطاح ((غانه)) صوب المحيط الأطلنطى ..

وقد ظل هذا النهر يجرى على مر القرون ، ويصب مياهه ــ عبثا ــ فى مياه المحيط . ولم يكن أهالى البلاد التى يخترقها من الـ « فولا » والـ « مالنجى » والـ « أشانتى » ليستفيدوا من مياهه ، ولو لرى الأراضى . ذلك أن تلك المناطق تهطل عليها الأمطار الغزيرة التى تنبت الغابات المخضرة ، والتى يمكن أن يزرع الأهالى بفيض مياهها شتى أنواع المحصولات . وهكذا ظل الـ «ڤولتا» (بغير عمل) الى أن دارت عجلة التاريخ ، وانبثقت دولة غانه الفتية ، وكان أول ما اتجهت اليه حكومتها الاستفادة من مياه الـ « ڤولتا » ..

ومنذ أولى لحظات الاستقلال تلفتت غانه الى مشروع «سد الفولتا» وقطعت مراحل واسعة فى دراسته ، وفى التفكير فى الامكانيات المادية لتنفيذه ، وهى امكانيات ــ كما كانت الحال مع السد العالى ــ من الضخامة بحيث لا تستطيع غانه أن تنهض به وحدها : ولقد تقدمت شركات أمريكية ، وبريطانية ، وألمانية ، وهولندية عارضة تنفيذ المشروع ، ولكن حكومة غانه لم تستقر حتى الآن على عرض نهائى ، ذلك أن الدول التى تنتمى اليها تلك الشركات ، دول لها ماض عريق مخيف ، فى عالم الاستعمار ! .

وهى تخشى ، عند بحث شروط تلك الشركات أن تكون منطوية على « أغلال » و « قيود » . ولقد لجأت « غانه » فيما لجأت ، الى البنك الدولى ، ونحن نتطلع الى الشقيقة الافريقية متمنين لها تنفيذ مشروعها العظيم ، متحررا من الأغلال والقيود ، وعندئذ تنطلق كهرباء الـ « ڤولتا » متجاوبة مع كهرباء « النيل » ..

وقبيل أقصى الجنوب من القارة نرى على نهر الـ ((**زمبيزى**)) سدا أوشك على التمام ، ومما يبعث على الأسى والحسرة أن خيرات هذا السد وكهرباءه لن ينال منها أبناء روديسيا الافريقيون شيئا ، فهو سد استعمارى بمعنى الكلمة . فكر فى اقامته المستوطنون البيض فى الروديسيات ، وسرعان ما تقدموا الى

المنظمات الاقتصادية الدولية يطلبون القروض، وأخذ السد في الارتفاع ،ولن يمر وقت طويل قبـــل أن ينتج من الكهرباء بلايين الـ « كيلووات » ..

وكان الدافـــع وراء « المعـــونة الأمريكية » أن الكهرباء التى ســوف تتولد من السد سوف تكون فى خدمة الشركات « الانجـــلو أمريكية » التى تحتكر مناجم النحاس فى روديسيا ..

وفى تلك المنـــاجم الهـــائلة التى يسمونها ((حـــــزام النحاس)) أو Copper Belt يحشد العمال الافريقيون للعمل تحت الأرض لقاء دريهمات تسد الجوع ،ويعيش ((الفنيون)) الأمريكيون والانجليز فى الثراء ، والترف والنعيم.

ولقد كانت تلك المناجم تســتمد حاجتها من الكهرباء ، بثمن غال ، من اقليم مجاور هو الكونغو ((البلجيكى، ولكنها سوف تحصل على حاجتهـــا بثمن بخس من سد ((كاريبا)) الذى يقيمه المستوطنون الدخلاء بالأموال ((الانجلو أمريكية)) علىنهر الزمبيزى!

وهكذا تنوعت السدود الافريقية ، حسب أوضاع الأمم التى تقيمها ، ولكن المستقبل كفيل بأن يوحد جهود تلك الأمم ، لكى يتكون منها ((سد عـــال)) يقف فى وجه المطامـــع الاستعمارية العاتية .



مشروعات التنمية فى غانه

بقلم الاستاذ حامد مصطفى الغماز

ان مشروع السنوات الخمس الثانى للتنمية الاقتصادية فى غانه الذى بدىء تنفيذه منذ شهر يوليو الماضى هو الدليل على أن السلطات المختصة تعمل على تنمية موارد الدولة ، لكى يكون الاقتصاد القومى متينا ومتزنا ، وبخاصة بعد أن حصلت غانه على استقلالها منذ عام ١٩٥٧ .

وتعتبر غانه من الدول الافريقية الغنية بمواردها الطبيعية اذ توجد بها مزارع واسعة من الكاكاو ولديها احتياطيات كبيرة من الذهب والأخشاب ، كما تحتل المرتبة الثانية فى القارة الافريقية بعد اتحاد جنوب افريقية ، بالنسبة لارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى . وتعتمد غانه اعتمادا كليا على الكاكاو الذى يعتبر المحصول الرئيسى بها وأهم صادراتها . ففى العام الماضى بلغت القيمة الاجمالية لصادرات غانه مايقرب من ١٠٥ ملايين جك منها ٣ر٦٢ مليون جك قيمة صادرات الكاكاو اى انها تمثل حوالى ٦٠٪ من مجموع الصادرات ، تليها صادرات الخشب التى بلغت ١١ مليون جك ، والذهب ٦ر١٠ ملايين جك ، والأحجار الكريمة ٧ر٨ ملايين جك ، والمنجنيز ٦ر٨ ملايين جك .

ومن المعروف أن الاعتماد على محصول واحد كمورد رئيسى للدخل القومى له مضاره ، وبالنسبة لغانه فان أى هبوط مفاجىء لأسعار الكاكاو كاد يؤدى الى توقف تنفيذ مشروعات هامة وحيوية ،كما أن أى ارتفاع سريع فى الأسعار من ناحية اخرى غالبا ما يصحبه نقص فى الاستهلاك العالمى، أى أن ايرادات الدولة تتأثر فى كلتا الحالتين .

وقد انشئت هيئة التنمية الصناعية بغانه فى عام ١٩٥١ للنهوض بالصناعات القائمة وللقيام بانشاء صناعات جديدة، وذلك اما بمفردها أو بالتعاون مع هيئات ومصالح أجنبية . وقد ساهم فى مشروعات الهيئة مستثمرون أجانب من مختلف البلاد حيث وجدوا امامهم مجالا واسعا لاستثمار اموالهم فى غانه.

كما أنشئت أيضا هيئة التنمية الزراعية لتقوم بتنمية الانتاج الزراعى، وتنويع الحاصلات الزراعية ،والاشراف على صناعة صيد الأسماك وتربية الأغنام . ونظرا لأن غانه تستمد أكثر من ثلث ايراداتها من الكاكاو فقد أنشئت هيئة حكومية لتسويقه يطلق عليها « هيئة تسويق الكاكاو » بدأت عملها منذ ١٩٤٧ ، وهى تقوم بشراء محصول الكاكاو كله بواسطة وكالاتها المنتشرة فى أنحاء البلاد ، ثم تقوم ببيعه بوساطة شركة تابعة لها فى لندن وتحدد الهيئة السعر الذى تدفعه

للمزارعين وهو دائما أقل من سعر السوق ، ولذا فان الهيئة تحصل على الفرق ، وتتكون لديها احتياطيات كبيرة غالبا ما تستخدمها الحكومة لتمويل مشروعات التنمية الاقتصادية .

وان القيام بتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية فى غانه فى الوقت الحاضر لذو أهمية واضحة وبالغة ، لأسباب متعددة ، من أهمها ما يلى :

أولا : الأثر الناتج عن قيام السوق الأوروبية المشتركة بالنسبة لاقتصاديات غانه : فالدول الأوروبية الست الأعضاء فى السوق تستورد ما يقرب من نصف صادرات غانه من الكاكاو ، وعندما تتحقق التعريفة الجمركية الخارجية المشتركة بين الدول الأعضاء ، فانه ستفرض ضريبة قدرها ٩٪ على واردات الكاكاو من الخارج ، وهذه الضريبة سوف تؤدى بالتالى الى تشجيع انتاج الكاكاو فى البلاد التابعة للدول الست فيما وراء البحار ، وستجد غانه نفسها محرومة كلية من تصريف انتاجها من الكاكاو ، وعندما تتحقق التعريفة المشتركة ، مما يجعل القيام بتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية ضرورة لابد منها .

ثانيا : تزايد السكان فى غانه بنسبة كبيرة فى الوقت الحاضر ، مما يزيد من ضغطهم على الموارد الاقتصادية حتى أن غانه تعتبر حاليا على حافة ما يمكن تسميته بالضغط الذى يعقبه الانفجار . فمنذ عشر سنوات كان معدل المواليد أعلى بقليل من معدل الوفيات ، أما الآن فالسكان يتزايدون بمعدل ٣½٪ تقريبا فى العام مما يستدعى العمل على زيادة المساحة المزروعة من الحبوب ، وذلك بالاضافة الى أن استهلاك الفرد من المواد الغذائية يتزايد باستمرار ، مما يضطر غانه الى استيراد كميات كبيرة منها من الخارج ، وبالطبع فان هذه الزيادة فى الواردات لابد أن تقابلها زيادة فى الصادرات لسداد قيمتها .

ثالثا : تعانى غانه من ظروف طبيعية قاسية على الرغم من أنها تتمتع بموارد طبيعية كامنة . فمثلا لا يتوفر بها من القوى المحركة اللازمة لقيام الصناعة سوى الأخشاب الموجودة بغاباتها ، ولكن نظرا لتزايد الطلب المستمر على هذه الأخشاب فقد قلت الأنواع الجيدة الممتازة منها ، واصبحت فى طريقها الى الاختفاء تدريجيا . كما أن جو غانه ، ولو انه مناسب لزراعة محصولات المناطق الحارة النقدية مثل الكاكاو وجوز الهند والموز والمطاط ، الا انه يسبب انهيار الطرق بسرعة مما يستدعى صيانتها باستمرار ، كما يؤثر على المعادن نتيجة لتكوين طبقة من الصدأ عليها ، وذلك بالاضافة الى أن الأراضى الزراعية تحتاج دائما الى حمايتها من التآكل بسبب السيول والأمطار . وبالطبع فان هذه الأحوال الطبيعية القاسية تزيد من نفقات انشاء المرافق العامة وصيانتها والخدمات الأخرى التى بدونها لا يمكن أن تقوم نهضة صناعية فى غانه . ولذا فان مشروع التنمية الأول كان يتضمن القيام بمثل هذه الخدمات ، وقد ركزت

السلطات المختصة اهتمامها على ذلك، فشقت كثيرا من الطرق ، وتم تحسين شبكة خطوط السكك الحديدية ، ومد المدن بالمياه النقية ، وانشئت محطة لتوليد الكهرباء لاستخدامها فى الانارة وللأغراض الصناعية ايضا ، كما تم انشاء ميناء جديدة فى « تيما Tema » مما ساعد على انشاء منطقة صناعية مجاورة للميناء تكونت بها عدة شركات صناعية . وقد مهدت هذه المشروعات الطريق أمام مشروع التنمية الثانى .

وقد بدات غانه فى تنفيذ البرنامج الثانى للتنمية الاقتصادية فى يوليو الماضى ، وسيستغرق تنفيذه خمس سنوات أى حتى يونيو ١٩٦٤ كما سبق ذكره . وتبلغ تكاليف المشروعات التى يشملها البرنامج حوالى ٢٤٣ مليون جك ، وذلك بالاضافة الى مشروع توليد الكهرباء من نهر الفولتا، الذى سيتكلف حوالى ١٠٠ مليون جك. ومن المنتظر عند اتمام تنفيذ هذين المشروعين أن يصبح فى الامكان القيام بأى توسع صناعى جديد حيث تتوافر للصناعات الجديدة سوق محلية نامية واقتصاد داخلى متين يقدر على مساعدتها وحمايتها .

وقد تعددت المشروعات التى يشملها البرنامج الثانى للتنمية الاقتصادية بحيث تشمل جميع الميادين الاقتصادية الهامة بقدر الامكان، ولهذا فان أكثر من خمس المبلغ الاجمالى المخصص للبرنامج سوف يصرف على شئون المواصلات ، كما ان جزءا كبيرا سوف يصرف على شئون التعليم والصحة وامداد المدن بالمياه النقية ، اما نصيب الزراعة فيقدر بحوالى ٢٥ مليون جك تقريبا خصص منه مبلغ ١٥ مليون جك ، لصرفه على اعادة زراعة المساحات المنزرعة بأشجار الكاكاو التى أصيبت بالآفات الزراعية ومكافحة هذه الآفات والتوسع فى استخدام الأسمدة الكيماوية . كما خصصت مبالغ أخرى لتنويع المحصولات الزراعية وزيادة انتاجها عن طريق زيادة المساحة المنزرعة بالحبوب ، وتشجيع زراعة المحصولات الأخرى ، وبخاصة الموز والمطاط ، وتشجيع تربية الأغنام للاتجار فيها . أما مشروع نهر الفولتا فيشمل انشاء خزان على النهر يبلغ ارتفاعه ٣٥٠ قدما وسعته ٢٥٠٠ ميل مربع وطوله ٣٠٠ ميل ، واقامة محطة لتوليد القوى الكهربية قوتها ٧٥٠ر٠٠٠ كيلووات ، وانشاء مصنع لانتاج الألومنيوم تبلغ قدرته الانتاجية ٢١٠ر٠٠٠ طن فى العام ، وانشاء ميناء ومدينة جديدة فى هذه المنطقة . وسيؤدى هذا المشروع الى تسهيلات كثيرة فى وسائل المواصلات المختلفة ، وقد أعلن فى ابريل الماضى أنه تم البدء فى الأعمال التحضيرية المتعلقة بالمشروع ، وقد خصص لها مبلغ مليون جك بصفة مبدئية .

ونظرا لأن ايرادات حكومة غانه لا تكفى لامكان تمويل مشروعات البرنامج كلها بما فيها مشروع نهر الفولتا دفعة واحدة ، فقد قسم البرنامج الى مرحلتين : تبلغ تكاليف مشروعات المرحلة الأولى ١٢٦ مليون جك ، وتشمل المشروعات التى يمكن

للحكومة الانفاق عليها من مواردها الحالية ، أو المنتظر الحصول عليها خلال السنوات الخمس القادمة . وسيتم تدبير هذا المبلغ من مصادر مختلفة ، منها ٥٠ مليون جك خصما من أرصدة الحكومة من العملات الأجنبية و ٢٥ مليون جك من احتياطيات هيئة تسويق الكاكاو ، و ١٥ مليون جك من الايرادات العامة للحكومة . أما المرحلة الثانية وتبلغ تكاليف مشروعاتها ٢١٧ مليون جك ، فينتظر الحصول على هذا المبلغ من مصادر أجنبية ، اما على هيئة أو عن طريق توريد الآلات اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات . وتقوم السلطات المختصة فى غانه حاليا بعقد اتفاقيات للتجارة والدفع مع الدول الصناعية المختلفة لتضمن توريد الآلات والمواد اللازمة لمشروعات التنمية،كما تفاوض معها لعقد اتفاقيات أخرى للحصول على الأموال اللازمة لها ، فحصلت على وعد من ألمانيا الغربية بمدها بقرض . كما انها قد تستطيع الحصول على قروض أخرى من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وقد تجد غانة صعوبة فى امكانيات الحصول على القروض اللازمة لها نظرا لكونها دولة حديثة العهد بالاستقلال السياسى . كما أن هذه القروض سوف تكون عبئا ثقيلا على ايرادات الدولة وميزان مدفوعاتها فى المستقبل . ومن الجائز أن تزيد نفقات المشروعات على الايرادات الناتجة عنها ، مما يحتمل معه أن يصعب سداد قيمة هذه القروض والفوائد المستحقة عليها .

ويمكن القول اذن بأن امكانيات تمويل برنامج التنمية الثانى يعتمد على عاملين رئيسين ، هما : مستوى أسعار الكاكاو فى السنوات الخمس القادمة وكذا حجم الاستثمارات الخاصة فى غانه . فمن ناحية أسعار الكاكاو فانها ما زالت باقية على مستوى معقول، وينتظر ان تكون الأسعار مجزية فى السنوات القادمة ، كما أن التقديرات الأولى للمحصول : تبشر بانتاج وفير هذا العام ، بالاضافة الى أن الاستهلاك العالمى للكاكاو يتزايد باستمرار من ناحية أخرى مما يبشر بزيادة الصادرات . ومن المنتظر أيضا أن تنجح الحكومة فى الاتفاق مع مزارعى الكاكاو على زيادة حصتها من أسعار الكاكاو، مما سيزيد فى ايرادات الدولة فى الأعوام القادمة . أما بالنسبة للاستثمار الخاص فى غانه فنجد أنه من النادر أن يقوم الافريقيون أنفسهم باستثمار مدخراتهم فى مشروعات صناعية لتفضيلهم استثمارها فى نواح أخرى مأمونة ، ولكنها تدر عائدا أقل .

أما بالنسبة للأجانب فاستثماراتهم متركزة فى صناعة التعدين وفى ميدان التجارة الداخلية سواء بالجملة أو بالتجزئة . ومعظم الأموال الأجنبية التى ترد الى غانه من الخارج هى لصالح شركات تعمل فى غانه منذ سنوات طويلة . أما الأموال الأجنبية الجديدة فانها لا تستطيع العمل فى غانه الا اذا كان أصحابها على دراية باقتصاديات غانه ، وبشرط أن تتفق سياستهم وسياسة الحكومة بشأن الاستثمارات الأجنبية .

وتقوم حكومة غانه ببذل مجهودات كبيرة لتشجيع ورود رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار فى غانه، ولاتشترط سوى أن تقوم الشركات الأجنبية بتدريب الموظفين لشغل المناصب الرئيسية فيها بالتدريج ، كما أن السلطات المختصة توافق عادة على تحويل الأموال الأجنبية المستثمرة فى غانه والأرباح التى حققتها الى وطنها الأصلى . ومع هذا يلاحظ أن أكثر من نصف الأرباح الناتجة عن الاستثمارات الأجنبية يعاد استثماره ثانية باضافته الى رأس المال الأصلى . وقد أعلن رئيس وزراء غانه أخيرا أن الأبواب مفتوحة أمام الاستثمارات الأجنبية فى الميادين الاقتصادية كافة فى غانه ، فيما عدا المرافق العامة ،كما أن الحكومة ليست لديها النية فى تأميم أى الصناعات القائمة ، وحتى اذا تم هذا التأميم فى المستقبل فان الحكومة تضمن لها تعويضا سخيا وعادلا . وتقوم الحكومة بمنح تسهيلات مختلفة للمستثمرين الأجانب ، كالاعفاء من بعض الضرائب والاعفاء من الرسوم الجمركية ، كما تتعهد بتوفير الأيدى العاملة الوطنية لهم ، وتزويدهم بخدمات المياه والكهرباء والتليفونات وغيرها من الخدمات ، التى تسهل لهم مجال العمل .

اما عن الدور الذى سيلعبه بنك غانه المركزى بالنسبة لتمويل مشروعات التنمية الاقتصادية فانه من الواضح انه ستقع على عاتق البنك أعباء جديدة ، نظرا لأنه يقوم بجميع الخدمات المصرفية للحكومة ، بالاضافة الى أنه مستشارها فى المسائل المالية والاقتصادية . ولذا فعند التجاء حكومة غانه الى الاقتراض ، اما داخليا أو خارجيا ، فان بنك غانه المركزى سيقوم باصدار السندات اللازمة وتسويقها ، كما أنه من المحتمل أن يقوم باداء وظيفته ، بصفته المقرض الأخير ، فى أوقات الأزمات اذا ما لجأت اليه البنوك التجارية عند الحاجة الى الأموال .

والحق أنه منذ حصلت غانه على استقلالها ، والسلطات المختصة تسيطر عليها الرغبة الجامحة فى تصنيع البلاد ، لتحقيق الاكتفاء الذاتى الى حد يمكنها من التغلب على المشكلات التى تواجه الأهلين ، لصعوبة استيراد ما تحتاج اليه البلاد من الخارج فى كثير من الأحيان ، وعملا على رفع مستوى معيشة السكان ، ومكافحة البطالة ، ولكى تكون غانه لنفسها مركزا بين الدول الأجنبية المستقلة . ولهذا فان قيام حكومة غانه بمشروعات التنمية الاقتصادية — كأساس تعتمد عليه للقيام بمشروعات التصنيع فى المستقبل — يعتبر اتجاها طبيعيا لتحقيق الرغبة المنشودة .



غينيا

دولة إفريقية جديدة

للأستاذ محمد عبد المنعم يونس

وافق **سيكوتورى** رئيس غينيا — أحدث دولة مستقلة فى العالم — على عقد المؤتمر الآسيوى الافريقى القادم فى عاصمة ((**كوناكرى**)) وسيجتمع فى هذا المؤتمر مندوبو الدول المحبة للسلام والمناصرة لجميع الحركات القومية والانتفاضات التحررية للتخلص من الاستعمار الذى استبد بأخوة لنا وجثم على صدورهم وكتم أنفاسهم .

ما من شك فى أن فجرا جديدا قد أشرق على صفحات الكفاح الافريقى من أجل الحرية ، وما من شك فى أن الحركات القومية الافريقية سوف تستمد القوة والعزم من القرارات التى اتخذتها المؤتمرات المختلفة التى عقدت فى باندونج وأكرا والقاهرة ولابد من أن تتحرر افريقية كلها خلال السنوات العشر القادمة من الامبريالية والاستعمار والعنصرية .

ان أيام الرجل الأبيض وسيطرته على أجزاء افريقية التى تركزت فى سنة ١٨٧٠ لن تطول الى أبعد من سنة ١٩٧٠ .. وقد لا تمتد الى هذا التاريخ .

ان الدول الاستعمارية تراقب بقلب واجف مضطرب قيام الحركات الوطنية وانتشارها بين جميع أرجاء قارة افريقية وقد اعتمدت هذه الدول فى الماضى فى بسط سطوتها والابقاء على نفوذها على تخلف الدول الافريقية ، ولكنها الآن بعد ان غمرت هذه القارة موجات الوعى المتحرر بدأت تخشى زوال سيطرتها من تلك القارة العريقة .

واليوم .. لن يقبل الافريقيون ان يبقوا الى الأبد فى بلادهم وأوطانهم وعلى أرض اجدادهم فى مركز أقل شأنا من مركز المستوطنين البيض القادمين من الخارج .. ولن تجدى الغازات المسيلة للدموع .. ولا رصاص

البنادق .. ولا الايداع فى السجون الرهيبة .. ولا فتح المعتقلات على مصاريعها للوطنيين .. ولا فرض الأحكام العرفية .. نعم لن تجدى فى كتم صيحاتهم التحررية أساليب الضغط والارهاب التى أحسنت القوى الاستعمارية استخدامها ، لن يجدى فى عزل تلك الشعوب المناضلة من العالم الحر .. لن تجدى فى الحد من عزم الوطنيين بل زادتهم ايمانا بعدالة قضيتهم واكدت حقهم المشروع فى التحرر .

ان قرارات المؤتمرات التاريخية تعتبر أسلحة فعالة ضد القوى الاستعمارية العالمية ، ولهذه القرارات اثرها الواضح فى تعريف العالم بمشكلات تلك الدول الساعية الى الاستقلال . وقد بدأت تلك القرارات تؤتى ثمارها لأنها أممت طريق الكفاح للشعوب وصححت معالم الثورات والانتفاضات التى زخرت بها تلك القارة الفتية من أجل طرد المستعمر الغاصب ولتحقيق الحرية ولاقامة السلام .

كانت غينيا حتى سبتمبر سنة ١٩٥٨ احدى دول أفريقية الغربية الفرنسية لكنها انتهزت أول فرصة للخروج من فلك جماعة الدول الافريقية التابعة لفرنسا وذلك لأنها رفضت دستور ديجول بأغلبية ساحقة (١) وهكذا فازت غينيا بالاستقلال فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٨.

الموقع :

تتمتع غينيا بموقع استراتيجى هام فتطل على المحيط الأطلسى من جهة الجنوب الغربى للكتلة الافريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، ويجاورها كل من غينيا البرتغالية وجمهورية ليبيريا المستقلة ومستعمرة سيراليون البريطانية وساحل العاج والسودان والسنغال ، وكلها أجزاء من افريقية الغربية الفرنسية .

سيكوتورى :

ان خلاص غينيا تلك الدولة الفتية من كابوس الاستعمار الفرنسى لهو انتصار جديد لحركة التحرر الوطنى بالقارة الافريقية . ويعتبر **((سيكوتورى))** شخصية فذة ، اذ أنه تمكن بفضل مواهبه النادرة خلال سنوات قلائل من الارتقاء الى الصف الأول للساسة الافريقيين ولما يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره ، وهو يختلف اختلافا كليا عن الزعماء الافريقيين الذين خدموا السلطات الفرنسية فى الماضى ، والذين رغبوا فى سيادة النفوذ الفرنسى فى بلادهم ، يختلف عنهم كثيرا اذ انه يفيض وطنية وايمانا بحق بلاده فى الاستقلال .. ولا عجب فهو حفيد الزعيم الاسلامى الكبير **الماو ساموري تورى** الذى ظهر فى القرن التاسع عشر وانشأ امبراطورية قوية وقاوم السيطرة الفرنسية طويلا بعد سقوط بقية غينيا فى قبضتهم واخيرا تمكن الفرنسيون من أسره فى سنة ١٨٩٨ وتوفى بعد ذلك بعامين فقط .

---

(١) لم يوافق على دستور ديجول سوى ٥٧٠٠٠ من عملاء فرنسا المأجورين من أهل غينيا من مجموع الأصوات التى بلغت ١٫١٣٦٫٠٠٠ صوتا .

نشأة « سيكوتورى » :

وقد ولد « **سيكوتورى** » فى مدينة « **كانكان** » وبدأ حياته كثائر على الاستعمار وكان اذ ذاك فى الخامسة عشرة من عمره ونشأ فى أسرة قروية فقيرة من صميم غينيا . وعندما شب اخذ يسير فى الطريق الذى يجعل منه اقوى زعيم فى نقابات العمال . وبدأ حياته العملية موظفا فى احدى الشركات ، لكنه لم يقنع بذلك بل أخذ يقرأ كل ما تقع عليه يده من كتب ومجلات حتى بلغ درجة ملحوظة من الثقافة والمعرفة وكان اهتمامه بنقابات العمال واضحا ، ففى سنة ١٩٤٥ أسس اتحاد نقابات غينيا الذى انضم فى الحال الى اتحاد النقابات العالمى ، واختير سيكوتورى نائبا لرئيسه وتمكن سيكوتورى بفضل كفاحه ومكانته فى نفوس مواطنيه من الوصول الى مركز مرموق فى البلاد ، ففى سنة ١٩٥٦ انتخب نائبا عن غينيا فى الاتحاد الفرنسى ثم عمدة لكوناكرى ومنذ ذلك الوقت زادت مكانته الشعبية ، وأخذ يعمل على استقلال بلاده فى نطاق اتحاد يتكون من اقطار أفريقية الوسطى ويتعاون مع فرنسا تعاونا وثيقا غير انه لما كان دستور ديجول يبقى على النفوذ الاستعمارى الفرنسى ، فقد رفضه سيكوتورى . ودعا الى رفضه .

ويمتاز سيكوتورى بتأثيره البالغ فى الجماهير التى لم تتوان فى تلبية نداءاته التحررية بقوة وعزم . وهذا ماحدث بالفعل اثناء الحملة الاستقلالية الأخيرة . ففى الوقت الذى اعلن فيه رؤساء الحزب الديموقراطى الافريقى



« الزعيم سيكوتورى »

تأييدهم لدستور ديجول ، عارضه سيكوتورى ودعا الشعب الى رفضه، فاستجاب لدعوته وتحقق بذلك الاستقلال .

خطاب سيكوتورى فى الجمعية التشريعية :

فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٥٨ القى سيكوتورى فى الجمعية التشريعية لغينيا خطابا قال فيه مخاطبا ديجول **« اننا نفضل أن نكون أحراراً فقراء .. على أن نكون عبيدا أثرياء** .. اننا مواطنون أفريقيون ونريد أن نبقى مرتبطين بفرنسا .. وقد عوملنا الى الآن معاملة تخلو من العدل ومن المساواة .. نحن نحرص على كرامتنا قبل كل شىء .. لكن **لا كرامة بلا حرية** .. !

فرد ديجول قائلا «ان كل ما عليك أن تفعله هو أن تصوت فى الاستفتاء بلا أو بنعم وانى أعد بألا يقف أحد فى سبيل استقلالكم » .. لكن ديجول لم يكن جادا فى وعوده . ولم يكن يتوقع ابدا خروج غينيا من الكومنولث الفرنسى الجديد . ومما يؤيد هذا أن فرنسا عقب ذلك مباشرة قررت ايقاف صرف القروض والمعونات التى كانت تقدمها لغينيا والتى بلغت ١٥ مليار فرنك فى بعض السنوات ، كما عملت على الغاء التزاماتها الخاصة بتنفيذ شتى المشروعات فيها ، وأمرت جميع الموظفين الفرنسيين والفنيين والاخصائيين بالغاء عقودهم مع السلطات التى تعاقدت معها فى غينيا فى غضون شهرين من تاريخ هذا الأمر . وانهت الاستثمارات الفرنسية الكبيرة فى الطرق وأوقفت التوسع فى التعليم وامتنعت عن استيراد منتجات غينيا التى بلغ مقدارها ٦٣٪ من مجموع صادرات البلاد .. هذا وقد أبلغ أحد كبار المسئولين فى وزارة ماوراء البحار ، والمبعوث الخاص للجنرال ديجول ، سيكوتورى رئيس وزراء غينيا أن الادارة الفرنسية سوف تنسحب خلال شهرين من تاريخ اعلان الانفصال عن الاتحاد الفرنسى وسلمه اعلانا بقطع جميع العلاقات المباشرة مع حكومة غينيا الجديدة . وبالرغم من ذلك فقد أعربت الدولة الحديثة عن رغبتها فى بقائها صديقة لفرنسا ، حماية أرواح الأجانب ومصالحهم ولا سيما الفرنسيين منهم . وهذا يوضح مدى الاساءة التى منيت بها فرنسا نتيجة لاستقلال غينيا وانفصالها عن الاتحاد الفرنسى ، اذ كانت المستعمرة الوحيدة التى رفضت الدستور الجديد . وأصبحت غينيا بزعامة محررها سيكوتورى شوكة جرحت فرنسا فى الصميم .

رسالة مؤتمر التضامن :

وقد وجهت سكرتارية مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى الى الرئيس سيكوتورى رسالة تضمنت تهنئة المؤتمر لغينيا بمناسبة الانتصار الذى أحرزته على الاستعمار الفرنسى بفضل جهوده ، وأكدت الرسالة روابط التضامن التى أرسيت فى مؤتمرات باندونج والقاهرة واكرا وزيادة التعاون بين شعوب افريقية وآسيا ، كما أكدت انه **لا يمكن لأى شعب أفريقى أو آسيوى أن يتحرر تماما طالما كان له اخوة يرزحون تحت عبء الاستعمار**

وأن هناك كثيرا من المحاولات التى يبذلها الاستعمار للتفرقة بين الشعوب الشقيقة . وجاء فى الرسالة ما يلى : « انه لكى نكفل لشعوبنا السلام والحرية والتقدم يجب ألا نصغى الى أولئك الذين يريدون أن يستفيدوا من انقسامنا حتى يستمروا فى السيطرة علينا وعلى استقلالنا **فالتعاون أساس لتحقيق الأهداف المشتركة ..** لذلك فاضت قلوبنا فرحا وغبطة عندما رأينا شعب غينيا يرفع علم الحرية فى ٢٨ سبتمبر . وقد دعونا جميع الشعوب الافريقية الآسيوية الى تأييد غينيا .. والأمل وطيد فى أن يتردد صدى الرسالة فى غينيا فيؤدى الى انشاء لجنة غينية للتضامن الأفريقى الآسيوى لتزداد الصلة قوة يوما بعد يوم ..

رد سيكوتورى على المؤتمر :

فرد سيكوتورى على هذا برسالة تضمنت ما يلى « لقد تأثرت حكومة غينيا وشعبها أبلغ التأثر بدلائل العطف والتضامن التى أعرب عنها مؤتمر الشعوب الافريقية والآسيوية بمناسبة استقلال غينيا .. واذا كان التاريخ قد سمح لبعض الأمم بأن تتمكن من اخضاع جزء من العالم لمصلحتها الخاصة واستغلال ثرواته وشعوبه استغلالا شنيعا . فان ذلك لا يمكن أن ينال منا ... **وان الشعوب الآسيوية الافريقية قد عقدت العزم على الاتحاد من أجل التغلب على الصعوبات وأسباب التخلف . ولتكونوا على ثقة من أن غينيا قد خاضت معركة التحرر لا لمجرد تحقيق اهدافها وانما لتشق طريق التحرر الافريقى الكامل من أجل وحدة افريقية واستقلال جميع الأقطار الخاضعة للسيطرة الأجنبية . ان غينيا على استعداد للتضحية بنفسها من أجل أن تحيا افريقية فى ظل حرية اكتسبتها .. ولن تفقدها ابدا .**

وأننا فى ظل الوحدة التى لا غنى عنها .. نحبذ ضرورة العمل على توحيد الجهود ... واننا نرجوكم أن تكونوا رسلنا لدى الشعوب الافريقية الآسيوية الحرة لتؤكدوا لها تضامننا التام فى المعركة التى نخوضها من اليوم معا ضد الذل والخضوع والاستغلال والامتيازات التى لا مبرر لها والحروب والسيطرة الأجنبية .. واننا باسم شعب غينيا وحكومتها لنؤكد تعاوننا التام الكامل فى تلك المعركة التى لا هوادة فيها والتى تخوضها الشعوب الآسيوية والافريقية ضد الامبريالية والاستعمار والبؤس .. »

وهذا يوضح أن غينيا وعلى رأسها زعيمها سيكوتورى قد استجابت لنداءات المؤتمر الآسيوى الافريقى التحررية . وانضمت الى مجموعة الدول الداعية للسلام والحرية لتكوين جبهة قوية لتنسيق الجهود لرد المستعمر الغاصب .

ثروة غينيا :

وتعتبر غينيا أولى الدول فى افريقية فى انتاج البوكسيت (خام الألومنيوم) ويبلغ الانتاج السنوى منه ٥٠٠٫٠٠٠ طن أى ما يعادل نصف انتاج فرنسا رابعة دول العالم انتاجا له . وتمتاز غينيا بأنها تتمتع بامكانيات اقتصادية كبيرة وتعتمد ثروتها بجانب البوكسيت على الحديد والذهب والماس . ومن المحصولات الزراعية الرئيسية الموز

والمطاط والكاكاو والبن والأرز والفول السوداني والأناناس ، هـذا بالاضافة الى امكان توليـد الكهرباء من اقامة السدود على نهر « كونكوريه » .

شعب غينيا :

ويتألف شعب غينيا من عدة قبائل اهمها قبائل الفولا التى ينتمى اليها حوالى خمس الأهالى ويبلغ عددهـم ٨٦٦ر٤٠٠ نسمةوقبـائل مالينكى ثم قبـائل سوسـو . وقـدر عـدد سـكان غينيـا بحـوالى ٢ر٤٩٢ر٠٠٠ نسـمة عـدا نسبة ضئيلة من الاجانب مؤلفةمن الفرنسيين وغيرهم . وتجتذب المدن فى غينيا ــ شأنها فى ذلك شأن المدن فى جميـع انحاء العالم ــ أكبر نسبة من السكان ويتزايد سكانها بشـكل ملحـوظ .

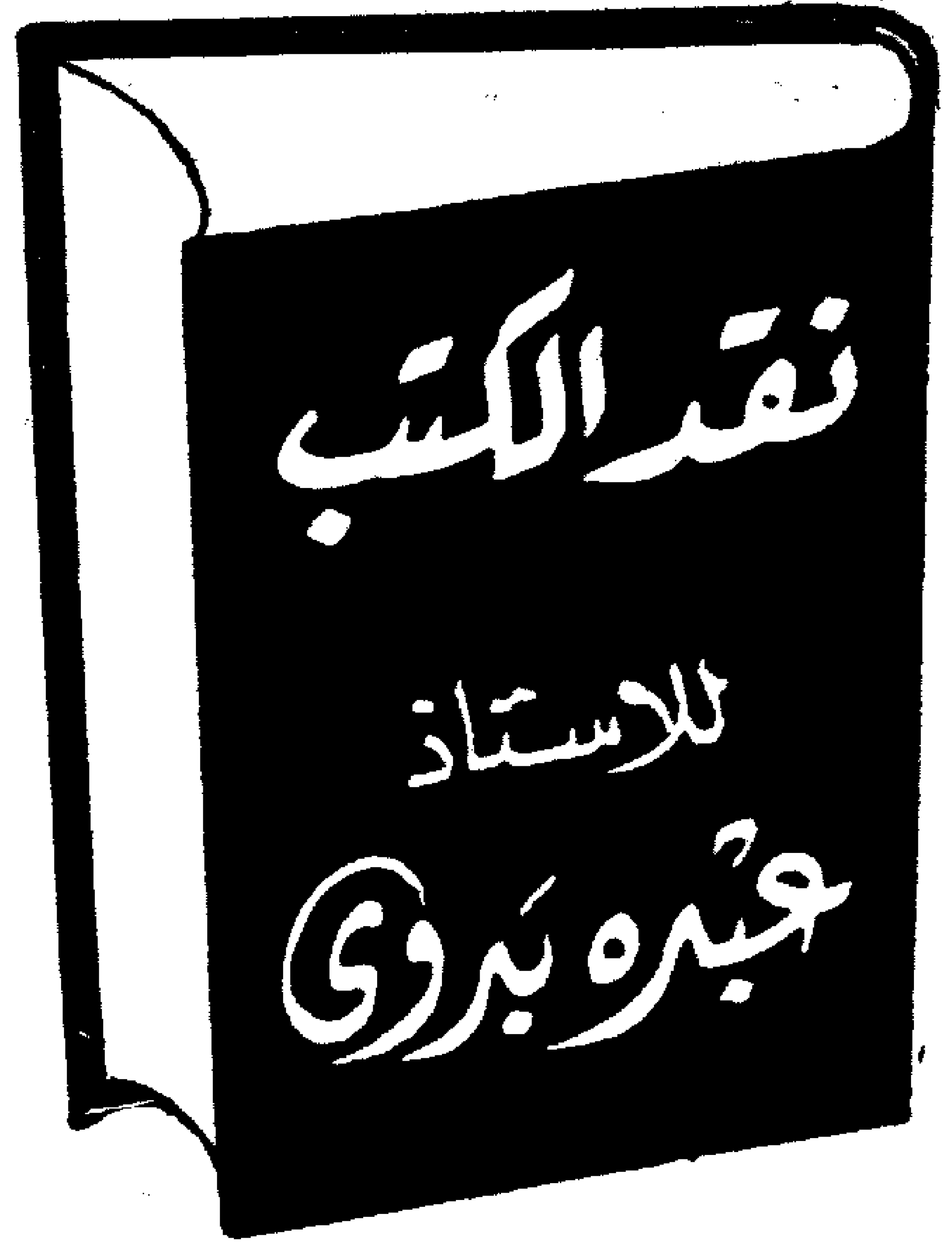
اما عاصمتها كوناكرى فتقع على جزيرة تومبو القريبة من السـاحل الذى يربطها به معبر حديدى ومن أهم المدن : بنتى وكنـديا ومامو ودابولا ونزيريكورى وكانكان وكوروسـو وسيجويرى .

ويقـوم الأهالى بحركات هجـرة فصلية نحو السنغال الفرنسى وغمبيا البريطانية لزراعة الفول السـودانى . ويدين حوالى ٨٠٪ من سكان غينيا بالاسلام وتنتشر اللغة العربية بصفة خاصة بين قبائل الفولا . وتسـود عدة لهجات وطنية تزيد على عشر ، وقد قامت نهضة تعليمية واضحـة وزاد عدد المدارس زيادة ملموسة واشـتد الاقبـال على التعليم فيوجد حوالى ١٨٧ مدرسة ابتدائية تضم ما يزيد على ٢٧ر٠٠٠ طالب يتعلمون بالمجان ، و٥٧ مدرسةخاصة بها ٨ر٠٠٠ تلميذ ، و١٠ مدارس ثانوية بها ١٥٠٠ طالب ، و٨ معاهد للتعليم الفنى ، و١٧ مركزا للتدريب المهنى . وقد مـد الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة يد المساعدة لأبناء غينيا فقدم حوالى ٤٠ منحة لطلبة من غينيا قدموا الى مصر ويتلقى أغلبهم التعليم فى الجامعة الأزهرية .

الاتحاد مع غانه :

ويعتبر الاتحاد الذى تم بين غانه وغينيا الأساس المتين فى بنـاء صرح الولايات المتحدة الافريقية المستقلة . ولقد أدركت الشعوب الافريقيـة أن حياتها ومستقبلها وعزتها وكرامتهـا فى الاتحاد والتكاتف والوقوف جميعا كقوة واحدة فى وجه المستعمر العنيد الذى طالما سامهم ألوانا من العـذاب والاضطهاد والظلم والاستبداد .





من الكتب الجديدة فى مضمونها كتاب **« انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى »** للدكتور «حسن ابراهيم حسن» وهو مجموعة من المحاضرات القيت على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية بمعهد الدراسات العربية العالية . والكتاب يعتبر كسبا للمكتبة العربية، ولكل ما يمت للعروبة والاسلام بصلة. ذلك لأن تاريخ العروبة والاسلام فى افريقية ما زال فى حاجة ملحة الى عديد من الكتب العميقة ، لأن كثيرا من التشويه قد لحقه ، ولأنا منذ فترة كبيرة من الزمن قد تجاهلنا كل مايمت الى الدراسات الافريقية الجادة بصلة. ثم أخيرا لأننا نعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على المصادر ، والمراجع الأجنبية التى ترتكز كثيرا على السياسة ، وأغراضها الخفية دون أن نعرف أن لنا أيضا مصادر ومراجع عربية يجب ان يرجع اليها كذلك فى هذا الموضوع .

ومهما يكن من شىء فقد قدم لنا المؤلف كتابه بمقدمة عن الصحراء الكبرى . فذكر أنه ليس المقصود بها هذا النطاق الرملى الذى تصعب فيه الحياة ، وانما المقصود بها تلك المناطق شبه الصحراوية التى يسقط فيها المطر بقدر لا تتيسر معه الحياة الزراعية المستقرة ، والمقصود بها كذلك بعض المناطق الصالحة للزراعة، والتى تقع على حافة هذا الاقليم فى الشمال أو فى الجنوب .

« وعلى هذا يكون مبدأ الحد الشمالى لهذا الاقليم عند النهاية الجنوبية لتونس، والجزائر، ومراكش والحد الجنوبى هو المنطقة الواقعة شمالى نطاق الغابات الوسطى الممتدة من مصب السنغال الى اقليم برنو فى غرب حوض النيل . أما الحد الغربى لهذا الاقليم فهو ساحل المحيط الأطلسى ، والحد الشرقى هو ساحل البحر الأحمر . لأن هذا الاقليم يتخطى وادى النيل الى الصحراء الشرقية ، وكذلك شمال السودان حتى مدينة الخرطوم . أو بعبارة اخرى يشمل جميع المنطقة الواقعة بين خطى عرض ٣٠ شمالا و ٢٠ شمالا مع استثناء وادى النيل فى مصر ، وبعض السهول الجنوبية فى برقة وطرابلس » .

هذا هو التحديد الجغرافى للصحراء الكبرى ، ولا ادرى لماذا شعرت بأنه كان يجب على ان اعرف شيئا عن تاريخ هذه المنطقة ، وثقافتها ، وظروف الحياة فيها قبل ان انتقل

مباشرة الى الحديث عن العروبة والاسلام فى هذه المنطقة وهو موضوع البحث .

وقد حدثنا المؤلف عن الطريق التى سلكها الاسلام الى افريقية . فذكران العرب وصلوا الى المغرب بعد فتح مصر ، وأن تأسيس مدينة القيروان (بتونس الآن) على يد عقبة بن نافع (٥١ هـ - ٦٧٠ م) كان نقطة ارتكاز موفقة للاسلام فى هذه المنطقة . ومع أن تحول البربر الى الاسلام كان بطيئا الا أنهم أصبحوا فيما بعد عصبا للجيش الاسلامى الذى تابع خطواته الموفقة حتى وصل الى أسبانيا .

ثم كانت المرحلة الثانية من مراحل انتشار الاسلام فى افريقية فى القرن الحادى عشر الميلادى حين أغار بنو هلال وبنو سليم على بلاد المغرب ، وحين تقدم « المرابطون » فى حوض السنغال ،وبذلك أصبحت جميع بلاد المغرب ، ومنطقة الصحراء الكبرى بلادا اسلامية . ثم تدفقت القوى الاسلاميه بعد ذلك وكونت عدة ممالك قوية فى السودان الغربى مثل « صنغاى ، ومالى ، والحوصا ، واليوروبا ، وبرنو » بفضل قوتين اسلاميتين كبيرتين هما قوة المرابطين وعلى راسهم « عبد الله بن ياسين » وقوة الموحدين وعلى راسهم « ابن تومرت » ، وكذلك كان لانتشار تجار « الحوصا » أثر كبير فى نشر الاسلام فقد مدوا نفوذهم الى مقاطعات سكتو ، وكانو ، وزاريا ، وباؤتشى ، وداهومى ، ولاغوس ، وبلاد الماندنجو ، وقبائل الأشانتى ، وحققوا فيها انتصارات كبيرة للمسلمين .

اما معرفتهم لبلاد النوبة ودنقلة فكانت قديمة ، ذلك لأن نهر النيل كان الطريق التجارى للعرب منذ عصور بعيدة رغم وقوف مملكة النوبة المسيحية فى وجههم . كما أن العرب وجدوا فى هذه البلاد مراعى وحياة شبيهة بالمراعى والحياة فى بلادهم . ثم أن البحر الأحمر ليس سوى كسر التوائى فى أرض واحدة متشابهة جوا ، وهضابا ، وفجاجا وهى الأرض المعروفة الآن ببلاد السودان وبلاد العرب . ثم ان الحملات التى وجهت من مصر ، والهجرات المتتابعة ، والضغوط السياسية جعلت للعروبة والاسلام ثقلا فى هذه البلاد .

فاذا انتقلنا الى الساحل الشرقى وجدنا أن هجرة العرب الى هذه المنطقة كانت على أثر هجرة بعض « الزيدية » . وان كان المد العربى قد سبق ذلك بكثير ، وتكاثر بحيث لم يقف على الساحل وانما تغلغل فى افريقية .

ثم يلخص لنا المؤلف المسالك التى سلكها الاسلام الى القارة الافريقية فيما يأتى : —

١ — طريق شمال افريقية : مصر ، برقة ، وطرابلس ، وافريقية (بلاد تونس) ، والمغرب الأوسط (الجزائر وجزء من مراكش) ، وبلاد السوس الأقصى الى مصب السنغال ، ويتبع هذا الطريق طريق بحرى بعد نمو البحرية الاسلامية : من ثغور الشام ومصر الى ثغور المغرب الأقصى (مراكش) .

٢ — طريق صحراوى : من واحات مصر الغربية مارا بجنوب بلاد المغرب . حتى غرب القارة الافريقية .

٣ ـ طريق القوافل : من بلاد المغرب الأقصى الى شمالى السودان ، ولاسيما من جنوب تونس الى بلاد برنو غربى بحيرة تشاد ، ومن جنوب الجزائر الى بلاد « الحوصا » شمالى نيجيريا ، ومن جنوب مراكش الى مصب السنغال ومنحنى النيجر .

٤ ـ والطريق الرابع يسير عبر الصحراء الشرقية ووادى النيل الى بلاد النوبة شمال السودان .

٥ ـ والطريق الخامس بحرى ويقع جنوب بلاد العرب الى ساحل افريقية الشرقى .

* * *

ثم تحدث المؤلف عن وسائل انتشار العروبة والاسلام فى افريقية . فذكر أن انتشار الاسلام فى افريقية كان ذا طابع سلمى يتفق مع مبادىء الاسلام ، وأن الطرق الصوفية قد لعبت فى هذا دورا كبيرا وضخما ، وأن من أهم الطرق التى أدت هذا الدور فى غرب افريقية « **الطريقة القادرية** » . وقد أرخ لها المؤلف بأنها أوسع الطرق انتشارا ، وانها تأسست فى القرن (١٢م : ٦ هـ) على يد الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ودخلت افريقية الغربية فى القرن الخامس عشر الميلادى على أيدى مهاجرين من احدى الواحات فى النصف الغربى من الصحراء ، وانهم الجئوا أخيرا الى « تمبكتو » ، واقاموا فى جهة نائية شرقى « ولاته » ، وان هذه الطريقة قد نشرت دعوتها فى حماس فى أرجاء السودان الغربى من « السنغال » الى مصب « النيجر » . وقد كان نشاط هذه الجماعة ذا طابع سلمى يعتمد على الارشاد ، والنظر فى اتخاذ القدوة ، وانتشار التعليم .

أما الطريقة الثانية فهى طريقة « **التجانية** » نسبة الى « أبى العباس احمد بن محمد المختار بن سالم التجانى » (١٧٣٧ ـ ١٨١٥ م) الذى ولد فى الجزائر . ثم طوف فى عدة ممالك اسلامية ، وقد قامت هذه الطريقة بدور ايجابى فى افريقية الفرنسية ، وكان من أهم دعاتها « الحاج عمر » الذى نجح فى توحيد السودان من بلاد « فوتا » الى « تمبكتو » .

أما ثالثة هذه الطرق فكانت « **السنوسية** » التى تنتسب الى « محمد بن على السنوسى » ، وقد جعلت من واحة « جغبوب » نقطة ارتكاز لها . فمنها انتشر دعاتها الى افريقية وقد حققوا للاسلام عدة انتصارات موفقة بين كثير من مناطقها .

ثم تعرض المؤلف للآثار البعيدة التى تركها انتشار الاسلام فى شعوب افريقية الزنجية ، وانتهى الى ماقرره « ميك » من أن الاسلام « لم يترك أثرا عميقا فى التركيب الجنسى لهذه الشعوب فحسب . بل انه جاء بحضارة جديدة أتاحت للشعوب الزنجية طابعا حضاريا متميزا ما زال واضحا حتى اليوم . مؤثرا فى نظمهم السياسية والاجتماعية : ذلك ان الاسلام حمل الحضارة الى القبائل المتبربرة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبا . وجعل تجارتها مع العالم الخارجى ميسورة . فقد وسع من افقها ، ورفع مستوى حياتها بخلق

مستوى اجتماعى ارقى ، وخلع على اتباعها الكرامة والعزة ،واحترام الذات واحترام الآخرين .. لقد أدخل الاسلام فن القراءة ، والكتابة ، وحرم الخمر، واكل لحوم البشر ، والأخذ بالثأر وغير ذلك من العادات الوحشية . وأتاح للزنجى السودانى الفرصة لأن يصبح مواطنا حرا فى عالم حر » .

.. ونحن لا ننسى بجانب الدور الذى قامت به « الطرق الصوفية » الدور الذى قام به « التجار » ايضا .. لأن التاجر سواء أكان من العرب . أم من « البول » PUL . أم من الماندنجو كان يجمع بين نشر الدعوة ، وبيع السلعة. وبخاصة ان سلوكهم الاسلامى كان يحمل الناس على أن يقتدوا به . فهو يعاملهم بالصدق . ولا ينسى وضوءه، وصلاته ،ومثله الاسلامية ،والى جانب التجار أيضا « الحجاج » الذين كانوا ينتقلون من مكان الى مكان وفى نفوسهم رغبة صادقة فى هدى الناس من حولهم ، ثم ان المعلمين الدينيين — أو «المرابطين» . أو « الألوفا Alofas » كما كانوا يسمون هناك — كانوا يحظون بالتكريم من الناس فى هذه المناطق، ويجدون رغبة من الناس صادقة فى دخول هذا الدين الذى تلقاه هؤلاء المعلمون من منابعه فى مدارس القيروان، وفاس ، وطرابلس ، والقاهرة .

وقد ساعدهم على النجاح فى هذه المناطق أخذهم بمبدأ المساواة فى الاسلام والعدالة ،والتسامح ،وعدم الاعتراف بالتفرقة العنصرية ، والامتزاج بالأهالى ، والتزوج منهم . فالقاعدة انه « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

ويؤكد هذا ما اورده «موريل» عن أهل نيجيريا فى قوله **((ان الاسلام - لا يتطلب من وجهة نظر أهل نيجيريا. أن يفقد احدهم قوميته باعتبار أن ذلك يصحب الدخول فى الاسلام ، ولا يستلزم تغييرات انقلابية فى الحياة الاجتماعية .. وهو لا يقوض نفوذ الأسرة أو سلطة الجماعة ، وليست هناك هوة بين الداعى الى الاسلام والمتحول اليه . فكلاهما متساو مع الآخر . لا نظريا بل عمليا أمام الله والناس وكلاهما أفريقى ، وهما من أبناء أرض واحدة ، ومبدأ التآخى الانسانى ينفذ تنفيذا عمليا ، ولا يعنى الدخول فى الاسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شئونه ، وأسرته ،وحياته الاجتماعية. ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الأصليين .**

وليس هناك من لا يعجب بسلوك المسلم النيجيرى ووقاره . بل بسلوك مسلمى افريقية عامة ، وان هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية، واعتزاز بالجنس . يخيل اليك أنه يقول : ان كلا منا يختلف عن الآخر، ولكننا جميعا بشر ، وان انتشار الاسلام الذى نشهده اليوم فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا . ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلة أرقى ، وفكرة أسمى عن مكانة الانسان من العالم المحيط به ، ويحرره من ربقة الأوهام الخرافية)) .

ثم تعرض الكتاب بعد ذلك الى تاريخ انتشار الاسلام والعروبة فى غربى افريقية ،ومهد لهذا بعقد مقارنة

بين الاسلام فى شرق القارة ، وغربها . ثم قدم لنا الدول الاسلامية .. التى قامت فى غرب افريقية وهى : ـ

١ ـ مملكة غانة :

وتعتبر هذه المملكة من أقدم الممالك السودانية ، ومن أطولها عمرا ، وتاريخ هذه المملكة يرجع الى القرن الثانى الميلادى حينما هاجرت جماعة من سكان الشمال الافريقى الى شعوب الماندى الافريقية . ثم استطاعت فى القرن الرابع الميلادى أن تحكم شعوب هذه المنطقة ، وأن تكون أسرة حاكمة ظلت تحكم فى مدينة « أوكور » حتى نهاية القرن الثامن الميلادى . وبسقوط هذا البيت الحاكم على يد «السوننكى» نراهم يهاجرون الى بلاد « التكرور » التى تقطنها شعوب ثلاثة هى « التكولور » ويمثلون الطبقة الحاكمة ، و « الولوف » ، و « السيرير » . وقد أصهر هؤلاء المهاجرون الى التكولور ، واستطاعوا أن يتدخلوا فى الحياة السياسية حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى حينما ضاق التكولور بهم ، وتخلصوا من سيطرتهم . وان كان قد أصبح هؤلاء المهاجرون المغاربة بعد هذه الفترة الكبيرة من الزمن افريقيين قلبا وقالبا . وهم ما يسمون الآن « الفلانى Fulani » .

وفى الوقت نفسه قويت سلطة ملوك غانة من «السوننكى» ، ووسعوا بلادهم بحيث بلغت قمة ازدهارها فى مستهل القرن الحادى عشر الميلادى. ذلك لأنها بلغت « تمبكتو » فى الشرق ، ومنابع النيجر فى الجنوب وفى الجنوبين الشرقى والغربى ، وحدود التكرور فى الغرب وقد ازدهرت هذه المملكة بفضل التجارة ، ولم تستطع قبائل لمتونة ، وجدالة التى توحدت على يد **«عبدالله ابن ياسين»** أحد الدعاة المسلمين الذى كانت تقوم سياسته فى هذه المنطقة على نشر الاسلام فى هذه المناطق ، وفرض مذهب « مالك » على شعوب افريقية الشمالية . لم تستطع هذه القبائل . كما لم يستطع ملوك المرابطين القضاء على هذه المملكة التى وقفت بعناد دون تغلغلهم فى الجنوب . مما اضطرهم الى فتح المغرب ، والتقدم الى الشمال .

ولكنها فى عام ١٠٧٦ سقطت على يد زعيم المرابطين فى هذه الفترة « أبى بكر بن عمر » . ثم واصل عملية القضاء هذه على مملكة « السوننكى » خليفته **« يوسف بن تاشفين »** .

٢ ـ مملكة صوصو فى كانياجا :

قامت هذه المملكة على «الفلانيين» الذى سبق ذكرهم وهم المغاربة الذين تافرقوا . فقد كانوا طبقة حاكمة عملت على استقلال « كانياجا » وقيام امبراطورية جديدة تعرف باسم امبراطورية « صوصو » غربى اقليم « مالى » وقد ضمت الى هذه المملكة فى القرن الثانى عشر الميلادى مدينة « ديارا » . ثم ضمت اليها فى عام ١٢٠٣ مملكة «غانة» ، وهاجمت مملكة «الماندنجو» فى الجنوب ، ولكن «الماندنجو» تغلبوا على هذه المملكة التى عاد أغلب سكانها الى بلاد « التكرور » حيث أسسوا أسرة حاكمة ظلت تقبض على زمام

الحكم حتى عام ١٣٥٠ م . ثم انتهت بتغلب « الولوف » عليها .

٣ ـ مملكة مالى :

تقع « مالى » بين بلاد « برنو » شرقا ،والمحيط الأطلسى غربا ،وجبال البربر شمالا ، وقد كان ملكها ـ ويسميه أهل مصر فى العصور الوسطى سلطان التكرور ـ يضع يده على اقاليمها الخمسة وهى : ـ

(أ) مالى .
(ب) صوصو .
(جـ) غانه .
(د) كوكو .
(هـ) تكرور .

وكل ما يعرف عن مملكة مالى انه فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى اعتنق ملوك « الماندنجو » فى « كانجابا » الاسلام . فلما كان القرن الثالث عشر رأيناهم يوسعون مملكتهم فى الجنوب ، والجنوب الشرقى ، وقد ورثت « مالى » مكانة « غانة » التجارية ، وقد بلغت غاية اتساعها فى عهد **منسى موسى** (١٣٠٧ ـ ١٣٣٢م) فقد ضم اليه «تمبكتو» ، و «ولاته» ، و «جوا» ، وهكذا نرى المملكة فى عهده تمتد من بلاد التكرور غربا الى دندى شرقا ، ومن ولاته فى الصحراء الى مرتفعات فوتوجالون جنوبا . وقصة زيارة **« منسى موسى »** للأراضى المقدسة معروفة فقد ذهب اليها فى موكب من العبيد ، وموكب من العطايا، وعاد الى بلاده ببعض مشاهير العلماء ولكنها اضمحلت بموته .

٤ ـ مملكة صنغاى فى جوا :

يبدأ تاريخ هذه المملكة بقبائل «اللطة» المغربية الوثنية التى استطاعت أن تبسط سلطانها على الزراع ، فى « صنغاى » الذين كانوا قد استقروا على الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة « دندى » وقد انمت هذه البلاد علاقاتها التجارية مع غانة ، وتونس ،وبرقة ،ومصر ،وبفضل هذه العلاقات التجارية تحول ملوكها الى الاسلام فى القرن الحادى عشر الميلادى عن طريق شمال افريقية ، ويعتبر **« اسكيا محمد الأول »** من ألمع حكام هذه المملكة ، وقد حج الى بيت الله عام ١٤٩٥ م فى مظاهرة فاقت فى الأبهة والجلال رحلة « منسى موسى» السابقة الى الحج ، وبعد عودته من مكة عام ١٤٩٧ قام بعدة حملات لنشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه الماندنجو والفلانى ،فى الغرب ،والطوارق والبربر فى الشمال ، والموسى فى الجنوب ، والحوصا فى الشرق ، ولكن كل هذا قد هدد بالزوال حين مرض ، وأصابه العمى . وتآمر عليه أولاده فى عام ١٥٢٨ م . وقد لاقت المملكة نهايتها على يد المراكشيين عام ١٥٩٠ ،والثوار الذين رأوا ما حل بالمملكة على يد المراكشيين .

٥ ـ شعب الحوصا :

ينتشر هذا الشعب فى شمالى نيجيريا ، وتكاد تستوعبه مقاطعات سكتو ، وكانو ، وزاريا ، وباوتشى ، وقد كانت هناك سبع امارات تابعة للحوصا ، وظلت تدين بالوثنية حتى دخل اليها الاسلام فى القرن الثالث عشر الميلادى فنظم حياتها ،ومعاملتها، واعتبرت نفسها مسئولة عن

نشر الاسلام وتعاليمه فى هذه البقاع التى كانت تجوبها عن طريق التجارة التى اشتهرت بها ، وقد استوعبت هذه البلاد هجرات شعب ((**الفلانى**)) الذى سرعان ما استقر ، وأسهم فى سير الحياة هناك حينما ظهر من بينهم الداعية الاسلامي الكبير ((**الشيخ عثمان دان فو**)) الذى وحد بين هذا الشعب فى بلاد « الحوصا » ، وبويع بلقب « ساركين مسلمانى » ، أى أمير المؤمنين ، وأخذ على عاتقه نشر الاسلام بحماسة وحب فى هذه المناطق. وظل يؤدى هذه الرسالة حتى توفى عام ١٨١٧ م ولكن الضعف سرى فى هذه البلاد من بعده حتى استسلمت للانجليز .

٦ — شعب اليوروبا :

يسكن هذا الشعب فى نيجيريا الجنوبية ، وقد تعددت الآراء فى نسبة هذا الشعب فقيل أنهم جاءوا من مكة، وقيل انهم جاءوا من الشرق . وقيل انهم جاءوا من صعيد مصر . وقيل أنهم ينسبون الى الكنعانيين . وقد امتدت هذه المملكة من مصب النيجر فى الشرق الى داهومى فى الغرب . وشق الاسلام طريقه اليهم من الشمال على يد « الفلانيين » الذين استقروا فى بلاد « الحوصا » . وقد بلغت هذه المملكة أوج عظمتها . وثرائها فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى . ثم سقطت أخيرا تحت الحكم البريطاني.

٧ — مملكة برنو :

تقع هذه المملكة الى الشرق من بلاد الحوصا ، وقد بسطت نفوذها على الصحراء الكبرى . وعلى جزء من السودان ، ومن أعظم رجالاتها «محمد الكانمى » ثم دخلت هذه البلاد تحت حكم السلطان رابح الذى ظل يحكمها حتى عام ١٩٠٠ ثم هزم على يد الفرنسيين .

٨ — مملكة الكانم :

تقع هذه المملكة الى الشمال الشرقى لبحيرة تشاد ، وقد اعتنقت الاسلام فى القرن الحادى عشر وقد مدت نفوذها واطرافها حتى تطرق اليها الضعف فى أواخر القرن الثالث عشر .

٩ — امارات موسى :

تكونت هذه الامارات الخمس على يد طائفة وافدة من الشمال الشرقى، وأفادت من تجارة الرقيق . ونبات الكولا ، وتجارة الذهب ، وقد ظلت متماسكة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وقدوم الغزاة البيض .

مملكة البمبارا :

تتكون هذه المملكة من امارتين هما « سيجو » ، و « كآرتا » ، وتتكلمان بلغة « الماندى » ويرجع الفضل فى دخول الاسلام اليها الى «أحمد لوبو» الذى ينتمى الى أصل « فلانى » .

* * *

ثم قدم لنا المؤلف بعد ذلك فى تخطيط سريع « الحاج عمر » الذى وحد السودان من بلاد «فوتا» الى « تمبكتو » وقد حرص دائما على أن يطلق عليه «الحاج عمر» وكنت أحب أن يطلق عليه اسمه الكامل وهو « الحاج عمر تال » . كما كنت أحب أن يعرف القارىء شيئا بالتفصيل عن ظروف حياته ، ومقتله ، وكما أسرع فى رسم هذه الشخصية العظيمة فقد

كان اكثر سرعة فى رسم شخصية « عمروكبا » أحد المرابطين الذين أدوا دورهم كاملا فى قبيلة « البمبارا » .

* * *

ثم تحدث المؤلف عن الدول الاسلامية فى شرق القارة الافريقية . بادئا بمملكة النوبة ودنقلة ، وكيف أن العرب لم يفلحوا فى فتح هذه البلاد فى عهد « عمر بن الخطاب » ولكنهم اكتفوا بعقد معاهدة اقتصادية اكثر منها سياسية ، ثم اضطروا الى تسيير جيش لهم بعد ان نقضوا الهدنة، ولكن المسلمين خيروهم بين الاسلام ، والبقاء على دينهم ، وطلبوا المحافظة على المقدسات الخاصة بكل من الطرفين . وهكذا اتصل المسلمون بهم كما اتصلوا « بالبجه » وظلت العروبة تتدفق الى هذه البلاد . حتى اذا كان القرن الثالث عشر الميلادى نجد الاسلام يأخذ طريقه كذلك الى مدن « النوبة » السفلى ، وأصبح صاحب دنقلة من رعايا مصر . فلما كان عام ١٣١٩ رأينا زوال هذه المملكة بسبب الانقسامات الداخلية ،وهجوم القبائل العربية والافريقية ،وقيام مملكة « الفونج » فى القرن الخامس عشر .

وقد فتح سقوط هذه المملكة الطريق أمام النفوذ الاسلامى من الشمال ، وأمام التيارات القادمة من الغرب ، والشرق ،وقد ساعد هذا كله على قيام مملكة « الفونج » فى (١٤٩٩ ، ١٥٣٠ م) من الجنوب حتى الحبشة ،وقد بلغت قمة ازدهارها فى عهد الملك « بادى الثانى أبو دقن » (١٦٤٢ — ١٦٧٧) ، وقد ركز المؤلف حديثه عن الفونج دون التركيز الشديد على عبد الله جماع زعيم العبدلاب لا « العبدلات » كما جاء فى الكتاب مع أن دور هؤلاء العبدلابيين لا يقل عن دور الفونج انفسهم .

ثم تعرض المؤلف لمملكة «دارفور» التى تكونت من شعبى « الداجو » ، و « التنجور » المغاربة الذين ظهر منهم رجل يسمى « أحمد المعقور » وأن هذه المملكة بلغت قمة ازدهارها فى عهد « سليمان سولون » فقد فتح الممالك السهلية ، ووحد القبائل ، ونظم الطرق التجارية ،وقد ظل الحكم فى أعقاب هذا الملك حتى عام ١٩١٦.

ثم تعرض المؤلف لعلاقات العرب مع الحبشة ، وكيف أنها امتدت للعصر الجاهلى ، وكيف كانت مهجرا للمسلمين الأوائل ، وتعرض لتلك الصلة الطيبة بين الرسول والنجاشى ، وانتهى الى قوله بعد أن أورد بعض الحقائق الاسلامية .

« أن هذا كله لا يحملنا على القول باسلام النجاشى ، ولاسيما أن جمهرة المؤرخين يكادون يجمعون على أن الاسلام لم يظهر فى بلاد الحبشة الا بعد مدة طويلة . وكقوله عليه السلام لبلال « هذا أول ثمار الحبشة » .

وقد كنت أحب أن يورد حقائق أخرى كبيرة كصلاة الغائب التى صلاها الرسول على النجاشى ، وكقول النجاشى ردا على المسلمين الذين هاجروا اليه « مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده . فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى » ، والى تلك الرواية العربية التى تقول أنه حينما

دخل الحرب امن المسلمين ، واحضر لهم سفنا وقال لهم «اركبوا فان هزمت فامضوا ، وان ظفرت فائتونا . ثم عمد الى كتاب يشهد فيه ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وان عيسى عبده ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم ،أما الحقيقتان اللتان أوردهما المؤلف فلا تؤديان — في رأينا — الى الرأى بعدم اسلام النجاشي ذلك لأن تأخر ظهور الاسلام في الحبشة ،وقول الرسول عن بلال « انه أول ثمار الحبشة » لايدل على عدم اسلامه أمام الأدلة الكثيرة التي أوردناها ، والدليلان اللذان ساقهما المؤلف ان دلا على شيء فانما يدلان على ضعف « النجاشي » أمام الرأى العام ولقد كان له عذر في هذا لأن الأمور لم تكن مستقرة في بلاده ، وكان يطمع في عرشه الكثيرون . أما قول الرسول عن بلال فيمكن حمله على أن المقصود به أن بلالا كان من أول المجاهرين باسلامهم ، والمتحملين في سبيله الكثير وخاصة ان الرسول قد عبر عنه « بالثمرة » وكان هذا في مقام الفخر به . وان الحديث كان عن طبقة خاصة من المجتمع وهى طبقة العبيد . بدليل قصر حديثه عليه وعلى سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

ومهما يكن فقد حدثنا المؤلف عن الاسلام في هذه البلاد ثم حدثنا عن استيطان العرب لافريقية الشرقية ، وكيف أن سكان الساحل الشرقي من العرب قد أقاموا لهم مدنا مثل سوفالا، وكلوا ،وزنجبار ،وممبسة ، ومالندى.

ثم حدثنا باسهاب عن الاسلام في الصومال ، وزنجبار .

* * *

وأخيرا حدثنا في كتابه عن الثقافة العربية في غربى افريقية ، وكيف امتدت من المساجد الى الحياة العامة. بحيث أنشئت بعد ذلك مدن تشع بأنوار المعرفة كمدينة أغمات ، وفاس، والقيروان ، وأودغشت ، وتمبكتو ، وجنى ، وكانو . ثم كيف ازدهرت هذه الثقافة في السودان ، والحبشة والصومال ، وزنجبار ، وكلها تدور حول الثقافة الاسلامية ، والحضارة الاسلامية .

واذا كان لابد من ملاحظات أخيرة — من وجهة نظرى — فهى التعميم ، وعدم التركيز على بعض النقاط كالحديث عن أثر الاسلام في الزنوج، والثقافة العربية في افريقية ،و «برنو» و « كانم » وكعدم التفريق بين الامبراطورية ، والمملكة ، وكقوله انضمام « توجولاند » الى ساحل الذهب بحيث تكونت منهما جمهورية غانة ، والذى أعرفه أن توجولاند لم تنضم الى غانة ، وأنها ستستقل في هذا العام . عام ١٩٦٠ ،بينما استقلت غانة في ٧ من مارس عام ١٩٥٧ .

ثم رأيناه يتحدث حديثا خاطفا في صفحة ٨٤ عن السلطان « رابح » أو نابليون السودان على حد تعبير احد المؤرخين . فنراه يقول عنه **«واستطاع العبد رابح مولى الزبير باشا رحمة ، أن يقود جيشا من المصريين الى بلاد برنو، وأن يدخلها تحت النفوذ المصرى »** وفي هذا قسوة على السلطان «رابح»

لأن شدة اخلاصه للزبير باشا جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنه كان رقيقا للزبير . ولكن الحقيقة التى تؤكد انتماءه الى قبيلة « الهمق » الذين تولوا السلطة فى آخر أيام مملكة الفونج، ثم تصريح « الزبير باشا » نفسه للكاتب الألمانى « أوبنهايم » تؤكد أن « رابح » لم يكن رقيقا للزبير ، وانما كان سيد نفسه ! .

ثم ان الجيش الذى كان تحت امرته ، والذى دخل به الى « برنو » كان قوامه من السودانيين فقط ، واخيرا انه لم يدخل « برنو » الا معتمدا على نفسه وعلى جنسه ولم يخضع لنفوذ المهدى أو غيره بعد ذلك . .

* * *

وهكذا يدور الكتاب فى منطقة فكرية تعتبر جديدة على القارىء العربى ، مما يؤكد أهميته ويجعلنا نطالب الكثيرين من مفكرينا بالالتفات الى القارة الافريقية ، وازاحة الستر الكثيفة التى ضربها عليها الاستعمار . فنحن بهذا نخدم حاضرنا وماضينا . كما نخدم التراث الحضارى للانسان .



المغزى التاريخى للعلم الكمرونى

لروبين أوم نيوبى

لما كان علم الكميرون يتكون من « سرطان أسود على قاع أحمر » فقد بادرت الحكومة الفرنسية وأذنابها بتفسير اللون الأحمر فى العلم على أنه دليل جديد يشهد باتجاه البلاد الى الدول الاشتراكية . كما أقاموا الضجيج حول هذه الحجة الواهية فى بعض المنظمات الدولية ، ولكن هذه المناورات المفضوحة لم تلق فى الكمرون آذانا صاغية . فاذا اعتبرنا الموضوع منتهيا فى بلادنا فاننا مازلنا فى النطاق الدولى ، وعلى الأخص فى بعض الأوساط التى يسيطر عليها المذهب الاستعمارى ، هدفا للأسئلة المغرضة عن اختيار لون يخلد فى شارتنا القومية ذكرى الذين سقطوا فى المقاومة من الرجال والنساء ، من أجل انتصار القضية المقدسة ،واعادة التوحيد ، والاستقلال . فاللون لون ثورة فى واقع الأمر ، ولا حاجة بنا الى أن نكون من أتباع أحد مادام كل شيء ينبع من واقعنا وتاريخنا ! .

ترى باسم أى المبادىء اختارت فرنسا ، وانجلترا اللون الأحمر الظاهر بوضوح فى الوان علمهما ؟! . ومهما يكن من شيء ، ففى يوم ٢٢ من مايو عام ١٩٥٥ : أى بعد مضى شهر تماما على توقيع « الاعلان المشترك » . باستقلال الكمرون العاجل . فحينما اعلن رئيس اتحاد أهالى الكمرون « **فيلكس رولان مومى** » ونائب الرئيس «أواندى» الى أهالى مدينة « باوندى » فى اجتماع شعبى — ميلاد العلم الوطنى الكمرونى. قوبل هذا النبأ بنفس الحماسة التى قوبل بها « الاعلان المشترك » فى ٢٢ من ابريل عام ١٩٦٠ .

فميلاد العلم الكمرونى حدث يدخل فى صميم التطور الطبيعى لنظام الوصاية الدولى الذى كان موجودا فى هذا الوقت . ولنتأمل الآن ما اذا كان من حق السلطات الفرنسية شرعا أن تبدى اعتراضا ما على استخدام العلم الكمرونى حتى قبل اعلان الاستقلال. الأمر الذى يثير مشكلة هامة وهى مسألة السيادة . ذلك لأن السيادة — حتى ولو كانت هناك وصاية — تعطى الشعب حق اختيار ما يريد . فالأمم المتحدة ، وان كانت تمارس واجبات الوصاية ، الا انه لا يمكن لها أن تدعى السيادة فى الشئون القومية التى تتوقف على ارادة الأهالى مثل اختيار لون العلم .

ذلك لأنه حينما اشارت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى القرار الذى اتخذته خلال دورتها الرابعة عام ١٩٤٩ الى استخدام علم الأمم المتحدة. اكدت ان هذا العلم يجب أن يرفع بجوار علم الدولة الادارية ، ودولة الاقليم .

فاستخدام العلم الكمرونى لا يخرج عن كونه تمتعا نابعا من قرار من الجمعية . أى الجهاز الأعلى للأمم

المتحدة . وقد يعمد الاستعماريون الى الافتراء ، والتبجح فيما يتعلق بالألوان التى اختارها الشعب . ولكن على الشعب حينئذ أن يوقف هذا التبجح بالتصميم على ما يصدر عنه ، على أنه من المعروف ان اتحاد أهالى الكمرون كان قد قرر فى ٢٤ من أكتوبر ١٩٥٤ الاحتفال بالعيد التاسع لهيئة الأمم المتحدة ، وذلك برفع علم هذه المنظمة امام مبنى الحركة ، وقد قوبلت هذه الظاهرة بحماسة كبيرة من المواطنين الكمروتيين الذين أضفوا عليها مغزى سياسيا ، ومن ذلك الوقت قرر المناضلون فى حركتنا ، والوطنيون من جميع الفئات اتخاذ قرار حازم بتعميم شعبيته على الأمم المتحدة حينما كانت الكمرون تحت الوصاية .

ولكن السلطات الفرنسية لم تكن لتذعن بالأمر . فقد حضر الى السيد « بريزوالوز » الملحق بالقسم الادارى فى « نيوبيل بدوالا » ، وأفهمنى أن السلطات الفرنسية ترى أن يرفع علم هيئة الأمم المتحدة ، وقد كان ردى واضحا فى رفض التماسه ، وافهامه أن الفرنسيين لا يحترمون قرار الدورة الرابعة للجمعية الذى أوصى باستخدام علم الأمم المتحدة فوق المبانى ، وفى الأماكن العامة .

وقد طالبت فى الوقت نفسه بتطبيق قرار استخدام علم الأمم المتحدة ، ورفعه فى الاحتفال بيوم حقوق الانسان فى الكمرون ، ولكن السلطات الفرنسية لم تأخذ بهذا الراى ، وتعرضت بالتنكيل للذين حاولوا رفع هذا العلم فى « بافوسام » ، وكلما أراد الأهالى أن يعبروا عن المشاعر الوطنية بالاحتفال فى العلم كانت ارادة « رولان » ترسل بالجنود الفرنسيين لاراقة الدماء ، ومن ذلك الحين والكفاح متواصل من أجل وحدة الكمرون واستقلاله الذى تمثل فى المظاهرات حول علم الأمم المتحدة ، وغيرها من المظاهر الشعبية ، وفى كل مرة كانت تراق الدماء الكمرونية فى قسوة ووحشية .

فاللون الأحمر يعنى لون الثورة ، ويعتبر قسما حيا للثوار الذين دافعوا عن وطنهم فى صدق ، وشرف ، وأمانة.

اما «السرطان» فيشير الى الأصل الذى اشتق منه الاسم الحالى لبلادنا، واللون الأسود الذى رسم به السرطان يعنى أن الكمرون فى كفاحه من أجل الوحدة والاستقلال بلد كائن فى هذا الجزء الحي من افريقية الذى اشتهر باسم افريقية السوداء .

وهكذا نرى أن اللون الأحمر هو لون الدم الذى سال من أجل القضية الكمرونية ، واللون الأسود هو لون الشعب فى صموده وكفاحه ، والسرطان هو اسم للكمرون الذى دخل مرحلة حاسمة من مراحل تاريخه المجيد . فمن هذه المفاهيم الثلاثة تؤلف المغزى التاريخى للعلم الكمرونى . .

واليوم وقد أعلن استقلال الكمرون ، وأصبح علم البلاد هو الوحيد الذى يخفق عليه فى عزة وفخار . تطوف بى شتى الذكريات : ذكريات هذا العلم ، وذكريات الكفاح من حوله ، التى هى فى الوقت نفسه كفاح الشعب . وأتساءل فى نفسى أين العلم الفرنسى ؟ أين علم الأمم المتحدة؟ ويجىء الجواب « بانه لا مكان لعلم غريب فى افريقية بعد اليوم ! » .

شخصية العدد

« الصاغ محمد الماس »

علت الدهشة وجه الصاغ «محمد الماس» حين تقدم اليه فى لهفة أحد جنود فرقته السودانية . ثم ذكر له ــ بعد أن أدى التحية العسكرية ــ بأن هناك اشارة سريعة من القيادة تقول: ان عليه أن يستعد سريعا للسفر الى « المكسيك » .

ورنت هذه الكلمة فى أذن الضابط الشاب : ذلك لأنها كانت اضافة جديدة الى القاموس العسكرى المحدود فى هذه الفترة . فلم يكن لأحد كما يمكن الآن ان يلف بأصبعه الكرة الأرضية متى حرك مفتاح الراديو . أو حدق فى التليفزيون . أو تصفح احدى الجرائد ، ومتى كان يمكن ذلك ونحن فى عصر « سعيد باشا » الذى تولى الحكم عام ١٨٥٤ خلفا لابن أخيه « عباس باشا » ! .

ومع أن هذه الكلمة الجديدة قد رنت فى قلبه كما رنت فى أذنه . الا أن بسمة الرضا سرعان ماعادت تتألق على وجهه من جديد . ولكن ذلك لم يمنعه من أن يفكر فى ماضيه فى الجنوب ، وكيف ولد فى قرية صغيرة تطل على صحراء كبيرة ، وكيف كان يحس من صغره رغبة جادة فى الانخراط فى السلك العسكرى .. ثم كيف ترك فى قريته المطرقة هناك ذكرياته حينما كان يترنم بالدوبيت ، ويختار وزيرا للعريس ، ويتلقى الضرب بشجاعة فى جلبات الأفراح ويدق على الدلوكة ، ويعود بالغزلان ، ويأكل المرارة . ثم أخيرا كيف كان يمد بصره بعيدا فلا يرى الا الصحراء ، والصمت ، والأشجار الجافة المعروفة التى لا تتذوق طعم الماء الا منصبا بعنف وقسوة من السماء بين البرق ، والرعد ، والسحب المظلمة ! .

ولكنه سرعان ما تنبه الى نفسه . وعاد الى قمة السنين التى كان قد تركها ليزود نفسه بذكريات الطفولة المدخرة . عاد الى وقع كلمة «المكسيك» التى أخذت تدق بعنف ، ورتابة فى صدره ، وكأنها ساعة المعسكر العتيقة التى لا تكف هى الأخرى عن العنف ، والرتابة ، حقا لقد اشبهت هذه الكلمة البذرة فسرعان ما نمت ، وتحركت وزاحمت روحه حتى أحس بأن نفسه ضيقة عليه ، وانه يجب أن يفسح لها من روحه التى كانت لاتتسع الا لشىء واحد هو ذكرياته التى تركها بعيدا فى السودان ! .

واحس «محمد الماس» بشىء يدفعه الى خارج حجرته ، وخرج فوجد قدميه تسيران به الى قائد الفرقة السودانية البكباشى «جبرالله محمد» وهناك وجد عنده الكثير من زملائه . كما وجد جوا حادا لم يألفه كأنه كان هو الآخر يتنفس من أطراف السيوف

حين تضيق ، وتنتهى الى « نقطة الموت » .

وسمع هناك من رئيس الفرقة ان السبب فى هذه الحملة هو هذا النزاع الذى كان محتدما بين نابليون الثالث امبراطور فرنسا ، والمسيو جوارز رئيس جمهورية المكسيك وأن سبب هذا العداء هو رغبة فرنسا فى قيام حكومة ملكية كاثوليكية فى هذه البلاد، وان حكومة المكسيك كانت قد أساءت الى رعايا فرنسا ، وانجلترا ،واسبانيا فى هذه البلاد ، وأن هذه الدول الثلاث قد استقر عزمها على تأديب المكسيك، ولكن الخلاف مالبث أن نشب بين الدول الثلاث ، واضطرت فرنسا ، محافظة على شرفها ، أن تقوم وحدها بتأديب هذه البلاد . وما كان لأحد أن يسأل ، وما دخل مصر فى هذا ؟ ألأن الجميع كانوا يعرفون « الصداقة الزائفة » التى تربط سعيد باشا بنابليون الثالث ؟ ولم يستمع « محمد الماس » الى هذا الحديث فقط ، وانما اكمل ضابط آخر بقية القصة حين تحدث عن الجو الحار فى هذه البلاد، ورداءته ، وانتشار بقية الأمراض المتوطنة فيه ، أن الاختيار وقع عليهم لمشابهة الحياة فى هذه البلاد للحياة فى بلادهم .

وما كاد هذا الزميل ينتهى من حديثه حتى احس بضيق فى نفسه حينما سمع هذا الحديث عن بلاده ، وحينما تحركت فيه انسانيته التى ستسفك غدا دماء لم تهنه ، ولم تهن بلاده ، وحتى الانسان الذى سيقتله هناك لا يعرفه ، وقد ارتجف حينما عرف أن الأوامر التى صدرت تحتم على الفرقة السودانية الاجتماع فى صباح ٨ من يناير عام ١٨٦٣ فى ميناء الاسكندرية ليستقلوا من هناك الباخرة الفرنسية «La Saine» ، وقد كانت رحلة تعسة ، فقد مات سبعة من زملائه فى الرحلة التى استغرقت سبعة واربعين يوما . ثم توجت هذه الرحلة اخيرا حينما وصلت الى المكسيك بموت قائدها البكباشى « جبرالله محمد » بالحمى الصفراء التى كانت منتشرة فى هذه البلاد، والتى كانت تصل نسبة المرض بها يوميا الى اثنين واربعين جنديا .

وقد أحس الضابط الشاب دائما أن هذه الحرب لا تمس وجدانه ،وتأكد هذا حينما وجد انقطاع التفاهم بين الكتيبة السودانية التى كان لا يعرف الفرنسية فيها أحد ، وبين الفرنسيين أنفسهم ، وحينما دفع الفرنسيون بالجنود الجزائريين الى عملية التفاهم بينهم وبين السودانيين قام سوء تفاهم نفسى آخر بين المعسكرين ، وبخاصة حينما استبدل الفرنسيون أسلحتهم التى كانوا يحبونها ، ويألفونها بأسلحة وذخيرة فرنسية .

وبالرغم من سوء التفاهم النفسى فقد كنا نرى الجندى السودانى يحس فى قرارة نفسه انه يجب عليه أن يحترم «شرف المعركة» فهو سيوجه رصاصة الى قلب لا يعرفه ، ويدفع بيده زنادا لا يؤمن بالحرب التى يخوض غمارها ، ويفقد الكثيرون أهلهم ، ووطنهم ، وغدهم ، ولكن « شرف المعركة » من وراء القلب كان يصوب،

يقتـل ، ويدمر ،وينتصر على غـرباء لم يسيئوا اليه !.

وهكذا أبلت الفرقة بلاء حسنا ، واستطاعت أن تحرز لفرنسـا عدة انتصـارات ، وبلغ الضيق بالجنـود ذروته حينما قررت فرنسـا جلاءها عن المكسيك فى ١٢ مـن مـارس عام ١٨٦٧ ، وتحسست الفرقة السودانية جراحها فوجدت انها خاضت غمـار ثمان واربعين معركة حربية فى مـدة استغرقت أربع سنوات ، وسـبعة عشر يوما استطاعت ان تفقد خلالها مائة واربعين جنديا من مجموعها الذى كان يبلغ اربعمائة وثلاثة وخمسـين جنديا !.

ولقد مرت هـذه الذكريات بعنف وقسوة حينما اسـتعرض نابليـون الثالث الفرقة فى فرنسا ، وشد بيده على يد الضابط « محمد الماس » ، ومنحه وسام «لاكروادى فسيية» زيادة على الرتبة التى كان قد منحها منـ قبـل وهى رتبـة « شفاليـه دى لاليجيون » ، وبلغت هذه الذكريات حدا أزعج نفسية الضابط السودانى حينما استعرض الخديوى اسماعيـل الفرقة فى ٢٨ من مايو عام ١٨٦٧ .

.. وبعد هذا ظل هناك شىء حزين يدق برتابة على قلب الضابط السودانى فقد كانت هناك دماء مكسيكية غزيرة تغرق روحه كل مساء ، وتهمس له وهى تحاصره «أيها الضابط السودانى لماذا فجرت كل هذه الدماء ؟ » وما كانت الدماء تنحسر عنه ، وما كان للنوم أن يرفرف على عينيه الا حينما كان يتوجـه هو الآخـر الى القصر الخديوى . ثم يسائله « لماذا أرسـله الى هناك ؟ لماذا بعث به الى المكسيك ؟!»



الوضع الاقتصادى لقناة السويس

بقلم الأستاذ بهجت الدسوقى

فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ وقف الرئيس جمال عبدالناصر واعلن باسم الشعب تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وانها (شركة مساهمة مصرية) وجاء فى خطاب الرئيس **((اليوم بعرقنا ودموعنا وأرواح شهدائنا وجماجمهم نستطيع أن نحمي هذا البلد ، وسنعمل وننتج ونزيد فى الانتاج برغم كل المؤامرات)).**

وقناة السويس احدى القنوات البحرية فى العالم ، ولنمر سريعا على غيرها من القنوات البحرية . فالقنوات اما أن تكون داخلية وهى التى تقع داخل اقليم دولة واحدة وتوصل بين جزءين من ذلك الاقليم كقناة ميدى Canal de mide التى توصل بين بوردووست فى فرنسا ، وهذه لايهتم بها القانون الدولى لعدم صلتها بالمواصلات الدولية .

وهناك قناة ثانية توصل بين بحرين حرين ، ولما كانت هذه القناة معتبرة من طرق المواصلات الدولية ، فقد اهتم بها القانون الدولى مثل قناة كورنثيا التى افتتحت سنة ١٨٩٣ ، وتوصل الأدرياتيك بالبحر المتوسط ، وتقع فى اقليم دولة اليونان ولا تحكم هذه القناة أية اتفاقات دولية خاصة . وأما القناة الأخرى فهى قناة « كييل » التى افتتحت سنة ١٨٩٦ وتوصل بين البلطيق وبحر الشمال وتقع فى اقليم المانيا وقد نظمت معاهدة فرسايل بين المانيا والحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى قناة كييل فى المواد من ٣٨٠ — ٣٨٦ .

والقناة الثالثة هى قناة بنما ، وقد افتتحت للملاحة فى سنة ١٩١٤ ، وتفصل أمريكا الشمالية عن أمريكا الجنوبية ، وتصل الأطلنطى بالمحيط الهادى ، وتقع فى جمهورية « بنما » وتحكم القناة معاهدتان احداهما : بين أمريكا وبريطانيا وهى معاهدة «هاى بونسفوت » سنة ١٩٠١ ، والأخرى بين أمريكا وجمهورية بنما سنة ١٩٠٢ ، وهى معاهدة « هاى فاريلا » .

أما القناة الرابعة فهى قناة السويس ، وهذه القناة تصل بين البحر الأحمر والبحر الأبيض . وقد افتتحت فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ . وتقع بأكملها فى الاقليم الجنوبى للجمهورية العربية المتحدة . وطولها من الشمندورة المضاءة ببورسعيد الى بورتوفيق بالسويس ١٧٣ كيلومترا ، وعمقها بين ١٣٫٥ ، ١٤ مترا ، وعرضها من ١٢٠ — ١٥٠ مترا ومتوسط السفن التى تمر بها يوميا من ٤٠ — ٥٠ سفينة ، واقصى غاطس مصرح به للسفن ٣٥ قدما ، تلك هى القنوات البحرية فى العالم .

وهذه القنوات لها تأثير كبير على الاقتصاد العالمى لأن التجارة البحرية هى التى توجه التجارة الخارجية للدول ،ومن ثم تؤثر على اقتصادياتها. فاذا نظرنا مثلا الى قناة بنما التى تصل الأطلنطى بالمحيط الهادى وجدناها توفر على السفن المتجهة من الهادى الى الأطلنطى أو العكس مدة من الزمن ومبلغا من التكاليف يساوى مرة ونصفا مما لو كانت فى سيرها الطبيعى. وهذا بالطبع له تأثير كبير على اقتصاديات الدول . ويترتب على هذا الاختصار فى التكاليف والزمن تنشيط التجارة الدولية ،مما يؤدى الى ايجاد حركة من الرخاء لم تكن تحدث لو لم تكن هناك تلك القناة . وذلك شأن قناة السويس ولكن تأثيرها على الاقتصاد العالمى أقوى من قناة بنما حيث ان اختصارها لطريق رأس الرجاء الصالح ووقوعها بين الشرق والغرب جعل لها أهمية تفوق قناة بنما .

فان عدد السفن المارة بالقناة يوميا يقدر بما بين ٤٠ ـ ٥٠ سفينة، وهذا العدد يبلغ سدس سفن العالم المارة فى البحار . وقدرت حمولتها سنة ١٩٥٥ بحوالى ١١٦ مليون طن . وأغلب السفن المارة بالقناة تأتى من الشرق محملة بالمواد الخام اللازمة للصناعة فى الغرب التى أهمها : البترول ثم المطاط . أما السفن المسافرة من الغرب الى الشرق فلا تزيد عن خمس السفن ،وهى تحمل الى الشرق المواد المصنوعة . ونتبين من هذا أن الدول التى تتأثر بحرية الملاحة فى القناة اقتصاديا هى الدول المنتجة للمواد الخام بالشرق ، وهى أكثر من الدول التى ستقوم بالصناعة . ومع هذه الأهمية لتلك الدول وتأثرها اقتصاديا من حرية الملاحة بالقناة لم تدع تلك الدول الى مؤتمر لندن . والدول التى حضرت المؤتمر وأعلنت ثقتها بالحكومة المصرية ، وموافقتها على التأميم هى الهند وأندونسيا . ولكى نوضح الصورة نذكر أنه يتجه ٨٥٪ من السفن الآتية من الشرق الى أوروبا . أما الباقى فيذهب الى أمريكا وشمال غرب افريقية ، ونجد أن السياسة الأمريكية الجديدة من دفع رأس المال الأمريكى للسيطرة على الاقتصاديات الناهضة فى افريقية وآسيا سيكون لها أثر ظاهر فى قناة السويس ، لأن من صالح السياسة الامريكية استقرار الأمور فى قناة السويس .

أما اذا نظرنا الى أوروبا فنجد أن تأثير القناة على الاقتصاد الأوروبى واضح من البيانات الآتية وخاصة على بريطانيا اذ يقدر ما مر بالقناة من البترول بحوالى ٩٠٪ من استهلاك غرب أوروبا . ويغطى البترول ١٧٪ من حاجته الى الوقود ، و ١٥٪ من حاجة بريطانيا . أما جنسية السفن التى تمر بها فهى هكذا : ٢٨٪ لبريطانيا ١٣٪ للنرويج ١٢٪ لليبريا ٩٪ لفرنسا ٨٪ لايطاليا ٨ر٢٪ لأمريكا . ورسوم العبور فى القناة ٧ شلنات عن الطن الصافى و ٣ شلنات وبنسان عن كل طن من السلع . بينما تبلغ تكاليف الطن اذا تحولت التجارة الى رأس الرجاء الصالح حوالى ٢٣ شلنا ، كذلك يؤدى طريق القناة الى قصر المسافة بين لندن وهونج كونج وسنغافورة بمقدار

۳۳۳۰ ميلا ، ومن الخليج الفارسى بحوالى ٤٩٠٠ ميل . وكذلك فان ارتباط اقتصاد المستعمرات باقتصاد الدول المستعمرة سواء الفرنسية أو الانجليزية أو البلجيكية والبرتغالية ووجود قناة السويس جعل لها تأثيرا فعالا على هذا الاقتصاد ، ودخول بعض المستعمرات فى السوق الأوروبية المشتركة باعتبار المستعمرات مناطق مصدرة للمواد الخام ، وسوقا لتوزيع الانتاج .

ولقد اثارت أزمة قناة السويس عدة مسائل ، وحركت قوات كانت نائمة مستكينة ، وكان فى مقدمة هذه الأمور مشكلة ما تحتاج اليه أوروبا من بترول فى صناعاتها ووسائل النقل لديها . وبرز الرأى القائل بأن هذه الحاجة ستزداد فى العشرين سنة القادمة الى ضعف الكميات المستهلكة. ولم تغن الطاقة الذرية ولا الفحم الحجرى عن الحاجة الى البترول ، وأصبح من المحتم أن يعتمد العالم على البترول فترة غير محدده . ولذلك بدأ الاتجاه الى البحث عن وسائل زيادة كمية البترول . ويذكر معهد البترول الأمريكى أن احتياطى الشرق الأوسط كبير فى مادة النفط ، وتعتبر مناطق الاتحاد السوفييتى أغنى المناطق البترولية ، ويقدر بعض العلماء أن بترول الشرق الأوسط سيتضاعف بشكل غير منتظر فى الفترة من سنة ١٩٦٥ و ١٩٧٥ . ويبدو أن انظار أوروبا الغربية متجهة الى الاهتمام ببترول الشرق الأوسط وأفريقية . من ذلك يفهم جيدا اهتمام الرأى العام فى أوروبا بقضية قناة السويس لأنه فهم أن حياته الاقتصادية ورفاهيته سوف تنهار اذا لم تحل مشكلة المرور بالقناة .

من هذا نستطيع أن نرى أثر قناة السويس على الاقتصاد الأوروبى .

واذا نظرنا الى اثر قناة السويس على اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة نجد أن هذا الاقتصاد تأثر تأثرا كبيرا فى الماضى ، فقد قدمت مصر آلاف الضحايا من أبنائها الذين استشهدوا فى حفر القناة ، وجرت دماؤهم على الأرض قبل أن تجرى عليها مياه البحرين واغتصبت الأرض من اصحابها . وقدم الحكام الأتراك أموال المصريين للشركة الاستعمارية . واخذوا يبددون الأموال التى امتصوها من دماء الشعب ، ولم يكفهم ذلك بل أخذوا يستدينون من الخارج من بريطانيا وفرنسا لانفاق هذه الأموال التى اقترضوها على البريطانيين والفرنسيين من جديد . وأصبحت الدولة مدينة ولم يستفد الشعب من هذا الدين . بل صرف على موائد الاستعمار وكبل الشعب بصندوق الدين الذى كونته الدول الاستعمارية لتحكم فى الاقتصاد المصرى . وفقدت مصر كل الحقوق التى كان يجب أن تكون لها فى قناة السويس ، فى أحداث مؤلمة مرت بالشعب المصرى الكريم . واختلطت دماء الألم والحسرة بدموع الشكوى والتضرع . ومرت الأيام بآلام القنال . واخذت الأرواح البريئة تحلق فى سماء القناة . مذكرة الأجيال بأن لها ثأرا لن تنساه . حتى جاء عام ١٩٥٢ فقيض الله لمصر الضباط الأحرار من

بنيها . ليردوا الكيد عنها ، وليلبوا نداء الأرواح المحلقة فى سماء القناة . وكان طبيعيا أن يعملوا من أجل الشعب. فبدأوا فى الدراسة والتمحيص لبعض المشروعات الوطنية . وايمانا منهم بما تجديه المعاملات الانسانية الطيبة، لم يحاولوا أن يعكروا صفو العلاقات الدولية . وطلبوا العون من بعض الدول الكبرى التي عاشت بفضل القناة لا طمعا فى الثمن ولكن حبا فى التعاون . ولكن الأنانية العالمية التى سيطرت على السياسة الدولية للدول الكبرى . أبت الا أن تتنكر للحقيقة لاكسير حياتها ، وأرادونا خدما لهم وعبيدا . ولكن ما كان الحر ليرضى بالعبودية . فرفضنا شروطهم الظالمة وأممنا قناة السويس العالمية . فمن حقنا أن نتقاضى تلك الأموال التى تدفعها السفن التى تمر بأرضنا . ان الجمهورية العربية المتحدة ستجنى الكثير من هذا القرار التاريخى قرار التأميم فضلا عن شعورنا بنعمة الاستقلال والسيادة وحرية التصرف. فقد وضع هذا العمل الحاسم حدا للمؤامرات التى كان يدبرها الاستعمار بعرقلة انتقال ملكية الشركة الينا فى موعدها المحدد . ولقد تحدث الانجليز وغيرهم كثيرا فى الآونة التى سبقت التأميم عن ضرورة توسيع القناة لتستطيع استقبال ناقلات البترول الكبيرة ، وكانوا يضيفون طبعا أن مثل هذا التوسيع يتطلب استثمارات ضخمة من جانب الشركة، ولا يتسنى لها الاقدام عليها الا اذا مد أجل امتيازها ولكن الانجليز كانوا ينفثون سمومهم فى الهواء دون أن يجدوا مصريا واحدا يقبل مجرد الانصات الى مثل هذه الأباطيل . وفى مقدمة الفوائد التى ستجنيها مصر ازدياد الدخل القومى بما يقدر بنحو خمسة وثلاثين مليونا من الجنيهات وهى قيمة الايرادات الاجمالية لشركة القنال، وستزداد بعد تنفيذ المشروع الثامن المعدل ، وهو آخر برنامج كانت قد أعدته الشركة المؤممة لتحسين القناة . فبينما كانت تهدف الشركة الى زيادة القطاع المائى من ١٢٥٠ الى ١٥٠٠ متر مربع قررت الهيئة المصرية زيادته الى ١٨٠٠ متر مربع ، ومشروع ناصر يهدف الى ازدواج القناة بأكملها وتعميقها بحيث تسمح بمرور السفن التى يبلغ غاطسها ٤٥ قدما ، وتتراوح حمولتها بين ٦٥٫٠٠٠ ، ٧٠٫٠٠٠ طن واستعمال الرادار لضمان الرقابة على حركة السفن ، كما يشمل تعزيز أسطول الهيئة بأحدث الكراكات والقاطرات

وكذلك من الفوائد الاقتصادية أن هذا الايراد يدفع لنا بالعملات الأجنبية الصعبة القابلة للتحويل كالدولار والأسترلينى والفرنك السويسرى. فهذه الحصيلة تعادل ثلث قيمة ما يصدر من القطن للخارج سنويا . وترجع أهمية هذا المورد الجديد من العملات الأجنبية الى أن تنفيذ المشروعات الانتاجية الضخمة التى أدرجت فعلا ضمن برامج التخطيط القومى . والتى يأتى فى طليعتها مشروع السد العالى يتطلب شراء الكثير من المعدات والآلات والخامات من الخارج، مما يجعل الميزان التجارى فى غير مصلحتنا ، وبعبارة أخرى فان مصر

خلال السنوات العشر القادمة على الأقل ستستورد من الخارج ما يزيد كثيرا على ما تصدره الى الخارج ، شأنها فى ذلك شأن أية دولة بسبيل تنفيذ خطةشاملة للتنمية الاقتصادية. وثمة فائدة اقتصادية أخرى تعود على الجمهورية العربية المتحدة من تأميم القناة وهى زيادة النشاط الاقتصادى فى المناطق المحيطةبالقناة بانشاء مصانع جديدة لاصلاح السفن وتموينها ومدها بالهدايا التذكارية والصناعاتالمصرية . وزيادة علىماتقدم فسوف يفتح تأميم الشركة مجال العمل للآلاف من العمال والفنيين .

ومن مشروعاتالتنمية الاقتصادية مشروع السد العالى الذى رفضت الدول الأوروبية تمويله . ولقد جاء فى كلمة الرئيس جمال عبد الناصر : « هذه القناة ملك لمصر فهى شركة مساهمة مصرية حفرت بواسطة المصريين .. سنبنى السد العالى .. وسنحصل على حقوقنا .. سنبنيه كما نريد .. وسنصمم على هذا .. لقد كانت قناة السويس دولة داخل دولة، تعتمد على مؤامرات الاستعمار .. وكانت منبعا للاستغلال .. وليس عيبا أن أكون فقيرا .. ولكن العيب هو امتصاص الدماء » وسيترتب على بناء السد العالى اصلاح مليون فدان من الصحراء وجعلها قابلة للزراعة لتخفيف حدة زيادة السكان فى المنطقة الزراعية . كما ستتمكن من زراعة المحصولات الزراعية التى نستوردها من الخارج كالقمح . كذلك سنخفف من حدة البطالة الموجودة فى الريف المصرى .. وسيكون السد العالى عاملا فى زيادة الطاقة الكهربية التى تستغل فى استخراج المعادن المختلفةوبخاصة الحديد والذهب والمنجنيز والأورانيوم . كما أن الطاقةالانتاجية لمصنعالحديد والصلب سترتفعبدرجة محسوسة نتيجة لاتمام كهربة خزان أسوان ، وتوجد فى شمال الدلتا مساحات شاسعة من الأراضى البور ستستصلح نتيجة للتحكم فى مياه الفيضان بواسطة السد العالى .

ولقد تم توقيع اتفاقبين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان يوم الأحد ٨ نوفمبر ١٩٥٩ ، تناول تنظيم مياه النيل والتجارة والدفع والجمارك . ونص فى اتفاقية مياه النيل على موافقة الجانبين على انشاء السد العالى وخزان الروصيرص ، ووزعت مياه السد بين البلدينبنسبة ١٤ر٥ للسودان و ٧ر٥ للجمهورية العربية المتحدة من متوسط ايراد النهر عند أسوان وقدره ٨٤ مليارا . من ذلك نستطيع أن نتبين مدى أثر قناة السويس على اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة .

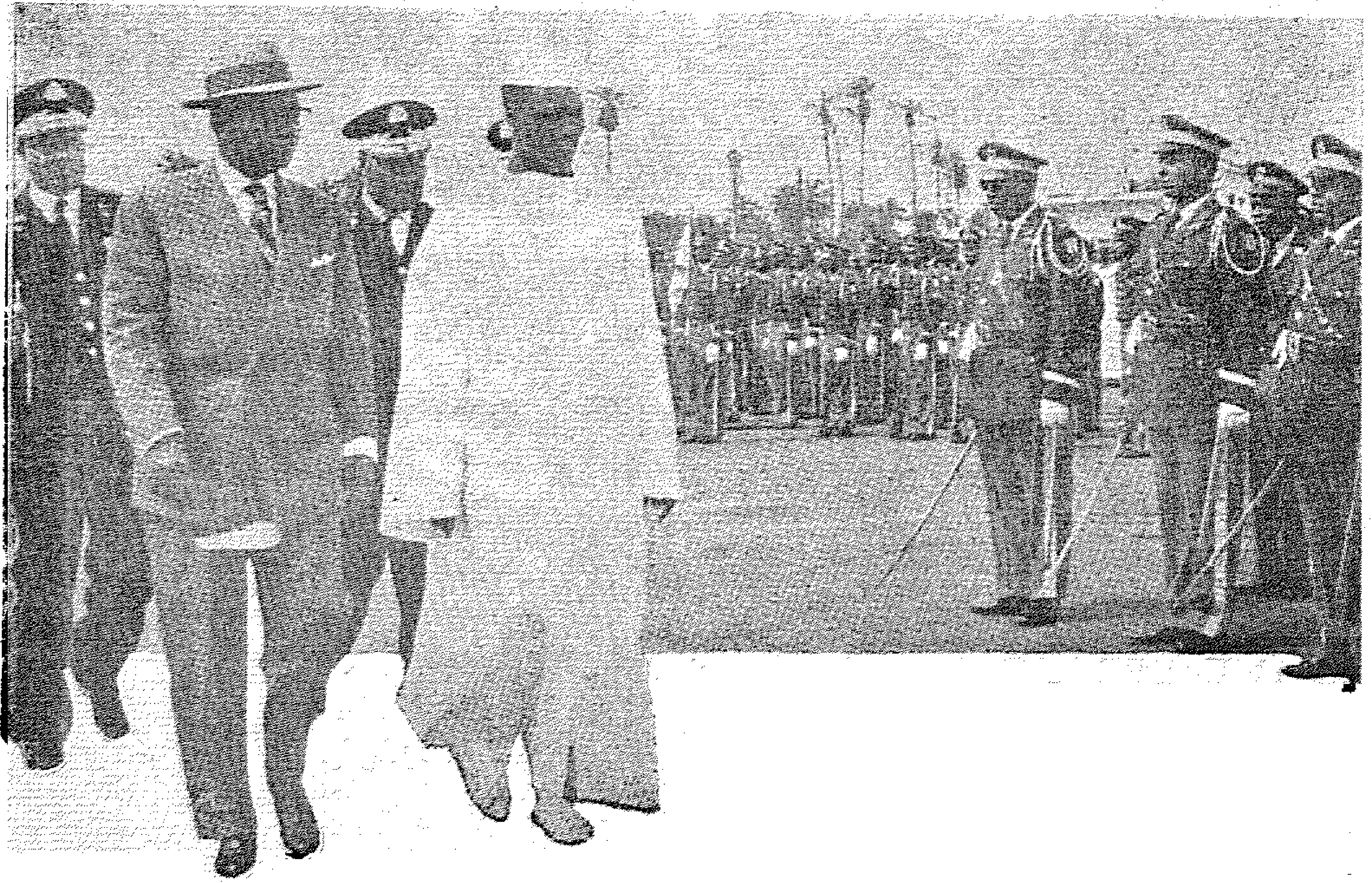
وأخيرا نعرض الى أثر قناة السويس علىالاقتصاد الافريقى . فان الجمهوريةالعربية المتحدة التىتزعمت الحركات التحررية فى العالم ، والتى تتجه نحو افريقية بحكم وضعها الجغرافى ، والتىيرنو الافريقيون اليها لخلاصهم مما هم فيه ، سيقع عليها عبء المشاركة فى تنفيذ المشروعات الاقتصادية الافريقية ، وطبيعى انه سيكون لقناة السويس دور فعال حيال الاقتصاد الافريقى فأثر قناة السويس على الاقتصاد العربى وتقويته وزيادة الدخل القومى ، سيمكن الحكومة العربية من أن تمد البلاد الافريقية المتخلفة اقتصاديا بالمعونة ، وهى انما تفعل ذلك بحكم العلاقات الوطيدة بينها وبين الشعوب

الافريقية، وتشابه الأحداث التي مرت بالافريقيين جميعا .

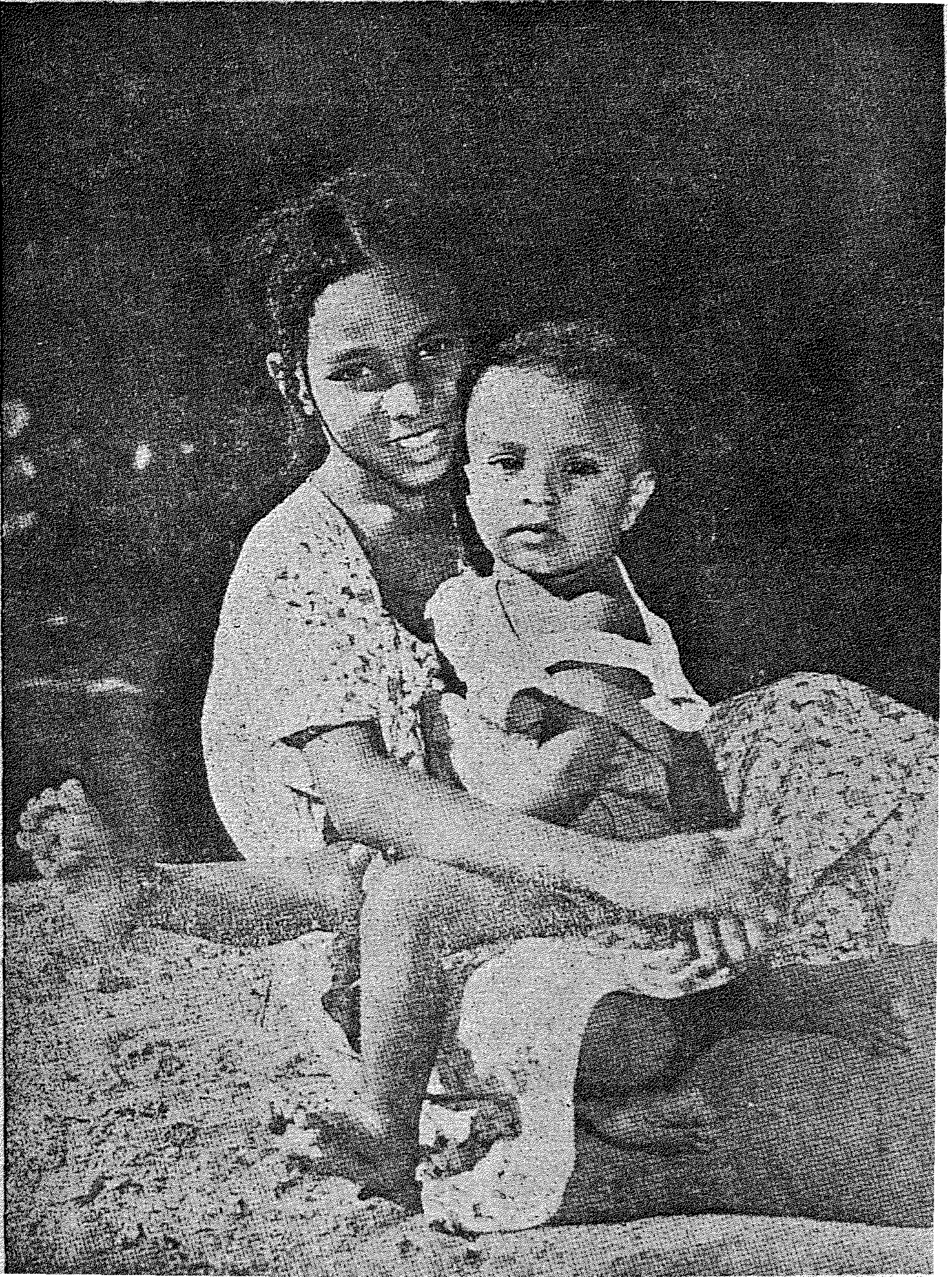
ولما كانت قناة السويس هي المدخل نحو الساحل الشرقي لافريقية ، فانها ستقوم بدور في تنشيط العمليات التجارية حيال هذا الساحل فتستطيع الدول الافريقيـــة الناشئة ، التي ستستقل في الأعوام القادمة أن تستفيد من عبور بواخرها وتجارتها في قناة السويس ، وخاصـــة اذا ما ارتبط الاقتصاد الافريقي، وأصبح اقتصادا متكاملا توجهه نظرية الاستكفاء الذاتي، وفي هذه الحال سيكون لهذه الدول مركز ممتاز في العبور بقناة السويس . ولقد بدأت الدول المستقلة العمل على ايجاد تقارب بين اقتصادياتها بعقد الاتفاقيات الاقتصـادية ، واقامـة المؤتمرات الاقتصادية لدراسة الأسس المختلفة للتعاون الاقتصادى ، وها هو عـدد الدول الافريقية المستقلة آخذ في الازدياد وحبذا لو اتجه الاقتصاديون الافريقيون الى دراسة نظرية الاستكفاء الذاتي ، وسعوا الى تطبيقها في القارة . فان الأرض الغنية بتلك الثروات لتجعل هذه النظرية ذات أثر فعال ، وتبنى الاقتصاد الافريقي بناء متينا لا يتأثر بالأزمات الاقتصادية في أوروبا أو امريكا، بل ان هذا البناء سيساعد على تمكين المناطق الافريقية التي لم تستقل بعد على أن تنال حريتها وتحصــل على استقلالها . ولقد أدت هذه النظرية دورها الفعال في الاتحاد السوفييتي حينما رفض مولوتوف المعونة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانيـة ، وأعلن أن بلاده ستبنى اقتصادياتها تطبيقـا لنظرية الاستكفاء الذاتي، وبذلك تقدم الاقتصاد السوفييتي وأصبح متينا لدرجة أنه يقوم الآن بدور المعـاونة في بناء الاقتصاديات المختلفة في البلاد الأخرى ، أما فرنسا وانجلترا اللتان حصلتا على معونة امريكية ولم تفكرا في بناء اقتصادهما بناء تكامليا . فلقد تعرض اقتصادها لهزات عنيفة ،ولولا اعتمادهما على اقتصاد مستعمراتهما من ناحية وعلى المعونات الأمريكية من ناحية أخرى لانتهت فرنسا وانجلترا من العالم الرأسمالي. وان تطبيق هذه النظرية في افريقيـة والتقـاء الدول الافريقية عندها في بناء اقتصادياتها سيمكن هذه الدول من أن تسيطر على الاقتصاد العالمي ويرتفـع مسـتوى الدخل القومى ، وفي هذه الحالة سنجد أن قناة السويس تقوم بدور ايجابي في تنشيط هذا التقدم الاقتصادى .

كذلك فان تأميم قناة السويس سيجنب افريقيـة المؤامـرات التي تقـوم بهـا الدول الاستعمارية ضد الشعوب الافريقية . ولقد كانت قناة السويس في الماضي مركزا للجاسوسية في افريقية ومنبعا للمؤامرات ضـد الشعوب الافريقية . وليس أدل على ذلك مـن تآمـر انجلترا سرا مـع موسـوليني لاسـتعمار الحبشـة مستعينة بقناة السويس ، ففي الوقت الذى ألبت فيه دول العالم ضد ايطاليا باعتبارها معتدية على الحبشة كانت قد عقدت مع موسوليني اتفاقية سرية تكفل بقاء القنـاة مفتوحـة لمـرور الأساطيل الايطاليـة . واسـتعمرت الحبشة يومئذ بيد انجلترا . ووقفت هذه الأخيرة تؤبن ضحيتها ، وتريق عليها دموع التماسيح . وبالتأميم وضع الرئيس جمال عبـد الناصر حـدا للمؤامرات الاسـتعمارية التي كانت تحاك ضد الشعوب الافريقية ، وأعاد جزءا حبيبا من افريقية الى افريقية، وان المستقبل للشعوب التي تكدح لترفع عن أبصارها غشاوة الظالمين ، وان المستقبل للجمـاهير التي تشقى لتنعم بالثمرة المعصورة مـن عـرق الجبين ، وان المستقبل لنا نحن الذين وعينا الدروس القاسية .

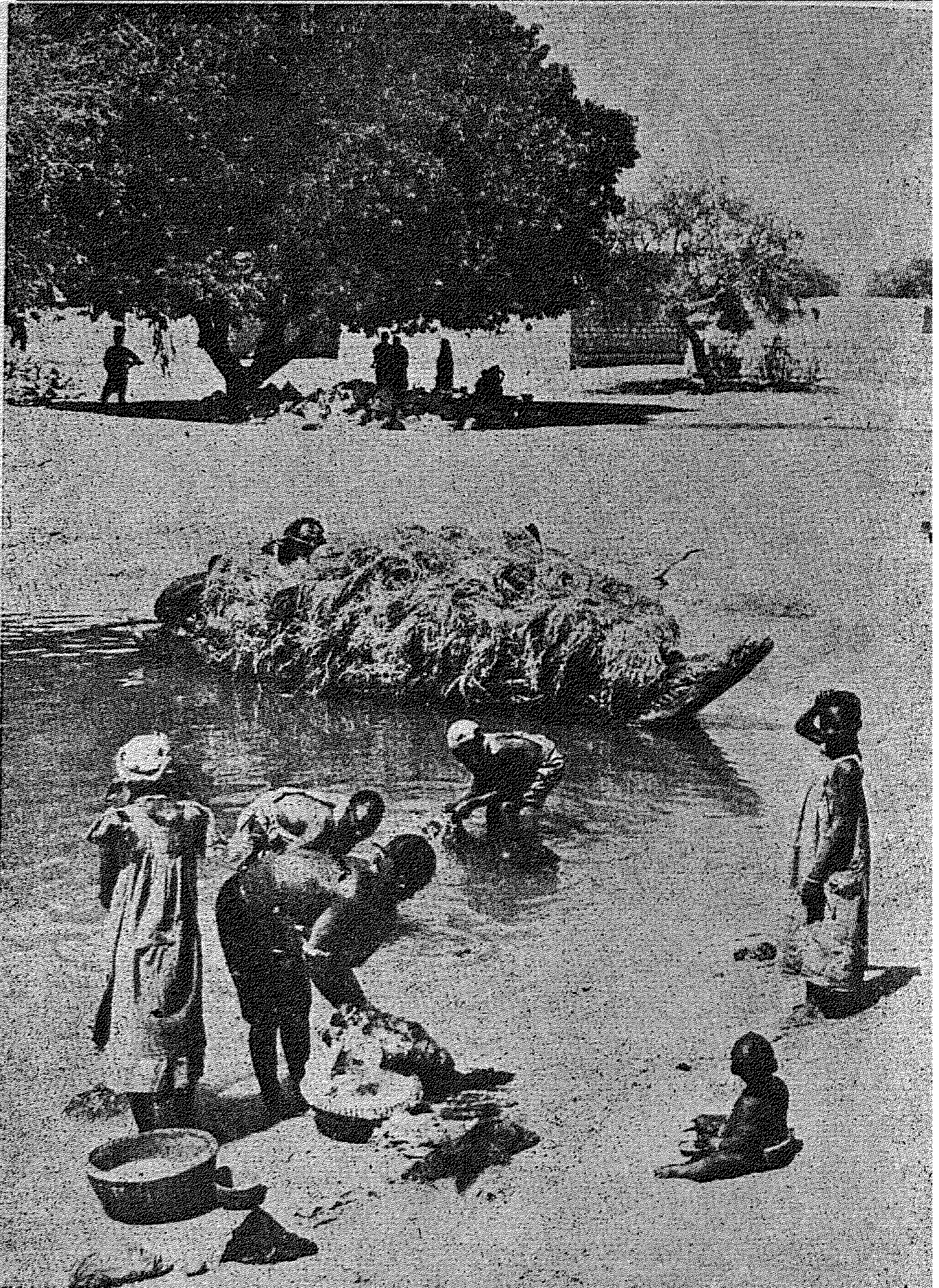
جولة مصورة حول



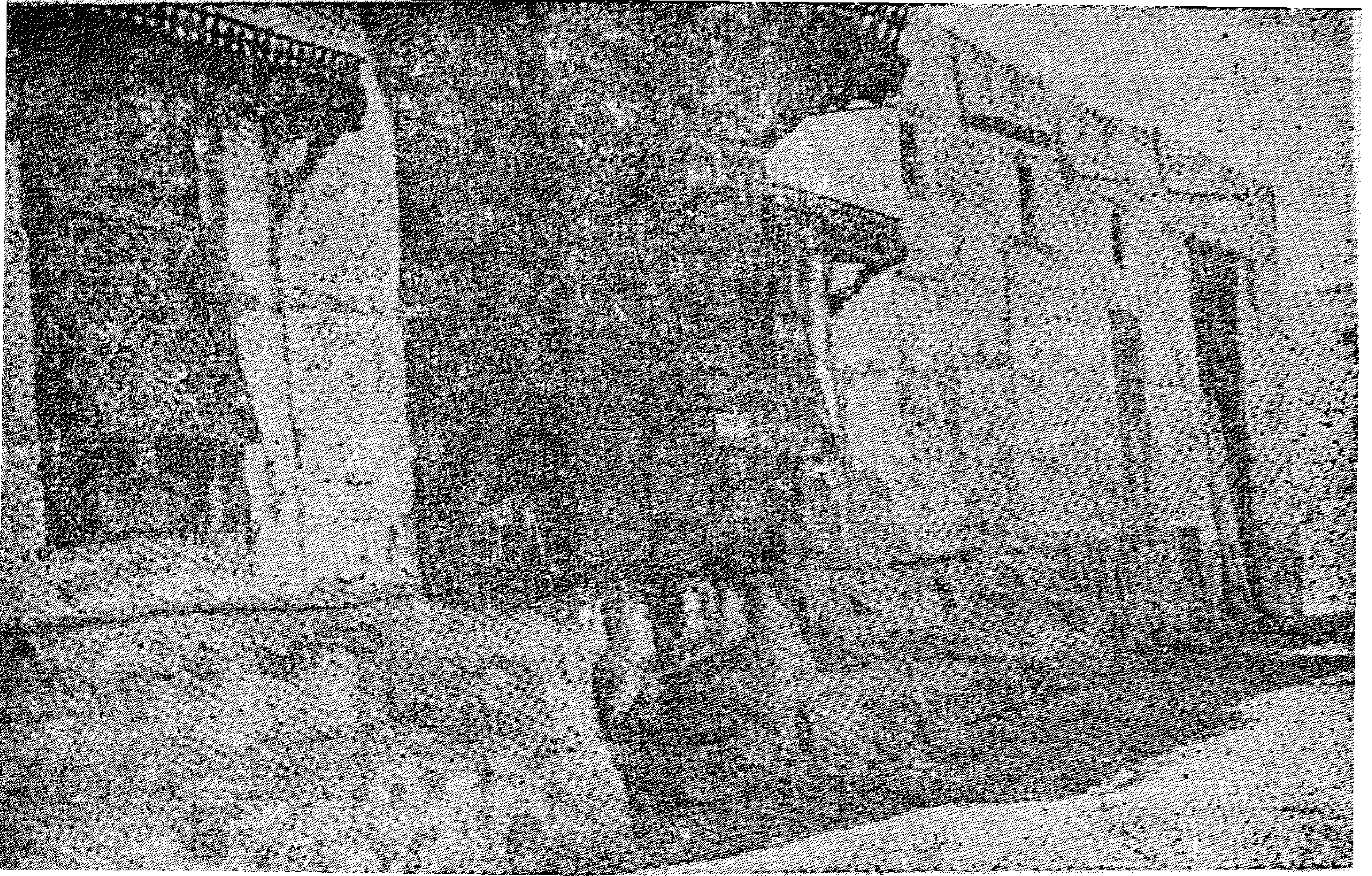
« زعيما غينيا وليبيريا »



« الطفولة الافريقية »



« من مظاهر الحياة الافريقية »



« من نظام المبانى العربية فى سواكن »

« أحد المبانى الحديثة فى كوناكرى »

الهوتنتوت

للأستاذ محمود سليمة

من الأجناس الرئيسية التى تقطن جنوب افريقية ، والتى وفد اليها «الهوتنتوت» وهم يشبهون البوشمن فى صفاتهم الخارجية ، الا أنهم يختلفون عنهم فى طول القامة ، ويمكن تمييزهم من رؤوسهم الطويلة الضيقة العالية نسبيا ..

والهوتنتوت من نسل البوشمن بعد اختلاطهم بالحاميين .. وقد نشأ هذا الجنس فى الشمال بجوار البحيرات العظيمة .. ولم يصل الى جنوب افريقية الا بعد وصول البوشمن مخترقا مياه الأنهار حتى وصل الى الساحل الغربى ومنه اتجه الى الجنوب واستوطنه ، حيث تقابل أوائلهم مع أول من نزل الى رأس الرجاء الصالح من الأوروبيين وقد كان التوزيع القديم للهوتنتوت يشمل كل الأقسام الغربية من أفريقية الجنوبية بصفة خاصة من نهر كونين Kunene فى الشمال الى رأس بننزولا Peninsula فى الجنوب ، ويمتد فى الداخل الى نهر « كى » Kei .

أما التوزيع الحالى ، فبالرغم من أننا نجد بقاياهم مبعثرة فى أجزاء كثيرة من هذه المنطقة .. الا أن نظامهم القبلى يشاهد فقط فى جنوب غرب أفريقية الى الشمال من نهر أورانج .

وبالرغم من وجود الهوتنتوت فى عدة قبائل الا أن لكل قبيلة لغة خاصة من اللغات الأربع ، ومن هنا جاء تقسيم الهوتنتوت الى أربع مجموعات ، وهى :

(أ) النامان (ب) الكورانا (ج) الجوناكو (د) الهوتنتوت القدماء .

والهوتنتوت القدماء قاطنو منطقة الكاب قد اندمجوا واختلطوا جنسيا بالأوروبيين الوافدين وبالعبيد الهنود الشرقيين ، وبهذا يكونون الآن الأساس الجنسى للملونين قاطنى منطقة الرأس والجريكا والريهلبوث .

النظام الاجتماعى

يعتبر الهوتنتوت عابرين يمثلون بقايا عاداتهم وعقائدهم ، والجماعة الوحيدة التى تحتفظ بنظامها الاجتماعى ، هى النامان .. وتضم عدة قبائل لكل منها اسمها الخاص ، الا أنها تحمل الاسم العام وهو « الناما » ولكل قبيلة عدة منابع مائية ، وتتجول من بحيرة الى أخرى بحثا عن الكلأ والمرعى الذى تربى عليه القطعان ، وتتألف كل قبيلة من عدة عشائر أبوية تتوارث حقوقها فى هذه العشيرة .. وبحظى

رئيس العشيرة المتقدم فى السن باحترام فائق ، لكنه لا يستطيع أن يعمل شيئا دون معاونة واستشارة رؤساء العشائر الأخرى ، وتسلم زمام الأمور فى القبيلة عادة الى الرجال كبار السن ، والقبيلة ليست وحدة مركزية ثابتة . وبالرغم من أن القبيلة تقيم مع بعضها من وقت لآخر ؛ والعشائر تقيم فى مناطق محدودة حول اكواخ العشيرة الرئيسية الا أنه كقاعدة عامة تميل الأسرات المكونة للعشيرة الى المعيشة مع بعضها فى أماكن متعددة فى مقاطعة القبيلة ،ولكل أسرة كوخها الخاص حيث يقيم الأطفال الى أن يكبروا ويتزوجوا ، وقد توجد أحيانا اكواخ خاصة للبنات « البالغات » .

القرابة والنسب

يقسم نظام القرابة او النسب تنظيما مبدئيا .. فيطلق على الأجداد اسم ويطلق على الأجيال اسم آخر ، كما يميز الجنس باضافات لغوية اذ يطلق على أبناء العمومة الاصلاء نفس التعبيرات كما لو كانوا اخوة أو اخوات. كما يميز أبناء العمومة غير الأصلاء من غيرهم ويسمح بالتزوج منهم .

هذا ، وتوجد اسماء خاصة بأخوة الأمهات واخوات الآباء ، ويقابلهما عندنا « الخالات والعمات » .

البوشمن والهوتنتوت

ان الفرق الحضارى بين البوشمن والهوتنتوت هو أن البوشمن جماعة تمارس الصيد والالتقاط .. بينما الهوتنتوت رعاة لقطعان الماشية ذات القرون الطويلة ، وكذلك الأغنام ..

وهم يختلفون عن البوشمن فى انهم يجيدون صناعة اذابة الحديد ، واعادة صبه أدوات وشفرات وحرابا ورءوس سهام وأوانى وقدورا ، ثم انهم كانوا يصنعون الحصر والسلال من الأعشاب ، والحقائب ، وأوعية اللبن والماء من الجلود .. وبذا يمكن القول بأن حضارة الهوتنتوت كانت أعلى وأرقى من حضارة البوشمن .

الغذاء

ان الطعام الرئيسى لهذه القبائل هو اللبن الذى يشربونه فى أوعية خشبية بعد تركه يتكثف ، ثم يضيفون اليه بعض النباتات كالجزر والتوت البرى والبطيخ ، كما يقومون بصيد الحيوانات سواء بالسهام أو بالشراك ، وفى بعض الأحيان يذبحون ماشيتهم، كما انهم يأكلونها اذا ماتت ميتة طبيعية .

الملبس

ان البقية الباقية من قبائل البوشمن ترتدى هذه الآونة الملابس الافرنجية، خضوعا للتطور والتقدم العمرانى .. وكانوا فيما مضى يرتدون جلود الحيوانات بعد تنظيفها .. ويلبس الرجال جلد الأسد ، وعباءة صغيرة.. اما النساء فكن يرتدين « المريلة » بعد زخرفتها ، وعباءة كبيرة تغطى سائر الجسد الى القدم ، وكثيرا ما يلبسن القبعات الجلدية والصنادل .

وكلا الجنسين كان يضع فوق راسه قطعا من النحاس ، ويطلى جسمه بالدهن .. والنساء يتزين بالصدف وقطع من الجلود تحيط بأرجلهن ، ويلبس الرجال أساور

من النحاس أو العاج . ويروى بعض الكتاب أنهم كانوا يستأصلون «العقلة» الأولى من الأصبع الصغير !! .

بقرة الى الحماة .. !!

يتفق كل من والد العروس ووالد العريس على الزواج .. ومن المتبع أن يظهر والد الفتاة وأسرتها شيئا من التردد والتمنع ، وبعد محاولات من طرف أهل العريس يقتنع أهل العروس وتتم الموافقة ! ! .

وعندما يتم الزواج يقوم كل من العريس والعروس بتقديم بقره الى « حماة » كل منهما رمزا للتقدير والاحترام .. ويتحتم على الزوج معاملة حماته بأعظم احترام ،والا ينظر اليها الا اذا تحدث معها ..

مركز الزوجة !

والزوجة هى سيدة الكوخ ، وتسيطر على جميع أدواته المنزلية ، ولها الكثير من الحرية ، ولا يسيطر عليها الزوج سيطرة كاملة . والأرملة يتزوجها شقيق زوجها المتوفى ،والمرأة الحامل موضع مجموعة للقوانين والعادات .. فهى لا تشاهد ذبح الحيوانات اعتقادا منهم أن لذلك أثرا سيئا على الجنين ، وانه يطيل مدة فطامه .. ويعطى كل طفل بقرة ويحتجز حليبها للطفل ..

الموت جوعا !!

وقديما كانوا يتركون المسنين لكى يموتوا جوعا ، اما الهوتنتوت فكان احترامهم لكبير السن هو الأساس فى المعاملات والعلاقات العائلية بين أفراد الأسرة .

التحدث للأخت ممنوع ..

ومن أغرب العادات التى كان يتبعها الهوتنتوت ان الرجل او الشاب لا يستطيع مخاطبة أخته مباشرة (شخصيا) بل عليه أن يكلم شخصا آخر ينوب عنه فى مخاطبتها ، واذا تصادف عدم وجود أى فرد ليكون وسيطا يتحدث الرجل الى نفسه بصوت مسموع قائلا « ليت أحدا من أقربائى يخبر أختى أننى فى حاجة الى كوب لبن « مثلا » .. !! »

ومن حق الأخت الكبرى توقيع العقوبة على أخيها الكبير فى حالة عدم مراعاته لتقاليد الآداب ونظم المجاملات المتبعة .

الاحتفالات والتقاليد !

فى حفلات الزواج تقام وليمة مقدسة ، يتم فيها تسليم الزوج أو الزوجة الى الأسرة الجديدة ، ولابد للزوج من أن يسم جسده بنفس نظام الأسرة الجديدة ، وبذلك يصبح « رجلا » .. ولابد من تنظيف جسمه، ويقوم بهذه المهمة رجل الدين .

ويحرص الأفراد حرصا شديدا فى استعمال الماء ، نظرا لبيئتهم الجافة وندرة الماء ، وفى الحفلات العامة يراعى استعماله بحرص . وقد عرف ان رجل الطب كان يغتسل بالماء مرتين كل عام فقط . اعترافا منه بفضل الماء وندرته .

وعندما تتساقط الأمطار يحرص الأهالى على الحصول على بعض هذا الماء المتساقط على هيئة مطر .. واذا لم يفعل ذلك أحد السكان جهلا منه ثم تنبه اعتقد انه ميت لا محالة .. وكانت بعض القبائل تذبح الخراف ابتهاجا بسقوط الأمطار مصدر الخصب والرخاء ..

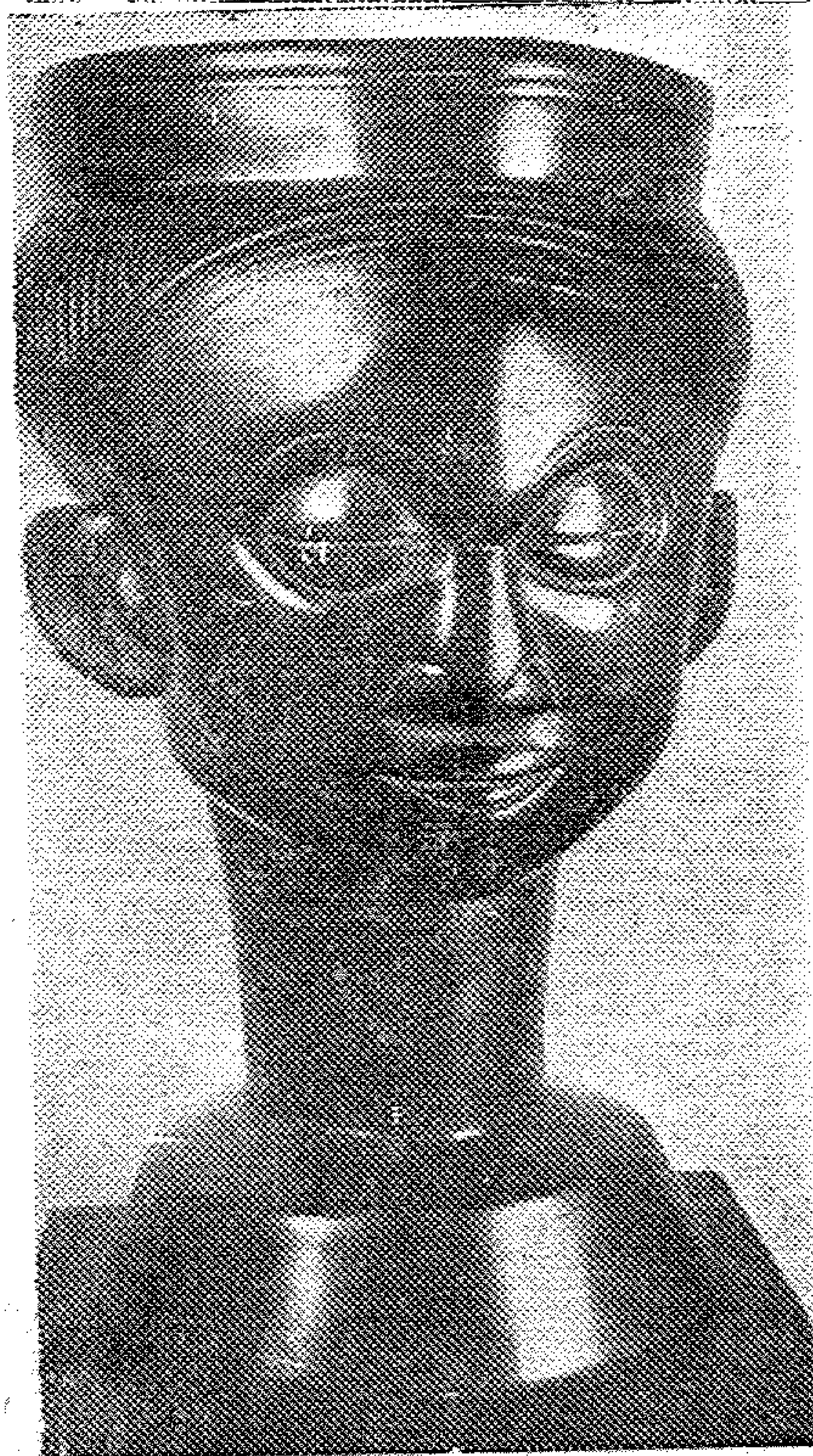
وعنـدما تبلغ الفتـاة سن الزواج تستقر فى حجرة مظلمة تحت رعاية احدى النسـاء فترة مـن الوقت ، ولا يسمح بزيارتها ، ثم تدلك المرأة جسد الفتاة بالزبد المذاب لازالةماعلق بجسمها من الأوساخ منذ الطفولة، ثم تقام وليمة كبرىتظهر بعدها الفتاة فى ملابس جديدة . وعندما تبلغ الفتاة فى بعض القبائل سن الزواج تجـرى عارية أثناء هطول الأمطار ، فتغسـل جسمها ليصيبها الخصب ، وتنجب أطفالا كثيرين .. !!

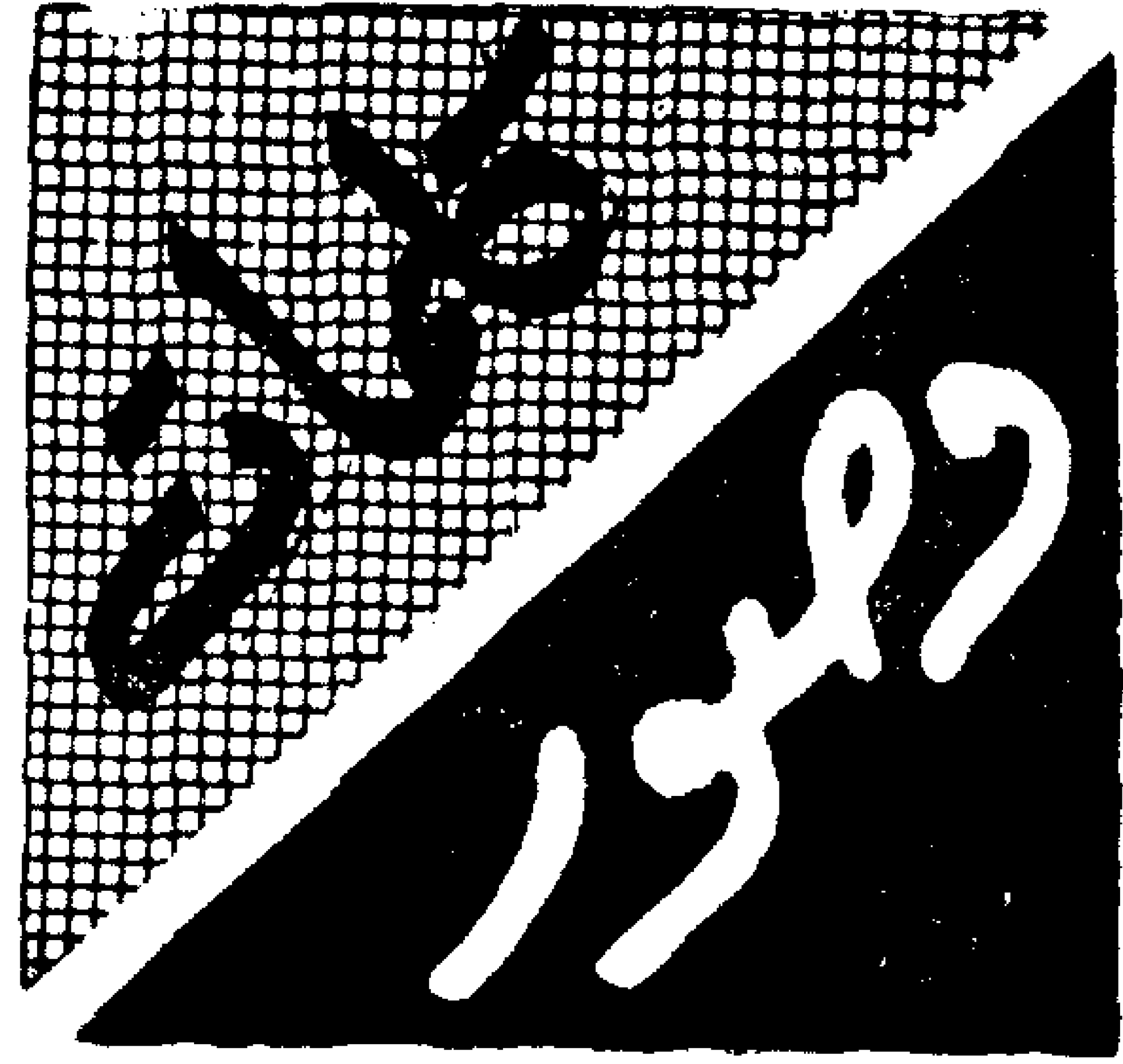
أمـا فى حالة الوفاة فلهم تقاليـد عجيبـة .. فهم يمتنعون عن الطهى ، ولايستعملون الماء ،ولايذهبون بالقرب من الحيوانات ، ولا تمتد أيديهم الى أواني الأطعمة ، فترة غير طويلة .. ثم تقام حفلة ، ينشدون فيها بعضا من أغانيهم واناشيدهم ،وتقاموليمةكبرى يشترك فيها الأهل والأقارب .. وعقب انتهاء الحفلة يسمح لهم باسـتعمال الماء ، وممارسة كـل الأعمـال التى توقفوا عن مزاولتها فترة من الوقت .

الآلهة الشجعان

واذا بحثنا فىالديانات التىيعتنقها الهوتنتوت نجـد من أبرزها ايمانهم « بالآلهة الشجعان » ووصفهم بالقوة الصانعةللمطر مصدر الخصبوالرخاء .. وقد انصرف كثـير مـن قبـائل الهوتنتوت عن قدسية القمر ، حتى ليبدو أن هذه العبادة قد اختفت الآن تماما .

ولا عجب فتلك سنة التطور ..





الحاج عمر تال :

تتجمع النقاط الضوئية في غرب القارة الآن . بفضل حركات التحرر القوية التى أعلنها القادة المعاصرون ، الذين يقفون الآن بعزة على مداخلها ، وفى يد كل منهم رمح طويل . هو رمز القارة الحاد ، الذى أصبح لن يستطيع مستعمر بعد اليوم أن يدخل القارة الا من خلال هذا الرمح الشامخ العنيد ! .

ولكن الذى يمد بصره الآن الى المنطقة الغربية من القارة — حيث الحرية تغمر الوجوه الطيبة ،والطبيعة القاسية ، والمناجم المنزوفة — يحس بشعور داخلى يدفعه الى معرفة الماضى الذى مرت به هذه البلاد ، ويلتمس أرضا قديمة من المعرفة . يستطيع أن يقف عليها « لحظة التأمل » التى تؤرقه ، وتطالبه بأن يصل الماضى بالحاضر ، ليحس بالقارة احساسا علميا ، مهما كان هذا الاحساس ! .

وقد يسائل الانسان نفسه ماذا وراء هذه البلاد الشاسعة التى تحتلها فرنسا فى السودان الغربى ؟ وهل تسلمتها هكذا غنيمة باردة ؟ أم كان هناك اصرار ومقاومة من أجل الأرض الطيبة . ثم أخيرا ضعف أمام الأسلحة الحديثة التى كانت لها الكلمة الاخيرة دائما فى المعركة ! ؟ .

والذى نستطيع أن نؤكده أن أرض هذه المنطقة التى نتكلم عنها الآن قد صبغت بالدماء ، وغرست بالشهداء ، وشهدت أهلها وهم يعرضون صدورهم دفاعا عنها ، حتى ليمكن القول بأنهم جعلوا أنفسهم طبقة سميكة تخفى الأرض عن الأحذية الفرنسية القاسية ، ومن هنا يمكن القول بأنهم لم يحتلوا الوطن . وانما احتلوا أنهار دماء . ورفات أجساد ، وصمود أرواح . وانهم متى زالوا عنها ستورق الأرض ، وتتدفق الخيرات ، تحت حراسة هذه الأرواح النورانية ! .

فقد عاشت على أرض هذه المنطقة امبراطورية « التوكولبر » آخر الامبراطوريات الكبرى فى السودان الغربى . تلك الامبراطورية التى احتفظت بمقومات الامبراطوريات الكبرى ، وقامت على نظم اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية موائمة لسير الحياة . وخطا العصر فى القرن التاسع عشر . على يد أحد المتصوفة المسمى « بالحاج عمر تال » .

ودور « الحاج عمر » فى هذه الفترة يعتبر من أشد المراحل التى مرت بها هذه المنطقة خطورة ، فقد قام بعملية توحيد السودان الغربى من بلاد « فوتا » الى « تمبكتو » بحيث أصبح كل مواطن فى هذه المنطقة ، يحس بأنه ليس تائها فى أرض شاسعة بلا علم ، ولا وطن ، وانما يحس بأنه

مرتبط بجهاز بشرى ضخم ، يقف على قمته « **الحاج عمر** » .

وقد عاش « الحاج عمر » يحلم بهذا الوطن الكبير الذى يربط بين الناس ، ويؤلف بين قلوبهم ، منذ كان طفلا ، وشابا ينتمى الى البيت الحاكم فى « فوتا » وقد ضم رغبته هذه الى رغبات الناس التى تحب أن تتلاقى ،وتمتزج فى شىء كبير يسمى « الوطن » ، وقد ساعدته على ذلك رغبته الدائبة فى البحث ، والوصول ، كما ساعدته الطبيعة من حوله حيث الصحراء التى لا يعرف مداها ، والغابات التى يتصل بعضها ببعض ، واللانهائية الزرقاء التىتمتد وتمتد فى حب ، وحنو .. وقد كانت قمة هذا كله مرحلة من مراحل التصوف الثقافية التى سارت به الى مكة حاجا والى التيجانية طريقة ، والى « التوكولير » وطنا ! .

وقد فهم « الحاج عمر » التصوف فى هذه الفترة فهما ايجابيا ، فلم يقف به عند السبحات العاجزة ، والتوسل المشدوه ، وانما فهمه على أنه رسالة اسلامية كبيرة ، يجب أن تشق طريقها بين ظلام الوثنية فى هذه البلاد ، كما فهمه حبا للاستطلاع فى نظم البلاد اللامعة فى تاريخ القارة فى هذه الفترة كمصر ، وبلاد « برنيو » ، و « سكوتو » ، ثم فهمه أخيرا جيشا منظما ، يسير ليعلن كلمة الله فى كل البقاع من حوله .

وقد بدأ جهاده من « فوتوجالون» حيث أقام بها مركزا ثقافيا سرعان ما نمى ، وازدهر ، واصبح احدى نقاط ارتكاز الاسلام فى هذه البلاد . على انه لم يقف به عند حد الدين ، وانما جعل منه كذلك نقطة ارتكاز للأعمال التجارية . ثم جعله أخيرا نقطة وثوب له على الامارات الوثنية المحيطة به ! .

وقد بدأ جهاده فى بلاد « كاراتا » التى ما كاد يدخلها منتصرا عام ١٨٥٤ حتى أشاع فيها المعرفة ، والأمن ، والسلام . ثم عمل على التوسع فى حوض السنغال الأوسط واعد العدة لذلك ، ولكنه قوبل بنشاط فرنسى يتحسس بأقدامه هذه البلاد بين عامى ١٨٥٧ ، ١٨٥٩ فلا يرى من الحكمة الاصطدام به ، ومن هنا رأيناه يتحول من مد نفوذه فى هذه المنطقة الى الشرق، وكانت نتيجة هذا كله أن وقعت مملكة « سيجو » فى يده عام ١٨٦١ ، ثم مملكة « حسينا » عام ١٨٦٢ . وأخيرا استولى على « تمبكتو » ، أحدى البلاد التى أضاءت العروبة والاسلام مدة كبيرة من الزمن .

وباستيلائه على « تمبكتو » وضع تحت يديه امبراطورية ضخمة تمتد من بلاد « فوتا » الى « تمبكتو » ، وقد كانت هذه الامبراطورية مصبوغة بالصبغة الاسلامية ، ومنارة اسلامية ذكر فيها اسم الله لأول مرة فى هذه المنطقة ، بالرغم من تصدى الجنرال « فيدروب » لها ، ولكنها كانت تحمل بذور انتهائها بمجرد موت الحاج عمر عام ١٨٦٤ . ذلك لأنه كان قد وضع اولاده ، واولاد اخيه رؤساء على الولايات المتحدة التى تتكون منها امبراطوريته ، وكان بينهم من الضعف ، والتحاسد ماجعلهم يفشلون فى مواجهة الثورة عليهم من الداخل

ممثلة فى الشعب ، ومن الخارج ممثلة فى فرنسا .. ومع أن ابنه أحمد « امادو » قد استطاع أن يخمد الثورة من حوله ، ويجمع الأمور فى يده فترة من الزمن الا أنه انتهى أخيرا تحت ضغط القوتين الداخلية والخارجية ، وبهزيمته على يد الفرنسيين عام ١٨٩٨ تداعت أسس هذه الامبراطورية وتصدعت وأصبحت غنيمة باردة فى يد الفرنسيين !.

وقد مرت سنوات ، وسنوات على هذه الهزيمة ولكن شعب «التوكوليدية» لم ينسها أبدا . فبالرغم من استنزاف الفرنسيين لقواه ، وتحطيم اقتصاده ، وابعاده عن معتقداته نرى الشعب يعود مرة أخرى على يد واحد من أبناء هذه المنطقة ، ويعلن من جديد ميلاد هذه الدولة الاسلامية فى غرب القارة .

فاذا سألت عن اسم الدولة التى كانت بعثا للامبراطورية التوكوليدية، والرجل الذى كان عودة الحاج عمر تال أجابك صوت افريقى من الغرب يقول « **انهـا غينيـا ، وانه سيكوتورى !** » .

* * *

اللجنة الاقتصادية الافريقية :

عقدت اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة للأمم المتحدة دورتها الثانية فى طنجة بالمغرب ، وقد انشئت هذه اللجنة بناء على توصية من الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ومقرها الرسمى فى « اديس أبابا » بأثيوبيا ، وقد أصبح من الحقائق المقررة الآن أن اقتصاد افريقية موجه لخدمة الاقتصاد الأوروبى ، وقد استدعى هذا أن يكون نصيب السكان الافريقيين من مجموع الدخل العالمى يبلغ حوالى ٣٪ فقط .

وهنا يأتى دور اللجنة فى القيام بعمل الدراسات الاحصائية ، والاقتصادية ، واشاعة الوعى الاقتصادى بين الدول الافريقية حتى يمكن الوصول بها الى درجة التكامل الاقتصادى بين دولها بعد تنسيقه ، وتنميته ، واتاحة الفرصة لعمليات القروض التى نوزع فى افريقية توزيعا غير عادل ، ويبلغ مجموعها من قروض البنك الدولى حوالى ١٢٪ من مجموع قروضه .

* * *

البلهارسيا :

يقول الدكتور « براتس » أن مصدر التعاسة فى افريقية يرجع الى مرض البلهارسيا ، لأن عدد المصابين بها يبلغ ١٢٠ مليونا من مجموع السكان الذين يبلغون ٢٠٠ مليون ، ولا شك ان هذا المرض يؤثر على طاقات الأفراد، ويضعف مستوى الانتاج فى القارة . وهو يحبذ قيام دراسة على مستوى عالى للتخلص من هذا الميكروب الذى يضرب بعنف فى قوى القارة الافريقية .

* * *

الفيلم الآسيوى الافريقى

تشرف وزارة الثقافة والارشاد القومى بالاقليم الجنوبى على مؤتمر الفيلم الآسيوى الافريقى ، الذى سينعقد فى الفترة من ٢٩ فبراير الى ١١ مارس سنة ١٩٦٠ ، ولا شك أن

هذه مناسبة طيبة للاسهام بالأجهزة الثقافية فى توثيق العلاقات الفنية والودية بين القارتين ، بعد أن كانت كل منهما لا تعرف شيئا عن أدب الأخرى وفنونها الا من خلال ثقب ضيق أوروبى ملون بالسياسة وتعقيداتها .

ومما لا شك فيه أنه يقع على كاهل وزارة الثقافة والارشاد القومى بالاقليم الجنوبى عبء معرفة القارتين أدبيا وفنيا بما تقيمه من معارض . يجب ألا تقف عند حد السينما وحدها وانما تتعداها الى الفنون التعبيرية والتشكيلية ، والثقافية كافة ، ونحن نعتقد أنها ستقدم جديدا فى كل ماتقدمه عن القارتين : الآسيوية والافريقية . فدرجة احساسنا بالمستويات الفنية فى هاتين القارتين قوية ، وحادة . بعد أن مللنا السطحية والنفعية فى أكثر ما تقدم لنا القارة الأوروبية ، وامريكا ! .

* * *

اللون :

يمكن فهم نظرة العرب الى اللون من هذا الحديث الذى دار بين المأمون وعمه ابراهيم بن المهدى — وكان أسود اللون — حينما أدعى الخلافة وقبض عليه وقدم للمحاكمة . فقد بادره المأمون بقوله : أنت الخليفة الاسود . فقال ابراهيم : يا أمير المؤمنين أنا الذى مننت عليه بالعفو . وقد قال سحيم عبد بنى الحسحاس :

أشعار عبد بنى الحسحاس قمن له
عند الفخار مقام العين والورق
ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما
أو أسود الخلق انى أبيض الخلق

فرد عليه المأمون بقوله : يا عم أخرجك الهزل من الجد ، وأنشد يقول :

ليس يزرى السواد بالرجل الشهـ
ـم ، ولا بالفتى الأديب الأريب
أن يكن للسواد فيك نصيب
فبياض الأخلاق منك نصيبى

وقد استدل رواة التاريخ على ان النبى موسى عليه السلام كان أسود اللون بالآيات القرآنية الآتية ((**واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آيةأخرى ..)) سورة ٢٠ : آية ٢٣ . والى قوله تعالى ((ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم)) .. سورة ٧ : آية ١٠٥ — ١٠٦ .**

* * *

تقاليد ملوك الفور :

جاء فى كتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » لمؤلفه الشيخ محمد بن السيد عمر التونسى ابن سليمان ما يأتى : « عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ، ولملكهم السلطنة التامة عليهم . فاذا قتل منهم الوفا لم يسأل لماذا ، وان عزل ذا منصب لم يسأل لماذا . فهو تام التصرف فى كل أمر يريده ، واذا أمر بأمر لا يراجع فيه ، ولو كان منكرا الا من قبيل الشفاعة ، ولا ترد له كلمة . لكنه اذا فعل ما لا يليق من الظلم والعسف يحصل له بغض فى قلوبهم ، ولا يقدرون له على شىء . فأول عوائدهم : ان الملك لايكون الا من بيت الملك أى من سلالتهم ، ولا يمكن

تولية أجنبى منهم ، ولو كان شريفا ، وتحقق نسبه عندهم . وثانيها : أن الملك اذا تولى يجلس فى بيته سبعة أيام لا يأمر ولا ينهى ، ولا تقدم بين يديه دعوة ، وكلهم على ذلك الا السلطان « عبد الرحمن » فانه خرق عاداتهم ، وثالثها : أن لهم عجائز تسمى « الحبوبات » وهن طائفة عظيمة ، ولهن رئيسة تسمى ملكة الحبوبات ، فعند خروج السلطان يوم الثامن يجتمعن ، ويأتين اليه ، وكل واحدة منهن بيديها أربع قطع من الحديد تسمى القطعة منها « كرباجا » وفى كل يد « كرباجان » يضربن بعضها ببعض فيحصل منها صوت ، وبيد احداهن قبضة من سعف ابيض ، ومعها ماء . فتبل العجوز السعف من ذلك الماء ، وترش على السلطان مع قول كلام لا يعقاله الا هن ، ويأخذن السلطان فى وسطهن ،ويطفن به البيت ،



« صراع على النيل من أجل الحياة »

ويتوجهن الى دار النحاس ، وهو المحل الذى فيه « النقاقير » وهى طبول السلطان . فيدخلن البيت ويأتين الى النقارة المسماة بالمنصورة. فيقفن حلقة ويجعلنها فى الوسط ، والسلطان وحده معهن ، ويضربن الكرابيج ببعضها ، ويقلن من كلامهن . ثم يرجعن بالسلطان الى كرسى مملكته، وبعد جلوسه ذاك تدخل اليه الدعوى، ويتناول الأحكام ، ومن عاداتهم أن السلطان لايسلم على غيره الا بترجمان، صغيرا كان . أو كبيرا . عظيما . أو حقيرا ، وكنية ذلك أنه اذا دخل عليه أناس يجثون على ركبهم . ثم يتقدم الترجمان ، ويسميهم الواحد بعد الآخر الى آخرهم ، ويقدمهم بقوله : « أنولورا فلان دوكه كبنجى دارى » ومعناه « ان هنا بر السلام يعطى طاعة » .

كلمة :

ومن الكلمات الطيبة التى كتبت عن افريقية اخيرا ، تلك الكلمة العميقة التى كتبها الأستاذ احمد بهاء الدين وقد جاء فيها :

« والتفرقة العنصرية بالمعنى الشائع هى : ألا يتمتع السود بدخول نفس دور السينما ، ونفس المدارس ، وماالى ذلك من المرافق التى يستخدمها البيض ! ولكن التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقيا معناها : ان السود لا يسكنون نفس المدينة ! فاذا كانت هناك مدينة مثل «جوهانسبرج» مثلا .. فالسود فيها يتم اخراجهم الى مدينة أخرى مجاورة ! يأتون الى « جوهانسبرج » ليشتغلوا كخدم . أو بوابين أو عمال فى المصانع ، ولكن عليهم أن يتركوا المدينة بمجرد انتهاء ساعات العمل ليعودوا الى مدينتهم المجاورة ! ومن يضبط فى المدينة البيضاء بعد ساعات معينة يقبض عليه ، ويحكم عليه بغرامة ضخمة.. وهو فى العادة فقير ! .

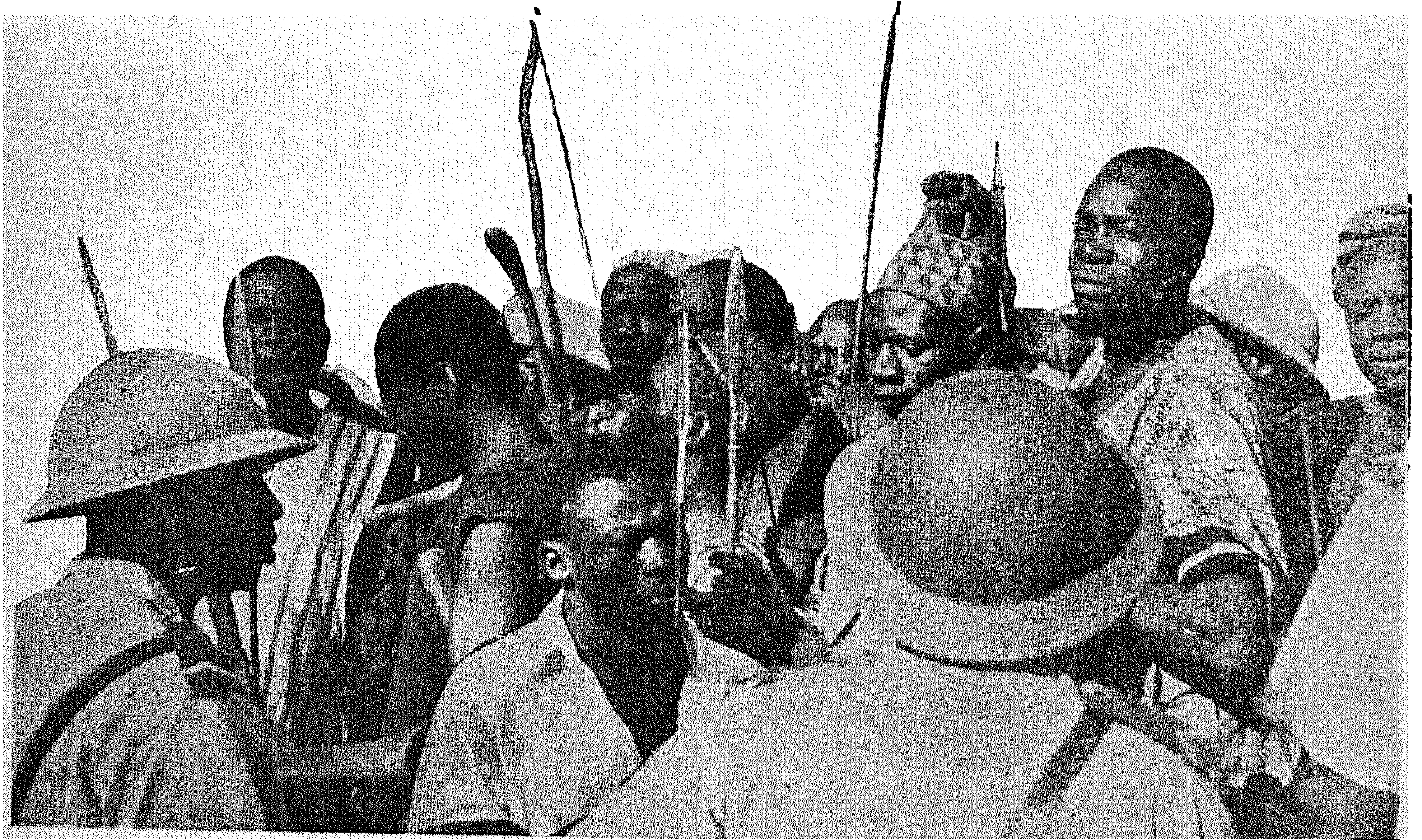
والمعارك التى نقرأ أخبارها من حين لآخر هى معارك بين قوات البوليس، وبين السكان السود الذين يتم اجلاؤهم الى مدن جديدة مجاورة .. مدن من الأكواخ والبيوت التى تشبه المعسكرات !

اما الخدمات التى تقدمها لهم الدولة . فيكفى أن نعرف أن دكتور « نيروورو » رئيس حكومة جنوب افريقية ، قال هذا الأسبوع « ان الافريقيين كلما ازداد تعليمهم ،ازدادت مطالبهم !! » .. فهذه العقلية لا يمكن أن تعطى الافريقيين اى قسط من التعليم او العلاج أو الرعاية الاجتماعية .. !

والسود هناك يقولون : ان مايعذبنا ليس هو الفقر ولا الجهل ولا المرض! ان كل هذا يهون اذا قيس بهواننا الذى نشعر به ونحن نعيش هنا كحيوانات ، أو مخلوقات لا شأن لها بشئون بلدها ، ولا راى لها ، ولا حق انتخابى ، ولا اى شىء على الاطلاق ! .

ضع اى انسان فى حظيرة ، ثم قدم له كل ما يشاء من طعام وكساء .. هل يعيش حياة راضية ! ؟ ..

ان جنوب افريقية تضع الشعب الأصلى ، الأغلبية الساحقة فى اقفاص يخرجون منها بميعاد ويعودون اليها



« حينما يلتقي الثوار بالبوليس ! »

بميعاد ! ومستر « ماكميلان » سيرى هذه الأقفاص هذا الأسبوع ! ماذا سيقول للافريقيين ؟ . » .

* * *

ايام فى تاريخ الكمرون :

فى ١٩٤٥/٩/٢٥ قام اضراب فى « دوالا » قتل فيه المستعمرون ٤٧ كمرونيا .

وفى ١٩٤٨/٤/١٠ تأسس فى « دوالا » اتحاد أهالى الكمرون .

وفى ١٩٥٠/٤/١٠ قيام المؤتمر الوطنى الأول لاتحاد الكمرون .

وفى ١٩٥٢/٩/٢٨ على الرغم من حملات التخويف ، والارهاب ، والاستعراضات العسكرية عقد المؤتمر الثانى لاتحاد أهالى الكمرون فى « سيكا » وقرر ارسال وفد الى هيئة الأمم المتحدة للدفاع عن القضية الكمرونية ، وندب السيد « رومين أوم نيوبى » لهذا الغرض .

وفى ١٩٥٣/٣/٢٥ تعرض السيد « رومين أوم نيوبى » السكرتير العام لاتحاد أهالى الكمرون ، وبعض زملائه لمحاولة اغتيال قامت بها السلطات الفرنسية عن طريق بعض القتلة المأجورين .

وفى ١٩٥٣/١٢/١٣ كانت نجاة السيد « كينجى اجيل » نائب رئيس اتحاد الكمرون من كمين دبرته له السلطات الفرنسية ، وقد أصيب فيه بجراح بالغة .

وفى ١٩٥٥/٤/٢٢ تم اعلان مشترك من جميع المنظمات الوطنية الكمرونية باسقاط الدول الاستعمارية فى الكمرون ، والمطالبة بالوحدة ، والاستقلال العاجلين .

وفى ١٩٥٥/٥/٢٢ كان ميلاد العلم الوطنى الكمرونى ، وقد أطلق الفرنسيون النار على الكمرونيين فى المظاهرات التى أعلنت فرحتها ، وراحت تنادى باستقلال البلاد وتوحيدها فى «ميانجا» ،وفى «دوالا».

وفى ١٩٥٥/٥/٢٥ قامت ثورة عارمة عمت الكمرون ضد الفرنسيين، وقد أقيمت المذابح فى طول البلاد وعرضها .

وفى١٩٥٥/٧/١٣ حلت كل المنظمات التى تعارض الاستعمار ، بموجب قانون غير قابل للتطبيق فى البلاد .

وفى ١٩٥٧/٤/١٤ تم فى الكمرون الغربى تحت الارادة البريطانية اغتيال مناضلين من اتحاد أهالى الكمرون وهما ((**تافوا ايرينى**)) وزوجته وهى فى أربعة أشهر .

وفى ١٩٥٧/٦/٣ حل البريطانيون المنظمات السياسية كلها ، وفقا لخطة الفرنسيين ، وألقى القبض على ١٣ قائدا ، ومسئولا ، وزج بهم فى سجن « لاجوس » بنيجيريا ، ومن بينهم أربع نساء .

وفى ١٩٥٩/١/١ حدثت ثورة عارمة ، وتصميم على توحيد الكمرون وتخليصه من القوى الأجنبية .

وفى ١٩٦٠/١/١ **تم اعلان استقلال الكمرون .**

بين مناطق النفوذ

عندما ضاقت أوربا بأهلها،وتفتحت فيها أبواب العلوم والصناعات لم تتحمل امكانياتها ، تحمل هذه التبعيات ، فتطلعت الى موارد جديدة لسد ضرورياتها ولمواجهة نهضاتها ووثباتها عند آسيا وافريقية ضالتها المنشودة ، ومن ثم جندت جميع جهودها لاستعمار شعوبهما ، وقد استمرأت هذا النعيم أجيالا طويلة سادت فيها الدنيا على حساب هذه الشعوب ، فلما بدأ الوعى العالمى بمقاومة غزو الشعوب المغلوبة وارتفعت صيحات الأحرار بين أفرادها وطبقاتها ازداد ضغط الوطنيين فى البلاد الاسلامية على الحكام الأوربيين ، ثم تبلور هذا التوتر والنفور الى العداء المستديم . وقد ظهرت بوادره بافريقية من مراكش الأسبانية بالغرب الى مصر فى الشرق فى وسط شعوبها الذين تجمعهم التقاليد والعادات والأديان والآمال ويمثلون ١٢ ٪ من سكان هذه القارة ، ومن هذه البقاع انطلقت شرارة التحرير الى مناطق افريقية الأخرى ولم تحمها الصحارى الشاسعة بالكنغو البلجيكية والكنغو البرتغالية . ونياسالاند ، وتوجولاند ، وجنوب افريقية .

مواطن النفوذ :

المناطق البلجيكية : تسيطر بلجيكا سيطرة تامة على جميع نواحى نشاط الحياة فى الكنغو ، وتعين من قبلها حاكما عاما ، تركز فى يده كل شىء فيها ، ولهذا الحاكم مجلس استشارى يعمل بارادته ، ، وينفذ سياسته ، ويمارس جميع السلطات ويتجلى النفوذ البلجيكى بالكونغو من الحديث الذى أدلى به الحاكم لجريدة نيويورك هيرالد تريبو فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥١ فلقد صرح بأنه سيدخل فى الكونغو شبه نظام انتخابى ، توطئة لانشاء حكومة مختلطة من البيض والسود ، وذلك بعد عشرين أو ثلاثين سنة قادمة ، كما أنه قد يسمح بالحكم الذاتى بعد مائة عام . ولكن ضربات التحرير تضرب بقوة ، وتطالب بسرعة، التحرر .

المناطق الفرنسية : أهم مناطق النفوذ الفرنسية فى شمال افريقية وقد رسمت سياستها على ثلاث نقط : الادماج ، الكبت ، القوة ، وقد نجحت طريقة ادماج شعوب الاستعمار بفرنسا فى بعض الشعوب التى انفصل أفراد شعوبها عن حياة القبائل الى الحياة الفرنسية ، ومكافأة لهم قد منحت بعض الأفراد الجنسية الفرنسية كالسنغال ، ومنحت آخرين عضوية الاتحاد الفرنسى فمثلوا شعوبهم البالغ تعدادها ٤٠ مليونا ، ما عدا الجزائر بـ ٣٩ عضوا فى الجمعية العمومية

البالغ قدرها ٥٤٤ عضوا ، ولم تنجح سياسة الادماج فى شمال افريقية ، لقربها من النفوذ القوى للدول العربية الاسلامية ، فاذا ما خانها الادماج ، لجأت الى كبت الشعور بالوعد والوعيد وبالتهديد ، فاذا لم يفد هذا فانها تلجأ الى اراقة الدماء فكان الحديد والنار سلاحها فى ابادة هذه الشعوب ، كما وقع فى شمال أفريقية عندما خلع سلطان مراكش ،واستعملت مع شعب مراكش ما تقشعر من هوله الأبدان ، وكما تصنع الآن فى ثورة الجزائر ،ولكن طريق فرنسا فى القوة باء بالفشل .

وقد خاضت هذه الشعوب مع فرنسا جميع الحروب ، فجندت منها لميادين القتال بالحرب العظمى الثانية ثلث مليون جندى وصانع ، كما كانت تستورد منها كميات الفوسفور والحبوب والحيوانات والصوف والرصاص والزنك ، ولها فيها أسواق تجارية كبرى تستغل فيها رءوس أموالها ، وتحافظ على السيطرة التامة عليها ، وعلى شواطئها بصفة خاصة حتى يبقى مركزها قويا فى البحر الأبيض المتوسط ،وحتى تبقى السلطة الكاملة فى يدها .

المناطق الانجليزية : انجلترا هى المستعمرة العتيدة فى أفريقية ، وسياستها ترسم على المرونة المشربة بالتعقيد ، وخطوطها تقدمية تأخرية ، فهى تسير على هدى الاقليم فى نزعته وتقدم له السم فى العسل ، فلا مانع لديها من أن تمنحه الحكم الذاتى بالتدريج الى ان يصبح عضوا فى الكومنولث .

اما نيجيريا : البالغ عدد سكانها ٢٤ مليونا ، فالسياسة فيها وفى سيراليون وجمبيا تنقسم الى قسمين أقاليم شمالية ، وأقاليم جنوبية : فالشمالية غالبية سكانها من المسلمين الذين يعيشون عيشة القبيلة ، وقد انشئت لهم ثلاث جمعيات وطنية منفصلة ، وستنشىء لهم مجلسا تشريعيا يكون فيه لمسلمى الشرق نصف الأعضاء ، ويتم النصف الآخر بالانتخاب ، وقد روعى فى نظامه أن تكون السلطة الفعلية بيد الانجليز بحيث تسير فى ركابها ،ولكن نيجيريا افلتت من هذا اخيرا ، كما أفلتت توجولاند فستحرر كل منهما فى هذا العام ، عام ١٩٦٠ . بعيدا عن القيود الانجليزية ، والسياسة الانجليزية . وتحتكر المؤسسات الانجليزية بيع مطالب الحياة كلها من غزل وملابس وادوات ، كما تحرم عليهم مزاولة اى عمل غير الزراعة . وهذه هى السياسة فى الماضى ، اما الآن فالخطة تعد للتكامل السياسى والاقتصادى فى افريقية كلها بعيدا عن النفوذ الأجنبى، ومستعمرات انجلترا فى شرق واواسط افريقية هى : كينيا وأوغندا وتنجانيقا وروديسيا الشمالية ونياسلاند وروديسيا الجنوبية وبتسوآنالاند وباسترلاند ، ويبلغ عدد سكان هذه المناطق ٢٢ مليونا من بينهم ٢٠٠٫٠٠٠ أوربى يملكون اجود الأراضى فيها ، وقد اغتصبوها من الافريقيين ، وبها ١٠٠٫٠٠٠ هندى استوطنوها ايضا ، ولهم مكانتهم بين الأوروبيين والافريقيين .

وهذه المناطق لا تتمتع بالحكم

الذاتي ما عدا روديسيا التي تتمتع بحكم أقرب الى دول الدومنيوم منها الى المستعمرات ، ففيها حكومة محلية تشرف على شئون البلد الداخلية تحت اشراف حكومة لندن مباشرة .

أما باقي المناطق فيوجد فيها مجلس تنفيذي ،وآخر تشريعي وهما مسئولان عن سياسة المستعمرات الداخلية ، ونسبة التمثيل فيها كالآتي :

في كينيا : ٥ ملايين من الافريقيين ليس لهم ممثل بالمجلس التنفيذي ولهم بالمجلس التشريعي أربعة ممثلين، وبها ألف هندي و ٣٠ ألف أوروبي يمثلهم في المجلس التنفيذي ١٢ ممثلا وفي المجلس التشريعي ٣٣ أوروبيا و ٥ من الهنود ، و ٣ من العرب .

في تنجانيقا : ٧ر٥ ملايين من الأفريقيين يمثلهم ممثل واحد بالمجلس التنفيذي وبالتشريعي أربعة وبها ١١ ألف أوربي يمثلهم بالتنفيذي ١٢ مواطنا وبالتشريعي ٣ هنود و ٢٢ أوربيا .

وفي أوغندا : ٥ ملايين من الافريقيين لا ممثل لهم بالمجلس التنفيذي ولهم ٨ بالتشريعي و ٣ر٥٠٠ أوربي يمثلهم بالتنفيذي ٩ وبالتشريعي ٤ هنود ، ٢١ أوربيا .

في روديسيا : ٢ مليون افريقي لا ممثل لهم بالتنفيذي ولهم بالتشريعي ممثلان وبها ٤٠٠٠ أوربي يمثلهم ١١ وبالتشريعي ٢١ .

في نياسالاند : ٣ر٦٠٠ر٠٠٠ من الافريقيين لا ممثلون لهم في المجلس التنفيذي ، ولهم ممثلان في المجلس التشريعي وبها ٥٠٠ أوربي لهم بالتنفيذي ٦ وبالتشريعي ١٦ أوربي وهندي .

في روديسيا الجنوبية : ٢ مليونا أفريقي و ١٤٠ ألف أوروبي ، ولهم مجلس تشريعي به ٣٠ عضوا ليس من بينهم أفريقي واحد ، والحكومة المحلية أعضاؤها سبعة ليس من بينهم افريقي واحد ، أما باسترلاند وبيتسنا وآنالاند وسواسيلاند فيبلغون حوالي مليون نسمة يحكمهم الحاكم الانجليزي ، ومعه مجلس استشاري من زعماء القبائل الافريقيين في هذه المجالس جميعها معينون بمعرفة البيض ، والمشكلة القائمة دائما هي مشكلة العلاقات بين الأوربيين والافريقيين ، والبلاد بمجالسها وحكامها تعمل في اطار الصالح الانجليزي لا غير .

وفكرة اتحاد أواسط أفريقية الفيدرالي تؤيدها الحكومات الانجليزية المتعاقبة ، ويؤيدها الأوروبيون المقيمون في المستعمرات لصالحتهم ، ولكن المنظمات الافريقية تعارضها خوفا من أن تكون امتدادا لسياسة التفرقة العنصرية ، التي تنتهجها حكومة اتحاد جنوب أفريقية، وقد نجحت هذه المنظمات في تعطيل المشروع .

ويهدف الاستعمار في سياسته بهذه المناطق الى المحافظة على سيادة الجنس الأبيض على الشعوب الافريقية ، ففي روديسيا نجد حاجز اللون يمنع الافريقيين من فرص العمل بالمناجم ، أما في غرب أفريقية فالافريقيون يفضلون عنهم في بقية

المستعمرات الأخرى ، ولكنها فى نظر البيض تؤدى الى ضياع المستعمرات، ولذلك نراهم زادوا من السلطة فى أيديهم تأمينا لهم من الافريقيين .

وقد فشلت جميع الوزارات فى ايجاد حلول للتوفيق بين مطالب البيض ومصالح الافريقيين ،فأصبحت السياسة العامة تهدف الى المحافظة على مصالح انجلترا ، وتحقيق رغبات الأوروبيين بأفريقية ، وهى تعمل الآن على ادماج جميع مستعمراتها فى شرق أواسط افريقية داخل اتحادين ، وبذلك تتحقق لها السيطرة التامة على هذه البلاد .

وستلاقى هذه السياسة مقاومة من الافريقيين ، ويترتب عليها زيادة التوتر بين البيض والسود وتكتل الافريقيين فى هذه المستعمرات لاسترداد نفوذهم .

أما اتحاد جنوب أفريقية : فيمارس سلطاته باعتباره دولة مستقلة تابعة للكومنولث ، « ولكن توجيهه الى جميع الشئون يسير فى الطريق المرسوم له من لندن ، وبهذا الاتحاد مليونان ونصف مليون نسمة من الجنس الأبيض مقسمون الى ٦٠٪ هولنديين وبوير ، وهم الجنس الأبيض الافريقى و ٤٠٪ من أصل انجليزى وهم الجنس الأبيض الأوروبى ، ٨ر٥ مليون أفريقى ، ومليون من أجناس أخرى ملونة وأكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ هندى ، وقد وضعت لهم قوانين لا مثيل لها فى الظلم والجور ، فقد حرمت الافريقيين من جميع الأعمال فى بلادهم عدا الأعمال غير الفنية ،وقد بدأت المشكلة العنصرية والتفرقة فى المعاملة تزدادان حدة . وبرزتا واضحتين فى القوانين على نطاق واسع، ويرى الرجل الأبيض الافريقى فى المحافظة على السيادة بأفريقية أنه يجب وضع حد فاصل بين قوى الأجناس ، ولا يسمح للأجناس الملونة بالاشتراك فى الحكم على أن يسمح لهذه الأجناس ببعض الحقوق ،ويعمل على رفع مستوى معيشتهم ، ويقاوم الافريقيون هذه الآراء والقوانين .

أما الجنس الأبيض الأوروبى فيعارض الأبيض الافريقى ، لأنه يرى أنه فى حاجة الى حماية مصالحه التى تحتاج الى عدد كبير من العمال ، ولكن الجنسين يتفقان معا فى كل عمل يضر الافريقيين. والافريقيون يعارضون كل تفرقة عنصرية ، ومنظماتهم تقوى كل يوم .

وهكذا يقاوم الجنس الأبيض جميع الحركات التقدمية التى تقوم بها الأجناس الملونة خارج الاتحاد أيضا ، اذ يرون أن الحكم الذاتى للوطنيين سيؤدى فى النهاية الى تقلص نفوذ الرجل الأبيض وانتهائه فى جميع أرجاء افريقية . وأصبح الجنس الأبيض الأوروبى يخاف الجنس الأبيض الافريقى كثيرا . ويخشى من تصرفاته ونفوذه . وقد أوجدت نظرية سيادة الجنس الأبيض أكبر مشكلة من مشكلات التعصب الجنسى ، وأمام هذه المشكلة تعمل انجلترا فى أواسط وجنوب افريقية لمنع تسرب سياسة الجنس الأبيض الافريقى ،حتى لا يتسمم بآرائه باقى المستعمرات ، ولعل ذلك هو اهم الأسباب التى دفعت انجلترا الى خلق اتحاد أواسط افريقية الفيدرالى .

سياسة العنف في أفريقية

تهدف الحكومة البريطانية الاستعمارية فى شرق أفريقية ووسطها الى نقل السلطة فى : **كينيا وأوغندا وتنجانيقا وزنزبار ونياسالاند وروديسيا** الى أعوان الحكومة من المستوطنين الاوروبيين ، متجاهلة بذلك حقوق الافريقيين ، وهم أهل هذه البلاد ، ويربو عددهم على خمسين مليون نسمة .

ففى **كينيا** تحاول الحكومة الاستعمارية نقل سلطاتها الى أيدى خمسين ألف أوروبى من أنصاف المتعلمين ، ورجال الحرب السابقين ، وهم أقلية تستعين بالهنود والافريقيين الذين اشتروهم بالمال ، لتستعبد عن طريقهم ثمانية ملايين من الوطنيين ، ولكى يحتفظ الحكام البريطانيون المستعمرون بالسلطة المغتصبة التى ورثوها عن آبائهم ، فهم يستخدمون القوة والوحشية ، لالقاء الرعب والفزع فى نفوس ملايين الافريقيين ، الذين يعارضون سياستهم فى حكم الشعب الافريقى .

ولكى تنال هذه الحكومات موافقة ومساندة شعوبها فى أوروبا على ما ترتكبه من وحشية ضد الشعوب الافريقية ، تلجأ الى اتهام رجال السياسة الافريقيين كذبا بالعنف والشدة ، كمبرر لما ترتكبه هذه الحكومة من قتل وتعذيب وتشريد ففى **كينيا** اختلق المستوطنون الاوروبيون كلمة **ماو ماو** . وادعوا انها اسم لجمعية أفريقية سرية ، هدفها طرد الاوروبيين من كينيا وافريقية كلها ، وادعوا أن رئيسها **جومو كنياتا** وعندما تعوز المستعمرين الحجة للتنكيل بالقومية الافريقية تحت ستار **الماو ماو** يلجأون الى اتهام الوطنيين بالشيوعية « كذبا » وافتراءا حتى يتسنى لهم محاكمتهم وادانتهم . وأمام القضاء يشترى المستعمرون ذمم ضعاف النفوس للادلاء بشهادات كاذبة مزورة ، كما حدث أثناء محاكمة **جومو كينياتا** فقد استأجرت الحكومة البريطانية **« روانن مبوجوا »** ليشهد ضده زورا وبهتانا كما استأجرت **وأورو كنيايا** لاغتيال زعيم أفريقى تافه اسمه **وارهيو** . وقد حاك المستعمرون هذه المؤامرات كلها ليثبتوا على الوطنيين الافريقيين استعمالهم للعنف والقتل ، ليتخذوا من تلك التهمة الكاذبة مبررا لفظائعهم ووحشيتهم ، وعندما بلغ عدد ضحاياهم ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف افريقى ، أشاعوا فى العالم أن عدد القتلى والضحايا لم يزد عن ألفين .

مؤتمر أكرا

أن شعب **كينيا** لم ينتقد مؤتمر **أكرا** ، ولكنه انتقد من سموا أنفسهم مندوبى **كينيا** فأساءوا عرض قضيتها على المؤتمر ، ولم ينجحوا فى افهام أعضاء المؤتمر أن **الماو ماو** رمزية اختلقها المستوطنون الاوروبيون

والحكومة البريطانية الاستعمارية ليبرروا سياسة الشدة والقمع التى اتبعوها للقضاء على الساسة الافريقية

ان من يعلم شيئا عن كينيا أو يستمع الى أخبارها لا يمكن أن يعتقد أن أعضاء وفد كينيا المنتخبين فى الجمعية التشريعية هم الزعماء الافريقيون الحقيقيون ، أو أنهم أحسن من زعماء **كينيا** وقادتها الذين تمتلىء بهم معسكرات الاعتقال .

أن قادة كينيا الحقيقيين هم من يفضلون - اذا دعت الحاجة ودق ناقوس الخطر - الموت مع شعوبهم كما حدث ذلك ل **((جومو كينياتا))** وغيره من الزعماء الذين تمتلىء بهم السجون ، وان الشعب لن ينسى زعماءه لأن المستعمرين البريطانيين قد ألصقوا بهم التهم جزافا ، ان شعوب افريقية كلها لن تنسى موقفا نبيلا اتخذه السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، كما أنها لن تنسى موقف الدكتور **كوامى نكروما** وموقف السيد اسماعيل الازهرى فى السودان كما لا ينسى الامريكان جورج واشنجتن والايرلنديين لم ينسوا دى ڤاليرا ، ولكن الانسان ليدهش لأن ممثلى **كينيا** فى مؤتمر أكرا هم خير من سمح البريطانيون لهم من الافريقيين بالسفر الى انجلترا لحضور مؤتمر **أكرا** والتحدث باسم زعماء افريقية ! وانه ليعجب من أن الدكتور **كيانو** الذى وقف مرة ليخطب فى جمع من الافريقيين لا يتجاوز عددهم ألفين وخمسمائة نفس معارضا اطلاق صراح **جومو كينياتا** فثار المجتمعون فى وجهه وهتفوا ضده يصبح له تمثيل **كينيا** فى المؤتمر وهل يحق لمثله أن يتحدث باسم **كينيا** ؟ كما يعجب اذا كان **توم مبويا** الذى كان يعارض انهاء حالة الطوارىء وأخرسه المستعمرون بينما كان المستر **أوجنجا أودنجا** رئيس جميع الاعضاء الافريقيين المنتخبين ينادى باطلاق سراح **جومو كينياتا** ، يحق له أن ينوب عن الساسة الافريقيين فى المؤتمر .

ان كل أعضاء الجمعية التشريعية الافريقيين لأداة طيعة فى يد المستعمرين الاوربيين يستخدمونها فى قمع الشعب ولذلك أساءوا تمثيله فى مؤتمر **أكرا** فى الوقت الذى رفض فيه البريطانيون السماح لزعماء الشعب الحقيقيين بالسفر وقصروا ذلك على **توم مبويا** وأمثاله ، ومن هذا يتضح بجلاء أن الزعيم الافريقى الحقيقى قلما يسمح له بالسفر ، بل فى التكلم فى المؤتمرات .

ان المستعمرين يخلقون كل يوم زعماء جددا يستخدمونهم فى القضاء على مطالب الافريقيين ، ليجبروهم على نسيان زعمائهم الحقيقيين مثل **جومو كينياتا** واخوانه ، وان الانسان ليأخذه العجب من أن الافريقيين فى **كينيا** يعلمون جميعا أن رئيس الاعضاء المنتخبين فى الجمعية التشريعية هو المستر **أوجنجا أودنجا** وأن السكرتير هو المستر **نجالا** ولكنه عندما يغادر كينيا يعلم أن الصحافة الامريكية والبريطانية ، قد تجاهلت أسماء هؤلاء القادة الافريقيين المشهورين ، ووضعت بدلا منها المتعاونين معها مثل **توم مبويا** ، معتبرة أياه الزعيم الافريقى الحقيقى .

واذا رجعنا الى صحف افريقية الشرقية كلها لوجدناها تعتبر المستر

أوجنجا أودنجا الرئيس الفعلى لاربعة عشر عضوا منتخبا للجمعية التشريعية كينيا فى الوقت الذى صادر فيه المستعمرون والحكومة الاستعمارية الصحف الوطنية ، وسمحوا فقط للمستوطنين الاوربيين باصدار الصحف والمجلات التى تعمل ضد الافريقيين ، وتتحدث عن توم مبويا باعتباره الزعيم الافريقى ، وهى تعلم أنه مجرد عضو منتخب عن نيروبى فى مجلس كينيا النيابى لا أكثر ولا أقل يعمل تحت رياسة وزعامة أوجنجا أودنجا ، كما أن المستر أرجونجز كورهك هو رئيس جميع الهيئات السياسية فى كينيا كلها بينما يمثل توم مبويا حزب الشعب فى نيروبى وهو واحد فقط منها ومنذ قضى المستعمرون على الهيئات السياسية العامة التى تمثل كينيا كلها أصبح محرما على الافريقيين فى كينيا تكوين أحزاب تمثل جميع أجزاء كينيا .

لقد قضى المستعمرون على كل المؤسسات السياسية وعلى الكنائس الافريقية وحتى اتحادات العمال ، التى اصبحت مجرد ارساليات أمريكية لم يسمح لها بالقيام بأى نشاط ، الا اذا كان ذلك فى صالح المستعمرين الاوروبيين ، كما ألقت بكل أعضاء الاتحاد الوطنيين فى معسكرات الاعتقال دون محاكمة ، لقد كنت عضوا فى الاتحاد وأشغل وظيفة السكرتير العام قبل أن يخلفنى توم مبويا ، الذى لا يزال يشغل هذه الوظيفة حتى الآن .

مشكلات افريقية :

ولنعد الآن الى المشكلات العامة التى تواجه شعوب افريقية ، فما زال المستعمرون يعملون جهدهم لتقسيم افريقية الى شيع وأقسام ، حتى لا تتكتل القوى التى تعمل ضد الاستعمار ، وما زالت دعايتهم تعمل على تقسيم افريقية المسالمة ، وتفتيت وحدتها فتصبح أفريقية الشمالية وافريقية الجنوبية ، وهكذا .

كما يحاولون افهام ضعاف النفوس من المواطنين الافريقيين انهم اذا جلوا عن أفريقية احتلها الشيوعيون ، ولعل هذا هو السبب فى أنهم يقتلون الوطنيين فى كينيا يوميا ، حتى اذا جاء الشيوعيون لم يجدوا فى كينيا غير البيض . ان أول ما يجب عمله على الشعب الافريقى ، وعلى الشعوب المستقلة فيه هو أن يقفوا ضد المستعمرين الذين يسومونهم ألوان العذاب ، ويرتكبون معهم الجرائم البشعة دون سبب ، ومن واجب الزعماء الافريقيين فى الدول الافريقية المستقلة أن يقفوا معنا ضد الدعاية الاستعمارية المسمومة ، كما يجب عليهم ألا يتعاونوا مع المستعمرين ، بل مع القوى الاسيوية الافريقية التى سوف تساعدنا على عرض قضيتنا على هيئة الامم المتحدة فنحن فى حاجة الى من يساندوننا فى هيئة الامم ، وعندئذ تتكتل القوى التى تقاوم المستعمرين الذين ينكرون حقوق الانسان ويحاولون القضاء عليها ويقل خطر الابادة الذى تتعرض له الشعوب الوطنية المحكومة فى آسيا وافريقية .

أما اذا أغمض مؤتمر الشعوب الافريقية عينيه عن الحقائق التى ذكرتها سابقا ، فقد يفشل فى تحقيق

مطالب الشعوب الافريقية من جراء سوء تمثيله ، وقد يصبح أداة فى يد المستعمرين يرتكبون بها جرائمهم ازاء القوميين الافريقيين مدعين أنهم يتبعون سياسة العنف كما ينتقمون من **الماو ماو** ، بحجة أنهم شيوعيون فالمستعمرون افترضوا سياسة العنف كذبا ، واصطنعوها اصطناعا وسيطالبون المؤتمر بالموافقة على وجوب القضاء عليها ، وسيعمل هؤلاء بمعونة الامريكيين على القضاء على القوميين الافريقيين ، بحجة أنهم شيوعيون أو من أعضاء **الماو ماو** . ان المستعمرين ليدركون أنه اذا اتحدت افريقية وآسيا وتكتلت ضدهم فى هيئة الامم المتحدة فلن يستطيعوا تجاهل هذه الحقائق ولكن متى انفصلت افريقية عن آسيا ، فلن يكون لها أصوات فى هيئة الامم . لقد اكتملت رجولة الشعب الافريقى ونضج وعيه ، وعلينا أن لا نجعل السيدات الاوروبيات الجميلات يغررن بنا ، كما حدث فى مؤتمر أكرا . ان هؤلاء السيدات لن يقفن معنا ضد شعوبهن ولكنهن سيخدعننا ليلا ونهارا يجب أن نواجه الحقائق بمفردنا ، وأن لا يخدعنا تملق بعض الامريكيين الذين يعملون من أجل مصلحة شعوبهم ضد الافريقيين .

سياسة فرق تسد !

أن الطريقة المثلى لمجابهة الاستعمار والمستعمرين هى أن يدرس المؤتمر الافريقى مطالب الشعوب الافريقية التى يمثلها هذا المؤتمر ، كما أن عليه أن يتعرف على الطرق المختلفة التى يسلكها المستعمر ضد الغربيين الافريقيين ففى كينيا حيث قتل المستعمرون أكثر من ثلاثين ألف افريقى يقف الشعب كتلة واحدة متراصة ضد الاستعمار ، وسيجد المؤتمر أنه من المستحيل عليه أن يقنع شعب كينيا بأن مسئولية قتل هذا العدد الضخم من أهل كينيا تقع عليهم وحدهم . لقد لقوا حتفهم لأن الاستعمار هو الذى خلق سياسة العنف ، واتهمهم بها زورا وبهتانا ، بل أراد لهم الموت . كما أن المستعمرين قد طاردوا واعتقلوا **جومو كينياتا** وغيره من الوطنيين ، لأنه طالب بالحرية لشعب كينيا فى الوقت الذين يشيعون فيه أنه عميل للاستعمار ، ولقد خلق سياسة العنف والشدة حتى يتيح للاستعمار استخدام الشدة بدوره ، والقضاء على الوطنيين الافريقيين بعد الصاق التهم الباطلة بهم . وأكثر من هذا لقد أدرك شعب كينيا — وقد حرمه المستعمرون البريطانيون من تكوين الهيئات السياسية ، وقضوا على كل نشاط سياسى أن الاستعمار يتخذ كل وسيلة ممكنة لحمل الشعب على نسيان زعمائه الحقيقيين المخلصين والسير وراء غيرهم من المهرجين السياسيين من عملائهم ، والذين يدعون أنهم سياسيون متزنون معتدلون . ولهذا السبب وحده يستغل الاستعمار أعضاء ليجكو كينيا الضعاف العاجزين للقضاء على مطالب شعب كينيا متسترين تحت اسم الزعامة الافريقية .

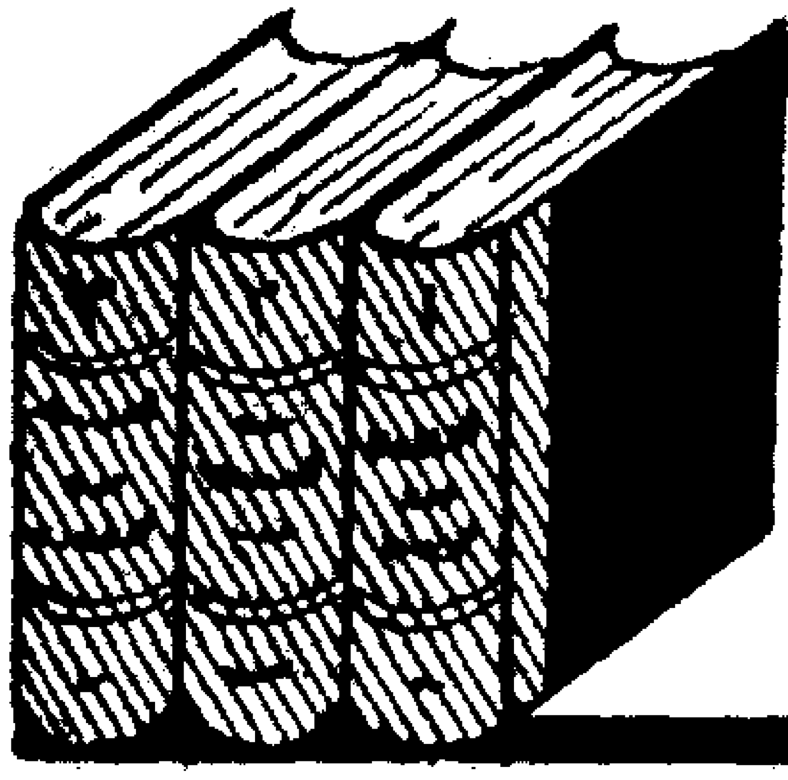
وعلى السياسيين الافريقيين — من القاهرة حتى مدينة الرأس — أن يعملوا مجتمعين ضد الاستعمار الاوروبى فى كل صوره وأشكاله ، وبكل طريقة ممكنة ، ووسيلة مستطاعة

فيجب أن نقاوم هجرة اليهود الى شرق ووسط أفريقية ، فان خطة المستعمرين الأوروبيين فى شرق أفريقية ووسطها لتشبه خطة اليهود فى فلسطين ، وهى القضاء على سكان البلاد الحقيقيين ، واغتصاب أوطانهم منهم ، وأن هدف المستوطنين البريطانيين فى كينيا هو استبعاد الشعب الافريقى فى كينيا والقضاء عليه بكل الوسائل الممكنة ولقد شاهد شعب كينيا بعينى رأسه خلال الفترات التى أعلنت فيها حالة الطوارىء الشىء الكثير . فلقد شاهدوا الكثيرين من شعب كينيا ، وهم يدفنون أحياء كما شاهدوا « جمعية الكابتن جريفث السرية » التى كونت لاستئصال شأفة الافريقيين ، وهى تدفع خمسة شلنات لكل من يقتل أحد الوطنيين (كما حدث لاليجا نيجيرو عندما قتل (غيلة) لقد شاهدوا الرجال الوطنيين وقد قطعت أعضاؤهم التناسلية كما شاهدوا الوطنيات الحوامل ، وقد بقرت بطونهن ، وفى غير كينيا لقد عانى الافريقيون من وحشية الاستعمار وهمجيته الشىء الكثير فمن حرب ابادة فى الجزائر الى مذابح فى الكمرون واعتداء ثلاثى غاشم على قنال السويس سنة ١٩٥٦ .

ان الافريقيين فى كينيا ليعملون كل ذلك ، وهم مؤمنون بأنه لن تصلح لهم حال حتى يتم لهم طرد الاستعماريين . لا من كينيا وحدها بل من أفريقية كلها .

ان هجرة الشعوب الأوروبية الى كينيا لهى لتهديد جديد لمشكلة قلة الاراضى الزراعية فيها ، فلقد تذرع المستعمرون تحت ستار مقاومة حزب **الماو ماو** ، فقتلوا ثلاثين ألف أفريقى ثم استقدموا مكان هؤلاء الضحايا الابرياء ثلاثين ألف أوروبى ، جلهم من اليهود تمولهم أمريكا ليتبعوا تلك السياسة التى يتبعها اليهود فى فلسطين ؛ فقضوا على السكان الاصليين ، واغتصبوا أوطانهم لانفسهم ، وما ادعاء اليهود المزعوم بأن فلسطين موطنهم الا اعتداء سافر ، وكذب لا سند له ،فمن وجهة النظر التاريخية تعتبر فلسطين وطنا للكنعانيين من نسل حام ، وهو أبو الشعوب الافريقية ، وينتسب العرب الى حام عن طريق مصرايم ، وهو أبو المصريين عن طريق هاجر ابنة مصرايم وهى أم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام .





كتاب الشهر

افريقية قارة تقف على قدميها

بقلم ديريك كارتن

AFRICA ! ! AFRICA ! !

A Continent Rices to its Feet

BY DEREK KARTUN

عرض وتقديم للعميد أركان حرب
محمد عبد الفتاح ابراهيم

الكتاب والكاتب :

ليس كتابا جديدا الا بالنسبة لي ولك ، ولكل افريقي يعيش في قارتنا هذه . فالكتاب قد صدر سنة ١٩٥٤، أصدرته شركة « لورمن أندويشارت» المتحدة بلندن ، وأصدرته لمؤلف هو « ديريك كارتن » مؤلف لم أعرفه من قبل ، ولم أسمع اسمه ، وأظنك مثلي لا تعرفه ،ولكني أثق بأنني عندما أقدم لك كتابه ستشعر بما شعرت به أنا ، وكأنني أعرفه منذ سنوات ، لأنه يحدثنا حديثا من قلبه ، يتحدث بصراحة هي التي تدفعني لأن أحدثك بأن الكتاب لم يصل الى يد افريقي قبل اليوم .

وقد تسألني لماذا ؟ . لماذا أؤكد لك هذا ؟ !! ولا اجابة عندي أكثر من أن أذكر لك انه في أول صفحات الكتاب يقدم لك قصة شابين انجليزيين أرسلا الى كينيا للعمل في قوات البوليس هما « بيتر بوستوك » و « بريان هايوورد » واعطى كل منهما ثوبا عسكريا ومسدسا ، ومنح سلطة القبض على من شاء ، ثم أرسل ليطلق الرصاص على الافريقيين في الظلام ! .

ويقدم لنا قصة الشاب الأول منقولة عن مقال بقلمه في مجلة « ذي بيبول » الأسبوعية الانجليزية ،وكيف قبض على بعض أفراد من الكيكويو وهم جرحى ،وكيف راح مع اثنين من الأوروبيين يستجوبون كهلا جريحا ، فلما لم يقتنعوا باجاباته حشوا كلبا متوحشا فأسقطه على الأرض ، وراح ينهش لحمه ، والرجل يستغيث ولا مغيث ! ويقول بوستوك : ان الكيكويو متوحشون ، ويتساءل المؤلف عمن هم الذين يمكن أن يقال عنهم انهم متوحشون ! هل هم الكيكويو ام البيض الذين يثيرون كلبا مفترسا

على جريح كهل فان ؟ !! ، ثم يقدم الشاب الثانى ، وكيف كان هو ورجاله يقبضون على النـــاس ويضربونهم ويحرقون آذانهم بـ « السـجائر » المشتعلة ! ويتساءل مرة ثانية ، كيف يمكن أن تجيء هذه الأفعال بالحضارة والتقدم الى افريقية .. !

ثم يقول : ان الجرائم التى ارتكبت مع الأهالى الافريقيين فى المائة السنة الماضية ، قد ارتكبت باسم بريطانيـا فبريطانيا هى التى أرسلت الجنود ، وهى التى صنعت السفن التى تنقلهم لسـلب ثروات افـــريقيـــة . والبرلمان الانجليزى هو الذى اصـدر القوانين التى تمـكن المغتصبين مـن السلب ، ولكن الشعب الانجليزى لم يسرق ، وكان يستطيع ان يضع حدا لهذا العبث وأن يمنعه ، ان افريقية لم تسـبب ثراء الشعب البريطـانى ولكنها جعلت هؤلاء المنتفعين أثرياء . لقد قيل للشعب الانجليزى ان غرب أوروبا سيتضور جوعا اذا لم يغنم كل خـيرات افريقيـة ، وأن بريطـانيـا تنقل الحضارة الى افريقية بالسرعة التى يمكنها بها الافريقيون من أن تفعل هذا ، فاذا اعتقد الافريقيون بأن هذا غير صحيح بعثت بريطانيا برجالها ، يجلدونهم بالسياط ،ويحرقون آذانهم بلفافات التبغ المشتعلة ، ان الشعب البريطانى لم يفعل هذا ، ولكن الشعب هو الذى اختار رجال البرلمان وكان هؤلاء الرجال يستطيعون أن يفعلوا هذا ولكنهم لم يفعلوه ! » .

« لقد حصـل المستعمرون مـن افريقية فى الستين السنة الماضيـــة على ما قيمته ٤ر٣٠٠ مليون جنيــه استرلينى من الاسبـستوس والفحم والكوبلت والنحاس والكروم والمـاس والذهب والحـديد والرصـــاص والمنجنيز والأورانيوم والزنك ، ولم يمنح العالم الافريقى الذى أخرج هذا كله غـير بنسات تعد على أصابع اليد الواحدة ، وأثرى أغنياء لندن وباريس وبروكسل ونيويورك ! » .

« ان فى افريقية خمس ما فى العالم من النحاس والقصدير ، وربع انتاج العالم من المنجنيز ونصـف الذهب و ٨٠٪ مـن الكوبلت و ٩٨٪ مـن الماس الصناعى » .

* * *

وهكذا ينساق الرجل فى حديثـه ليخبرنا بأن فى افريقية اليوم أهم معركة فى العصر الحديث : معركة بين ثلاث قوى ، فهناك سكان افريقيـة الذين اعتزموا أن يتحرروا ، وهناك مجموعة من الدول الاستعمارية التى تعمـل لتتمسك الى غاية ماتستطيع بالأرض ، وهناك الولايات المتحدة التى تعد نفسها لتلتقط الثمرة الشـهية الناضجـة وحدها ! » .

يقول فردريك انجلز : « كلما تقدمت المدنية كلما اضطرت لأن تخفى شرورها التى توجدها ، وهى تغطيها بسجف من العطف والاحسان ، وتخفى هذه الشرور لتنكرها أو بمعنى موجـز مختزل تقدم طابعا من النفاق لم يكن معروفا حتى للمجتمعات البدائية ولا لمجتمعات المرحلة الأولى للحضارة ! » .

وبعد .. فلقد جاء الوقت لرفع هذا السجف ، وليتعـرف النـاس على الحقائق الكثـيرة التى تختلف كـل الاختلاف عما يقال لهم من اكاذيب ..

وكان هذا هو هدف الكاتب من الكتاب ، هدف تعريف القراء بالكثير من الحقائق ..

فماذا قال ... ؟

* * *

الكتاب : والكتاب عدا فصله الافتتاحي جاء فى اثنى عشر فصلا شغلت تسعا وتسعين صفحة من الحجم الصغير المليء ، والمؤلف يقدم فى هذه الفصول القصة كاملة ، قصة الثمار الافريقية واغتصابها ، ويقدم قصة استيقاظ العملاق الأسود ، ويتحدث عن التنظيمات الفدرالية ، واتجاهات الديمقراطية . ثم ينتهى ليتحدث عن الطريق الذى يجب أن يسلكه الغرب طواعية ، بدلا من أن يسلكه مضطرا لمعاونة الافريقيين الذين يكافحون فى أقسى الظروف ، لاسيما أنه لا شك فى أن الافريقيين سيحققون كل هذه الأهداف التى يرمون اليها بقوة وبعزيمة ، تحت زعامة قوية مخلصة ..

ومرة أخرى : ماذا قال الرجل !! .

* * *

الاستعمار والاستقلال :

والواقع ان الرجل يبدأ القصة بحديث الاستعمار والاستقلال ، ويقول : انه ليس الانجليز وحدهم هم الذين قاموا بهذا ، بل ان الانجليز والفرنسيين والبرتغاليين والهنود والأسبان والبلجيكيين كلهم قد ساروا فى داخل افريقية ، يحملون معهم معاهدة لاقيمة لها معدة للتوقيع ، فاذا لم تنجح لعبة المعاهدات عادوا برصاص البنادق ، وكان هؤلاء كلهم قد استغلوا الافريقيين ، وقتلوا الافريقيين ، وسرقوا الافريقيين ! وكان لبريطانيا وحدها أربع عشرة منطقة تغطى مساحتها أربعة ملايين من الأميال المربعة ، ويسكنها ستة وخمسون مليونا من السكان ، وتمتد هذه المناطق على كل من جانبى القارة وفى وسطها ، وتحمل هذه أسماء مختلفة ، مستعمرات ومحميات وبلاد تحت الوصاية ، وفى افريقية سبعمائة لغة ولهجة ، مع عشرات الثقافات المختلفة ، ففى نيجيريا وحدها على سبيل المثال اثنتا عشرة لغة ، ولكن مع هذا فان هؤلاء الناس أحسوا تحت الحكم الأجنبى بكيانهم الافريقى ، وكان الشيء الوحيد الذى اتفقوا عليه اصرارهم القوى على التحرر ! .

والغريب أن بعض الكتاب الأوروبيين ينسبون الى الافريقيين عدم الوفاء !! لأنهم لم يشكروا للأوروبيين نقلهم الحضارة والمدنية الى افريقية السوداء ، ثم يتساءلون عما يمكن أن يكون الأوروبيون قد اغتصبوه من ثروات القارة ؟ !! ، ويجيب « ديريك كارتن » على هذا الفصل الثالث من كتابه ، ويبدأ بما كسبه البيض من تجارة الرقيق ، ويقدم رجلا واحدا فى رحلة واحدة ، فقد باع السير جون هوكنز (!!) الأربعمائة الافريقى الذين عاد بهم من القارة ، باعهم فى جزر الهند الغربية بخمسة وعشرين جنيها للفرد الواحد ، فماذا يمكن أن يكون قد ربح المشتغلون بتجارة الرقيق من الأوروبيين ، وما اكثرهم فى مدى أربعة قرون !! .

الثروة المعدنية بعد الثروة البشرية

ولكن مالنا وللثروة البشرية ! فلننظر الى الثروة المعدنية ، ولنرجع مرة اخرى الى المثل الذى قدمه من قبل، فقد أنتجت مناجم نيجيريا فى ٢٦ سنة بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ أرباحا وصلت الى ٣٧ مليونا من الجنيهات ، وفى سنة ١٩٣٧ كانت ارباح الشركات البريطانية ١٫٢٤٠٫٠٠٠ جنيه ، على حين أنها دفعت لموظفيها البيض ١٫٧٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات أنفقوا اكثر من نصفها خارج نيجيريا وكان نصيب حكومة نيجيريا من هذه الأرباح ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه فقط ونال ٣٦٫٠٠٠ عامل افريقى فى هذا العام ٣٢٩٫٠٠٠ جنيه ، فكأن كل عامل افريقى قد أخرج من القصدير ماقيمته ٦٩ جنيها ، ونال نظير هذا تسعة جنيهات وشلنين اثنين فقط أى بمعدل ثلاثة شلنات ونصف كل أسبوع ،على أن القصة ليست كاملة فان المائتى الف جنيه التى تقاضتها حكومة نيجيريا أقتسمتها معها شركة افريقية المتحدة ، فاذا ما سألت عما قدمته الشركة من خدمات للحكومة نظير هذا ؟ عرفت أنها لم تفعل شيئا ، ولكنها تقتسم معها دخلها على أساس أنها وريثة الشركة التى فتحت أبواب أرض النيجر للاستقلال البريطانى . وأنها تنفذ حقا حصلت عليه سنة ١٨٩٩ ، ففى ذلك العام وقعت الشركة عقدا مع الحكومة . العام وقعت الشركة عقدا مع الحكومة، نزلت فيه الشركة عن حقها السياسى!! مقابل ٨٩٠٫٠٠٠ جنيه تسلمتها عاجلا ، على أن تقتسم مع الحكومة دخلها من أرباح التعدين فى البلاد لمدة ٩٩ سنة .

وبدلا من أن تنفق هذه الأرباح فى كينيا أنفقت على مسافة آلاف الأميال بعيدا عنها ، انفقت فى بريطانيا حيث أقيمت الدور والمصانع والمدارس والمستشفيات ، ولو كانت هذه الأموال قد أنفقت حيث كان يجب أن تنفق فى لاغوس وبنين وكانو ، لكانت قد غيرت من طابع البلاد التى تفتقر الى كل ما يجعل الحياة والاقامة راضية هينة ، وما يقال عن (قصدير) نيجيريا يمكن أن يقال عن (نحاس) روديسيا الشمالية وعن (بن) كينيا، وعن (كاكاو) ساحل الذهب (غانة فيما بعد) ، فاذا حاولنا أن نزيد من سعة الصورة وجدنا أن بريطانيا قد استوردت من مستعمراتها ما تصل قيمته الشهرية فى المتوسط ٤٦ مليونا من الجنيهات ، على حين أنها تصدر لها ما تصل قيمته الى ٢٨ مليونا من الجنيهات ، ومعنى هذا أن بريطانيا شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة قد امتصت الثروة فى معادن خام من المستعمرات مقابل بعض البضائع الاستهلاكية والآلات ، وجعلها تستهدف زيادة انتاج المواد الخام ومضاعفتها ، أما الفرق بين الواردات والصادرات فقد استخدمته بريطانيا لموازنة الاسترلينى ، ولاعداد الجهاز الذى تضغط به على المستعمرات .

وفى سنة ١٩٤٩ كان رصيد المستعمرات فى بريطانيا من الاسترلينى ٦٧٠ مليون جنيه ، وفى سنة ١٩٥٢ وصل الرقم الى ١٫٢٢٢ مليون

جنيه ، وهكذا يتزايد الرقم الذى ينظر اليه الكثيرون على انه جانب من الصورة ، على حين أنه كلها ، لأن الجانب الآخر ، الجانب الذى يقول عنه « تطور المستعمرات » ، التطور الذى بدا سنة ١٩٤٥ لم يكلف حكومة بريطانيا فى خمس سنوات غير واحد وأربعين مليونا من الجنيهات ، فى مناطق تعداد سكانها واحد وثمانون مليونا اى أن كل فرد من السكان قد نال شلنين ونصف بنس فى العام .. اى عشرة قروش .

وقد قال الأستاذ آرثر لويس عضو اللجنة الحكومية لتطور المستعمرات: « ان بريطانيا تتحدث عن تطور المستعمرات ولكن الأصح أن يتحدث عمال وفلاحو افريقية والملايو عن رؤوس الأموال التى يكدسونها فى بريطانيا » .

ولكن ماذا كان نصيب العمال ؟ لقد كان أجر العامل الافريقى فى المناجم سنة ١٨٩٠ ٦٣ شلنا فى الأسبوع ، وفى سنة ١٩٤٣ كان ٦٨ شلنا تضاف اليها منح عينية مقدارها اكثر بقليل من ثلاثين شلنا ، وحتى لو قلنا ان الأجر قد وصل الى مائة شلن فى الأسبوع فاننا مع تقدير غلاء المعيشة وهبوط سعر العملة نجد أن العامل الافريقى فى المناجم قد انخفض أجره بعد ٥٣ سنة ، بدلا من زيادته ، وفى هذه المدة الزمنية نفسها انخفضت اجور العمل فى المتوسط ، لاستخراج طن من الذهب من ٢٩ شلنا وستة بنسات الى ١٨ شلنا ، فازداد ربح شركات التعدين ، وعم البؤس والفقر قرى المعدنين الافريقيين ! .

افريقية تستيقظ : وكان استيقاظ افريقية شيئا مفزعا مخيفا وككل الحركات التاريخية القوية ، كان هذا الاستيقاظ مليئا بالألم ، كما أنه لم يكن فى جميع الأحوال سهلا ميسورا ، وهو كذلك لم يكن أمرا فجائيا قد جاء لكل هؤلاء الملايين من الافريقيين فى وقت واحد ، ففى جنوب افريقية قامت اتحادات العمال والمنظمات السياسية للافريقيين منذ وقت طويل ، وفى السودان قام اتحاد العمال ، حتى قبل أن يفهم العمال معنى هذا الاصطلاح ، ولم يكونوا قد اتصلوا قط بأى طابع من طوابع حركات الطبقات العمالية فى الخارج ، وفى ساحل الذهب ونيجيريا انتشر الوعى القومى بسرعة ، وقامت اضرابات هنا ومظاهرات سياسية هناك ، مع بعض العنف أحيانا ، قام بها الشباب وأحيانا النساء ، واضاف هذا كله مزيدا لاستيقاظ القارة .

ولعب آلاف الافريقيين دورا فى الحرب العالمية الثانية ، وعرفوا أن هذه الحرب قد قامت ازاء الاستبداد والطغيان ، وانها قامت من أجل الحرية ، وسمعوا شيئا عن ميثاق الأطلنطى وما فيه من الوعد بمستقبل احسن للناس فى كل مكان ، واتصل هؤلاء الافريقيون بأناس ومجتمعات أحسن منهم حالا ! .

وتركت الحرب ملايين الافريقيين على علم — وربما لأول مرة — بأنهم يمكن أن يحققوا مستقبلا احسن لأنفسهم ، لو عملوا وكافحوا من أجل هذا . ولهذا لم يكن ليدهش الناس عندما اكتسحت افريقية موجة من

الاحتجاج عندما قال ونستون تشرشل « انه مهما كان فى ميثاق الأطلنطى من وعود ، فان على شعوب افريقية الا تعتبر أن لها مكانا فى هذه الوعود » .

ومع سير الحرب وضحت هذه المعالم ، ففى سنة ١٩٤٢ نظم رجال السكك الحديدية فى نيجيريا اضرابا ناجحا ، وفى سنة ١٩٤٤ قام فى نيجيريا وفى الكمرون أول مجلسين وطنيين ، ولأول مرة فى تاريخ المستعمرتين طالب الناس بالاستقلال التام ، وفى كينيا أحست السلطات بالتهديد الذى جاء به الكيكويو ، وفى سنة ١٩٤٥ قامت المظاهرات والاضرابات فى أوغندة ، ووصل الأمر الى تقديم الالتماسات للأمم المتحدة ، وفى سنة ١٩٤٥ أيضا بدأ الاضراب فى نيجيريا ، وكان الاضراب عاما اشترك فيه الفلاحون ، وأفراد الطبقة المتوسطة ، وانتهى بعد ٤٤ يوما محققا نصرا كبيرا ! .

وفى سنة ١٩٤٦ نظم ستون الف عامل افريقى اضرابا فى مناجم الذهب بجنوب افريقية مطالبين بزيادة الأجور ، وفى كينيا قام اتحاد كينيا الافريقى تحت زعامة جومو كينياتا ، وفى غرب افريقية الفرنسى قام اتحاد ديمقراطى له مؤسسات وجماعات فى ثلاث عشرة منطقة لفرنسا جنوب الصحراء ، وتطلب الأمر من فرنسا سنوات مستخدمة البوليس والجيش لتحطيم قوة هذا الاتحاد ، وكان الجنود الفرنسيون يطلقون الرصاص على الجزائريين والتونسيين والمراكشيين وسكان غرب افريقية واهالى مدغشقر الذين فقدوا وحدهم تسعين الف رجل وامرأة منذ نهاية الحرب ! .

على أنه من الممكن أن تعرض قصة الثمانى السنوات الأخيرة فى صورة واضحة للاضطهاد ، اطلاق الرصاص على المعدنين ، قتل القرويين ، حل للأحزاب السياسية واتحادات العمال ، القبض على الزعماء وسجنهم ، اغلاق دور الصحف وتعطيل صدورها ، ولكن هذه الصورة تعتبر صورة مخادعة ، لأن كل هذه الوسائل والتدبيرات للاضطهاد والقمع قد استخدمت معا وفى كل مكان ، ومع هذا بقى الافريقيون مصرين على المطالبة بالحرية .

على أن الناحية البارزة فى هذه الصورة للسنوات الماضية ، هى عدم توقف سفك الدماء فى كل ممتلكات فرنسا وبريطانيا فى قارة افريقية ، وكانت هذه الدماء هى دعامة العمل للحرية ، وكان التطلع للحرية أقوى من انشاء القواعد الأمريكية فى مراكش ، وأقوى من مشروعات الاتحادات الفدرالية وسط القارة ، وأعظم من انشاء رابطة الشعوب الفرنسية الافريقية ! لأن هذا كله لم يصرف الناس عن الهدف الأسمى ، هدف التحرر والاستقلال ! .

الاستعمار يقضى على الأطفال :

على أن هنا قصة تستحق الذكر ، ففى أوائل أيام ديسمبر سنة ١٩٥٣ اشتركت وزارة المستعمرات وبعض الهيئات المستعمرة لنقل أم افريقية من بلدتها « كانو » فى نيجيريا الى لندن بطريق الجو لاجراء جراحة

لتواميـها اللذين ولدتهمـا متصلين ، وعبئت كل القـوى وكل الجهـود ، وافردت صحف بريطـانيا كلها مكانا لقصة الأم وقصة التوامين ، وأجريت الجراحة ونجحت ، وعادت الأم الى بلدتها تحمل معها طفلتها (بوكو) التى نجت بعد هـذه العملية الجراحيـة الناجحة ، كما حملت معها الكثير من الهدايا التى قدمهـا لها أفـراد من الانجليز استثارتهم شجاعتها .

وكان من المدهش أن تعنى وزارة المستعمرات بهذه الأم الافريقية غير المعروفة من أحد ، وكان من الصعب ان يدرك الناس السبب الحقيقى وراء هذا ! فقد ارادت وزارة المستعمرات ان تبعد الراى العام البريطـانى مـن ملاحقة الهجوم البرلمانى العنيف الذى يوجهضد مستر أوليفر ليتلتون وزير المسـتعمرات ، للوحشـيـة التـى يستخدمها عملاؤه فى كينيا ، وكانت الأم مسز ديفى قد استخدمت كغرض للدعاية ، ليقدم للنـاس فى بريطانيـا صورة رسمية للعنـاية بأم افريقيـة ووليدها وهى صورة أبعد ما تكون عن الحقيقة ! .

فان مسز ديفى نفسها كانت تعيش حياة اكثر هناء ورفاهيـة من الكثير من الأمهات الإفريقيات ، كان زوجها صرافا يتقاضى اثنى عشر جنيها شهريا وكانت هى تنقد ثمانية جنيهات لعملها بائعة مساعدة فى متجر ، وكان هـذا ولا شـك ثروة فى مدينـة « كانو » الضيقة الدروب ، ذات الدور المبنية باللبن . وكانت الأسرة تقيم فى كوخ من الطين من حجرتين أجرهما جنيه واحد فى الأسبوع ، وكانت الزوجة تطهـو طعامها فى اناء تضعه على احجار ثلاثة تشعل النار بينهما ، وفى هذه البيئة كانت بوكو تنمو ، ولكنها كانت أسعد حالا من غالبية الأطفال الافريقيين ، فالأطفال هم الضحايا الأولون للاستعمار ، وهم يتأثرون أكثر وأعمق من اليافعين ، وجناية الاستعمار فى افريقية البريطانية بالنسبة الى الأطفال بعيدة المدى ، فكل طفل افريقى يلقم ثدى أمه فى الشهور الستة الأولى من حياته ، والرضاعة من ثدى الأم أصلح غذاء للطفل ، ولكن بعد هذه الشهور الستة الأولى لايجد الغذاء الكافى . ثم لا توجد الوسـيلة لتغذيته صناعيا بالغذاء المناسب ، ومن ثم تتحـول بشرتهم الى الصفـرة ، وتنمو شعورهم ناعمة مستقيمة ، ثم لا يزداد وزنهم تبعا للتدرج الطبيعى كغيرهم من الأطفـال فى العـالم كله ، ويؤثر الغذاء على الكبد ، وربما أثر على البنـكرياس والكليتـين ، وتدل الاحصائيات على أن كل الأطفـال الافريقيين يمرون بهذه المرحلة ، وغالبا ما يموتون أثناءها ومن طالت حيـاته منهم لا يبرأ من علله تماما ، وفى تقرير للدكتور « ترooويل » عن ولاية النيجر نجد أن ٢١٪ من الأطفال يموتون فى نهاية السنة الأولى و ٣٢٪ يموتون فى نهاية السنة الثانية و ٤٠٪ يموتون فى نهاية السنة الثالثة ، فاذا وصلنا الى السنة الخامسـة كان ٥١٪ مـن مجموع الأطفال قـد فقـدوا حياتهم لسبب واحـد رئيسى هـو الأمراض الناشئة عن سوء التغذية ، ويصل هذا العدد الى ٧٥٪ فى الولاية الشرقيـة من نيجيريا ، وفى كينيا يصل ٦١٪ من الأطفال الى الخامسة ، و٥٦٪ الى سن

الخامسة عشرة ، وفى نيجيريا بعد ٧٥ سنة من الاستعمار أنشأ الانجليز مستشفى واحداً لأمراض الحمى ، فيه طبيب واحد لكل ٦٠٠٠٠ من السكان ، على حين يوجد طبيب فى بريطانيا لكل ألف من السكان .

التعليم :

على أن أطفال افريقية لا يقاسون الأمرين من المرض وحده ، بل ان أولئك الذين ينجون من المرض سرعان مايجدون شيئاً آخر ينتظرهم هو عدم توافر ما يتوقون اليه من تعليم ، والتقارير الرسمية كلها تتحدث عن تطلع الافريقيين للتعليم ، يقول وزير الشئون المحلية فى روديسيا الجنوبية فى تقريره لسنة ١٩٥٠ : « أن الوطنيين يتعطشون الى التعليم ، بل انهم يفضلونه على أى شىء آخر ، ولكن — وما أغرب هذا الاستثناء هنا — بسبب الحاجة الاقتصادية التى ترغم الأحداث على الذهاب الى المدن للعمل للأوروبيين ، وبسبب عدم توافر العدد الكافى من المدارس ، وصعوبة امدادها بالمدرسين المدربين ، فان المسئولين عن توجيه التعليم يواجهون مشكلة لها خطرها ، بالنسبة للمراهقين الذين يريدون أن يتعلموا . هؤلاء الذين يتعطلون عن العمل والذين قد تتوفر الأموال ليبتاعوا لأنفسهم ما يلزمهم من الأدوات لطلب العلم » ..

وهذا طابع جديد مخيف فى التقدير للأشياء بأقل من حقيقتها ، ثم يتحدث التقرير عن حاجة الأحداث للذهاب الى المدن للعمل للأوروبيين ، فكيف نشأت هذه الحاجة ؟ انها نشأت بسبب أن الأوروبيين ملاك الأراضى يدفعون جنيهين شهريا للعامل الافريقى الذى يفلح الأرض فى حين أن متوسط الأجر الشهرى فى المصانع بين خمسة وعشرة جنيهات .

ويشير التقرير الى النقص فى المدارس ، والى النقص فى المدرسين ، وفى كل مرة يتحدث التقرير عن وعد الحكومة بزيادة ميزانية التعليم ، ولكن الحكومة تماطل سنة بعد أخرى ولا تفعل شيئاً من هذا ، وليس الموقف بأحسن حالاً فى المناطق التى تدار مباشرة من «الهوايت هول » عما هو عليه فى روديسيا الجنوبية ، وحتى فى البلاد ذات الاستقلال الذاتى ، ولننظر مثلا الى الكمرون التى تتولى بريطانيا الوصاية عليها باسم الأمم المتحدة ، فان النشرة الرسمية للأمم المتحدة (عدد مارس ١٩٥٠) تقول ان الناس فى كل مكان من الكمرون يطالبون بمزيد من التعليم ، بل وبتحسين طابعه ، ويطلبون تعليما اجباريا فى المدارس الأولية والثانوية ، ويطالبون بزيادة التعليم المهنى والتجارى ، فهل يتحقق هذا ؟ !! لا ان عدد الأطفال الذين يذهبون الى المدارس فى الكمرون لم يزد اطلاقا عن الخمس فى فصول مزدحمة ومعاهد تفتقر الى العدد الكافى من المدرسين ، والى الأدوات المدرسية ، وفى كينيا لاتوجد أماكن لأكثر من ربع الطلاب ، وفى جنوب غربى افريقية لا يوجد أى تعليم فى مناطق كثيرة ، وفى سوازى لاند أقل من ربع الأطفال يذهبون الى المدارس لأنهم يجدون أماكن بها .

والأكثر اثارة للدهشة ان الطالب الافريقى يتكلف على الحكومة سنويا بين ٤٢ قرشا فى روديسيا الجنوبية

و ٧٣ مليما فى كينيا و ٦٥ مليما فى نياسالاند فأى نوع من التعليم هذا ؟!!.

ولكن ما هو نصيب القلة من الافريقيين الذين ينالون حظا من التعليم ، ويحصلون على الدرجات العلمية ؟؟ .

يقول الدكتور م . موليرا مساعد محاضر بمدرسة الدراسات الشرقية والدراسات الافريقية بجامعة لندن فى كتابه « اوغنده المجهدة » : انطالبين من اوغنده كانا يدرسان فى لندن فحصل أولهما على مرتبة الشرف الأولى من «كمبردج» على حين حصل الثانى على دبلوم التربية والتعليم ، وعاد الطالبان معا الى اوغنده ، وبوصولهما تعين الثانى - وهو ابن أحد ملاك الأراضى البيض - مفتشا للتعليم بمرتب ٥٥٠ جنيها سنويا ، يرتفع الى ١٣٤٦ جنيها ، على حين قيل للثانى انه سيظل تحت المراقبة ثلاث سنوات ، ثم عين بعدها بمرتب ٣٣٠ جنيها سنويا ، على ان تكون نهاية درجته ٤٥٦ جنيها سنويا ، ثم لا شىء بعد هذا ،وجاء وقت كان العالم الافريقى ناظرا لمدرسة ثانوية تحت اشراف الانجليزى الأقل منه علما .

الجوع الافريقى :

والجوع فى افريقية ظاهرة عامة ، ذلك لأنه فى مقابل كل افريقى يجد لنفسه ولأسرته طعاما لكل يوم من أيام السنة يوجد المئات الذين لا يجدون اطلاقا ما يكفيهم أو يكفى أسرهم ، يرون ولادهم ،يتضورون أمام أعينهم، فالجوع فى افريقية حقيقة تغطى وتطغى بالنسبة للافريقى على كل شىء آخر،

ولاشك أنه لايمكن للرجل الذى تتضور أسرته أمام عينيه جوعا الا ان يفكر فى البحث عن أية وسيلة لمنع هذا الموت البطىء جوعا !! !

ان الكتاب الأوروبيين يقولون فى الحديث عن هذا ، انه سوء التغذية، أو نقص التغذية ،أو عدم كفاية التغذية، ولكن أيهم لو قاسى هذا لما وجد له من معنى آخر غير كلمة « الجوع » !! .

ونتائج الجوع فى افريقية خطيرة ، فنسبة المواليد تتأثر ، والطاقة على مقاومة الأمراض تتأثر ، ولاشك أن الكثيرين من الافريقيين يموتون من أمراض ما كان من الممكن أن تقتلهم لو توفر لهم الغذاء الكافى .

ولايمكن أن يوصف هذا بأنه مسألة تعارض كل عوامل الانسانية فحسب، بل انه جريمة لأنه مضيعة الجنس البشرى ، وقد شكلت الحكومة البريطانية عدة لجان لبحث « الجوع الافريقى » وكان ما كشفت عنه هذه اللجان مخيفا مفزعا ، وقد جاء فى تقرير اللجنة الطبية فى شرق افريقية لسنة ١٩٥١ : « ولا نهاية للجهود التى يبذلها «الواكارا» رجالا ونساء وأطفالا الحصول على الغذاء » ، ويقول تقرير لجنة الثروة الحيوانية فى نيجيريا لسنة ١٩٥٠ : « اننى واثق من أن ٥٠٪ من الفلاحين فى هذه المناطق لا يأكلون االحم الا عندما تموت ماشيتهم مجهدة من العمل فى الحقول»، ويقول تقرير لجنة العمل فى جنوب غربى افريقية عن السنوات ١٩٤٥ - ٤٨ : « ان أغلب السكان لا ينالون النصيب الكافى من التغذية » وتقول

مجلة الأحوال الاقتصادية التى تصدرها الأمم المتحدة فى مجلد سنة ١٩٥١ : « ان الوجبة الغذائية فى افريقية تعتبر من أقل المستويات فى العالم » .

وهكذا تشير التقارير كلها ، وهى تتحدث عن هذه الصورة المخيفة .

وافريقية منطقة تجتاح الأمراض والجوع هو السبب الرئيسى ، وأمراض الافتقار الى التغذية تتضمن القرحة ، والبلاجرا ، والاسقربوط ، والبرى برى ، والسلاق (مرض العيون) ، ثم السل ، وغيرها من الأمراض التى تفعل فعلها بسرعة عند انخفاض المقاومة .

ولا شك أن هذه الأمراض تضعف طاقة العامل الصناعى وقدرته وهذا هو السبب الرئيسى فى أن شركات التعدين فى روديسيا الشمالية ، تنفق اليوم بعض دخلها على الخدمات الطبية ، وقد جاء فى تقرير لحكومة روديسيا الجنوبية سنة ١٩٣٥ أن ٥٥٪ من الـ ٧٥٫٠٠٠ عامل افريقى ، قد أصيبوا بالسل ، وقد أشار التقرير الى أن هذه النسبة كان من الممكن تخفيفها لو كانت الشركات قد قدمت للعمال وجبات غذائية كافية ، أو يسرت ذلك لهم ، وقد اثبت التقرير بما لا يدع مجالا للشك أن الأمراض المنتشرة بين الوطنيين نتيجة مباشرة للتغذية غير الصحيحة ، ولنقص الأغذية الوقائية .

والواقع أنه من الصحيح أن العمال الذين يصابون بأمراض مزمنة لا يستطيعون القيام بعمل متواصل ، فجهدهم دائما أقل من غيرهم ، انهم يحسون بسرعة بالاجهاد ، ولهذا ففى نيجيريا لا يعمل عمال المناجم أكثر من خمسة عشر يوما كل شهر ، لأنهم لا يستطيعون العمل أكثر من هذا ، وعندما دخل التجنيد أيام الحرب العالمية الثانية بين عمال مناجم القصدير وجد أن أكثر من نصف العمال لا يصلحون من الناحية الطبية للعمل الذى يقومون به .

فما السبب فى هذا ؟ !!

ان كل الرحالة الذين زاروا افريقية فى منتصف القرن التاسع عشر قد تحدثوا عن البناء الجسمانى القوى للسكان ، ومعنى هذا ان افريقية منذ مائة سنة كان تمد سكانها الأكثر عددا مما هم الآن بكفايتهم من الغذاء .

فكيف انقلبت الصورة وتغيرت الحال ؟ !! .

الذى حدث هو أن شركات الاستثمار جاءت الى افريقية ، ومع استصلاح أراض جديدة ، واستخدام وسائل الزراعة الحديثة فى مناطق فسيحة ، وبخاصة فى شرق وغرب افريقية ، فان الأرض قد سلبت من أصحابها الافريقيين ، الذين أرغموا على التزاحم فى مناطق محددة ، فلا يتوافر لهم المكان للاقامة ، ولا الانتاج للاستهلاك ، ولم يعد فى استطاعة الافريقيين أن يتابعوا نظامهم التقليدى ، وكان نتيجة هذا ضعف اخصاب الأرض التى بقيت فى حوزة الافريقيين .

ومع أن الأراضى المملوكة للافريقيين تفتقر افتقارا ملموسا الى المخصبات فان افريقية قد أنتجت فى سنة ١٩٤٨ ما يصل الى ٣٥٫٥٪ من انتاج الفوسفات فى العالم كله .

ان عدم التوازن فى الزراعة الافريقية يبدو واضحا من أن حاصلات الكثير من المستعمرات تجمع للتصدير ، مع عدم الاهتمام باحتجاز الغذاء اللازم للأهلين .

ان « الجوع الافريقى » هو النتيجة الحتمية للاستغلال « الامبريالى » وانه بدون هذا الاستغلال كان من الممكن أن تمد افريقية سكانها كلهم بوجبات غذائية كافية وصحية بالقدر الضرورى وزيادة !! .

ولكن كيف يتسنى مع وجود الاستعمار والمستعمرين ؟ !! .

العمل والعمال : ان وجود عمل وعمال يتطلب وجود اتحاد أو نقابة للعمال وهذه مسألة طبيعية ، ما فى هذا من شك ، فليس وجود الاتحادات أو النقابات فى افريقية بدعة ولا ضلالة ، وقد نشرت ادارة العلاقات العامة فى ساحل الذهب (غانه فيما بعد) سنة ١٩٣٨ كتيبا وسم بعنوان « أنت واتحاد العمال » وقد قدم الكتيب تسعة أهداف لاتحاد العمال يمكن اختزالها فيما يلى :

١ ـ ايجاد منظمة كاملة التكوين .

٢ ـ الحصول على أجور وأموال عمالية مناسبة .

٣ ـ تنظيم العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال واقرار المنازعات بينهم .

٤ ـ الحصول على بعض المنافع للعمال المشتركين فى الاتحاد .

٥ ـ النهوض بالتشريعات لصالح العمال .

٦ ـ توجيه الأغراض السياسية القانونية التى تؤثر على العمل .

٧ ـ نشر الدعاية المناسبة .

٨ ـ الاتصال بالهيئات التى تعنى بمصالح الاتحادات .

٩ ـ العمل على رفاهية اعضاء الاتحاد .

ومع أن الكتيب يتحدث عن أن اتحاد العمال ليس منظمة سياسية ، وأن الاتحاد يتكون لمنع الاضراب كلما امكن اذ أن الاضراب لا فائدة منه للعامل ولا لصاحب العمل ، وأن العمال يجب أن يتيقنوا من حسن سير العمل مما يمكن من رخاء العمل ومن انتفاع العمال ، وأن لجان التفاوض يجب أن تضع نصب أعينها : أن العامل يجب أن ينال أجره من صاحب العمل ، وأن صاحب العمل فى الوقت نفسه يجب أن يحصل من العامل على عمل كامل عن اليوم الذى ينقده اجره ، وأنه يجب دائما تقدير ما يستطيع صاحب العمل أن يدفعه ، وأن الاتحاد يجب أن يطلب من عماله القيام بواجباتهم على أكمل وجه .

وقد أشار الكتيب الى واجب العمال على القيام بالعمل على أكمل وجه ست مرات ، ولم يشر الى زيادة الأجور ثلاث مرات ، كما كرر هنا وهناك أن اتحاد العمل ليس منظمة سياسية ! .

ولكن مع هذا فانه فى يناير ١٩٤٧ عندما طالب عمال ممباسا فى كينيا بزيادة الأجور تحت زعامة « شبيج كباشيا » استخدم الجنود ضد العمال وقبض على رئيس الاتحاد ، ولكنه أطلق سراحه بأمر المحكمة العسكرية .

وفى سبتمبر من السنة نفسها حدث اضراب آخر ، فقبض على اثنين وعشرين عاملا حكم على عشرين منهم بالسجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة ، وعندما أطلق رجال البوليس الرصاص على المضربين قتلوا ثلاثة عمال ! .

وفى سنة ١٩٤٨ احست السلطات بحاجتها الى تشريع ، لكبح جماح الاتحادات والنقابات ، فأصدرت قانون الاتحادات ،وقانون تسجيل النقابات،

وفى ضوء القانون كانت الحكومة تستطيع التدخل حتى فى كيفية التصرف فى نفوذ الاتحادات ! .

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٨ قبضت الحكومة فى كينيا على «ماكهان سنغ»، سكرتير عام اتحاد نقابات العمال وأمرت بنفيه عن البلاد مع أنه مواطن له كل حقوق المواطنين ، وفى فبراير سنة١٩٤٩ رفضت محكمة الاستئناف فى شرقى افريقية التماس « مستر سنغ » بالابقاء على تصريح الاقامة الممنوح له ، وكانت الحكومة قد أصدرت عدة قوانين للطوارىء ، وزادت من سلطانها ، وكان من الواقع أن تعمل الحكومة للقضاء على النقابات بمطاردة زعمائها وسجنهم أو ابعادهم من البلاد ! .

وفى أواخر فبراير قبضت سلطات الحكومة على نائب رئيس وسكرتير عام الاتحاد وعمال شرق افريقية ، واتهمتهما بالتشرد (!!!) وحكمت عليهما المحكمة بالسجن ستة شهور وأربعة شهور على التوالى ،ثم هاجم البوليس مكان الاتحاد فى « ممباسا » واستولى على سجلاته واستمارات الأعضاء .

على أن القبض على «مستر سنغ» و « مستر كوبى » سبب اضرابا عاما فى نيروبى ، فكان رد الحكومة الاسراف فى القبض على المضربين وزجهم فى السجون ، وسجلت الصحف المحلية أن الحكومة وقوات البوليس استخدمت الغاز المسيل للدموع ، وحملات الرشاش الآليه ، والسيارات المسلحة، بل والطائرات ضد المضربين ،وقدرت جريدة « ايست أمريكا ستاندارد » عدد المقبوض عليهم بثلاثمائة عامل .

عدالة زائفة : وفى الوقت الذى كانت الحكومة ، بل الهيئات القضائية، تصدر هذه الأحكام على المضربين أو على العمال الذين يتهمون بالحث على الاضراب كانت تنظر الى جرائم الأوروبيين نظرة تخالف هذه تماما ! .

يقول « جون بيرجر » فى كتابه « ثقل عبء الرجل الأسود » :

ان المحكمة العليا فى ابريل من سنة ١٩٣٩ انتهت الى قرار بادانة ثلاثة من الأوروبيين فى جريمة قتل عامل افريقى ، فقد أمسك به اثنان ،وضربه الثالث حتى مات بوساطة قضيب من الحديد ، وقد مات العامل بعد ثلاث ساعات من عرضه على الطبيب ، ومع هذه الادانة فان القاضى قد قال فى حكمه بأن الضرب كان وحشيا ، ولكنه كان من واجب الأوروبيين الذين هم بمثابة الأوصياء على الوطنيين أن يؤيدوه فقط دون ما حاجة الى هذه الوحشية ، ولهذا فقد حكم على رئيسهم بالسجن لثلاث سنوات مع ايقاف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات مع المراقبة ، وبغرامة مائتين وخمسين جنيها ، وحكم على الاثنين الآخرين

بغرامة مائة وخمسين جنيها ، أو السجن لمدة سنة واطلق سراحهم لمدة ٤ أيام لاحضار قيمة الغرامة وبالطبع لم يسجن واحد منهم ، وكان التعليق فى الصحف تحت سطر خط بحروف كبيرة « حكم قاسى على ثلاثة من ملاك الأراضى ! » .

وقد أصدرت المحاكم فى كينيا عدة احكام بسيطة مماثلة فى جنايات قتل الوطنيين .

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٣ عدلت حكومة نياسالاند القانون ، لتستبدل المادة التى تقضى بالسجن لخمس سنوات بسبب الاشتراك فى الاضطرابات بالسجن مدى الحياة ، وزيدت مدة السجن للاشتراك فى منظمة غير قانونية من السجن لسبع سنوات الى السجن أربع عشرة سنة.

وهذا هو الطابع المتماثل فى كل ممتلكات بريطانيا فى افريقية ، وفى كل مكان يسيطر فيه المستعمرون الأوروبيون ، لهذا كان من الضرورى أن يقف الافريقيون على أقدامهم فى منطقة أثر منطقة ، وفى بلد أثر آخر ، ليطالبوا بحياة أفضل لأنفسهم ولأطفالهم ، وليس من حياة أفضل الا بالتحرر وبالاستقلال ..

وهكذا كان ..

* * *

ان كتاب ديريك كارتن بصفحاته التسع والتسعين التى جمعت اثنى عشر فصلا لكتاب جديد بالنسبة لى ولك ولكل افريقى يعيش فى قارتنا افريقية هذه ، فقد صدر سنة ١٩٥٤ ولكنه لم يصل الى يد افريقى قط فقد حالت دون نشره وتداوله سلطات وزارة المستعمرات البريطانية، التى كانت تحاربه ، وتسد الطرق أمامه ، ذلك لأن الرجل يقدم الصورة السوداء للامبريالية البريطانية والامبريالية الفرنسية والامبريالية الأوروبية للدول المستعمرة التى استعمرت ، واستغلت قارتنا افريقية ، واغتصبت ما قيمته آلاف الملايين من الجنيهات من المواد الخام من باطن الأرض ، ومما ينبت فوق سطح الأرض ، وتركت الافريقيين يتضورون جوعا ، حتى أوجدت ما أسماه الكتاب « الجوع الافريقى » .

ولقد صدق الرجل وهو يقدم فى السطور الأخيرة من كتابه كلمات لافريقى أسود هو « آمى سيزار » عضو المجلس الوطنى الفرنسى جاء فيها :

« فى كل مرة تقطع راس فى فيتنام، وترضى فرنسا ، وتقتلع عين ، أو تغتصب فتاة ، أو يعذب فلاح فى مدغشقر ، وترضى فرنسا ! فى كل مرة يحدث هذا تفقد المدينة خطوة من خطواتها للأمام ، وتعود خطوتين للخلف ! أن السم ينساب فى عروق أوروبا وشرايينها ، ليعود بها ببطء نحو الوحشية ، فى طابع من البربرية الحديثة !! » .

ان القارة التى وقفت على قدميها كالعملاق قد استيقظت تماما ، هذا الاستيقاظ الذى كان يخيف أوروبا . وقد حان الوقت فعلا لأن تحس بهذا الخوف ، ويتملكها الفزع ، ومن العدالة أن يستشعر الأوروبيون بنتائج ما قدمت أيديهم فى قرون سابقة .. !

man gone to such lengths to propitiate evil. It is ironic indeed that Macmillan, who stormed with shame and fury during the days of appeasement, should now find himself genuflecting before a system which differs little in kind, if still in degree, from Hitler's Reich. Power is the great reconciler.

But these humiliations are only a foretaste of what is to come. Events in the Union, as elsewhere in Africa, are beginning to march to a faster rhythm. Dr. Verwoerd is accelerating his attempts to erect an impregnable racial police-state; next year, for instance, the press is to lose what little freedom it still possesses. The Africans, too, are stirring. The sporadic outbreaks of rioting which have erupted in recent months are part of a general shift away from legal opposition to force of arms. African national consciousness is maturing, and the apartheid system leaves it no outlet except violence. Some of Verwoerd's henchmen foresee the clash, and welcome it. They believe that by slaughtering a few thousand Africans they can inaugurate a long period of apathetic peace. They are preparing. Not only are they buying large quantities of Saracen armoured cars from Britain, but they are also reorganising their army on a territorial basis so that it can be instantly and effectively deployed to cruch an uprising. The Defence Minister, Mr. Erasmus, says he is stationing shocktroops at strategic points throughout the country'. He is purging the armed forces of English-speaking officers, especially those who fought against Hitler, and replacing them with Afrikaners, some of whom proved their 'loyalty' by refusing to fight against the Nazis. Most significant of all: certain officers have been sent to Algeria, to study French methods of 'pacification'.

When the clash comes, where will the British government stand ? It is a measure of Mr. Macmillan's shifty ambiguity that the question has to be asked at all. He must know by now that the overwhelming majority of the British people detest apartheid. When he gets to Johannesburg, will he speak for Britain ?

FROM BERCHTESGARTEN TO JOHANNESBURG

This week Mr. Swart, the newly appointed Governor-General of South Africa, is to come to London at the invitation of the Queen. He is a life-long hater of Britain, who in 1939 bitterly opposed South Africa's entry into the war against Nazi Germany. His chief claim to fame is his success in piloting through the South African parliament a bill for the flogging of African offenders against the apartheid race-laws, punctuating his speech by waving a *sjambok*. His best-known remark is his reply to opposition members who sought to reduce the sentence from 15 strokes to ten: 'What are five strokes among friends?' He does not hide his detestation of the British connection and his determination to break it. This man is now to kiss hands, receive the seal of office and thus become the official repository of British honour and approval.

The situation would be ludicrous were it not also tragic. For it springs directly from the exaggerated price which the British government is prepared to pay to keep South Africa in the Commonwealth. The apotheosis of Swart at Buckingham Palace is only one example of the humiliating surrenders of principle to which the government is constantly driven. Last month, when the United Nations condemned apartheid by an overwhelming majority, Britain voted against the motion. Apart from France, the butcher of Algeria, and Portugal, the landlord of the salve colonies of Angola and Mozambique, we were the only country to do so. According to the government, we snuggled in with these unsavoury bedfellows because the motion was contrary to the UN charter. Even were that flimsy argument accepted, the proper course was surely to abstain.

A further example of the government's desperate anxiety not to offend the Anglophobes of Johannesburg arose in the same debate. Time and again the Opposition pressed Mr Macmillan to put on public record his condemnation of apartheid. He refused, point-blank; like Macbeth, the words stuck in his throat. And there seems little doubt that, when he goes to the Union, he will pursue this policy to the bitter end and clasp in warm embrace the hand which wields the *sjambok*. Not since Chamberlain (who at least had some excuse) abased himself before Hitler has a British states-

A NOS MAQUISARDS

Par Camara Bass.

Ils allaient à travers la vaste forêt
Tout autour d'eux semblait calme, silencieux —
Depuis longtemps déjà, ils marchaient sans arrêt
L'air à la fois grave, imposant et sérieux —
Ce sont de jeunes maquisards
Qui combattent pour la libération de l'Afrique —
Qu'importe qu'ils ne soient encore bien connus
Puisque pour nous ils existent ?
Leur courage éclaire notre chemin
Et leur vaillance alimente notre espoir
Aujourd'hui ils sont notre orgueil —
Par beau temps comme par mauvais temps
Ils mènent la vie dure aux occupants,
L'ennemi partant est harcelé
Aussi utilise-t-il de gros moyens dans sa fureur.
Mais c'est sans résultats puisqu'il est bousculé —
Maquisard africain, tu es notre fierté.
Tu manques de tout et cependant tu tiens —
Tes propres souffrances, tu les ignores :
Tu as su maîtriser ta soif et ta faim ;
Et tu montes à l'assaut avec admiration —
Tu combats pour rendre à ton peuple tous ses biens.
Indépendance et réunification immédiates
Dignité africaine, liberté et unité
Ces mots-là, tu les défends au prix de la vie.
Tu ne luttes pas pour le plaisir de lutter
Tu luttes pour que ton peuple soit respecté
Ou'il ait sa place dans le concert des nations modernes
Une telle cause est sacrée et elle triomphera :
Toute force au monde qui s'y opposera
Sera impitoyablement écrasée —
Invincible maquisard africain
Comme tu es modeste après la victoire !
Continue donc ta marche en avant
Dans la voie que le colonialisme nous a imposée —
Ton grand peuple te comprend et t'entend
Ta présence partout l'encourage
Voilà pourquoi il est et restera avec toi.

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.

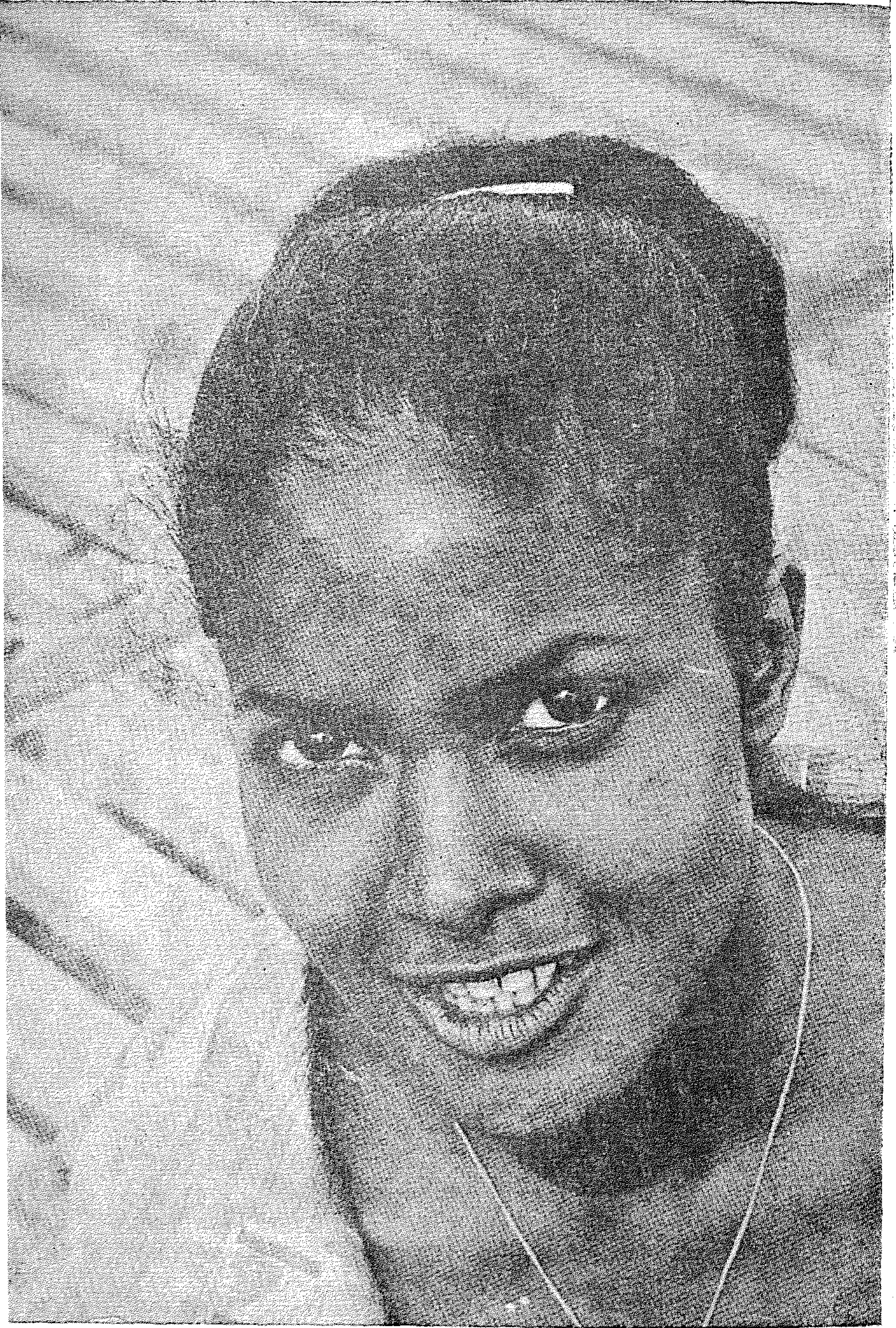


Nahdatu Ifriquiah

A monthly Magazine for African Culture.

Editor in Chief

M. ABD EL AZIZ ISHAK



« افريقية »

3rd. Year

Issue No. 27 February 1960

Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- HIGH DAMS OF AFRICA
- POLITICAL VIOLENCE IN AFRICA
- ECONOMIC SET-UP IN SUEZ CA
- BOOK ANALYSIS
- BOOK OF THE MONTH

30 Milliemes

السنة الثالثة العدد ٢٨ مارس ١٩٦٠



نهضة افريقية

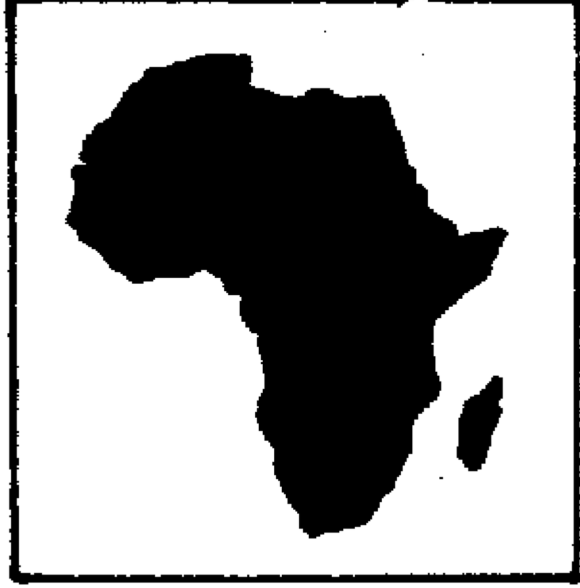
فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



عبور النهر

نهضة إفريقية



نهضة إفريقيه
مجلة شهرية
للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز إسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

احتفلت ((غانة)) بعيد تحررها الثالث فى شهر مارس ، وقد اهتزت القارة لهذه الذكرى ، واستعادت أمجاد هـــذه البلاد التى كان لتحررها فى غرب افريقية صدى سائد المتحفزين للمعـــارك ، والخائضين برماحهم فى أعمـــاق المستعمرين ما داموا يأبون الخروج الا على أطراف الرماح !

فقد أعلنت هـــذه البلاد فى فجر انتصارها أنها تؤمن بالكيان الافريقى الموحد ، ومن هنـــا رأيناها تحتضن مؤتمـرات الحـرية فى ((أكـرا)) ، وتسارع للاتحاد مع غينيا ، وتصادر الاموال الفرنسية احتجاجا على تفجير القنبلة الذرية فى الصحراء الكبرى وتقابل الدعوى العنصرية التى قامت فى انجلترا تطالب ((بمحو السواد عن وجه افريقية الأبيض)) بدعوى أخرى تطالب ((بمحو البيـــاض عن وجـــه افريقية الأسود !)) ... ثم نراها أخيرا تتوج انتصـــاراتها بما أعلنتـــه فى دستورها الجديد بأن من حق حكومات غانة المقبلة أن تقرر ايجـــاد علاقات اتحاد أو وحدة مع أية دولة افريقيـــة أخرى !

وهكذا نرى هـــذه الدولة الشابة تسهم مع بقيةالدول الافريقية بتصميم خريطة الحرية الشاملة لكل افريقية فىحاضرها الثورى ، ومستقبلهاالعظيم فقد مضى زمان افريقية المشتتة التى كان يخضع فيها الأب لتشكيل فرنسى والابن لتشكيل انجليزى ، وبقيـــة الأسرة لتشـــكيلات تتراوح بـــين البلجيكية والبرتغالية ، والاسبانية .

فافريقية تولد اليوم من جديد فى ((وحدة !)) .

((عبده بدوى))

محتويات العـــدد

من تونس إلى كوناكرى

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

كان مؤتمر تونس للشعوب الافريقية معرضا لتجمع القوى الوطنية المتوثبة، من جهة ، وتحفز القوى الاستعمارية المتراجعة ، من جهة أخرى .

فقد جاء الى تونس أكثر من خمسة وسبعين وفدا يمثلون الهيئات السياسية والنقابية والاجتماعية فى الدول الافريقية المستقلة وفى الأقطار التى أصبحت على عتبة الاستقلال (نيجيريا وتوجو والكونغو والصومال) وفى الأقاليم التى ما تزال تحت راية الكفاح ضد الاستعمار ، وتخلف عن المؤتمر وفد جمهورية السودان (لظروفها الخاصة) والمملكة الليبية المتحدة (اذ عاد وفدها محتجا على سوء معاملته على الحدود التونسية) واتحاد مالى (لانشغال قادته بالمفاوضات مع فرنسا للحصول على الاستقلال).

وفى مقابل ذلك حدثت زيادات لم تكن فى الدورة الأولى للمؤتمر التى انعقدت فى أكرا (فى ديسمبر عام ١٩٥٨) اذ جاء من يمثل اقليم « افريقية الجنوبية الغربية » (الذى يقع تحت وصاية اتحاد جنوب افريقية) ومن يمثل محمية « باسوتولاند » ، كما جاء وفد يمثل المنظمة الافريقية الجديدة المسماة على سبيل الاختصار « بافميكا » وهى التى تضم اقطار افريقيا الشرقية (أوغندا وتنجانيقا وكينيا وزنجبار ونياسا) .

وهناك ، فى دار الاتحاد العام للعمال التونسيين ، وتحت ظلال الأعلام الافريقية الخفاقة ، التقت الوفود ، ومن حولها كانت تحوم أفواج «المراقبين والمراقبات » الذين توافدوا من شتى البلدان ، ومن بينهم الآسيوى الصديق، والأوروبى الحاقد ، والأمريكى الطامع، وقد كانوا يتناثرون بين الأعضاء كلما انفض اجتماع ، يسألون هذا العضو، ويهمسون الى ذاك ويتواعدون على اللقاء مع ثالث فى احدى الخلوات .

وكان أكثرهم نشاطا فى ذلك صحفية انجليزية (يهودية) لم تدع وسيلة من وسائل التودد والمؤانسة الا اتخذتها مع أعضاء الوفود (وبخاصة وفود افريقية التى تمسك بتلابيب بريطانيا الآن فى عزم واصرار) .

ولم يكن دور المراقبين قاصرا على استراق السمع واستجلاب مكنون الأخبار ، وانما كانوا يحاولون توجيه الوفود لاتخاذ قرارت تحمل طابع المسالمة والاعتدال . وقد حدث عندما تقدم مندوب الجزائر بطلب تكوين فرقة من المتطوعين الافريقيين للوقوف

الى جانب المجاهدين الجزائريين ، أن انطلق بعض المراقبين الأمريكيين الزنوج ، يذيع بين الأعضاء أن هذا المطلب يخالف ما اتخذه مؤتمر أكرا من قرارات تحض على عدم اتخاذ العنف وسيلة لتحقيق المطالب الوطنية..

وكانت هذه أكذوبة كبرى ، فان مؤتمر أكرا لم يصدر قرارا كهذا ولم يلزم الشعوب الافريقية المكافحة باتخاذ طريق معين ، بل انه خذل اقتراح « عدم العنف » وقرر أنه من حق كل شعب افريقى أن يتخذ السبيل التى يراها ملائمة للتحرر من الاستعمار .

ولئن كان المراقبون الصحفيون الأجانب قد حاولوا « توجيه » المؤتمر، فان الصحافة ــ الأوربية والأمريكية ــ قد اتخذت من المؤتمر موقفا سلبيا يهدف الى التهوين من شأنه وعدم العناية بأمره ، ولهذا فان تلك الصحف لم تكن تنشر شيئا عن المؤتمر ونشاطه وقراراته ..

ورغم هذا فقد نجح المؤتمر وسجل فى دورته الثانية خطوات ايجابية تضاف الى ما حققته الدورة الأولى ..

فقد وافق المؤتمر على أن يوصى الحكومات الافريقية بتيسير تكوين فرقة المتطوعين الافريقيين ، ووضعها تحت تصرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ..

وقرر المؤتمر تكوين اتحاد عام للعمال الافريقيين تكون له شخصيته المتميزة بين اتحادات العمال العالمية ..

وقرر المؤتمر تكوين منظمة عامة تجمع شمل الطلاب والشباب الافريقى ..

وقرر انشاء معهد لانماء الثقافة الافريقية ودراسة الحضارات الافريقية .

وقرر تنظيم الدعوة لمقاطعة بضائع اتحاد جنوب افريقية .

وكان من أهم قرارات المؤتمر العمل على سحب الجنود الافريقيين (وبخاصة أبناء السنغال) الذين تجبرهم فرنسا على أن يقاتلوا فى صفها ضد اخوانهم الجزائريين .

وتوج المؤتمر أعماله بالعمل على انشاء جهاز يتابع القرارات التى اتخذها ويحث الحكومات المختصة على تنفيذها ..

وقد أوصى المؤتمر باتمام مشروع السوق الافريقية المشتركة والاسراع بوضع أسس التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى بين الأقطار الافريقية والعمل السريع لمحو « الجيوب الاقتصادية » التى خلفها الاستعمار فى كثير من الدول الافريقية المستقلة .

هذه هى النتائج السياسية والثقافية والاقتصادية للدورة الثانية لمؤتمر الشعوب الافريقية ، وهناك نتائج « سيكولوجية » لاتقل خطورة وأهمية فقد اكتسبت وفود « المستعمرات » طاقة كفاحية جديدة من اجتماعها باخواتها من الدول المستقلة التى عقدت العزم على بذل أقصى المعونة للشعوب المكافحة وقد كان من حسن الطالع أن يعلن استقلال الكونغو خلال انعقاد المؤتمر وقد كان لهذا الاعلان دوى يعلو على دوى التفجير الذرى الفرنسى ، اذ برزت على المسرح الافريقى فجأة دولة كبرى تقترب مساحتها من مساحة الصين الشعبية

وكان استقلالها حاسما ناجزا غير مربوط بقيد أو شرط .

وفى الوقت الذى جمعت فيه الوفود أوراقها لتعود الى بلادها كانت أذهانهم منصرفة الى اجتماع أوسع وأشمل فى « كوناكرى » عاصمة غينيا ، ونعنى انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى .

وما كاد الأعضاء يعودون الى بلادهم حتى بدت فى الأفق نذر تجارب ذرية فرنسية جديدة ، وتيقنت الشعوب الافريقية أن فرنسا مصممة على تسميم جو هذه القارة بتجاربها « البدائية » التى تغذى بها خيالات مجدها الذاهب ، وانها قد ضربت باعتراض هيئة الأمم المتحدة وغضبة الشعوب الافريقية وسخط الرأى العام العالمى ـ ضربت بهذا كله عرض الحائط . وعندئذ سارعت حكومة غانه فوجهت دعوة عاجلة لعقد مؤتمر افريقى يشمل ممثلى الحكومات والشعوب الافريقية فى آن واحد لاتخاذ التدابير العملية الملائمة لايقاف فرنسا عند حدها وتجنيب القارة مغبة تلك التجارب الجنونية . وقد سبق لحكومة غانه أن جمدت أموال الفرنسيين فى بلادها بعد التفجير الذرى الفرنسى الأول ، وهى تتطلع الى المزيد من التدابير الجماعية فى المجال الافريقى وفى المجال الدولى على حد سواء .

وقد تحدد يوم ٧ من أبريل موعدا لانعقاد هذا الاجتماع الطارىء وقدر أن ينتهى فى التاسع من ابريل لكى يتمكن الأعضاء من اللحاق بالمؤتمر الآسيوى الافريقى فى كوناكرى المقدر له الحادى عشر من الشهر نفسه .

وهكذا تتلاحق المؤتمرات التحررية ويأخذ بعضها برقاب بعض ، ويتطور الأمر من اجتماع على مستوى أفريقى الى اجتماع يضم ممثلى شعوب القارة الافريقية وممثلى الكتل البشرية الآسيوية الكبرى التى غيرت ميزان القوى فى العصر الحديث .

وسوف يجد مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى أمامه مائدة حافلة بالأحداث ، ولعل أول خطوة يتخذها المؤتمر تكون هادفة لتدعيم «التضامن نفسه » بعدما أصابه من هزات بين الدول الآسيوية فى الشرق الأقصى .

ويأتى بعد ذلك تدعيم الأفكار والمثل العليا التى انبعثت من «باندونج» وتأكدت فى القاهرة لدى انعقاد الدورة الأولى لهذا المؤتمر ونعنى بها مبادىء الحياد الايجابى وعدم الانحياز وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لأى دولة من الدول ، ونصرة قضية السلام والقضاء على حالة التوتر المسماة « بالحرب الباردة » .

ولقد يزيد من أهمية مؤتمر التضامن القادم أنه سوف يسبق « مؤتمر الأقطاب» بفترة قصيرة ، ولعل ممثلى شعوب آسيا وافريقية (وهما القارتان اللتان لن تمثلا فى مؤتمر الأقطاب) أن يثبتوا بتضامنهم أن بلادهم لن تكون موضع المساومة بين «الكبار» المتأهبين للاجتماع فى « جنيف » ، وان مصائر بلادهم لن تتأثر الا بارادتهم الحرة، ولن تخضع لاتفاقات يعقدها فيما بينهم أعضاء « النادى الذرى » .

ولعل مؤتمر التضامن يراجع « كشف الأرباح والخسائر » خلال العامين الماضيين ، ويتدارك مايكون قد أفلت منه من فرص ، ويهيىء أجهزته لملاحقة الأحداث السياسية التى اصبحت تنطلق كالصواريخ فى ارجاء الفضاء .

مصر والصومال

دكتور جلال يحيى

لعبت مصر دورا خطيرا فى تاريخ افريقية ، وتاريخ العالم أجمع ، فى القرن التاسع عشر ، فقد قامت بمجهودات موفقة ، وأدت رسالة عجز غيرها عن أدائها ، وأعطت هذه المجهودات ثمراتها . ولكن الجهل والحقد تعاونا سويا وتكاتفا معا ، لمحاولة طمس هذه المجهودات . جهل الافريقيين والمصريين ، الذين نقلوا آراء الغرب ، دون اعتداد بشخصيتهم وشخصية بلادهم . وحقد الأجانب والمستعمرين الذين عملوا على تقويض ما أنشأه المصريون ، لكى يحلوا محلهم فى افريقية ، بل فى مصر نفسها . وتشدقوا بأن مصر قد ذهبت الى البلدان الافريقية الأخرى لاستعمارها، وأن النظام المصرى لم يكن صالحا لهذه البلاد . وردد بعض الافريقيين ، بل المصريون أنفسهم ، هذا الحديث ،كما رددنا حديث « **الازدهار** » الذى ساد مصر فى ظل الاحتلال البريطانى ، وانشاء البريطانيين مشروعات الرى فى البلاد ، وكأن مصر لم تقم بضبط مشروعات الرى فيها ، وانشاء الترع والمصارف ، منذ أقدم العصور ، بل قبل أن تظهر انجلترا نفسها على خريطة العالم .

فأصبح لزاما على من يعرف أن يذكر من لا يعرف ، بذلك الدور الهام الذى قامت به مصر فى افريقية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر — حين قامت دولة افريقية موحدة تمتد من البحر المتوسط فى الشمال الى بحيرة فيكتوريا فى الجنوب ، ومن سواحل البحر الأحمر، وخليج عدن والمحيط الهندى فى الشرق، الى حدود دارفور فى الغرب . وقامت هذه الكتلة متميزة بذاتها ، معتزة بشخصيتها ، مدافعة عن أبنائها وحقوقهم وأراضيهم ، وسيادتهم الاقليمية أمام المستعمرين والمستغلين الأجانب . وأصبح للجميع فيها الحقوق نفسها ، والالتزامات نفسها .

فلم يقم المصريون اذن باستعمار البلاد الافريقية الأخرى ، كما تشدق بذلك بعض الجهلاء والحاقدين ، ولم يقم المصريون ايضا باستغلال موارد هذه البلاد ، والنزول بأهلها الى مراتب الرق والاستعباد .

وان صفحة الوحدة المصرية الصومالية فى أواخر القرن التاسع عشر ، لدليل قاطع على مايمكن للبلاد الافريقية أن تصل اليه اذا ما تعاونت وتكاتفت ووقفت صفا واحدا متحدا فى معركتها من أجل الحياة ، ومن

أجل بنـاء بلادها وازدهارها . وهى صفحة مجيدة تثبت امكان قيام هذه الوحدة فى أى شكل كان ، ما دامت الشعوب تسعى اليها وتناضل مـن اجلها ، خصوصا وأن مقومات هـذه الوحدة قائمة ، ولا يحاول اخفـاءها وطمسها الا من له مصلحة فى تقسيم المعسكرات الاقليمية ، والتفريق بين الأهالى ، بعثرة للجهود ، واضعـافا للقوى الوطنية ، حتى يتمكن من تحقيق مآربه والافادة من هذا الضعف ومـن تلك الفرقة ، على حسـاب أبنـاء البـلاد ومـواردهم ، بل وأرزاقهم واقواتهم .

شعرت مصر فى بداية القرن التاسع عشر ، نتيجة لاصطدامهـا بالقـوى الغربيـة ، بأهميـة مركزها الدولى والاسـتراتيجى ، وبضرورة اقامـة معسكر اقليمى قوى يستطيع أن يدافع عن حقوق المنطقة أمام الدول الغربية التى تمر عبر هذه المنطقة للوصول الى خـيرات ومنتجات الهنـد والشرق الأقصى . كما شعرت بضرورة العمل والبناء لتعويض مافاتها وهى فى سبات عميق ، امتد الى بضعة قرون ووصل بهـا الى حالة من الضعف والهـزال . فشمرت عن سواعدها ، وأخذت فى بناء اقتصادها على اسس جديدة ، ثم أخذت فى انشـاء قـوة مادية ، يمكنها أن تدافع بها عن مصالح مصر ، ومصالح الشرق الأدنى اذا ما تأزم الأمر ، وتألبت عليها الدول الغربية .

ثم أخذت مصر على عاتقها أمـر توحيد بلدان الاقليم المحيـط بهـا ، وانشاء دولة حديثة فى آرائها وأساليبها وامكانياتها ، ولم تكن هذه الحـركة قد فرضت على الاقليم رغما عنه ، اذ أن حركات أخرى اتحادية كانت قد ظهرت فى الاقليم نفسه ، وعملت الى الوصول الى النتائج نفسـها ، وان كانت قد انتهجت أساليب مختلفة ، مثل قيام الحركة الوهابيـة فى بلاد العرب ومحاولتها تكتيل شعوب الشرق الأدنى تحت لواء الدين الاسلامى ، بعد تطهيره مما التصق به من شوائب على مر العصور .

ولقد لقيت التجربة المصرية نجاحا منقطع النظير ، وتوحدت كل من بلاد الجزيرة العربية والشـام والسودان مع مصر ، ووقفت هذه الامبراطورية الافريقية الآسيوية سدا منيعا أمام الاستعمار وأمام المطامع الأجنبية .

ودق ناقوس الخطر فى انجلترا . وخشيت هذه الدول الاسـتعمارية الـكبرى وصـول الأساطيل المصرية الى المحيط الهندى ، وضياع الهنـد منها . فأخذت فى الاتصال بالحبشـة لتأليبها على السودان ، وحاولت تقوية مشايخ عمان ، ودفعهم الى الوقوف ضد هذه الدولة الناشئة ، ومنعها من الوصول الى الخليج العربى ، ثم احتلت صخرة عدن فى عام ١٨٣٩ ، لتتخذها قاعدة حربية لهـا ، للسـيطرة على السواحل الآسـيوية والافريقيـة الجنوبية ، ومنع المصريين من الخروج الى المياه الجنوبية ، بل اتخاذها منطقة ارتكاز لمهاجمـة السـواحل المصرية نفسها على البحر الأحمر . وأردفت ذلك بتـأليب الدول الأوروبيـة على مصر ، واقامة جبهة اوروبية متحدة ضدها ، وأرسلت قواتها لتقـويض أركان هذه الدولة الافريقية الآسيوية

التى أخذت على عاتقها أمر اعادة بناء مجد هذا الاقليم ، والدفاع عن مصالحه أمام الأطماع الأجنبية .

كانت انجلترا تخشى من خروج الروسيا الى البحر الأبيض المتوسط نتيجة لمعاهدة ((هنكار اسكلسى)) ، ولكنها كانت تخشى ازدياد القوى الوطنية فى بلاد الشرق الأدنى ،وتخشى نظام التجارة الخارجية الموحد ، الذى اقامته سلطة الدولة المصرية فى ذلك الوقت ، ويتعارض مع نظام التجارة الحرة الانجليزى ، وفوتت عليها فرص استغلال اقتصاديات هذه المنطقة الدولية الهامة .

ولقد توصل الانجليز الى تقويض اركان هذه الدولة الافريقية الآسيوية، واخرجوا المصريين من اقاليم الشام وبلاد العرب ، ولكنهم فشلوا فى اخراج المصريين من الأقاليم الافريقية التى اتحدت معهم . وبقيت مصر متحدة مع السودان انتظارا لفرصة جديدة تسمح لها بالقيام بواجبها تجاه البلاد المجاورة ، وجاءت هذه الفرصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

رات مصر عداء أوروبا لها للاتحاد مع الأقاليم الآسيوية المجاورة،فقررت أن تعمل على توحيد بلدان المعسكر الافريقى . وقارب مشروع شق قناة السويس من الانتهاء ، واخذت الدول الأوروبية تسعى الى الحصول على محطات تجارية وبحرية ، ومخازن للفحم ونقط للتموين على طول هذا الطريق البحرى الجديد الموصل بين الشرق والغرب ، وتقدمت الملاحة ، وطالبت المصانع الأوروبية بمزيد من المواد الخام ، وبمزيد من الأسواق الخارجية لتصريف المنتجات الأوروبية. وكان هذا يهدد بقيام مستعمرات أوروبية على طول طريق الملاحة البحرية الجديد عبر البحر الأحمر ،وباستغلال الدول الأجنبية لهذه الأقاليم وتحكمها فى امكانياتها . واخذت كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا فى البحث عن قواعد ومستعمرات جديدة وعملت على الوقيعة بين أبناء البلاد وضرب كل منهما بالآخر . واخذت « البعثات» الأوروبية تزور موانىء البحر الأحمر وخليج عدن ، محاولة شراء بعض الصكوك للاستناد اليها ، وانشاء قواعد لها تخدمها فى تجارتها وفى ملاحتها .

ورات مصر هذا النشاط الاستعمارى الأوروبى فى المناطق المحيطة بها ، وكان يقوم على توزيع الأموال فى بعض الأحيان ، كما فعلت انجلترا فى بربرة ، لخلق أعوان الاستعمار ، ويقوم على ارسال بعض الحملات الحربية كما فعلت انجلترا سنة ١٨٦٧ حينما انزلت قواتها الى الجنوب من مصوع ،وتوغل «الجنرال نابيير » على رأسها داخل الحبشة لتغيير النظام القائم بها ، مدعيا أن تيودور ، امبراطور الحبشة قد القى القبض على بعض الرعايا البريطانيين.

ورات مصر خطر هذا النشاط الاستعمارى عليها ، وعلى كل الأقاليم المحيطة بها فى وقت اتمام حفر قناة السويس ، وزيادة مرور السفن الأوروبية فى البحر الأحمر . فقررت

توحيد كل هذه الأقاليم فى نطاق دولة واحدة ، تقف كتلة وسدا منيعا أمام أطماع الأجانب . وكان على هذه الكتلة أن تضم كل سواحل البحر الأحمر وخليج عدن وبلاد الصومال ، ومنها غربا الى اقليم المديرية الاستوائية ، حتى حدود الكنغو والصحراء الكبرى فى الغرب .

* * *

بدأت مصر بتوكيد ادارتها على ميناءى سواكن ومصوع ، ولم يكن ذلك الا بدءا لتنفيذ هذه الخطة .

ثم أنشأت أسطولا قويا فى البحر الأحمر ، بقيادة جمالى بك ، وأمرته بالمرور على السواحل الغربية لهذا البحر ، وضمان عدم تدخل الأجانب فيها .

وكان البحر الأحمر خاضعا فى مجموعه ، منذ عدة قرون للدولة العثمانية ، صاحبة السيادة الفعلية على مصر اذ ذاك ، وعلى بلاد العرب . وانضمت ادارة أجزاء من سواحله ، فى فترة معينة الى الادارة المصرية ، وادارة أجزاء أخرى منه الى الادارة الموجودة فى الحجاز أو اليمن ،ولكن ضعف الدولة العثمانية وتفككها فى القرن التاسع عشر ، منعها من المحافظة على املاكها امام الأطماع الأجنبية . فشعرت مصر بواجبها فى هذا الميدان ، خصوصا أن هذه الأقاليم كانت قريبة منها ، وترتبط بها بروابط كثيرة ، منذ فجر التاريخ.

علم المصريون فى البحر الأحمر بنشاط الانجليز فى بربره ، ومحاولتهم خلق الضغائن بين الأهالى ، بل محاولتهم شراء عدد من ذوى النفوس الضعيفة ، يستندون اليهم فى توجيه ضربات للعناصر الوطنية والاتحادية والمعادية للاستعمار . فزار جمالى بك هذا الميناء ، وأنهى الخصومة بين الأهالى ،ودفعت مصر ديات القتلى من الجانبين ، ورحب أهالى بربره بقدوم اخوانهم المصريين ، ورفعوا العلم المصرى على مدينتهم ، وطالبوا بترك سفينة حربية راسية فى الميناء طول العام . وكان هذا من الأسباب القوية التى عرقلت نشاط الاستعماريين الغربيين فى هذه المنطقة ، واحتفظت للأهالى بحقوقهم كاملة غير منقوصة .

ثم علمت مصر بنشاط كل من الفرنسيين والانجليز قرب زيلع ، فطلبت من الباب العالى تحويل ادارة هذا الميناء اليها ، بعد أن كان تابعا لوالى اليمن . واقتنع الباب العالى بسلامة هذا التصرف ، مادامت مصر تدفع الجزية السنوية المقررة عن هذا الاقليم للدولة صاحبة السيادة . وانتقلت بذلك ادارة زيلع وملحقاتها الى الحكومة المصرية ، مما سمح لها بانشاء محافظة فى بربره ، وأخرى فى زيلع ومركز فى تاجورة سنة ١٨٧٥.

خضعت هذه الموانىء الثلاث ، وجميع السواحل الصومالية الواقعة بينها للادارة المصرية ، بل اتحدت هذه الأقاليم اتحادا تاما مع مصر ،واصبحت أجزاء ادارية داخل نطاق واحد ، لأهلها الحقوق نفسها وعليهم الواجب نفسه ، وأفادت هذه المناطق من الادارة المصرية فائدة كبيرة ،خصوصا أن مصر قد اهتمت فى ذلك الوقت

بشئون الملاحة ، وانشأت خطوطا بحرية منتظمة تربط بين الموانىء المطلة على مياه شرق افريقية . وافاد أهل هذه المناطق من احتكاكها الحضارى مع اخوانهم المصريين فى الشمال ومن المراحل التى قطعوها فى سلم الحضارة والمدنية . وأعطى هذا الاتحاد الاقليمى نتائج باهرة ، اذ قام المصريون ببناء الموانىء فى كل من بربرة وزيلع وتاجورة وانشأوا فيها الأرصفة البحرية ، مما ساعد على ازدهار التجارة ، ورفاهية الأهالى . كما قام المصريون باستحضار المياه الصالحة للشرب من العيون القريبة حتى هذه المدن . استحضروها من مسافة اثنى عشرة كيلو مترا من بربرة ، ثم وزعوها فى أنابيب صغيرة الى المساجد والمستشفيات ودور الحكومة التى بنوها فى كل منها ، والتى لا تزال قائمة حتى الآن ، بالرغم من وقوع هذه البلاد فى أيدى المستعمرين الأجانب ، تشهد للمصريين بأنهم من البنائين العالميين .

* * *

عملت مصر على توحيد كل بلاد الصومال معها ، خصوصا بعد أن رات ترحيب الأهالى بها وبهذه الوحدة الجديدة ورأت أخطار التدخل الأجنبى واقفة بالمرصاد .

استنجد أهالى هرر بالحكومة المصرية ، وشكوا اليها جور سلطانهم المحلى ، وخطر هجوم الأحباش عليهم من الشمال . فقررت مصر ارسال حملة حربية الى هذا الاقليم ، واحتفظت بالأمر سرا حتى لا تقف اية دولة من الدول الأجنبية فى وجهها ، وتعمل على فشل مشروعها .

سارت الحملة المصرية من زيلع صوب الداخل فى سنة ١٨٧٥ بقيادة محمد رؤوف باشا . وتمكنت بعد رحلة شاقة من الوصول الى عاصمة الاقليم . وخرج الأهالى على أبواب المدينة لمقابلة المصريين ، ورحب السلطان بمجيئهم . وارتفع علم الدولة الموحدة على أسوار هذه المدينة التى شهدت عزا ومجدا وحضارة فى القرنين الرابع عشر ، والخامس عشر .

وعملت مصر على الافادة من الكفايات الموجودة فى البلاد ، فاحتفظت بأبى بكر ابراهيم أمير زيلع السابق ، محافظا للمدينة ، وأبقت على سلطان هرر فى منصب محافظ لها ولكن هذا السلطان حاول الاحتفاظ لنفسه بلقب الامارة ، مما تعارض مع سياسة الدولة فى ذلك الوقت ، فرفضت مصر الاعتراف بسلطة وراثية تقف بين الشعب والحكومة العامة ، ورأت أن لاداعى الى وجودها ، ما دام هناك رأس واحد للدولة .

وأعلنت مصر الى أهالى هرر انه قد أصبحت لهم حقوق المصريين انفسهم وعليهم واجباتهم انفسهم . وكان هذا ردا على كل من ادعى ذهاب المصريين لاستعمار هذه البلاد . اذ أن الأمر لم يكن غير اقامة وحدة تامة بين أهالى هذه المناطق الذين يرتبطون ببعضهم بروابط يعجز التاريخ نفسه عن فصم عراها . وجاء الرد الثانى من ترحيب الأهالى بالمصريين ، ومن اسراعهم بتقديم بناتهم للزواج من الجنود المصريين والسودانيين الذين يقيمون فى اقليمهم ، ويوطدون عناصر

الوحدة الافريقية والاسلامية التى كانت مهددة من كل جانب ، بأعداء وبقوات وبامكانيات يعجز الصومال عن مجابهتها بمفرده .

وأفاد الصوماليون من مجىء المصريين ، ومن انضمامهم الى هذه الكتلة الافريقية المتحدة ، وظهرت النتائج فى ميادين التعليم والحضارة فى الميادين التجارية والاقتصادية والزراعية : ذلك أن الادارة الجديدة شجعت حركة التصدير للخارج ، وساعدت على جلب منتجات الى داخل الاقليم بأسعار منخفضة ، خصوصا بعد أن أمنت طرق المواصلات ، وضربت على أيدى العابثين بالأمن ، وايدى قطاع الطرق . كما عملت الادارة الجديدة على تشجيع الزراعة . وأخذت فى تقسيم الأراضى على كل من يرغب فى استغلالها ، بعد أن كانت مواتا ، نتيجة للاهمال والكسل . وشعر أبناء الصومال بأن فى قدرتهم أن يحيوا حياة كريمة ، ويكسبوا من ثروات ذلك الاقليم الذى منحهم الله اياه ، ويعيدوا مجد بلادهم وازدهارها السالف .

وان صفحة هذه الوحدة المصرية الصومالية ، وبخاصة مع اقليم هرر، لصفحة مجيدة قل أن يكتب التاريخ افخم منها ، ويزيد من قيمتها أن امكانيات مصر نفسها كانت محدودة فى ذلك الوقت ، وكانت ميزانيتها تعانى ضغطا وارتباكا ، نتيجة تدخل رجال الأموال الأجانب ، والمرابين الغربيين .

* * *

ولم يكن ضم المنطقة الشمالية من بلاد الصومال ، وهى المطلة على خليج عدن الا جزءا من تلك السياسة التى رسمت توحيد كل بلاد الصومال مع مصر .

ففكرت الحكومة المصرية فى ارسال قواتها حول راس حافون الى المحيط الهندى ، والى مصب نهر الجوبا ، وعزمت على اقامة قاعدة لها هناك تساعد على الاتصال منها ببقية بلاد الصومال من ناحية ، وبمنطقة هضبة البحيرات الاستوائية من ناحية أخرى.

وكانت مصر قد فكرت فى هذا المشروع منذ سنة ١٨٧١ ، أى قبل أن تضم اليها زيلع وتاجورة ، وقبل أن ترسل رجال ادارتها الى هرر ، ولكن ظروفا طارئة اضطرتها الى العدول عن هذا المشروع . ولكنها قررت تنفيذه فى عام ١٨٧٥ ، حينما طالبت السلطات المصرية فى مديرية خط الاستواء بايجاد مخرج لمنطقتهم على ساحل المحيط الهندى ، يسهل أمر الاتصال بينهم وبين مصر ، بدلا من استخدامهم السفن على النيل ، وعبر منطقة السدود غير الصالحة للملاحة.

اقلعت الحملة المصرية فى يوم ١٩ من سبتمبر سنة ١٨٧٥ من السويس وصحبها « الكولونيل شاليه لونج » ، رئيس أركان حرب القوات المصرية فى خط الاستواء ، لكى يقود سير القوة البحرية التى ستتجه غربا ، لمقابلة غردون عند مجيئه الى الساحل .

وكانت هذه الحملة البحرية برياسة **« ماكيلوب باشا »** ، ولكن مصر ألحقت بها كلا من عبد الرازق بك ، ناظر المدرسة البحرية ، ورضوان باشا وأوصتهما بحسن التفاهم فيما بينهم. وخصصت لهما السفن لتوصيل خطاباتهم وبرقياتهم من بربرة الى مصوع .

وصــدرت الأوامر لقائد الحملة بتأمين الأهالى على أملاكهم وحقوقهم، وعدم التعرض لتجارتهم . وكان عليه أن ينشىء عددا من النقط العسكرية للاتصال بالداخل ، ولنشر العمران فى هذه الأرجاء .

واجتمعت الحملة المصرية والقيادة فى ميناء بربره ، ثم زود الأسـطول المصرى بالمياه ، واستعد للسفر . وكان هذا الأسطول يتألف من أربع قطـع بحرية تحمل خمسمائة جندى . ثم اتجه صوب رأس حافون حيث أظهر شيخ الميجرتين رغبته فى الدخـول فى طاعة الحكومة المصرية ، وطلب الانضمام اليها ورفع العلم المصرى فوق بلاده .

وواصل الأهالى رفع العلم المصرى فى كل مكان تصل اليه القوات المصرية، التى بلغت براوة فى منتصف شـهر نوفمبر . فقـابل أمير هـذه الميـناء المصرية،وقدم لهم المساعدات اللازمة، كما حضر الشيوخ والرؤساء المحليون، وأظهروا ترحيبهم باتحاد بلادهم داخل نطاق الدولة الافريقية المتحدة .

لم تحاول مدينة «براوة» المقاومة، بل طالب الأهالى أنفسهم فيها برفـع العلم المصرى على بيوتهم ، وسرعان ما شعر هؤلاء الأهالى بأنهم أصبحوا رعايا دولة لهـا مكانتها ، واعتزوا بشخصيتهم الدولية الجديدة .

وترك الأسطول المصرى مائةجندى فى ميناء « براوه » ثم اقلع جنوبا الى « قسـمايو » . وتمكن من النزول فيها دون مقاومة . وظهر أن كل البلاد الصومالية حتى مصب الجوبا جنوبا قد أصبحت وحدة قائمة بذاتها ،داخل الامبراطـورية المصرية الافريقيـة ، واعتز الأهالى بهـذه الوحـدة مـع اخوانهم فى الشمال ،واستعد المصريون للقيام بمشروعاتهم الانشائية فى الموانىء المطلة على المحيط الهندى ، اكمالا لما قاموا به على الموانىء المطلة على خليج عـدن . ولكن انجلترا وقفـت لمصر بالمرصاد وعملت على اقصائها عـن هذه المياه .

* * *

كانت انجلترا قـد زاد نفـوذها فى أواسط القـرن التـاسع عشر فى مناطق افريقيـة الشرقية الخاضعـة لسلطان زنجبـار ، وعملت هنـاك الدبلوماسية البريطانية متحالفة مـع رجال التبشـير ، وحمـلات الاستكشافات الجغرافيـة ، ورجال الأعمال البريطانيين على الوصول من سواحل المحيط الهندى صوب اقليم هضبة البحيرات فى الداخل .

وكانت مصر قد وصلت الى منطقة البحيرات الاستوائية ، فظهر التنافس واضحـا بين انجلترا ومصر . وجاء وصـول المصريين الى مصب نهـر الجـوبا نذيرا للانجليـز بعـرقلة مشروعاتهم التوسعية والاستغلالية ، التى مهد لها كل من رجال التبشير ، ورجال الاستكشافات الجغرافيـة . فقـررت انجلترا التـدخل لابعـاد المصريين عن هذه المناطق بدعوى أنها خاضعة لسلطان « زنجبار » .

احتجت انجلترا على مصر ،واهتزت أسلاك البرق البحرية مع عدن ولندن وصـدرت الأوامـر الى السـلطات البريطانية فى الهند وفى جنوب افريقية بتعزيز القطع البحـرية البريطانيـة فى شرق افريقية . وظهر أن بريطانيـا لن تحجم عن استخدام القوة ان لزم الأمـر .

ورات مصر انها قد اخطـأت فى اسناد قيادة هـذه الحملة الى بعض الانجليز واعتمدت على انجليزى آخر،

هو « غردون » ، بالسير شرقا من هضبة البحيرات صوب الساحل . ولم يتحرك « غردون » من اقليمه رغم أنه كان قد نادى بضرورة تنفيذ هذا المشروع .

فاضطرت مصر الى اصدار أمرها بسحب الحملة المصرية من المحيط الهندى ، واكتفت بتوحيدها للأقاليم الصومالية الممتدة حتى «رأس حافون» علاوة على اقليم « هرر » فى الداخل

وانسحبت الحملة المصرية بالرغم من أن الأهالى كانوا قد تباهوا بوجودها، وبخضوعهم لحكومة القاهرة ، واستعداد الأهالى ، وعدد من الحكام على طول الساحل للدخول فى هذه الوحدة الافريقية الجديدة .

انسحبت الحملة المصرية ،واعترفت انجلترا بخضوع الساحل الصومالى كله لمصر ، حتى رأس حافون ، وذلك فى المعاهدة المصرية الانجليزية المعقودة فى سنة ١٨٧٧ . ولكن انجلترا عملت على تثبيت مراكزها فى النقط التى هدد المصريون بالوصول اليها . وبدأت تقديم مشروعاتها لاستغلال أقاليم سلطنة زنجبار ، نظير مبلغ محدد ، مدعية أنها ستقوم بهذه العملية باسم السلطان ، وتحت رايته .

وهكذا كانت انجلترا هى الخصم الذى وقف أمام انشاء مصر لهذه الدولة الافريقية القوية ، التى ضمت اليها كلا من الاقاليم السودانية والاستوائية وسواحل البحر الأحمر وبلاد الصومال .

* * *

ولم تتراجع مصر عن تنفيذ برنامجها الحضارى فى هذا الجزء من البلاد الصومالية التى ظلت متحدة معها . وشهد التاريخ تقدما محسوسا مس هذه البلاد نتيجة لوحدتها مع مصر ، وفى سنوات قليلة معدودة .

وظلت هذه البلاد متحدة مع مصر الى أن تمكنت بريطانيا من احتلال القاهرة سنة ١٨٨٢ ، وبدأت تدخلها بالتالى فى كل الأقاليم الافريقية المتصلة بها .

واستندت انجلترا الى قيام الثورة المهدية بالسودان ، لكى تجبر مصر على اخلاء هذا القطر الشاسع ، واستندت الى برقيات ممثلها فى عدن ، لكى تدعى ضرورة اجلاء المصريين عن بلاد الصومال .

وان البرقيات والالتماسات التى قام كل من الأهالى والأجانب بارسالها الى مصر فى ذلك الوقت ، احتجاجا على تنفيذ قرار اخلاء البلاد لأكبر دليل على عزم الصوماليين على مواصلة وحدتهم مع مصر . كما قام كثير من الأهالى فى الموانىء بمعارضة نزول القوات البريطانية فى بلاد الصومال ، وأظهروا ألا سلطة للانجليز فى تلك المناطق .

ولكن القوة تغلبت ، على الحق . واضطر المصريون الى الانسحاب ، بعد أن تركوا شعبا يناديهم بالبقاء أو باصطحابهم الى مصر واقتسمت انجلترا الساحل الصومالى الشمالى مع فرنسا، ضاربة بحقوق سيادة الدولة العثمانية عرض الحائط ، ثم تمكن منليك ،رأس شوا من الهجوم على منطقة هرر ، وأخضعها لحكم أعوانه .

وما زال الصومال يئن حتى اليوم من تحكم الأجانب فيه ، وتحكمهم فى أقواته وأرزاقه .

وما زال الصومال يذكر أنه كثيرا ما شارك فى بناء امبراطوريات افريقية مجيدة ، ويشعر بأن عليه دورا جديدا يقوم به ، ضد الاستعمار وفى ظلال الحرية ، مع بقية اخوانه الافريقيين .

الصهيونية تتآمر لابتلاع القارة الافريقية

بقلم الأستاذ لمعى المطيعى

عندما تحاول الصهيونية العالمية أن تمد علاقاتها الى داخل افريقية .. وعندما تتجه رؤوس الأموال الأمريكية الى الاستثمار فى بلدان افريقية .. وعندما تمضى حكومة فرنسا فى (مشروع تعمير الصحراء) على حد تعبير خبرائها .. عندما يقوم هؤلاء جميعا بهذه المحاولات فانهم يترسمون أمامهم التعبير الذى أطلقته البعثة التى عرفت « ببعثة بولتون » (أفريقية قارة المستقبل) .

ففى أغسطس عام ١٩٥٦ نشرت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكى تقريرا لبعثة زارت أربعة وعشرين بلدا افريقيا .. وكانت هذه البعثة تطوف بهذه البلدان الأربعة والعشرين، تسجل واقعها السياسى ، وما يمكن أن يحدث بها من تطورات سياسية ، وترصد واقعها الاقتصادى وتجمع الاحصائيات الدقيقة ، وما يمكن أن يتجه اليه اقتصادهذه البلاد .. وتدون المبادلات التجارية الخارجية .. وعلاقة هذه البلاد مع ما يسمى بالعالم الحر وغيرها من البلاد .

وكانت السيدة الأمريكية (فرانسس ن . بولتون) عضو الكونجرس عن ولاية (أوهايو) ترأس هذه البعثة وهى فى الوقت ذاته عضو بالحزب الجمهورى ، والمعروف عنها أنها على علاقة طيبة بالمحافل الصهيونية فى الولايات المتحدة . ولم يقتصر أثر هذا التقرير الشامل على الولايات المتحدة ، بل تعداه الى فرنسا والى حلفاء أمريكا، وتعداه أيضا الى اسرائيل حيث شكلت لجان لدراسة التقرير ، وما يمكن الاستفادة منه . وعرفت الدوائر الصهيونية كيف تتمشى مع توصيات التقرير بمهارة ، واتجهت أول ما اتجهت الى الشركات التى يعود معظم رأس مالها الى المؤسسات الأمريكية .

والحقيقة البارزة فى التقرير ، اعتراف البعثة بازدياد حركة الاستقلال الافريقية ، وهذه الحركة الاستقلالية فى رأى البعثة تهدد بزوال النفوذ الاستعمارى من القارة ، وعلى هذا وضعت البعثة فى تقريرها مايعتبر أهم جزء فيه ، وهو (التوصيات) .. والخط العريض لهذه التوصيات هو تغيير الخطة القديمة الى خطة جديدة داخل افريقية .. فوجدنا الدوائر الأمريكية تتحدث عما أسمته (برامج التقدم الاقتصادى والوقاية ومشروعات الذرة للسلام) .. ووجدنا الحكومة الفرنسية تصدرما أطلق عليه (قانون تعمير الصحراء) .. ودوائر اسرائيل تتحدث عن (العلاقات الودية) .. ووقف جورج الن مساعد

الوزير للشئون الخاصة بالشرق الأدنى وجنوب آسيا وافريقية يصف البلاد التى نفضت عن كاهلها نير السيطرة الأجنبية بأنها « فراغات سياسية » .

وسرى التعبير عن أفريقية بأنها « قارة المستقبل » وبخاصة عندما اكتشف بها مواد الأورانيوم والكوبلت والنيوبيوم والتنتالوم والبريليوم ، وهى المواد التى تستخدم فى انتاج القوة الذرية وفى صناعة آلات التفجير وتعتبر افريقية كذلك موردا خصبا للمواد الأولية الزراعية وهى تنتج نحو ٧٠٪ من انتاج العالم من الكاكاو وزيت النخيل وأكثر من ٧٥٪ من التيل ، و ٢٢٪ من الفول السودانى ، و١٥٪ من البن .

والتقرير كذلك زاخر بالاحصائيات عن قروض الولايات المتحدة للدول الافريقية ، واحصائيات عن رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة فى افريقية. فقد منحت الولايات المتحدة قروضا للدول الافريقية بلغ مجموعها حتى ذلك الحين ٣٤٢٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار أغلبها عن طريق بنك التصدير والاستيراد . وتستخدم القروض ورؤوس الأموال الأمريكية بوجه عام فى استخراج المواد الخام ، كما تستخدم فى مد السكك الحديدية وانشاء الموانىء ومحطات القوى ، وبعبارة أخرى فى المشروعات التى تتعلق باستخراج المواد الخام من البلاد الافريقية .. وللمشروعات الكبرى الأمريكية نصيب وافر من موارد افريقية الطبيعية كالمنجنيز والكروم الخام والفاناديوم والكوبلت والنحاس والرصاص والزنك والماس .. وبعبارة أخيرة فان رؤوس الأموال الأمريكية تعمل بقول (جونتر) فى كتابه (داخل افريقية) .. (ان افريقية هى جبهتنا الأخيرة .. لقد فقدنا معظم آسيا وأما افريقية فباقية ، وهى أغنى غنيمة على الأرض ، مفتوحة كالفراغ ..) .

وذكر تقرير « يولتون » أن سياسة الولايات المتحدة تجاه افريقية تختلف من حيث الاتجاه والدرجة باختلاف الأقطار التى تتعامل معها ..

فالدول ذات السيادة ، أوصى التقرير بتبادل التجارة معها وعقد ما أسماه (بمعاهدات الصداقة) . والمساعدة فى مشروعات الصحة والتعليم والزراعة والاستعداد للطوارىء . والبلاد التى ينتظر لها الاستقلال القريب ، أوصى التقرير بأن تقوم الولايات المتحدة بتأكيد الخدمات السابقة لها اذا ما طلبتها .

وأما البلاد التى لا يحتمل أن تحصل على استقلالها . فيوصى التقرير بأن تشترك الولايات المتحدة مع الدوائر الحاكمة فى المشروعات التى تريد القيام بها .

أما الأقطار الخاضعة لوصاية الأمم المتحدة ، فيوصى التقرير باجراء الاستفتاء بها .

وبعد كل هذا يستبشر التقرير خيرا لأن الاستثمارات الأمريكية قد ازدادت من ١٥٠ مليون دولار فى نهاية الحرب العالمية الثانية الى ٦٦٤ مليون دولار فى نهاية عام ١٩٥٤ .

وبعد أن جاء ديجول الى الحكم ، وازاء تقرير يولتون زاد اهتمام فرنسا بالصحراء الكبرى على أساس أن استغلال الصحراء الكبرى من جانب

فرنسا يعتبر « مشروعا مربحا » بعد أن فقدت فرنسا فى السنوات العشر الماضية جانبا كبيرا من امبراطوريتها، وبدأ البحث المنظم ، ودلت التقديرات الأولى على وجود كميات وفيرة من الفحم الخام تقدر بحوالى ٢٥٠ مليون طن الى جانب احتياطى منه يقدر بحوالى ١٠٠٠ مليون طن ، بما فى ذلك كميات من فحم الكوك ، وثبت وجود رواسب هائلة لخامات الحديد الجيدة ورواسب هائلة من المنجنيز والنحاس والقصدير والرصاص .. وحصلت الشركات الفرنسية على امتيازات للتنقيب عن البترول .. فشركة البترول الوطنية فى الجزائر حصلت على (١٩٫٥٠٠ كيلومتر مربع) . وشركة البترول الفرنسية فى الجزائر حصلت على (٣٦٫٨٠٠ كيلو متر مربع) ؛ وشركة البترول الجزائرية حصلت على (١٦٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع) . كما تكونت شركة دولية (كونسافريليه) لاستثمار مصادر الثروة فى الصحراء ساهمت فيها فرنسا وألمانيا الغربية وبريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة . وكذلك وضعت الحكومة الفرنسية مشروعا لشحن ٥٠٠٫٠٠٠ طن من بترول الصحراء الى فرنسا سنويا .

وقد اندفعت اسرائيل عقب تقرير يولتون الى داخل افريقية ، وليس أمامنا الا أن نكشف عن طبيعة المؤسسات والشركات الاسرائيلية التى تسعى للتوغل داخل افريقية ، ليتضح أن الخطة متداخلة ومتشابكة، وليس لها من هدف سوى ابتلاع « قارة المستقبل » .. فنجد أن (الاتحاد الكوبى لفلسطين) فرع من فروع شركة (جنرال اليكتريك الانجليزية) .. وشركة (شيمين) للزيوت والصابون ، وليدة شركة (يونيلفر الانجليزية) وشركة البوتاس الفلسطينية ، تابعة لشركة الصناعات الكيمياوية ، فضلا عن أن مساعدات أمريكا لاسرائيل تبلغ أكثر من ألف مليون دولار . ووافقت ألمانيا الغربية على أن تدفع ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لمدة ١٢ سنة ..

وهكذا كان تقرير (يولتون) أساسا للتوسع داخل (قارة المستقبل) من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واسرائيل .. ولكن بخطة جديدة كما يقول التقرير ..



ألوان من الفن الافريقي

للأستاذ سليمان جميل

ان الشحنة الحضارية فى الفكر والفن والعلم ، التى بلغت ذروة تطورها فى أوربا فى القرن العشرين ، هابطة الى الحضيض فى عقلية الاستعمار الغربى. وليس ذلك الرجل الأبيض المنتشر فى القارة السوداء مرتديا ملابس الرهبان ، الا لصا جبانا يسرق بترول افريقية ومناجمها ، يسرق كل خاماتها وخيراتها .. هذا اللص الأبيض يضع قناع الانسانية الزائف على وجهه ويقف أمام تطور الانسان الافريقى بالمرصاد .. وان كان الاستعمار يطعن تطور الشعب الافريقى بأقنعة البعثات الطبية والارساليات والمدارس والمبادىء المزيفة ، فهو أيضا يقيم مذبحة بشرية فى أرجاء افريقية ، ويلطخ جبين حضارته بالدماء . وبجانب هذه المأساة فان الاستعمار يغرب عن باله دائما أن افريقية قارة عملاقة رابضة أمام التاريخ لتعيد توازنه . وافريقية كما هى طاقة بشرية ومادية هائلة ، فهى أيضا مكبوتات حضارية عريقة فى القدم متأزمة ثائرة ، حتى فى فن الرقص الافريقى .. وليست الرقصات الافريقية وفى غرب القارة بالذات فنا شائعا للمتعة ، انما هذه الرقصات تتمثل فيها مقومات درامية تنبض بصراع الرجل الأسود مع قوى الطبيعة والعقيدة وكل القوى المعادية لحياته.

وعلى ذلك فان منطقة غرب افريقية من السنغال وغينيا وليبيريا وساحل العاج وغانه ونيجيريا هى حدود ذلك المسرح الكبير الذى تحشد فيه آلاف الطبول ، وتدق ايقاعات مئات الرقصات التى تختلف من حيث الشكل والمضمون .. وفى كل قبيلة وفى كل جماعة من القبائل هناك فى القرى حول المناطق التى يحتلها الاستعمار يرقص الافريقيون رقصات الحرب والحب والكراهية والصيد والتضحية .. ان حلبات الرقص قائمة بالنهار والليل فى غرب افريقية .. الشبان والفتيات والأطفال يرقصون ورقصاتهم انما هى اتصال مباشر بحياتهم وليست عرضا تجريديا لقيم جمالية ، ذلك ما يجعل الرقص الافريقى يختلف عن رقص «الباليه» الأوروبى . والاختلاف بين النوعين من الرقص جوهرى وهو الفرق بين الواقع والخيال .

ومن حيث الشكل فان لكل رقصة من الرقصات الافريقية نوعا خاصا من الملابس والأقنعة وتخطيطا مباينا للحركة ، ولكنها تختلف عن « الباليه» بصفة عامة . فبينما الملابس تغطى معظم جسم الراقص الافريقى وفى بعض الرقصات تغطى جسمه كله تماما ، فان رقص «الباليه» الأوروبى تميزه سيقان الراقصين والراقصات

العارية وبساطة تركيب الحركة وتنوعها. وملابس الراقص الافريقى زاهية الألوان ولونها الأبيض يرمز الى الأشباح عادة وهى مطرزة بالودع وريش الطيور وجلود الحيوان الملونة .. ولكل قبيلة ملابسها الخاصة برقصاتها وهى تختلف بالطبع عن ملابس الحياة اليومية .

لغة الايقاع الموسيقى : ان الطبول هى أساس الموسيقى الافريقية ، وهى اختراع افريقى . وتتعدد أنواع الطبول فى الرقصة الافريقية ، وتبعا لاختلاف أحجامها وأشكالها تختلف درجة أصواتها . ولكنها تعطى لغة مركبة يفهمها الافريقيون .. هذه اللغة قد تعتبر ضجيجا بالنسبة للأذن الأوروبية . والايقاع المركب يتغير داخل الرقصة الواحدة ولذلك تعددت أنواع الطبول لتقوم بهذه الوظيفة الايقاعية المعقدة . ويتميز الايقاع الافريقى بتغير مناطق الضغط العادية داخل «المازورة» التى تكون الوحدة الزمنية للحن ، وهذا الايقاع فى الاصطلاح الموسيقى هو « السنكوب » وعلى ذلك فالايقاع الافريقى « السنكوباتى » المركب هو الذى يعطى الرقصة الافريقية قوة وحيوية دافقة . وكل نوع من هذا الايقاع انما هو تعبير عن عاطفة معينة تتحرك بها أجسام الافريقيين الرائعة المرنة .

آلات موسيقية أخرى : ويضاف الى أنواع الطبول آلة موسيقية تشبه « الاكسلوفون » ولكنها آلة وترية بها ٦ أوتار تؤدى نوتات موسيقية مختلفة . وبجانب هذه الآلة توجد آلات موسيقية نافخة مصنوعة من المعدن أو الخشب . « ويقول بعض الكتاب الأمريكان ان الموسيقى الافريقية فيما عدا الايقاعات السنكوباتية المركبة تعتبر بعيدة الشبه عن الموسيقى الأمريكية ،ذلك أن موسيقى الجاز تعتمد أساسا على مركبات النغم وتنوع تآلفاتها الهارمونية ، ويقولون بناء على ذلك ان (ديوك النجتن) أحد مؤسسى موسيقى الجاز يعتبر أقرب الى باريس منه الى الكنغو .

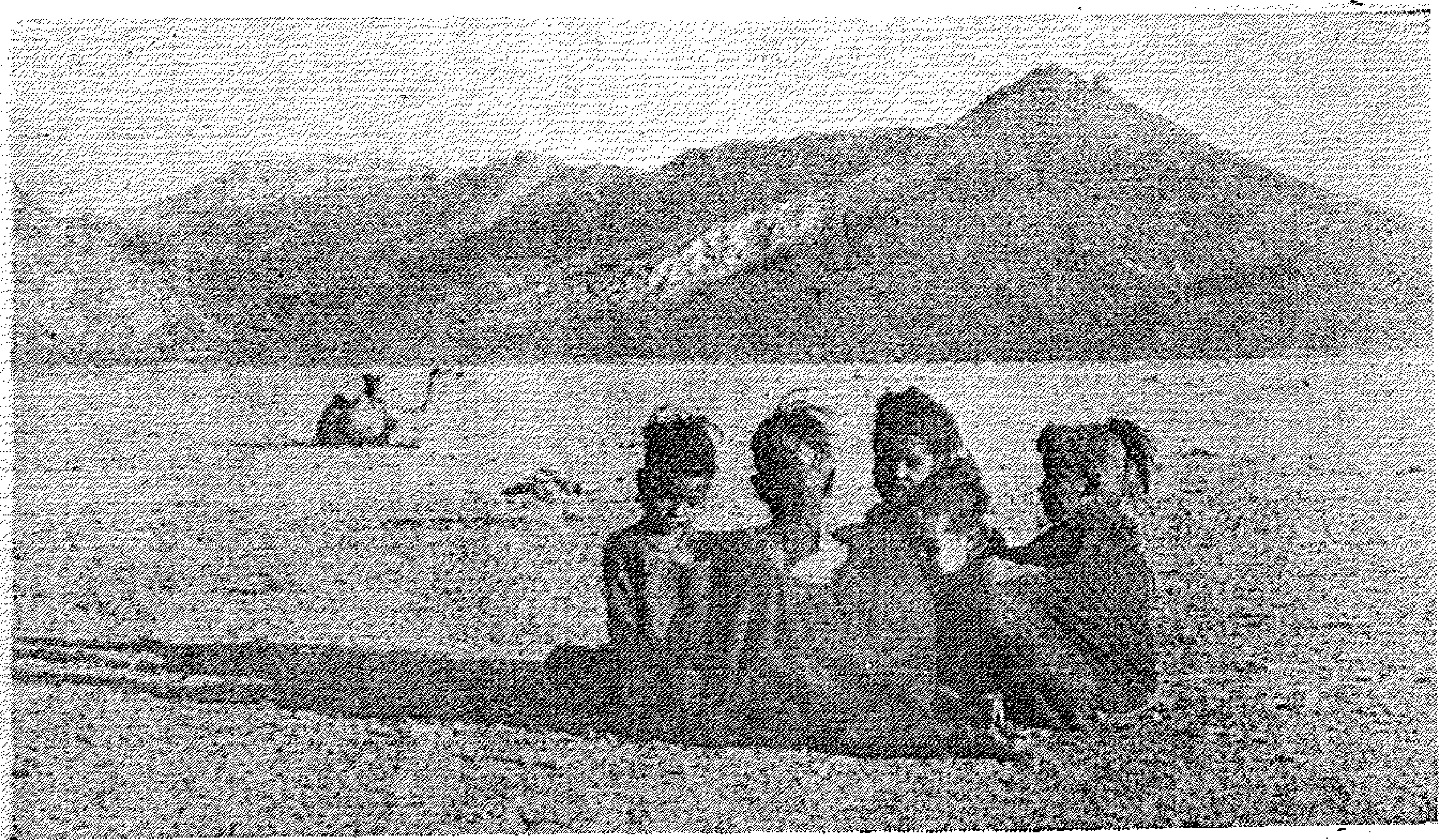
وتقول الدكتورة سامحة الخولى أستاذة التاريخ والتحليل الموسيقى بالمعهد القومى العالى للموسيقى « ان الايقاعات المركبة التى تمتاز بها موسيقى افريقية وموسيقى الحضارات الشرقية بوجه عام تحل أزمة الجمود التى يعانيها الايقاع فى الموسيقى الأوروبية الكلاسيكية منذ مطلع القرن العشرين » .

والواضح لنا أن الايقاعات الافريقية المركبة ذات اللهجة السنكوباتية هى فى الواقع أهم ما يميز موسيقى الجاز الأمريكية ،وكما هو واضح أيضا فى رأى الدكتورة سامحة الخولى فان الايقاعات المركبة تعتبر عنصرا جديدا فى الموسيقى الكلاسيكية المعاصرة يكسبها عمقا فى التعبير .

الأغنية الراقصة : وتبعا للرقصات الافريقية تشكلت الأغانى ، وهى أغنيات مصاحبة للرقص . ومن أشهر الأشكال الغنائية ذلك الشكل الغنائى المنتشر فى قرى غانه .. « المغنى فى هذا النوع يقوم بالدور الرئيسى فى أداء اللحن ويعتبر غناؤه نوعا من التقاسيم . أما « الكورس » فهو يصاحب المغنى بترديد مذهب الأغنية دائما ..

وتوجد صورة أخرى لهذا الشكل الغنائى تعتبر أكثر تقدما فى بعض القبائل شرق السنغال وفيها يصاحب المغنى مجموعتان من « الكورس » تتصارعان فى أداء بعض أجزاء اللحن. والواضح فى هذا الشكل الغنائى الأخير أنه قريب الى الشكل الغنائى الدرامى.. وتعتبر منطقة غرب افريقية غنية بألحانها التقليدية وهى الحان مبهجة تمتاز بمرونة خطها الميلودى ويدخلها عنصر « الأكورد » التآلف الصوتى ، كما توجد ظاهرة تقابل الألحان، وذلك عندما تبدأ مجموعة المنشدين قبل أن تنتهى المجموعة الأخرى من أداء لحنها .. غير أن هذا التركيب الصوتى أو ذلك الشكل الهارمونى فى الموسيقى الافريقية يأتى مصادفة اذ يعتمد على الفطرة دائما .. هذا مع أن الصفة الغالبة فى الأغانى الافريقية هى جماعية الأداء الا أنه توجد بعض الأغانى المنفردة وهى عادة أغان تعبدية أو أغان المناجاة الليلية .

الراقصون المحترفون : فى الجماعات الافريقية الصغيرة يوجد الراقصون المحترفون دائما يرقصون رقصات الجماعات المختلفة . والفتيات يحترفن الرقص فقط حتى سن النضوج .. ورغم وجود الراقصين المحترفين فى الجماعات الافريقية فهذا لا يمنع من أن باقى أفراد الجماعة يسهمون عادة فى الرقص ولكن فى حدود دور « الكورس » أى الدور المساعد ، وهم بذلك يكونون حلبة الرقص حول الراقصين المحترفين . والمعروف أن جنود الدفاع عن الجماعة معظمهم راقصون محترفون ، ولأسباب دينية فانه ممنوع عليهم الاشتغال بالزراعة أو القيام بالخدمات اليومية للجماعة ، وطالما أنه ليست هناك حرب تشغل الجنود فهم يرقصون ، ولارتباط الرقص بالدين فان رجال الدين فى الجماعات الافريقية يحترفون الرقص ولهم رقصتهم المعروفة « بالتوتم » وهى رقصة تتمثل فيها تقاليد الديانة التوتمية .. وشعائرها .





من الكتب القيمة التى ظهرت حديثا كتاب « ثورات فى افريقية » للمقدم أ . ح **« شوقى أقلاديوس »** ، والكتاب يهدف بحق — كما جاء فى المقدمة التى كتبها العقيد أ . ح أحمد رأفت بسيونى — الى ربط القارىء العربى بألوان الكفاح كافة التى تدور فى القارة ، وربط هذا الكفاح بالروابط الفكرية المضيئة .

وقد ذكر المؤلف فى أول كتابه أن الافريقيين لم يستيقظوا على اشعاعات الفجر الأولى ، وانما على النور حينما غمر الكون ، وأن هذا النور كان كأقوى ما يكون السطوع فى الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة حينما عرضت عليها ست مشكلات افريقية . كما أن « قمة النور » هذه كانت قد تحددت حينما وقفت الكتلة « الافرسيوية » وراء أحداث القارة ، وأزماتها ، ورغباتها المستمرة فى التحرر ، والتعارف ، والتساند تحت علم أسود كبير هو علم القارة الافريقية ذلك لأن الحرب العالمية الثانية قد ألقت مزيدا من الضوء على مشكلات القارة ، ودفعت الافريقيين الى أن يطالبوا هم الآخرون بحقوقهم ، بعد أن صارت طريقا أسود ، من دماء المستشهدين فى كل الجهات يمر عليه الأوروبيون والأمريكيون .

ولقد كنت أحب أن يضيف المؤلف أن الافريقيين لن يناموا على ثأرهم بعد أن اغتصبت القارة بالمعاهدات الكاذبة ، وصكوك الشراء المموهة ، والظهور فى قوة غير متكافئة . بل لعل من الجدير بالقارة أن تقول ، انها استيقظت على أضواء الفجر الأولى ، وقبل الحرب العالمية الثانية والأولى . والا فبماذا نفسر الصراع الذى قام بين « حميد ابن جمعة » — الملقب بتيبوتيب — والبلجيكيين فى حوض الكونغو . والصراع الذى قام به المهدى وعبدالله التعايشى فى السودان ، وهذا اللون من الكفاح المرير الذى خاضه السلطان « رابح » مع الفرنسيين فى تشاد وبرنو ، كما خاضه معهم أيضا « الحاج عمر تال » وأولاده بعد أن وحد السودان الغربى من بلاد « فوتا » الى « تمبكتو » .

ثم أخيرا هذا اللون من الكفاح الذى ذاقه الانجليز على يد « مهدى الصومال » و « أحمد عرابى » وغيرهما من رجال القارة .

فالحقيقة تؤكد أن القارة كانت تغلى فى أكثر من مكان على هؤلاء الأجانب ، ولكن الذى كان يضعف هذه القوى ويخمدها سريعا هو أنه — بحكم العصر — لم يكن هناك تنسيق ثورى بين الغضبات التى كانت تظهر متفرقة . ومن هنا فقد كانت تخمد

بقسوة وعنف ، ثم تأخذ وقتا كبيرا فى عملية التجميع النفسى الداخلى الذى تعتبر كل الثورات الحديثة نتيجة طبيعية له .

.. وقد تكلم المؤلف عن قصة استعمار افريقية فذكر أن الافريقيين كانوا يعيشون فى سلام نسبى ، وانهم رحبوا بالقوى السامية والحامية ، عن طريقى باب الهجرة القارة وهما «مصر» فى الشمال الشرقى ، و « باب المندب» فى شرق افريقية ، وأن العرب كان لهم دور كبير فى القارة من زمن سحيق وخاصة فى شرقها .

ثم تدفقت قوى الربابنة البرتغاليين على افريقية . حيث وجدوا فيها كنزا بشريا يمكن استنزافه ، ومن هنا قاموا بدور كبير فى « النخاسة » متخذين لتجارتهم مراكز استطلاع قوية على السواحل ، وقد استمرت هذه السواحل مدة كبيرة فى أيديهم الى أن شاركهم فى مهمتهم الهولنديون والاسبانيون ، والانجليز .

فقد كانت تلهبهم رغبة «التصدير البشرى » الى الأمريكتين ، وجزر الهند الغربية . للاسهام فى الزراعة ، وللمشاركة فى العمل بأجور رمزية . متعرضين فى كل ذلك للتدمير النفسى والجسدى بسبب الأعمال المرهقة ، وألوان الاحتقار التى كانت تصب عليهم . ثم أخيرا لسوء التغذية والاهمال الصحى .

وقد عمل كل هؤلاء بجد وعناد لانحسار الموجة العربية التى كانت قد غطت جزءا كبيرا من القارة ، وعرفت كيف تندمج مع أهلها ، وتحترم حياتهم ، وتسهم فى تطويرهم وبخاصة حينما تمت لهم السيطرة على طول الساحل الشرقى . بحيث كانوا يضعون أيديهم تماما على المنطقة من « موزمبيق » حتى نهاية الساحل شمالا ، ومن الساحل الافريقى الشرقى الى حوض نهر الكونغو الأعلى ..

فاذا أضفنا الى ذلك أن الشمال الافريقى كان قد امتلأ بالموجة العربية التى ظلت تتدفق حتى غمرت أسبانيا ، وجزءا من فرنسا ، وايطاليا . لا كما يقول المؤلف « كان لظهور القوى الاسلامية من عهد الأمويين والعباسيين ، وتدفقهم على الشواطىء الجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط وامتداد الحكم الاسلامى حتى أسبانيا لأن ذلك يوهم أن الموجة قد وقفت على حدود أسبانيا فقط ، ولم تتعد الى غيرها من أطراف بعض المدن الأوروبية .

اذا أضفنا الى ذلك أن الشمال الافريقى ، والقوى العثمانية التى ظهرت فى شرق البحر الأبيض ، وامتد نفوذها الى مصر ، والخليج الفارسى ، وساحل المحيط الهندى ، والبحر الأحمر ، وشرق افريقية . أمكننا أن ندرك أن قوى العروبة كانت قوية فى هذه المناطق لولا السياسة المرسومة بدقة وعناية من الأوروبيين ، والتى لبست عدة أثواب تجارية ، وسياسية ، وحربية ، وتبشيرية . والتى أسفرت أخيرا عن أشقى ألوان العسف ، والاذلال ، والاستنزاف . فقد جمعت فى يديها مصير البلاد سياسيا واقتصاديا ، وأصبحت هذه الأقلية من البيض هى التى تتحكم هناك فى الأرض ، والانسان ، والغد .

ولكن القوى الافريقية ما لبثت أن نبضت ثم تشابكت فى أنحاء القارة كافة . ثم أصبحت واقعا ملموسا يطالب بالحرية ، والكرامة الانسانية. ويمكن تلخيص هذه المطالب فيما يأتى : —

١ — الحصول على الحكم الذاتى .

٢ — مباشرة حق الانتخاب للجميع مع المساواة ، وتكافؤ الفرص فى المعاملة لجميع الأفراد

٣ — الغاء تعيين أعضاء المجالس التشريعية والتنفيذية

٤ — الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية

٥ — تغيير نظام المحاكم والعمل على زيادة سلطانها .

٦ — الغاء التفرقة العنصرية والتمييز اللونى والطائفى .

٧ — نشر التعليم بين الأهالى دون حد أو منع .

٨ — تنظيم الهجرة بالنسبة لطالبى الاستيطان .

٩ — تقسيم الممتلكات حسب رغبات الأهلين ، وتبعا للتقسيم القبلى وليس حسب خطوط الطول والعرض .

١٠ — الغاء القوانين الخاصة بالمناطق غير المسكونة .

١١ — الغاء الغرامات الجماعية .

١٢ — رفع مستوى الأجور مع حرية العمل والتنقل .

١٣ — الغاء قوانين الأراضى .

١٤ — اعادة النظر فى قوانين الضرائب وتشريعات العمل

١٥ — السعى لانشاء حكم ديمقراطى مستقل .

وقد وقف المؤلف عند هذه المطالب دون أن يشير الى أن الافريقيين قد طوروا بعض هذه المطالب . كما زادوا عليها . فنحن نراهم الآن يطالبون بوقف الهجرات بالنسبة لراغبى الاستيطان ، ونراهم لا يطالبون الآن بتقسيم الأرض تبعا للتقسيم القبلى لا « القبائلى » كما يذكر المؤلف . فهم يحطمون الآن هذه القبلية فى أكثر من مكان ، ويعملون على قيام اتحادات افريقية عريضة تشمل الكثير من الدول . كما يطالبون الآن فى أكثر من مكان بتحطيم كل ألوان النفوذ السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى الغربى ، ويدعون الى تكامل اقتصادى ، وسياسى واجتماعى بين الدول الافريقية ، بعضها ببعض ، الخ .. هذه الألوان الثورية التى جدت فى الحياة الافريقية الحديثة .

والمؤلف قد تسوقه حماسته أحيانا القارة الى المبالغة فهو يذكر أن تاريخ «هذه الشعوب السوداء» ملىء بينابيع الأديان المصطفاة العريقة بينما تؤكد لنا أى احصائية افريقية ما بعد الصحراء — وهى ما يطلق عليها افريقية السوداء — تعانى تخلخلا فى «ينابيع الأديان المصطفاة » فالاسلام يقف له الغربيون بالمرصاد . والمسيحية تقف وراءها الأغراض السياسية ، وتمتزج بدعوتها مما يبعدها عن فكرة « الدين الخالص » . أما اليهودية فلا يكاد يوجد لها أثر هناك . بينما ينتشر بين قطاعات كبيرة هناك الايمان بقوى دينية محلية لا تمت الى الأديان المصطفاة بسبب ! .

والمؤلف ينقلنا بعد ذلك الى التطور الاقتصادى فى افريقية . فيذكر لنا أن الانتاج الزراعى هو عماد الثروة الزراعية هناك ، وأن أوروبا قد

اقامت نفوذها فى افريقية علىأسس الاستغلال التجارى والاقتصادى « بينما كان الاقتصاد الوطنى الافريقى يعتمد على الاكتفاء الذاتى كما هو الحال الآن فى الأقاليم الشمالية من جمهورية غانه ،ومعظم جهات نيجيريا، ومناطق الأخدود الافريقى فى كينيا، والجزء الشرقى منالهضبة الاستوائية ومناطق كثيرة فى أوغندة والكونغو ، ومناطق الوطنيين بالروديسيتين كما نجد أنالمستعمر أقامنظامه علىأساس التسويق والتجارة ورأس المال .. والفرق بين النظامين شاسع » .

ثم أورد لنا المؤلف عدة احصائيات تبينا منها أن الدول التى تعتمد على الزراعة والثورة النباتية هى : نيجيريا، وأوغندة ، وكينيا ، بينما تعتمد روديسيا الشمالية على التعدين والثروة المعدنية كما تتعادل القيمة الانتاجية من الزراعة والتعدين فى كل من الكونغو وروديسيا الجنوبية .

وكما أحالنا المؤلف الى مرجعهفى ختام ص ٣٢ وهو مجلة ((**نهضة افريقية**)) العددين الثالث والرابع فقد كنت أحب أن يحيلنا الى مرجعه أيضا فى جدوله عن القيمة الانتاجية لدول أفريقية التى تناضل فى سبيل الاستقلال ص ٣٣ ، والى جدوله عن النسبة المئوية لمساهمة الافريقيين فى الانتاج الزراعى ، والنسبة المئوية لمساهمة الأوروبيين فى الانتاج الزراعى فكلاهما موجود بنصه فى مجلة نهضة افريقية (العدد الثانى : ديسمبر ١٩٥٧) وقد استند فيهما الدكتور محمد رياض الى نشرة الأمم المتحدة ص ١٢ .

أما الجدول الذى أورده المؤلف فى ص ٣٥ عن مجموع السكان ، وعدد الافريقيين ، وعدد الأوروبيين والجنسيات الأخرى فنرى أن المؤلف يختلف فى احصائياته عن الاحصائية التى جاءت فى العدد الثانى من مجلة « نهضة افريقية » ، والتى حددت بما بينعامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٢ ،ولانعرف بأيهما نأخذ ، وان كنا نرتاح الى ما جاء فى مجلة نهضة افريقية . فقد اعتمد المؤلف فيها على عدة مصادر أهمها :ــ

1. Statseman's Yearbook London 1951.
2. Demographic Yearbook United Nations. New York 1953.

ثم نرى المؤلف يهمل الجانب الرعوى الذى يشكل مناطق هامة ، وكبيرة فى القارة الافريقية .

ثم تكلم المؤلف عن حركة البعث القومى ، وكيف ساعدت عليه عدة عوامل يسلم بعضها الى البعض الآخر، ويبدأ « بالحكم المباشر » الذى يمثل قمته الأوروبيون ، بينما يمثل القاعدة الافريقيون . ثم نرى المواطنين يلتفون حول رجل واحد ذى شخصية بارزة فصيح اللسان « وهذه الصفات لا تتوفر الا فى رجال المحاماة من الافريقيين الذين نالوا قسطا من الثقافة وقوة التعبير عما يجيش فى صدور المواطنين كما لهم من القدرة على معالجة المشكلات القانونية المعقدة التى تعترض حياة الأهلين كمشكلات الأرض والأجور ، والضرائب » .

ونحن هنا نتساءل ولماذا تكون

هذه الصفات وقفا على رجال المحاماة فقط ؟ بل اننا لنؤكد أن الرجال الذين التف حولهم الافريقيون فى القـــارة ليسوا من المحامين .

وبعد مرحلة التفاف المواطنين حول شخصية قوية ،تأخذ منظمات الشباب دورها كثمرة طبيعيـــة لازدياد عـــدد المثقفين الذين لا تستوعبهم الوظائف الحكومية . فهذه المنظمات تسعى الى الحــكم الذاتى كوسيلة للدخـــول فى السلك الحكومى .

هذا وان كنت لا أميـــل الى الأخذ بهذا الرأى بعامة لأنه يعزل ماعدا المثقفين العاطلين عن المد التحررى ، ولأنه أيضا يربط قضية الوطن بقضية الاستيلاء على الحكم مهما كانت مظاهر هـــذا الاستيلاء ، والرغبة فيه .

أما المرحلة الأخيرة فتشمل المؤتمرات التى جاءت عقب الحرب العالمية الثانية لنشر مبادىء الديمقراطية .

ثم نرى المؤلف يحـــدثنـــــا عـــــن « القوميـــــة العربيـــة والقوميـــــة الافريقيـــة ومؤتمـــر مونروفيـــــا » فى تخطيط سريع فيذكر أن القوميـــة الافريقية مصطلح جديد فى القاموس السياسى العالمى ، وأن مفهومه ما زال غامضا بين علمـــاء الغـــرب ، وأنهم يضعون هـــذا المصطلح فى مواجهـــة « القومية العربية » للتشويش عليـــها ثم ينتهى بنا الى أن يقول «ان القومية بمدلولها الصحيح معناها رغبة أمة ما فى حكم نفسها بنفسها وفى الوحدة».

ومن الواضح أن فكرة هذا الفصل مقتبسة من مقال «القومية الافريقية» بالعدد الثـــامن من مجلة « نهضـــة افريقية » ، وان كان صاحبها لم ينته الى تعريف القومية كما عرفها المؤلف وانما قال :

« وبعد : فما هى الحركة القومية . لقد قال بعض علماء الســياسة : ان القومية حالة عقلية يكون فيهـــا الولاء الأعلى للفرد موجها نحو الأمة . وقال آخرون : ان القوميـــة هى شـــــعور من جانب الفرد أو المجموعة بعضويته فى أمة ، ورغبته فى دفعها الى الأمام».

وقـــد كنت أحب أن يورد المؤلف جانبا حاسما من التقاء الافريقيـــــة بالعـــروبة ، الذى ظهر واضحـــا فى الشمال والجنوب فى السودان ، حتى لقد تردد أثر هذه الظاهرة واضحا فى الحيـــاة السياســـية . ثم ألقى هـــذا الالتقاء ظله على الأدب شـــعرا ونثرا هناك .

ثم يحدثنا المؤلف فى صدق وحماس عن الحزام الافريقى الذى يتمثـــل فى الاتحادات الآتية : ــ

١ ــ اتحاد وسط افريقية الشرقية.
٢ ــ اتحاد وسط افريقية .
٣ ــ اتحاد الكونغو الباجيكى .
٤ ــ اتحاد المجتمع الفرنسى الافريقى.
٥ ــ اتحاد وسط افريقية الغربية .

فأما اتحاد وسط افريقية الشرقية فيضم **« كينيا » ، و « أوغنـــدة » ، « تنجانيقا » .**

والمؤلف هنا يؤرخ لكل دولة مـــن هذا الدول ،ويوضح الخطوات الدخيلة التى عاقت تقدمها ، وجعلت تمتص قواها فى شراهة ، ووحشية .

وأما اتحاد وسط افريقية ويسمى « الحزام النحاسى » فيضم اتحـــاد الروديسيتين مع نياسالاند . كما يضم روديسيا الجنوبية ونياسالاند .

ويعتبر هذا الاتحاد احدث عضو فى « الكومنولث » البريطانى فقد بدأ الاعداد له من عام ١٩٥٣ ، وهذا الاتحاد يضم مساحة كبيرة تقرب من مساحة « نيجيريا » فهى تقدر بحوالى مليون ميل مربع . كما يبلغ عدد سكانها ستة عشر مليونا .

وقد تزلزل هذا الاتحاد بفضل الحركات الأخيرة التى تمت فى هذه المنطقة ، والتى التفت حول الزعيمين « فيليب جوماتى » ، والدكتور « باندا » . ذلك لأن حقيقة المشكلة تتمثل فى معارضة الروديسيين الشماليين والنياسالانديين فكرة هذا الاتحاد الذى يرمى الى سيطرة البيض التابعين فى روديسيا الجنوبية . فالافريقيون لايمكن أن ينسوا وجهة هذه السياسة البغيضة التى تتمثل فى « **روى وانيسكى** » رئيس وزراء الاتحاد « ان ثلاثين ألفا من المستوطنين البيض سيحافظون على سيطرتهم السياسية على سبعة ملايين من الافريقيين الى أمد غير معلوم ! » .

.. أما الاتحاد الافريقى البلجيكى فيتمثل فى مستعمرات بلجيكا التى تتكون من : ــ

١ ــ اتحاد الكونغو البلجيكى
٢ ــ راوندا أوراندى .
٣ ــ وسط افريقية البلجيكى .

ولاشك أن هذا الاتحاد قد تصدع الآن بفضل القوى الافريقية التى اجبرت البلجيكيين على الاعتراف باستقلال الكونغو فى عام ١٩٦٠ .

أما اتحاد وسط افريقية الذى يتمثل فى إتحاد المستعمرات البريطانية فيتكون من : ــ

١ ــ نيجيريا .
٢ ــ الكميرون .
٣ ــ سيراليون .

ولا شك أن هذا الاتحاد قد تفكك الآن باستقلال نيجيريا الذى نالته فى عام ١٩٦٠ ، واستقلال الكميرون الذى كان تابعا للوصاية الفرنسية . والذى يطالب بتوحيد الكمرون الذى كان تابعا لفرنسا ، والكمرون الذى مازال تحت الضغط البريطانى .

.. أما اتحاد المجتمع الفرنسى فيشمل : ــ

١ ــ افريقية الاستوائية .
٢ ــ الكمرون .
٣ ــ توجولاند .
٤ ــ اتحاد مالى .

وقد استوحت فرنسا فكرة هذا الاتحاد حينما فكرت جديا فى أن سياستها التى تقوم على التذويب الافريقى فى الكيان الفرنسى لم تفلح ، وأن عليها أيضا ، لتبقى أكبر مدة ممكنة أن تضرب هذه البلاد بعضها ببعض ، وأن تبث الحقد ، والكراهية المدمرة بين أبناء هذه المنطقة من افريقية بدعوى حماية كل واحدة من الأخرى .

ولكن هذا « الحلم الذهبى » لم يتحقق . فقد استقل « الكمرون » فى أول يوم من عام ١٩٦٠ ، وستنال « توجولاند » استقلالها كذلك فى عام ١٩٦٠ .

وهكذا نرى أن هذه الاتحادات التى أرخ لها المؤلف بصدق تنهار الواحد بعد الآخر . ذلك لأن افريقية لم تعد تساوم على حريتها ، ولم تعد توقع على معاهدات فى الظلام ، ولم تعد تؤمن

الا بشىء واحد هو أن أفريقية للافريقيين .

ومن هنا أخذ هذا النفوذ الذى جثم على حرية البلاد ، وعلى استقلالها ينحسر لتبقى حقيقة واحدة مؤكدة هى حقيقة « افريقية الحرة » .

ثم حدثنا المؤلف عن دور أمريكا فى افريقية ، وكيف كانت فى الماضى تكتفى بمرفأ فى « ليبيريا » تجلب عن طريقه الرقيق لترهقه فى بلادها جسدا ، وروحا .

ثم كيف تحول هذا اللون من الاستغلال البشرى الى استغلال آخر اقتصادى حينما رأت فى هذه البلاد مادة خاما تستطيع أن تتحكم فيها عن طريق « الدولار » ، وقد تنبهت الى هذه البلاد بصورة حادة حينما وجدت أن الديون التى كانت ترهق انجلترا ، وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية كانت تسدد عن طريق هذه المستعمرات الافريقية .

ثم ان تراكم الأموال الأمريكية وتكاثفها حمل أصحابها على أن يستغلوها فى افريقية ، ولذلك سمعنا من أمريكا نغمة جديدة أيضا هى نغمة القواعد الاستراتيجية ، والأحزمة ، والنطاقات .

ولقد أخذت فرنسا أخيرا تلوح بمشروع جديد هو مشروع «أورو ـ أفريكا» . فحينما أحست أن ممتلكاتها تضمحل وتتضاءل ، وأن مصالحها فى كل دولة افريقية تهدد بالتدمير أرادت أن تتكىء فى سياستها على تأييد الرأى العام الأمريكى والسياسة الأمريكية . فهى من ناحية تتضمن سير مصالحها فى افريقية ، ومن ناحية أخرى تتضمن تأييد دولة كبيرة لها أثرها فى الميزان الدولى .

ويقوم هذا المشروع الذى يروج له الفرنسيون لدى الهيئات الأمريكية على استغلال المعادن ، والبترول وبخاصة هذا البترول الذى ظهرت تباشيره فى الجزائر

وقد تدفق الأمريكيون الى هذه المناطق . كما بدأت الأموال تأخذ طريقها الى البنوك هناك ، ولكن كل هذا لن يقف فى وجوه القوى المكافحة ، التى تقف فى اصرار وعناد ، دون كل ذرة من ذرات الأرض الافريقية .

* * *

ثم ختم المؤلف كتابه القيم ببيان دور « الجمهورية العربية المتحدة » فى افريقية ، وكيف أن الجمهورية تعمل جاهدة على بث روح التحرر فى افريقية ، وتدعو فى كل وقت الى جلاء الأوروبيين عن افريقية ، وتساند باخلاص كل القوى التحررية التى تجاهد فى سبيل قضية الحرية فى القارة بأجمعها .

ولكن القوى الاستعمارية تعمل ما وسعها العمل الى القاء بذور الفتن بين الجمهورية العربية المتحدة وافريقية ، ولعل آخر فكرة قامت بها هى أن الجمهورية العربية ليست من افريقية فى شىء بل لقد ذهبت الدعاية الاستعمارية الخبيثة الى حد تقسيم افريقية الى عدة افريقيات بين كل افريقية وأخرى حدود وفواصل سياسية ، وثقافية ، واجتماعية .

ولكن دعوة الالتقاء الافريقى تجرف كل هذه الدعوات الهزيلة . فالعالم الافريقى لن ينسى كلمة الرئيس «جمال عبد الناصر » .

«انا لن نستطيع بحال من الأحوال حتى ـ لو أردنا ـ أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتى مليون من الافريقيين. لا نستطيع لسبب هام وبديهى .. هو أننا فى افريقية . ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا . نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذى نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة العذراء .

والمؤكد أن افريقيـــة الآن مسرح لفــوران عجيب مثــير ، وأن الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها .

ولن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تقف أمام المد الذى يجرى فى افريقية ونتصور أنه لا يمسنا ولا يعنينا » .

هذا هو الدستور الذى تسير عليه الجمهورية العربية المتحدة فى علاقتها مع افريقية .

ثم نرى المؤلف فى الختام يؤكد أن دور الرجل الأبيض قـد انتهى مـن القارة الافريقية ، وأن على افريقية الآن أن تتحمل مسئولياتها وحدها . فلم يعد فى هذا العصر انسان يقبـل العبودية وأول هـذا الانســان هــو الانسان الافريقى .

* * *

وهكذا يقدم لنا هذا الكتاب مـادة طيبة تسد فراغا فى المكتبة الافريقية، وفى العقلية العربية التى تتفتح الآن على كل ما هو افريقى بعد أن وقف الاستعمار مدة كبيرة بين هذه القارة وبين أن تدخـل الى رءوس المثقفين العرب ، وغيرهم الا من خلال أقلامهم، ودعاياتهم .

فالكتاب يتحدث بحماس وحب عن القارة ، ومن هنا كان تفكير المؤلف فيه يسمع من مكان بعيـد . فأنه يخطب أو يتحدث عن موضوع يمس عاطفة المؤلف وقلبه ، ولذلك نراه أقرب الى الوثيقة الأدبية البليغة منه الى الوثيقة السياسية .

.. ولا مانع فى ختام هذا الحديث ونحن نهنىء المؤلف على كتابه أن نطلب منه مراعاة قواعد اللغة العربية .



سد الفولتا بعد السد العالي

للأستاذ محمد جلال عباس

مقـدمة :

كان السد العالى فى حياتنا مشروعا نأمل تحقيقه ليكتمل لنا الاستقلال الاقتصادى وليزداد فى بلادنا الرخاء ، ولنحل مشكلة السكان ومشكلة نقص الأراضى الزراعيةومشكلة الاعتماد على الزراعة وعلى الغلة الواحدة . ثم أصبح هذا المشروع حقيقة بعد أن انتصرنا على قوى الاستعمار التى حاولت تأجيله أو التحكم فى رقابنا عن طريق تمويله .

وفى حياة شعب غانه الشقيق مشروع مماثل هو سد الفولتا ، الذى يشبه السد العالى فى أغراضه وفى موقف الاستعمار منه ، فهو سد لتخزين المياه من أجل توليد الكهرباء اللازمة للتصنيع ، ومن أجل زيادة الأراضى المزروعة وموارد الأسماك لتوفير جزء من غذاء الشعب الغانى ويساعد أيضا على تخليص غانه من خطر الاعتماد على الغلة الواحدة .

وللاستعمار مناوراته التى يهدف من ورائها الى استعادة نفوذه فى هذا القطر الفتى الذى لم يفق بعد من سبات الاستعمار البغيض متخذا مشروع نهر الفولتا منفذا له ، كما حاول فاشلا من قبل أن ينفذ الينا عن طريق السد العالى .

ويجدر بنا قبل أن نتناول مشروع نهر الفولتا بالدراسة أن نعرض لبعض جوانب الحياة الاقتصادية فى غانه مما يرتبط بالمشروع ارتباطا مباشرا .

الكاكاو ثروة اليوم فى غانه :

تعتبر غانه أكبر دول العالم المنتجة للكاكاو ، اذ أنها تعطى نحو ثلث انتاج العالم منه ، وهى تعتمد فى اقتصادها اليوم على الكاكاو الذى يبلغ الصادر منه نحو ٧٠٪ من قيمة صادراتها ، وليس من شك فى أن هذه النسبة المرتفعة لغلة واحدة فى قائمة صادرات دولة تعتبر خطرا كبيرا يتهدد الدولة اذا ما تعرضت هذه الغلة لقلة فى الانتاج أو ذبذبة فى الأسعار أو تغير فى الطلب عليها ، ومما يزيد اعتماد غانه على هذه الغلة الواحدة خطورة أن الكاكاو يعتبر من الكماليات التى تتركز مناطق استهلاكها فى أوروبا وأمريكا على وجه الخصوص ، ولذلك نجد الاقبال عليها يتوقف على الرخاء الاقتصادى فى هذه البلاد ، ومن ثم تتذبذب أسعارها تبعا للحالة الاقتصادية العامة التى تسود الطبقات التى تستهلك الكاكاو والشيكولاته ، فاذا ما أدخلنا فى الاعتبار عامل تذبذب الأسعار الى جانب تعرض الغلة لانخفاض نتيجة ما قد يصيبها من

آفات وحشرات أدركنا أن اقتصاد الدولة التى تعتمد على هذه الغلة الكمالية يتعرض دائما للخطر مما يؤدى بالتالى الى كثير من المصاعب التى قد تواجه الحكومة والشعب .

البوكسيت معدن المستقبل :

وفى غانه معادن كثيرة تتمثل فى الذهب والماس والمنجنيز والبوكسيت، وتستخرج هذه المعادن جميعها فى الوقت الحاضر ولكنها تدخل بنسبة منخفضة فى قائمة الصادرات وأكبرها الذهب الذى يمثل نحو ٨٪ من قيمة الصادرات .

ويعتبر البوكسيت الذى يستخرج منه الألمنيوم أحدث المعادن التى استغلت فى غانه ، اذ يرجع تاريخ اكتشافه الى سنة ١٩٢٠ أثناء عملية المسح الجيولوجى التى قامت بها الحكومة آنئذاك لتحديد مناطق الماس، غير أن العمل فى استخراجه بدأ بعد ذلك بعشرين عاما حينما قامت الشركة البريطانية للالمنيوم باستخراج وتصدير كمية منه فى سنة ١٩٤١ ، وما تزال هذه الشركة تحتكر استغلاله هى وشركة غرب افريقية التى حصلت على امتياز العمل فى استخراجه سنة ١٩٤٥ .

وتوجد رواسب البوكسيت على شكل طبقات قبابية يتراوح سمكها بين ٢٠ و ٥٠ قدما وتظهر قريبة من السطح فى معظم الجهات مما يجعل استخراجها ونقلها امرا سهلا ميسورا.

وهناك ثلاث مناطق رئيسية توجد بها هذه الرواسب .

١ ـ منطقة اواسو فى المديرية الغربية وهى أول منطقة استغل فيها البوكسيت .

٢ ـ منطقة آيا التى تقع على بعد ٣٥ ميلا غرب كوماسى ويوجد فى هذه المنطقة احتياطى يزيد على ١٥٠ مليون طن .

٣ ـ منطقة جبل اجوانيا التى تقع قرب أكرا وفيها احتياطى قليل لايزيد عن ٥ ملايين طن ، وكانت تستغل أثناء الحرب .

ويبلغ مجموع احتياطى غانه من البوكسيت مقدارا يتراوح بين ٢٢٥ و ٢٣٠ مليون طن من الخام الجيد الذى تزيد نسبة أوكسيد الألمنيوم فيه عن ٥٠٪ وتصل أحيانا الى أكثر من ٦٥٪ .

وان هذا الاحتياطى الكبير ليبشر بمستقبل طيب فى حياة غانه الاقتصادية ،اذ أن التوسع فى استغلاله سوف يساعد البلاد على التخلص من الأخطار التى قد يتعرض لها اقتصادها نتيجة للاعتماد على غلة كمالية كالكاكاو، هذا فضلا عن أن تصنيع الألمنيوم محليا سوف يساعد على زيادة الدخل القومى ، وتشغيل الكثير من الأيدى العاملة فى عمل أكثر ادرارا للمال وضمانا للربح ، وبالتالى سوف يكون ذلك من العوامل التى تساعد على رفع مستوى المعيشة فى هذا القطر الناشىء الحديث الاستقلال .

مشروع الفولتا واستغلال البوكسيت:

ولن تتأتى مساهمة البوكسيت الفعالة فى اقتصاديات البلاد الا اذا

توفرت القوى الكهربائية اللازمة لفصل الألومنيا عن الخام الطبيعي ، وعلى هذا الأساس بدأ التفكير في مشروع توليد الكهرباء من خزان ينشأ على نهر الفولتا ، وفي سنة ۱۹۳۰ قام رجل من جنوب افريقية يدعى دانكان روز Duncan Rose برسم خطة عامة للمشروع ، غير أن بحث الأمر توقف بسبب الحرب العظمى سنة ۱۹۳۹ ، وفي سنة ١٩٤٥ ، حينما حصلت شركة غرب افريقية البريطانية على امتياز انتاج الألمنيوم في غانه أخذت تشجع السلطات الحكومية آنئذاك على النظر الى هذا المشروع بعين الاهتمام، ونتيجة لذلك عينت حكومة غانه «السير وليم هالكرو » وبعض المساعدين له سنة ١٩٤٩ لدراسة امكانيات استغلال نهر الفولتا وأرسلت انجلترا بعض الخبراء للاشتراك في الأبحاث ، كما ساهمت الشركات فيها .

في ذلك الوقت كانت الحركة الوطنية في غانه قد بلغت أشدها وتبين للسلطات الاستعمارية أن أبناء ساحل الذهب مصممون على الحصول على استقلالهم، وأدركوا أن الاستعمار راحل ان آجلا أو عاجلا ، وقد تأثرت اللجنة بهذه الأوضاع فتقدمت بتقريرها الذي أثبتت فيه أن المشروع يتطلب مزيدا من الدراسة كما قررت أن أطرافا متعددة يجب أن تشترك في انشائه وتمويله .

وفي سنة ١٩٥٣ شكلت لجنة أخرى لدراسة المشروع من شتى نواحيه ، وطالبت الأحزاب في ذلك الوقت بضرورة اشراف المجلس التشريعي على أعمال اللجنة خشية ان تنتهي في قراراتها الى ما قد يضر بصالح البلاد ، فاضطرت الحكومة الى تشكيل لجنة وطنية تتكون من وزيرين وثلاثة من أعضاء المجلس التشريعي يمثلون الأحزاب الثلاثة لتشرف على أعمال اللجنة الفنية .

ووضعت اللجنة الفنية تقريرها سنة ١٩٥٦ في وقت كانت غانه فيه على أبواب الاستقلال التام فأجل الموضوع الى حين الاستقلال .

ومن أهم ماقررته اللجنة أن مشروع الفولتا سوف يجعل غانه من أكبر الدول المنتجة للألمنيوم في العالم ، اذ سيبلغ انتاجها السنوى في ظل المشروع نحو ١ر٢ مليون طن من البوكسيت يستخرج منها نحو ٢١٠ ألف طن من الألمنيوم أى نحو ١٠٪ من الانتاج العالمي فتكون غانه بذلك الدولة السابعة بين الدول المنتجة للبوكسيت كما ستأتي في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة في انتاج الألمنيوم الصافي نتيجة لارتفاع نسبته في خام البوكسيت المتوفر في تربة غانه .

مكونات المشروع :

ويتكون المشروع من خزان ومحطة توليد كهربية ومصنع كالآتي :

الخزان ينشأ قرب مدينة أجينا في منطقة « خانق تلال أكوابيم » التي تبعد ۷۰ ميلا عن الشاطيء . والغرض منه هو توفير المياه من فترة الفيضان والتحكم في كمية التصرفات على مدار السنة بحيث يعطى انحدارا متناسبا .

ومحطة التوليد تنشأ عند مساقط سنشي رابيد Senchi Rapids التي تقع

على بعد ٥ أميال جنوبى الخـــزان حيث تصل الى هذه المساقط قنـاة عمقها ٢٨ قدما تحمل مياه الخـزان وتعطى انحدارا يؤدى الى توليد طاقة كهربية تقدر بنحو ٦٣٣ ألف كيلووات فى الساعة .

أما المصنع الذى ستقوم فيه عملية صهر الألمنيوم فسينشأ عند موقـع كبونج وسـوف يستخدم ما يتراوح بين ٨٣ ، ٩٠٪ من القوى الكهربيـة المولدة من الخزان .

هذا وسيتطلب الأمر اذا ما أنشىء المشروع ضرورة توفير وسائل النقـل الرخيصة وتيسير التصدير ، اما عن التصدير ، فحكومة غانه قد قاربت الانتهاء من انشـاء ميناء تيما لتكون معدة لاستقبال السفن الكبيرة التى تحمـل لوازم انشـاء المشروع والتى ستحمل انتاج الألمنيـوم الى العـالم الخارجى فيما بعد ، وقد وضع مشروع لمد خطوط حديدية من آيا الى كوماسى ليمكن وصل منطقة الاستخراج الكبرى بشبكة السكك الحديدية القائمـة ، وكذلك خط من كفوريدا الى كبونج لتوصيل المصنع بهذه الشبكة وخط من كبونج الى تيما لتوصيل الانتـاج الى ميناء التصدير .

الفوائد الأخرى للمشروع :

الى جانب تصنيع الألمنيـوم الذى يعتبر الهدف الرئيسى مـن المشروع هناك فوائد أخرى سوف تعود على غانه منه تتلخص فيما يلى : —

١ — امكان استخدام جـزء مـن القـوى الكهـربية المولدة للاستـهلاك المدنى والتعدين ، فقد قدر أن نحـو ١٠٠ ألف كيلووات سـاعة سـوف تتوفر بعد أن يستخدم المصنع حاجته من القوى الكهربيـة المولدة ، ويمكن مد شبكة كهربيـة الى تيمـا وأكرا وتأكـورادى وكوماسى من أجـل الاستخدام المدنى ،كما يمكن الاستفادة منها فى ترقاوه حيث مناجم الذهب والمنجنيز وكذلك فى مناطق استخراج البوكسيت فى اواسو وآيا وغيرهما حيث تمتد شبكات فرعية لخدمتها .

٢ — يمكن استخدام مياه الخزان فى رى سهل أكرا الصـالح للزراعـة المتعطش للمياه ، وبذلك يتحول مـن منطقة أعشاب فقيرة الى منطقة زراعية غنية تساهم فى انتاج مـواد الغـذاء للبلاد .

٣ — سوف يترتب على البحيرة التى تتكون على طول النهر أمام الخزان زيادة موارد الأسماك الى ثلاثة أمثال الانتاج السنوى فى الوقت الحاضر والذى يقدر بنحو ٦٠٠ طن فقط وذلك نتيجـة لاتساع رقعة المياه واقبال الكثير مـن سكان أعالى النهر على الاتجـاه الى صيد الأسماك بعد أن تصبح الميـاه فيه غزيرة ودائمـة ، وبخاصـة اذا ما اتجهت الحكومة الى تشجيع ذلك عن طريق ادخال الطرق الفنية والوسائل الحديثة للصيد واكثار الأسماك .

مسألة التمويل :

وقد قدرت اللجنة الأخيرة تكاليف المشروع بنحو ٦٤٧ مليون دولار ورأت اللجنـة ضرورة عمـل حسـاب الاحتياطى وقدره ٤٥٪ لمواجهة الزيادة التى قد تنجم عن تغير الأسـعار والأعمال التى قد تزيد على المشروع المخطط وتظهر الحاجة اليهـا أثنـاء التنفيذ . فتبلغ بذلك جملة التكاليف نحو ٨٦٧ مليون دولار موزعة كالآتى:

١ — مشروع التوليد ويتكلف نحو ٢٧١ مليون دولار .

٢ ـ المناجم والمصانع وتتكلف نحو ٣٧٠ مليون دولار .

٣ ـ نقابات الانشاءات الأخرى والسكك الحديدية والطرق وتتكلف نحو ٢٢٦ مليون دولار .

واقترحت اللجنة أن تقوم انجلترا بتمويل مشروع التوليد (الخزان ومحطة التوليد) ، وأن تقوم الشركات المنتجة للألمنيوم (شركة غرب افريقية وشركة الألمنيوم البريطانية وشركة الألمنيوم الكندية) بتمويل انشاء المصنع ومستلزمات التعدين . أما الحكومة فتتولى الانشاءات العامة وقد قامت فعلا بانشاء ميناء تيما وتعبيد الطرق وتكلفت فى ذلك نحو ١٥٢ مليون دولار ولم يبق من هذه الانشاءات العامة سوى شبكة السكك الحديدية التى تقدر تكاليفها بنحو ٧٤ مليون دولار .

موقف انجلترا من المشروع :

لانجلترا فى مشروع نهر الفولتا مصلحة مزدوجة ، فانها سوف تضمن زيادة انتاج الألمنيوم بكميات وافرة فى غانه الداخلة ضمن نطاق الاسترلينى ، الأمر الذى يساعد على تقوية المركز المالى الذى له فى العالم . هذا فضلا عن أنها سوف تضمن بمساهمتها فى المشروع ـ طبقا للشروط التى تريد أن تمليها ـ عودة نفوذها الاستعمارى الى غانه من جديد بقدم راسخة وبقبضة قوية تسيطر بها على اقتصاديات الاقليم ، غير أنها تخشى الاتجاه الوطنى المخلص الذى لاشك فى أنه سوف يعارض شروطها التى تنوى أن تمليها والتى تتلخص فيما يلى : ـ

١ ـ أن تتعهد الحكومة الغانية بتسديد المبالغ المستحقة لبريطانيا ، التى ساهمت بها فى انشاء المشروع ، من أرباحها على مدى ثمانين سنة .

٢ ـ ضمان الشركات لحكومة غانه فى دفع هذا الدين .

٣ ـ تشترك انجلترا فى هيئة الاشراف على المشروع ويكون لها وحدها حق اختيار رئيس الهيئة .

٤ ـ تحصل انجلترا على ٧٥٪ من الانتاج بالأسعار التى يباع بها فى الأسواق العالمية .

وواضح أن هذه الشروط لو قبلها الشعب الغانى فانه سوف يسلم نفسه الى الاستعمار من جديد .

وتخشى انجلترا فى الوقت نفسه اذا لم تنجح فى أن تحصل على امتياز تمويل المشروع بشروطها التى تريدها أن تتولى دولة أخرى تمويله فيقفل فى وجهها باب قطر من الأقطار فهى تسعى جاهدة الى استعادة نفوذها فيه عن طريق المعونات الاقتصادية .

وبين خشية انجلترا من الدخول كممولة لبناء السد ومحطة التوليد وحدها ، وبين خوفها من ترك الميدان لغيرها ، أعلنت أنها سوف تساهم فى المشروع بمبلغ ٣٠ مليون جنيه مبدئيا أى نحو ثلث التكاليف فقط وذلك حتى تستطيع بمناوراتها السياسية أن تملى شروطها مع الوقت .

موقف الشركات :

هناك ثلاث شركات تريد أن تحتكر المشروع وحدها هى : الشركة البريطانية للألمنيوم والشركة الكندية للألمنيوم وشركة غرب افريقية لانتاج البوكسيت ، وسوف تقوم هذه الشركات متضامنة ـ حسبما جاء فى تقرير اللجنة ـ بانشاء الشطر الثانى من المشروع وهو مصنع استخلاص الألمنيوم ، غير أن هذه

الشركات تساورها مخاوف متعددة وتطلب لذلك ضمانات خاصة .

وأهم تلك المخاوف خشيتها من تقلب الأوضاع السياسية ولذا فهى تطلب أن ينص فى العقود على استمرار العمل وعلى الحصول على تعويضات عما انفقته أو ما قد يصيبها نتيجة لأى تغير فى الظروف السياسية كما أنها تعمل على أن تحصل بريطانيا على امتيازات فى غانه لتتخذ منها حماية لها فى مثل هذه الظروف التى قد تطرأ على البلاد .

وتخشى أيضا هذه الشركات من ارتفاع أجور العمال ولذلك تطالب مقدما بأن تصدر الحكومة الغانية قوانين لتجميد الأجور على وضعها الحالى وتكفل بقاءها على هذا المستوى أطول مدة ممكنة .

وأكبر ما تخشاه الشركات هو نمو موجة أفرقة الأعمال والوظائف الرئيسية فى المشروع ، تلك المناصب التى تريد الشركات أن تبقى فى أيدى الأجانب حتى تضمن استمرار الاستغلال لصالحها ، ولأنها تخشى لو اعتلى الافريقيون هذه المناصب والوظائف أن يوجهوا الانتاج لصالح غانه وحدها ، الأمر الذى يؤدى حتما الى نقص كبير فيما يعود على هذه الشركات من أرباح طائلة . ولذلك تثير الشركات دعاية ضخمة بأن الافريقيين ليسوا على درجة عالية من الكفاية الفنية والخبرة العملية التى تؤهلهم لشغل الوظائف الرئيسية وهى تهدف من وراء هذه الدعاية الى الاحتفاظ للأجانب بالمراكز الكبرى التى تتحكم فى التوجيه الفنى والمالى للانتاج .

ويتضح لنا مما سبق أن هذين الطرفين (الشركات وبريطانيا) يأخذان اتجاها واحدا فى المشروع هو ضمان مصالحهما فحسب دون النظر فى مصالح غانه الدولة التى سينشأ المشروع فى أرضها وسيستخرج البوكسيت من تربتها ، وسيعمل أبناؤها فى انشاء المشروع واستخراج المعدن ! .

والهدف الرئيسى من وراء ذلك كله هو استعادة الاستعمار ولكن بصورة مقنعة تتسم بالحداثة فى ظاهرها ولكنها فى حقيقتها صورة قديمة ترجع الى عهد الاستعمار فى القرون الماضية ، ذلك العهد الذى كانت الشركات فيه ومن ورائها الحكومات تعمل على النفوذ الى الأقطار الافريقية لاستعمارها ووضعها تحت السيطرة الأجنبية ، وتحاول بريطانيا والشركات أن تعيد هذه الصورة من جديد فى لون آخر هو المشروعات الاقتصادية التى تساهم فيها بالأموال وتملى عن طريقها الشروط التى تسيطر بها . ولكن هذه الصورة لم تعد تنطلى على الشعوب التى أفاقت ولن تخدع الى الأبد ! .

أمريكا تدخل الميدان :

ونظرا لما يحيط الشركات والحكومة البريطانية من مخاوف ، وهما الطرفان الرئيسان اللذان قررت اللجنة أن يقوما بتمويل الجزء الأساسى من المشروع ، فقد تعطل التفكير الجدى فى تنفيذه .

ووجدت أمريكا أن أمامها فرصة لكى تدخل الميدان ، وخاصة أنها تطمع فى أن تكون الوريثة الوحيدة للاستعمار القديم فى أفريقية فتنفذ الى الدول الافريقية التى تستقل عن طريق المعونات الفنية للمناطق المتخلفة اقتصاديا بدعوى رفع مستوى معيشتها لمقاومة الشيوعية .

فأخذت تسعى وانتهى سعيها الى تشكيل لجنة مشتركة من حكومة غانه وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بدراسة للمشروع من جديد، وبدأت هذه اللجنة الأمريكية الغانية عملها منذ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ولم تنته هذه اللجنة بعد الى وضع تقريرها .

والمنتظر أن يخرج تقرير اللجنة بصورة جديدة للمشروع تشبه تلك الصورة التى خرجت بها اللجنة المشتركة التى شكلت عام ١٩٥٣ فتقرر أن المشروع لا يتم الا بأن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية ،والشركات الأمريكية بالتمويل نظير امتياز الاستغلال ، وان كانت ستأتى بشروط أخف فى ظاهرها من تلك الشروط التى تريد انجلترا والشركات البريطانية املاءها على غانه ولكنها تخفى فى حقيقتها السيطرة والاستغلال والاستعمار المقنع .

* * *

ونستخلص من هذا الاستعراض العام لمشروع نهر الفولتا أمورا هامة : ـ

١ ـ أنه مشروع حيوى بالنسبة لاقتصاد غانه اذ أنه سيساعدها على تقوية اقتصادها والتخلص من خطر الاعتماد على غلة واحدة كمالية هي الكاكاو .

٢ ـ أن بريطانيا تعمل على اعادة السيطرة على غانه عن طريق هذا المشروع بما تريد أن تمليه من شروط .

٣ ـ أن أمريكا تحاول أن تضع قدمها فى غانه عن طريق هذا المشروع .

٤ ـ ان الشركات البريطانية تحاول أن تحتفظ لنفسها بامتيازات تؤمن لها الاستغلال المستمر لغانه وتعمل على الاحتماء فى انجلترا لذلك .

وتقف غانه من هذا كله موقفا تختبر فيه قوة الشعوب الافريقية ، ومدى حرصها على حريتها ،واستقلالها الذى كافحت من أجله طويلا ، فاذا ما نجحت فى أن تسير على هدى الجمهورية العربية المتحدة فى موقفها من السد العالى ، بأن تقبل المساعدات الفنية على أساس من التعاون الدولى غير المشروط فانها بذلك سوف تثبت للعالم أجمع أن عهد خداع الشعوب لافريقية قد انقضى ، وأن أفريقية تعيش الآن فى عصر الحرية والحياد الايجابى .

المراجع

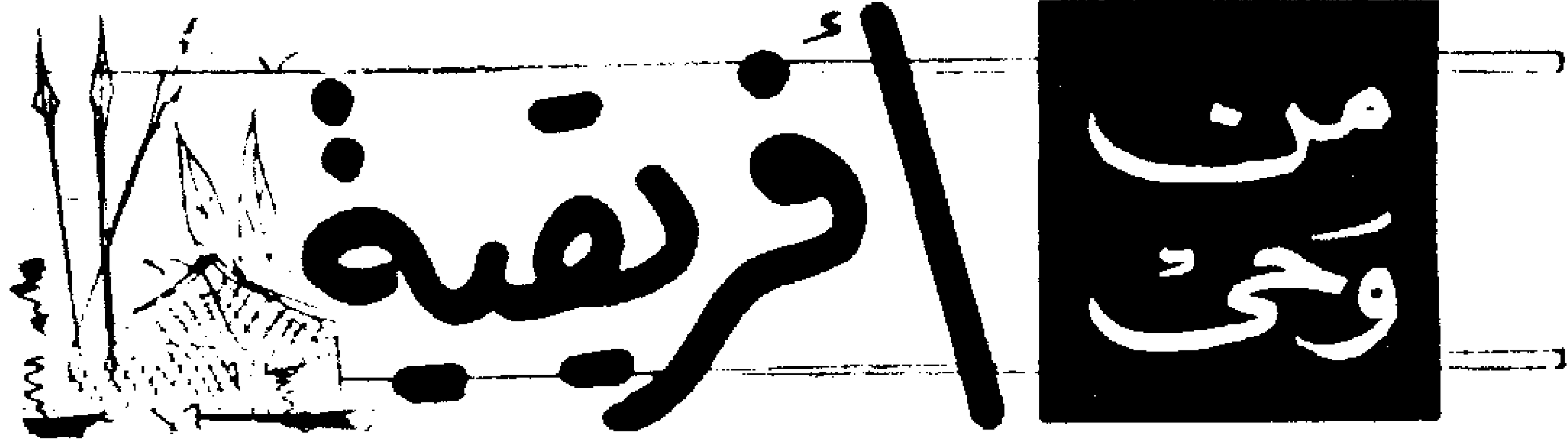
Dudley Stamp: Africa, a study in tropical development (New York 1953).

Pedler, F. J.: Economic Geography of West Africa (London 1955).

Lord Haiky: An African Survey, revised 1956. London 1957).

William A. Hance: African Economic Development. (New York 1958).

Ghana Handbook, A Daily Graphic Publication. (Accra 1959).



نشيد الشباب الآسيوى الافريقى

للأستاذ محمود غنيم

اسلمى يا أمم الشرق وسودى ... وابلغى الأوج بتوحيد الجهود
لأعداك النصر خفاق البنود ... أنت ظل الله فى هذا الوجود

وبشير الأمن فيه والسلام

يا شباب الشرق سودوا ... مثلما ساد الجدود
صحف الماضى شهود ... اننا سدنا الأنام

* * *

ها هنا فجر جديد طلعا ... وشباب للأذان استمعا
بين افريقيا وآسيا أجتمعا ... ألف الأحرار فى الشرق معا

ألفة بين كرام وكرام

يا شباب الشرق سودوا ... مثلما ساد الجدود
صحف الماضى شهود ... اننا سدنا الأنام

* * *

نحن شعب واحد يبغى الخلود ... لم تفرق بين أرضينا الحدود
ليس فى شرعتنا بيض وسود ... كلنا شرق عن الشرق نذود

نقبل الموت ونأبى أن نضام

يا شباب الشرق سودوا ... مثلما ساد الجدود
صحف الماضى شهود ... اننا سدنا الأنام

* * *

أيها الشرق ارفع الصوت جهارا ... ناد بالسلم على الأرض شعارا
كنت بالأمس لرسل الله دارا ... وستبقى للهدى فيها منارا

تنشر الألفة فيها والوئام

يا شباب الشرق سودوا ... مثلما ساد الجدود
صحف الماضى شهود ... اننا سدنا الأنام

من نشاط الرابطة

من أهداف الرابطة الافريقية العمل على ايجاد وعى وطنى افريقى ، ونشر روح التقدم الوطنى بين الافريقيين ومحاولة ابراز القضية الوطنية للعالم عامة ، وللعالم العربى بخاصة . كما أن من أهدافها معاونة الأحرار الافريقيين فى سبيل أداء رسالتهم وشرح قضيتهم فى مؤتمرات تعقد أو محاضرات أو حفلات تقيمها الرابطة لهذا الغرض . وهنا نقدم بعضا من نشاط الرابطة الافريقية .

ففى ٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٩ اشتركت الرابطة مع الهيئات الوطنية والاتحادات بالقاهرة فى مظاهرة كبرى ضد تجارب فرنسا الذرية فى الصحراء الكبرى ، ولقد نظمت الرابطة هذه المظاهرة الافريقية ، واشترك فيها ممثلون للبلاد الافريقية بأعلامهم الوطنية من الكمرون وأوغندا ونيجيريا والصومال وارتريا وأفريقية الاستوائية وافريقية الغربية وغانه وروديسيا والسودان والجزائر وليبيا وتونس ومراكش والجمهورية العربية المتحدة . واخذ أعضاء الرابطة يرددون الهتافات العدائية ضد فرنسا والهمجية الأوروبية . وضد التجارب الذرية ، وقد نشر الافريقيون نداءات مكتوبة نددوا فيها بأعمال فرنسا الاجرامية فى افريقية ، وطالبوا بمنع اجراء التجارب الذرية فى الصحراء الافريقية .

وفى ١٢ من سبتمبر اقامت الرابطة بدارها مؤتمر يوم روديسيا تضامنا مع شعب روديسيا فى كفاحه ، تحدث فيه السكرتير العام للرابطة الأستاذ محمد عبد العزيز اسحاق ، والسيد جون كاليه ممثل أوغندا ومندوبون عن كينيا ونيجيريا والصومال ، ثم اختتمه السيد جزشوا نكومو رئيس حزب المؤتمر الوطنى لروديسيا الجنوبية فألقى ضوءا على الأوضاع فى روديسيا ، وعرض للسيطرة الاستعمارية على بلاده وبين أن سيسل رودس استطاع أن يخدع الملك لوبنجولا عام ١٨٨٨ — ويستولى على ما يقرب من ٧٥ الف ميل مربع من الأرض . ثم بدأ فى تكوين الشركات الاستعمارية ، واحتكر جميع منابع الثروة فى البلاد ، واستخدم هو عبيدا له فى شركاته لدرجة أنه أخذ عددا من أبناء الملك لوبنجولا خدما خصوصيين له ، ولقد قامت الحرب بين الأهالى وشركة جنوب افريقية التى أسسها سيسل رودس عام ١٨٨٩ وقد استمرت شركة جنوب افريقية البريطانية تحكم روديسيا باقليميها حتى عام ١٩٢٤ وفى هذه السنة ضمت روديسيا الى التاج البريطانى ثم كشف عن الصراع الدائر الآن فى البلاد والرسالة التى يقوم بها حزبه — ثم اختتم المؤتمر بالقرارات التى دعت الى تأييد شعب روديسيا فى كفاحه ومناصرة قضية روديسيا والافراج عن الزعماء الوطنيين والغاء الأحكام العرفية .

وفى ١٣ من سبتمبر أقامت الرابطة حفل تأبين للزعيم الكمرونى روبين أم نيوب السكرتير العام لحزب اتحاد شعب الكمرون الذى اغتاله الفرنسيون فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ولقد تحدث فى هذا الحفل مندوبون عن الرابطة وأوغندا وكينيا ، ثم تحدث مندوب الكمرون فأوضح الدور القيادى الذى قام به روبين أم نيوب وقيادته لحزب اتحاد أهالى الكمرون ، هذا الحزب الذى تكون فى ١٥ من فبراير سنة ١٩٤٨ ، وبدأ الحزب فى سنة ١٩٥١ يواجه الاستعمار الفرنسى بمفهوم واقعى وهو العنف ، وبدا للقادة الذين يدعون لمقاومة الاستعمار أن الاستعمار الذى دخل على جثث الضحايا الوطنيين لن يخرج الا بالطريقة التى دخل بها . وفعلا بدأ روبين يدعو لهذا الاتجاه بالاشتراك مع زميليه كنجى آيل والدكتور مومى الى أن اشتد الصراع داخل الكمرون ، وبدأ الفرنسيون يواجهون الثورات الوطنية وسقط الشهداء فى المصادمات التى حدثت بين القوات الفرنسية وبين الجمهرة الثائرة . واشتد ذلك فى سنة ١٩٥٧ وخصوصا بعد تولى مبيبا رياسة أول وزارة كمرونية . فقد سارع الى حل حزب اتحاد أهالى الكمرون ، واعتقل أعضاءه ، واستطاع الدكتور مومى وكنجى آيل الهروب خارج البلاد . اما روبين أم نيوب فقد لجأ الى الغابات ليقود الوطنيين فى هجماته على القوات الفرنسية ، وفعلا دب الذعر بين الفرنسيين لتساقط جنود فرنسا الواحد تلو الآخر تحت هجمات روبين ورجاله . وجندت فرنسا جهودها كلها للقبض على روبين حيا أو ميتا وبذلت الوعود المغرية للحصول عليه الى أن استطاع أحد الخونة أن يقتله فى ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ . أما زميلاه فقد حملا عبء الدعاية للقضية خارج البلاد وفى الأمم المتحدة.

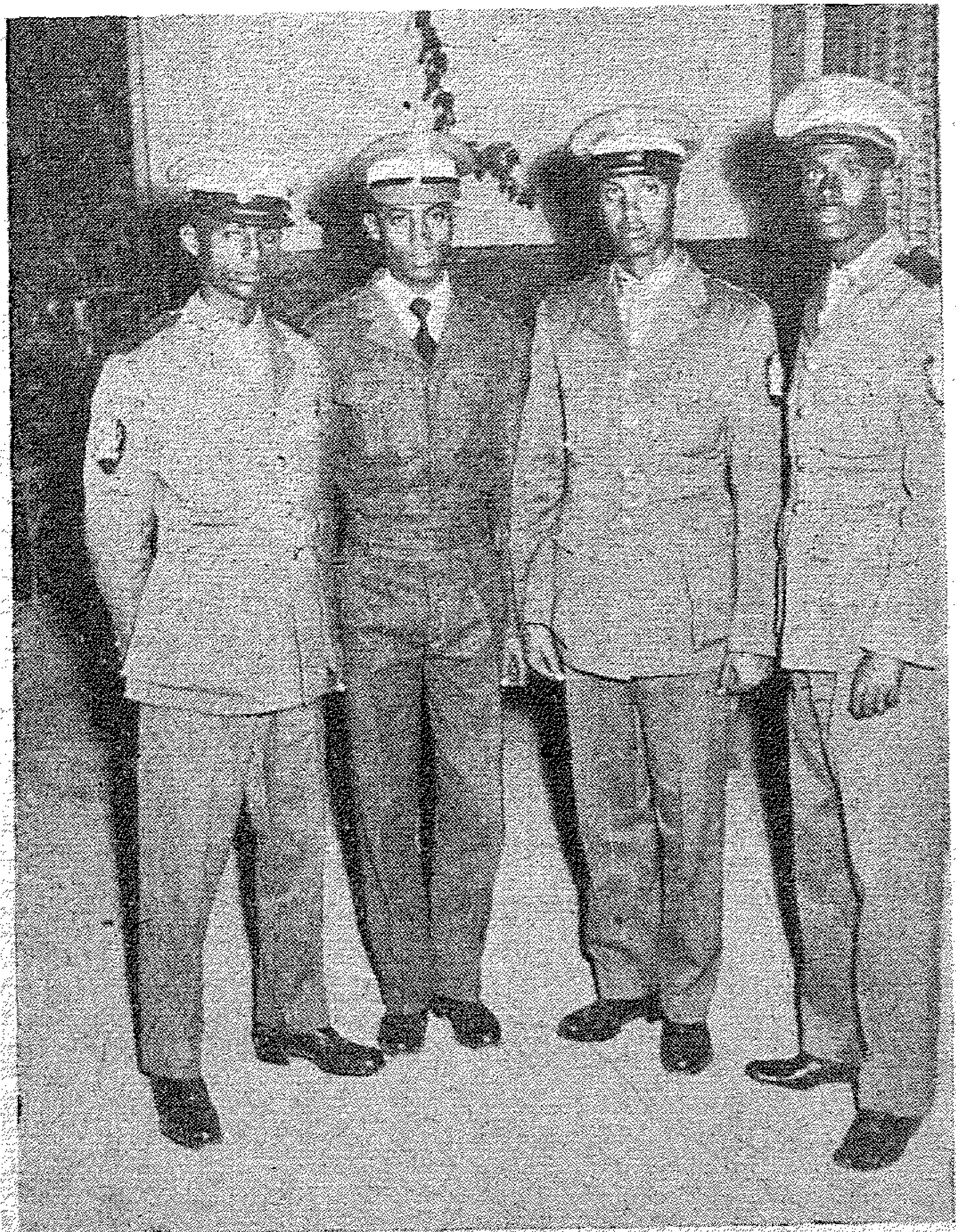
وقد أقامت الرابطة مؤتمرا فى نقابة الصحفيين بمناسبة يوم جومو كينياتا وحضره مراسلون من جميع الدول . وقد افتتح المؤتمر بنشيد وطنى كينى من أعضاء المكتب ثم ألقى مندوب السكرتيرية كلمة شرح فيها تاريخ حياة جومو كينياتا الذى يبلغ من العمر الآن ستين عاما وقد بدأ نشاطه السياسى قبل أن يتجاوز العشرين .

وفى سنة ١٩٢٢ أنشأ مع آخرين اتحاد افريقية الشرقية ولكن السلطات الاستعمارية حلت هذا الاتحاد . وفى سنة ١٩٢٨ تأسست رابطة الكيوكويو وأختير جومو كينياتا سكرتيرا عاما لها. وقد أغلقتها السلطات البريطانية فى عام ١٩٣٩ . لأنها قامت لمقاومة استيلاء المستعمرين على أراضى الكينيين . وفى هذه الأثناء كان جومو الناطق بلسان شعب كينيا . وأتم دراسته فى جامعات لندن بين سنتى ١٩٢٩ ، ١٩٤٦ ثم نظم مع قوامى انكروما رئيس وزراء غانه الآن المؤتمر الافريقى الذى عقد فى لندن . ثم عاد الى بلاده سنة ١٩٤٦ وانتخب رئيسا للاتحاد الافريقى فى كينيا . وفى عام ١٩٥٢ اعتقلته السلطات البريطانية بدعوى قيادته لحركة ماو ماو . وفى ابريل ١٩٥٩ أفرج عنه لينفى الى أقاصى البلاد ، وما زال منفيا حتى الآن .

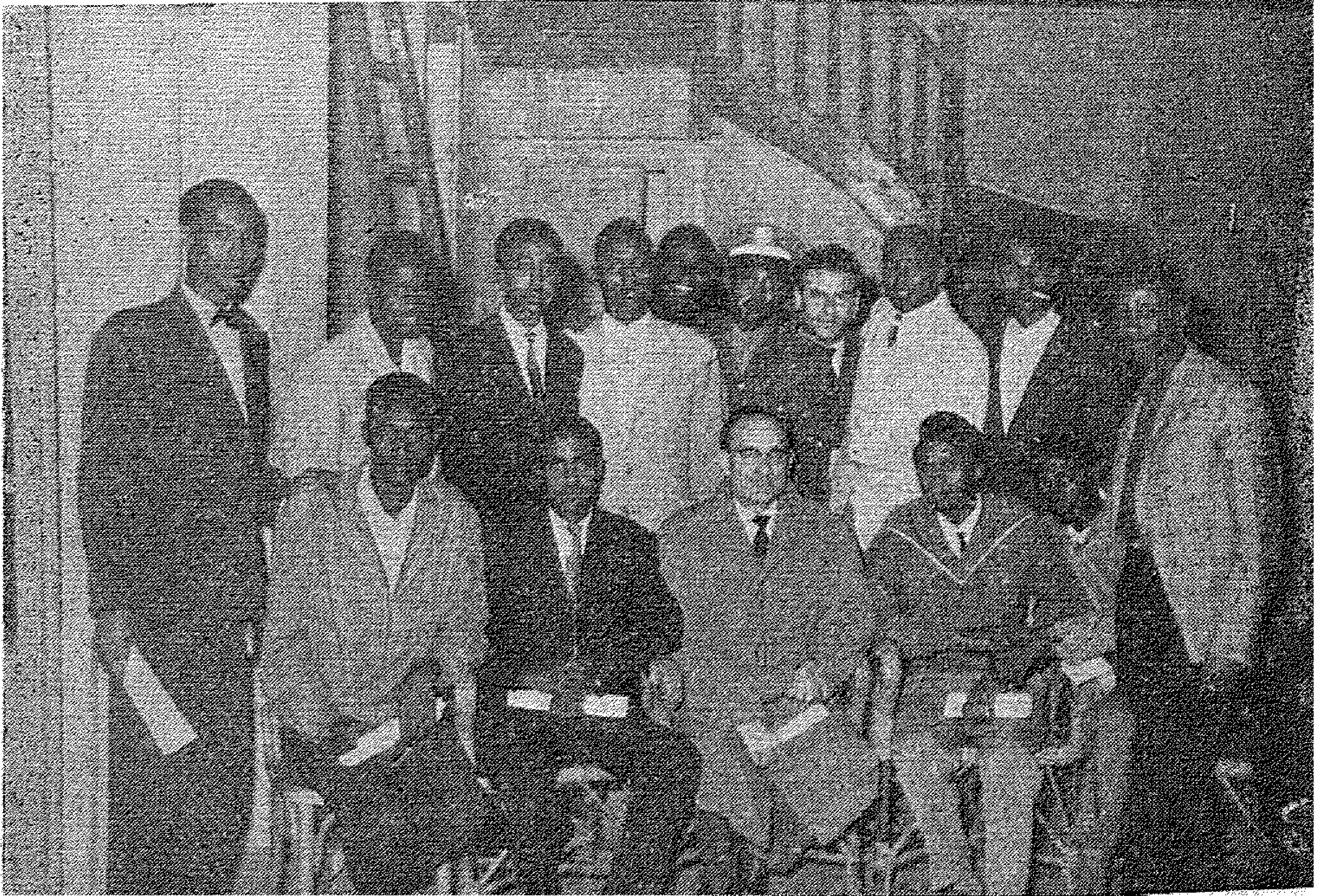
ثم توالى المتحدثون من الرابطة وأوغندا ونيجيريا والكمرون والصومال

ثم ألقيت القرارات حيث طالب المجتمعون بالافراج عن جومو كينياتا وانهاء حالة الطوارىء واعادة الأراضي التي اغتصبت من الوطنيين . ووقف هجرة المزارعين الأوربيين الى كينيا وتصفية القواعد العسكرية . وتولى الأغلبية الافريقية حكم البلاد .

ثم احتفلت الرابطة بيوم افريقية الاستوائية تضامنا مع شعبها في كفاحه . وهى المنطقة المكونة من أقاليم تشاد وأوبنجي شاري والكنغو الأوسط وجابون وتحدها شمالا ليبيا وشرقا السودان وغربا نيجريا والنيجر . وجنوبا المحيط الأطلنطي والكنغو البلجيكي . وقد احتلها الفرنسيون عن طريق الجمعيات التي أنشئت لغرض التجارة والاستكشاف. أما اقليم تشاد فلم تتمكن فرنسا من احتلاله الا في عام ١٩٠٩ بعد قتال مرير بين الحملات التي أرسلتها فرنسا وبين قوات الأمير عبد الكريم الريفي . ولقد تحدث في هذا المؤتمر مندوبون عن المؤتمر الأفريقي الآسيوى والرابطة الافريقية وممثلون للبلاد الافريقية ثم اتخذت قرارات في آخر المؤتمر لتأييد شعب افريقية الاستوائية والمطالبة بعرض قضيته على الأمم المتحدة ، واستنكار اجراء التجارب الذرية التي تهدد شعب افريقية الاستوائية تهديدا مباشرا . والمطالبة بالافراج عن المسجونين السياسيين و « تصفية القواعد العسكرية » .

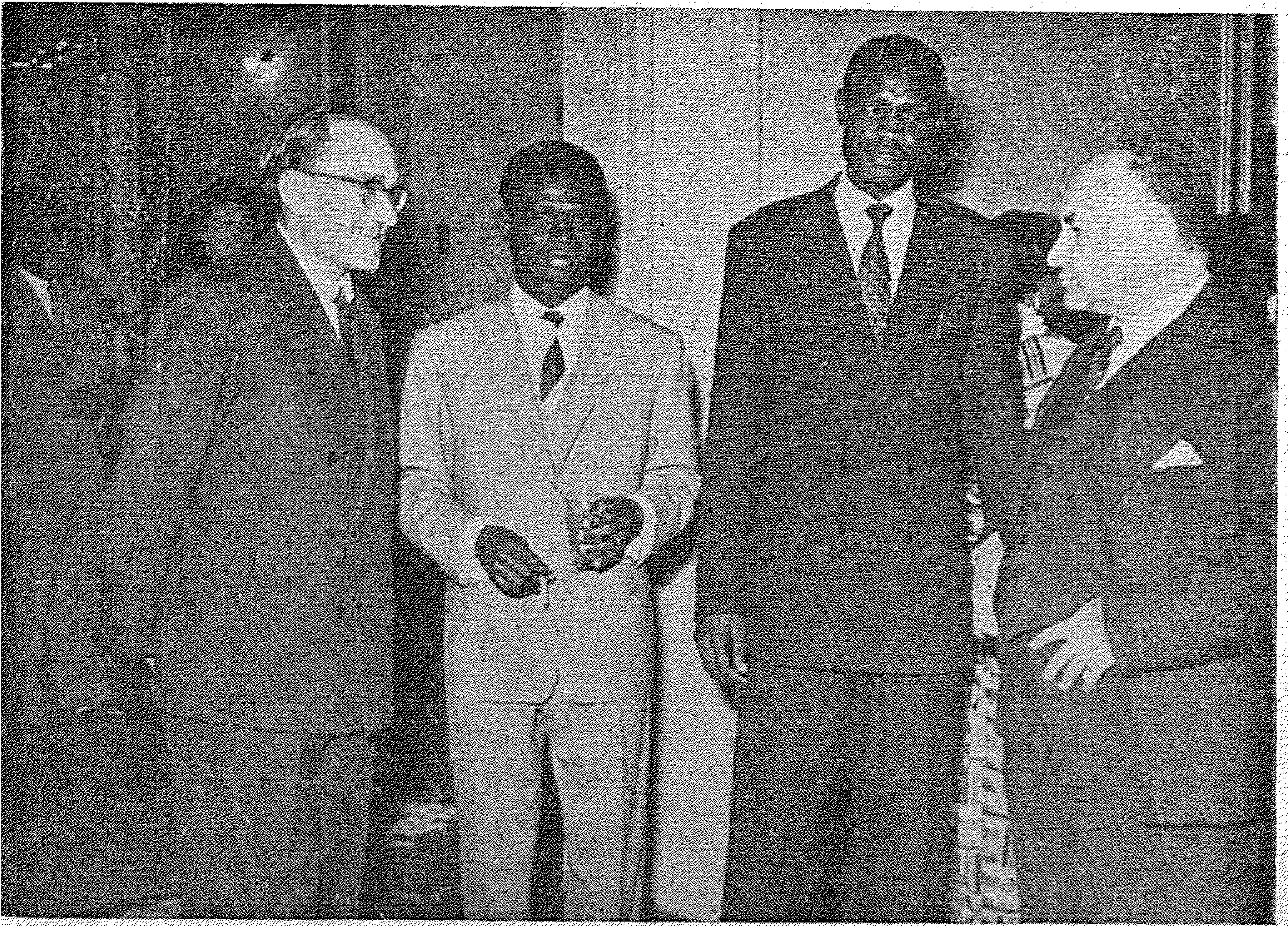


جولة مصورة حول



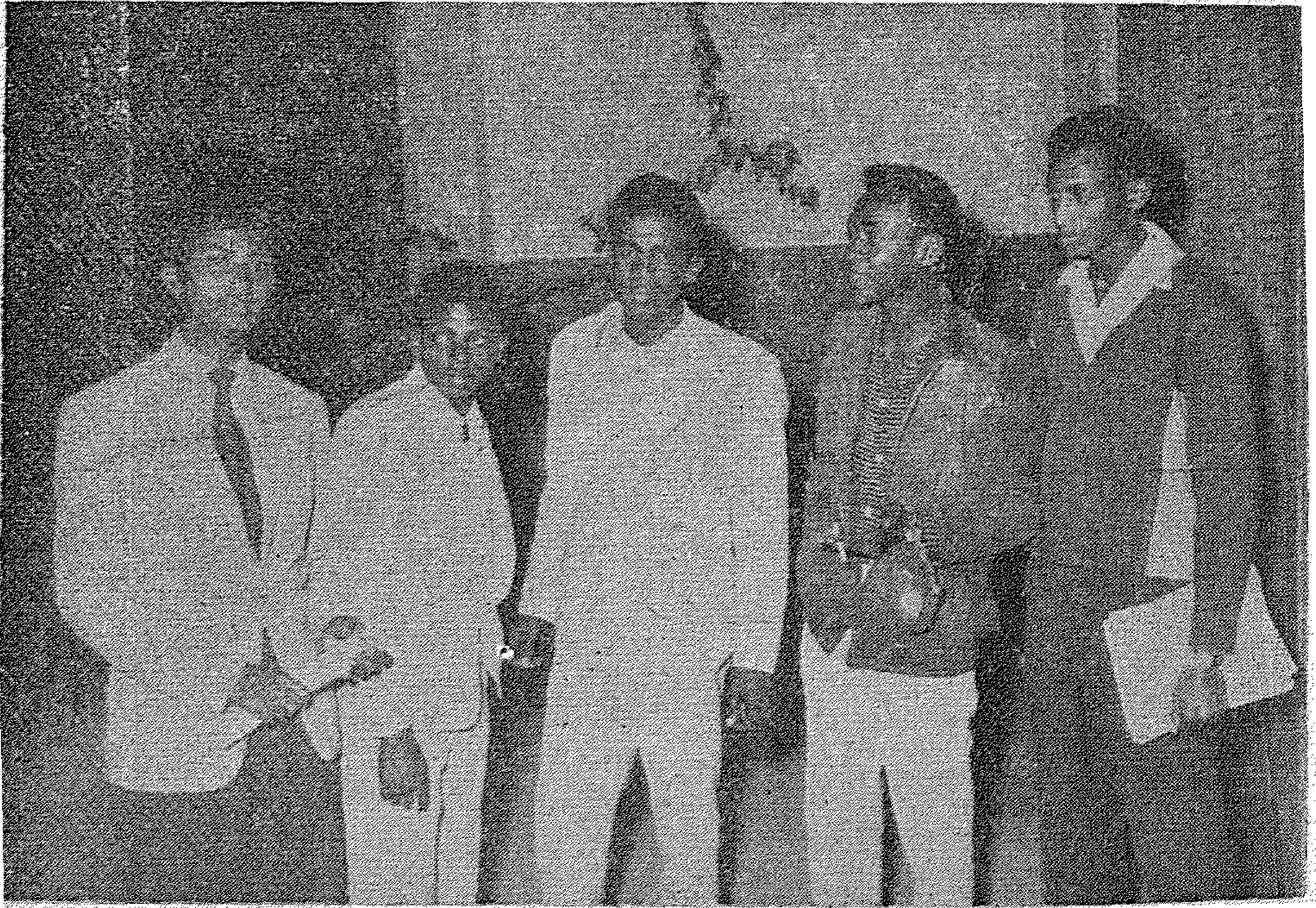
السيد رئيس التحرير يتوسط بعض الافريقيين



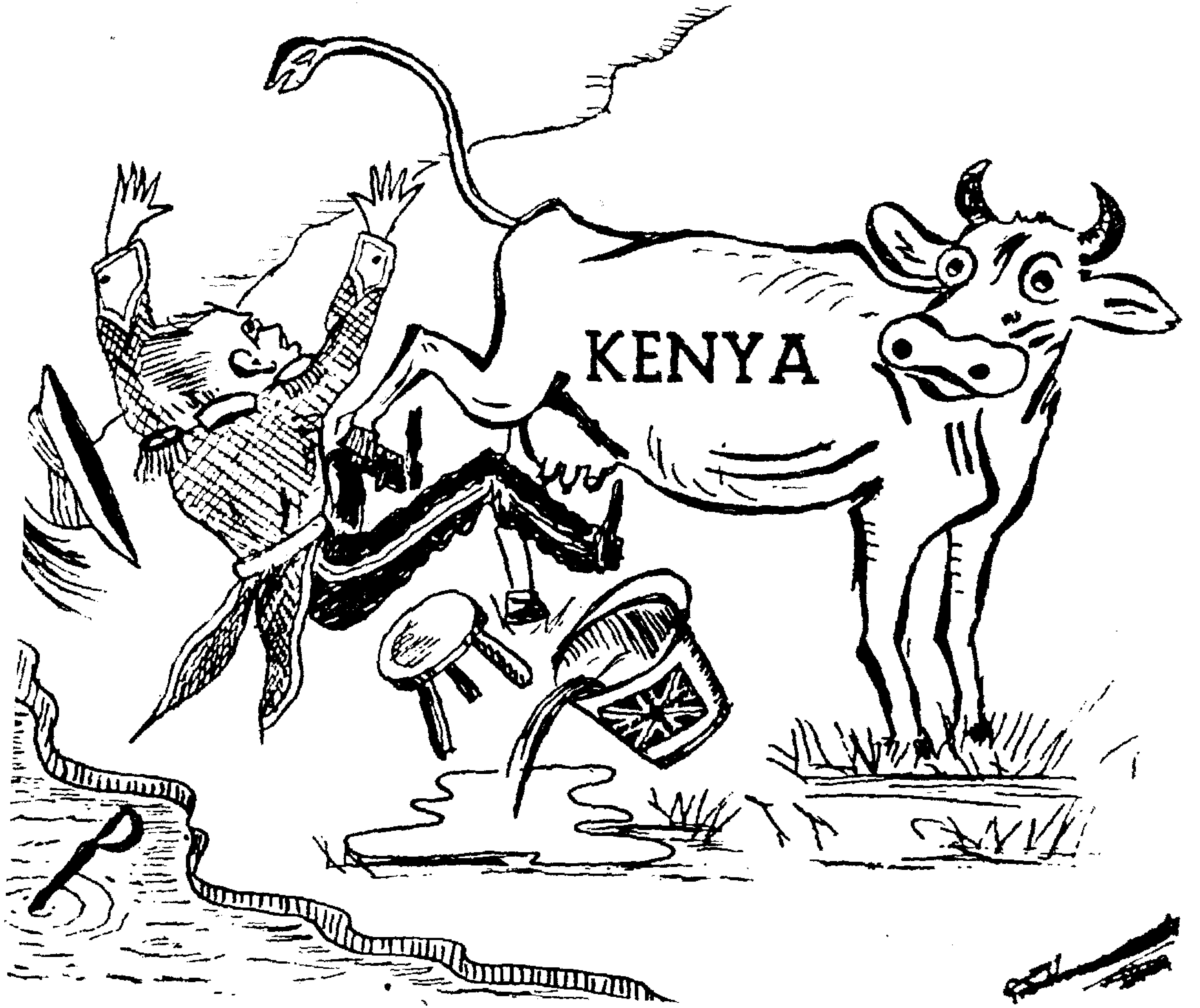


بعض الافريقيين فى القاهرة





من ألوان النشاط فى الرابطة الافريقية



« الموقف فى كينيا »

ميلاد جمهورية ليبيريا

للأستاذ وهبى غبريال

هناك فى غرب القارة الافريقية تكمن قصة عجيبة من قصص الكفاح .. قصة الصراع بين العبيد والسادة .. قصة أول جمهورية افريقية يحكمها السود .. !

ان ليبيريا .. هذه الجمهورية الصغيرة التى لا يتجاوز عدد سكانها مليونين ونصف المليون هى نتاج قرن أو أكثر من الصراع الذى وهب الأجيال التالية الشجاعة والجلد ودرجة كبيرة من الكبرياء والثقة بالنفس .

ونحن اذا نظرنا الى ليبيريا من ناحية موقعها الجغرافى الاستراتيجى وجدنا أنها فريدة فى هذا الباب فليست هناك دولة فى العالم تتشابه فى وضعها مع ليبيريا فهى محاطة من جهات ثلاث بدول تحت السيطرة الأجنبية كما يحدها البحر من الجهة الرابعة .. ففى الشرق نجد ساحل العاج وهى مستعمرة فرنسية والى الغرب تقع سيراليون وهى تحت الحماية البريطانية كما تقع أراضى غينيا فى شمالها وكانت هذه منذ زمن قريب مستعمرة فرنسية .

على أننا نكاد لا نعرف فى فلسفة السياسة نظيرا لهذه الجمهورية ففى عام ١٨٢٢ فكرت أمريكا فى التخلص من خطر داهم يهدد الرجل الأبيض .. ذلك أنه قد ازداد عدد الزنوج فى أمريكا بفضل تجارة الرقيق الذين كانوا يتخذون هذه التجارة الآثمة مصدرا للرزق وساعدهم على ذلك قلة الأيدى العاملة وحاجة الأرض الى اعداد كبيرة من زنوج أفريقية لفلاحتها ..

ظهرت نتيجة لذلك طبقة جديدة أصبحت تمثل خطرا كبيرا يهدد مصالح البيض الأمريكيين فهؤلاء العبيد الذين نالوا حريتهم فى الولايات المتحدة نتيجة لموت سادتهم ، وهؤلاء الذين سدت أبواب الرزق فى وجوههم وأولئك الذين كسبوا حريتهم بطريق أو بآخر أصبحوا يتطلعون الى مستوى من الحياة الفاضلة ، وفى الوقت نفسه أخذ السود الأمريكيون الذين ينحدرون من أصل افريقى يغرون اخوانهم ممن يشتغلون فى مزارع السادة الأمريكيين بالتحرر من ربقة العبودية والمطالبة

بحقهم فى أن يعيشوا بما يتفق وآدميتهم .

كانت مشكلة العبيد من المشكلات المعقدة التى تعرضت لها أمريكا فى هذه الفترة اذ لم يكن من السهل قبول فكرة مساواة العبيد بأسيادهم . وربما كان من الممكن عزلهم أو ترحيلهم ولكنهم فى الواقع كانوا مصدر قلق بالغ اذ كان من المحتمل قيام ثورات عارمة من هؤلاء السود سواء كانوا أحرارا أم عبيدا . ومن هنا بدا الاستعمار على أنه الحل الوحيد لهذه المشكلة التى تفاقمت يوما بعد يوم ، وبخاصة أن الانجليز كانوا يقومون بالمغامرة نفسها لتوطين السود فى سيراليون .

ولهذا ، فقد تأسست جمعية الاستعمار الأمريكية American Colonisation Society ١٨١٧ وكانت فى أول أمرها جمعية أهلية تطوعية تولى أمرها جماعة من الرواد الأوائل وضعوا لأنفسهم أهدافا كبرى كما نص على ذلك دستور الجمعية « العمل على تطوير وتنفيذ خطة يستعمر بمقتضاها الملونون الأحرار الساكنون فى الولايات المتحدة أفريقية أو مكانا آخر مشابها يجده الكونجرس مناسبا لهذا الغرض». ولم تجد فكرة انشاء وطن محلى لهؤلاء السود داخل الولايات المتحدة آذانا صاغية اذ لم تكن هذه الفكرة تتمشى مع اتجاه الأمريكيين نحو التخلص من هؤلاء السود .

وكان من حسن الحظ أن مجهودات هذه الجمعية لاقت تسهيلات كثيرة فى أول أمرها على يد الحكومة ففى ٣ مارس ١٨١٩ وافق الكونجرس على قانون باعادة العبيد الذين ضبطوا مهربين على ظهر سفينة أمريكية الى الشاطىء الغربى لافريقية وفتح اعتماد لتنفيذ هذا القانون مقداره مائة ألف دولار .

وفى يناير سنة ١٨٢٠ عين الرئيس مونرو المستر صمويل بيكون ومعه مساعد آخر لتنفيذ هذا القانون وصدر اليه الأمر بأن يبحر على ظهر السفينة اليزابيث بعد أن يحملها المؤن والمواد الضرورية وأن يتوجه الى شاطىء افريقية الغربى ليعد وسائل الراحة والمأوى لهؤلاء العبيد .. وفى فبراير من العام نفسه أبحرت اليزابيث وعليها ثلاثة وثلاثون رجلا من الصناع والعمال وثمان عشرة امرأة من المرضات والطاهيات وسبعة وثلاثون من أطفالهم ووصلت السفينة الى فريتون فى سيراليون ثم اتجهت جنوبا الى جزيرة شيربرو ، ولسوء الحظ انتشر المرض والموت بين القادمين وفشلت الرحلة الأولى فشلا كبيرا ..

وفى يناير سنة ١٨٢١ عينت الجمعية مندوبا جديدا أبحر الى افريقية ليبحث عن مكان ملائم فوصل الى كاب ميسورادو وهو المكان الذى أسست عليه مدينة منروفيا الحالية وبعد محاولات كثيرة أمكنه مقابلة الملك بطرس وغيره من الزعماء الوطنيين ودارت مفاوضات طويلة وانتهت بشراء الأرض المطلوبة وكتبوا عقد البيع وهاك نصه: « فليعلم الجميع أن هذا العقد الذى كتب فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢١ بين الملك بطرس والملك جورج والملك ذودا والملك لونج بيتر والأمراء والزعماء كطرف أول والكابتن ستوكتون

والدكتور ايريس كطرف ثان ينص على أن بعض المواطنين من الولايات المتحدة الأمريكية يرغبون فى الاقامة على الساحل الغربى لأفريقية . وبما أننا نحن الملوك والأمراء مقتنعون بالنوايا السلمية للمواطنين الأمريكيين ونريد أن نظهر أننا نبادلهم صداقة ومحبة فاننا نعلن أنه بالنظر الى الثمن الذى تسلمناه مقدما فهو ست بنادق وصندوق من الخرز وصندوقان من التبغ وبرميل من البارود وستة قضبان من الحديد ودستة من السكاكين والشوك ودستة من الملاعق وست قطع من القماش الأزرق وأربع قبعات وثلاثة معاطف وثلاثة أحذية وصندوق من الصابون وعشرون مرآة وثلاثة مناديل وثلاث قطع من الدمور وثلاث عصى .. بالاضافة الى أنه سيدفع لنا مؤخرا ثلاثة صناديق من التبغ وثلاثة براميل روم واثنتى عشرة قطعة من القماش وستة قضبان حديد ، وصندوق خرز وخمسين سكينا واثنتى عشرة بندقية وثلاثة براميل بارود واثنى عشر طبقا ودستة سكاكين وشوك وعشرين قبعة وخمسة صناديق من اللحم البقرى وخمسة براميل من لحم الخنزير وعشرة صناديق من البسكويت وعشرين آنية زجاجية للخمر واثنتى عشرة كأسا زجاجيا وخمسين حذاء .. وكل هذا نظير ثمن الأرض المذكورة سابقا والتى بعناها لمندوبى المواطنين القادمين من الولايات المتحدة ونعلن نحن الملوك والأمراء والزعماء أننا نبيع هذه الأرض بصفتنا أصحابها ولا ينازعنا فى ملكيتها أى منازع .. » .

وفى الواقع أن الثمن الذى دفع لهؤلاء الزعماء المحليين يعتبر مضحكا فى نظر المقاييس المتحضرة مع أنه كان مناسبا فى نظرهم .. وسرعان ما تنكر هؤلاء الزعماء للعقد المبرم بينهم وبين المهاجرين الأول حين رأوا الأمريكيين يحاولون استغلال هذا العقد فى الحصول على حقوق سياسية ، وقد كتب الدكتور تشارلز هيو بيرك عن التاريخ السياسى والتشريعى لليبيريا معبرا عن وجهة النظر الأمريكية فى معالجة هذا الموضوع فقال : « ومع أن العقد لم يشر الى السيادة أو الى الحقوق السياسية فقد نص على أن الطرفين المتعاقدين يتعهدان بأن يعيشا فى سلام وصداقة الى الأبد . وهذا معناه أن الطرفين كانا يفهمان مقدما أن هناك جالية مستقلة سياسيا سوف تقيم بهذه الأرض لها حق الحرب والسلام وهو الحق الذى تستمده كل دولة من سيادتها » . ولكنه فى الواقع نسى الدعائم الأخرى اللازمة لاقامة السيادة الأمريكية على هذه الأراضى .

ومهما يكن الأمر ففى ٢٥ من ابريل سنة ١٨٢٢ نزل الى البر المهاجرون الأول فى جزيرة برفيدنس الصغيرة تجاه رأس ميسورادو ووضعوا أيديهم على الأرض التى اشتروها وبدأت معارك طاحنة مع رجال القبائل مما اضطرهم الى وقف عمليات تشييد المنازل وغرس الحدائق استعدادا للدفاع عن أنفسهم الى أن هيأ لهم القدر قائدا شابا يدعى ج . أشمن وكان من الأشخاص المطبوعين على القيادة وسرعان ما وطد النظام بين المهاجرين وبنى التحصينات متأهبا للدفاع ، وبفضل جهود هذا الرجل

ومساعدة راندولف كيرلى الذى أرسلته الجمعية لمعاونته فى مهمته الشاقة استؤنف بناء المساكن وحددت الأسعار وتغيرت الأحوال تماما خلال ثمانية أيام وعاد كيرلى الى وطنه تاركا المهاجرين تحت زعامة أشمن الذى جعل منه التاريخ أول رجل خالد يدخل تاريخ ليبيريا ، كما وافقت الجمعية على اطلاق اسم ليبيريا على الدولة الجديدة واسم مونروفيا على العاصمة الواقعة على مرتفعات رأس ميسورادو ، تخليدا لاسم الرئيس مونرو الذى ساهم بجهوده فى اقامة الدولة الجديدة .

وفى ديسمبر سنة ١٨٣٨ رفعت الجمعية درجة تمثيلها فى ليبيريا من مندوبين الى حكام وكان أول حاكم هو توماس بوتشانان الذى أحضر معه الى ليبيريا وثيقة دستورية هامة أعلنها ساعة نزوله الى البر ، وكانت هذه الوثيقة عبارة عن الدستور الذى وضعه المهاجرون لأنفسهم عام ١٨٣٧ وأرسلوه الى الجمعية التى أفاقت من سباتها ووضعت دستورا مرضيا جدا حيث بواسطته المهاجرون سيادتهم على أنفسهم وان الجمعية ليس لها وضع السيد الآمر بل الموظف أو الخادم الذى يأتمر بأوامرهم .

وبدأ بوتشانان جهوده بالقضاء على تجارة الرقيق التى كانت لا تزال موجودة فى بعض الجهات المتفرقة من الساحل .. كما دعم حق ليبيريا فى السيادة على ارضها وبحارها عندما قبض على تاجر انجليزى كان يتحدى سلطان الحكومة وقدمه للمحاكمة وحكم عليه بالغرامة رغم تهديده بالشكوى لحكومة صاحبة الجلالة والبرلمان الانجليزى وكان هذا الحكم دعامة للاعتراف بالسيادة الليبيرية .. هذه السيادة التى كان الانجليز ينكرونها دائما .

وفى سبتمبر ١٨٤١ توفى بوتشانان وتلاه الحاكم روبرتس وكان أهم ما يشغل بال الحكومة فى عهده هو عدم اعتراف الدول الأوروبية وبخاصة انجلترا بسيادة ليبيريا .

وفى عام ١٨٤٣ تلقى السفير البريطانى فى واشنطن تعليمات من حكومته بمقابلة وزير الخارجية الأمريكية لسؤاله عن أى مدى تساند الولايات المتحدة ليبيريا وتحميها ؟ وكان رد وزير الخارجية أنه ليست هناك أية علاقة سياسية بين الولايات المتحدة وليبيريا ولكن الولايات المتحدة لا تريد أن ترى أحدا ينازع ليبيريا فى أراضيها أو فى حقوقها كدولة مستقلة .

وبهذا الرد الجامع المانع تركت ليبيريا تدافع عن نفسها فى وجه التحدى البريطانى السافر وقرر الحاكم روبرتس أن يرسل على لسان شعب ليبيريا مذكرة الى الحكومة الانجليزية يصف فيها الوضع فى ليبيريا ويسألها باسم العدل والانصاف أن تتركها فى سلام . وكانت النتيجة بالطبع عكسية فقد اقتحمت على أثرها السفينة الحربية البريطانية « ليلى » ميناء جراندباسا وأسرت احدى السفن الليبيرية بحجة اشتراكها فى تهريب الرقيق وقادتها الى سيراليون للتحقيق معها فبرأتها محكمة الاميرالية من تهمة تجارة الرقيق ولكنها لم تطلق سراحها بحجة انها ترفع علم ليبيريا ، وليبيريا ليست دولة مستقلة ذات علم خاص فكأن السفينة لا تحمل علما اطلاقا . وقد علق روبرتس على هذه المشكلة السياسية فى تصريح

مشهور قال فيه « انني أعتقد اعتقادا جازما أن ليبيريا بالرغم من علاقاتها بالجمعية هي دولة مستقلة ذات سيادة وان ليبيريا كدولة ناشئة تعاقدت مع الجمعية على أن توكل اليها ادارة بعض شئونها الخارجية فقط . وعلى هذا الوضع لا يمكن لقائل أن يدعى أن ليبيريا تنازلت عن سيادتها للجمعية ولا يمكن للجمعية نفسها أن تدعى ذلك . ان تجربتنا هذه ليست لها سابقة في التاريخ فكل مستعمرة تعتمد على علاقاتها السياسية والاقتصادية بدولة مستقلة ، وعلى ذلك فان أية مستعمرة لايمكنها ممارسة حقوق السيادة لأنها تابعة .. ولكن ليبيريا تختلف كل الاختلاف عن هذه المستعمرات فهى لا تعتمد على دولة ما ، بل اعتمادها كله على نفسها منذ نشأتها .. اذن فهى دولة مستقلة ذات سيادة منذ ظهورها .

وفى مناسبة أخرى أدلى روبرتس فى مجلس ليبيريا التشريعى بتصريح هام جاء فيه « ان علاقتنا بالجمعية هى سبب سوء التفاهم الحالى .. لذلك اقترح أن نتخذ اجراء حاسما لتصفية الجو .. وفى اعتقادى أن هذا الاجراء هو أن تعلن ليبيريا نفسها دولة مستقلة ذات سيادة منذ نشأتها وعلى الجمعية أن تعترف بهذه الحقيقة . ثم نقوم من جانبنا بارسال هذين المستندين الى انجلترا وغيرها من الدول ونطالبها جميعا بالاعتراف بنا كدولة مستقلة ذات سيادة . ومع ذلك فانني أصرح بأننا سوف نذكر دائما بالشكر وعرفان الجميل الخدمات الجليلة والمساعدات الفعالة التى قدمتها لنا الجمعية الأمريكية التى بدونها لم تكن ليبيريا قد وصلت الى ما وصلت اليه فعلا . واننى واثق أن الجمعية لن تضع أية عقبات فى سبيل تقدم ليبيريا وازدهارها فى المستقبل » .

وأرسل هذا الاقتراح الى الجمعية وعند وصول الرد دعى المجلس التشريعى الى عقد جلسات استثنائية بين ١٣ - ١٥ من يوليو سنة ١٨٤٦ قرر فيها المجلس الدعوة الى عمل استفتاء كبير للشعب يبدى بواسطته رأيه فيما اذا كان مستعدا لتحمل مسئولية اعلان ليبيريا دولة مستقلة ذات سيادة . وتم الاستفتاء فعلا فى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٨٤٦ وكانت النتيجة الرفض بأغلبية كبيرة .

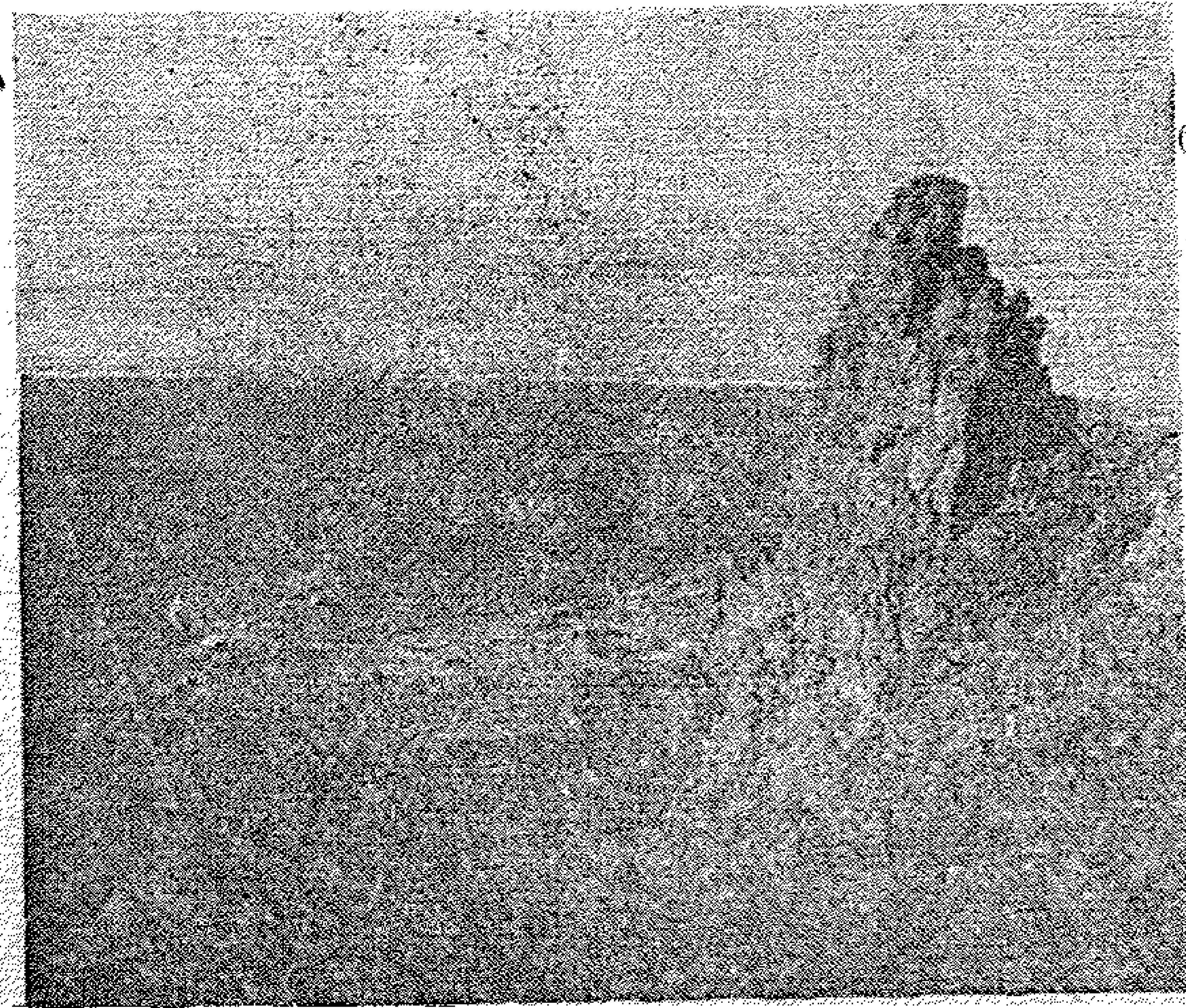
ولكن روبرتس لم ييأس من رحمة الله فقدم الاقتراح مرة أخرى فى اجتماع المجلس التشريعى وانقسم المجلس انقساما شديدا أنهاه روبرتس بتقديم اقتراح يقضى بانتخاب مؤتمر تشريعى تحال اليه المسألة كلها .

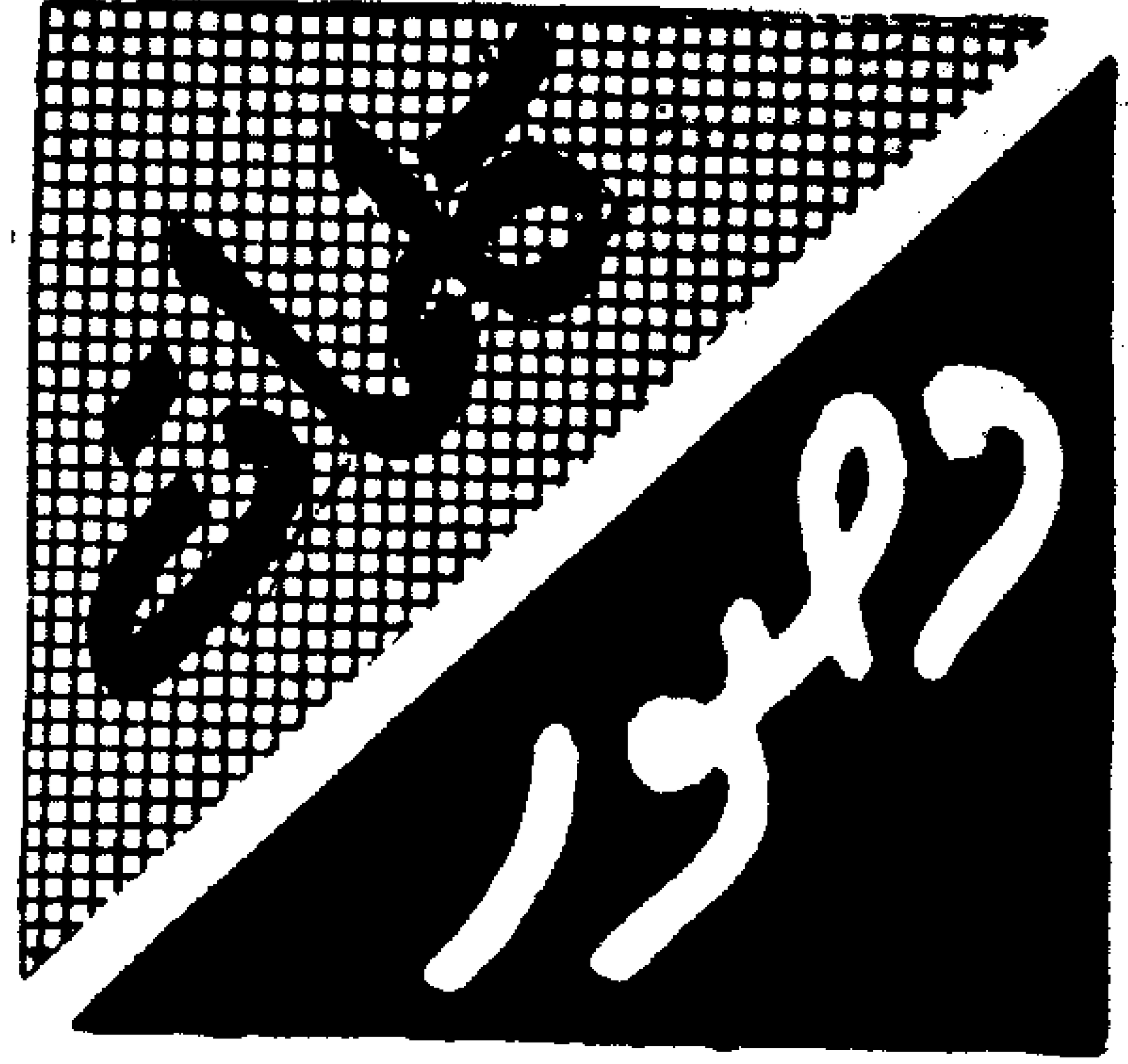
وفى ٢٦ من يوليو سنة ١٨٤٧ عقد اجتماع منروفيا ضم عددا كبيرا من المسئولين فى الحكومة وبعض المواطنين وأصدروا باسم شعب ليبيريا « اعلان الاستقلال » الذى أعلنوا فيه قيام جمهورية ليبيريا الجديدة كدولة مستقلة ضمنوه نظم الحكم والقوانين التى ستسير عليها هذه الدولة الجديدة وجاء فى مقدمة الاعلان « أن الانسان ولد حرا .. له حق الحياة وحق الحرية ، وحق الملكية وحق التمتع والدفاع عن ممتلكاته الخاصة

ولكننا وجدنا أنفسنا فى أمريكا وقد حرمنا من كل هذه الحقوق الانسانية والطبيعية .. ولكننا اذ أردنا أن نحيا وأن نشعر بحريتنا وكرامتنا كما خلقنا الله ، بحثنا عن مكان نهرع اليه لنمارس هذه الحقوق الشرعية المسلوبة واهتدينا أخيرا الى غرب افريقية قارةالآباء والأجداد واستطعنا أن نعيش مطمئنين فىبلدنا ، واعتمدنا على أنفسنا .. ونحن بعد ذلك لا نطلب من الدول الأخرى الا الاعتراف بجمهورية ليبيريا الجديدة .. كدولة حرة مستقلة .

وبعثت حكومة ليبيريا بنص هذا الاعلان الى جميع دول العالم .. واحتفلت البلاد فى ٢٤ أغسطس ١٨٤٧ برفع علم جمهورية ليبيريا فوق العاصمة منروفيا وانتخب روبرتس رئيسا للجمهورية فى اكتوبر من العام نفسه . واعترفت انجلترا بمولد الجمهورية الجديدة ثم تلتها فرنسا وغيرها من الدول عدا الولايات المتحدة التى رات انه لا يمكنها قبول سفير زنجى فى واشنطون يجلس بين السفراء البيض وتأخر اعتراف أمريكا بالجمهورية الجديدة الى ما بعد الحرب الأهلية حيث تم ذلك فى عهد ابراهام لنكولن عام ١٨٦٢ .

واستمرت الهجرة الى ليبيريا حتى عام ١٨٦٧ وقد وصل عدد المهاجرين حتى ذلك التاريخ ١٣١٣٦ وبعد عام ١٨٦٧ قلت الهجرة وأصبحت وقفا على أفراد قلائل يريدون اللحاق بأبناء جنسهم الذين كان لهم شرف اقامة ((**جمهورية ليبيريا**)) .





رأى :

تعرض الأستاذ الكبير **عباس محمود العقاد** فى كتـــابه « القرن العشرون ما كان وما ســيكون » الى الحديث عن افريقية فذكر ما يأتى :

كانت القــارة الافريقيـــة تسمى بالقــارة المظلمة لأنها بقيت مجهولة على خريطة الــكرة الأرضـية يسكنها السود فيما عرفمن أطرافها ، ويحيط بها سواد من الظلام والخفاء .

وكانت تسمى أحيـــانا بالقـــارة **المتنحية** كأنها تركت ركب الانسانية يسير فى تاريخه الطويل ولبثت فى مكانهـــا كمـــا كانت فى مجاهل ذلك التاريخ .

وليست هى اليوم بالقارة **المظلمة** لأنها تكشفت عن دخائلها وتسلطت عليها أنوار الاستطلاع فى جوفها ومن حولها فلم تبق منهـا زاوية مجهولة أو بقعة غير مطروقة .

وليست هى بالقارة **المتنحية** لأنها أدركت ركب العالم فى نهاية شوطه ويرجى أن تماشيه وتمدهفيما يستقبله من مراحل حضارته .

وقد صدق من سماها فى السنوات الأخيرة بقارة **الغد** لأنها فى **الغد** تبدأ مصيرها الذى تختـــاره بعد أن تفاهم العالم الانســـــانى على حقّ الشعوب جميعا فى تقرير المصير .

وكل مصير لافريقية يخل بتضامن العــالم ويعــوق سـيره الى التعاون والمؤاخاة . لا يكون مصيرا مرضيـــا للافريقيين فلا تعاون بين الأمم فى عالم يتخذ من افريقيـــة مطية يسوقها الى مصير غير مصيرها الذى ترضـــاه أو يتخذها ضيعـــة للمتغلبين المستغلين يبتزون ثمراتها ولا يتركون لأبنائها من تلك الثمرات غير فضلة الأجير المغبون!.

ان سكان افريقية ثلاث طوائف :

أولها بطبيعة الحال أبناء افريقيـــة الاصلاء الذين ولدوا فيها وولد فيها من قبلهم أسلافهم الى أزمنة مجهولة ، والطائفة الثانيـــــة هم المهاجرون من القارة الآسيوية وأكثرهم من العرب والهنود وأبنـــاء الجزر المـــلاوية . والطائفة الثالثة أوربيون مستعمرون وليس للطائفة الثانية مشكلة عسيرة الحل لأنها تبقى وتندمج فى القـــارة أو تعود الى أوطانهـــا باختيـــارها . أما المشـــكلة التى لا تحل بالحسنى فهى مشـــكلة المستعمر الذى يبســـط سيادته على أهلها بغير أمل فى انتهاء هذه السيادة الا أن يظل الافريقيون تابعين له مسخرين فى خدمتـــه أو يثورون عليه فيطردوه .

ومهما يبلغ من سلطانهم على القارة فهو أضعف من الغاية التى يطمحون اليها ، والنية التى يبيتونها وهى نية الاصرار على اســتعباد مئات الملا[illegible] بغير أمل لهم فى خـــلاص قريب أو بعيد ، وتلك نيـــة تعارضها الطبيعة

كما يعارضها أولئك الملايين المصابون بها ، وقد يتخاذل دونها سلطان المستعمرين يوما من الايام فلا تجتمع كلمتهم عليه فى موقف الحسم حيث يحتاجون اليه ، ولن تصبح افريقية وطنا للمستعمرين الا بوسيلةواحدة ، وهى أن يصبحوا افريقيين كسائر الافريقيين وأن يجىء اليوم الذى يقفون فيه مناضلين عن افريقية كما فعل الأمريكى فى نضاله مع البريطان والأسبان .

وسيخرج الافريقى الأصيل من القرن العشرين بفائدة أكبر من فائدة تقرير المصير ، اذا تعود فى السنين الباقية منه أن يلتمس الدراية التى تجعله يدا عاملة فى تعميم النفع بخيرات بلاده وينابيعها الغنية . اذ لا معنى لتقرير المصير بغير هذه الدراية التى يقعده عنها اليوم جهله وسقمه وما ينوء به من بقايا الخرافات وتقاليد السذاجة فى النظم الاجتماعية . ومما يبعث الأمل فى نهضة لالتماس هذه الدراية أن طلاب المصالح العالمية من أمم الحضارة محتاجون الى تعليمه والانتفاع بمعونته ، وهم يجدون أن التعاون معه على فهم ورضى أيسر من تسخيره على البرغم منه أو الاستغناء عنه فى تدبير مرافق بلاده .

- قبل أن ينتهى القرن العشرون ستعلم الدنيا المتطلعة مدى الخطوات التى تتقدم بها قارة الغد الى مصيرها وسترى أن تذليل مصاعب التقدم أهون جدا من الصعوبة التى تواجه العقل حين يتخيلها ناكصة على عقبيها مدبرة الى ما كانت عليه يوم كانت كهفا مغلقا أو قارة متنحية عن مكانها من صفوف الامم فى ركب الحضارة

ونحسب - على هذا - أن وصف القارة الافريقية « بالتنحى » عن الركب ظلم لا تقره دعوى النشوئيين اذ يتتبعون أول خطوة خطاها البشر من حظيرة الحيوان الأعجم فيرجعون بها الى مجاهل افريقية فى أقدم عهودها فاذا صدق ظنهم فقد كانت هذه القارة أول من سبق الصفوف ، وكانت حركتها أعظم من أن يقاس بها مسير الحضارة من مبدئها الى منتهاها اليوم فى عصر الذرة والطائرة الفلكية .

ولقد تكون لها فى الغد خطوة جديدة تضارع فى نسبة الزمن خطوتها الأولى .

* * *

الدول الافريقية المستقلة :

ينعقد فى « أديس أبابا » فى ١٤ من يونيو عام ١٩٦٠ مؤتمر الدول الافريقية المستقلة ، وستبحث فى هذا المؤتمر مشكلات الاستعمار الموجودة فى البلاد التى لم تستقل بعد ، ومشكلات الاستعمار التى تحاول أن تتدخل بأكثر من رأى فى مصير البلاد التى استقلت حديثا .

ولا شك أن فى تنمية هذه الاجتماعات ، وتكرار هذه المؤتمرات فرصة واضحة لمزيد من التعارف ، والتفاهم بين دول القارة التى تحتاج الى مزيد من هذا التعارف والتفاهم .

* * *

الشعر الشعبى فى السودان :

من معانى الشعر الشعبى فى السودان هذا المعنى الجميل « الرجل الذليل الهين على نفسه يرضى بالهوان فى كل شىء . حتى فى الطعام . انه يجلس دون عمل ، ويمر عليه الوقت

فلا يحس به ، وان أسوأ المواقف بالنسبة له هو موقفه أمام زوجته الجميلة . حينما يرجع الأزواج الى زوجاتهم وفى يدهم ثمار كدحهم ، ويرجع هو بدون ثمرة ! وبلا مبرر له عن كسله وتقاعسه ! .

ماذا يقوله أمام زوجته الجميلة ؟ . »

* * *

من عادات السودانيين :

من عادات السودانيين فى بعض القطاعات الشعبية ، أنه حينما يموت انسان يظهر الحزن بعمق عند أهل الحلة ، أو أفراد القبيلة . وأهل الميت يربطون وسطهم بشال العمامة أو ما شابه ذلك . أما النساء فيلبسن ثوبا أبيض من الدمور الخشن ، ويمشطون رأسهن فى ضفائر غليظة ، لأن الضفائر الرفيعة تدل على السعادة ، وخلو البال ، ثم يقمن برقصة تسمى « **الروح** » وهى رقصة عنيفة تقوم بها زوج الفقيد ، وأخواته ، وبناته على صوت أنغام حزينة تصدر عن ضرب رتيب ، على قرع جاف مقلوب فى الماء ، وضربات منتظمة على الصدور ، ومن عادات الموت كذلك : أن زوجة الفقيد يجب أن تنام على الأرض مدة لا تقل عن أربعين يوما توجه فيها وجهها الى الشرق حينما تشرق الشمس ، والى الغرب حينما تغيب .

والزوجة تظل حريصة على ذكرى زوجها ، وقد تمتنع عن الزواج بعده مهما تكن المغريات . وهناك نوع من الرثاء يسمى « المناحة » وهو ذكر مآثر الفقيد ، وما كان يتحلى به من شجاعة وكرم . وبيت المتوفى يسمى « بيت البكاء » ، ومدة البكاء عليه تسمى « مدة الفراش » وهى مدة يجب الا تقل عن ثلاثة أيام . وهذا بالنسبة للرجال . أما النساء فلا ترقص لهن رقصة « الروح » ، ويقتصر الحزن عليهن على البكاء عند النساء ، وقراءة الفاتحة عند الرجال . أما اذا كان الميت طفلا فيفوض والداه أمرهما لله ، وتقرأ له الفاتحة ، وحينما تريد واحدة أن تبكيه تقول لها والدته « أنا سبلته يا أختى ! » .

* * *

الأفضل لافريقية :

كتب الدكتور أجرى يقول : ان افريقية القارة المجهولة الساحرة ، أصبحت اليوم الشغل الشاغل لرجال الأعمال والسياسة ، والباحثين ، والصحراء لم تعد خطا يفصل بين شمال افريقية وجنوبها . الصحراء لم تعد الا فجوة كبيرة . جسرا . غشاء . يصل النيل بالنيجر ، ويتكلف بكثبانه أن يمزج مختلف التيارات السياسية ، والفلسفية ، والاقتصادية النابعة من مختلف أجزاء افريقية ، ليجعل منها كيانا متماسكا ، مؤسسا على صخرة واحدة .

وما هو بالعمل اليسير الذى ضمن النجاح ، ولكنه مشروع قاس توجد العقبات فى طريقه ، وتوضع أمامه العراقيل ، ولكن السلام العالمى يتوقف الى مدى بعيد على نجاح هذه التجربة فى البحث عن الوحدة الافريقية .

أولا : لأن افريقية تمثل اليوم قوة اقتصادية هائلة . وثانيا : لأن مساحتها مازالت غير متزرعة . فتؤلف بذلك رقعة واسعة يمكن أن تأوى الفائض البشرى فى القارات الأخرى ، واخيرا : لأن موقعها الاستراتيجى

يجعل منها قارة عظيمة فى غاية الأهمية .

وقد وعى الافريقيون هذه الحقائق بدرجات مختلفة ، وهم يزدادون وعيا لها ، وشعورا بضرورة اتحادهم ، واثبات شخصياتهم ، يوما بعد يوم.

وكلما ارتفعت هذه الفكرةفىالوحدة الافريقية ، وكلما تجسد تصميم الافريقيين على اثبات كيانهم ، كلما لجأ الاستعماريون الى شتى الوسائل لعرقلة هذه الرغبة ومنع تنفيذها . فهى العنصر الحاسم فى قلب المعادلة السياسية العالمية الحالية ، والدول الاستعمارية بخاصة تشعر اكثر من غيرها بالخطر الذى يهدد مصالحها بتجسيد هذه الرغبة .

فهل فى هذا ما يدعو الى التراجع أو اليأس ؟ ان الزعماء الافريقيين وقد وعوا دورهم كمنارات لافريقية يجيبون مع « كورنى » ((**ومن انتصر بلا خطر فلا مجد فى انتصاره !**)) هذا هو الاتجاه الافضل فىافريقية اليوم .

* * *

سيكوتورى يتهم :

اتهم زعيم غينيا الرئيس « سيكوتورى » ألمانيا الغربية بأنها كانت وراء تفجير قنبلة فرنسا الذرية فى الصحراء الافريقية . فقد أسهمت ماديا وفنيا فى تطوير القنبلة الذرية الفرنسية .

كما اتهم ألمانيا الغربية بأنها ترسل فرقا من جنودها لمحاربة الثوار الجزائريين مساعدة منها للجيش الفرنسى الذى يلاقى صعوبات واضحة فى محاولة السيطرة على مصير الجزائريين ، وقد تردد هذا الاتهام فى صورة خطاب أرسله الرئيس ((**سيكوتورى**)) الى « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة .

وهكذا يشعر هذا الزعيم العظيم بمدى مسئوليته الكبيرة تجاه القضايا الافريقية . سواء أكانت هذه المسئوليات تهم بلاده أم تهم أى بلد افريقى آخر . فالقارة اليوم وطن كبير موحد يحس كل فرد فيه أنه جندى مخلص لقضاياه ، وحريته ، وتكامله الاقتصادى ، والسياسى ، والاجتماعى .. ولا شك أن هذه ظاهرة طيبة لم تعرف من قبل فى القارة الافريقية ، وبفضلها ستنتصر القارة ، ويغمرها السلام والحرية ، والطمأنينة .

* * *

رأى :

كتب ((**ايميه سيزر**)) أحد الكتاب الافريقيين فى السودان الفرنسى يقول : ان من الواجب علينا أن نوضح كيف أن الاستعمار يعمل على تجريد البلاد المحتلة من حضارتها ، والسير بها الى مستوى التوحش . ذلك لأنه يوقظ فيها الغرائز المدمرة ، ويشرع الجشع ، والعنف والحقد العنصرى ، واهمال الأخلاق فطالما كانت فى الفيتنام رأس مقطوعة . أو عين مقلوعة أو فتاة قد اغتصبت ! وطالما كان فى مدغشقر معذب يسوق معذبا فان الحضارة الفرنسية لا يمكن أن تكون أمام عمليات التعذيب البشرى هذه الا تقهقرا ممقوتا . ولصوصية جائرة.

وليعلم أولئك الذين يدعون أنهم

قوامون على حضارة الانسان أن لكل شيء نهـــاية ، وأن نهـــاية الغـدر بالمعاهدات ، ونهاية الأكاذيب المنتشرة والحملات الظالمة التى تشن بلا هوادة والعذاب الذى يلاقيه كل مكافح عن وطنه ، والألم الذى يصلب الناس على أخشاب التفرقة العنصرية ، والدعاوى البـاطلة التى تنتشر هنـا وهنـاك ونهاية كل هذه السموم القاتلة تريد الى نفس الحضارة الأوربيـــة التى يتغنون بهـا ، وتصيبها فى مقاتلها .

ان النـاس يفيقون الآن على الدمار النفسى الذى يساق اليهم من أوروبا وهم يصيحون « عجبا .. انها النازية الجديدة تعصف ثم تموت » .

لقد زرع الأوربيون هـــذه النازية الشريرة فى بلادنا فهم مسئولون عنها ولقد حان الوقت لـكى يؤتى الزرع أكله كما حان الوقت لأن نرى ـ نحن **الافريقيين** ـ رؤوسا قد أينعت وحان قطافها !



لغات افريقية :

تعرض كتاب علم اللغـة للدكتور « على عبد الواحد وافى » للغات فى افريقية فذكر ما يأتى : ـ

١ ـ لغات السودان وغانه :

وهى لغات غير سامية ولا حاميـة تتكلم بهـــا جماعات كثيرة من زنوج السودان وسكان غانه . وقد قسمها العلامة « موريس ديلافوس » الى ٤٣٥ لغة ترجع الى ست عشرة شعبة منها الشعبة النيلية التشادية Nilo-Tchadied (يتكلم بهـــا فى المنطقـة المحصورة بين أســوان شـمالا وفاشـــودة جنوبا ، وتشتمل على ثلاثين لغـة من أشهرها لغـــات النوبة ، والباريا ، والتوبو ، والميمى ، والكوناما .. الخ) وشعبة اللغات النيليـة ـ الأبيسينية (يتكلم بهـــا فى الحوض الأوسـط للنيـل الأزرق ، وفى حـوض النيل الأبيض وبحر الجبل ، وتشتمل على خمس عشرة لغة من أشـهرها لغات الشـــيلوك ، والدنكـــا ، والديور ، والجاميلا ، والدوكو .. الخ) وشعبة اللغات النيلية ـ الاستوائية (يتكلم بهـــا فى جنوب المنطقـة السابقة ، وتشتمل على ست وعشرين لغـة من أشهرها لغات البـارى ، واللاتوكا ، والليرى ، والكافيروندو ، والتاتورو .. الخ) .

وشعبة لغات كردفان (يتكلم بها فى منطقة كردفان وتشتمل على عشر لغات منها لغات التالورى ، واللافوفا ، والتومتوم ، والكاندرما .. الخ) .

وشعبة اللغات النيلية ـ الكونغوية وشعبة اللغات البنغالية ـ الغانية .. وهلم جرا .

٢ ـ اللغات البنطوية :

ويتكلم بها سـكان القسم الجنوبى من افريقية فى منطقة واسعة على شكل مثلث ينطبق رأســه على رأس الرجاء الصالح ، ويمتد ضـــلعه الأيمن على الساحل الشرقى لافريقية حتى بلاد الصومال ، وضلعه الأيسرعلى الساحل الغربى حتى مدينـــة « **دوالا** » ببلاد الكمرون ، وتتجـــه قاعدته من بلاد الصـــومال الى المحيـط الاطلانطيقى مارة شمال أوغنده ، والكونغو .

وكل الشعوب التى تقطن هـــذا

المثلث تتكلم البنطوية ماعدا قبائل « الهوتنتوت » ، و « البوشيمان » ، و « النيجيريين » وما عدا المتكلمين بالانجليزية ، وبالأفريكانية من سكان افريقية الجنوبية .

وتشتمل هذه الفصيلة على لغات كثيرة من أشهرها لغات « السوثو » ، و « السواحيلى » ، و « الدوالا » ، و « الجندا » ، و « الجالوا » ، و « التونجا » ، و « الزولو » (وهى التى يتكلم بها قبائل الزولو) .

هذا وقد كان للعرب اتصال بأهل «زنجبار» منذ عصور سحيقة ، ولذلك عنوا بدراسة لغتهم (المسماة السواحيلية) ودونوها بحروف عربية وعن طريقهم وصلنا كثير من تفاصيل هذه اللهجة .

أما اللغات الأخرى من هذه الفصيلة فقد عنى بدراستها كثير من أعضاء الارساليات الدينية فى هذه المنطقة ، ودونوها بحروف لاتينية مع بعض علامات لتمييز الأصوات الخاصة بها .

٣ ـ لغات البوشيمان ، والهوتنتوت والنيجيريين .

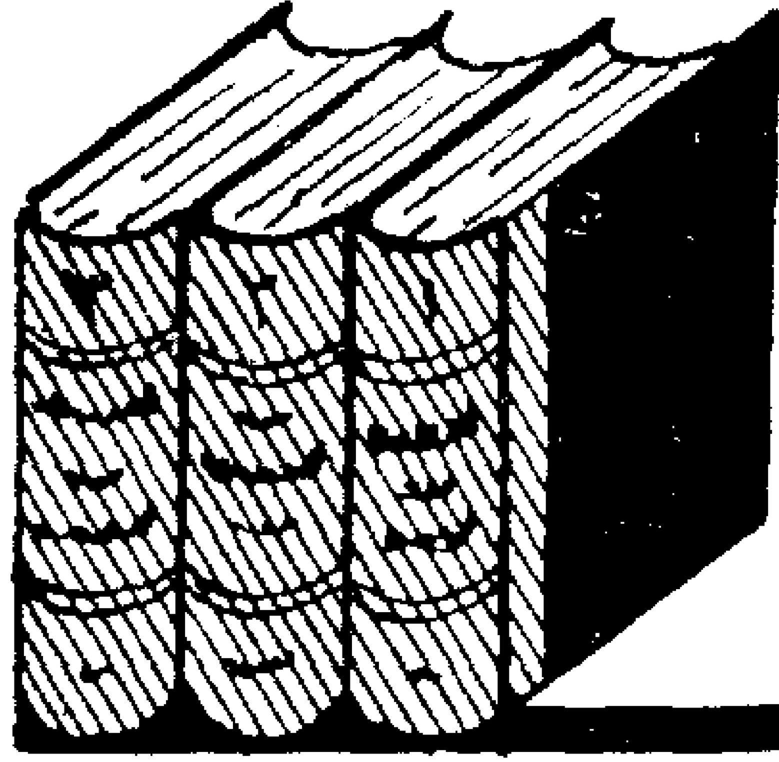
وهى من القبائل الافريقية الجنوبية : تقطن أولاها الغابات الاستوائية ، والمناطق الصحراوية ، ولا يتجاوز عدد أفرادها الآن خمسين ألفا .

وتقطن ثانيتها منطقة محصورة بين خط عرض ٢٤ جنوب خط الاستواء والحوض الأدنى لنهر الأورانج وبعض أجزاء من مستعمرة الكاب ، ولا يتجاوز عدد أفرادها الآن ربع مليون يتألف معظمهم من عشائر الناما .

وتتألف ثالثتها من أقزام يقطنون الغابات الاستوائية .

هذا ولما كانت هذه الفصائل ممثلة للقسم البدائى أو الذى أوقف نموه من لغات بنى الانسان ، فأهميتها النسبية أقل كثيرا من أهمية الفصيلتين (الهندية ـ الأوربية ، والحامية ـ السامية) .





BRITISH POLICY IN CHANGING AFRICA

by. Sir Andrew Cohen

Formerly Governor

of Uganda

السياسة البريطانية فى افريقية المتطورة

بقلم السير أندرو كوهن الحاكم السابق لاوغنده

عرض وتقديم

للعميد (أ . ح) محمد عبد الفتاح ابراهيم

« ١ »

الكتاب والكاتب

الكتاب هو الكتاب الثانى من سلسلة الدراسات الافريقية التى تعنى بها جامعة « نورث ويسترن يونيفرسيتى » الأمريكية ، وقد جاءت مادته أصلا فى سلسلة من المحاضرات والأحاديث ألقاها المؤلف فى أبريل سنة ١٩٥٨ ، ضمن سلسلة المحاضرات التى تمولها مؤسسة هارس فى جامعة نورث ويسترن ، ثم عاد المؤلف الى هذه المادة فراجعها لتصدر فى هذه الطبعة التى تصدرها شركة روتلدج وكاچان بول بلندن ، وقد أتم المؤلف هذه المراجعة بمدينة نيويورك فى ديسمبرسنة ١٩٥٨ ومعهذا تركبعض الاضافات التى أشار اليها فى مقدمته

ولا نستطيع أن ندرك سبب القاء المحاضرات ولا سبب طبع الكتاب فى لندنالا عندما نقرأ ختام أحاديثه وهو يناقش الثغرة بين الوسائل الاقتصادية والوسائل الاجتماعية فى البلاد الافريقية ، وكيف يستطيع العالم خارج قارة افريقية أن يملأ هذه الثغرة وهو لا يطلق القول اطلاقا ، بل يحدد أن هذه المعونة انما هى واجب الولايات المتحدة وبريطانيا ، وأنه من الضرورى أن تتعاونا مع البلاد الافريقية ، بل ومع من تعنيهم هذه المعونة ، ولكن لكى يمكن أن يتحقق هذا يجب أن يفهم الانجليز والأمريكان بعضهم بعضا ، وأن يتفقا معا على رسم علاقاتهما بالشئون الافريقية ، ولايجاد هذا التفاهم والتفهم كانت هذه المحاضرات ، وكان هذا الكتاب .

أما الكاتب « السير أندروكوهن » فهو الممثل الدائم لبريطانيا فى لجنة الوصاية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة خدم فى افريقية ربع قرن كامل ،

وكانت آخر صلاته المباشرة بها كحاكم وقائد عام القوات البريطانية فى أوغنده بين سنة ١٩٥٢ وبين سنة ١٩٥٦ ، وانتقل الى وزارة المستعمرات بلندن مساعدا لوكيلها الدائم مع رياسته للقسم الافريقى فيها ، وقد اشترك فى وضع دستور ساحل الذهب (غانه فيما بعد) هذه الخطوة التى أدت الى استقلالها ضمن دول الكومنولث البريطانى .

والرجل حسبما يقول الناشر متخصص فى موضوعه ، توافرت له التجربة والخبرة ، ومن ثمة كان كتابه دراسة موجزة عرض فيها الأهداف والوسائل البريطانية فى المستعمرات الافريقية ، وتحدث عن مشكلة نقل السلطة فى المستعمرين الى الأهلين فى بلاد مثل (غانة) و (وكينيا) ، كما تحدث عن المشكلات التى واجهتها الحكومات من دوائر « الهوايت هول » بلندن ، حتى دوائر الحكومات المحلية فى القارة السوداء .

وقد قدم للكتاب أمريكى مسئول هو « ادلاى ستيفنسون » الرجل الذى خاض معركة الرياسة لجمهورية الولايات المتحدة ضد أيزنهاور سنة ١٩٥٢ .

ويخرج « أدلاى ستيفنسون » من الكتاب بأنه لا يمكن الوصول الى الشعور بالمسئولية الا بممارسة المسئولية فعلا ، فان عازف الكمان لا يمكن أن ينبغ الا اذا بدأ العزف فعلا وتدرب طويلا على العزف ، ومن ثمة فهو يرى أن الكتاب يوضح طابع السياسة البريطانية فى تطورها بالمستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية ، وعملها لتدريب الأهلين على أن يديروا دفة الحكم فى بلادهم ، وكيف كان هذا أسهل وأيسر فى غرب أفريقية عنه فى وسطها أو فى شرقيها ، وهو أسهل وأيسر فى أوغندة منه فى كينيا وروديسيا الجنوبية ، حيث يوجد عدد كبير من السكان الأوروبيين مما يجعلنا ندرك أن الخطوات بين السياسة التى يصرح بها وبين تحقيقها فعلا قد تكون خطوات طويلة كثيرة مليئة بالصعاب .

وينتهى « أدلاى ستيفنسون » من تقديمه للكتاب ، بأن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، التى تواجهها الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال لم يحلها الاستقلال . ولم يكن من الممكن أن يعطل مجىء الاستقلال ، حتى يمكن الوصول الى الحل الصحيح لهذه المشكلات ، وهو يقول بأن أولئك الذين يعملون للقومية الافريقية يجب أن لا ينظر اليهم كقديسين ولا كمعتدين ، ويجب أن لا نشعر بالخيبة عندما نجد أحدهم ليس كامل الصفات كما يجب أن يكون .

وقد قسم الرجل كتابه الى أربعة أقسام رئيسية :

- افريقية والغرب : عراك وفترة بناء .
- الأمة والقبيلة .
- واجبات الحكومة .
- افريقية والغرب : احتياجات للمستقبل .

« ٢ »

الكتاب :

وللـكتاب من اسمه نصيب ، فقد تكون الترجمة الحرفية لعجز العنوان لاصدره « افريقية المتغيرة » ولكن أى تغير ، وأى تحول ، وأى تبديل ؟!! بل ماذا قصد المؤلف نفسه من أن يصف أفريقية بالتغير والتبدل فى كلمة (Changing) هنا ، الواقع أن الرجل يقصد فى هذا العنوان بالتغير « الانتقال من مرحلة الى مرحلة » على مثال تغير القمر من انتقاله فى مسيره بدورته الشهرية ، ولم يقصد اطلاقا من التغير استبدال الطابع أو الثوب ، ولا الانتقال من سيد الى سيد ، سواء فى المعنى الحرفى أو المعنوى العقائدى لسيادة العقيدة بدلا من سيادة التبعية (١) فالكاتب اذن يعنى أن يتحدث عن « السياسة البريطانية فى افريقية المتطورة » وما أهم الحديث عن هذه السياسة التى تتصل اتصالا وثيقا بجزء كبير من القارة ، وبخاصة لأن صاحب هذا الحديث حاكم سابق من حكام منطقة من افريقية السوداء هى : « أوغنده »

المقدمة :

ومع أن المؤلف كتب مقدمته فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، وراجع أصول كتابه فى هذا الشهر قبل أن يدفع به لآلة الطباعة ، فانه لم يشر فى صفحات الكتاب الى مؤتمر مونتريال الذى انعقد فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ وما جاء فيه خاصا بمعاونة بريطانيا لبلاد الكومنولث المتأخرة ، ولم يشر كذلك فى المتن بشىء ما الى ما اتفق عليه فى أكتوبر سنة ١٩٥٨ بين زعماء نيجيريا وبين وزارة المستعمرات البريطانية خاصا باستقلال نيجيريا فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، مكتفيا بذكر هذا فى مقدمته .

على أن أهم ما فى المقدمة قول المؤلف بأن القوتين الدينميائيتين فى البلاد التى تتولى بريطانيا اداراتهما فى افريقية هما :

١ ـ الحركات القومية الافريقية .

٢ ـ الموظفون البريطانيون .

ويقول ان الحركة القومية بدأت تبدو قوية فى افريقية الاستوائية بعد الحرب العالمية الثانية ، وهنا يشير الى أنه يجب ادراك أن القومية أقوى قوة بشرية فى القرن العشرين ، ولو أرادت بريطانيا أن تنجح سياستها وجب أن تسير هذه السياسة فى ذات الاتجاه الذى تسير فيه القومية !!

« ٣ »

افريقية والغرب : عراك وفترة بناء :

ويبدأ المؤلف القسم الأول من كتابه بوصف حفل رسمى حضره سنة ١٩٥٥ أقيم فى مدرسة ثانوية للبنات فى « جايازا » على مسافة اثنى عشر ميلا فى شمال كمبالا ، وقد قدمت الطالبات عرضا يحمل تاريخ معهدهن ، فبدأ العرض يسير أول مدرسات للمدرسة لمسافة ٨٠٠ ميل من ساحل افريقية الشرقى حتى وصلن جايزا وعرضن الثياب التى ارتدتها الرائدات الأوليات

(١) راجع معجم ويبستر طبع نيويورك سنة ١٩٥٦ ص ٢٤٤ مادة

لوقايتهن من الشمس والحشرات ، وانتهى العرض بقيادة أول فتاة من أوغنده تخرجت من جامعة أكسفورد لجرارة ميكانيكيــة جيء بها للعمل خاصة فى المزرعة الملحقة بالمدرسة ، والتى أعدت لدراسة التغذية المحلية .

والفتاة التى قادت الجرارة مرتدية روب الجامعة وقبعتها هى « مس سارة نينــدووها » (Nyundrvoha) مدرسة علم التاريخ بالمدرسة ، ويقول المؤلف انه قصد أن يبدأ كتابه بهــذه القصة ليوضح كيف تحتاج افريقية فى مستقبلها الى الزعماء والقادة من الرجال والنساء ، بل من النساء خاصة وذلك بسبب التخلف الكبير فى تعليم الفتيات ، وبسبب الدور الصغير الذى تلعبه النساء الافريقيــات فى الحياة العامة .

ثم يعرض المؤلف لحفل آخر أقيم فى ديسمبر ســنة ١٩٥٦ عند سفح جبال « رونزورى » لافتتاح الخط الحديدى القادم من كمبالا ، ولم يكن مكان الحفل يبعد كثيرا عن المكان الذى أقام به « ستانلى » قبل سبعين سنة ، حيث كتب وصــفه الطويل الضافى لجبال القمر ، ولم يكن الكثيرون من الرحالة السابقين قد وصفوها ، لأنها كانت دائما ملتحفة بالسحب ، وقد تحــدث « هيرودوت » عن جبل من الثلج ، كما تحدث غيره عن مثل هذا قرب منابع النيل .

وهو يذكر هــذه القصة لأهمية الخط الحديدى لأوغنــدة وكينيا ، وأهميته لتقدم البلدين وتطورهما ، وقد وصل الخط الحديدى الى بحيرة فيكتوريا قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم وصل الى كمبالا بين الحربين ،وهو الآن يمتد الى جبــال « رونزورى » على مسافة ألف ميل من الساحل ، ويوضح هــذا حاجة هذه البلاد فى المستقبل الى مواصلات جديدة لزيادة ثرواتها ، ولرفع مستوى المعيشة بين الأهلين .

العراك (١) :

ويقــول المؤلف ان الــكشف عن امريكا وبدء اســتعمار أوروبا لشمال ووســط وجنوب ســاحل أمريكا الشماليه ومنطقة البحر الكاريبى هما اللذان أديا مباشرة ــ بوساطة تجارة الرقيق ــ الى ربطالعالم الغربى بوسط افريقية ، فان تطور أمريكا قد قام على معاونة العمال من الرقيق الاسود ومع ن أوروبا لم تكنهى التى اخترعت تجارة الرقيق ، فانها هى التى جعلت، منها حركة تجــارية واسعة المدى ، ويعترف المؤلف بأنه كان لبريطانيا نصيب الاسد فى هذه التجارة ، ثم كانت هى أيضــا الدولة المتزعمــة لمحاربة الاتجــار بالرقيق فى القــرن الثامن عشر ، عندما تقرر القضاء على هذه التجارة ، مستخدمة الدبلوماسية والأسطول فى محاربة الرق ، على أنه يجب أن نذكر أن بريطانيا هى التى أوجدت منطقة « سيراليون » ســنة ١٧٨٧ تبعا لاقتراح خاص وبمعاونة

---

(١) يقصــد المؤلف بالمدة التى قامت طوالها عمليــات اســتعمار القــارة بوســاطة الدول الأوروبية ، وهو يحاول أن يبتعد عن استخدام الاصطلاح العادى ألا وهو (الاستعمار) .

الحكومة ، كما أنشأت الولايات المتحدة «ليبيريا» سنة ١٨١٦ بواسطة الجمعية الاستعمارية .

وفى القرن التاسع عشر نفسه أشعت الحركة التى بدأت فى الولايات المتحدة لمحاربة الرق فى داخل البلاد الأمريكية نفسها ، وأوجد الانتكاس المعنوى فى بريطانيا صورة من صور الحركة بنقل الحضارة الغربية الى افريقية ، ومع تطور الحركة لوقاية سكان افريقية من الاستغلال غير المرغوب فيه (!!!) كان تطور السياسة التقدمية للقرن العشرين ، هذه السياسة التى عاونتها غالبية الرأى العام فى بريطانيا على اختلاف أحزابها السياسية .

البعثات التبشيرية والاستكشاف والتجارة فى غرب افريقية

وصحبت حركة مقاومة الرق حركة تبشيرية دينية واسعة النطاق ، وتكونت عدة جمعيات تبشيرية فى نهاية القرن الثامن عشر وفجر القرن التاسع عشر ، وكانت هذه الهيئات التى حولت للمسيحية الملايين من الوثنيين الافريقيين هى التى نشرت التعليم ، وهى التى وضعت الأسس للرعاية الطبية (١) ، وقد جاءت مع حركة التبشير حركة التجارة ، وكان القصد الاصلى أن تقوم التجارة على أساس نفع التجار ونفع الاهلين ، وعلى أن تكون التجارة مع الغرب وسيلة معوضة للزعماء ولتجار الرقيق ، عن الاتجار بالبشر ، كما ظن بأن دخل التجارة يعاون على رفع مستوى الأهلين .

ولكن الخدمة الدينية والحركة التجارية تحتاجان الى معرفة بداخلية البلاد ، ودراية بالسكان ، وبما ينتجونه وبما يحتاجون اليه ، ولاستكمال هذا التطور العلمى الضرورى وضح أنه من الضرورى القيام بعمليات استكشاف واسعة النطاق فى مجارى المياه المتصلة بالساحل المعروف ، والوصول الى منابع الأنهار الكبيرة التى يحيط الغموض بينابيعها ، وتدور الأساطير والخرافات حول مواقعها ، وتأسست « الجمعية الجغرافية » سنة ١٧٨٨ بمعاونة دعاة محاربة الاتجار بالرقيق للاشراف والتوجيه لعمليات الكشف الجغرافى للأرض وللناس ، وهكذا سارت عمليات التبشير للدين وعمليات التجارة لرفع المستوى الاقتصادى – هذا الذى تحول الى استقلال اقتصادى – سار جنبا الى جنب مع عمليات الكشف الجغرافى للتعرف على النطاق الداخلى بعيدا عن الساحل وبخاصة فى مناطق النيجر والكنغو ، والبحث عن منابعهما ومنابع النيل .

وفى أوائل العقد السابع من القرن التاسع عشر كانت الحكومة البريطانية بعد تردد طويل ، وبعد تمحيص ودراسة ، وبعد تغييرات كبيرة فى

---

(١) لم يتحدث المؤلف عن صلة الهيئات التبشيرية بالسياسة الاستعمارية فى هذه المرحلة مرحلة (العراك) والاستعمار .

راجع كتاب جون فيرنون تيلور « المسيحية والسياسة فى افريقية » ضمن سلسلة كتب بنجوين للشئون الافريقية طبع لندن سنة ١٩٥٧

سياسة الحكومة قد تولت السيطرة على انشاء مراكز التجارة فى ساحل الذهب (غانه فيما بعد) وفى نيجيريا ، وتتميز هذه المرحلة بمظاهر تردد الحكومة البريطانية والبرلمان الانجليزى فى تقبل المسئولية فى غرب افريقية ، وربما يرجع هذا التردد الى خوف المسئوليات المالية ، وتبعا للتجربة السابقة فى أمريكا الشمالية بالمستوطنات البريطانية ، ثم نتيجة لفشل المستعمرة التى أوجدها البريطانيون عندما استولوا على موانىء السنغال من الفرنسيين ، على أن بريطانيا لم تبدأ السيطرة السياسية فى الداخل حتى كان الفرنسيون قد بدأوا سياسة نشيطة فى غرب افريقية بعد سنة ١٨٧٠ ، كما قام الالمان بهذا بعد سنة ١٨٨٢ ، وفى سنة ١٨٨٥ سيطرالانجليز على النيجر الأسفل ثم على النيجر الأعلى بعد ذلك بعام كامل ، بواسطة شركة النيجر الملكية ، وكان هذا – حسبما يقول الانجليز – تابعا للعامل الانسانى ، عامل القضاء على تجارة الرقيق .

شرق افريقية :

وتمت تطورات واسعة النطاق فى شرق افريقية ، ففى منتصف القرن التاسع عشر خاضت بريطانيا مغامرة فى زنجبار للقضاء على تجارة الرقيق (!!!) ، وتبع هذا عمليات كشفية فى داخلية البلاد ، فوصل « سبيك » و « جرانت » الى بوغنده سنة ١٨٢٦ وفى سنة ١٨٧٧ وصلت أول بعثة تبشيرية بريطانية بدعوة من «ستانلى» نيابة عن (كاباكا موتيسا) ، وجاءت فى أعقابها بعثة من الكاثوليك الفرنسيين ، وفى سنة ١٨٩٠ ظهر فى أوغندة الألمانى « كارل بيتر » ، ولكن فى السنة نفسها اتفق الانجليز والألمان على مناطق النفوذ ، وكانت الأرض التى تعرف الآن بكينيا وأوغنده داخل منطقة النفوذ البريطانى وأرسلت شركة شرق افريقية البريطانية « لوجارد » الى أوغنده ممثلا لها ، وهو تمثيل صحبته قوات عسكرية معدة باسم الشركة صاحبة الامتياز التجارى أصلا (!!) .

ولكن فى سنة ١٨٩١ قررت الشركة أنها لا تستطيع احتمال نفقات هذا الاحتلال السياسى المظهر ، وراحت بعثات التبشير وراح « لوجارد » ، والجميع يدعون لتتولى الحكومة البريطانية الأمر فى أوغنده ، على أن هذا لم يتم الا فى سنة ١٨٩٤ ، وكانت الحماية على بريطانيا معناها آليا الحماية على أساس أنها هى الطريق الى أوغنده .

انعكاسات على فترة العراك :

وهنا يحاول المؤلف أن يبعد عن القارىء فكرة « الاستعمار » ، وهو الاصطلاح الذى ينسبه الى المؤرخين الماركسيين ، أى المؤرخين الذين تقبلوا عقيدة « كارل ماركس » فى وصف الاستعمار ، ويقول المؤلف ان الرأى العام الحديث يعتبر الفترة التى تم فيها تقسيم افريقية بين الدول الكبرى فترة من أشد فترات تاريخ العالم ظلمه ، ويعترف بأن التنافس بين الدول الكبرى لعب دورا كبيرا فى المسألة ، ويعترف بأن الوسائل التى استخدمت

الحصول على موافقة الزعماء الافريقيين بتقبل الحماية عرضة للنقد ، ثم يقول ان المصالح الاقتصادية كانت عاملا فى توجيه سياسة الحكومات ما فى هذا من شك ، ولكن دور المصالح الاقتصادية كان فى شرق افريقية كان أقل منه فى الكونغو أو فى الروديسيتين (الشمالية والجنوبية) ، ويقول ان محاربة تجارة الرقيق وعمليات التبشير كانت أولى العوامل الدافعة للتسرب البريطانى فى شرقى وغربى القارة ، وان النهوض بالتجارة كان جزءا من برنامج محاربة الرقيق ، كما يعترف بأن دعم سيطرة الأوروبيين فى افريقية الاستوائية قد قام على العنف ، ولكن هذا بالرغم عن وصف العالم له بالعنف — كان أقل عنفا مما حدث فى مناطق أخرى من العالم ، وفى فترات أخرى من التاريخ .

وهنا يخرج المؤلف برأى جديد ، فهو يسأل : لماذا نقول عن شركات الكشف والتجارة فى داخل القارة انها شركات استغلال ، ولا نقول عن أفرادها انهم من الرواد البواكير ! ؟ .

ويدعم حجته هنا بأنه قبل أن تمر مائة سنة على سيطرة الانجليز فى (ساحل الذهب) ، كان ساحل الذهب — غانه فيما بعد — فى عداد أعضاء منظمة الأمم المتحدة ، فهل كان هذا مستطاعا لولا هذا النظام الاستعمارى ؟!

ثم يحاول المؤلف الاجابة على هذا السؤال فى حديثه التالى عن :

فترة البناء :

ويقدم المؤلف تاريخ المدة بين سنة ١٨٩٠ وبين بداية الحرب العالمية الثانية ، أى فى نصف قرن من الزمان وهو عصر بناء مستمر ، اللهم الا فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأثناء الهبوط المالى سنة ١٩٣٠ .

ففى هذا النصف من القرن ، قننت القوانين ، ودعم النظام ، وضمنت العدالة ، وشيدت المعاهد ، وأقيمت الحكومات المحلية ، وأمكن تطور نظام الحكم غير المباشر كما وضعت أسس نمو « المعاهد المركزية السياسية » أو بمعنى أعم برز الى الوجود التكوين السياسى الحزبى للجماعات .

وفى ميدان آخر ، أنشئت المدارس وتوسعت الخدمات الطبية وانتشر التعليم ، وحوربت الأوبئة كمرض النوم ، والحمى الصفراء ، وشقت الطرق ومهدت ، وقامت المدن الحديثة الطراز ، العالية البناء .

كان هذا النصف من القرن أمداملينا بأعمال الرواد الذين عملوا فى خدمة البلاد الافريقية بعامة ، وفى كينيا وأوغنده وتنجانيقا بخاصة ، ويعتبر المؤلف أن أعظم سنى التطور كانت من سنه ١٨٩٥ الى ما بعدها عندما تولى جوزيف تشيمبرلين وزارة المستعمرات فقد أنشأ الخطوط الحديدية التى تمتد من الساحل الى داخلية البلاد فى أكثر من مكان فى شرقى القارة وغربيها ، وكان هو الذى استطاع أن ينظم تمويل القروض المالية للتطور الاقتصادى فى افريقية وكذلك فعل « امرى » الذى تولى

وزارة المستعمرات فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، والذى اشتهر بتشجيعه لأعمال البحث العلمى والتطور الاقتصادى ، ويقول هنا ان هذين الرجلين اللذين يعدان فى مقدمة « الامبرياليين ـ المستعمرين » قد أسهما اسهاما طيبا فى فترة البناء .

تنظيم دولى :

وقرر مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ فتح الطريق للتجار ولبعثات التبشير ، وأن يمكن هؤلاء وهؤلاء من النفوذ الى داخل القارة ، وبخاصة فى مجريى الكونغو والنيجر ، **وأن تكون الملاحة فى النهرين حرة لكل الناس من جميع الأمم .**

وقد نشأت هذه التنظيمات فى الميدان الدولى العام من الاعتقاد بأنه لا يجب ألا تستأثر أية أمة بالنفع دون غيرها من الأمم بسبب سيطرتها على المستعمرات أو المحميات ، ولاشك أن أولئك الذين صاغوا نصوص قرار برلين ١٨٨٥ قد آمنوا بأن حرية التجارة أصلح الطرق والسبل للنهوض بالمنطقة كلها ، وسواء تم هذا فعلا أم حدث لون من عدم المساواة بين الأمم فان الأمر كله لا يعدو أن يكون مسألة جدلية فى صورة ما ، فقد كان لقرار مؤتمر برلين ولقرار مؤتمر بروكسل فيما بعد معقبات أبعد مدى ، فلقد حرم القراران الاتجار بالأسلحة فى افريقية لامكان القضاء على تجارة الرقيق من جهة ، ولمنع القتال بين القبائل من جهة أخرى ، كما نصا على منع الاتجار فى المشروبات الكحولية سواء المستوردة أم المصنوعة محليا ، فشجع هذا على صنع خمور محلية خلسة أكثر خطرا من المشروبات الكحولية ، كما أنه لم يكن من الممكن السيطرة على منع انتاجها .

والفكرة من ذكر هذا ايضاح الاتجاه العام طوال هذه السنين لمنع المضار بدلا من القيام بعمل ايجابى للانشاء والتطور ، وقد لعبت هذه الاتجاهات دورها حتى فى صياغة نصوص الانتداب تحت سمع عصبة الأمم وبصرها ، ولكن اتفاقات الوصاية فى ظل الأمم المتحدة عنيت بالبناء ، ونصت على ضرورة قيام الدول التى تتولى الوصاية برفع المستوى السياسى والاقتصادى والثقافى والتعليمى للمناطق وسكانها .

النمو الدستورى :

وقد تعلم الانجليز من التجربة التى واجهوها فى المستوطنات الامريكية قبل حرب استقلال أمريكا ، أن ممتلكاتهم فيما وراء البحار يجب أن تبنى كوحدات منفصلة عن بريطانيا بميزانياتها واداراتها وتشريعاتها .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عرفت البلاد الافريقية الهيئات التشريعية ، وكان أعضاؤها فى البداية من الموظفين ، ثم ضم اليهم نفر من التجار والمبشرين ، وقرب نهاية القرن التاسع عشر ضم اليهم بعض الافريقيين المثقفين ، وبرز هذا التنظيم قبل الحرب العالمية الأولى فى سيراليون وساحل الذهب ونيجيريا ، أما فى شرق افريقية فلم يتم هذا الا بعد الحرب العالمية الأولى ، وان كانت هذه المجالس قد اشتملت أثناء الحرب

العالمية الأولى على بعض الآسيويين من سكان شرق افريقية ، ومن بعض الأوروبيين الذين اختيروا على أساس تمثيلهم لمصالح الوطنيين .

على أنه يجب أن نلاحظ هنا أن السكان الأوروبيين فى روديسيا الجنوبية قد أعطوا فى ذلك الوقت فرصة تشكيل حكومة مسئولة مسئولية تامة من الناحية الادارية الداخلية ، مع الاحتفاظ بحق الحكومة البريطانية فى الاعتراض على التشريعات التى تفرق بين الأوروبيين والافريقيين .

وكانت الفلسفة السياسية لأغلب الأوروبيين فى كينيا كما فى روديسيا الشمالية تقوم على أساس الاحتفاظ بالسيطرة للبيض ، ولكن كان القليلون جدا منهم ـ على ما يقول المؤلف نفسه ـ يمكن أن يرحبوا بأن توكل اليهم حكومة البلاد ، ومع أن بريطانيا لم تحاول تطبيق هذه السياسة فى كينيا أو فى روديسيا الشمالية فان اللجنة المشتركة من مجلسى العموم واللوردات انتهت سنة ١٩٣٦ من وضع تعريف أساسى لاصطلاح « السيادة للمصالح الافريقية » جاء فيه : « لا توضع مصالح الأغلبية الافريقية بحال ما تحت سيطرة أقلية ما ، مهما كانت قيمة هذه الأقلية وأهميتها »

الحكم غير المباشر :

ويعتبر الحكم « غير المباشر » أى الحكم بواسطة الوطنيين فكرة تجمل أمرين اثنين :

- تدريب الوطنيين على حكم أنفسهم بأنفسهم .
- منع ازدياد العداوة والبغضاء فى قلوب الوطنيين للحكام الاجانب .

وقد بدأت هذه التجربة فى امارات شمال نيجيريا بوساطة « لوجارد » فى فجر القرن العشرين ، ثم فى بوغنده بوساطة الكاباكا ، وطبقت فى غرب نيجيريا سنة ١٩١٦ ثم بعد ذلك فى شرق نيجيريا وفى سيراليون وروديسيا الشمالية ، وطبقت فى تنجانيقا سنة ١٩٢٠ بديلة للحكم المباشر الذى كان يمارسه الالمان ، وقد كتب السير « دونالد كميرون » عدة مذكرات وتوجيهات كلاسيكية من أمهات الدراسات الفقهية فى أنظمة الحكم لوضع أصول الحكم فى تنجانيقا ، وتبع هذا وضع أسس الحكم غير المباشر فى بلاد « الأشانتى » وفى المناطق الشمالية من ساحل الذهب .

تنظيم الحكم غير المباشر :

وقد استعين بدراسات علماء الأنثروبولوجى لمعرفة الطباع والتقاليد القبلية ، ولهذا كانت السلطة الوطنية ـ فى تقدير الحكومة ـ فى بعض المناطق هى الزعيم ، وكانت أحيانا تمثل فى الزعيم على رأس المجلس التشريعى ، وأحيانا بالزعيم والمجلس معا ، و فى أحيان أخرى ومناطق أخرى تمثل بالمجلس وحده بالرغم من وجود الزعيم ، وقد تطلب هذا بالطبيعة تباين صور الاجراءات ، ففى حال الرجوع بالأمر الى الزعيم وحده كان يحاط بعدد من المستشارين كجزء من النظام الادارى ، ولكن هؤلاء المستشارين لم ينظر اليهم على أنهم جزء من السلطة الأهلية ، وقد أدى هذا الى الاعتراف

بسلطة فى صورة ما لعدد كبير من الزعماء ، ووصل العدد فى وقت ما فى تنجانيقا الى ٤٠٠ زعيم أى وجود أربعمائة حكم محلى وأربعمائة سلطة وطنية تتعامل الحكومة معها ، ثم أمكن بعد ذلك ضغط هذا العدد الى خمسين على أنه بعض المناطق الكبيرة مثل شرق نيجيريا كان عدد الزعماء قليلا ، وكان الأفراد أنفسهم متأخرين الى الحد الذى لا يمكن معه الاطمئنان الا بتشكيل عدد قليل من الوحدات الادارية ، وهنا يجب أن نلاحظ أن السلطات المحلية فى بعض المناطق كانت مجرد وساطة بين الحكومة وبين الأهلين ، كما أنها كانت فى أحيان أخرى وسيلة لتمكين ضباط الحكومة المركزية من القيام بالأعمال الادارية والفنية التى يحتاج اليها النهوض بالبلاد .

عدم تطبيق نظام الحكم غير المباشر فى المدن :

وقد يكون من الضرورى أن نناقش هنا سبب عدم تطبيق نظام الحكم غير المباشر فى المدن التى تنمو وتزدهر وفى المناطق المتزايدة السكان ، مع أن هذه كانت أصلح للتجربة لو كان هذا اللون من الحكم تجربة لوضع سياسة عامة للمستقبل ؟ .

وعلة هذا فى الواقع أن الحكم غير المباشر كان نظاما اداريا وضع بخاصة للذين يعيشون تحت الظروف القبلية لمواجهة مشكلاتهم وعلاقاتهم بالحكومة المركزية ولرفاهيتهم وتقدمهم ولما كانت غالبية السكان فى المناطق الريفية فلا غرابة اذن أن يتخذ النظام الطابع المناسب لهؤلاء والمتفق مع طبيعة الأشياء ، وفضلا عن هذا فان أنظمة (!!) الحكم غير المباشر كانت تتبع الطوابع المناسبة لكل منطقة ولكل قبيلة تبعا لظروفها الخاصة نظامها ، ولم يهدف نظام الحكم غير المباشر اطلاقا لتعمل فى اطار بناء دولة أو أمة ، هذا عدا أنه قد وضعت موضع التقدير هذه الاتجاهات والضغوط الواضحة فى العالم ، والتى كان عليها أن تؤثر فى افريقية الاستوائية فى مرحلة متأخرة من الزمن .

والواقع أن المعنيين بالأمر كلهم قد تقبلوا فى هذه الحقبة من السنين أن يكون « الحكم الذاتى » هدفا للمستقبل ، على أنه تبعا لتقدير الكثيرين أنه هدف للمستقبل البعيد لم تبذل أية محاولة قبل الحرب العالمية الثانية لربط نيجيريا كلها أو حتى ساحل الذهب كله فى وحدة واحدة ، بايجاد مجلس تشريعى نيابى مركزى فى كل منهما ، يمثل فيه الافريقيون تمثيلا مطلقا ، وقد يكون هذا أيضا السبب فى عدم محاولة هذا فى شرق افريقية باعداد جهاز سياسى مركزى يمكن أن يمثل الافريقيين كما يمثل مجتمعات المهاجرين ، فقد كان من الصعب ولا شك أن يتم هذا قبل أن تبرز رغبة ملحة من جانب الأهلين ، ولكن مع هذا لا يجب أن يعتبر على أنه ـ بحال ما ـ علامة ودليل على عدم توافر الوعى التقدمى الكافى عند الافريقيين !!

« ٤ »

الأمة والقبيلة :

وفى القسم الثـــانى من الكتاب يحاول المؤلف أن يقدم صورة صحيحة للسياسة الجديدة وأسبابها ، وهى السياسة التى مهد للحديث عنها فى تلخيصه للحديث عن « العراك » ، وقد بدأ حديثه بأنه فى أثناء الحرب العالمية الثانيـــة اتخذت السياسة الاستعمارية وجهـــة جـــديدة كاملة الجدة ..

فماذا كان طابع هذه الوجهة الجديدة ومم تكونت ؟!!

التطورات للمستعمرات والصـــلاحية لهذا :

وقد بدأ الأمر بالسياسة الانشائية الايجابيةللتطور الاقتصادىوالاجتماعى واعتمدت الحـكومة البريطانية مبلغ (٦٠٠) ستمائة مليون جنيه للانفاق فى مدة خمس عشرة ســـنة تنتهى ســـنة ١٩٦٠ لتمويل المشروعات الاقتصادية والاجتماعيـــة فى المناطق التابعة لبريطانيا فى افريقية وغيرها ، وقد يبدو هـــذا المبلغ صغيرا بالنسبة لمستويات الانفاق فى بريطانيا ، ولكن المبلغ قد دعم بالقروض التى طرحتها حكومات تلك المناطق فى سوق لندن الماليـــه بضمان الحكومة البريطانية نفسها ، كما ضمنت بالفائض من دخل تلك المناطق وبالودائع الخاصة التى لها فى مصارف لندن .

ووضعت حكومات افريقية كلهـــا برنامجا ضافيا للتطـور والتنمية ، وكانت هناك قوة دافعة فى التعليم بما فيه التعليم العـــالى والعنـاية الصحية ، والبحث ، وانشـــاء الطرق والامداد بالمياه والحركة التعاونية ، والزراعة والتطور الصناعى .

السياســـات الجـــديدة للحكومات المحلية :

وكان الأمر الثانى هو السياسات الجـديدة للحـكومات المحلية ، وقد اتجهت هذه الى تحويل نظام الحكم غير المبـاشر الى نظـام حديث كفل الاعداد للحكومات المحليـــة ، وكان القصد العام اصلاح بعض نقاط الضعف التى ظهرت فى النظام القديم .

على أنه كان من السهل ادخال نظام جديد فى منطقة مثل كينيا ، وفى أجزاء من أوغندة أى حيث لم يكن نظام الحكم غير المباشر قد طبق بعد ، ولكن كان هذا من الصعوبة بمكان فى المناطق التى تعتبر وحـداتها الادارية كبيرة جدا ، كما هى الحال فى البوغندة أو فى امارات شـمال نيجيريا ، وذلك بسبب متاعب انشـــاء حكومات فى مسـتويات تقل عن مسـتويات تلك التى تتولى الأمر فعلا .

التقدم الدستورى :

وكانت الظـــاهرة الثالثـــة ، بل الأكثر أهميـــة : سياســـة التقـدم الدسـتورى ، فقـــد غطت المجالس التشريفية البلاد كلها ، ومهد الطريق للافريقيين لعضويتها وأدخل نظـــام الانتخـــابات ، بل جعـل الانتخابات مباشرة وعلى درجة واحدة ، ثم زيد من شعبية مجالس الحكام ، وأدخل نظام الوزارات التى يتولاها الوطنيـــون ، وقد مكن هذا من استقلال غانه ، ومن

وصول نيجيريا وسيراليون الى الحكم الذاتي .

وكان القصد من هذه السياسة الجديدة تدريب الأهلين واعدادهم لاحتمال المسئولية ، وذلك باعطائهم مزيدا من السلطة تدريجيا .

أسباب هذه السياسة ؟

ولم يكن الدور الذى لعبته الحرب العالمية الثانية وما جاءت به من آراء ، كما لم يكن ما قدمته البلاد الافريقية من الرجال ومواد الحرب ، سبب اتباع هذه السياسة الجديدة ، بل كان السبب أكبر وأعمق ، كان ذلك هو الشعور العام بأن العالم يجب أن يوضع فى الوضع الصحيح ، وأن الأمم الأكثر ثروة والأقدم تاريخا يجب أن تعاون الأمم الفقيرة غير المتطورة كى تبنى بنيانها ، وكى تتحول الى أمم جديدة ، كانت هذه هى سياسةميثاق شمال الاطلنطى ..

ولكن السبب الرئيسى فى الواقع كان نمو القومية ، وفى غربى افريقية كانت القومية عاملا من عوامل المسرح السياسى قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم تطورت تطورا سريعا ابانها .

ولم تظهر القومية فى شرق افريقية بطابعمنظم الا سنة ١٩٥٠ ، وان كانت اضطرابات سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٩ فى بوغنده بسبب الشكوى من سوء الحال الاقتصادية ، وسوء الحال الاقتصادية من أهم العوامل التى توجد الوعى القومى .. أما فى كينيا فقد كانت الجماعات القومية تعمل منذ سنة ١٩٤٠ .

القومية :

وترجع عوامل القومية فى غرب افريقية لتأثير الغرب ، فلقد جاءت من الغرب آراء ومعارف ، ومن ثم وجدت الرغبة فى تحقيق النظم السياسية التى يقدر الغرب قيمتها تقديرا كبيرا فضلا عن التطور الاقتصادى الذى عاون من ناحية — عن طريق التجارة والصناعة — فى تحطيم المجتمعات الافريقية القديمة ، وعاون — من ناحية أخرى — على ايجاد طبقة متوسطة هى المورد التقليدى لنشاط القوميات .

وقد صحب هذا رغبة فى المساواة مساواة كأمم لا مساواة كأفراد ، وقد سبب تزايد هذه الرغبة بداية الحملة على النظام الاستعمارى .

وقد ضاعف ، من هذا وذاك ، الاتصال الوثيق بالعالم الخارجى ، والتجارب التى وصل اليها الجنود الذين قاتلوا خارج بلادهم ، ثم هذا العدد الكبير من الطلاب الذين سافروا فى أعقاب الحرب مباشرة الى أوروبا وأمريكا ، وبعث هؤلاء بخاصة الى افريقية بسيل من الكتب والنشرات التى حملت للافريقيين آراء جديدة ، كما نقلت اليهم أنباء الحركات القومية فى أجزاء أخرى من العالم .

على أن أولئك الذين دعوا للقومية ينسبون كل صور الاصلاح والتقدم الى الكفاح للحرية ، لا تبعا لسياسة أملاها الواجب ولا لتأثير الرأى العام فى الدول الكبرى المستعمرة .

الضغوط المتشابكة :

والواقع أن التقدم الدستورى لم يعتمد على عمل الحكومة وحدها ، ولا

على ضغط الرأى العام المحلى وحده ، أيضا ، بل على كلا الأمرين ، وقد جاء نتيجـــة لمـــا يمكن أن نطلق عليـــه « الضغوط المتشابكة » وهى ضغوط يصفها المؤلف بأنها :

« عمل السياســـة البريطانية ـ حكومات التريتوريال ـ الرأى العام والرأى البرلمانى فى بريطانيا ـ ضغط العاملين للقومية الافريقيـــة ـ الرأى العام فى مناطق التريتوريال نفسها »

وفى المراحل الأولى قد يكون ضغط الرأى العام المحلى ضعيفا غير منظم ، فاذا كان الاتجـــاه الحـكومى عنيفا ومضادا كان التقدم بطيئا أو لا وجود له ، وفى مثل هذه الأحوال يكون العمل من جانب الحكومة ضروريا لدفع الحركة للأمام بعمل شىء يمكن مـــن ايجاد الوعى السياسى .

ولكن فى المراحل التالية ، يتجـــه ضغط التقدم السياسى ليكون قوميا ، فاذا كانت الحكومة عنيفة فى عملها حدث الانفجار ، أما اذا كانت الحكومة ضعيفة كان التقدم سريعا وفى الاتجاه الخاطىء .

والواقع أنه حيثمـا كانت القوى السياسية أو الحركات المحلية قوية ، توقف التقدم السياسى على التصور وعلى المرونة من جانب الحكومة ، لا على القوة من جانبها .

وهنا نصل الى ثلاث نقاط حرية بالعناية والملاحظة :

فأولا : ليست الاستجابة للضغط السـياسى المحلى عـلامة على ضعف الحكومة .

ثانيا : لا يتمشى الجدول الزمنى للتقدم السياسى مع نظرية الضغوط المتشابكة ، ذلك لأن عمل هذه الضغوط يوجد عمليات معقدة من العلاقات بين المجموعات البشرية .

ثالثا : المراحل الأخيرة من التقدم السياسى هى المراحل الأكثر صعوبة ، والأكثر دقة بالنســـبة للحـــكومة وبالنسبة للزعماء الوطنيين ، ففى هذه المراحـل يجب الحـرص من جانب الجماعات أو الأفراد الذين يحاولون التدخل بين الحكومة وبين الرأى العام المحلى ، فعندما تكون القوى السياسية المحلية قوية يختل التوازن عندما يلقى الرأى العام الخارجى ثقله الى جانب القوى السياسية المحلية .

وقد تمكن من ادراك هذا أولئك الذين راقبوا عمل بعض أعضـــاء الجمعية العامة للأمم المتحدة عند عرض مشكلتى الكمرون الفرنسى والبريطانى فان الكثيرين كانوا يوافقون على كل ما يقوله أصحاب الشكوى دون تقدير لما تقوله السلطات التى تتولى الادارة بفكرة أن سلطات الادارة فى كل مكان من العالم مثار شكوى كل الناس ..

الضغوط الداخلية فى بريطانيا وفى المستعمرات :

على أن هناك بعض الضغوط التى لها خطرها ، ولها قدرها من الاعتبار ، وهى ضغوط من كلا الجانبين ثم هى غاية فى التعقيد ، ففى بريطانيا على ســبيل المثـــال لا الحصر ، وزارة المستعمرات ـ أصـــحاب المصـــالح التجـــارية والصناعية والمعـــدنية ـ وأولئك الذين يتتبعون الدراســـات الافريقية فى الجامعـــات ـ وأولئك

الذين لهم صلات بالمستوطنين الأوروبيين – والبعثـــات التبشيرية – وأولئك الذين لهم سابقة تجربة فى حكومات المستعمرات ، وكل هؤلاء يعنون بأمور افريقية ولهم مصـــالح حيوية فيها ، واتجاهاتهم يمكن أن تنسق معـــا ، ويمكن أن تسير فى اتجاه واحد أو فى اتجـــاهات متوازية ، كما يمكن أن تتعارض فى بعض الأحيان .

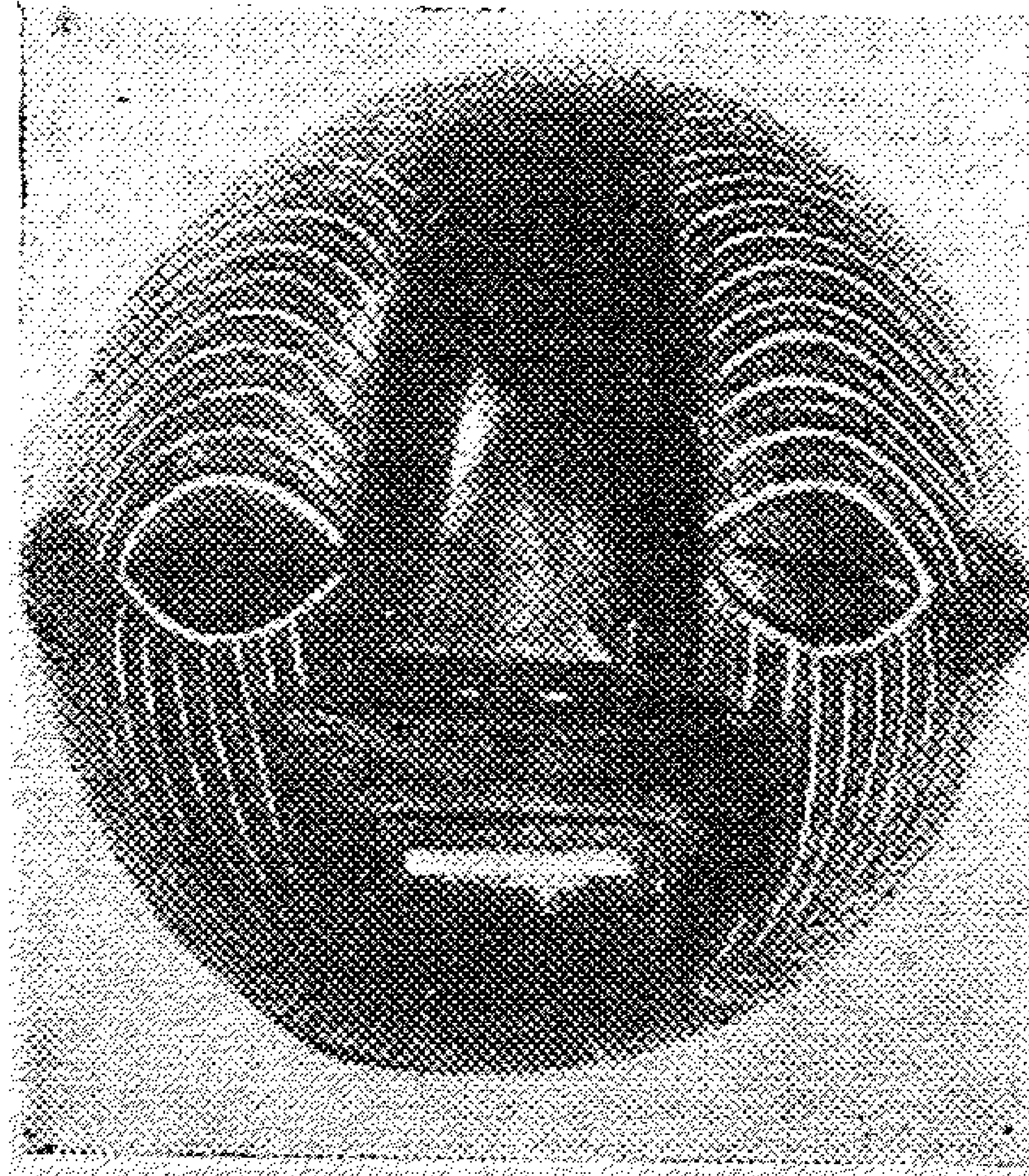
وفى المستعمرات نجد السياسيين القوميين المتطرفين والمعتدلين ،وهناك الجماعات السياســـية التى هى فى الغالب قبليــة – ثم الزعماء وكبار السن الذين لهم سلطات لا يريدون المنازعة فيها – وهناك الخلافات بين البروتستانت والكاثوليك والمسلمين – ثم بعد هــذا أولئك المستوطنون من الأوروبيين كما يوجــد الآسيويون من أصحـاب المصالح ، والشىء الواضح أن هذه الجماعات فى كل من الجانبين لا تقوم بالضغط معا فى اتجاه واحد .

وكان العمل الداخلى لتبـــاين الضغوط بين الجماعات المختلفة فى كل قطر العامل الرئيسى فى السياسة المحلية .

ثم كان اقتران هـــــذا بحركات الضغوط الخارجية العامل الأساسى فى التطـــور القومى الذى وصـــل بافريقية الى الاستقلال أو الى مشارف الاستقلال ..

ولكن ما هى احتيــاجات افريقية للمستقبل فى ضوء هــذا التسجيل للماضى والحاضر ؟

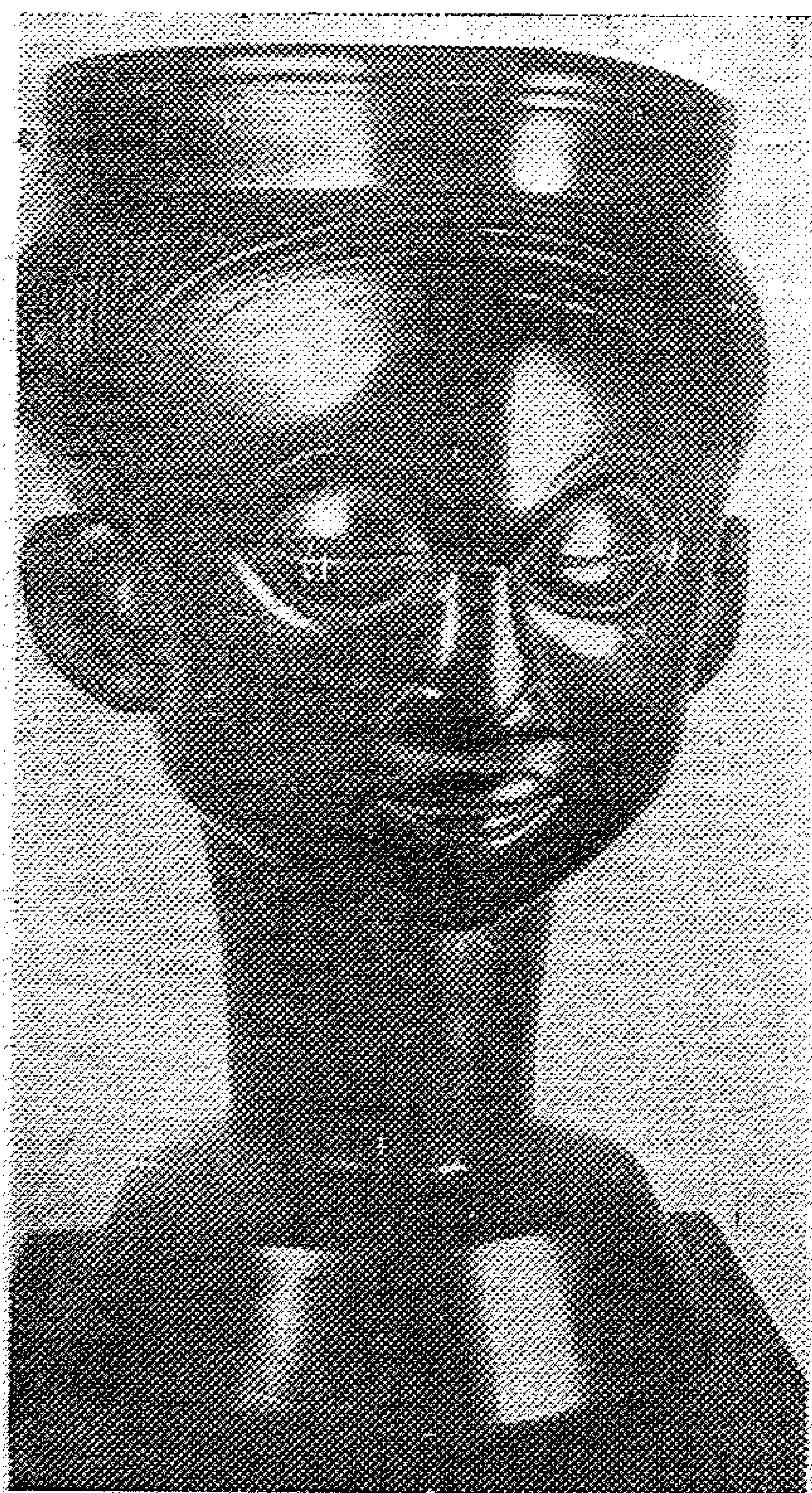
هنا يجب أن نقف فى دراســـتنا لكتاب « السير أندرو كوهن » لنرجع اليه مرة ثانية لبحث مطالب الغد فى دراسة تالية نستكمل بها دراسة هذا الكتاب القيم باذن الله .



them equal opportunity and rights, a role in all schemes of development and a fair share of the products. It is our aim to encourage and earn the faith and confidence of home and foreign investors, by observing economic and internationally accepted rules of fairplay. The Asian community has to change its present attitude of defending a position of privilege before they can earn our full confidence. Their leaders must also intervene in the continued economic exploitation of the Africans and unfair competition with African traders".

Signed: A. O. ODINGA
J. G. KIANO
L. G. OGUDA
B. MATE
T. J. MBOYA
D. I. KIAMBA

6th August 1959.



and Convention of European Associations.

MILITARY BASES :

We oppose unreservedly the establishment in our country of foreign, military bases. We demand the recognition of our peoples' right to have a say in the matter of Kenya's defence.

THE JUDICIARY :

Both in the interests of the system we wish to establish and also in the interests of justice, the judiciary must be reorganised. It must be truly independent and the Rule of Law established. All administrative officers must be removed from the exercising of any judicial or magisterial powers. The Jury system must be extended to all people.

THE KENYA REGIMENT :

This body which is currently reserved for Europeans only must be disbanded or opened to all races. Africans must be given greater opportunities for training for the commissions in the army.

CONCLUSION :

Our stand is neither racial nor motivated by ill-will or hate of the immigrant communities. It is a realistic approach to the situation as it exists today and takes into account our peoples feelings and aspirations. People may talk non-racialism or even seek to impose it but this will all fail unless such moves have the full confidence of the African people. To try to ignore the population, historical or geographical factors of Kenya is to fail completely to appreciate Kenya's current problem.

It is misleading for any African to think that he can look to Tanganyika as an example of non-racialism for we believe that without TANU (Tanganyika African National Union) a strong and effective African organisation - the Tanganyika situation would not be what it is today.

We are as concerned as anyone else that our country should establish an atmosphere in which economic development and social advancement may take place as rapidly as possible. But we believe that before the full force of all our people can be released for this vital task they must enjoy a political status which assures for

produce a programme of African resettlement in the Kenya highlands based on the establishment of economic holdings and establishment of the maximum units of land anyone may hold. We do not accept any suggestions that the opening up of the highlands should be tied to similar changes or any other types of reforms in the African land units. We do not believe that a landless Asian or European is necessarily a destitute person. But a landless African in the Kenya of today is a destitute person. Land policy therefore must be based on NEED not GREED.

We fully recognise that Kenya is an agricultural country and therefore, full and maximum production in all areas must remain our immediate objective. We do not however agree that this is only possible under European farming. Co-operatives farming offers the meeting ground between the small holding system and the large unit farming and should be considered as suitable for Kenya".

EDUCATION :

We demand eight years compulsory education for all African Children and the increasing of facilities for higher education and technical training. The Government must also introduce at once, common schools of all races and insist that all schools receiving public funds be ordered to desegregate, failure to do which such aid should cease forthwith.

LOCAL GOVERNMENT :

We believe that African District Councils have developed sufficiently enough to attain the status of country councils and to have their own elected and responsible officials. We condemn the high qualifications being used for the municipal and City Council elections. We demand the introduction of non-racial representation on a franchise based on one vote for each rate payer in all municipal councils.

STATE OF EMERGENCY :

We demand the immediate ending of the State of Emergency and will not be fooled by any attempts to transform emergency regulations into the substantive laws, while pretending to end the emergency.

We demand the immediate release and freedom of JOMO KENYATTA and all African leaders and others now detained or restricted.

We demand the right of our people to freedom of speech, assembly and association and refuse to accept the recent Government move which requires Africans to submit to non-racial national political parties while other races may continue to have their Indian Associations and Congresses, Muslim League, Local Government Progressive Party

We hoped that through C.E.M.O. we could reach agreement with Asians as to the urgent problems facing Kenya and also the resolution of those grievances that have created long standing frustration among our people. We considered that the test of our unity would lie not so much in the ability to agree on some general long term policy statement, but on the steps to be taken immediately and jointly in meeting our present situation. We hoped that we could at least agree on proposals to be submitted to the forthcoming round table conference.

We consider that in order that a party may work and succeed there must be agreement on both long term and short term objectives. Agreement on slogans of nonracialism does not mark any advance in the position of the African people nor does it show that the people currently dominating over and exploiting our people are ready immediately to surrender their position of privilege. The Kenya National Party like the New Kenya Group, has yet to show in practical terms what agreement really exists among its members and whether such agreement is consistent with the pledges made by the African members to their people.

OUR CONSTITUTIONAL PROPOSALS :

It is our view and we therefore propose that the next constitution for Kenya should :

(a) Introduce a common voters roll on universal adult suffrage.

(b) Replace all communal seats with geographical, one-member, constituencies.

(c) Introduce . . a responsible government based on the principle of the party with majority seats forming the Government side of the legislature with a leader of Government business but retaining Civil Servant ministers as the ministries of Legal Affairs, Defence, Security and Finance.

(d) Create a specified number of reserved seats for the minorities, i.e. Indians, Muslims, Arabs and Europeans - these to disappear at the General Election following that of 1960.

(e) Fix date for Kenya's Independence. The period between 1960 and Independence to be used as a period of active and practical preparation for Kenya's assumption of self-government responsibilities.

LAND POLICY :

This remains the same i.e. that the "White Highlands" must be opened at once and a ban placed on any further European-farmer immigration. The government to

to review by the High Court of Law as to their constitutionality, and consistency with the declared rights of individuals and property safeguards.

(b) A bill of Rights of individual citizens vis a vis the state shall be an essential feature of the constitution so that every citizen, irrespective of race or country of origin, may know them clearly and have easy access to the courts of law in case of their alleged violation".

As to the position of the minority groups the African members have consistently held that while appreciating their fears and suspicions, in the long run, paper safeguards or guarantees unless buttressed with goodwill of all concerned - especially the Africans - would not provide any sense of security for those who are today pleading for same.

Since 1957, the African members have demanded the immediate introduction of a constitution that would give our community a real and effective voice in the affairs of the country. In this connection the African members demanded the clear statement by Britain as to the ultimate objective for Kenya; A round Table conference to discuss a suitable and practical constitution; and that any constitutional changes must be those leading the country towards parliamentary democracy - taking into acount our peoples' aspirations and also the changes rapidly sweeping over Africa.

On this basis and in view of the pledges made, the African members declined not to accept ministerial appointment to the Council of Ministers and also rejected the Lennox-Boyd Constitution as a sugarcoated pill. They publicly stated the constitution provided a bus ride to a destination short of or directly opposite to that to which they were pledged.

OUR STAND :

"Our stand in the current political impasse is based on our complete and unqualified commitment to these past statements and pledges and in particular to our belief that for the time being our struggle is an African struggle motivated by their desire to secure their rights to political freedom their social-economic advancement against white supremacy, imperialism and economic exploitation.

Our readiness to work with other people in a genuine effort to find a solution to Kenya's political and constitutional crisis is demonstrated by our active participation in the Constituency Elected Members Organisation and also the Legislative Council.

ridding Kenya of imperialism, racial bigotry, economic exploitation, widespread poverty and lack of opportunities for self improvement; AND PLEDGING OURSELVES to the principles of the Rule of Law, Equal Rights for Everyone, Human Dignity and Social Justice, DO HEREBY wish to make known our stand in the current political impasse in Kenya.

"Our stand is based on the complete adherence to all those policy statements and pledges made by the African members since 1957.

In 1957 the African Members summarised the African struggle as one for ;

POLITICAL FREEDOM,
ECONOMIC OPPORTUNITY and
HUMAN DIGNITY.

They stated as their goal - "that the only acceptable and logical political objective for Kenya is undiluted parliamentary democracy. This includes the provision for universal adult suffrage on a common voters' roll, and the replacement of communal representation with geographical constituencies. Thus the Government has to be one by the majority".

ON LAND THEY STATED :

(1) "The African members are convinced that land hunger among the Africans is today one of the greatest problems facing Kenya. The African members therefore pledge themselves to urge the Government to find more land for Africans through the release of land from forest areas, crown lands and the opening up of the "White Highlands".

In addition the members calld-ed for a complete ban on all forms of European farmers immigration to Kenya.

In 1958 in another policy statement the African members stated :

"The aims of our political struggle are formed on the obvious factor that Kenya, GEOGRAPHICALLY, HISTORICALLY AND POPULARLY IS AN AFFRICAN COUNTRY. The fact that Kenya also has some thousands of NON-Africans does not alter this fundamental factor that Kenya is essentially an African country.

"Our first aim therefore is the establishment of a democratic society in Kenya, organised politically in accordance with the principles and patterns of parliamentary government.

"The parliameatary system which we envisage will contain the features herebelow outlined :

(a) Parliamentary Legislative Supremacy coupled with the power of Judicial Review, i.e. Any laws passed by Parliament are subject

KENYA

NO COUNTRY FOR FANCY DEMOCRACY

THE BIRTH OF THE KENYA INDEPENDENCE MOVEMENT

On July 24, 1959, the imperialists in Kenya, bent of the use of their usual, traditional; outmoded and ineffective policies of devide and rule, and having procured the services of their lackeys in driving a political wedge aimed at splitting the 14 African Elected Members representatives in the Legislative council), and hoping to take an advantage of their amendment to a motion by the African Members in the Legislative council which demanded the immediate end of the seven-years-old state of war in Kenya and the ban and suppression of the African national Movements, made the announcement to the effect that they would allow the so-called "genuine non-racial political organisations which, however critical of the government pursues a legitimate end by legitimate and responsible methods".

In the twinkling of an eye, on the same motion, Mr. A. B. Jamidar, an Asian representative, was on his feet announcing the formation of the Kenya National Party, with more or less similar policies as those of the settler Party - the "New Kenya Group" (Now New Kenya Party) to which certain African representatives who had signed a vague policy statement would be invited to take part.

Mr. OGINGA ODINGA, then Chairman of the African Elected Members Organisation and his five nationalist colleagues, aware of the national aspirations of their African electors, had refused to sign the vague policy statement and accordingly could not join political parties formed on concepts of fancy democracy - "multi-racialism".

A few days later the six members made a policy statement which was later adopted the day the Kenya Independence Movement was formed. We reproduce hereunder the statement verbatim :—

POLICY STATEMENT

"We the under-signed; Members of the African Elected Members Organisation :—

CONVINCED that the only true and just system of self-government for Kenya is a genuine parliamentary democracy ; MOTIVATED by the desire to make our country politically free, economically prosperous, and nationally dedicated to the well-being of every individual inhabitant residing therein DEDICATING ourselves to the task of

again he is handicapped by the fact that by law he cannot organize trade unions and cannot be apprenticed. He can only work as a unorganised, unskilled worker for a wage which in all cases is below bread line. In the professional field the African receives about 1/6 or 1/8 of the salary of his European counterpart. For instance as African graduate teacher in Southern Rhodesia receives £ 40 per month while his European friend is entitled to £ 120 per month.

Whereas income required to qualify as a voter in Southern Rhodesia is £ 60 per month, the African worker is entitled to a minimum wage of £ 5-10-0 per month. And whereas property requirements to qualify as a voter is immovable property worth £ 1,000 or more, the African by law may not own property. It is therefore obvious that settlers there have no intention whatsoever to extend political rights to the African.

Southern Rhodesia has had a legislative assembly of 30 members for the last 35 years and all members have remained white all these years. If things remain as they are there is no hope of altering the position for the foreseeable future. As a matter of fact all European political parties there are agreed that the government of the country must remain in the hands of civilised and responsible people for all times. As far as is known by civilised and responsible is meant people with white skin.

EDUCATIONAL POLICY

The country has two Education Departments. European and African. Naturally African education has had little attention as compared with that of the European. Whereas the government spends £ 60 per European child per year it only spends £ 2-10-0 per African child per year. This has greatly retarded African education and as voting qualifications are based on education political considerations have interfered with advancement of African education.

European and African Areas. Over half of the total area of the best economically well situated and watered land was declared European area; and a little over 1/4 of the land mostly situated in the remote areas of the country was declared African area. The rest of the land remained either as National Parkes or forest reserves. The division was such that all towns and developed areas were in Europeans' areas. No African, therefore, was allowed to own or lease or occupy any property in the European areas. He could only occupy communal land reserved for him in the native areas; and therefore could not claim ownership of any property under this system whereas Europeans on the other hand could own property in the vast areas reserved for them and in industrial areas, which as I have said are all in European areas. Despite the fact that Africans came in thousands in towns as industrial workers they did so as visitors and could not be regarded as townsmen and could not in any circumstances own property there. This has led to the ownership of property by Europeans only to the entire exclusion of the African People. Africans have remained as low wage earners without hope of ever rising to position of executives or share holders in any business undertaking in the country. Under these circumstances, the African has been placed in a position where he can never hope to acquire property which is necessary if he is to become a voter.

INDUSTRIAL AND COMMERCIAL POLICY

Because of the land policy, the African may not run any business in the urban areas in the same manner as the European apart from a few who run small commercial undertakings leased to them on monthly basis by local authorities. As for industrial undertakings no African can fleet any company to run such an undertaking in the European area. Theoritically he may do so in African areas but practically it is impossible because of the situation of all so-called African areas. In the second place no financial institution can advance money to any African or group of Africans on grounds that they have no property for mortgage.

The African therefore can only get his income as a worker. Here

of the country was occupied. It must be noted, however, that there was never war declared between the settlers and the Africans.

From that year, the British Government gave the British South Africa Company power to rule the Colony. This was to continue until 1914, when the whole matter was to be reviewed. This review could not take place in 1914 because of the first World War. After the War the British Government conducted a plebiscite among the settlers to decide whether they wanted to join the Union of South Africa or be given self-government outside the Union. The settlers chose the latter. It has to be stressed that no reference was made to the indigenous population of the country. It was a decision taken entirely by the white settlers.

In conformity with the results of the plebiscite, the British Government extended self-government to the settlers in 1923 with certain reserved powers to veto any legislation they thought was discriminatory against the African population or was regarded by them to be repugnant to the spirit of the constitution. The British Government still holds this power today, but despite the fact that a number of discriminatory laws have gone through the legislature of the Colony, the British Government has never used these powers.

POLITICAL AND ECONOMIC TRENDS SINCE 1923

Immediately after obtaining self-government, the settlers set about to consolidate both their political and economic powers. This they did by carefully planned political and economic policies. First they devised a franchise policy based on high property, income and educational qualifications. They then set about to determine conditions of acquiring property, income and education for Africans and for Europeans. Thus the study of the land policy, industrial laws and education policies followed since 1923 will reveal the intentions of the white settlers regarding the retention of political power in the hands of the white minority for all times.

In pursuance of the above policy, the settlers passed in 1930 the Land Apportionment Act which divided the country into

SOUTHERN RHODESIA

Back-ground to the Problem

By

J. M. KNOMO

Southern Rhodesia is a British self-governing Colony with an area of about 150,000 sq. miles and has an estimated altitude of 4,000 feet above sea level. It has a population of about 2 1/2 million Africans and about 200,000 Europeans and other races. It is divided into two main provinces - Matebeland and Mashonaland - each occupied by the two main tribes in the Colony: Namely, the Matebeles and the Mashonas. The Colony is bounded on the South by the Union of South Africa, on the South West, and West, by the British Protectorate of Bechwanaland on the North by Northern Rhodesia, a British Protectorate, and North East by Nyasaland Protectorate on the East by Portuguese East Africa (Mozambique).

Since 1953, Southern Rhodesia became (because of her political status) the senior partner of the so-called Federation of Rhodesia and Nyasaland.

SHORT HISTORY OF THE COLONY

Southern Rhodesia came into contact with Europeans in 1888 when a powerful African King, King Lobengula of the Matebele tribe signed a concession allowing the British South Africa Company, led by John Cecil Rhodes (after whom the Colony is named) exclusive mineral rights.

In 1890, without consultation with King Lobengula nor any other African Chief, Rhodes occupied Mashonaland. There was no resistance from the African tribes in that area of the country. After continuous provocation and the usual imperialist intrigues, King Lobengula was forced to come into conflict with the settlers in 1893 and after heavy loses of men due to superior weapons of the settlers, Lobengula deserted and thus the whole

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to : Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.



Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture.

Editor in Chief

M. ABD EL AZIZ ISHAK



ملك المغرب

3rd. Year

Issue No. 28 MARCH 1960.



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- FROM TUNISIA TO KONAKRI.
- EGYPT AND SOMALIA.
- SPECIMENS OF AFRICAN ART.
- BOOK ANALYSIS.
- BOOK OF THE MONTH.

30 Milliemes

السنة الثالثة

العدد ٢٩

ابريل ١٩٦٠

نهضة افريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش

فكرة ..

تمثل اليوم فى اتحاد جنوب افريقية أشنع الجرائم التى عرفتها البشرية .. هـذه الجرائم التى لم تمس الوجدان الافريقى فقط ، ولكنها هزت الوجدان البشرى كله !

فقد اتجه العالم الى جنوب افريقية ليساند الأغلبية الافريقية التى تعيش فى بلدها كالغرباء فلا تنتقل من مكان الى آخـر الا بتصريح ، ولا تذهب الى المدن الا بتصريح ، ولا تعيش كذلك الا بتصريح لأن البيض يعتقدون أنهم يملكون مع الوطن حياة الناس فيه . فان رضوا عنها آذوها ، وان غضبوا أصـدروا ((تصريحا)) بالقتل !! . .

ولكن موجات الحرية التى تهدر فى الصدور جعلت الافريقيين يحسون أن الأرض أرضهم ، وأن السماء سماؤهم ، وأن حيـــاتهم يجب أن تمارس فى وطنهم بعمق ، وحب ، وبنائية !

ومن هنا رأينا اصرارهم على الحرية والرغبة فى عدم التراجع خطوة واحدة فى طريق الدم الذى عبدوه بدمائهم ، وعرقهم ، وأحزانهم !

ان الستار لم يسدل هناك الا على رجل واحـد هو ((هنريك فيرورد)) الذى شرع عمليات التدمير النفسية فى هذه البلاد ، ولابد أن يسدل غدا على كل البيض الذين وقفوا وحدهم تحت الأضـواء بعنف ، ووحشية .. نعم سيسـدل على كل البيض الذين راحوا فى كل مكان يبكون على رئيسهم المجـروح ((هنريك فـيرورد)) ولم يذرفوا دمعة واحدة على البلد الكبير الجريح .. على جنوب افريقية !!

((ع . ب))

محتويات العـــدد

الدائرة الملعونة

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

كانت بريطانيا ، وما تزال ، تفخر بأنهـا أول من نادى بالغـاء الرق ، واستعادة كرامة الانسان .

والمؤرخـون الانجليز - ومن يشـايعونهم - يسردون « الحقائق » التاريخيـة التى حركت الضمير البريطانى فاندفع الكتاب الانجليز ، أولا ، يهاجمون تجارة الرقيق ، ثم تبعهم الأعضاء المتحررون فى مجلس العموم ، ثم كان القرار الذى اتخذه ذلك المجلس منذ أكثر من مائتى عام لالغاء تلك التجارة الوحشية الخسيسة ثم الجهود التى بذلهـا الأسطول البريطانى ، والحكام البريطانيون فى المستعمرات ليحولوا دون استعباد الانسان لأخيه الانسان

وكم من قارىء وطـالب علم قـد خدعته تلك الادعاءات « التاريخيـة العالميـة » فانسـاق وراءها معجبا بتصريحـات الساسـة الانجليز الفخورين « بالغاء الرق » على يدى بريطانيـا منـذ « وليم بت » الى « ماكملان » و « سلون لويد » .

وهـؤلاء المخدوعون يجهلون أن السفن البريطانيـة ظلت تعبىء من رقيق افريقية مئات الألوف كل عام ، وتقوم بما سماه بعض المؤرخين الأحرار ب **« الدائرة الملعونة »** وهى تبـدأ بالسفينة وهى مشحونة بالبضائع من لنـدن أو « ليفربول » ثم وهى تستبدل ببضائعها تلك « عبيـدا » من « ساحل الذهب » أو « ساحل بنين » ثم وهى تفرغ العبيد لدى ملاك الاقطاعات الزراعية فى أمريكا وجمايكا وكوبا ، ثم وهى تعود وقد اشترى أصحابها بثمن العبيـد بضائع من العـالم الجـديد ، الى « لندن » و « ليفربول » ..

وفى ذات يوم ثارت المستعمرات البريطانية فى أمريكا ، تلك المستعمرات التى تسمى اليوم « الولايات المتحدة الامريكية » وقام « واشنجتن » فجمع قومه ووحـد صفوفهم ، وقـذف بالمستعمرين الانجليز الى المحيـط الأطلنطى ، وأغلق بذلك أكبر سوق كانت مفتوحـة أمام البريطـانيين المتاجرين بالانسان ، وسرعان ما ظهرت الجمعية فى مجلس العموم البريطانى وعلى أقـلام الـكتاب الانجليز الذين رفعوا عقيرتهم مطالبين بالغاء تجارة الرقيق ..

وفى الوقت الذى أوصدت فيـه السوق الكبرى أمام الانجليز للتجارة فى البشر ، كان الوعى الاستعمارى ينمو فى بريطانيا ، ويتطور ، ويتخذ قوالب جـديدة تنطوى عـلى الروح الجشعة القديمة نفسها ..

كان الساسة الانجليز يفكرون فى اسـترقاق الافريقيين فى مسـقط رءوسهم ، ويضعون الخطط لاستغلال الأراضى الخصبة والمناجم الغنية فى القارة الفسيحة ، بأكثر الوسـائل

رخصا ، ولم يكن هنالك أكثر رخصا من العامل الافريقى الذى كان التجار الانجليز « يقايضون » عليه ببعض المنسوجات و «الخردوات»ويحشدونه هو والمئات من اخوانه فى أقفاص على ظهر السفن — فيموت منهم العدد الوفير — قبل أن يصلوا الى الشواطىء الأمريكية أو شواطىء جزر الهند الغربية ..

ان استغلال العامل الافريقى فى مسقط رأسه أكثر ربحا لهؤلاء المغامرين — من جهة — وفيه حرمان للدولة الأمريكيةالجديدة التى استقلت وهزمت بريطانيا ، وكانت فى مسيس الحاجة الى الأيدى العاملة ..

وهكذا رأينا الافريقى وقد أعفى من أن يباع فى أمريكا ، لكنه صار مكبلا بالأغلال ، يعمل فى حقول السادة البيض أو فى مناجمهم ولا ينال من الأجر الا ما يكفى للطعام الخشن الذى يمده بالحياة ..

هذا هو الغاء تجارة الرقيق ، وايقاف « الدائرة الملعونة » واستعادة كرامة الانسان ، كما كان يفهمه السادة الانجليز فى القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين ، وقد ظلت المستعمرات البريطانية — وما يزال بعضها — يرزح تحت أنظمة أقسى من أنظمة الرق القديمة ، ولكن « النفاق البريطانى » قد استطاع أن يموه ، وأن يخفى الشىء الكثير ، فهو يخفى مثلا أن نظام « التفرقة العنصرية » قائم فى كينيا مثلا على نفس الأسس التى يقوم عليها فى الدولة الرجعية البوليسية المسماة « اتحاد جنوب افريقية » ، وكل من زار كينيا وتجول فى أنحائها قد رأى كيف أن الفصل تام بين الأجناس فى جميع المدن ، وأن فى كل مدينة حيا للاوروبيين ، لا يجوز أن يقطنه ، أو يتجول فيه غير الاوروبيين ، وحيا للآسيويين لا يشاركهم فيه جنس آخر ، وضواحى نائية مهملة مظلمة للافريقيين لا يتجاوزها الا من يحمل « جواز مرور » شبيها بذلك « الجواز» الذى أشعل نار الثورة فى اتحاد جنوب افريقية .. !

وكل حى من تلك الأحياء له مدارسه الخاصة بأبنائه ، وله معابده الخاصة بهم أيضا ، وللافريقيين نقابة من هذا وذاك ، فانهم ينالون بصيصا لا يغنى من التعليم البدائى ، ولهم كنائس من القش يعظهم فيها القسس الأوروبيون ويوحون اليهم بألا يهتموا بهذه الدنيا الفانية ، وأن أمامهم — بعد الموت — ملكوت السماء ..

ومثل هذا « النظام » يراه من يجول فى « الروديسيات » أو فى « نياسالاند » ، وهو نظام اسمه هناك « المشاركة » ولم يظهر لهذه التسمية أى مظهر من مظاهر الواقع السياسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى .

فما زالت الثروة والحكم والعلم حكرا للسادة البيض ، وما زال السود يقومون بالخدمة فى البيوت أو الحفر فى أعماق المناجم ، ثم يعودون مع غروب الشمس الى الضواحى المنبوذة النائية ، وما يزالون لا يسمح لهم بدخول المدينة الا لمن يحمل فى يده منهم « جواز المرور » .

ولقد كانت بريطانيا الدولة التى

ترعرع فى كنفهـــا نظـــام التفرقة العنصرية الذى يعمل به الآن فى اتحاد جنوب افريقية ، فان ذلك الاتحاد قد كان الى عهـــد قريب مجـــرد اقليم بريطانى ، تدرج به حكامه الانجليز الى الحكم الذاتى ، ثم الى الاستقلال « فى نطاق الكومنولث » ، ولو شاءت بريطانيا منذ البداية أن تقتلع جذور هذا النظام ، أو توقف نموه على الأقل لفعلت ذلك حينمـا كان الأمر كله بيدها هناك ، ولكنها شجعت الأقلية الأوروبيـــة على أن تشحذ أنيابهـا ، وتنشب مخالبها فى الأكثرية العزلاء ، وعندما اطمأنت الى سطوة الأقليـــة وتحكمها فى مصير الاتحاد ، شرعت فى انشاء « اتحاد » جديد على غراره فى وسط افريقية ، وهو الاتحاد الذى زعـزع أركانه **« الدكتـــور باندا »** و **« جوشـــيا انكومو »** وأعوانهمـــا الأبطال .

والآن ، بعد المجازر التى قام بها رجال الشرطة الأوروبيون فى اتحـاد جنوب افريقية (فى شاربڤيل) وهى المجازر التى أسفرت عن حقيقة رهيبة هى أن حكومة « فرويرد » الفاشستية قد كونت الى جانب الشرطة « عصابات بيضاء » مزودة بالأسلحة الفتاكة ، وأن تلك العصابات المأخوذة هى التى قامت بالنصيب الأوفر من الفتـــك والتقتيل ، والآن ، وبعـــد تلك المجازر التى هزت ضمير العالم بجميع أجناســـه نرى « النفاق البريطانى » فى صورة مسرحية جديدة ..

فقد نظم حزب العمال البريطـانى مظاهرات صاخبة طافت لندن منادية بالويل لحـكومة « فرويرد » وأبدى مستر ماكميلان « أسفه » لوقوع تلك الاحداث ، وكان قبل ذلك قد خطب فى برلمان اتحاد جنوب افريقيـة ، ودعا الأقلية الأوروبية ، فى عبارات ملتوية . لكى تدرك تطورات الأحـــداث فى افريقية .

ولكن .. عندما جد الجد ، واجتمعت الأمم المتحـــدة ــ بدعوة من الدول الآسيوية الافريقية ــ لتبحث موضوع تلك المجازر ، وقفت بريطانيا الى جانب « حـــكومة فرويرد » ، بل ان وزير الخارجية البريطانيـــة قد صرح علنا بأنه يستنكر قرار الأمم المتحدة بادانة « حكومة فرويرد » ..

وسوف تمضى الأحداث وبريطانيا كما هى، تقوم المعارضة ــ غير المسئولة بمناصرة الأحرار ، وتعمـد الحكومة ــ المسئولة ــ الى الزج بهم فى أعماق السجون ، وترفع المعارضـــة عقيرتها باستنكار الاجرام العنصرى ، وتقف الحكومة فى صف المجرمين الغاصبين المعتدين ..

والذى ينظر اليوم نظرة فاحصـة الى السفن البريطانيـــة المتجهـــة الى افريقيـة من لندن وليڤربول وغيرهما من الموانىء البريطانيـة يستطيع أن يرى « الدائرة الملعونة » فى صـورة حديثـــة فان تلك السفن تحمـــل المنسوجات والسـيارات الى كينيـا وتنجانيقاونيجيريا ، وتعودبالحاصلات التى زرعهـا « رقيق الأرض » الذين ما زال يحكمهم السيد البريطانى ، ويحتكر جهودهم لنفســه كما كان يحتكر صــاحب الرقيق جهـــود من يعملون على أرضه فى القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ..

وما أجـــدر المخدوعين بسياسـة بريطانيا ودعواتها « التحررية » بأن يرفعوا عن أعينهـم وعن عقولهم ذلك النقاب الخداع ، الذى نسجته الدعاية البريطانية على مر القرون .

الصومال يواجه المصاعب

بقلم السيد أحمد شيخ موسى الأزهرى

فى الصومال شركات أمريكية تنقب عن البترول كما تزعم . أو تشق الطرق الحربية التى تربط بين أرتيريا والمحيط الهندى مارة بالحبشة ومنطقة الأوجادين ثم صوماليا حتى المحيط . فقد أجبرتنا الظروف فى أغسطس ١٩٥٥ على السفر من هرجيسه لمقدشو عن طريق البر بسيارة جيب . وكم كانت دهشتنا حينما فوجئنا بآثار الشركات الأمريكية التى لا تنم عن البحث والتنقيب بقدر ما تنم عن كونها تمهيدا للمطارات والقواعد الحربية . فهى تشق الطرق بصورة غير عادية تلفت الأنظار وكذلك تحطم الأشجار بطريقة تدعو للشك والارتياب . وقد استغربنا من آثار تلك الشركات ، وتساءلنا : هل هى تبحث عن المعادن والبترول كما تزعم؟ أم هى خدعة أمريكية تخفى من ورائها النفوذ والدولار . والتمهيد للقواعد الحربية ؟ .

ولكن ما سمعناه من اخواننا الصوماليين القاطنين فى هذه المناطق كان أعجب . فقد أخبرونا أن هؤلاء الأمريكان لا يقيمون وزنا لمشاعر الصوماليين أصحاب البلاد ، وانما يعاملونهم بغطرسة واستكبار . وقالوا: لم نرقط قوما أقسى منهم قلوبا ، ولا أقل منهم رحمة ، فقد كانوا يحفرون الآبار ، ويملأون الخزانات فى مناطق مقفرة بعيدة عن الماء يموت الصومالى وبهائمه فيها ظمأ . وكانت الأوامر المشددة لا تسمح لصومالى بالاستسقاء من هذه الآبار ! ولا أن يشرب جرعة ماء مما يفيض من تلك الخزانات ! .

ومما يدل على قسوة قلوبهم وازدرائهم للصوماليين انهم ارتحلوا من منطقة لأخرى سدوا الآبار بالأسمنت المسلح وأحرقوا فى الأرض ما بقى فى الخزانات من الماء كيلا يشربها الصومالى القاطن حول هذا المكان . وهكذا تعبث الشركات الأمريكية بنا فى بلادنا ، وتعامل قومنا معاملة كلها ازدراء واحتقار ، وامتهان لشعورهم ، وتجريح لكرامتهم وسواء فى ذلك عمالها والقاطنون حول مناطق نفوذها . غير أن شعبنا ليس بغافل عما يفعله الأمريكان فى بلادنا ، وعما قريب سوف نحاسبها حسابا عسيرا

مطامع اسرائيل فى الصومال

لاسرائيل مطامع فى أفريقية وبخاصة فى المناطق المجاورة لجزيرة العرب مثل الصومال وأرتيريا . ومما يسيل لعاب اسرائيل ويزيد مطامعها فى الصومال أمران :

١ ـ الأول أن الصومال غنية فى ثروتها الحيوانية ، واسرائيل فى حاجة الى اللحوم ، كما أن الصومال بلد غير صناعى يستورد جميع مايحتاج اليه من الخارج ، واسرائيل فى حاجة الى أسواق قريبة منها ، تنفق فيها منتجاتها . ولهذا ترى أن الاستيلاء على أسواق الصومال هو بمثابة ضرب عصفورين بحجر واحد .

٢ ـ الأمر الثانى أن المستعمرين فى الصومال يبذلون جهد طاقتهم لتمكين اسرائيل من الأسواق الصومالية ، سواء أكان هذا التمكين بيع اللحوم الصومالية للشركات اليهودية المقنعة منها والسافرة ، أم كان تسهيل دخول البضائع الاسرائيلية فى الصومال ، ومساعدة مندوبيها فى جميع مايحتاجون اليه من مساعدة .

واذا كانت اسرائيل لم تنجح حتى اليوم فى خطتها التجارية مع الصومال كما نجحت مع أثيوبيا ، فهذا لا يرجع الى أنها قصرت فى السعى ، أو أن الاستعمار لم يساعدها على ذلك . وانما يرجع الى شىء واحد : الى مكاتب مقاطعة اسرائيل المنتشرة فى انحاء الصومال .

ولا تعجب أيها القارىء من هذا التعبير ، فالحقيقة أن قلب كل صومالى يعتبر مكتب مقاطعة لاسرائيل . وهذا هو السد المنيع الذى قال الله فيه (فما اسطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا له نقبا) .

ونشاط اسرائيل فى الصومال بدأ منذ عام ١٩٥٢ ، فقد أنشأت شركة (انكود) الاسرائيلية فى ميناء جيبوتى ، على بعد بضعة أمتار من الرصيف مصنعا كبيرا لتثليج اللحوم يتسع لخمسة آلاف رأس ، ويحفظها من الفساد خمسة أعوام .

كما أنشأت عدة حظائر لتجميع الأبقار ، ومجزرة خاصة بهم ، وقد حاولوا فى أول الأمر ألا تعرف جنسيتهم تفاديا من كراهية الشعب الشديدة لاسرائيل ، فزعموا أنها شركة فرنسية تصدر اللحوم لأوروبا ، غير أنها لم تلبث الا قليلا حتى انكشف سرها ، وظهرت حقيقتها للشعب .

ولقد حاولت هذه الشركة بكل وسيلة شراء الأبقار الصومالية ، غير أن الفشل كان حليفها دائما . ولما أيقنت أنها لاتستطيع اغراء الصوماليين بالأسعار لجأت الى المستعمرين للضغط على تجار المواشى الصوماليين . ففى أغسطس عام ١٩٥٥ ، وفى الوقت الذى كانت البعثة المصرية الاقتصادية برياسة دكتور محمود بدوى الشيتى تزور فيه الصومال كانت اسرائيل تبذل محاولات يائسة لعقد اتفاقيات مغرية مع التجار الصوماليين . فقد ذهب مندوب الشركة الاسرائيلية الى هرجيسه ، وطلب من المصلحة البيطرية الانجليزية أن تساعده ، وأن يجتمع بتجار الأبقار الصوماليين فى مكتبها ، وكان ذلك تهديدا للتجار بنفوذ المصلحة البيطرية اذا لم يذعنوا لرغبة اسرائيل والمستعمرين ، غير أن التجار الصوماليين لم يعبأوا بهذا التخويف ، فرفضوا على الفور أن يبيعوا الأبقار الصومالية لليهود . وقد عرض مندوب اليهود على الصوماليين أسعارا خيالية ، غير أنهم أصروا على الرفض .

ومرة أخرى عاد مندوب الشركة الاسرائيلية فعرض على مدير أكبر

شركة تصدر اللحوم للبلاد العربية وخاصة لمصر ، أن يشترى له البقر على حسابه ، ويأخذ عن كل رأس خمسة جنيهات أو أن يبيع له بالسعر الذى يبيعه فى مصر ويأخذ الثمن على الفور غير أن مدير الشركة أجابه على الفور : بأنه لا يستطيع أن يبيع له البقر ولو كان الثمن وزنها ذهبا ، فعاد اليهودى من هرجيسه خاسئا وهو حسير .

ثم أراد أن يجرب حظه فى صوماليا فذهب لمقدشو قبيل زيارة البعثة المصرية بأيام ، فرفض الشعب فى صوماليا رفضا باتا أن يتعامل مع شركة اسرائيلية أو يبيع لها الأبقار . بل غضب الشعب من جرأة هذا الاسرائيلى ، وأراد أن يفتك به ففر اليهودى بجلده ، ورجع بأقل من خفى حنين .

وكان القنصل الفرنسى فى مقدشو وراء محاولات اسرائيل شراء اللحوم من الصومال . وكان أشد المتحمسين لذلك ، فقد كان يجول بسيارته بين مقدشو وجيبوتى ويعرج على القرى والمدن الصغيرة ويعرض على التجار عروضا اسرائيلية مغرية ، الا أن كراهية الشعب الصومالى لاسرائيل كانت دائما حائلا أقوى من محاولات المستعمرين ومغريات اسرائيل .

وكان هذا الموقف الرائع من الشعب الصومالى وتجاره سببا لفشل شركة (أنكود) الاسرائيلية فى الصومال واقفال مصنعها وجميع منشآتها فى جيبوتى فى عام ١٩٥٦ .

واسرائيل لا تزال طامعة فى الصومال ، فهى اليوم ترسل بضائعها للصومال . ولكى لا يكون الشعور حائلا دون انفاق بضائعها فهى تتخذ وسيلتين . الأولى — استعارة أسماء شعوب أخرى لا يضمر الشعب لها كراهية . الثانية أنهم يبيعون الأسمنت مثلا من يوغوسلافيا بثمن بخس لا يمكن لأى شركة أن تنافس فيه الا اذا تحملت الدولة جزءا كبيرا من مصاريف الانتاج .

ويجب أن يعلم أن لاسرائيل قناصل فى الصومال يمدونها بما تحتاج اليه من المعلومات عن الأسواق الصومالية أو بعبارة أصح بما نشترى به من الجمهورية العربية أو بما نصدره اليها . وقناصل اسرائيل ليسوا اسرائيليين فليس فى الصومال اسرائيليون ، وانما قناصلها هم المستعمرون .

وحسبنا دليلا أن اسرائيل لم تكن ترسل للصومال الأسمنت ولا الدمور قبل أن نشترى فى عام ١٩٥٨ من مصر ولكن قبل أن تصل البضائع التى اشتريناها من مصر ، أغرقت اسرائيل الصومال بالأسمنت والدمور ، وباعتهما بثمن بخس وبأسعار لا نستطيع منافستها بالأسمنت المصرى . فمن ذا الذى أبلغ اسرائيل أننا اشترينا تلك البضائع من الجمهورية العربية ؟ ومن أين عرفت أن لهذه البضائع أسواقا فى الصومال ؟ .

وجدير بالملاحظة أن اسرائيل شحنت منتجاتها للصومال مجازفة وبدون أن تتلقى طلبا من أحد ، ولهذا باعت بما يشبه بالمزاد العلنى وبسعر مغر وأقل بكثير من السعر العالمى للاسمنت .

والعائق الوحيد بين بلوغ اسرائيل ما تريده ، هو شعور الشعب

الصومالى ، واعتقاده بأن التعامل مع اسرائيل تقوية لها وهو أمر غير مرغوب لشعبنا الذى يدين بدين الاسلام ، ويعتبر اللاجئين أخوانا لهم شردوا من أرضهم ظلما وعدوانا وأخرجوا من ديارهم بغير حق . وبهذه العقيدة استطاع الشعب الصومالى أن يقطع الطريق على مطامع اسرائيل ، وأن يرفض بشدة تهديد المستعمرين .

ومحاولات اسرائيل ، ومطامعها فى الصومال تجاوزت كل حد ، فقد راودتها أحلام غريبة ، وحسبت أن فى امكان المستعمرين الفرنسيين أن يقتطعوا لها جزءا من ميناء جيبوتى . فقد علم الصوماليون منذ عامين أن بين المستعمرين وبين اسرائيل مفاوضات سرية لاعطاء اليهود امتيازات حربية وتجارية فى جيبوتى وضواحيها مقابل دفع اليهود مبالغ من المال ، الا أن هذه المؤامرة الفرنسية الاسرائيلية فشلت بجهود الأحرار الصوماليين .

واليوم يقال : ان فرنسا تزمع اعطاء امتيازات جمركية وحربية فى ميناء جيبوتى للأحباش ، وبهذا تتحدى فرنسا شعور الشعب الصومالى الذى لم يفق بعد من صدمة استلاب الانجليز أرضه وتسليمها للأحباش ، واذا كانت فرنسا تمثل اليوم الرواية التى مثلها الانجليز فى نهاية عام ١٩٥٤ ، فان الشعب الصومالى لن يقبل بحال ، لا من فرنسا ولا من الانجليز ، ولا من غيرهما أن يتنازل عن شبر واحد من أرضه للأحباش حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل .

التجارة بين الصومال والبلاد العربية

ان التجارة لا يمكن أن تنتظم بين الصومال وبين البلاد العربية وكابوس الاستعمار جاثم على صدورنا ولكن ليس من شك أن كلا البلدين مكمل للآخر من الناحية الاقتصادية . ففى الصومال ثروة حيوانية ضخمة يمكن أن تقوم بدور فعال فى توفير اللحوم لكثير من البلاد العربية فهى السوق الطبيعية لهذه الثروة ، وفى الصومال ثروات أخرى غير الثروة الحيوانية مما تحتاج اليه البلاد العربية فى الحاضر والمستقبل .

والصومال بلد غير صناعى يستورد جميع الحاجات الضرورية ما عدا المنتجات الحيوانية من الخارج ، والأسواق الصومالية صغيرة اليوم ، ولكنها ستكبر وتتسع وتستوعب عما قريب كثيرا من البضائع الأجنبية ، وهى أسواق طبيعية للبلاد العربية .

ثم ان فى البلاد العربية اليوم ولاسيما (الجمهورية العربية المتحدة) كثيرا مما نحن فى حاجة اليه ، ونستورده فى الوقت الحاضر من الخارج كالأقمشة والأحذية والأسمنت وغير ذلك .

ولا شك أننا ندرك أن احتياج كل من البلدين الى الآخر سيزداد على مر الأيام . فالصومال سيتحرر قريبا ان شاء الله ، والصناعة فى بعض البلاد العربية تزدهر وتزداد قوة يوما بعد يوم وباتساعها ستفتقر للأسواق ، وتتطلب مزيدا من الانفاق .

العوائق

ولقد حاولنا بكل ما نستطيعه من قوة دعم العلاقات التجارية بيننا وبين البلاد العربية ، ولا سيما

الجمهورية العربية المتحدة . والمملكة العربية السعودية . فمنذ عام ١٩٥١ حتى اليوم لم ندخر وسعا لتنمية

العلاقات التجارية بين البلاد العربية وبين الصومال ، ولكى لانعطى الفرصة للأجانب أذكر هنا العوائق ، وأترك الحل للزمن أو للمسئولين .

الاستعمار

١ ــ لا شك أن الاستعمار هو العائق الأول لدعم علاقاتنا مع البلاد العربية ، فهو لا يحبذ أن نصدر اليها أو نستورد منها وينظر الى منتجات الجمهورية العربية بعين المقت والكراهية ولا يستعملها حتى ولو كان فى حاجة اليها أو كانت أرخص من غيرها .

يدلنا على ذلك أننا فى عام ١٩٥٨ أردنا أن نتفادى علاوات التحاويل ، وفى الوقت نفسه نستمر فى استيراد المواشى من الصومال ، فصدرنا للصومال ألفى طن من الأسمنت المصرى وهو معروف بجودته . ولما كان العمران ضعيفا فى محمية الصومال الا من قبل الحكومة الأجنبية .

فقد عرض صاحب الأسمنت على مصلحة الأشغال بسعر أقل مما تستورده من الخارج ومع أن الأسمنت المصرى أجود من الأسمنت الحبشى وأرخص منه فقد رفضت مصلحة الأشغال أن تأخذ من شركة يوسف ايمان وشركاه ، ولا يزال باقيا حتى اليوم يباع كيسا فكيسا للأهالى ، مع العلم بأن مصلحة الأشغال الانجليزية فى المحمية تستورد كميات كبيرة من الأسمنت الحبشى من (درر دوا) وبسعر أكثر مما عرضناه عليها .

وبصرف النظر عن علاقتنا بشركة يوسف ايمان وشركاه ، يجب أن نقول ان الاستعمار الانجليزى حينما يرفض أن يأخذ الأسمنت من شركة يوسف ايمان وشركاه لا يضر هذه الشركة ولا متجر الأسمنت فى الجمهورية العربية المتحدة . وانما يضر أولا وقبل كل شىء الاقتصاد الصومالى بوجه عام ومربى الأبقار والجمال بوجه خاص . وكان الواجب على أبواق الانجليز الذين يملأون المحمية ضجيجا وهراء أن ينبهوا الشعب ويطالبوا الاستعمار بأن يكف عن استيراد الأسمنت من الحبشة ، ويأخذ من المواطنين الصوماليين سواء من يوسف ايمان أو من غيره . وأعتقد أننى لست فى حاجة الى تذكير الشعب بالأضرار التى تترتب على استيراد الأسمنت من (درر دوا) والخسائر التى تلحق أصحاب المواشى قبل أن تلحق بغيرهم .

هكذا يعوق الاستعمار دعم العلاقات بين الصومال والبلاد العربية ولكن الزمن كفيل بحل هذه المشكلة ونحمد الله على أن الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فى الصومال .

من .. علاقاتنا الثقافية القديمة بأفريقية

للأستاذ عبد المنعم عامر

ترجع الصلات الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدةوبينالأقاليم الواقعة غربى السودان الجنوبى حتى البحر الى عهد بعيد من الزمان ، ولقد كانت الاسكندرية فى القرن الخامس عشر الميلادى مرادا للطلاب الافريقيين من أبناء هذه الأقاليم ، يفدون اليها جماعات ووحدانا ،فيتخذون لأنفسهم مقاما فىحلقات مساجدها ،ويجلسون الى العلماء ، فيدرسون عليهم علوم الدين واللغة ، ويفيدون الى جانب هذا ألوانا من الحياة المصرية ومن مجتمعها فيسفرون بها بين أهليهم ومواطنيهم سفارة أمينة ،تظهر آثارها فى السلوك العام لحياة سكان هذه البلاد .

ولقد أطلق الرحالة العرب قديما لفظ ((**بلاد التكرور**)) على الأقاليمالتى تتمثل حاليا فى الجزء الشمالى من الكنغو البلجيكية،وافريقية الاستوائية الفرنسية ، واقليم الكمرون ، وهى البلاد التى تقع فى غرب جمهورية السودان ، وتصل مساحتها الى المحيط الأطلسى فى غرب افريقية .

وما كان لفظ التكرور معروفا لدى أهل هذه البلاد ،وانما كانهذا الاسم شائعا عليهم بينسكان الجزيرة العربية ومصر والحبشة ، ويتلقفه أهلها من الحجاج الذين سمعوه بأرض الحرمين وبمصر .

وقد روىابنخلدونفى كتابه((**التاريخ الكبير**)) حيث تكلم عن أخبار ملوك السودان المجاورين للغرب ، فقال : « من شعوب السودان تاجرة ، ويليهم الكانم ، ويليهم من غربيهم كوكو ، وبعدهم التكرور » .

وان الصلة الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة وبلاد التكرور كانت من أهم الأسباب فى وجود علاقات تجارية ، ومودات روحية ، تجمعت وشائجها من المصالح المشتركة بين البلدين ، ومن روح الدين الاسلامى الذى انتشر سناه من شمال افريقية وشرقها الى وسطها وغربيها ،ودخل الناس فيه أفواجا يبتغون به الوسيلة الى الحياة المرضية من ربهم .

وكانت زيارة العالم المصرى جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ لبلاد السودان واقليم التكرور مظهرا من مظاهر تلك الهداية التى يرجوها فقهاء بلاد التكرور من مدارسة علماء مصر فيما اشكل عليهم من أمور دنياهم وآخرتهم .

وانالمخطوطات العربية التى تضمها خزانات دار الكتب بالقاهرة تحوى جملة من الرسائل القيمة التى تسجل تاريخ العلاقات الثقافية والروحية بين جمهوريتنا العربية وبلاد افريقية الوسطى الغربية .

ومن أبرز هذه الرسائل رسالتان « لجلال الدين السيوطى » ،احداهما بعث بها اليه الشيخ شمس الدين محمد بن المتولى ، وقد جاء فى رد السيوطى على هذه الرسالة قوله :

ـ سألتنى عن رجلين ، أحدهما مخالط أمراء السوء ،فيشفع للمسلمين لديهم ، وينفعهم ، والآخر اعتزلهم .. أيهما أعلى ؟ .

والجواب : أن الأول أعلى ان أمن على نفسه الافتتان بهم ، والدخول فى أهوائهم ، والثانى أعلى لمن خشى على نفسه ذلك .

وسألتنى ، أيجوز أن نعلم النساء من القرآن سورة النور ، وأن نسمع لتفسيرهن لها ؟ .

والجواب : نعم : يجوز .

وسألتنى ، أيجب القتال على الأمراء بأنفسهم ، أو ليس عليهم الا تجهيز الأمور وصلاحها ؟ .

والجواب ، ليس عليهم الا تجهيز الأمور وصلاحها .

وسألت أن أبين لك هيئة السموات والأرض بدلائل من القرآن والحديث.

والجواب ،أن لى فى ذلك تأليفا كاملا، يسمى « الهيئة السنية فى الهيئة السماوية » وسأرسل لكم منه نسخة.

وأما الرسالة الثانية فهى رسالة بعث بها الامام جلال الدين السيوطى الى ملوك بلاد التكرور ، يوصيهم فيها بتقوى الله ، والعدل بين الرعية ، ويذكر لهم قبيح عاداتهم ، وما يسوله الشيطان لهم من قبيح العدوان الذى يؤول بصاحبه الى الكفران .

وهذه الرسالة مكتوبة بخط سيدى ابى القاسم الحسين ، صاحب الجامع المشهور فى مدينة طهطا ، وأحد فقهاء القرن الحادى عشر الهجرى ، وكان قد نسخ هذه الرسالة لنفسه فى ٢٧ ربيع الأول سنة ١١١٧ هـ .

ولقد كانت حلقات دروس الشيخ عبد السلام اللقانى بجامع الشيخ بالاسكندرية محبوبة لأبناء بلاد التكرور ، يؤثرونه لنفعه لهم ، وزائد فضله عليهم ، ويؤثرهم هو بعلمه ، وبما يصنفه لهم من كتب مفيدة ، لا تزال الى الآن رغم قدمها فريدة فى منهج تأليفها بما تحويه من المعارف العديدة فى ألوان العلوم المختلفة ، الفقه والحديث والتوحيد ، وعلوم اللغة والقرآن ،كلها فى كتاب واحد ،ويتناولها الشيخ بالشرح فى الدرس الواحد ، على نظام الطريقة الجميلة التى تقوم على الاستطراد وربط المعارف بعضها ببعض وفق حاجة الطلاب ، وحسب تقبل مداركهم .

ومن أشهر هذه الكتب كتاب **« اتحاف المريد بجوهرة التوحيد »** تأليف الشيخ اللقانى ، وكتاب **« اتمام الدراية لقراء النقاية »** تأليف جلال الدين السيوطى .

وان القارىء لهذين الكتابين ليستشف من موضوعاتهما الفقهية والعلمية حال بلاد التكرور من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية فى القرن العاشر الهجرى ، ويبين له عمق الثقافة العربية فى عقول أهل تلك البلاد .

وكان علماء القاهرة والاسكندرية يصنفون الكتب على نوعين ، أحدهما للطلاب المقيمين من أهل البلاد ،والثانى للمغتربين ،ويقوم تصنيفه على الاحاطة بفنون شتى من العلم ، يراعى فيها

المؤلف الظروف البيئية والذاتية للطلاب ، وحالهم فى اغترابهم ، فيقدم لهم من المفاهيم ما تحتاجه عقولهم ، وتتطلبه حياتهم وحياة الناس فى بلادهم ، وهو ما تفعله الجامعات الأوروبية الآن .

وان تسجيل تاريخ بلاد التكروركان مهجورا أصلا ، ولا يجد عناية من أهلها ، فقد غلب عليهم فى باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية ، وكان اذا جاء واحد منهم الى مصر أخذ عنه المشايخ الشاذلية الرواية ومكانها وزمانها ، وما وقع فيها ، وسجلوه فى كتبهم ، وكان شيخ مشايخهم فى ذلك الوقت أبو عبد الله محمد بن أعربى ابن أبى المحاسن ، يوسف القاضى اذا اقرأ انسانا يسأله من أى بلد هو فاذا أخبره قال له : « من عندكم من أهل العلم والصلاح ، فاذا أخبره بشىء كتبه » .

ومن أهم المخطوطات العربية فى تاريخ بلاد التكروركتاب فى دار الكتب المصرية نادر وفريد عنوانه « اتقان الميسور فى تاريخ بلاد التكرور » وقد ألفه أمير المؤمنين محمد بل ابن الخليفة الامام الأعظم عثمان بن محمد بن فودى ، أحد سلاطين تلك البلاد فى القرن العاشر الهجرى ، ويتناول هذا المخطوط بلاد التكرور وغانه ، فيعرف بها تعريفا واضحا ، ويذكر حدود اماراتها وأحوال أهلها ، وخصائص بلادها ، وأنواع معادنها وتبرها وثرواتها ، وشعراءها وعلماءها ، ويوضح ماجرى بين أمرائها من حروب .

ويقول مؤلف الكتاب فى مقدمته : فلما من الله علينا فى هذا الزمان بظهور هذا الامام الخليفة ، مجدد هذا الدين للبرية ، محيى سنة المصطفى ، والدى عثمان بن محمد ، العالم الربانى والغوث الصمدانى ، وأنعم المولى علينا بالجهاد ببركاته فى هذه البلاد ، وأمدنا بجنوده ، وأيدنا بنصره بقيت النفس تتشوف تاريخ ما وقع فى هذا الزمان مع اضافة ما وقع قبل فى هذا القطر من العجائب والغرائب ، وأخبار الملوك والعلماء ، وما ينخرط فى ذلك من ذكر النوادر فى هذا القطر مما يستعذب به الفهم والعقل ، فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، علما منى بأنه لم يستصبح أحد قبلى فى هذا الظلام ، فأقتبس من سراجه فى هذا المرام مع ما أنا بصدده من الأشغال ، وضيق الزمان وتحمل الأثقال ..

ومن المعلومات التى جاء ذكرها فى هذا الكتاب أن سكان هذه البلاد عجم متعربون وعرب متعجمون ، وقد فشا فيها الاسلام ، وأهلها يكرمون الحجاج ، ولا يتعرضون الطريق ، وغالب ملوكهم يصلون ويصومون ، ولكنهم لم يعارضوا ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من عادات ، وكان من عادتهم أن يفعلوا للبحر كما كانت تفعل القبط فى مصر للنيل ، ويزعمون أن ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ، ولكن العرب منهم لم يزالوا ينكرون عليهم فعلهم ، ويكفرونهم حتى خف ميزانهم ، وسقطوا من أعين المهتدين .

ويقسم الكتاب سكان بلاد التكرور وبلادها ، فيذكر أن أول هذه البلاد من جهة المشرق بلد « فور » ويليها من المغرب بلد « وداى » ثم بلد « باغرم » ، وان فور هذه بلد واسع ، ذات أشجار

ومزارع . وقوت أهلها الدخن والذرة، وفيها رعاة كثيرون ، ويقرب منهم أهل وداى وباغرم ، ولكن باغرم قد خربت، بسبب ما زعموا من ان سلطانها أكثر من الفسق اكثارا فظيعا حتى تزوج بابنته من صلبه ، فسلط الله عليه أمير وداى ، فخرب دياره وقتله، وأما ما حاذى هذه البلاد من جهة الشمال فقفار ورمال معاطيش ، لا يعمرها الا الرعاة فى فصل الربيع من البرابرة والعرب ، وأما ما والاها من جهة الجنوب فبلاد كثيرة يعمرها السودان على اختلاف ألسنتهم ، ولم ينتشر فيها الاسلام ، ولم يتفق لمؤلف الكتاب من أخبار هذه البلاد ونوادر أمورها وأخبار ملوكها وعلمائها مايحق له ذكره وايراده .

وقد عرض الكتاب جملة من الوثائق والمكاتبات التاريخية بين أمير المؤمنين عثمان بن محمد بن عثمان ، المعروف بابن فودى ، وبين الحاج محمد الأمين محمد الكانمى ، أحد الذين انشقوا على الجماعة المهتدية ، وهى رسائل على جانب كبير من الأهمية تظهر فيها براعة ابن فودى فى جمع كلمة المسلمين فى البلد الواجد على رأى واحد ، لمواجهة طغيان السلاطين الذين آذوهم ونهبوا أموالهم وقطعوا طرقهم، وحاولوا أن يباعدوا بين المسلمين فى تلك البلاد وبين شيخهم وهاديهم ، عمثان بن فودى .

ويروى الكتاب أنه لما لم يبق للشيخ وجماعته ملاذ وملجأ فى الملوك تشاور مع جماعته فى أمرهم ، واتفق رأيهم على أنه لا يتأتى للناس أن يكونوا هملا من غير وال ، فبايعوا الشيخ على السمع والطاعة ، وعلى اتباع الكتاب والسنة، والتقى الفريقان ، وعقدت رايات المسلمين ، ونفذوا الى حفر الخنادق وهم يتمثلون قول الشاعر :

والله اولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
وانزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا

وقامت الغزوات العديدة والوقعات الكثيرة بين الطائفتين ويتناولها الكتاب فى بسط وتعريف ، تتخلله الملحمات الشعرية ذات الروعة من الناحية الأدبية والتاريخية .

وقد وصف الكتاب أشهر هذه الوقعات ، وذكر المؤلف أنها كانت بمثابة يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان، وهزم الله الكفار ، فولوا هاربين ، وتفرقوا ابادید ، وحل المسلمون على أكتافهم يقتلون وينهبون .

وفى ذلك يقول الوزير عبد الله :

بدات ببسم الله والشكر يتبع
على قمع كفار علينا تجمعوا
ليستأصلوا الاسلام والمسلمين من
بلادهم والله فى الفصل أوسع
وكنا انتظرناهم مواضع بيننا
ثلاث ليال ثم أخرى تربع
ولما راينا جبنهم عن جموعنا
رحلنا اليهم واللواء مرفع
وكم من كمى جدلته سهامنا
وأسيافنا واراه طير واضبع

وتوالت الغزوات ، وجد كل فريق فى طلب الآخر ، ودخل الأمراء فى جيوش المسلمين أفواجا ، وقد بهرتهم انتصارات الشيخ وجماعته ، وحاقت الهزيمة على أعدائهم وقعة بعد وقعة.

وكان الشيخ يبشر قومه أن يفتح

الله لهم البلاد ، ويمكنهم فى الأرض، ويحذرهم أن يتحاسدوا فيتفرقوا ، أو يبدلوا شرائع الاسلام ، ويبشرهم بقرب ظهور المهدى ، وان جماعته طلائعه ، والقوم من حوله يستبشرون ويدفعون بأنفسهم وبأموالهم قربانا فى سبيل الله .

وقد تناول كتاب « اتقان الميسور فى تاريخ بلاد التكرور » بعد هذا مؤلفات الشيخ ابن فودى ، وحصرها فيما ينيف على مائة مؤلف ، ومنها كتاب عمدة البيان ، وكتاب علوم المعاملة ، وكتاب السلاسل الذهبية، وكتاب كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين ، وكتاب احياء السنةواخماد البدعة .

وان هذه الكتب وغيرها من مؤلفات بلاد التكرور قد كتبت كلها بالخط المغربى الذى انتقل عن طريق قوافل التجارة بين بلاد شمال افريقية وبلاد وسطها ، فقد كان للتجارات بين هذه البلاد مواسم معروفة ورحلات معدودة ، واحدة فى الصيف الى الشمال ، وأخرى فى الشتاء الى الجنوب ، على غرار التجارات التى كانت تقوم بها قريش فى الجزيرة العربية بين الشمال والجنوب .

وبعد فان الصلات بين الشعوب الافريقية بعيدة فى التاريخ ، ولقد لعبت الثقافة دورا هاما فى تخليص العقل الافريقى مما استبد به من طغيانالاستعمار الفكرى ،وكان الدعوة التحررية التى نادى بها الاسلام أثر كبير فى انهيار صرح الوثنية على أشكالها المختلفة فى افريقية ، فاذا شعوبها فى القرون الوسطى تتجمع ألويتها تحت أهداف المصالحالواحدة، وقد آمنت بتعاونها ، وقيامة بعضها على بعض اندفاعا فى سبيل العزة والكرامة الانسانية .

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه فى افريقية ، وها هى ذى الدول الافريقية تهب قائمة متضافرة ، وتسعى جاهدة متعاونة فى نضال واحد لتخليص حياتها من ألوان الاستعمار الأجنبى ، ولتوطيد دعائم قومياتها على أسس ثابتة من معالم كفاحها .

وان الباحث فى تواريخ القارات والشعوب لا يجد دولا فى قارة من القارات قد تشابهت حياتها فىماضيها وفى حاضرها كما تشابهت الحياة فى دول افريقية وبين شعوبها ، ولايوجد بينالعالم دول تحس أحاسيس بعضها كما تحسها الدول الافريقية بعضها ببعض .

وهذه الملاحظة جديرة بالاعتبار ، فان جذورها بعيدة ومكينة فىالتاريخ، وهى لا تقوم على منافع خاصة وانما ترتكز على قواعد روحية وعاطفية تآلفت فيما بينها ، فكان ذلك التوافق الشامل ، وتلك السفارات الروحية التى تزعمها علماء الجمهورية العربية المتحدة فى القرون الوسطى .

وان المخطوطات العربية تنتظمحملة تمثل جانبا هاما من تاريخ العلاقات الثقافية بين الجمهورية العربيةالمتحدة وبين دول افريقية الوسطى الغربية، وهذه المخطوطات تضمها دور الكتب العامة ، وهى منثورة أيضا فى خزانات الكتب الخاصة ، وان رسالتنا الثقافية بين الشعوب الافريقية تلقى على عاتقنا واجب احياء هذا التراث ونشره فى أسلوب هادف ، تسهم به الثقافة العربية فى نشر الوعى القومى والتمكين لبناء حضارة افريقية .

الرحالة العرب فى افريقية

« الشريف الادريسى »

للدكتور حفنى شرف

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ادريس الصقلى العلوى المولود بمدينة سبتة عام ٤٩٣ هـ الموافق سنة ١٠٩٩ م والمتوفى عام ٥٦٠ هـ الموافق ١١٨٠ م .

مكث مرة فى سبتة التى لجأ اليها جده بعد أن خلع من الملك ولما شب وترعرع رحل الى قرطبة وتلقى علومه فيها وقرأ كثيرا وأفاد واستفاد ثم فكر فى تنمية معلوماته والعمل على اتساع أفقه الفكرى فأزمع رحلة طويلة بدأها وهو ابن ستة عشر عاما فتجول فى أفريقية وآسيا الصغرى ثم عبر الى الأندلس ، وزار بعض مدن فرنسا وشواطئها الواقعة على المحيط الأطلنطى كما زار ايطاليا ووصف بعض مدنها وذكر كثيرا من أسماء البلاد التى تغيرت أسماؤها حديثا حتى أصبح الجغرافى الحديث محتاجا الى جهد كبير فى الوصول الى معرفة أسماء هذه البلاد القديمة وأثبت الادريسى ذلك كله فى كتاب سماه « نزهة المشتاق فى اخبار الآفاق » .

والذى يعنينا من جولان الادريسى رحلته فى افريقية ومعلوماته عنها ، وخاصة أنه من أقدم الرحالة العرب الذين طافوا بهذه البلاد وكتبوا عن حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

قسم الادريسى الارض الى سبعة أقاليم ، وكل اقليم الى ممالك وتناول كل بلد أو قرية مشهورة فى كل مملكة ووصفها وصفا دقيقا بما فيها ومن فيها وكشف عن طبائع أهلها فى عاداتهم وأطعمتهم وحرفهم وحيواناتهم وتجاراتهم ومحال استيرادهم وتصديرهم والمسافات بينها وبين غيرها بالأميال على وجه التحديد اما بالسفر برا تارة أو بحرا تارة أخرى وكل ما أورده الادريسى اما أن يكون رآه بعينه أو سمعه بأذنه ممن شاهده والى القارىء الكريم نبذة يسيرة عما كتبه الشريف عن مملكة التكرور وللم وغانه والحبشة والبجه والنوبة تأييدا لما قدمت له :

مملكة تكرور :

مملكة تكرور وأشهر مدنها كما وصفها الادريسى .

« أوليل » جزيرة فى بحر الظلمات وعلى مقربة من الساحل وتوجد بها الملاحة المشهورة والتى لا يوجد أشهر منها فى بلاد السودان ، ومنها يحمل

الملح الى جميع بلاده ، ثم انتقل من جزيرة أوليل الى مدينة «سلمى» وهى بلدة على الضفة الشمالية لنهر النيل وهى من المدن المتحضرة التى تكثر بها المتاجر ومن أبرز صفات أهلها النجدة والشهامة ، ثم انتقل الى وصف مدينة تكرور فقال « هى فى جنوب النيل وبينها وبين « سلى » يومان فى النيل وفى البر ، ومدينة تكرور أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة واليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ، ويخرجون منها بالتبر » .

كما لم ينس الحكم فى مملكة التكرور ومعاملة سلطانها لمرءوسيه فقال : « وهو سلطان مؤمر ، وله عبيد وأجناد وله حزم وجلادة وعدل مشهور، وبلاده آمنة وادعة» كما تحدث عن حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية فأبان أن حياتهم قائمة على الزراعة والتجارة فطعامهم الأذرة والأسماك والألبان ، ومواشيهم الجمال والمعز ، ولباس عامة أهلها تداوير الصوف وخاصتهم يلبسون المآزر من القطن ..

وانتقل من بلدة « تكرور » الى بلدة « بريس » على النيل فوجدها صغيرة فى الحجم ولكنها متحضرة يعتمد أهلها على التجارة ويتنقلون من بلد الى بلد فى سبيل تجاراتهم والعمل على تصريفها .

أرض لملم :

تقع جنوب مملكة تكرور ، وأشهر مدنها « ملل » و «دو» وقال الادريسى « ان أهل هاتين البلدتين يهود والغالب عليهم بالكفر والجهالة وجميع أهل بلاد لملم اذا بلغ أحدهم الحلم وسم وجهه وصدغه بالنار وذلك علامة لهم وبلادهم مرتع خصيب لأهل مملكة التكرور يأتون اليها ويسبون أهلها ويأخذونهم الى بلادهم ويبيعونهم للتجار الذين يحضرون من جميع الاقطار ، وتقع أرض لملم ومساكنها وعماراتها على واد يمتد مع النيل ، وليس بعد أرض لملم فى جهة الجنوب عمارة تعرف ، وبلاد لملم تتصل من جهة الغرب بأرض مقزارة ، ومن الشرق بأرض ونقارة ومن جهة الشمال بأرض غانة ، ومن جهة الجنوب بأرض الصحراء ، ولغتهم كلام لا يشبه كلام المقزاريين ، ولا كلام الغانيين ، وانما هى لهجة مستقلة خاصة بهم والنيل يجرى فى هذه الارض من المشرق الى المغرب ، وينبت على ضفتيه شجر الآبنوس ، والطرفاء ، والأثل فى أماكن كثيرة ، وبظل هذه الأشجار يستظلون ، وتحتها تقيل وتسكن مواشيهم عند شدة الحر ، وفى بعض هذه الغابات تسكن الأسد والزرائف والغزلان ، والأفيال والأرانب والقنافذ ، وفى النهر أنواع السمك وضروب من الحيتان الكبار ، ومنه طعام هذه البلاد ، يتصيدونه ويملحونه ويدخرونه . وسلاحهم فى هذه البلاد القسى والنشابات والدبابيس يتخذونها من شجر الآبنوس ، ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة .

ومنازلهم من الطين ، والخشب العريض الطويل ، وحليهم من النحاس والخرز والزجاج وأنواع المجزعات .

ويقول الادريسى فى آخر حديثه عن هذه الأرض « وهذه الأمور التى

سبق ذكرها من أطعمتهم وأشربتهم ولباسهم وحليهم يتخذها غالبا أهل السودان فى جميع أنحائه لأن بلاده وهجها شديد وحرها أليم ، وأهل المدن من هذه البلاد يزرعون البصل والقرع والبطيخ ويعظم عندهم كثيرا وأشهر حبوبهم الأذرة ومنه ينتبذون ويشربون ، وجل لحومهم الحوت ولحوم الابل المقددة » .

مملكة غانة :

أبان الشريف الادريسي المسافة بين أرض لملم ومملكة غانه وبين موقعها فقال : « ومن مدينة « ملل » التى ذكرناها فى أرض لملم تسير القافلة الى « غانه » مدة اثنى عشر يوما فى صحراء لا ماء بها .

و « غانه » هذه مدينة على ضفتى البحر الحلو وهى أكبر بلاد السودان قطرا ، وأكثرها خلقا ، وأوسعها متجرا ، واليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها ، ومن سائر بلاد المغرب الاقصى ، وأهلها مسلمون ، وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب وهو يخطب لنفسه لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسى ، وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم اتقانه ، وزينت مساكنه بضروب من النقوش والألوان وشمسيات الزجاج ، وكان بنيان هذا القصر عام ٥١٠ هـ » .

وتتصل أرض غانه بأرض ونقارة وهى بلاد التبر الموصوفة به كثيرة .

والذى يعلمه أهل المغرب الأقصى علما يقينا لا اختلاف فيه أن له فى قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا قطعة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك فى نار أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيها ثقب ، وهى مربط لفرس الملك وهى من الأشياء النادرة التى لا توجد عند غيره وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان .

وكان ملكها عادلا مشهورا بعدله بين ممالك السودان يتشبه بالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين وأمراء المؤمنين ويحكى الشريف الادريسى عن عدله وقربه من الناس واشتراكيته الاسلامية وديمقراطيته فى حكمه ، « أن له جملة قواد يركبون الى قصره فى صباح كل يوم فاذا اجتمعوا ببابه واكتمل عددهم ركب وسار أمامهم فى أزقة المدينة ، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزال بين يدى الملك حتى يقضى أمره وتزول كربته ، وتمحى مظلمته ، وبعد أن ينتهى من طوافه يعود الى قصره ويتفرق قواده فاذا كان بعد العصر ، وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية ، وخرج وحوله أجناده ليطلع على أخبار رعيته » ، ولا شك فى أن ذلك منتهى الديمقراطية فى الحكم والعدالة فى الملك ، يتوشح بالازار ويشد فى وسطه السراويل ويركب الخيل ، وتمشى أمامه الفيلة والزرائف وكثير من الوحوش التى توجد فى بلاد السودان ، وله فى النيل زوارق وثيقة الانشاء ينتقل بها فى النيل .

ولباس أهل غانه عامة الأزر والفوط والأكسية كل على قدر همته .

وأرض غانه تحد من الغرب ببلاد مقزارة ، ومن الشرق ببلاد ونقارة ،

ومن الشمال بالصحراء الممتدة التى بين أرض السودان وأرض البربر ومن الشمال الجنوب بأرض لملم .

جزيرة ونقارة :

أرض تقع غربى غانه وهى عبارة عن جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة ميل وخمسون ميلا يحيط بها النيل من كل جهة فى معظم أيام السنة وتشتهر بذهبها الكثير وطيبها الثمين فاذا فاض ماء النيل فى شهر أغسطس غطى معظم هذه الجزيرة أو أكثرها وأقام عليها مدته المعهودة خرج منها جميع سكانها ثم اذا انحسر الماء وانكشفت الجزيرة رجع اليها أهلها باحثين عن التبر ، يكتنزونه حتى يفيض النيل مرة أخرى فيخرجون للتجارة فيه والتبادل مع أهل المغرب الأقصى ، ويعتبر التبر أكبر غلة عند أهل ونقارة .

ولباسهم الأزر وهم سود جدا ، ومن أشهر مدن ونقارة مدينة «تيرفى» ومدينة « مداسة » وهما كثيرتا العمارة ، وفى أهلهما معرفة ، وأشهر حاصلاتهما الأرز ، والأذرة كبيرة الحب ذات الطعم اللذيذ ، وحياة أهلهما قائمة على صيد الحوت ويتعاملون أيضا بالتبر .

وزار الشريف الادريسى بلدة « سغمارة » وهى تقع شمالى بلدة مداسة ووجد أهلها من البربر الرحالة الذين لا يقيمون فى مكان ويعيشون على الرعى على ساحل نهر يأتى من الشرق ويصب فى النيل وعماد طعامهم اللبن لكثرته لديهم ، ثم زار مدينة « سمقندة » و « غبارة » وتقع المدينة الأخيرة على ضفة النيل وبها خلق كثير وفى أهلها نجدة ومعرفة وكل هذه البلاد تدين بالطاعة لصاحب غانه واليه يؤدون التزاماتهم وهو القائم بحمايتهم .

الحبشة :

تكلم الادريسى عن الحبشة وتناول بعض مدنها بالوصف فقال : « وأهمها بلدة « حنبيته » وهى مدينة متحضرة لكنها فى برية بعيدة عن العمارة وتتصل بالنهر الذى يمد النيل وهو يشق بلاد الحبشة وعليه مدينة « مركضة » ومدينة « النجاعة » وهذا النهر منبعه من فوق خط الاستواء ثم يمر مغربا مع الشمال حتى يصل الى أرض النوبة فيصب هناك فى النيل عند مدينة « بلاق » وهو نهر كبير عريض كثير الماء بطىء الجرى ، وقد وهم كثير من المسافرين فى هذا النهر فقالوا : انه النيل وذلك لأنهم يرون به ما يرون من النيل فى خروجه ومده وفيضه فى الوقت الذى يزيد فيه النيل وينقص ولهذا السبب وهم فيه أكثر الناس .

وليس الامر كما يتوهمون ، واعتمد فى ذلك على ما جاء فى كتاب الجغرافيا لبطليموس وكتاب العجاب لحسان ابن المنذر ، ويرى الادريسى أن هذا النهر غير النيل .

وعلى هذا النهر يعتمد أهل الحبشة فى محصولاتهم الزراعية التى أهمها الشعير والأذرة واللوبياء والعدس وهو نهر كبير لا يعبر الا بالمراكب .

وأهم مدن الحبشة البرية غير « حنبيتة » « بسطا » و « قلجون »

وأهل هذه المدن يعيشون على التنقيب عن المعادن ــ الذهب والفضة ــ وهى موجودة عندهم فى جبل « موريس » وهو على بعد مسيرة أربعة أيام من مدينة حنبيته وماؤهم يأخذونه من الآبار التى كثيرا ما تجف .

وأهم المدن الساحلية مدينة «زالع» و « منقوبة » و « أقنت » ، وأهلها يعيشون على صيد السمك وألبان الحيوانات وبعض الحبوب .

وجميع بلاد الحبشة على الاطلاق يتخذون الابل مصدر أرزاقهم يتاجرون فيها ويشربون لبنها ويستخدمون ظهورها وينتظرون لقاحها وهى أجل بضاعة لديهم .

البجة :

تقع هذه الأرض بين الحبشة والنوبة وهى عبارة عن بادية يجتمع أهلها والتجار الوافدون اليها فى وادى العلاقى،وهو أشبه ،كما قال الادريسى، بالقرية الجامعة يجتمع الناس فيها ليتبادلوا أنواع التجارة ، ويعيش أهل هذه الأرض على التنقيب والبحث عن المعادن ولهم فى البحث عنها طريقة عجيبة كما رواها الادريسى حيث يقول: «فاذا كان أول الشهر العربى وآخره خاض الطلاب فى الرمال بالليل فينتظرون فيها ، فاذا أبصر أحدهم شيئا يضىء تحت الرمال علم علامة على موضعه يعرفها ويبيت عندها ، فاذا أصبح الصباح عمد كل واحد منهم الى علامته فى الرمل وحفر قليلا ، ثم يأخذ ما يجده ويذهب به الى آبار موجودة هناك فيغسله بالماء فى جفنة ويستخرج التبر منه ، ثم يؤلفه بالزئبق ويسبكه » .

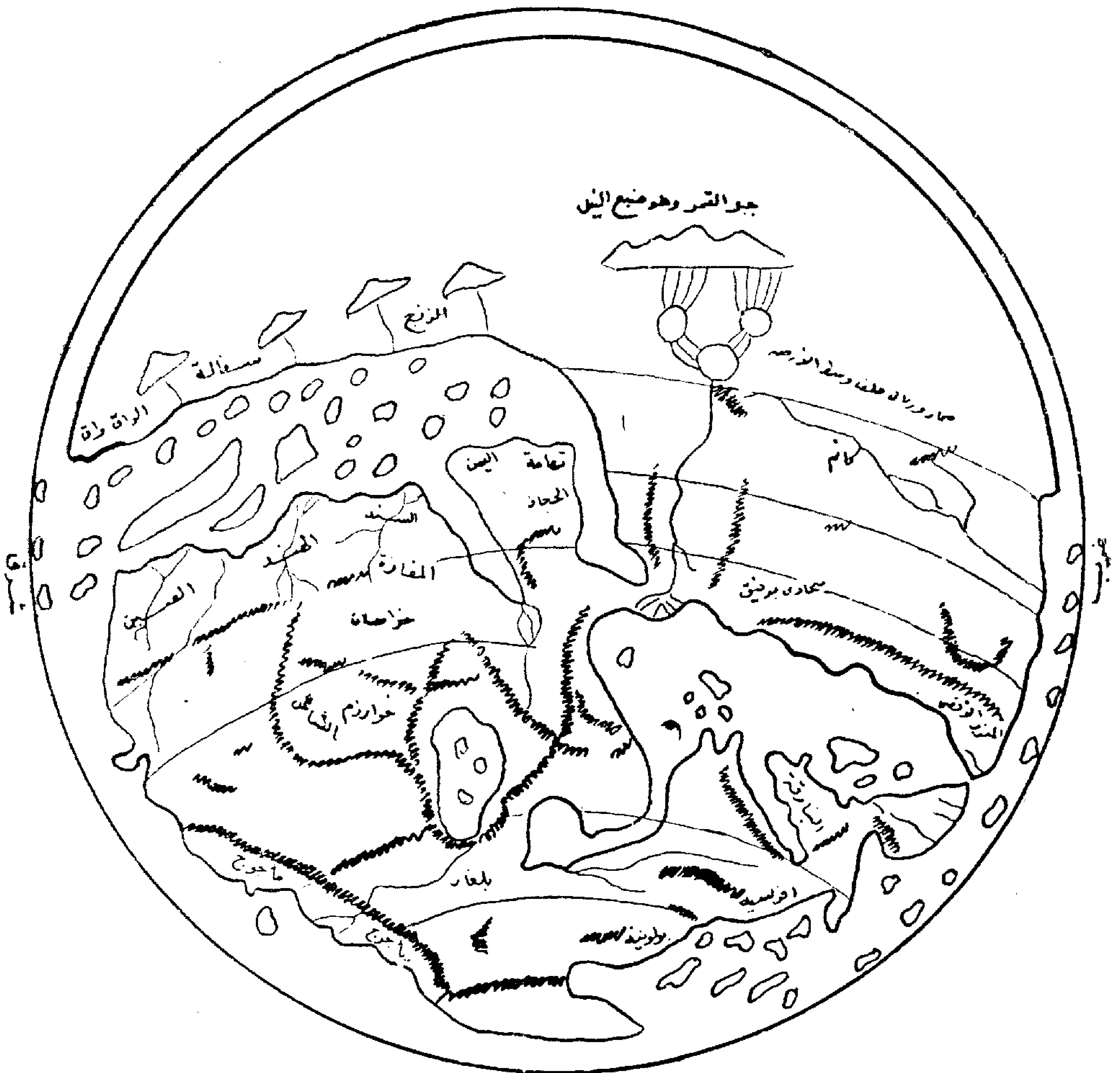
وعلى هذا المعدن وتلك الحرفة كان يعيش أغلب أهل البجة فتجارهم يحملونه الى سائر البلاد .

وبين وادى العلاقى وعيذاب من أرض البجه مسيرة اثنى عشر يوما ، ومن أشهر بلاد البجه بلدة « بختة » وأهلها يحترفون تربية الأبل ونتاجها وعليها أكثر مكاسبهم ، والى هذه البلدة تنسب الجمال البختية ، ولا يوجد على وجه الأرض أحسن منها ولا أصبر ولا أسرع جريا .

النوبة :

تكلم عن أشهر بلاد النوبة التى رآها ووقف على جانب من حياة أهلها والتى منها بلدة « كوشة » وهى تبعد عن بلدة « نوابية » مسيرة تسعة أيام وتبعد عن النيل قليلا وموضعها فوق خط الاستواء ويسكنها قليل من السكان وتجارتها قليلة وأرضها حارة جافة ويشرب أهلها من عيون تمد النيل ، وهى فى طاعة ملك النوبة ومنفذة لقراراته ، وان كان ملك النوبة يسكن مدينة « دنقلة » التى تقع فى غربى النيل ويعتمد أهلها على مائة فى زراعتهم وشربهم وأهلها أحسن بلاد السودان وجوها وأجملهم شكلا ، غذاؤهم الشعير والتمر يجلب اليهم من البلاد المجاورة ، كما أن الغالب عندهم من اللحوم لحم الابل يأكلونه مشويا ومقددا ومطحونا ومطبوخا باللبن ، ويكثر فى بلادهم السمك ، ومن حيواناتهم الزرافة والفيل والغزال .

ومن مدينة دنقلة سار الى بلدة « علوة » وهى على ضفة النيل بينها



خريطة صورة الأرض للشريف الادريسي

وبين دنقلة مسـيرة خمسة أيام فى النيل ويعيش أهلها على زراعة الشعير والأذرة من الحبوب والفجل والبصل والبطيخ والقثاء من الخضروات ، ولهم بجانب الزراعة تجـارة مع البـلاد المجاورة .

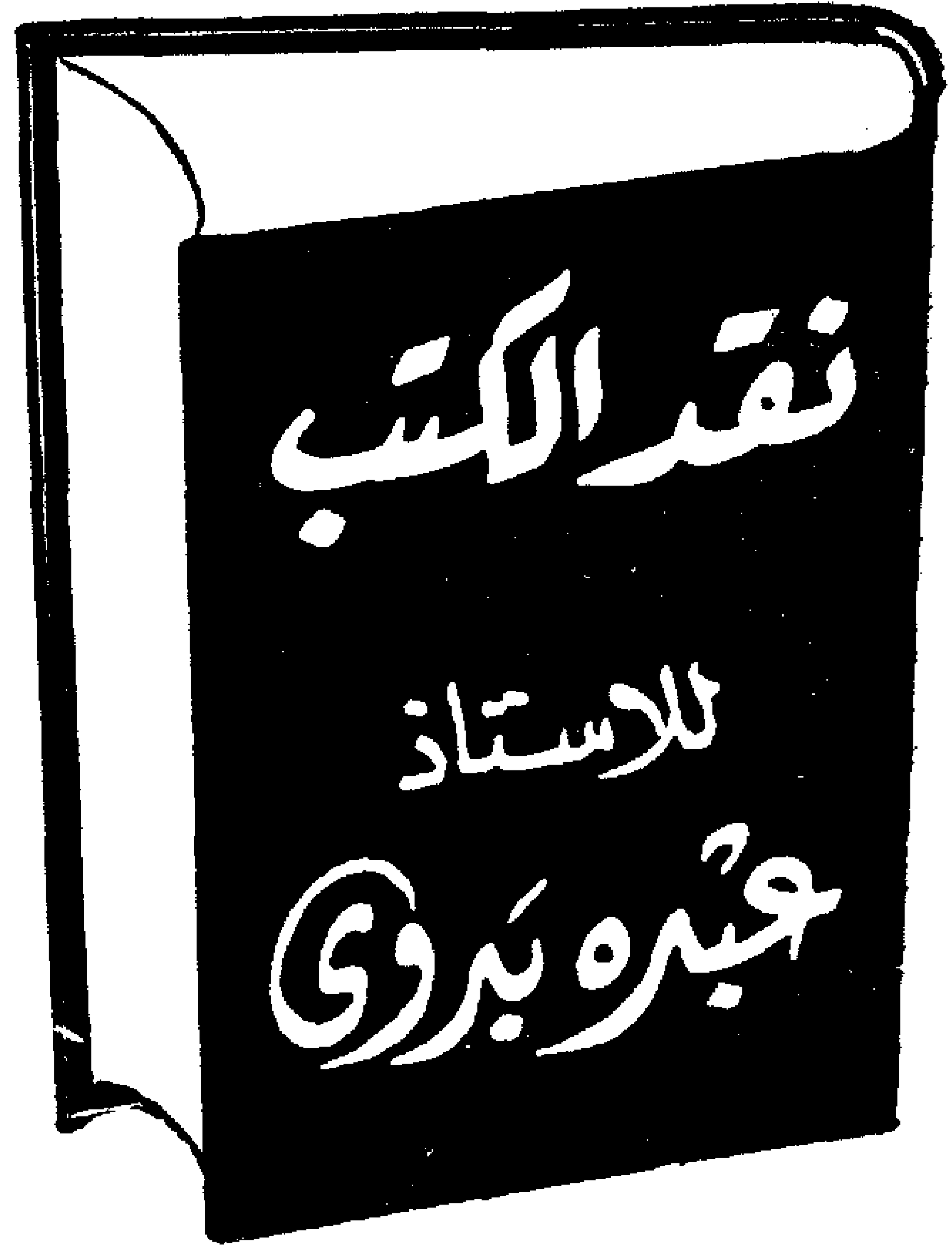
ثم زار مدينة « بلاق » فوجد أهلها متحضرين وهم فى رغـد من العيش كما وجـدها مجتمع تجـار النوبة والحبشة ومصر .

وأغلب أهل النوبة والحبشة والبجه فى ذلك الوقت من الخوارج على مذهب اليعاقبة .

وأخيرا أقول ان الشريف الادريسى كان مبرزا فى فنه كما أنه يعتبر أول الرحالة العرب الذين ذهبوا الى أبعد مدى يمكن تصوره ، كما كان من جلة العلماء الأوائل فى الجغرافيـا ومن أعلام الفكر الاسلامى الذين تجاهلتهم المصادر العربية الاسلامية وعنى به علماء الغرب واعتمدوا على ما كتبه فى الجغرافيا وأشـادوا بكتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، وصنعة كرة أرضية للملك روجار ملك صقلية كما أنه لم ينس الجغرافيـا الفلكية باثبـاته كروية الأرض حيث يقول « ان الأرض مدورة كتدوير الكرة » وقال : « والأرض مستقرة فى جوف الفلك وذلك لشدة سرعة حركة الفلك وجميع المخلوقات على ظهرها . والنسيم جاذب لما فى أبدانهم من الخفة والأرض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل بمنزلة حجر المغنطيس الذى يجذب الحديد اليه » .

كما أشار الى الجغرافيا الاقتصادية عند حديثه عن انتاج البلاد التى زارها وزراعتها وصناعتها وتصريف أهلها لمنتجاتهم ، والجغرافيـا البشرية فى حديثه عن الأجناس البشرية على سطح الأرض وعلاقة ذلك التوزيع بالتقاسيم التى قسمها لكتابه ، وأشار الى علاقة الجغرافيـا الفلـكية بالجغرافيـا الاقتصـادية والبشرية مما عـد من المحاولات المجيـدة التى يحفظها له التاريخ على مر العصور .





أحدث مؤلفات الدكتور جلال يحيى التى تتوالى بفهم وصدق كتاب **«العلاقات المصرية الصومالية»** الذى يتعرض لخيط من الخيوط المتعددة التى نسجت منها « الوحدة الافريقية » فالكتاب يتعرض لعملية الاندماج المصرى والصومالى فى نهاية القرن التاسع عشر ، ويعطى ضوءا يمكن أن ينتفع به الذين يدعون اليوم الى هذه الوحدة الشاملة ، وانه لشىء رائع أن يعرف الانسان الدور الذى قامت به مصر فى افريقية . فقد كان دائما دور تعاون ، وأخوة ، ودور « وحدة ! » .

وقد مهد المؤلف لكتابه بارتباط مصر بالصومال من فجر التاريخ ، وكيف كان البحر الأحمر هو الوسيلة التى ربطت بين البلدين رغم بعد الشقة بينهما ، فالمصريون كما يقول ماسبيرو « أول من بنى سفنا بحرية ، وأول من سافر على البحار ، ولاقى الأخطار فى البحرين الأبيض والأحمر . بل يظهر أنهم علموا غيرهم من الشعوب فنى الملاحة وبناء السفن » .

وقد كان طريق « وادى الحمامات » الذى يخترق الصحراء الشرقية بين ففط على النيل ، والقصير على البحر الأحمر هو أسهل الطرق وأخصرها ، ومن هنا تركوا عليه آثارا واضحة تدل على أنهم مروا به ، واتصلوا بشعوب سامية أخرى . فقد كانوا ينقلون كل ما يحتاجون اليه على ظهور الحمير فاذا ما شارفوا سواحل البحر الأحمر أقاموا هناك وصنعوا السفن بأيديهم ثم أجروها على المياه .. ثم رأيناهم بعد ذلك يستخدمون فى الوصول الى الصومال طريق « وادى الطميلات » .

والتاريخ يؤكد وجود قناة بحرية فى هذا العصر البعيد بين وادى الطميلات والبحر الأحمر .

من هذا نرى اهتمام الفراعنة بالتجارة مع بلاد الصومال التى كانوا يسمونها بلاد « بنت » ، وقد ظل هذا الاهتمام فى عصرى البطالمة والرومان بين مصر والصومال حتى لقد اعتبر الطريق الطبيعى الذى يوصل تجارة الشرق الأقصى الى العالم اليونانى والرومانى فى أوروبا . ولم يمنع من حيوية هذا الطريق ظهور طريق آخر يمر بعدن ، ويخترق اليمن والعسير ، والحجاز شمالا الى سواحل البحر الأحمر عند فلسطين ولبنان ، وان كان هذا قد دفع المصريين الى الاستيلاء على الأقاليم السورية حتى يكون الطريقان فى منطقة النفوذ المصرية ، ولضمان وضع اليد على مصير التجارة بين الشرق والغرب ، ورغم أن البيزنطيين قد نجحوا بعد الحكم الرومانى فى اختراق طريق آخر هو الطريق المؤدى من الخليج العربى عبر ما بين النهرين

الى آسيا الصغرى ومنها الى أوروبا الا أن التجارة بين القطرين ظلت نامية وأن كانت قد اقتصرت على تبادل المنتجات والمواد الخام الاقليمية .

ثم كانت الموجة العربية التى غطت بقاعا كثيرة كان منها الصومال ومصر وأصبح الاسلام والعروبة خير مقرب بين هذين البلدين ، ثم تعرض القطران لأكثر من ضغط خارجى كان أهمها الضغط الأوروبى الذى عمل على تغيير الطرق التجاريه القديمة وأسهمت فيه اسبانيا والبرتغال ، وقد كان من أثره وجود مقاومة لهذا الاتجاه من مصر المملوكية فوقفت فى وجه الأجانب الذين حاولوا النزول فى جنوب الجزيرة العربية ، وتثبيت أقدامهم على سواحل الصومال وجزر الهند ، وفى سبيل ذلك اتصلت بأمراء الهند ، وحاولت التحالف مع البندقية ، واشتبكت مع الاساطيل البرتغالية عام ١٥٠٨ بجوار جزيرة « ديبو » وتمكنت من هزيمتها ، وسعت الى التحالف مع الدولة العثمانية الناشئة .

وأمام هذه التحركات المصرية والوقوف بعناد فى وجه هذا الغزو الخارجى كون غرب أوروبا جبهة متحدة ضد كل المسلمين فى الشرق الأدنى ، واستطاع تدمير الاسطول المصرى التركى قرب الاسكندرية ، واستمر البرتغاليون فى غاراتهم على الأقاليم الشرقية والاسلامية سعيا وراء اقامة قواعد على طول السواحل الافريقية فى المحيط الأطلسى جنوبا . ثم المحيط الهندى شمالا لتكون نقاط ارتكاز لتموين سفنهم ولتبادل التجارة والسيطرة تماما على طريق رأس الرجاء الصالح . ثم أخيرا لتكون نقاط وثوب الى داخل القارة والاستيلاء على الافريقيين وبيعهم كرقيق .

وقد نحى المؤلف الدوافع الدينية فى هذه المعركة فذكر أنهم كانوا يتسترون وراءها ليخفوا كل هذه الأطماع التى ذكرناها والتى كانت هى كل شىء فى الصراع الدائر هناك وان كنا نميل الى القول بأن العامل الدينى كان من الأسباب الرئيسية فى هذه المعركة فهم أنفسهم كانوا يؤكدون دائما أن حربهم هذه انتقام للصليب من الهلال . ثم كيف نعلل ارتباطهم بحلف مع مسيحيى الحبشة بحجة أن الاسلام يهدد كلا منهما مما أثلج صدور الأحباش وفتح أمامهم بابا للسيطرة على الشعوب الاسلامية المجاورة لهم ، والرغبة فى قيام امبراطورية مسيحية سوداء . فالحلف كان موجها ضد المسلمين فى وادى النيل ، وبلاد الصومال ، وشرق السودان . بحيث يمكن بواسطته تطويق العالم الاسلامى فى النصف الشمالى من القارة الافريقية .

والمؤلف نفسه يذكر أن أحدا لا ينكر على البرتغاليين حتى اليوم « تعصبهم الأعمى للدين المسيحى » .

ومهما يكن من شىء فقد ظهرت قوة ملأت الفراغ الذى كان يملأ المنطقة ، وكانت هذه القوة ممثلة فى داعية من الدعاة يسمى **« أحمد جرين »** فقد وحد المسلمين فى الصومال والحبشة ، ونزل الى المعركة باسم الهلال فى مقابل المعركة باسم الصليب ، واستطاع هذا الرجل القوى أن يشل القوى البرتغالية وحلفاءها الاحباش . مما

رغب العثمانيين فى محالفتـــه ، وان كانوا لم يقدموا اليه مســاعدة تذكر مما جعل كفة الأحباش راجحـــة فى المعـــارك التى قامت بينهـــم وبين الصوماليين .

ثم قام نزاع بين البرتغـــاليين والأحباش حينما طمع البرتغاليون فى حلفائهم فتدخلوا فى الحكم ، ورغبوا فى تحويلهم من المذهب الارثوذكسى الى المذهب الـــكاثوليكى ، وربطهـــم بكنيسة روما مما اضطر الأحباش الى الوقوف فى وجوههم ، واخراجهم من بلادهم . وان ظلوا محافظـــين عـــلى السـيطرة على جميع الطرق حـــول « رأس الرجاء الصالح » مما جعل كلا من مصر والصومال فى بعد تام عن منطقة مرور التجارة العالمية .

ثم تعرض المؤلف لمصـالح الشرق والغرب فى هذه المنطقة ، وكيف أثر الصراع الانجليزى الفرنسى فى هذا القطـاع . ذلك لأن انجلترا اختطت لتـأمين مواصـلاتها خطتين أولاهما المحافظـة على طريق البحر المتوسط الى الشرق الأدنى وثانيتها وضع يدها على الطـريق الذى يبدأ من الهنـد ، ويمر فى المحيط الهندى . ثم يتفرع الى الخليج العربى والى خليج عـدن والبحر الأحمر وفى سبيل ذلك وثقت صلاتها مع شيوخ المناطق ، وعقدت معهم محالفات ، وسمحت لهم باتخاذ نقاط ارتكاز فى طول هذه المنطقة .

وقد انتصرت بريطانيا فى كل هذا على القوى الفرنسية ، وخرجت ظافرة من الحرب النابليونيـة ، ولـــكنها سرعان ما اصطدمت بقوى جديدة نامية ظهرت بقوة فى الشرق الأدنى فى هذه الفترة . وكانت هـذه القوى هى قوة مصر التى وقفت ضـد كل محاولات انجلترا للسيطرة على هـــذا القطاع الكبير فى شرق القارة ، وأقامت نظاما اقتصاديا دقيقـــا يتنافى مع سياسة البـــاب المفتوح فى التجارة ، التى استطاعت بواسطتها انجلترا استغلال العالم .

وبدأ الصراع بين القوتين فحـــين هـددت القوات المصرية القسطنطينية استعدت له انجلترا بالاستيلاء بالقوة على عـــدن فى عام ١٨٣٩ لاتخاذها قاعدة أمامية للاســـتيلاء على ساحلى البحر الأحمر الافريقى والآسيوى الذى كان فى قبضة المصريين . كما عقدت بعض المعاهدات مع الشيوخ المحليين حول خليج عدن ، ودخلت مع فرنسا فى صراع بحجـــة محاولة الأخـيرة الاستيلاء على أرض عثمانية ، وتسللت الى الحبشة ولم يكن هـذا التسلل كذلك فى صالح مصر . وهكذا كانت انجلترا تحكم خيوطها لتضرب بعنف مصالح مصر فى هذه البلاد ، ولتقضى تماما على نفوذ مصر فى الصـــومال ليخلو لهـــا الجو ، وتصبح صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة هناك .

ولكن مصر كانت صاحبة السيادة فى الشرق الافريقى فقـد عمدت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى توحيـــد حوض النيل ، وأخذت تتوسع فى اتجاهات ثلاثة على طول النيل فى بحر الغزال ودارفور ، وعلى طوال سواحل البحر الأحمر وخليج عدن . فضمت اليهـا بربرة ، وزيلع وتاجورة ، وهرر ، وأسهمت بخبراتها ورغبتها الطيبة فى نمو هـــذه البلاد

اقتصاديا واجتماعيا « ولا يسعنا الا أن نذكر دليلا على ذلك التجاوب المصرى الصومالى فى ذلك العصر ، تلك الروح التى أقبل بها أبناء الصومال على الاندماج مع المصريين ، ويذكر لنا ضابط أركان حرب المصريين أن أغلب الصوماليين قد حاولوا تزويج بناتهم للجنود المصريين والسودانيين . فشجعت الحكومة هذا الاتجاه ، وحثت الجنود على حسن معاملة زوجاتهم واعطائهن الكساوى والملبوسات . حتى أن كل هررى كانت تغمره سعادة بالغة اذا ما زوج ابنته لأحد الجنود .

وكان من السهل اتمام اتحاد بلاد الصومال مع مصر اذا ما وفق المصريون الى توحيد كل مناطق الصومال المطلة على المحيط الهندى الى هذه الامبراطورية الافريقية . وكان ذلك بداية مشروع نهر الجوبا المرتبط بالصومال مثل ارتباطه بتاريخ مديرية خط الاستواء » .

ذلك لأن مشروع توحيد الصومال مع مصر ارتبط بتوسعها فى هضبة البحيرات ولما كانت منطقة السدود تقف فى طريق المواصلات الى هضبة البحيرات فقد فكرت مصر فى الوصول اليها عن طريق سواحل الصومال التى تطل على المحيط الهندى وقررت بالفعل الحصول على منفذ شرقى مما استلزم امتداد حدود مصر الى الجنوب من خط يصل بين بحيرة فيكتوريا ، وساحل افريقية الشرقية .

وقد أرسلت حملة من مصر لهذا الغرض أقلعت من ميناء السويس فى ١٩ من سبتمبر عام ١٨٧٥ ، وما كادت تصل حتى رحب بها الأهالى وسلموا أعلاما مصرية لرفعها فى كل مكان تصل اليه الحملة ، وظلت تتقدم حتى وصلت « براوة » فى منتصف شهر نوفمبر أى فى نفس الوقت التى أصدرت فيه القاهرة تعليماتها الى « غوردون » ممثلها فى مديرية الاستواء بالسودان ليسير شرقا ، ويقابل الحملة القادمة من المحيط الهندى .

ومن « براوة » واصل الجيش سيره الى « قسمايون » ثم رفع عليها العلم المصرى ، وصارت وحدة جديدة تابعة لمصر ، وكذلك قدم الكثيرون من الصوماليين وبخاصة سلاطين جزر « القمور » يطلبون بأنفسهم الانضمام الى مصر ، وجعلوا يغرون المصريين بمواصلة الاستيلاء على الساحل الشرقى لافريقية حتى « ممبسة » بدعوى أنه يوجد غرب هذه المدينة مناجم كثيرة للفحم والنحاس ، وبينما يسير المصريون من نصر الى نصر فى الصومال بين ترحيب الأهالى تحركت القوى الانجليزية للدفاع عن مصالحها المستقبلة التى كانت قد رسمتها فى افريقية ، والتى كانت تتضمن انشاء امبراطورية كبيرة لها فى افريقية ، والعمل على تحطيم القوى المصرية المنافسة .

ومن هنا فقد بادر «كيرك» القنصل الانجليزى فى زنجبار بالسفر على ظهر باخرة حربية الى هذه المنطقة التى أصبحت فى حوزة المصريين فوصل الى « براوة » فى أواخر شهر نوفمبر ، ووجد أشياء كثيرة قد تغيرت ، وكان من أهم هذه التغيرات أن المصريين أوقفوهم لاستجوابهم مرتين . ثم رفض القائد المصرى الاعتراف بالصفة

القنصلية لكيرك ، وأنه ليس له الحق فى السؤال عن التجار الهنود الذين ذكر أنهم من رعايا حكومته ولذلك نراه يضطر الى العودة الى الباخرة ، ويعمل على خلق توتر من نوع آخر بارساله بعض البحارة للتنزه على الساحل ، ولكن القوى المصرية تصدت لهم ومنعتهم من النزول من سفينتهم ، وكان أن عاد القنصل بعد أن احتج على المصريين فى عرض البحر . فرد المصريون بأن البلاد أصبحت فى حوزتهم ، وأنه اذا جنح الانجليز للقوة فسترد عليهم الحامية المصرية بالمثل . ثم أرسلوا انذارا ثانيا بأنهم سيضطرون الى ضرب المدينة فى الساعة الثانية بعد الظهر اذا لم يتمكن القنصل من زيارة الهنود ، وقد فوت المصريون عليهم هذه الفرصة فقد كانوا يريدون ضرب المدينة بأى ثمن ولذلك نراهم يسمحون للقنصل بالزيارة تحت شروط منها نزول القنصل دون حرس وأن يصحبه قائد السفينة فقط دون سلاح ، وما كاد كيرك يعود حتى أبرق لحكومته بخطر المصريين فى هذه المنطقة وتهديدهم لزنجبار التى كانت واقعة فى دائرة نفوذهم ، وأن الرعايا الهنود فى خطر ، وأن مصالح الانجليز مهددة فى هذه المنطقة كما اتفق مع القنصل الفرنسى فى زنجبار على خلق جو حاد من التوتر بدعوى أن المصريين قبضوا على بحار فرنسى ، وهكذا اتفق القنصلان على عدم قبول « فرض سلطة دولة اسلامية على علم دولة مسيحية فى أحد الموانىء » .

وأمام هذا الضغط أمر الخديوى باعادة الاعلام المصرية التى رفعت على كل من « قسمايو » ، و « براوة » ، وسحب الجنود منهما تحت ضغط التهديد الانجليزى ، والتلاعب بسلطان زنجبار ، وعدم اخلاص غوردون فى السودان للحملة فى الصومال وتقديم المساعدات لها بالسير حول الساحل **« وهكذا تكاتفت السياسة والمصالح البريطانية مع تلك الحفنة من الانجليز الذين خدموا فى الادارة الخديوية على تحطيم ذلك المشروع المصرى فى ذلك الجزء الذى يتعلق بحملة الجوبا ، وايجاد مخرج شرقى لاقليم هضبة البحيرات ، ومديرية خط الاستواء »** .

وقد حاول الخديوى اسماعيل أن يحصل بالسياسة بعد عودة الحملة فطالب بضم « قسمايو » الى مصر ــ لتكون منفذا طبيعيا له ــ فى نظير دفع تعويض مالى لسلطان زنجبار ولكن الانجليز لم يوافقوا ونجحوا تماما فى ابعاد المصريين عن المحيط الهندى . ومع أن الانجليز قد اعترفوا فى الاتفاقية المصرية المعقودة عام ١٨٧٧ بسلطة مصر تحت السيادة العثمانية على جميع السواحل الغربية للبحر الأحمر والجنوبية لخليج عدن حتى رأس حافون الا أنهم عادوا الى التلاعب بهذه المعاهدة ، وعملوا على اجلاء مصر من الصومال ، وأصدرت انجلترا أمرا فى ١٨ يونيو عام ١٨٨٤ باتخاذ التدابير لاجلاء الادارة المصرية عن ساحل الصومال ، وسرعان ما تراجع نوبار باشا وأمر باخلاء هرر رغم تمسك السكان بالحكم المصرى ، وقد حاول الحاكم العام المصرى أن يثنى الحكومة المصرية عن عملية الاخلاء هذه

بعـــد عمليـــة الامتزاج بين المصريين والصوماليين ، وأن الاخـــلاء ســـيكلف الحكومة نفقات باهظـــة خاصة وأن للحـــكومة فى البلاد مبانى وأراضى ومهمات كثيرة ، وأن الأهالى يتمسكون ببقائهم ، ودليل ذلك أن كثيرين منهم قد كتبوا الى الخديوى بأنهم سيضطرون الى الخـروج من بلادهم مع المصريين المنسحبين ، ولكن الحكومة المصرية ـ وعلى رأســـها نوبار ـ لم تتراجع وكانت النهـاية أن احتلت انجلترا بربرة ، وزيلع ، وأجلت المصريين عن هرر .

* * *

وبعد أن صفت انجلترا هذه المنطقة من المصريين كان عليهـا أن تتقـابل وجها لوجه أمام فرنسا التى كانت لها أطماع فى هذه المنطقة ، وقد قامت فى هذه الفترة حرب أعصاب قد زلزلت مكانة الفرنسيين فقيل ان فرنســـا زاهدة فى الاراضى التى اشترتها فى « أوبوك » على ســـاحل الصومال ، وأنها ستتخلص منها بالبيع أو التنازل ولكن الحكومة الفرنســـية ردت على هذه المناورة بأنها على العكس ستدعم مكانها فى « أوبوك » .

ومن جانب آخرفقد أخذت القنصلية الفرنسية فى «عدن» تلح على حكومتها بالتدخل المبـاشر فى بلاد الصومال منـــذ أوائل عام ١٨٨٢ ، وانتهزت فرصة مقتل أحد المستوطنين الفرنسيين فى أوبوك لتطالب بتنظيم قوة من البوليس على الساحل الافريقى . ذلك لأنهم رأوا انجلترا تحتـــل مصر ، وتتدخل فى شئون السودان ، وتتوسع بشكل مثير فى افريقية ، ومن ثم فقد أرســـلت « لاجارد » الذى أنشـــأ المستعمرة الفرنسية فى بلاد الصومال

ثم وافقت الحكومة الفرنسية على القيـــام بسياسة توســـعية فى هذه المنطقة فعملت على احتلال **« تاجورة »** وأبرقت الى قائـــد أوبوك فى ٧ من سبتمبر تقول « أرجو أن تتأكد سرا مما اذا كان مشروع « تاجورة » قد بدأ فى التنفيذ ، وأن تتفاوض اذا اقتضى الأمر مع الشـــيوخ المحليين الـــذين سيصبحون سادة البلاد ، وذلك لاغرائهم على وضع أنفسهم تحت حماية فرنسا . وقد كتب السلطان أحمد بن محمد الى رئيس الجمهورية بهذا الشأن مرات متعددة ، ويمكنك أن تدرك الأهميـــة التى ستكون للاســـتيلاء على تاجورة بالنسبة للعلاقات مع الداخل وليست المســـألة الا منع انجلترا من النزول اليها دون المجازفة بالاصطدام معها . ولذلك فان رئيس الوزراء قد فتح لك اعتماد خمسين ألف فرنك لتسهيل تلك المفاوضـــات الدقيقـــة التى قد تضطر الى الدخول فيها » .

وقد تمكن « لاجارد » من اقنـــاع الســـلطان ـ الذى كان الانجليز قد فاتحوه كذلك فى اغتصـــاب بلاده ـ بأن يضع بلاده تحت الحماية الفرنسية وكان أن عقدت هذه الاتفاقية فى ٢١ من سبتمبر عام ١٨٨٤ والتى تنص على تسليم بلاده الممتدة من « رأس على » حتى « قبة الخراب » لفرنسا وعـــدم ابرامه أية معاهـــدة مع دولة أجنبية الا بعد موافقة قائد « أوبوك » وهكذا أعطى هذا الاتفاق فرنسا اقليما يوسع مستعمرة « أوبوك » ويكملها ، ويعطيها الطريق التجارى الذى يصل بالقوافل الى « شوا » .

وقد تم استيلاء فرنسا على هذه المنطقة رغم وجود بعض القوات المسلحة المصرية فيها ولكن « لاجارد » أبرق الى باريس طالبا تدخل القنصل الفرنسى العام فى القاهرة ليستخدم نفوذه فى تسليم مصر بالاحتلال الفرنسى لتاجورة ، ولكن فرنسا لم تتدخل لمعرفتها بالأوضاع فى مصر ، وكيف أن الحكومة فيها لم تعترض على استيلاء الانجليز على زيلع وانما اعترضت على نشاط الفرنسيين فى تاجورة .

* * *

ثم يذكر لنا المؤلف أن الأهالى هم الذين أجبروا الحامية المصرية على الخروج من بلادهم الى زيلع ، ويتركنا أمام عدة احتمالات فهل كان الخروج لحصول الأهالى على أموال فرنسية ؟ أم رغبة فى الاسراع بالتسليم للانجليز ؟ أم ثورة على الخديوى توفيق الذى أشاع فى بلاده جوا من الارهاب بعد الثورة العرابية ؟ أم أنه وعى جديد من الأهالى ، وبعض الاستجابة لدعوى فرنسا التى كانت تزعم أنها تعمل مع الأهالى لاخراج بريطانيا من وادى النيل ؟ أم استجابة لوعود الفرنسيين الخلابة بالعمل على ازدهار الحال فى شرق افريقية ، واستخدام قوافل الأهالى فى نقل منتجات هرر والحبشة الى خليج عدن ؟

وهكذا نرى المؤلف يثير عدة أسئلة دون الاجابة عليها .

ولن يعفى المؤلف قوله « ليس من السهل الحكم بأولية أحد هذه العوامل على العوامل الأخرى وبازدياد أهميته على أهمية غيره ، ولكن من المنطقى أن نذكر أن هذه العوامل قد تكاتفت سويةفى الحيلولة بين الاهالى والسلطات الخديوية ، خصوصا وأنها ظهرت مسلوبة السلطة لا تقدر لنفسها على نفع ولا ضرر بعد سيطرة الانجليز على شئون البلاد » .

واذن فكيف نقول ان هذه العوامل جميعا كانت هى السبب ؟ اذ كيف ندمغ الأهالى بقبض رشوة من الفرنسيين لمجرد احتمال ؟ وكيف نصفهم فى الوقت نفسه بأنهم متلهفون على احتلال الانجليز ، وبالوعى والشعور بالظلم ، والرغبة فى حياة أفضل ثم نقول ان هذا كله كان سببا فى اخراج الأهالى للمصريين بينما قرر فى أكثر من مكان أن الصوماليين كانوا يتمسكون بالمصريين حتى لقد كانوا يهددون بالخروج معهم ان خرجوا كما حدث فى هرر . ولا شك أنه بدراسة وثائق هذه الفترة ، وبشىء من الجهد كان يمكن الوقوف على عامل رئيسى مباشر وعلى الحقيقة نفسها ! .

ومهما يكن من شىء فقد قامت مفاوضات بين انجلترا وفرنسا فى أوائل عام ١٨٨٧ لتسوية المسألة الصومالية ، وتمت التسوية بين الدولتين على حساب الصومال وتدخلت الحبشة كشريك ثالث فى اقتسام هذه البلاد وتخريبها كما حدث فى هرر حتى لقد جاء فى مذكرات بوريللى « ان اللحم قد اختفى من السوق . ان هذه الفوضى ستنتهى حتما فى يوم من الأيام ، ولكن الموقف سيظل لا يطاق الى أن تنتهى هذه الأزمة . سأترك غدا هذه المدينة البائسة التى حولها الأمهرا الى حفرة للقاذورات » وهكذا لم ينته التوسع

الحبشى فى بلاد الصومال عند هرر وانما تعـــداه الى مناطق الجـــالا ، والأوجادين نتيجـــة للاتفاقات التى عقدتها الحبشة مع الدول الأوروبية .

لم يقف تقســـيم الصـــومال بين انجلترا ، وفرنسا ، والحبشة ، وانما تعداه كذلك الى ايطاليا . فقد حصلت هى الاخرى على جزء من الغنيمة فى الفترة ما بين ابعاد المصريين ، وعقد مؤتمر برلين . وقد بدأوا أمرهم فى هذه البلاد بارسال حملة ولكنها فشلت ثم تمكنوا ـ بناء على نصيحة انجليزية ـ من عقد اتفاقيـــة مع سلطان زنجبار تعطيهم الحرية فى شرق افريقية . وتم هذا فعلا فى ٢٨ من مايو عام ١٨٨٥ . ثم قامت ايطاليا بابلاغ الدول فى ٢٠ من مايو عام ١٨٨٩ بوضع نفوذها على بلاد الصومال الواقعـة بين الصومال الانجليزى وأراضى سلطان زنجبار . ثم أعلنت حمايتهـا بعد ذلك على كل أجزاء الساحل الشرقى لافريقية .

* * *

هـــذه هى قصة الخطوات الثقيلة التى داست أرض الصـــومال بعنف وقسوة ، ولـــكن نبض الحرية الحى الذى يتحرك دائما فى أعمـــاق كل الشـــعوب قد تجمع أكثر من مـــرة . فرأيناه يتمثل فى قيادة المواطن الصادق ((**محمد عبد الله حسن**)) الملقب بمهدى الصومال الذى اســـتطاع النيل من الاستعماريين . ممـــا جعـــل مسلمى العـــالم يعجبون به فى الهنـــد والقسطنطينية ، والقاهرة ، ويرونه مركز ثقل للمقاومة الاســـلامية فقد أعلن عقب الحرب العالميـــة الأولى ، الجهاد المقدس ((ضد الدول الاستعمارية التى تحكمت فى مسلمى الهند ، ووادى النيل ، ومسلمى شـــمال افريقية ، ومسلمى وسط آسيا)) ، ولكن هـــذه المقاومة الصادقة طويت فيما طوى من الحركات الصادقة فى هذه الفترة ! .

* * *

ثم كانت المقاومة الأخيرة الواعية التى لم تقبل مساومات المستعمرين ، ومهمـــا كان الخطر التى يتهـــددها كازدياد النفوذ الغربى ، والأمريكى ، وظهـــور المســـاومات الانجليزية ، والتلاعب الايطالى ، والجمود الفرنسى والحبشى . . مهمـــا كان الخطـــر فالصومال مصمم على أن يستقل ، وعلى أن تتحد كل أجزائه ، وتمتزج مع الكيان الافريقى العام .

* * *

.. وهـــكذا يعطينا المؤلف صورة صـــادقة للصراع الدولى فى الصومال بما فيـــه مصر رغم أن عنوان الكتاب هو ((العلاقات المصرية الصومالية)) فهو هنـــا أشـــبه بكتاب آخر سبق للمؤلف بعنوان ((التنافس الدولى فى الصومال)) وهكذا أرى المؤلف يكرر نفسه ، ويمر بحوادث مر بها من قبل .



شخصية العدد

ماريان أندرسون

الزنجية التى بلغت قمة المجد الفنى فى بلد يفرق بين الأبيض والأسود

نشأت ماريان أندرسون ، كما ينشأ أى طفل زنجى فى ولاية فيلادلفيا من أب زنجى كان يكسب قوته الضرورى – على حد تعبيرها – من العمل فى احدى غرف التبريد بسوق « ديدنج » وأم زنجية قضت طفولتها فى مدينة « لينشيبورج » من أعمال ولاية فرجينيا .

وظل تاريخ ميلاد ماريان سرا تحتفظ بهلنفسها طيلة حياتها ، وحتى عندما روت قصتها فى كتابها الذى كان من أمتع التراجم الشخصية التى طالعها قراء الانجليزية .

قالت «لقد ولدت فى شارع ويستر بجنوب فيلادلفيا فى السابع والعشرين من شهر فبراير ، أما السنة التى ولدت فيها فلعلها أمر لا أهمية له ، ولست أجد سببا معقولا لذكره » .

وعندما تحدثت ماريان عن طفولتها الساذجة فى كتابها « الفجر المضىء » كتبت بأسلوبها العادى ، الذى ينم عن روح شفافة وحساسية انسانية مرهفة تقول ..

« كنا نعيش فى بيت جدتى العجوز وهو منزل متواضع خصصت لنا فيه جدتى الطيبة حجرة فسيحة نقيم فيها أنا وأمى ، وأذكر يوما زارنا فيه أحد أطباء المدينة ، لأمر لم أكن أعرفه يومئذاك ، وكان يحمل فى يده حقيبة سوداء .

فاختفيت تحت السرير ، وظللت هكذا حتى غلبنى النعاس فرحت أغط فى نوم عميق ، وفجاة أيقظتنى صرخة باكية كانت أولىصرخات أختى الجديدة « اليس » فأخرجت رأسى من تحت السرير ووقع بصرى على الطبيب وحقيبته ، وخيل الى أن هذا الطبيب قد جاء الينا بهذه الطفلة فى حقيبته التى كان يحملها فى يده .

وعندما انتقلنا الى الدار الجديدة التى استأجرها لنا أبى فى شارع « كولورادو » بالقرب من دار جدتى أحسست بشىء من الحرية ، فى أن ألهو وأجرى وأصرخ كما أشاء ، الا أن هذه الدار لم يكن بها مع الأسف حمام حديث تتوافر فيه بعض وسائل الراحة ، ولذلك فقد كانت أمى تضع لنا مرة فى كل أسبوع حوضا كبيرا من الخشب داخل المطبخ وتملؤه بالماء الساخن ثم تسقطنا فيه وتأخذ فى تنظيف أجسامنا باللوف والصابون ..

وتعود والداى أن يصحبانى معهما دائما الى الكنيسة فى أيام الآحاد ، وعندما بلغت السادسة من عمرى أصبحت ضمن أطفال جوقة الأناشيد بالكنيسة ، التى كانت تؤدى ترانيمها

تحت اشراف رجل يدعى « ألكسندر روبنصون » . وقد اكتشف « روبنصون » موهبة حسن الصوت عندي فأعطاني لحنا موسيقيا لنشيد « عزيز على قلب الراعي » كنت أستذكره مع زميلة لي تدعى « فيولا » وكانت تقطن في الشارع الذي يقع فيه بيتنا ، وكانت « فيولا » تغني طبقة « السوبرانو » بينما أغني أنا طبقة « الألتو » في النشيد . وجاء يوم الأحد فأدينا اللحن بدقة فائقة أثارت اعجاب المستمعين ..

وكانت هذه أول مرة أغني فيها لحنا في مكان عام .

وحدث ذات يوم أن أشترى لنا أبي « بيانو » فأخذت أعزف عليه بأصبع واحدة بعض الألحان السهلة الخفيفة ، وأثناء ذهابي الى « الكواء » في أحد الأيام وصل الى أذني صوت عزف على البيانو تؤديه سيدة زنجية مثلي ، وعندئذ قلت لنفسي ، ولم لا أجيد العزف مثلها ؟ . ومن يومئذ حرصت على التمرين المتواصل ، حتى كان في استطاعتي أن أعزف كثيرا من الألحان الكنسية دون حاجة الى نوتة أرجع اليها ..

وكانت لي عمةمشغوفة الى حد بعيد بأداء الألحان الدينية ، فطلبت الى أن أسهم بالغناء في حفلة أقامتها لمساعدة أحد القسس الفقراء ، تشجيعا له على رعايته للكنيسة الصغيرة التي أقامها في أحد متاجر فيلادلفيا .

وفي أحد الأيام كنت في طريقي الى البدال لشراء بعض الحاجيات لأمي فوقع بصري على اعلان صغير ملقى على الارض . ولما التقطته وجدت في أحد أركانه صورة لي كتبت تحتها هذه العبارة « تعالوا لتسمعوا المغنية الطفلة ، انها في العاشرة من عمرها ! »

وبالرغم من المجد الفني العظيم الذي أحببته فيما بعد لم أشعر قط بمثل هذه النشوة التي أحسستها يوم أن وجدت صورتي في الاعلان الملقى على الأرض .

وعندما بلغت الثانيةعشرة من عمري وقع حادث خطيرفي حياة أسرتي ، اذ أن أبي قد أصيب في رأسه بورم خبيث لم يمهله الا أياما قلائل ثم قضى نحبه فاضطررنا الى العودة الى منزل جدتي مرة ثانية ، وكانت جدتي تكسب رزقها من العمل كمربية لأطفال العاملات في المدينة ، وأحست أمي مدى العبء الذي ألقي على كاهلها بعد وفاة والدي ، فالتحقت بالعمل لتحصل لنا على قوتنا أنا وأختي « أليس » ، ورفضت عروض الزواج التي تكررت أكثر من مرة من بعض الزنوج الذين كانوا يعرفونها ، فقد كانت تفضل دائما التضحية من أجلنا بكل شيء لديها ، وعندما كان أقاربها وجيرانها يقولون لها « لقد كبرت ماريان فلماذا لا تدعونها تخرج وتعمل ! » كانت ترفض هذه الفكرة رفضا باتا ، لأنها كانت تطمع في أن أواصل دراستي حتى آخر مرحلة فيها وقد ألحقتني بعد أن حصلت على شهادة الدراسة الثانوية بمعهد « وليم بن » ثم انتقلت بعد ذلك الى المدرسة التي كانت تديرها الدكتورة « لوسي ولسون » وهي سيدة لطيفة كانت تمتاز بسعة الأفق ورقة

الاحساس ، فأولتني جانبا كبيرا من اهتمامها وعنايتها ..

أحلام الشباب :

لقد كان لحادث وفاة والد «ماريان» اثر اصابته بتورم في رأسه أثر كبير في نفسيتها ، فأخذت تحلم بأن تكون طبيبة تعالج المرضى حتى لا يموتوا كما مات أبوها . وكتبت في قصة حياتها تقول « استبدت بى رغبة ملحة فى أن أتقن فن الجراحة فى صباى وأن أتعلم شيئا يفيد اخوانى وبنى جنسى ... لقد كنت أريد أن أصلح الأعضاء المشوهة فى أجسام الناس ولكننى اكتشفت فيما بعد أن الغناء وأداء الالحان العذبة نوع آخر من العلاج الروحى ، يمكن أن يصلح النفوس ويقوم الأخلاق ، فمرض النفس أخطر من مرض الجسم ..

وراودتنى فكرة فى أن أكون راقصة باليه ، أنقل الى الجماهير بتعبير حركى فوق خشبة المسرح كثيرا من المعانى الانسانية السامية ، ولكن سرعان ما اتضح لى حين واجهت الأمر الواقع أننى لا أصلح للرقص الجميل ، فاتجهت للغناء .

وكان الأب «باركس» راعى الكنيسة التى انتمى اليها يقيم حفلة سنوية كبرى يغنى فيها « رولاند هايز » الذى كان بالنسبة لى مصدرا للوحى والالهام ببعض ألحانه العالمية الشهيرة وكان الأب باركس يدعونى الى الغناء فى هذه الحفلات ، ومن هنا توطدت الصلة بينى وبين هانز الذى ظل يلح على فى أن أدرس الموسيقى على يد بعض الأساتذة المتخصصين . ثم التقيت بالفنانة الزنجية « مارى سوتدرز باترسون » صاحبة الصوت الساحر التى عرضت على أن تعلمنى كل ما تعرفه ، وتدرسه لى بلا مقابل ، وعلى يد هذه الفنانة الكبيرة تعلمت الشيء الكثير عن فن الغناء ، فقد علمتنى ألا أستنفد طاقتى الصوتية أثناء الغناء وأن أستخدم صوتى بحيث تظل طاقتى الغنائية سليمه ، وساعدتنى فى حفظ لحن « الوردة والحمامة والزنبقة » لشوبرت . .

التفرقة العنصرية والفن :

وأحسست بعد أن اتجهت الى الغناء بكل مشاعرى وعواطفى أن الدراسة الموسيقية التى تقوم على أسس فنية وقواعد علمية أمر لابد منه اذا كنت أطمع فعلا فى أن أكون شيئا فى عالم الفن ، فعقدت العزم على الالتحاق باحدى مدارس الموسيقى التى أشار على بها بعض أصدقائى .. وفى أحد الأيام انتظمنى صف طويل كان يضم طائفة من الراغبين فى تسجيل أسمائهم بهذه المدرسة ، وكانت هناك فتاة على جانب من الجمال تجيب على الأسئلة ثم توزع طلبات الالتحاق . وعندما جاء دورى تجاهلتنى كما لو كنت غير موجودة ، وتحدثت مع الشخص الذى كان خلفى ، فتجمدت فى مكانى فترة طويلة انتهت فى خلالها من طلبات الجميع ، ولما لم يبق أحد سواى ابتدرتنى بلهجة عنيفة قائلة : ماذا تريدين ؟ وكان حبى للفن يجعلنى أتحمل الكثير من المصاعب والعقبات فتجاهلت لهجتها وأجبتها : اننى أريد الالتحاق بالمدرسة

فرمقتني بنظرة ساخرة تفيض بالازدراء والاحتقـــار وقالت : وكأنها تنتزع الألفاظ من شـفتيها « اننا لا نقبل الملونين » .

وأخرستني هذه العبارة فلم أستطع أن أتفوه بحرف واحد بعدئذ وحز في نفسي أن أرى فتاة في ميعـة الصبا تتفوه بمثل هذا الكلام ، ولا أدري لماذا صدمني شبابها مثلما صدمني كلامها ولم أتصور كيف لا تشعر هذه الفتاة بجمال الموسيقى وسحرها في هـذا الجو الذي يفيض بالالحان والنغمات .

وآليت على نفسي ألا أناقشها أو أطلب مقابلة رئيستها فربما واجهتني صدمة أخرى قد لا تقوى أعصابي على احتمالها . لقد كنت أعتقد أن معهد الموسيقى هو آخر مكان أرى فيـــه التفرقة بين الانسان وأخيه الانسان بسبب لونه أو جنسيته ... صحيح أن لوني أسود وهم بيض ولكن شعوري لا يختلف عن شعورهم ، وبعد أن مرت بي هـــذه التجربة القاســـية قررت أن لا أسعى الى الالتحاق بأية مدرسة أخـرى ، خـوفا من أن يكون للرفض بسبب لوني أثر يسيء الى نفسي .. لقد سمعت كثيرا عن التمييز بين البيض والسود من أصـــدقاء أسرتي واقاربي الذين كانوا يترددون علينا من الولايات الجنوبية ، ولكنني لم أكن أتصور أن الحقد بسبب اللون قد يصل الى هذا الحد .. لقد قمت برحلة الى مدينـــة « سافانا » يوم كنت طالبة بالمدرسة الثانوية ولم أبلغ محطة «واشنجتون» حتى جاء من يأمرني بالانتقال ومعي أمتعتي الى العربة الأمامية المخصصة للركاب الزنوج ، وهي عربة قـذرة تهشـــم زجاج نوافذها وتمزق جلد مقاعدها ، لقـــد كانت أفكاري أثناء قيامنا في « سافانا » معلقـــة بتلك العربة الأمامية التي أصر المسئولون على أن نعود فيهـــا عنـــد رجوعنا الى « واشـــنجتون » ولقـد أحسست يومئذ بالألم والخجل كلما نظرت الى عشيرتي في القطار .. كان بعضهم في أشـــد حالات الحرج ، وكنت أقول لنفسي : ان بعض العادات قد تصبح شيئا محمودا لو كان لها هدف رفيع ، ولـكنها تكون خطرا مدمرا ، عندما يكون معناها أمرا سيئا لابد من الاذعان له باعتباره أمرا واقعا .

ولقـــد كان ترددي على اسـتديو « مستر يوجيني » نقطة تحول كبير في حياتي الفنية ، فقد تعلمت على يد هذا الاســتاذ أن المران الطويل هو الشيء الوحيد الذي يجعل المرء متأكدا من نفسه عنـدما يغني ، مهما كانت ظروفه وأحواله . ولقد أشار علي بأن لا أغني اللحن البطيء فحـــرمني من انشاد أغنيتين عزيزتين على نفسي هما « السلام لك يا مريم » في « أوبرا عطيل » لفردي ، و « أيهـا المنقذون الأعزاء » لهانتل .

وفي استديو الأستاذ « يوجيني » قابلت « مسز باترســـون » التي نصحتني بالبحث عن عازف « بيانو » يلازمني دائما عند أداء ألحاني ، وكان مجرد سماع مثل هذا الكلام يبعث في موجـة من النشـوة والسرور ، ذلك لأن حصولي على عازف « بيـــانو » يصحبني ، معناه أنني قد حققت فعلا خطـوة كبيرة الى الأمام ، ولم يمض غير وقت قليل حتى كان « بيلي كنج »

عازف البيانو الشهير ـ يتجول معي في حفلاتي التي كنت أقيمها ، وبدأ اسمي كمغنية يقفز الى قائمة أصحاب الأسماء اللامعـــة في « فيلاديلفيا » حتى وقع الاختيار على للغناء في معهد الموسيقى بالمدينـــة ، وازدادت ثقتي بنفسي عندما غنيت في «واشنجتون» تحت رعاية جامعة « هوارد » شعرت يومئذاك وأنا أؤدي لحن « الصباح » بأن هـذا اللحن قد أصبح له معنى جـديد بالنسبة لى ، اذ كانت دلائل الارتياح والرضا تبـدو واضحة على وجوه المستمعين ، ولقد شجعني ذلك على التفـــكير في الغنـــاء على مسارح « نيويورك » ، ولـكنني أصبت مع الأسف بصدمة عنيفـة يوم انفرجت الستارة عنى وعن « بيى كنج » في مسرح « نيويورك » ، ولم أجـد الا حفنة من المتفرجين تناثرت هنا وهناك في مقاعد متباعدة في القاعة ، وعندما طالعت صحف صـــباح اليوم التالى لم أجد الا كلمة كتبها أحـــد النقاد الفنيين يقول فيها لقد غنت « ماريان أندرسون » ألحان « براهمس » ، كما لو كانت تكرر شيئا حفظته عن ظهر قلب ، فعدت الى « فيلاديلفيا » وقلبي يتفطر حزنا وأسى ، وشعرت بأنني ضـــللت طريقي ، وتملكتني عقدة نفسية كادت تقضى على كل ميل عندى للغناء والموسيقى . لقد كان على أن أدرك أولا أن تلك القـــــاعة في « نيويورك » انما تمثل التيار الرئيسي في الحياة الموسيقية الأمريكية ، وأن الواجب كان يحتم على أن أزن الأمور بميزان دقيق ..

ولا أستطيع أن أنكر مدى ما كان لهذا الحادث من أثر عميق على نفسى ، لقد تحدثت الى أمي ، وكنت أؤكد لها دائما أنني أحاول أن أبذل كل ما في طاقتي ، لـكى أغنى على نحو يرضى الجميع ، وكانت أمي تقول لى « ان أى شيء يفعله المرء يا بنيتى في هذا العالم لا يمكن أن يرضى الجميع حتى ولو بلغ فيه درجة الكمال » .

ثم توطـدت العـــلاقة بيني وبين « أرفيوس فيشر » وهو الاسم الحقيقى لـ « بيلى كنج » ولم يعد أحدنا يطيق صبرا على فراق الآخر ، وكان « كنج » حريصا على أن يتمم دراسته العالية في معهد الفنون بمدينة فيلاديلفيا ، وحدث في أحد الأيام أن دعاني لزيارة أسرته في « واشنجتون » ، ولم أكن أدرى يومئـذ سر الاحساس الغريب الذى تملكنى عندما عرض على « كنج » السفر ، ولم يسعنى غير تلبية رغبته وتحقيق طلبه ، فسافرت معه ، والتقيت هناك بمعظم أفراد أسرته ، ولم يكن « كنج » يتوقع منى أن أفهم سر هذه الزيارة ، الا أن نظرة أمه وأختيـه وباقى نســـــاء الأسرة الى بعيونهم الفاحصـــة كانت بالنسبة لى أوضح وأقوى من أى تعبير آخر ، وأصبحت بعد ذلك « مسز كنج » التى تحرص على ارضاء الرجل الذى تحبه ويحبها ، وبدأت السحابة الكئيبة التى خلقتها ليلة الفشـــل في قاعة « نيويورك » تنزاح قليلا قليلا من سماء حياتي ، وذلك عقب فوزى في المســابقة التى أقامتهـــا « جمعية فرق الموسيقى » بفيلاديلفيا ، ونتيجة للتشجيع القوى الذى كنت ألقاه من « بيلى كنج » وبعد أشهر قليـــلة من نجاحى في هـــذه

المسابقة أعلنت جمعية « لوبسوهون » للحفلات الموسيقية بمدينـة نيويورك أنها ستجرى مسابقة لاختيار أفضل المغنيات ، وتعهدنى الأستاذ « يوجينى » بالتمـريـن المتواصـل والتشجيع المستمر ، حتى جاء اليوم الموعود الذى كانت أوصالى ترتعد منه خوفا ورعبا فوقفت أمام لجنـة التحكيم من كبار الموسيقيين والفنانين ، وخيل الى عندما نظرت الى القاعة كأننى أتطلع الى بحر من الوجوه ، وحيتنى الأكف بتصفيق الترحيب والاستقبال . ووقفت بعد أن همس « يوجينى » فى أذنى ببعض نصائحه التى كان أهمها أن أمضى فى الغناء وأركز اهتمـامى بالجزء الذى يرتعش فيه صوتى ، بوجه خاص ، مهما حدث ، وعنـدما عزفت الفرقة الموسـيقية لحن الأغنيـة انطلقت أصـاحبها بصوت متناسق دقيق . وأديت الأغنية حتى نهايتها ، وكنت بين الحين والآخر أختلس النظرة الى وجوه أعضاء لجنة النحكيم ، وأتفرس فى وجوه الجماهير علنى أقرأ فيهـا شيئا يجعلنى أثق بقـدرتى الفنية . ولـكن الصمت المطبق الذى خيم على المسرح كان أكبر دليـل عـلى مدى ما بلغته من النجـاح فى أداء دورى ، وانتهت المسابقة بعـد أن فزت فيها بمكان الصدارة من بين المتسابقات ، فكانت هـذه هى بداية سلم المجد الحقيقى الذى رقيت درجاته فى ثقـة واطمئنان ، وانهالت على العروض من كل مـكان ، وبلغ ما أتقاضاه ٣٥٠ دولارا كل يوم .. وشجعنى هذا النجاح على أن أفعل شيئا لأتقـدم ، وكانت فكرة السفر الى أوروبا قد ملأت على تفكيرى ، فعرضت الامر على « مستر لاقورج » فقـال لى « اذا ذهبت الى أوروبا فلن يكون ذلك الا ارضـاء لغرورك فقط ! » فأجبته اننى سأذهب لهذا الغرض !

وكان تدبير المـال اللازم للسـفر مسألة لها أهميتها القصوى ، الا اننى استطعت أن أتغلب عليها بقبولى السفر على الدرجة الثالثـة فى باخرة قديمة تدعى « ايل دى فرانس » وكانت الرحـلة ممتعـه حقـا بالرغم من اننى كنت وحيدة فى معظم أوقاتى . ووصلنا الى مدينة لندن وهناك اتجهت الى اقليم « سـاسكس » لأقابل الأستاذ « ريموند فون زور موهلن » أعظم أستاذ فى فن الغنـاء ، والحق أننى أحسست بالرهبـة والانفعال عندما وجدت نفسى وجها لوجه أمام ذلك الشيخ الفنـان فى غرفة نومه الواسـعة التى يزين أحد أركانها « بيانو » أثرى كبير ، طلب منى أن أغنى أمامه بعض ما أحفظه من الألحان فأديت أغنيـة « الشفق الأحمر » الألمانية ، وعندما فرغت من الغنـاء سألنى قائلا :

– هل تعرفين معنى هذه الاغنية ؟ ..

فأجبته :

– اننى لا أعرف معنى كلمـة من كلماتها ، ولذلك فاننى أشعر بالخجل

فنصحنى بألا أغنى أى لحن لا أعرف معناه ، ثم طلب الى أن أغنى أى لحن أحفظه أداء أو كلاما ففعلت ، وبينما كنت منفعلة مع كلمـات الأغنيـة وموسيقاها ، دق بعصاه الغليظة على الأرض وهو يقول : انتظرى لحظـة انك تغنين كملكة ! مع أننى لم أتوجك

بعد .. ! وأحسست عندما سمعت هذه العبارة من « ريموندفون » أننى أصبحت أساوى شيئا ما فى عالم الغناء . وأتيحت لى الفرصة فى لندن لعرض فنى أمام جمهورها المثقف ، وعلى مسرح « الريجمور » أديت ألحانى فى سلسلة من الحفلات التى تعاقدت عليها مع « هنرى وود » وشعرت بحنين الى « واشنجتون » ولياليها الصاخبة ، فعقدت العزم على العودة اليها بعد انتهائى من العقد الذى ارتبطت به فى لندن ، وفى مدينة « شيكاغو » وبينما كنت فى حجرتى بالمسرح تلقيت رسالة يحملها الى الساعى من سيد واقف بالباب ، وتبينت فيه بعد أن مثل أمامى « داى فيلد » ممثل احدى الجمعيات الألمانية فى أمريكا ، فتحدث معى عن رأيى فى القيام برحلة الى ألمانيا للغناء فى مسارحها ، ولم أكن مستعدة لرفض مثل هذا العرض ، فطالما كنت أحلم بالسفر الى ألمانيا ، ومقابلة أستاذ الموسيقى العالمى « مايكل راوشيش » وذهبت الى ألمانيا والتقيت بـ « مايكل » تحقيقا لنصائح كل زملائى وبذلت كل ما فى جهدى لكى أغنى على مسارح برلين ، واستطعت بعد صبر طويل أن أقف أمام الجمهور على مسرح قاعة « باكشال » وغنيت بعض الألحان التى أطربت كثيرا من المستمعين ، ودفعت بعض نقاد الصحف الى أن يهتموا بى ، ويكتبوا عنى مقالات تتضمن اعجابهم وتقديرهم لفنى .. وبعد نهاية الحفلة تلقيت عرضا بالسفر الى النرويج .

الزنوج فى شمال أوروبا :

وذهبت الى النرويج ، ودهشت كثيرا لأننى لاحظت أن رواد المسارح وقاعات الغناء فى هذه البلاد لم يألفوا بعد رؤية الزنوج ، وقد ضحكت عندما قرأت وصف صحف الشمال لى وقالت عنى « ان المغنية ترتدى ثوبا من الساتان الأزرق البراق ، وتبدو كقطعة الشوكولاتة ! » وكتبت صحيفة أخرى تقول « ان لونى قريب من لون اللبن الممزوج بالقهوة » الخ ..

وخشيت أن يكون لسواد بشرتى أثر على نجاحى كفنانة بذلت كل ما تملك لكى تصبح شيئا يحبه عشاق الألحان . ولقد كنت أقول لنفسى انه لا حيلة لى فى لون بشرتى ألست أحس وأفرح وأحزن وأفهم ، كما يفعل البيض .. ! فلماذا اذن يفرق الناس بين انسان وآخر بسبب لونه ... ؟ لماذا لا يكون التمييز قائما على أسس معقولة حتى يستريح الجميع .

ومهما يكن الأمر ، فقد استطعت أن ألهب أكف الجماهير اعجابا بفنى فى كل بلد نزلت فيه من بلاد شمال أوروبا ، وازدحم المعجبون على شباك التذاكر ، حتى كانت تنفد فى ساعات من عرضها فى « استكهولم » و « هلسنكى » و « كوبنهاجن » وغيرها من كبريات مدن البلاد الاسكندينافية ..

وعدت الى أمريكا بعد أن سبقتنى اليها أخبار نجاحى ، فأحس الزنوج أنهم قد أصبحوا شيئا له أهميته فى الحياة الأمريكية ، ولم ألبث أن تلقيت

الدعوة مرة ثانية للسفر الى البلاد الاسكنديناقية فأسرعت بقبولها ،

ثم سافرت الى لندن وباريس ..

ودعيت بعد أن عدت من أوروبا للغناء فى قاعة نيويورك التى فشلت فى الغناء على مسرحها فى يوم من الأيام . فغنيت نشيد « التحية » لهاندل ، وهى أغنية تبدأ بنغمة طويلة تتطور الى نغمة سريعة ، ولكى يغنيها المرء على أتم وجه يجب أن يكون هادئا ، وينبغى للمرء اذا أراد أن يبدأ برنامجا بهذه الأغنية أن يكون واثقا من نفسه وأحسست بعد أن انتهيت من أداء هذه الأغنية أن الجمهور معى ، وطالعت صحف الصباح فوجدتها مليئة بالاعجاب والثناء ، وضحكت عندما رأيت الصور الكاريكاتيرية لى فى معظم الصحف الفنية ، وأدركت حينئذ أننى قد حققت بعضا من أحلامى ، فعزمت على الغناء فى قاعة الدستور ، ولكن « جمعية بنات الثورة » رفضت ذلك بحجة أن العرف لا يسمح للزنوج باستئجار هذه القاعة ، وأدى مسلك هذه الجمعية معى الى أن تصبح مسألتى قضية عامة ومشهورة ، اشتركت فيها « مسز روزفلت » بالاستقالة من عضوية هذه الجمعية ، ولم يمض الا أشهر قليلة حتى أتيحت لى الفرصة للغناء فى هذه القاعة الرهيبة ، لقد كنت أكره الغناء فى أية قاعة تعمل حسابا لمسألة التفرقة العنصرية ، ولكن قاعة الدستور يجب أن يكون فيها موضع للزنوج ما داموا فنانين ..

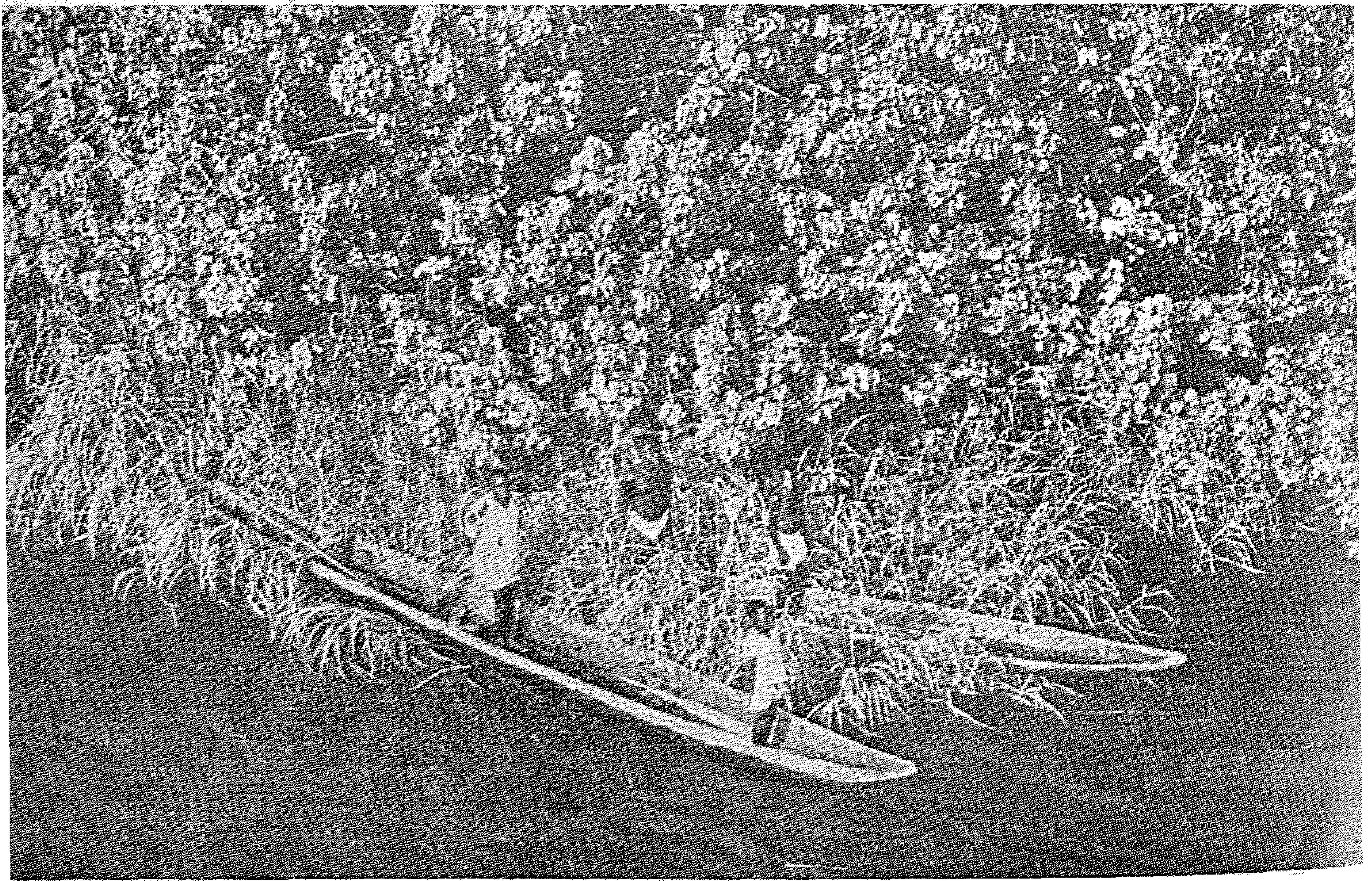
وهكذا غنيت حتى أؤكد مبدأ جديدا لبنى جنسى .

وتاقت نفسى الى السفر الى بلاد الشرق لأن تقاليد هذه الشعوب وعاداتها تختلف عن تقاليد الأمريكيين وعاداتهم ، فاخترت اليابان من بينها ، وفى « طوكيو » رأيت عددا كبيرا من المستقبلين كانوا فى انتظارى ، اذ أن الاذاعة اليابانية قد أعلنت عن قدومى ، وما كنت أعلم قبل ذلك أن اسمى قد أصبح معروفا فى هذه البلاد ثم دعيت لزيارة القصر الجمهورى حيث قابلت الامبراطورة ، وغنيت أمامها .. ولم تكن هذه أول مرة أقابل فيها أناسا يصعب على الانسان أن يقابلهم بسهولة ، فقد التقيت بـ « ألبيرت اينشتاين » العالم الذرى الكبير ، وأطرى كثيرا صوتى وغنائى وغنيت بعد ذلك أمام ملك انجلترا ، وغيره من قادة العالم .

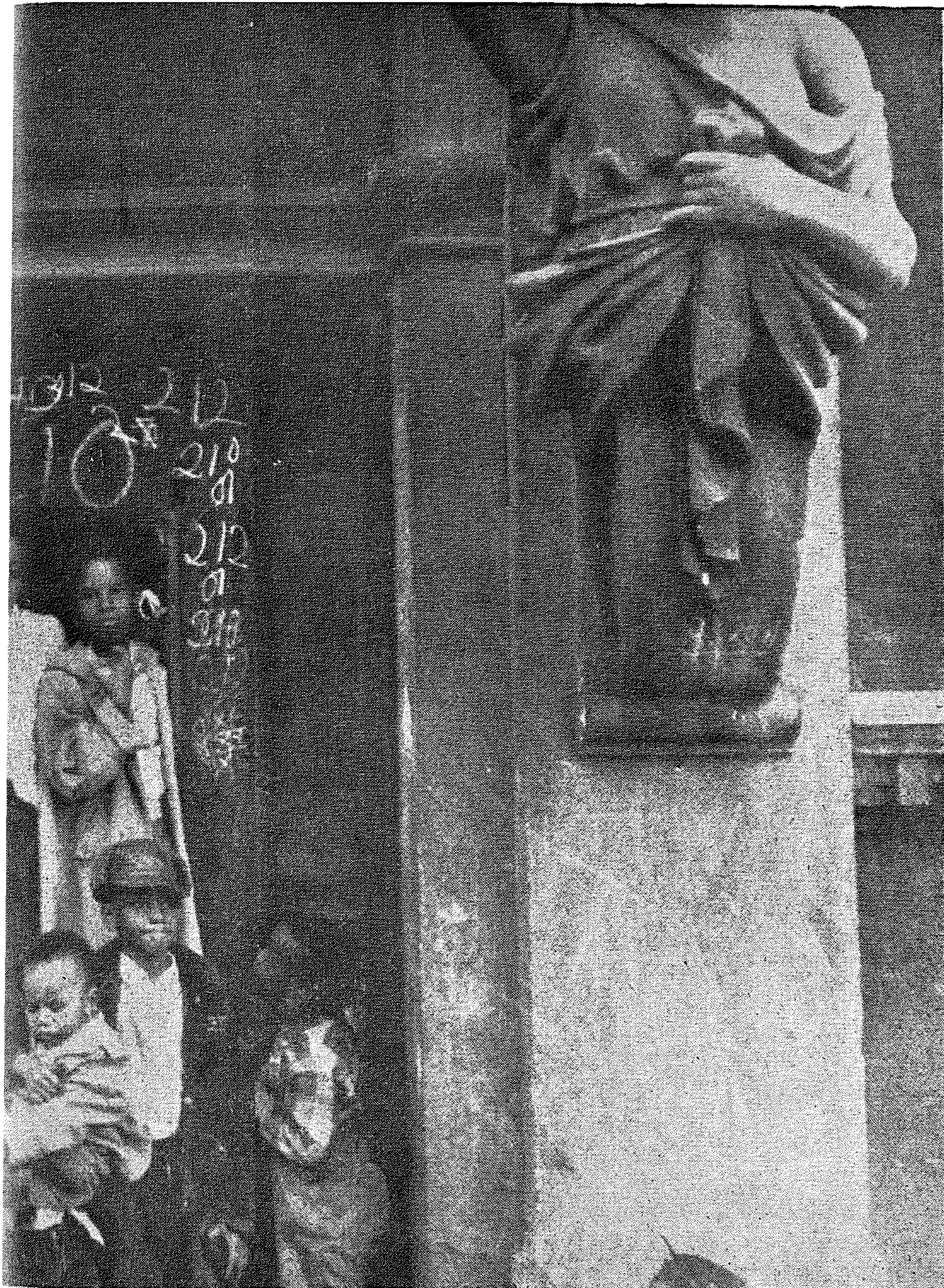
وفى سبتمبر عام ١٩٥٤ أديت ألحانى على مسرح « المتروبوليتان » فكان ذلك بداية الطريق الى قمة المجد الفنى الذى يمكن أن يحققه أى فنان كبير ، لقد كان لظهورى على هذا المسرح العالمى الكبير أهمية بالغة بالنسبة لأهلى وبنى جنسى ، فقد كنت أول زنجية نجحت فى الوصول الى خشبته وأصبحت عضوة فى فرقة « المتروبوليتان » .

لقد شجعت هذه الخطوة غيرى من المغنيات الزنجيات على أن يدركن أن الأبواب فى كل مكان ، تنفتح أمام من تبلغ درجة الاتقان .

جولة مصورة حول

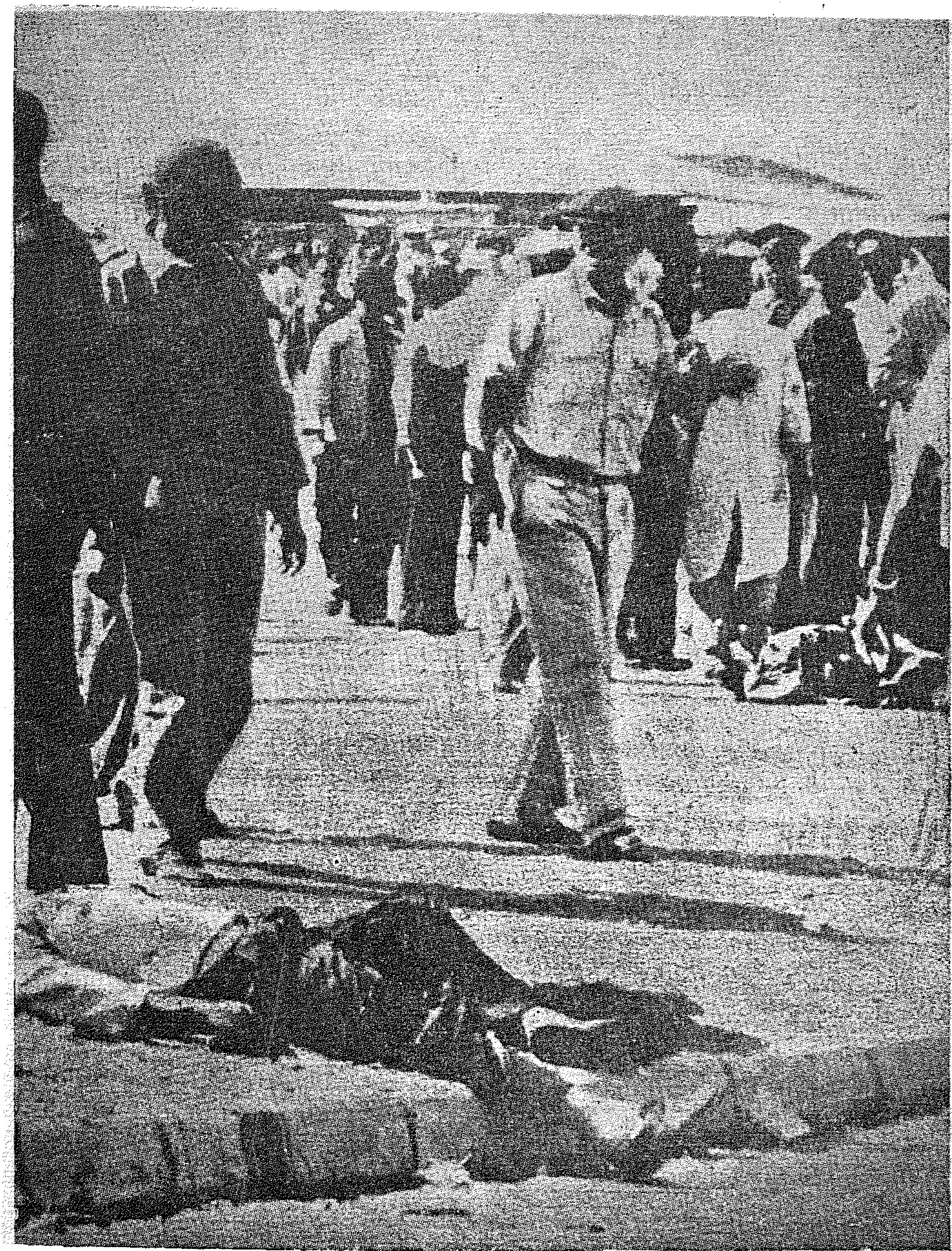


عبور النهر





76



ضحايا الاستعمار فى جنوب افريقية

الاستعمار الثقافى فى افريقية

بقلم الأستاذ حلمى شعراوى

ليس خطر الاستعمار الغربى فى أفريقية مقصورا على سوء استغلال اقتصادياتها وثرواتها أو تخلف مستوى معيشة شعوبها فحسب ، بل ينعكس خطره كذلك على جوانب أخرى من الحياة ـ لابد أن تضعها الشعوب الأفريقية نصب أعينها ـ وهى تكافح للتخلص من عبء السلطة السياسية الاستعمارية والاحتكارات الكبرى ، الضاربة بجذورها فى مقدرات حياتهم . ومن أبرز مظاهر هذه الأخطار الأخرى ، ما يصيب **((الثقافة الأفريقية)) منها** .

ولست الآن بصدد تعريف الثقافة او البحث فى ملامح الثقافة الأفريقية نفسها ، ولكنى بصدد التعرف على آثار الأخطبوط الاستعمارى فى قوى الانسان ، ووسائله فى التعرف على الحياة ، أو التعبير عن وجهة نظره فيها ، وأقصد بذلك التعليم من جهة ، والصحافة من جهة أخرى . وهناك الوان أخرى كثيرة تضيق هذه الصفحات الضئيلة عن سردها ، مثل الفنون والآداب وغيرها ، ولكنى سأقتصر على التعليم والصحافة ، باعتبارهما أكثر ظواهر الحياة الثقافية المادية ، وأكثرها شهودا ووضوحا للعيان ، فى الخارج ، مادام لم يتح لنا أن نعيش مع الآداب والفنون فى القارة من الداخل .

كما أنى أريد أن أنبه الى أننا لا نستطيع تناول القارة كلها بالدراسه وانما سنختار منها ما يكفى للتعبير عنها فقط لا ما يمثلها تمام التمثيل .

وكذلك لن نلجأ الى فصل الظواهر بعضها عن بعض فنتعرض للتعليم تارة والصحافة تارة أخرى ، وانما الذى يمكن عمله أن نحدد ملامح الاستعمار الانجليزى مثلا ، ثم نرى كيف تنعكس فى بعض المستعمرات فى جوانب من سياسته . وسنلجأ الى ذلك فى حديثنا عن ألوان الاستعمار ، لأن السياسة والأساليب الاستعمارية فى مختلف النواحى تختلف باختلاف فلسفة المستعمرين وطبيعة حضارتهم ، وان كان هذا لا يعنى أننا نتناول الحضارات الغربية مثلا بالتقييم ، ذلك لأننى لا أطمئن كثيرا الى القول بأن ما يجرى فى المستعمرة ممثل لحضارات الشعوب الأوروبية نفسها ، فالواقع أن الذين يعيثون فسادا فى المستعمرة ومقدراتها هم طبقة من أصحاب المصالح تتحكم فى الشعب الأوروبى نفسه ، وتضلله ، كما تتحكم فى الشعب الافريقى وتستغله ، ويوم تتخلص شعوب افريقية من هذا العبء ستسهم مع الشعوب الأوروبية فى التخلص من

العبء نفسه ، ويومئذ سيتاح للثقافة الأفريقية الازدهار ، لتقف بجوار غيرها لصالح الانسان . أما الذى يحدث الآن ، والذى نود أن نكشفه فهو أن الثقافة فى أفريقية توجه الى ما يخدم مصالح اقتصادية وسياسية معينة ، لا يستفيد منها الا القليلون .

الاستعمار الفرنسى :

واذا ما بدأنا بالاستعمار الفرنسى مثلا باعتباره غريبا علينا فى مصر ، نجد أنه يتبع فلسفة معينة لا يغيرها، والفرنسيون ليست لهم المرونة أو القدرة على التلون كالانجليز الذين يستطيعون تغيير سياستهم فى اقليم عنه فى آخر ، وفى فترة عنها فى فترة أخرى . أما الفرنسيون فيكفى أن تعرف أن سوريا فى عام ١٩٤١ كادت تضرب بالقنابل حين قررت الغاء اللغة الفرنسية من التعليم الأولى والابتدائى ، والبدء بتعليمها فى المرحلة الثانوية ، كما أن من الأمثلة البارزة على هذه الصلابة أسلوبهم الثقافى فى الجزائر ، فقد أصبحت اللغة العربية غريبة عن أهلها ، وأصبحنا نقرأ الأدب الجزائرى فى النضال والكفاح وتسجيل بطولات الشعب الجزائرى باللغة الفرنسية مثل الأديب محمد ديب ، والمفكر مالك بن نبى ، وغيرهما .

والفرنسى ــ والمثقف اللاتينى على وجه العموم ــ يرى أن ثقافته شىء يفتخر به وأنه « شرف » لمن يعيشون فى المستعمرات أن يأخذوا بها ،وغايتهم أن يحققوها . وليت السادة الحكام قد نشروها بالفعل ، ولكن النظرة الاستعمارية هنا تلعب دورها ، فهم حين يعلمون اللغة الفرنسية فى المرحلة الابتدائية لا يتيحون للافريقيين أن يواصلوا التعليم بها ، وانما تكفى تلك المرحلة ليتكلمها الشعب كله ، وليستمع الى ما يقولونه أو يكتبونه بعد ذلك ، ولا يواصل التعليم بها الا الصفوة المختارة التى تتشرب الثقافة الفرنسية، وتهضمها حتى يقف الافريقى بجانب الفرنسى فى «الجمعية الوطنية» بباريس، ولكن ذلك فى حدود معينة هى أن يصل هؤلاء الزعماء الى مستوى زعماء المجموعة الأفريقية الفرنسية الحالية ، أو ما يعرف « بالكمونيتيه» ويصل أحدهم وهو «هوفى بونى» الى عضوية الوفد الفرنسى فى الأمم المتحدة ، والدفاع عن حق فرنسا فى تفجير القنبلة الذرية .

واذن فالظاهرتان الأساسيتان فى التعليم الفرنسى هما أولا : تجاهل اللغات واللهجات المحلية منذ التعليم الأولى أو الابتدائى حتى تخلق جيلا عاما من المتحدثين بالفرنسية «ليتشربوا التراث الفرنسى » . ثم تضييع الفرصة على الكثيرين بعدم انشاء المعاهد العليا أو الكليات فى المستعمرات وحرمانهم من مواصلة تعليمهم العالى . ويمكننا أن نلاحظ أنه ليست هناك أية جامعة أو كلية جامعة فى مستعمرة فرنسية ، تختار الصفوة منها ، وترسل الى « المتروبوليتان » لتتعلم هناك . ولا يمكن بالطبع أن نتصور عددا كبيرا من هؤلاء تكلف الادارة الفرنسية نفسها عناء ارسالهم الى باريس .

والظاهرة الثانية : لهذه السياسة أنه نادرا ما نرى طالبا من المستعمرات الفرنسية يتعلم فى بلاد أجنبية مثل انجلترا أو الولايات المتحدة . فى الوقت الذى نلاحظ فيه أنه يوجد أكثر من ٩٠٠ طالب من المستعمرات البريطانية يتلقون تعليمهم العالى فى الولايات المتحدة .

ويذكر «لورنس تيرنر» فى بحث له عن « أثر التعليم الغربى فى طريقة الحياة الافريقية » مثلا على شدة تمسك الفرنسيين بغرض ثقافتهم ، فيقول : « انه توجد فى المناطق الاسلامية من المستعمرات الفرنسية مدارس خاصة لأبناء الرؤساء يتلقون فيها التعاليم الاسلامية التى يحرصون عليها ، فيدرسون فيها تعاليم الشريعة والقرآن والفلسفة الاسلامية ، ولكن الحكومة الفرنسية تصر على أن تبسط ادارتها على هذا التعليم ، ولا تنسى أن تقدم أهم عناصر التعليم الفرنسى العام فيها .. قاصدة بذلك « فرنسة المسلمين » وتقريبهم اليها .

وقد اتبع هذا الشكل من السياسة التعليمية شكلا آخر فى العلاقات العنصرية ، اذ رأينا أن المستعمرات الفرنسية لا تعانى هذا اللون من التمييز العنصرى الذى تعانيه المستعمرات البريطانية ، ذلك لأن الفرنسى يرى باتباع هذه السياسة دائما أن الافريقيين فى طريقهم الى أن يكونوا فرنسيين ، وهو يعتبر الأرض الافريقية جزءا من فرنسا ولا يرتضى — مثلما يحدث الآن — أن تكون علاقته بها نوعا من الكومنولث وانما يعتبرها قطعة من الامبراطورية، ينالها من التغيرات الدستورية والسياسية ما ينال الجمهورية الفرنسية نفسها . ولا يعنى ذلك أن الافريقى ينال من الحقوق ما يناله الفرنسى فهناك تبدو الطبقة المستعمرة ممثلة فى المستوطنين الفرنسيين تقوم بدور خطير : فهى تفتت الملكية الأفريقية الجماعية ، وتحتال لتملكها . وترتفع فى مدارج الثراء ، على منوال الأسس الاقتصادية التى ينحط فيها الافريقى فى مدارج الفقر ، فيتمتع الفرنسى تلقائيا بالامتيازات كشخص ثرى ، ويحرم منها الافريقى كشخص معدم ، دون اثارة المسألة العنصرية !.

من أجل ذلك لا تمانع الادارة الفرنسية فى أن يكون المثقفون فى المستعمرة فى تنظيمات حزبية ، ظلت الى ما بعد الحرب العالمية الثانية بقليل امتدادا للأحزاب السياسية فى فرنسا نفسها ، والأحزاب الفرنسية لا تعمل الا لصالح فرنسا بالطبع . مهما كان اتجاهها الاجتماعى ، فلما تطورت الحركة الحزبية فى غرب أفريقية مثلا ، وتكون حزب التجمع الديمقراطى وفروعه المختلفة فى أقاليم غرب أفريقية (الفرنسية) ظل امتدادا لهذه السياسة ، وظل زعماؤه مخلصين له ، حتى انشق عليهم « سيكوتورى » وأصبح الحزب الديمقراطى فى غينيا نموذجا جديدا للتنظيم الحزبى الوطنى .

والحديث عن هذه النتائج فى السياسة يدعونا الى تناولها فى صحافة المستعمرات الفرنسية :

والأمر الجدير بالملاحظة أن صحف باريس نفسها مثل ((**الفيجارو**)) والـ ((**موند**)) توزع فى غرب افريقية أكثر مما توزع صحفها فى فرنسا . وليس ذلك غريبا ما دامت جميع أنواع الصحف تصدر بالفرنسية ، والمبدأ الذى يطبق فى التعليم بشأن تجاهل اللغات المحلية يتبع طبعا فى الصحافة ، فلا نجد صحيفة واحدة فى غرب أفريقية تصدر باللغة المحلية، أو تخصص جزءا منها لذلك ، على نحو ما تفعله بعض الصحف فى المستعمرات البريطانية ، هذا على الرغم من أن هناك لغات مشتركة بين عدة ملايين فى غرب أفريقية الفرنسى ، مثل لغة الفولاتى والسوسو .

هذا على الرغم من أن سكان هذه المنطقة يزيد عددهم على ١٧ مليون نسمة الأفريقيين ، ويعيش بينهم حوالى ٦٢ ألف نسمة من الأوروبيين الفرنسيين — فاننا لا نجد بها غير صحيفتين يوميتين فقط يملكهما رأسمالى فرنسى معروف يدعى ((**شارل دى برثوى**)) وهما جريدتا ((**بارى — داكار**)) و ((**ابدچان**)) **الصباحية**)) واكبر توزيع بلغته الأولى كان ١٣ ألف نسخة ويذكر كتاب ((**الصحافة فى أفريقية**)) أن معظم صحف هذه المنطقة يصدر فى ((**داكار**)) عاصمة السنغال ، والتى تعرف بباريس أفريقية ، ويتركز فيها الفرنسيون . وهذا ما يفسر صدور الصحف بها وتوزيعها ، ذلك لأن ((**داكار**)) فى الواقع بعيدة عن المناطق المزدحمة بالسكان فى أفريقية . ومعظم الصحف (الفرنسية) الأخرى ليست تعبيرا عن الشعب بأية حال ، وانما هى أدوات «دعائية» لجهات فرنسية مختلفة تبث من خلالها أغراضها ، وتثبت الأفكار الاستعمارية . فجريدة ((**أفريك نوفو**)) تصدرها الارسالية الكاثوليكية فى افريقية الفرنسية ، ويقفز توزيعها الى الدرجة الثانية ، وهى تناصر سياسة الحزب الكاثوليكى فى فرنسا ، وتنشر مبادئه بجانب مبادىء الارسالية التبشيرية . كما أن هناك جريدة أخرى فلسفتها هى الفلسفة التقليدية الفرنسية فى الاندماج وهى ((**افريقية الغربية الفرنسية**)) .

أما حزب التجمع الوطنى الذى كان مقررا أن يصدر صحفا وطنية فانه يصدر ((**افريك نوار**)) بالفرنسية فقط ! ، ولا يشغل الصحيفة بالنضال السياسى بقدر ما يشغلها بالاصلاح الاجتماعى ، فى ظل الاتحاد مع فرنسا. وهو قمة المثل . على ما ينال العقلية الافريقية من الاستقلال !! .

* * *

الاستعمار البريطانى

ويمكننا الآن أن نتناول أسلوبا آخر من أساليب الاستعمار ، وهو الوجه الانجليزى له . ونحن هنا نعرف عن الاستعمار الانجليزى الشىء الكثير، ولقد ألفنا أساليبه فى السياسة والتعليم وغير ذلك ، ولكننا قلنا ان الاستعمار الانجليزى يتميز بالتلون والمرونة . فهو فى مصر غيره فى السودان وهكذا .

والرجل الانجليزى على وجه العموم أرستقراطى بطريقة تقليدية تجعله يلبس الردنجوت عند العشاء ، وهو

في وســـط الغـــابات !! . وهــذه الأرستقراطية التى يســـافر بها الى المستعمرات هى التى تجعـــله يرى – على ما يقول چورچ باديمور – ان نفوذه يقوم على « جهل » من يعيش معهـــم فى المســـتعمرات ، لا على « تشبعهم بتراثه » كما يفعل الفرنسى فهـــو يقيس الافريقى بلون جـلدته لا بثقافته . والواقع أن هذه المسألة لا ترجع الى مجرد «المزاج الانجليزى» ولـكن الانجليز محتكرون محتـرفون رأوا منذ زمن بعيد أن وجود الاهالى يخدمهم فى استغلال الأيدى العاملة بأجور رخيصـــة ، وابعـاد الأهالى من أراضيهم والمدن لغرض مماثل . والذى يهمنا هنا هو الصورة التى تنعكس بها هذه الصورة على التعليم .

والذى يجب أن نلاحظه أن الانجليز ينكاثرون الى حد كبير بمجرد وجود مناطق صالحـــة لذلك مثـــل شرق أفريقيـــة ، فاذا صاحب ذلك الأخذ بمبدأ التفرقة العنصرية فى مختلف مظاهر الحياة أدركنا خطورة ما يفعلون ، ذلك أن وجود الانجليز بكثرة يجعل ميزانية الخدمات العامة مثل التعليم تمثل مصالح الأوروبيين وحدهم ، بحيث تبلغ تكاليف الطفل الانجليزى فى بعض المستعمرات عشرين ضعفا لتكاليف الطفل الافريقى . وبالطبع لا يجد جميع الأطفال غير هذه النسبة الضئيلة ففى شمال نيجيريا مثلا يتعلم طفل واحد من كل ٢٧ طفلا وينفق على جميع مراحـل التعليم ٢ مليـون جنيه فى حين أن مشروع السنوات العشر للتعليم فى نيجيريا يحتـــاج الى تعليم الأطفال فقط الى ٥ ملايين جنيه سنويا .

ويتبع نظرة الانجليز الى المستعمرة الى أنها بقرة حاوب – تضم مجموعة من البشر ، مثلما تحتوى على الثروة الحيوانية أو المعدنيـــة – أن هـذه المستعمرة لا صلة لها بالامبراطورية الا صلة المنفعة ، وهى ان تطـورت فلا بد أن تتـــدرج فى « أشـكال » لا يختلف آخرها عن أولهـا تبـدأ بالدومينون ، وتنتهى بالكومنولث ولها مجالسها التشريعية والتنفيذية . ومن خلال هذه الفكرة نرى سياسة التعليم فلا مانع من وجـــود مدارس ثانوية محدودة كما أن المستعمرات البريطانية تضم عـــددا من الكليات الجامعيـــة « ماكاريرى » فى أوغندا و « كلية غانه » فى أكرا وكلية « ابادان » فى نيجيريا ، وأن كانت أى منها لا تضم بحال أكثر من ٤٠٠ طالب فى جميع الفروع . وحتى المدارس الثـــانوية لا توجد بكثرة تمكن ملاحظتها ، اذ أن المنطقة الغربية فى نيجيريا مثلا ، التى تضم أكثر من ٨ ملايين نسمة لا يزيد عدد المدارس الثـانوية بها عن ١٠٠ مدرسة . وحتى هذه النسبة الضئيلة من التعليم تشرف هى عليها تماما ، وتضـــع لهـــا البرامج والمقررات ، « وتدرب المدرسين فى انجلترا نفسها تدريبـــا خاصـا ، ثم تبعث بهم الى المستعمرات ينفـــذون سياســـتها التعليمية ، . وقد بلغ عـدد المدرسين المدربين حتى سنة ١٩٥٣ حوالى ١٦ ألف مـدرس ، وتشرف عـلى هـــذا التدريب وزارة المستعمرات ، كما أن المجلس الدولى للتبشير فى لندن قد أرسل ٤٠٠ مدرس الى أفريقيـــة فى العام نفسه .

وكمـــا يضع الانجليز الشـــكل السياسى على أساس أن الافريقيين فى كفة والأوروبيين فى أخرى ، يقومون بالفصل بين تراثهم وتراث الافريقيين ولذلك يسمحون أحيـانا ، على عكس الفرنسيين - بتدريس اللغة المحلية فى المرحلة الابتدائية ، وقد يجعلونها ثانوية فى المرحلة التاليـة ولا يعنى ذلك أنهـــم يحافظون عـــلى التـــراث الافريقى ، وانما يفعلون ذلك مواجهة لضغط اللغة الشديد مثل السواحيلية (فى شرق افريقيـــة) أو اليوروبا (فى نيجيريا) التى يضطر الانجليز أنفسهم الى تعلمها . ويتكلم اللغة الأولى أكثر من ١٥ مليون نسمة ، ولا يقل من يتكلمون باللغة الثانية عن ذلك وقد كان للانجليز دور كبير فى عزل أية منطقة فى افريقية عن الجو العربى الذى قد يكون موجودا بين الافريقيين لأنهم فى مستعمرات شرق افريقيـــة (كينيا ـ أوغنده ـ تنجانيقا ـ وزنجبار) على وجه الخصـــوص كانوا يكتبون السواحيلية بحروف عربية منذ عهد قريب ، ولكن الانجليز استخدموا كل أساليبهم فى الثقافة والسياسة حتى أجبروا هـــذه الشعوب الى استخدام الحروف اللاتينية فى كتابتهم ، ولم تكن الكتابة العربية بدعة فى هـــذه اللغـات يمكن تغييرها ، ولـكن كان يمليها تداخل العربيـة والسواحيلية حتى أنه من المعـــروف أن ثلاثين فى المـائة من مفردات الســـواحيلية من الكلمات العربية مباشرة غير نســـبة أخرى فى كلمات ذات أصول عربية ، ويقال مثل هذا الكلام على لغة الهوسا واليوروبا فى غرب افريقية الى حد ما .

بقى أن نذكر شيئا عن أثر هذه السياســة فى الصحافة الافريقيـــة أيضا ، فعلى الرغم من انتشار لغـــة الهوسا واليوروبا مثلا فى نيجيريا ، وعلى نطاق واسع فى غرب أفريقية الا أنه لا يصدر بالأولى الا صـــحيفة واحـــدة أسبوعية هى « جاســـكيا تافكوابو » وهى منتشرة فى الشمال ويقبل عليها الناس الى حد أنها توزع ٢٥ ألف نسـخة ، أما « اليوروبا » فتصدر بها صحيفةبرتستانية لاغراض دينيـــة وتسمى « الشلنج » . أما الأحزاب الوطنيـــة القوية مثل حزب « المجلس الوطنى » الذى يرأســه دكتور « أزيكوى » فله نشاط صحفى كبير ، ولـكن جميع الصحف تصدر بالانجليزية !! ولا نجـــد حتى فى « وست افريكان بيلوت » الواســـعة الانتشار صفحة واحدة بلغة وطنية ، على نحو ما تفعل بعض الصحف .

والانجليز يبثون سمومهم فى هذه الصحف بطريقـة مكشوفة ، ليفتتوا وحـــدة البلاد ، فمن صحف تدعو الى اثارة مشكلة الأقليات بين فترة وأخرى الىصحف تمثل القوى الرجعيةوحزب « جماعة العمل » فى الغـــرب مثـــل « الديلى سرفس » وأخرى تنـــادى بانفصال مناطق نيجيريا واستقلالها مثل « نيجيريان تريبون » . والعجيب أن كتابا مثل « الصحافة فى افريقية » يسمىهذه الصحف الاخيرة وطنية .. !

الاستعمار البلجيكى :

للاســـتعمار البلجيكى فى الكنغو دعاوى ضخمةيحملها «جورجباديمور» فى عدة شعارات مثل « نشر الحضارة»

و « الرعاية الأبوية » و « التوجيه الدينى » . ومن خلال هذه الشعارات يمكن فهم أساليبهم ونظرتهم الى الشعب الافريقى ، وسياستهم فى توجيه الثقافة . فالبلجيكيون – فى نظر أنفسهم أصحاب رسالة يحملونها الى شعب قاصر ليس له أن يبدى رأيه فى أمور يعرفونها هم ، وانما عليه أن يقبل « الرعاية الأبوية » كطفل صغير ، كما أنهم وهم الكاثوليك المتدينون سوف يوجهونه الوجهة الدينية التي يعتنقونها . وهم لا ينظرون الى الافريقى من زاوية عنصرية بقدر ما ينظرون اليه من زاوية « الفهم » من جانبهم « والقصور » من جانبه . وهم يتركون للبعثات التبشيرية الكاثوليكية بث هذه المفاهيم ، ويتركون هذه البعثات تعمل وحدها فى المجال التعليمى ، وبخاصة فى الاشراف التام على التعليم الابتدائى ، حتى أنه يوجد الآن سبعمائة وعشرون مجموعة تبشيرية تضم حوالى ستة آلاف مبشر معظمهم من الكاثوليك وقليل منهم من البروتستانت يوجهون الحياة فى الكنائس . ونتيجة لفكرة القصور هذه يبعد البلجيكيون الافريقيين عن أى شكل للتنظيم السياسى أو الثقافى ، اللهم الا النوادى الاجتماعية التى يديرونها هم وتضم العمال والطلبة فى حدود النشاط المحلى . ولغة التعليم الفرنسية يعلمونها للجميع فى كل المراحل ، وهم بقدر ما ينشرون التعليم الابتدائى بالفعل بقدر ما يقللون من التعليم الثانوى . أما التعليم الجامعى فيكفى أن تعرف أنه حتى سنة ١٩٥٨ لم يكن هناك من أبناء الكنغو جامعى واحد على الاطلاق ، فالبلجيكيون لا يسمحون للافريقيين بالسفر الى خارج الكنغو ، ولا الى بلجيكا نفسها ! . ولوزير المستعمرات البلجيكى السابق « مسيو أندريه ديكيه » رأى يهمنا أن نقرأه حتى نفهم منه مباشرة سياسة بلجيكا بوجه عام فى هذا الميدان ، وكان قد كتبه فى مقال له ، تبريرا لعدم تعليم أهالى الكنغو فى جامعات بلجيكا ، وننقله هنا عن كتاب جورج باديمور (ج) ص ٢١٥ « ان الحضارة لا تقتصر على قليل من الأفراد أو حتى الف فرد ، لأن هدف الحضارة هو رفع الشعب فى مجموعه الى مستوى أعلى ، وزيادة على ذلك فأنا لا أظن أن الطريقة التى تتبعها بعض البلاد مجدية ، فنحن نرى أن هؤلاء الذين يزورون أوروبا ويتلقون تعليما عاليا فيها لا يعودون الى بلادهم بروح الحضارة من البلد الأم التى عادوا منها .. ولكنهم يعودون بروح معادية للبلد الذى فتح لهم أبواب الحضارة»

ويؤكد الوزير فى مقاله الطويل أن ثلث سكان الكنغو قد اعتنقوا المسيحية ، وهو يرى أن الحضارة ما زالت مقترنة بالمسيحية !! واننا واثقون ان مستعمرتنا فى أفريقية الوسطى ستصير أعظم دولة مسيحية.

فمنطق الوزير العجيب يرى أنه ينشر المسيحية وبذا ينشر الحضارة والثقافة ، وكفى الله الافريقيين شر التعليم ! ولكن بلجيكا اضطرت ازاء نمو الروح الوطنية ، والتطلع الى العالم الخارجى ، أن تلحق الافريقيين بنوع من التعليم الجامعى ، وقد ظلت عند

خوفها من اتصالهم « بالأفكار الخطيرة » في أوروبا ، فأنشأت في الكنغو نفسها سنه ١٩٥٤ « مركز لوفين الجامعي » وهو يتبع جامعة لوفين ببلجيكا ، ويشبه نظام الكليات الجامعية في المستعمرات البريطانية .

وكما رأينا السياسة الاستعمارية في التعليم يمكن مشاهدتها في الصحافة كالمعتاد وصحف الكنغو جميعها تصدر بالفرنسية وهي التي تبلغ حوالي ٦٠ صحيفة ومجلة وكتابا دوريا . وان كانت هناك صحيفة حديثة هي « كنجوباسيكا » وتصدر بلغة « لنجالا » . وهذا الاحتكار الصحفي يمثل الاحتكار لثروات الكنغو الضخمة ، وعدم سيطرة الشعب على مقدرات حياته ، كما يمثل « فكرة الأبوة » الزائفة التي يدعونها ، وتقول السيدة « هيلين كتشن » ناشرة كتاب « الصحافة في أفريقية » تعليقا على الصحافة في الكنغو « تعكس الصحافة الأوروبية هنا الرخاء الاقتصادي بالنسبة للأوروبيين في هذه البلاد الغنيه بالمعادن .. فهي ممتازة الطباعة فاخرة الورق . وسيطرة الأوروبيين على الصحف بهذا الشكل هي تحقيق لما تفترضه الحكومة هناك من أن الافريقي ليس مستعدا بعد لأن يكون له رأي » . والحكومة البلجيكيةتعوق أية صحيفة افريقية عن الظهور ، فلا تمدها بالمساعدات ، ولا تجعل حتى الارساليات تفعل ذلك . ومعروف أن كثيرا من الصحف ظهر واختفى بسبب ذلك ، كما عملت الحكومة مدة طويلة على عدم ظهور التنظيمات السياسية ، وان كانت انفجرت بالرغم عنها بشكل قوي في الأيام الأخيرة ، ولذا نرى الكتاب الصادر سنة ١٩٥٦ يقول « ان العامل الرئيسي في تأخر نمو أدوات التعبير عن الرأي في الكنغو هو بالطبع عدم وجود حركة اجتماعية أو سياسية ، حتى تعبر عنها هذه الصحف ، فالحاجة الى تمثيل نيابي ، أو حتى تنظيم تشريعي من جهة ، وسيطرة الادارة على النمو الاقتصادي والاجتماعي التي تنطلق منه الحياة السياسية من جهة أخرى ، كل ذلك سد الطريق أمام نمو الحركات السياسية أو الصحافة الافريقية السياسية » .

والغريب أن هناك صحافة للمستوطنين مثل « لوكرير دافريك » تنتقد الحكومة البلجيكية على تساهلها مع الافريقيين ضد مصالحهم ! كما أن الصحف الدينية هناك والتي تصدرها الارساليات تقف في صف الحكومة مثل « ليسور دي كنجو » التي يذكر الكتاب نفسه عنها ص ٥٨ « أنها كاثوليكية مؤيدة للحكومة ، وتمثل مصالح رجال الأعمال الكبرى » وأكبر توزيع لصحيفة واسعة الانتشار مثل « لافنيركولونيال بيلج » توزع ١٠ آلاف نسخة ، ويمكننا أن نعرف نسبة المستوى الثقافي من هذا الرقم في بلد يزيد عدد سكانه على ١٦ مليون نسمة .

وبعد ، لقد أردت في هذا العرض العام لأساليب الاستعمار في ميدان الثقافة الافريقية أن أبين الخطوط العامة دون اللجوء الى التفصيلات .



الحمامة الذهبية!

بقلم الأستاذ عباس خضر

كان فى غابر الأزمان .. ملك له ثلاثة أولاد وهم حسن ، وعلى ، وأحمد وكان حسن ابن جارية سوداء ، أما على وأحمد فكانا ولدى الملكة البيضاء .

ذهب الثلاثة الى المدرسة ليتعلموا ، فكان حسن مجدا فى دروسه ، لا يفوته شيء مما يقوله المعلم ، ويقوم بواجبه على أتم وجه ، على عكس على وأحمد ، فقد كانا مهملين ، وكثيرا ما كانا ينقطعان عن المدرسة ويقضيان أوقاتهما فى اللعب واللهو ، وكانا مع ذلك يعتديان على أخيهما حسن بالضرب ويأخذان منه ما يجدانه فى يده من الاشياء التى تروقهما .

وفى يوم من الأيام وجد حسن فى الطريق ريشة حمامة ذهبية ، فأعجبه منظرها وراح يتأملها .. ورآه أخواه فخطفاها منه وضرباه ، فتوجه الى والده الملك يشكوهما اليه ، ويطلب رد ريشته الجميلة اليه .

ادعى على وأحمد أن الريشة لهما ، وأنهما هما اللذان وجداها ، وأصر حسن على أنها ريشته ، فاحتار الملك .. أيهم يصدق .. ثم أخذها منهم وقال لهم : من يأتينى بالحمامة التى نزعت منها هذه الريشة أثبت له حقه فيها ، وأعطها له .

بهت الثلاثة مما طلبه منهم أبوهم فسكتوا قليلا ، ثم أبدى كل منهم استعداده للاتيان بالحمامة صاحبة الريشة . فأمر الملك باعداد فرس وأدوات صيد لكل من أولاده الثلاثة ، وأمرهم بالذهاب ..

امتطى حسن فرسه ، وكذلك فعل على وأحمد ، وسار ثلاثتهم ، وظلوا سائرين حتى وصلوا الى ميدان تتفرع منه ثلاثة طرق ، ووجدوا عنده رجلا عجوزا ، فقالوا له :

— يا عم .. الى أين يفضى هذا الطريق وهذا ، وذاك ؟ فقال لهم الرجل العجوز :

— هذا طريق .. الذاهب فيه مفقود والعائد منه مولود ، وهذا طريق السلامة ، وذاك طريق الندامة .

سار على فى طريق السلامة ، وسار أحمد فى طريق الندامة . أما حسن فقد أخذ الطريق الأول وهو يقول فى نفسه : ان قدر لى أن أعود منه فسأعود باذن الله ظافرا ببغيتى ، وكأننى ولدت من جديد .

سار حسن فى طريقه حتى وصل الى غابة ، فجلس خلال أشجارها المتشابكة . وهناك رأى ثعبانين كبيرين يتقاتلان ، أحدهما أبيض والآخر أسود ، وهم الأبيض أن ينقض على الأسود بضربة قاتلة ، ولكن حسن عاجله بسيفه فقضى عليه ، فما راعه الا أن رأى الثعبان الأسود ينتفض قائما على ساقين جميلتين فى شكل

فتاة رائعة الحسن . شكرته وقالت له انها بنت ملك الجان وانها مدينة له بحياتها ، وترجو أن تكافئه على معروفه وسألته عن حاله ، فقص عليها قصته وأنه يريد أن يأتى بالحمامة الذهبية فأشارت له الى طريق ، وقالت له : امض فى هذا الطريق حتى تجد بوابة كبيرة ، ادخل منها تجد هناك حماما ذهبيا وطيورا أخرى ذهبية ، لا تنتظر ولا تتردد ، بل مد يدك الى أية حمامة تصادفك وخذها وارجع فى الحال . وخذ هـذا الخاتم ، فاذا احتجت الى فادعـكه تجـدنى أمامك ألبى كل طلباتك ..

مشى حسن فى الطريق الذى أشارت اليـه الفتاة ، وظل يسير حتى رأى البوابة الـكبيرة ، فدخل منها فرأى طيورا ذهبية مختلفة الانواع والاشكال وبينهـا الحمام الذهبى الذى يماثل ريشه تلك الريشة التى كان قد وجدها واغتصبها منه أخواه . فوقف يتأمل الطيور ، وجعل يمسك هذا ويجرى وراء ذاك ، وهو مأخوذ بالمنظر وقد نسى ما أوصته به الفتاة ، وما حذرته منه .. فلم يشعر الا الحراس يمسكون به ويقودونه الى صاحب القصر .

وقص حسن قصـته على صاحب القصر ، ورجاه أن يعطيـه الحمامة الذهبية ليعود بها الى والده الملك . ولكن صـاحب القصر قال له : لن أعطيك الحمامة حتى تأتى لى بالحصان الزجاجى .. ولم يقبل منه أى كلام بعد ذلك ، وأمر الحراس أن يخرجوه .

خـرج حسن الى الطريق حائرا لا يدرى من أين يأتى بالحصـان الزجاجى ، وتذكر الخاتم ، فدعكه ..

وفى الحال رأى الفتاة أمامه تقول له :

ـ لبيك يا منقذ حياتى .

ـ طلب منى صاحب هذا القصر أن أحضر اليه الحصان الزجاجى فأين يكون هذا الحصان ؟ .

ـ سر فى هـذا الطريق حتى تجد بوابة كبيرة فادخل منها تجد الحصان الزجاجى أمامك .. فجره برفق واحذر أن تركبه .

سار حسن فى الطريق كما أشارت ثم وجد نفسه أمام البوابة الكبيرة ، فدخل منها ، فرأى الحصان الزجاجى واقفا فى هيئة رائعـة وكأنه متحفز للوثوب ، فأغراه منظـره ، ونسى تحذير الفتاة فقفز على ظهر الحصان فتحرك به وقرقع ، وأحـدثت قرقعته جلبة فى المـكان .. فلم يشعر حسن الا والحراس يمسكون به ويحملونه الى صاحب القصر .

حكى حسن حكايته لصاحب القصر ، ورجاه أن يعطيه الحصان حتى يذهب به الى صاحب القصر الأول كى يعطيه الحمامة الذهبية ، ولكن صاحب هـذا القصر قال له : لن أعطيـك الحصان حتى تحضر لى **((ست الحسن والجمال))**

وخرج حسن حائرا نادما على ما فعل قائلا فى نفسه : يالى من غبى اذ لم أعتبر بالمرة الأولى فوقعت فى المأزق نفسه .. ثم تذكر الخاتم ، فدعكه .. واذا بالفتاة أمامه تقول له :

ـ لبيك يا منقذ حياتى .

ـ انى آسف ، ولـكنى أعدك أن أعمل بنصيحتك فى المرة القادمة .

ـ لا تيأس فانى معينة لك على كل حال ، ولن أنس معروفك .

ـ أين ست الحسن والجمال ؟

ـ ست الحسن والجمال خطفها الغول وذهب بها الى بيته . .
ـ وأين بيت الغول ؟
ـ فى مكان منعزل وراء نهر كبير .
ـ وكيف الوصول اليه ؟
ـ سر فى هذا الطريق حتى تجد النهر ، وسأحضر لك مركبا كبيرا فيه مائة بقرة وجوالان مملوءان بالخرز .. وعليك أن تسير بالمركب ، وستهاجمك التماسيح ، فألق اليها بخمسين بقرة فى ذهابك ، وفى الاياب ألق اليها بالخمسين الاخرى حتى تنشغل عنك بها ، أما الخرز فان نساء القرية التى وراء النهر سيتجمعن حولك عند وصولك الى الشاطىء ، فانثر عليهن جوال الخرز لينشغلن به ، أما الجوال الثانى فانثره عليهن عند عودتك !

سار حسن فى الطريق حتى رأى النهر ورأى المركب والبقر والخرز كما وصفت له الفتاة . وفعل كما قالت له وبعد أن نثر الخرز على النسوة اتجه الى بيت الغول .

رأى حسن قصرا كبيرا على ربوة عالية جدا ، ظل يصعد اليه عدة ساعات ، ولحسن حظه لم يكن الغول هناك فى ذلك الوقت . ورأى جماجم ورءوسا بشرية كثيرة مما أكله الغول وفجأة رأى منظرا عجيبا .. فتاة رائعة الجمال يلف شعر رأسها جميع جسمها فلما رأت حسن شهقت فى دهشة ممزوجة بالارتياح ..

ـ من أنت .. ؟ لم أشاهد انسيا منذ زمن بعيد ..
ـ أنا حسن ، جئت لأنقذك من الغول .
ـ الشاطر حسن !! لابد أنك هو .. ان الغول يتوقع حضورك ويحذرنى منك ..
ـ وهل تخشيننى ؟
ـ كيف أخشاك ؟! لقد بعثتك الى العناية الالهية . انظر كيف أعيش على منظر الدم وافتراس الانسان .. أترى هذه الرءوس ؟ أخاف عليك أن تلحق بأصحابها .. سأضع فى رأسك هذه الابرة ، فتتحول الى نملة ، فاذا حضر الغول لم يقع نظره عليك . وانها لصدفة عظيمة .. اذ حضرت فى الوقت المناسب ، فان الغول ينام أربعين يوما فى السنة ، واليوم موعد نومه .

وغرزت ست الحسن والجمال الابرة فى رأس الشاطر حسن ، فصار نملة .. وحضر الغول ، وجعل يتفحص المكان ويرسل بصره هنا وهناك ، وينظر الى ست الحسن والجمال ، ويقول :
ـ رائحة انسان .. انى أشم رائحة انسان ..
ـ انسان ! أين هو الانسان ؟!

.. ونام الغول ، وفى الحال أخرجت ست الحسن والجمال الابرة من رأس الشاطر حسن ، فعاد الى صورته ، ولم يضيع وقتا ، بل استل سيفه وضرب به عنق الغول ، ففصل رأسه عن جسده ، ولكنه كاد يفقد صوابه عندما رأى رأسا آخر يبرز مكان الرأس الأول ،فقال فزعا :
ـ يا الهى .. ما هذا ؟!
ـ لا تخف .. ان الغول بسبعة أرواح .. وما عليك الا أن تضرب وتقطع حتى تنتهى الأرواح السبعة ..

وراح الشاطر حسن يضرب ويقطع رءوس الغول السبعة التى تبرز واحدا

اثر واحد حتى انتهى من قتله تماما ..

وما علم أهل القرية المجاورة بقتل الغول حتى أسرعوا الى بيتـه مهللين فرحين ، وشكروا الشاطر حسن على حسن صنيعه ، اذ أنقذهم من شره ، وأكرموه غاية الاكرام ، وعند رحيله ـ ومعـه ست الحسن والجمال ـ تجمعوا عنـد شاطىء النهر لتحيته وتوديعه . ونثر الشاطر حسن جوال الخرز الثانى على نساء القرية ، وأقلع عائدا ، وجعل يرمى البقر الباقى الى التماسيح حتى وصـل الى الشاطىء الآخر فى سلام .

وحين حكى الشاطر حسن قصته كلها لست الحسن والجمال ، وعرفت من نهايتها أنه سيذهب بها الى صاحب الحصان الزجاجى ليدفعها اليه مقابل الحصان ، حزنت لذلك لأنها أحبت الشاطر حسن ولا تريد أن تفارقه ، ولكن الشاطر حسن طمأنها وقال لها انه سيحضرها منه بعد ذلك بوساطة الخاتم وبنت ملك الجن .

وذهب الشـاطر حسن بست الحسن والجمال الى صاحب الحصان الزجاجى ، وأسلمها اليـه مقابل الحصان ، ثم أخـذ الحصان وسار حتى وصل الى صاحب الحمام الذهبى وأسلمه الحصـان ، فسر به وأعطاه بدل الحمامة سبعا ..

وفى ملتقى الطرق الثـلاثة التى افترق عندها الأخوة الثلاثة ، وقف حسن ودعك الخاتم فمثلت أمامه بنت ملك الجن وهى تقول :

ـ لبيك يا منقذ حياتى .. انى فى خدمتك ولو كان فيها مماتى ..

ـ أريد ست الحسن والجمال ..

ـ أغمض عينيك ، ثم افتحهما تراها بين يديك .

ولما فتح الشاطر حسن عينيه وجد أمامه ست الحسن والجمال ، وهى تبتسم له ، فسر بها سرورا عظيما ، وودعتهما بنت ملك الجان بعـد أن حذرت حسن من الذهاب الى أخويه على وأحمد .

اتجه حسن الى مدينتهم ليعود الى أبيه الملك ، ولكنه ما سار قليلا حتى شعر بالشوق الى أخويه ، فعزم على البحث عنهما ، وأخذ الطريق الذى سار فيه أخوه على وبحث عنه حتى وجـده فى قرية صغيرة يعمل خادما عند أحد أغنيائها ، وقص على عليه قصته ، فقال انه بعد أن نفد زاده باع حصانه وسيفه ، وعاش على ثمنهما مدة ، وبعد ذلك اضطر الى الخدمة فى هـذا المنزل ، فحـكى له حسن ما جرى له وأطلعه على ما معه وعرفه بست الحسن والجمال .. ثم اختلى به وطلب منـه سـيخا محميا بالنار ، وكشف عن ظهره زاعما له أنه سيكتب عليه بالسيخ «ست الحسن والجمال» حتى تكون له .. ولكنه كتب على ظهره « على خادم حسن » .

وعادوا جميعـا الى ملتقى الطرق الثلاثة ، ثم أخذوا الطريق الذى سار فيه أحمد وجعلوا يبحثون عنه حتى وجـدوه فى أحـد الأسواق يبيع « طعمية » .. وقص أحمد على أخويه قصته فقال انه بعد أن نفد زاده باع حصانه وسيفه ، واتخـذ من ثمنهما رأس مال لحرفته الجديدة . فحكى له

حسن كما حكى لعلى ، ثم اختلى به وطلب منه سيخا وزعم له مثل ما زعم لعلى ، وكتب على ظهره : « أحمد خادم حسن » .

واتجه الجميع الى المدينة عائدين اليهما ، وفى الطريق أخذ على وأحمد يتآمران على حسن ، حتى اتفقا على أن يتخلصا منه قبل الوصول الى المدينة ويدعيا لأبيهما أنهما هما اللذان أحضرا الحمام الذهبى دليلا على صدقهما فى أن الريشة لهما ..

وطلب على وأحمد من حسن أن يستريحوا عند بئر فى الطريق كى ياكلوا ويشربوا ، ووقف حسن عند حافة البئر ينظر فيه فأسرع على وأحمد ودفعاه فسقط فى البئر ... ثم تركاه وأخذا ست الحسن والجمال والحمام الذهبى ، وعادا الى المدينة .. أما ست الحسن والجمال ، فقد أبت أن تدخل القصر حتى يحضر الشاطر حسن ، فأقاموا لها خيمة بجوار القصر وأما على وأحمد فقد زعما لأبيهما ما اتفقا عليه ، وذاع الخبر بين الناس ولكن الشعب لم يفرح بعودة على وأحمد دون حسن ، فقد كان حسن محبوبا لدى الشعب لتواضعه وحسن أخلاقه ومحبته للجميع ، وبذل المساعدة والعون لكل محتاج ، أما على وأحمد فقد كانا على عكس ذلك مكروهين لغطرستهما وسوء أفعالهما .

أما حسن فانه حينما سقط فى البئر وقع منه خاتم بنت ملك الجن وغاب فى أعماق البئر ، وقد تشبث ببعض الحجارة وحاول الطلوع فلم يستطع ، وظل هكذا مدة وهو يصرخ بأعلى صوته حتى مر بالبئر راعى غنم ، فسمع صراخه وأتى اليه وأدلى له بحبل طويل أمسك به وخرج منهوك القوى مصابا بعدة جروح ، فضمد له الراعى جروحه وأسعفه ببعض الطعام والماء ، ثم نام نوما عميقا قام على أثره معافى نشيطا ، ثم اتجه الى المدينة ، وما دخلها حتى فرح الناس بقدومه فرحا عظيما . وقصد الى والده الملك وقال له انه هو الذى أتى بالحمام الذهبى وقد غدر به أخواه فى الطريق وأخذاه منه كما أخذا الريشة من قبل فقال له الملك :

ــ كيف أصدقك ؟

وما دليلك على صحة دعواك ؟ .

ولم يكن الملك قد علم بأمر ست الحسن والجمال اذ كان على وأحمد قد أقاما لها الخيمة خارج القصر دون علمه ، واعتزما ــ ان أصرت على التشبث بحسن ــ أن يقتلاها .

فشعر حسن بالحزن لعدم ذكر ست الحسن والجمال فى كلام أبيه ، وخشى أن يكون قد حدث لها شر ، ولكنه تمالك نفسه وتذرع بالصبر وطلب الى أبيه أن يأمر باستدعاء على وأحمد ، ويكشف ظهريهما ليرى الدليل ..

ولما اطلع الملك على ظهرى على وأحمد ورأى عليهما ما كتبه حسن بالسيخ المحمى اقتنع بصدقه ، وأمر بحبس على وأحمد .

وعلم الشاطر حسن بخبر امتناع ست الحسن والجمال عن دخول القصر حتى يحضر ، فازداد حبه لها ، وتأكد له وفاؤها واخلاصها ، وذهب اليها وأحضرها الى الملك وقص عليه قصتها معه ، فرحب بها الملك . ولما رأى الحب المتبادل بينهما أعلن قرار زواجهما .

وعاشت المدينة سبعة أيام فى أفراح ، وليال ملاح ...

عودة إلى الوراء

بقلم : كمارا سليمان عفان

أنا أعتقد أن أسباب رحلة الرئيس سيكوتورى الى عواصم العالم تعود جذورها الى ما بعد استقلال غينيا مباشرة ـ أي مابعد ٢ أكتوبر ١٩٥٨ فاذا رجعنا بأذهاننا الى ذلك اليوم الذى التقى فيه الجنرال ديجول بالرئيس سيكوتورى فى الجمعية الوطنية بكوناكرى ، وأصغينا الى تلك الكلمة التاريخية التى رنت أصداؤها فى جميع أنحاء العالم ـ وهى . . . (اننا نفضل الحرية مع الفقر على العبودية مع الغنى !) اذا فعلنا هذا وعت أذهاننا تلك المسرحية التاريخية العظيمة التى تقاسم بطولتها رجلان كبيران ، أحدهما قوى فى سيادته والآخر أقوى مع عبوديته ـ وتصورنا أن الستار انسدل على الفصل الأول ـ وارتفع مرة أخرى لنشاهد الفصل الثانى فماذا نجد فى هذا الفصل الثانى ؟؟ . .

اننا نشاهد فى الفصل الثانى أن ما تنبأ به الرئيس سيكوتورى قد وقع تماما ، وهو الفقر فقد وقعت غينيا فى الفقر أو وقع الفقر عليها ؟ بعد ٢ أكتوبر أصبحت غينيا جمهورية مستقلة . ولكن بدون مال تمارس به سيادتها ، وتواصل به مشروعاتها ـ قطعت فرنسا معونتها ـ وأخذت وهى خارجة كلما يمكن أن يكون مفيدا لغينيا من مال ومهمات وأجهزة ورجال ، وتركت فراغا فى خزانة الدولة ـ وفراغا فى المعاهد ، وفراغا فى المستشفيات ، وفراغا فى الايرادات ، وكان على الرئيس سيكوتورى أن ، يدبر أمره : أن يدفع أجور الموظفين كل شهر وأرزاق الجنود كل شهر ، وان يشترى الأدوية للمرضى ، ويأتى بالمدرسين للمعاهد لأن كل هذا يحتاج الى المال . وفرنسا قد نهبت الخزانة ، ونصيب غينيا من العملة الأجنبية محجوز فى بنوك فرنسا ، وكان على الرئيس سيكوتورى مع هذه المتاعب المالية أن يبيع منتجات غينيا الطبيعية الى فرنسا التى ترفض شراءها ـ ويستورد ضروريات غينيا من البضائع الاستهلاكية من فرنسا التى ترفض ذلك ، كان الرئيس سيكوتورى فى متاعب أحاطت به من كل جانب ، فماذا يفعل ليجعل استقلال غينيا مشروعا ناجحا بالفعل ؟ كادت القلوب تبلغ الحناجر ـ وكادت الروح تخرج ـ وفى هذه الظروف القاسية مدت الدول الاشتراكية يدها بالمعونة فاشترت من غينيا وباعت اليها وأقرضتها . ووقفت معنا فى المحنة . من هنا بدأ الاستعمار الهجوم بالاشاعات . المراسلون للصحف الاستعمارية يكتبون عن لون الرئيس سيكوتورى ـ فيغضون النظر عن لون جلدته الأسود القاتم ، ويصفونه بالأحمر ، ويستدلون على ذلك بالمظاهر المختلفة التى يرونها ظاهرا ، بدون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الأسباب

الحقيقية لمواقف الرئيس سيكوتورى التى يأخذونها عليه ، وانى أسجل هنا بعض المظاهر التى أخذوها عليه واعتبروه بها زعيما افريقيا أحمر .

١ ـ علاقته الوطيدة بالعالم الاشتراكى ـ ومظهر هذه العلاقة المعونات المختلفة والوفود الكثيرة التى كانت تأتى الى غينيا من مختلف بلاد العالم للتهنئة .

٢ ـ القاعدة الشعبية من نقابات العمال التى يتكون منها حزب الرئيس سيكوتورى

٣ ـ الأخذ بنظام الحزب الواحد .

٤ ـ خطب الرئيس سيكوتورى التى توضح نظرياته فى بناء المجتمع الغينى من مناهضة الرأسمالية وعدم الأخذ بنظام الطبقات .

هذه هى المآخذ التى أخذها الاستعماريون على الرئيس سيكوتورى واعتبروها أغراضا للشيوعية . وراحوا فى طول الدنيا وعرضها يشيعون الاشاعات قصد الاساءة الى الرئيس سيكوتورى ـ والحط من زعامته وشعبيته ، ووصفها بأنها زعامة شعبية شيوعية متطرفة .

أنا أعتقد أن رحلة الرئيس سيكوتورى هذه الى عواصم العالم كان الغرض منها تصحيح أفكار الناس عنه وعن سياسته ومبادئه ـ وقد صرح بهذه الحقيقة وهو فى (نيويورك) اذ قال فى تصريح له ورد بجريدة الجمهورية وأنا أسجل النص الذى ورد فى الصحيفة (نيويورك . لندن ـ أ . ب قال سيكوتورى قبل سفره الى لندن ان زيارته للولايات المتحدة ستساعد الشعب الأمريكى على فهم الطريق الذى تسير فيه الشعوب الافريقيه نحو الحرية ..

هذا ما قاله الرئيس سيكوتورى نفسه وهو فى نيويورك منذ أيام ، ولأحاول فى هذا المقال أن أدرس هذه التهم وأرد عليها .

أولا : تشكك بعض الناس فى مبادىء الرئيس سيكوتورى حينما وجدوا أن دول المعسكر الشرقى تحترمه ، وشعوب هذه الدول تحبه وتعجب به وتصفه بأنه شيوعى مثلهم حينما رأوا الوفود تأتى من هذه البلاد لتهنئته ورأوا الوفود من غينيا تذهب الى هذه البلاد ـ ولكن ماذا نقول لهؤلاء المتشككين ـ هل يجب على الغينيين أن يرفضوا صداقة العالم الاشتراكى لا لشىء الا لأنهم لا يرتاحون لهذا العالم ؟ هل يجب على غينيا أن تموت جوعا لتقدم الدليل على أنها ليست شيوعية ؟ هل الرئيس سيكوتورى يستحق الطعنات لأنه يرحب بضيوفه الذين يأتون اليه عبر البحار والأقطار حاملين معهم العواطف والصداقة ومبادىء التعاون ؟ أعتقد أن أى متعصب بلغ به التعصب الى حد الهوس ، لو فرضت الظروف عليه ما فرضت على الرئيس سيكوتورى لفعل ما فعله .. !

ثانيا : نظروا الى الرئيس سيكوتورى فوجدوه محوطا بقلوب الطبقة العاملة يحبونه ويعجبون به ويؤيدونه فراحوا يقولون انه شيوعى لأنهم يعتقدون أن الطبقة العاملة لا تؤيد الا أصحاب الأفكار المتطرفة ، ونسوا حقيقة واحدة مهمة ، وهى

أن الرئيس سيكوتورى ليس محبوبا لدى الطبقة العاملة وحدها ، بل هو زعيم الشعب كله عماله وفلاحيــه وتجــاره ومثقفيــه ورجاله ونسائه جميعا ، فليس كل من تحبــه الطبقة العاملة شيوعيا يخشى منه .

ثالثــا : نظـروا الى أن الرئيس سيكوتورى يأخـذ بنظـــام الحزب الواحد . فاعتبروا ذلك غرضـــا من أغراض الشيوعية ــ ولكنهم أخطأوا أيضا فى هذه الناحية فليس كل حاكم يأخذ بنظام الحزب الواحد شيوعيا ــ وليست كل حـــكومة تنظم شـعبها وتوحده قلبا واتجاها حكومة شيوعية فظروف الدول مختلفـة ومشـكلاتها متباينة ، فالشعب الغينى يتكون من قبائل كثيرة متعددة ذات لغات مختلفة وتقاليد متباينة ، والشعور القومى الجـامع بالرغم من نموه النسبى لم يصل بعـــد الى الدرجة التى يطمأن عليها ــ فلا تزال هنـالك عصبيات قبلية لا بد من القضاء عليها ، ونعرات عنصرية لا بد من اقتلاع جـذورها ، وهذه العملية تحتاج الى فترة تدرب خلالها القبائل الناقصة فى التعليم على الاندماج القومى الكلى والانصهار فى بوتقة وطنيـــة واحدة تقدمية ، بكيفية ينسى معها المواطن أصله القبلى ، ويذكر وضعه القـومى فقط ــ وذلك حتى نتجنب الفتن القبليـــــــة والهزات العنصرية الهدامة فى ظروفنا الحاضرة الدقيقة . اذا أضيف الى هذه الحقيقة ما قد تتعرض له البلاد من دسائس ووقيعـــة ، عندما يجد المستعمرون والأعداء منفذا حزبيا ينفذون منه أو ثغرة قبلية يضعون أصابعهم فيها ، فاذا أضيفت هذه الحقيقة الى سابقتها أدركنا أن البيئة وحـــدها هى التى أوحت بهـــذا النظـــام ، لا المبادىء الشيوعية ولا روحها الاستبدادية .

رابعا : خطب الرئيس سيكوتورى التى توضح نظـرياته الاجتماعيـة ، فقد لاحظوا أن هذه النظريات تناهض النظريات الرأسمالية ، وتندد بفكرة الطبقات .

وردنا على هذه النقطة الرابعة هو أن الرئيس ســيكوتورى اشــتراكى فعلا ــ ولكن الى أى مدى : هل هو ذلك الاشـــتراكى العـــلمى الذى يتغنى بالطبيعيات الى درجة الكفر بالله ؟ . هل هـــو ذلك الاشتراكى المتطرف المتعصب الذى يقف موقفا عدائيا من الأديان ؟ هـــل هو ذلك الاشـــتراكى الشيوعى الذى يؤمن بالغـــاء جميع الحريات الاقتصادية ؟

هل هو ذلك الاشتراكى الداعيــة الذى يجعل من نفســـــه أداة لنشر الماركسية ؟

هل هو ذلك الاشــتراكى الحقود الذى يكره العـــالم الغربى ، ويكفر بالتعاون معه ، وينتظر زواله ، ويعمل على القضـــاء عليــه ؟ انى أعتقد أن الرئيس ســيكوتورى ليس من هــذه الأنواع . اذ لا يمكن أن يكون انسان شيوعيا علميا ، وهو فى الوقت نفسـه يكون مسلما يصلى لله ويصوم له ، ويعترف بالمنظمات الاسلامية ، ويمدها بالمـال والمساعدات (وهذا ما يفعله رئيسنا المحبوب) ، وقد ذهب الرئيس سيكوتورى الى أبعد من هذا ، اذ قرر اللغـــة العربية فى المدارس لا لشىء الا لخدمة الاسلام فى البلاد ، ولا يعقل

ان يكون الرئيس معاديا للحريات الاقتصادية ! وهو يفتح بلده لرؤوس الأموال الأجنبية ! ولا يعقل أن يكون تبعا وهو يدعو الى الحياد وعدم الانحياز ! واذن فان ما نستطيع أن نقوله عن اشتراكية الرئيس سيكوتورى هو ما نستطيع أن نقوله عن اشتراكيتنا جميعا .

قد تغير العالم

علينا أن ننظر الى واقع العالم المعاصر لنجد أن هناك أفكارا جديدة طرأت وتطرأ كل يوم على هذا العالم ، وهى أفكار غيرت ولا تزال تغير جميع الأسس الاجتماعية القديمة لتحل محلها أسس جديدة . فالاقطاعية فى صورتها السوداء قد زالت فى معظم الدول ، وطبقات الأشراف والنبلاء التى كانت تسيطر على رقاب العباد قد انقرضت ، والرأسمالية التى جاءت بعدهذه الأنظمة ، وعانت منها الشعوب قد تهذبت فى أوروبا ، وبدأت تتهذب فى البلاد الأخرى ، وبرزت نظم اجتماعية جديدة واشتراكية ديمقراطية ، تعنى بالعامل والفلاح والموظف الصغير . وتعنى بالأفراد البسطاء الذين يكونون الأغلبيات الساحقة فى جميع أنحاء العالم ، ونظم اجتماعية جديدة أساسها توزيع الثروة القومية على أساس عادل ، بحيث يجد كل انسان حقه فى الطعام والكساء والمسكن والعلاج والعمل ، وهذه النظم الاجتماعية قد نالت حظها من الاعجاب والايمان فى القلوب ونالت حظها من الناحية العملية التطبيقية فى جميع البلاد التقدمية — واذا حدث أن تحرر شعب مثل شعب غينيا كان يعانى الأمرين على أيدى الرأسماليين الاستعماريين ، فماذا ترى أن يعمله زعماء هذا الشعب ؟

هل يجب عليهم أن يعودوا القهقرى الى النظام الاقطاعى فىالقرون الوسطى حتى لا يقال عنهم انهم شيوعيون : هل يجب عليهم أن ينظموا مجتمعهم الجديد تنظيما رأسماليا متطرفا ، حتى لا يقال عنهم انهم ماركسيون ؟ أيجب أن يفعلوا هذا وذاك ؟ أم يجب عليهم أن يأخذوا بأحدث النظم التى برزت للعالم ، ونالوا استقلالهم على ضوئها — ان الاشتراكيةبمعنى العدالة الاجتماعية فى توزيع لقمة العيش توزيعا عادلا . هذه الاشتراكية هى اشتراكيتنا فى غينيا ، وهى اشتراكية (سوكارنو) فى أندونيسيا واشتراكية نهرو فى الهند واشتراكية الرئيس ناصر فى الجمهورية العربية المتحدة ، هكذا يجب أن نفهم نظريات الرئيس سيكوتورى فى الاشتراكية ، وفكرة الغاء الطبقات فى غينيا واعتبارها أغراضا شيوعية — هذا الاعتبار يثير سخرية العارفين ببواطن الأمور — اذ لاتوجد طبقات فى غينيا مطلقا ، لا اقطاعية ، ولا رأسمالية ، ولا اقطاعيون ، لأن الأرض أوسع من السكان ، فنحن فى حاجة الى مزيد من الناسليعيشوا فىغينيا .ولا رأسماليون فى غينيا ، لأن الاستعمار لم يسمح لأحد فى غينيا بالثراء ، كلنا فقراء على حد سواء ، وكلنا ضحايا الاستعمار على حد سواء .

وما فكرة الغاء الطبقات وعدم السماح لرؤوس الأموال بالتحكم

والسيطرة فى غينيا الا فكرة لما يجب أن يكون فى المستقبل فقط ، انها عند الرئيس فكرة مدخرة تنفذ عندما يأتى الحين ، ويتدفق المال ، وتبدأ الطبقات فى البروز .

الىهنا أقف ، ويمكننى أن أقول ان التهم التى كانت توجه الى الرئيس سيكوتورى لم يدفع اليها غير الحقد والكيد ، ولماكان الرئيس يملك لنفسه ولشعبه أفكارا افريقية ، تنبعث من بيئته وبلاده ، وتقاليد شعبه كان من الضرورى أن يسافر الى العالم ليفصح عن هذه الأفكار ، ويكسب صداقة الناس والدول وثقتهم ، وخصوصا أن غينيا دولة صغيرة وفقيرة فى المال ، ومحتاجة الى سمعة طيبة تجلب لها عطف الدول وثقتها ، وموقع غينيا الجغرافى على المحيط الأطلسى بعيد كل البعد عن العالم الشيوعى — وغينيا مرتبطة بجاراتها الولايات والمقاطعات الافريقية فى التجارة ، وكثير من هذه المقاطعات ليست فيها أفكار مركسية، والدول الغربية التى تحتاج الى غلات غينيا تستطيع أن تشتريها بثمن أفضل ، وهذه الدول الغربية تحارب الشيوعية ، فكيف يكون مصير البلاد عندما تروج الاشاعات الضارة عن نظام الحكم فيها ، وتنسب الى زعمائها مبادىء من شأنها اثارة الخواطر والعداوات ضدها ؟ لا شك أن هذا يكلفنا الكثير من الاضرار التى فيها على سبيل المثال :

١ — امتناع أصحاب الأموال عن استثمار أموالهم فى غينيا ، ومعنى هذا حرمان الدولة من الموارد التى تدخل خزانتها عن طريق هذه الأموال المستثمرة ، ويترتب على هذا الحرمان عرقلة مشروعات البناء والانشاء التى تعتمد أولا وأخيرا على المال .

٢ — هذه الاشاعات تثير البلاد المجاورة ، وهى بلاد شقيقة تربطنا بها مصالح اقتصادية وثيقة ، وتجعل حكومات هذه البلاد سواء أكانت استعمارية أم وطنية ، تقف منا موقف الخوف والعداء ، الأمر الذى لاتتحمله طاقة هذه البلاد .

٣ — هذه الاشاعات تجعل مبدأ الوحدة فى منطقة غرب أفريقية ، المبدأ الذى يؤمن به الشعب الغينى ، وتعمل على تحقيقه حكومة الرئيس سيكوتورى هذه الاشاعات تجعل هذا المبدأ صعب المنال والتحقيق . ذلك لأن الشعوب الافريقية لا يمكن تجميعها وتكتيلها تحت ظل مبادىء غريبة عن بيئتها ، مضادة لعقائدها ،متنافية معتقاليدها، فالمتصدى لدعوة الوحدة فى أى مكان كان لابد أن يراعى الحقائق التاريخية والاجتماعية والدينية للشعوب التى يسعى لتوحيدها .

اشتراكيتنا اشتراكية مؤقتة :

لقد برهن الرئيس سيكوتورى فى جميع رحلاته على أنه رجل افريقى قلبا وقالبا ، وانه يعتز بهذه الافريقية الى مدى بعيد ، فيكفى للانسان أن ينظر الى صورته التى نراها فى الصحف حتى يعلم أن اصراره على لبس الزى الوطنى فى كل المناسبات ما هو الا رد فعل نفسى ، ومظهر من مظاهر الايمان بقوميته الوطنية ، وكأنه يريد أن يقول للذين يرونه : نحن افريقيون قبل كل شىء .

ومن ناحيــة أخرى زيارته لمسجد واشنطون وصــلاته فيه ، ما هى الا برهان آخر على أن اشتراكيتنا ليس معناها الـكفر أو الالحاد ، بل نحن مؤمنون فى الوقت نفســه بالمبادىء السـامية التى دعت اليهـا السماء . مبادىء الرحمــة والاحترام الكامل والاعتراف الكامل بقيمة الانسان التى مجدتها السماء ، وجدير بالتسجيل هنا أن موائد الطعام التى كان يجلس اليها الرئيس ســيكوتورى فى أمريكا وغيرها كانت تعد خصيصا ، ويراعى فيها عـــدم اشتمالها على أى طعام أو شراب يحرمه الدين الاسلامى .

ان الرئيس ســـيكوتورى لما كان مؤمنــا بالله سبحانه وتعالى ويمثل شعبا مؤمنــا مسلما فانه يرى دائما أن يسجل ايمانه ويسجل ايمان شعبه بهذه المظاهر الاسلامية الكريمة .

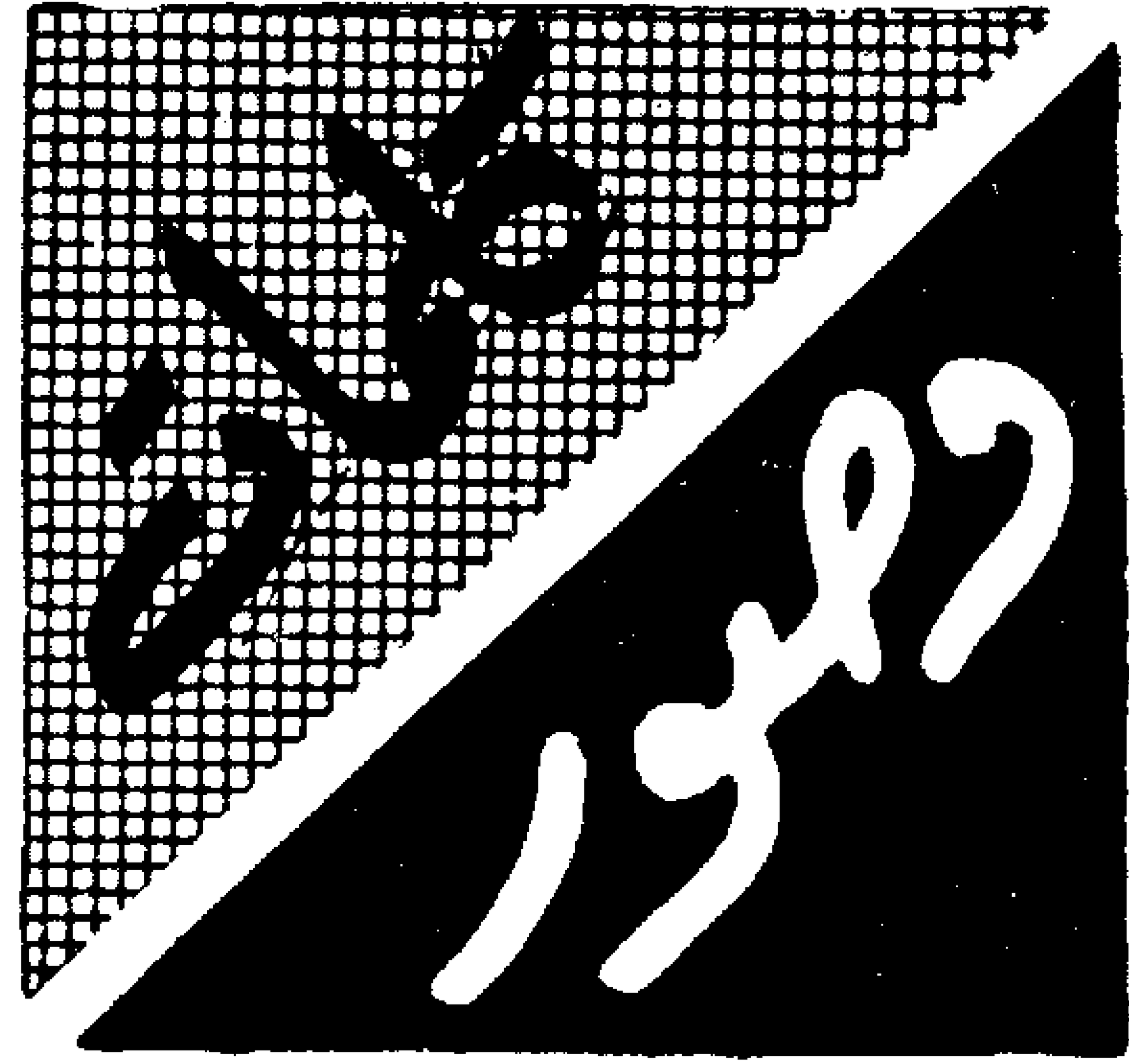
أما تصريحاته التى برهن بها على اســتقلاله الفــكرى ، واشتراكيته المتحررة ـ وعدم تبعيته فكثيرة ، وكل من يقرأ الجرائد فى هذا الشهر بالذات يمكنه بســهولة أن يستخرج مبادىء الرئيس ســيكوتورى . فايمانه مثــلا بجــدوى رؤوس الأموال يمكننا أن نثبته بالعــودة الى جريدة الجمهورية الصـــادرة فى ١٧ نوفمبر ســـنة ١٩٥٩ ـ اذ ورد فى هــذه الجريدة ما نصه (وصل أمس الى بون الدكتور سيكوتورى وبعد بضع كلمات تقول وكالة الانبــاء : سيجرى سيكوتورى محادثات مستفيضة مع ادينـــاور ـ وايرهارد وزير الاقتصاد ، وستتناول هــذه المحادثات استثمار رأس المال الألمانى فى غينيا ـ هذا واننا لم نسمع بعد بأن دولة شيوعية تطلب من العالم الغربى استثمار رؤوس أمواله فيهــا هذه الدولة .

سياسة التعاون مع الجميع وعدم الانحياز :

وسجل الرئيس ســيكوتورى فى بون أيضا ، ايمانه بسياسة التعاون مع الجميع وعدم الانحياز ـ فقد ورد فى جــريدة الجمهــورية الصـــادرة بتاريخ ١٩ نوفمبر ســـنة ١٩٥٩ ، ما نصــــه : أعلن الدكتـــور سيكوتورى فى مؤتمر صحفى عقده فى بون أن بلاده على استعداد للتعاون مع جميع الدول على أساس المساواة بغض النظر عن اختلاف النظم الاجتماعيــة والسياسية ، وقال عن سياسة بلاده الخارجية انها تقوم على أساس عدم الانحياز .

الى غير هــذه التصريحات ـ من الأحاديث التى ألقاها فى شتى المواقف، بين فيهــا مبادئه وسياسته ، وكسب بها صداقة الدول ، ووفق الى اظهار شخصــية غينيا بالمظهر اللائق الذى أثلج صــدورنا نحن الغينيين ورفــع رءوسنا فى كل مكان .

حفظ الله الرئيس سيكوتورى ـ وجميع زعمائنــا الافريقيين الأبطــال وعلى رأسهم الرئيس .. جمـــال عبد الناصر .. وعاشت افريقية حرة مستقلة .



جنوب افريقية :

اهتز العالم كله لهذه المجازر الرهيبة التى أدارها الأوروبيون فى جنوب افريقية ، وقد أكد الرئيس ((**جمال عبد الناصر**)) فى أكثر من كلمة أن الضمير الحى يأسف لهذه المجازر، وأن الجمهورية العربية المتحدة تقف مع الافريقيين فى صدق واخلاص حتى ينالوا حريتهم ، ويعيشوا فى أمن وسلام . كما قال سيادته فى احدى حفلات الترحيب بالهند .

« فلتكن هذه الصداقة المثل الذى نضربه لشعوب آسيا وافريقية بل المثل الذى نضربه لشعوب العالم اجمع بهذه الصداقة . وبهذه المثل نستطيع أن نساعد شعوب افريقية التى لم تحصل على استقلالها ،وشعوب افريقية التى تناضل من أجل حريتها واستقلالها » .

كلمة

ومن الكلمات الطيبة التى كتبت أخيرا عن القارة الافريقية تلك الكلمة التى نشرت بعنوان **خدعة** للدكتور «طه حسين » فقد جاء فيها « وكذلك اقترفت فى افريقية الجنوبية هذه الجريمة المنكرة فقتلت العشرات من الناس ، وصب الهول على المئات منهم لا لشىء الا لأنهم سود وخصومهم بيض ! .

وليست هذه هى المرة الأولى ، ولن تكون المرة الأخيرة ما دام أهل الغرب الأوروبى قد فرضوا أنفسهم على تلك الأرض فرضا ، وامتلأت قلوبهم بغضا وحقدا وعداء لمن لم يخلقوا على ألوانهم .

وقد عرض أمر هذه المظالم على هيئة الأمم غير مرة فأنكرت ثم أنكرت ثم لم تصنع بعد ذلك شيئا لأنها لا تستطيع أن تصنع شيئا ، والغريب أن من الناس من يريد عرض هذه الجريمة المنكرة على هيئة الأمم المتحدة مع أنهم يعلمون أن أقصى ماتستطيعه هذه الهيئة هو أن تجدد اللوم والنكير ثم تتفرق كأنها لم تجتمع ، ولا تحفل افريقية الجنوبية باللوم والنكير هذه المرة كما لم يجفل بهما من قبل . ثم تمضى فى صب الهول على هؤلاء البائسين دون أن يصدها عن ذلك صاد أو يردها عنه راد وهى مع ذلك عضو فى الكومنولث ، ويقال ان هذا الكومنولث يأتلف من أمم متحضرة فما بال هذه الأمم المتحضرة ترى هذا النكر المنكر ولا تحاول أن تغير منه شيئا ! لم لا تخرج هذه الدولة من جماعتها؟!

ولكن ماذا أقول انها لم تخرج بريطانيا من جماعتها ولا تستطيع أن تخرجها ، وما أكثر ما صبت بريطانيا ألوان الهول على شعوب بائسة فى غير قطر من أقطار الأرض . وماذا تفعل بريطانيا فى كينيا الآن وفى غير كينيا من مستعمراتها فى افريقية وهى مع

ذلك لا تجد من الكومنولث الا تأييدا بعد تأييد ! .

ومن المحقق ان انكار ما يحدث فى افريقية الجنوبية لا يكفى ولن يمنع هذه الدولة الباغية من المضى فى بغيها، وما أكثر ما أنكر الناس بألسنتهم وقلوبهم ما تقترفه فرنسا فى الجزائر من الجرائم وهى مع ذلك عضو فى حلف الأطلنطى . ويقال ان الأمم المشتركة فى هذا الحلف أمم متحضرة! ومع ذلك فلم تستطع دولة من دول هذا الحلف أن تنكر ما تقترف فرنسا من الجرائم فضلا عن أن تفكر دول الحلف فى اخراجها منه ، وقد عرضت مشكلة الجزائر على هيئة الأمم فرأينا ما يجرى بين الدول الكبرى المشتركة فى حلف الأطلنطى من المداورات والمناورات حتى لا تشارك فى انكار هيئة الأمم ولا تتعرض لغضب فرنسا لأنها عضو فى الحلف ، وليس بد من أن يظل هذا الحلف قويا ليعصم أوروبا من غارات الروس . وكذلك تتواطأ الدول المتحضرة على تأييد الظلم مهما يكن منكرا لأن منافعها يجب أن تقدم على كل شيء ولا عليها أن تقترف الجرائم ويصب الهول صبا على الأبرياء ولا عليها كذلك أن تجرى الدماء أنهارا فى هذا القطر أو ذاك من أقطار الأرض فاذا تعرضت تلك الدول المتحضرة لخطر الحرب واحتاجت الى معونة الضعفاء وأشفقت من انتقاضهم عليها فما أكثر ما يبذل من الوعود ، وما يزيد من الآمال والأمانى ، وقد رأينا فى الحربين الماضيتين كيف بذلت الوعود ، وكيف زينت الآمال والأمانى، وكيف كذبت تلك الوعود بعد الصلح وانهارت تلك الآمال والأمانى .

والغريب أن الضعفاء يغترون فى كل مرة فيمنحون عونهم للظالمين ، وينخدعون بما يبذل لهم من الوعود التى لا تغنى عنهم شيئا ! .

كل شيء اذن يدل على أن ليس هناك غناء فى هيئة الأمم المتحدة لترفع ظلما أو تقر عدلا أو تفكر فى غير منافعها ، واذن فلا منصف المظلوم الا أن يمكن من أن ينتصف لنفسه . ولم يكذب أبو الطيب حين قال :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم !

ولم يكذب زهير بن أبى سلمى حين قال :

ومن لم يذد عن حوضه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم !!

فقد كتب على الانسانية اذن أن يظلم القوى منها الضعيف الا أن يقوى هذا الضعيف فيمنع عن نفسه الظلم ، ويصد عن نفسه العدوان ، والخير كل الخير أن ينتصف الضعيف لنفسه حين يستطيع دون أن يظلم أحدا . فالقوة التى تنفع الناس وتمكث فى الأرض وتجعل أصحابها كراما انما هى القوة التى ترد عن نفسها الظلم دون أن تسلط الظلم على غيرها .

ولكن من البائسين المظلومين فى افريقية الجنوبية بما يمكنهم من رد الظلم عن أنفسهم ليعيشوا أحرارا كراما.

حقيقة المسألة :

وقد أرجع الدكتور « عبد الملك عوده » حقيقة التفرقة العنصرية الى مجموعة عوامل تاريخية نمت وتطورت بحيث يمكن اجمالها فيما يأتى : ـ

١ ــ آثار الرق : فقد أقام «البوير» حياتهم منذ اليوم الأول على استخدام الرقيق فى الزراعة والخدمة فى المنازل والرعى . ثم ترسبت بمرور الزمن فى أعماق الحكام والسادة من البيض أنهم من طينة متميزة عن الطينة التى خلق منها الافريقيون ، وقد كان هؤلاء الحكام هم ملاك الأرض وأصحاب الزراعة ، ومن هنا ارتبطت فكرة الاقطاع الزراعى باللون والتمييز اللونى .

٢ ــ وقد كان للكنيسة منذ البداية دور كبير فى التمييز بين المؤمن والوثنى ، وقد كان الوثنى بصفة عامة هو الرجل الأسود . وبمرور الزمن نرى صفة الوثنية تلتصق باللونية ، حتى ولو أقبل بكل اخلاص على الديانة المسيحية ، وهذا هو السر فى تسمية الافريقى المسيحى بالكافر .

وقد سيطرت على العلاقة المتبادلة بين الأبيض والأسود والروح الصليبية . فالبيض هم شعب الله المختار ذو الرسالة الالهية . أما الآخرون فجنس أقل درجة ، وما زالت الكنيسة هناك تتمسك بنظرية التفرقة العنصرية ، والعزل الاجتماعى .

٣ ــ عقدة البوير من الافريقيين والانجليز . فقد رأى البوير انفسهم من أول الأمر كنقطة بيضاء وسط بحر أسود فى افريقية ، وصمموا على أن طريق المحافظة على وجودهم هو التمسك بعاصفة الكراهة ، والاحتقار ، والسيطرة على الافريقيين .

فلما حكم الانجليز جنوب افريقية بعد هولندة سيطرت عليهم عقدة مؤداها أن الانجليز يؤلبون عليهم الافريقيين بدعوى أن رفع مستوى الافريقيين الى أجهزة الحكم والادارة هو خطة انجليزية هدفها ايجاد تعادل فى المجتمع لضمان بقاء الحكم الانجليزى .

ولهذا نجد أن حرب البوير لم تنته بهزيمة ساحقة للبوير ، ونصر كامل للانجليز وانما أقامت نوعا من الحلول النصفية قبل البوير بمقتضاه الاعتراف بالسيادة القانونية التاج البريطانى ، وقبل الانجليز اطلاق يد البوير والبيض عموما فى تصريف الأمور وتنظيم شئون الحكم فى جنوب افريقيا ، وضاعت حقوق الافريقيين بمقتضى هذا الاتفاق .

٤ ــ العوامل الاقتصادية ، وتتمثل فى آثار حيازة الأرض الزراعية ، والتوسع فى عمليات صناعة المناجم والتعدين ، والثورة الصناعية الضخمة ، وتشريد القبائل الافريقية ، وهجرة ابنائها ، وتحطيم كيانها الاجتماعى ، ومع هجرة الافريقيين الى مواطن المناجم والصناعة ظهرت الطبقة العاملة الافريقية وقد استخدم البيض وسائل كثيرة لاكراه الافريقيين على ترك حياة الزراعة والرعى الى حياة المدينة والصناعة وذلك بواسطة فرض الضرائب وزيادتها باستمرار ، وعلى الرغم من ذلك استمرت سياسة التفرقة العنصرية فى الميدان الصناعى وبخاصة فى مستويات الأجور ، وتكوين النقابات ، والمساكن ، والعمل .

٥ ــ العوامل الاجتماعية التى أوجدتها بيئة المدنية الحديثة ، ونمو الطبقة العاملة ، وظهور المثقفين والمهنيين الافريقيين ، والاحتكاك المستمر بين الأجناس . كما نجد أيضا أن نسبه

المواليد فى صالح الافريقيين اذ وصل عددهم الى عشرة ملايين . بينما الأوروبيون لا يتجاوزن مليونين وثلاثة أرباع المليون أما الآسيويون الملونون فعددهم مليونان .

٦ ــ آثار التجربة الحكوميةالطويلة أن أداة الحكم أصبحت فى يد طبقة ثرية بيضاء غريبة عن البلاد تستخدمها باستمرار كأداة ردع وكبت واستغلال للأغلبية العاملة الفقيرة المتدهورة يوما بعد يوم .

وقد أسفرت هذه الأقلية البيضاء عن وجهها حين قال رئيس الوزراء ان الحضارة الأوروبية سوف تختفىالى الأبد من افريقية اذا تمكن الافريقيون من المشاركة فى سياسة الحكم ، وان هذه المشاركة انما هى عملية انتحار جماعى لأمة البوير .

٧ ــ الموقف الدولى ، ودور الأمم المتحدة وما ترتب عليه من أثر نشاط الهند والجمهورية العربية المتحدة وغانه ، وغينيا ، وبقية الدول الافريقية المستقلة .. ولهذا فان تدخل المنظمة الدولية ، ومجلس الأمن ، والدول الأسيوية الافريقية انما هو تدخل مشروع لحماية الديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير والدفاع عن الافريقيين .

عهد :

من العهود التى كان لها دور كبير فى دخول الاسلام الى النوبة عهد **« عبد الله بن أبى السرح »** معالنوبة فقد جاء فيه :

« عهد من الأمير عبدالله بن سعدبن أبى السرح لعظيم التوبة ولجميع أهل مملكته . عهد عقده علىالكبير والصغير من النوبة . من حد أرض أسوان الى حد أرض علوة ــ ان عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم منأهل صعيد مصر ، وغيرهم من المسلمين ، وأهل الذمة .

انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وآمان رسوله محمد النبى صلى الله عليهوسلم أن لانحاربكم ، ولا لاننصب لكم حربا ، ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه. وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه منمسلم أو معاهد حتى يخرج عنهم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوه منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره الى أن ينصرف عنه. وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ،وعليكم كنسه ،واسراجه، وتكريمه ، وعليكم فىكلسنة ثلاثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب ، يكون فيها ذكران وأناثليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك الى والى أسوان ، وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض أسوان .

فاذا أنتم آويتم عبد المسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد

الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئا من الثلاثمائةرأس والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

بذلك عهد الله ، وميثاقه ، وذمته، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح ، وذمة الحواريين، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة ٣١ هـ .

الشعر الشعبى السودانى :

من معانى الشعر الشعبى السودانى هذه المعانى الجميلةالدامعة التى ذكرها «ود محلك» حين أضاع من يديه زوجته المحبوبة « تاجوج » فقد طلب منها أن يراها عارية وهى زوجة فخجلت من هذا الطلب ،وألحت عليه أن يعفيها من طلبه هذا ، ولكنه أصر ، فاشترطت لتنفيذها لأمره أن يقسم لها على تلبية ما تطلب منه بعد أن تنفذ رغبته فأقسم . فلما تعرت قال لها « الآن أطلبى ماتريدين » فقالتها كلمة واحدة مرعبة « الطلاق!».

وقد بر بقسمه ، وقضى بقية أيامه حزينا . شاردا . ومن معانى الشعر التى قالها « ما أشقانى ! ما أتعسنى:»

انني ذلك الانسان المجتنب المحتقر الذى جلب بيده المصائب على نفسه. فقد هدمت فى كلمة مزاج حياتى ، واشقيت نفسى . ولكن مرحبا بكاأيتها المصائب مادامت « تاجوج » قد أصبحت بعيدة عنى ! .

« تاجوج » تلك التى كانت اذا ابتسمت أضاء فمها ، وأضاءت الحياة:»

ومن هذه المعانى الحزينة كذلك التى تلمح فيها وحدة الألم ،وبروز الصورة تلك اللوحة التى رسم فيها أحزانه بقوله :

« الآن أقبل المساء ، واجتمع كل الناس ، وأسعد كل الف أليفه . كل ألف ! حتى الحيوان ! حتى النمل يأوى الى بيته ويلتقى بأليفه ! أما أنا فراقد فى فراشى منفردا مسهدا . فرقادى كرقاد الديك الذى يخشى السقوط عن الحبل الذى يقف فوقه ، وينام فوقه ، ويسهر فوقه ! .

ان يوما واحدا من غير « تاجوج » لهو دهر طويل لا يحتمل ! ومن هذه الأشعار الشعبية قوله :

« بعد العنجريب أب علجه
والدلكه المتل الملجه
قل لنسيبتى أم فلجه
اليوم بقى رقادنا الدلجه ! »

ويقصد : «بلغ نسيبتى أيها الرسول أننى زهدت فى الفراش بعد « تاجوج» فأصبحت اليوم أنام على الأرض الخشنة بعد أن كنا ننام معا على سرير صنع اجمل صنع ، وبينما أجسامنا متشربة بالطيب ،فهى ناعمة ولينة !» .

وحين أشرف على الموت أرسل لها من يقول :

« أرأيت يا أم القبيلة .

كيف أصبحت خالية البال . تقضين يومك فى التمسح بالعطور بينما أنا مريض اقاسى من الآلام ما اقاسى، وهأنا أشرف على الموت بسبب صدك !.

فقد فتت صدك كبدى ، وها هو يكاد يقتلنى قبل أن أتمكن من النطق بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ! »

تصريح :

من التصريحات الأخيرة لكوامى نكرومه أنه لن يكون هناك سلام فى طول القارة وعرضها اذا بقى من القارة شبر واحد يعانى من الاحتلال ، والاستنزاف ، والتفرقة العنصرية ، وانها لظاهرة طيبة تلك الظاهرة التى تربط مصير القارة عامة بشبر واحد من أرضها التى عانت الكثير على أيدى الأوروبيين .

فبهذا الايمان المخلص للقارة ، وبهذا التفكير الكلى لكل مشكلات القارة نستطيع أن ننتظر — ولن يطول هذا الانتظار — الفجر القريب للقارة . الفجر الحر الذى يسطع بأنواره على أرض كبيرة سعيدة بأيامها ، واسهامها فى تقدم البشرية .. أرض افريقية ! .

زلزال أغادير :

روع زلزال « أغادير » البلد الافريقى الشقيق فى المغرب كل البشر فى كل العالم ومن القصائد الكثيرة التى وقفت على أطلال المدينة وأحزانها قصيدة الأستاذ محمد الوزير التى ربط فيها بين بقايا قلبه وبقاياها . فنراه يقول :

بقيتها هلا ابنك ماببيا
وهل ظل شىء فى أغادير باقيا
الست كقلبى يا أغادير فلذة
من الكون تشكو صدعها المتداعيا
فهلا تساقينا العزاء تداويا
ورب عزاء يبعث الميت ثانيا
احقا دهاك الموت فى ميعة الدجى
فكذب حلما فى جفونك هانيا
وخبأ طودا رابط الجأش صامدا
وأعلن سرا فى حشا الأرض خافيا
وأنطق صخرا كان بالأمس هامدا
وأسكت قلبا عاش ما عاش واريا
الا فاسلمى — يا مثل قلبى بقية
عيونا وجنات حسانا .. رواويا
أغادير عودى للحياة أغانيا
أغدير شماء الرؤى ومغانيا

الفور :

كتب التونسى عن لغة الفور أنها لغة فيها حماس ، وتشبه ألفاظها اللغة التركية لأنهم حين ينادون انسانا يقولون له « كلا » أما الترك فيقولون «كل» وليس معنى التشابه الا تقارب المعنى ، لأن مجرد الشبه فى الاتفاق فى بعض الألفاظ مع اختلاف المعنى لا يسمى تقاربا . ذلك لأن الفور يقولون للفرس يامورتا بينما هو عند الترك اسم للبيض ، والقبيح عند الفور اسمه لجتى ، وهو عند الترك فعل ماض بمعنى ذهب .

ولغتهم من أنقص اللغات فالعدد مثلا ينتهى عند ستة ثم يكمل بالعربى فيقولون ديك واحدا أو اثنان أيس . ثلاثة وكل . أربعة أوس . خمسة أوصنانديك ستة . ثم يكملون بالعربى سبعة . ثمانية . تسعة . ثم يقولون و « آيه » وهو لفظ يطلق على عشر الأعداد .. ثم قال التونسى عن خرافاتهم « ومن أعجب ما سمعته بجبل مرة أن الجن ترعى مواشيهم التى ترعى فى الكلأ بدون راع معهم ، ولقد أخبرنى عدة رجال ممن يظن صدقها أن الانسان اذا مر بمواشيهم ورأى أنه لا راع لها ربما طمع فأخذ منها شاة أو بقرة أو غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده

بالسكين على منحرها ويعجز عن فكاكها حتى يأتى أرباب الماشية فيقبضون عليه ، ويغرمونه ثمنها بأعلى قيمة بعد اهانتهم لهم وضربهم اياه الضرب المؤلم .

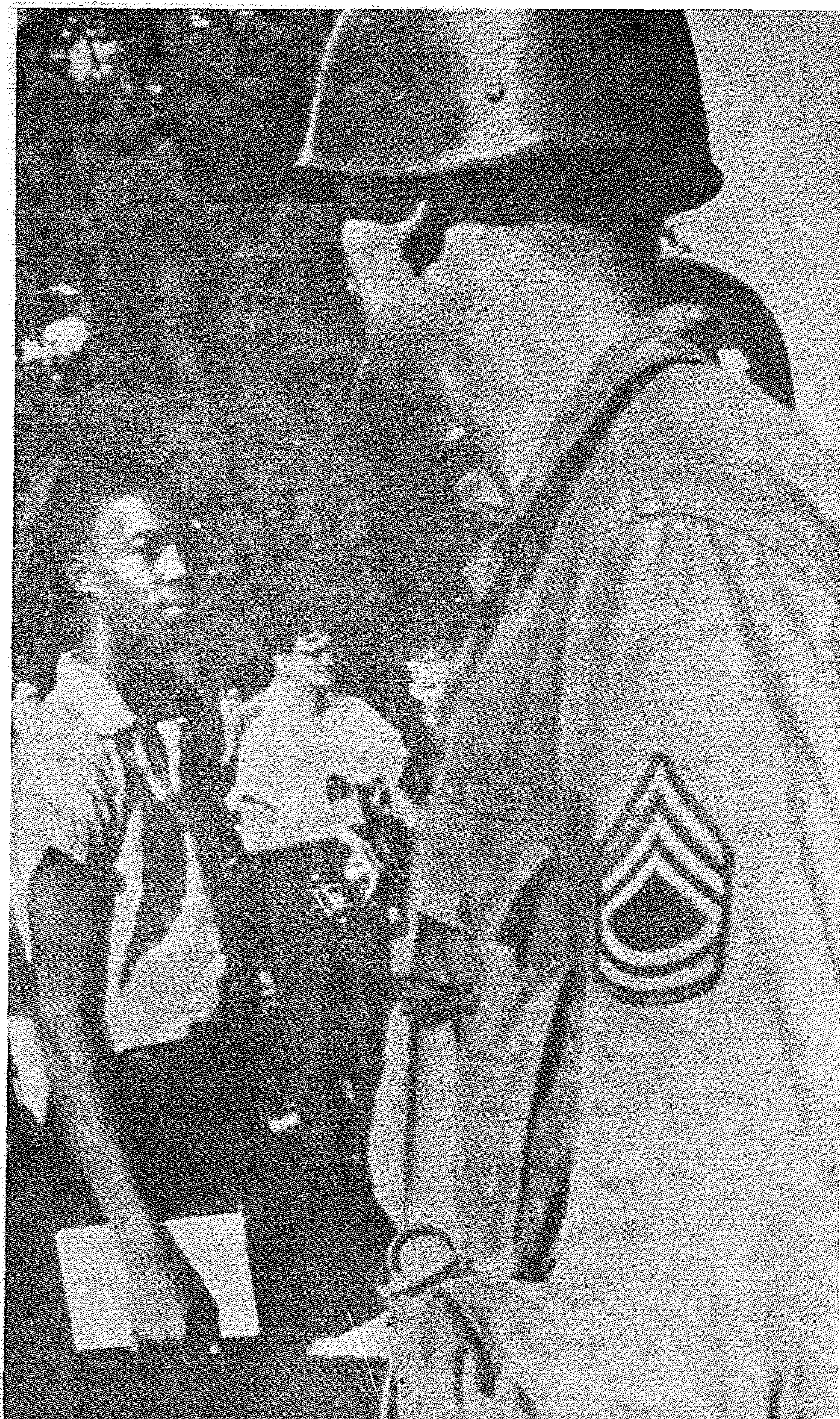
ولقد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر مع أنى لا أصدقه ، وحين كنت فى جبل مرة توجهت الى دار رجل منهم أسأل عنه فما رأيت فى داره أحدا لكن سمعت داخل الدار صوتا غايظا مرعبا اقشعر منه جلدى يقول لى « أكبا » يعنى أنه ليس هنا ، وفى ذلك الوقت أردت أن أتقدم وأسأل أين ذهب فمر بى انسان وجذبنى وقال « ارجع فان الذى يخاطبك غير آدمى » فقلت « وما هو » فقال « هذا الحارس الجنى لكل انسان منا حارس من الجن ويسمى بلغة الفور «دمزوقة» فخفت ورجعت من حيث أتيت .

ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت الى الفاشر واجتمعت مع الشريف « أحمد بدوى » الذى أخذنى من مصر ، وذهب بى الى دارفور فأخبرته القصة فقال « صدق » وأسمعنى أعجب من ذلك وقال لى يا ولدى أعلم أنى كنت أول امرى أسمع أن الدمازيق تباع وتشترى ومن أراد منهم دمزوقا يذهب الى من يعلم أن عنده دمازيق يشترى منه واحدا بما يرضيه . ثم يأتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فيأخذها ويدخل الى المحل الذى هى فيه فيسلم عليها ، ويعلق القرعة التى فيها اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لها ان صاحبى فلانا عنده مال كثير وهو خائف عليه من السرقة وأراد منى حارسا فهل تذهب احداكن الى داره لأن عنده لبنا كثيرا وخيرا غزيرا ، وقد أتى بهذه القرعة مماوءة لبنا .

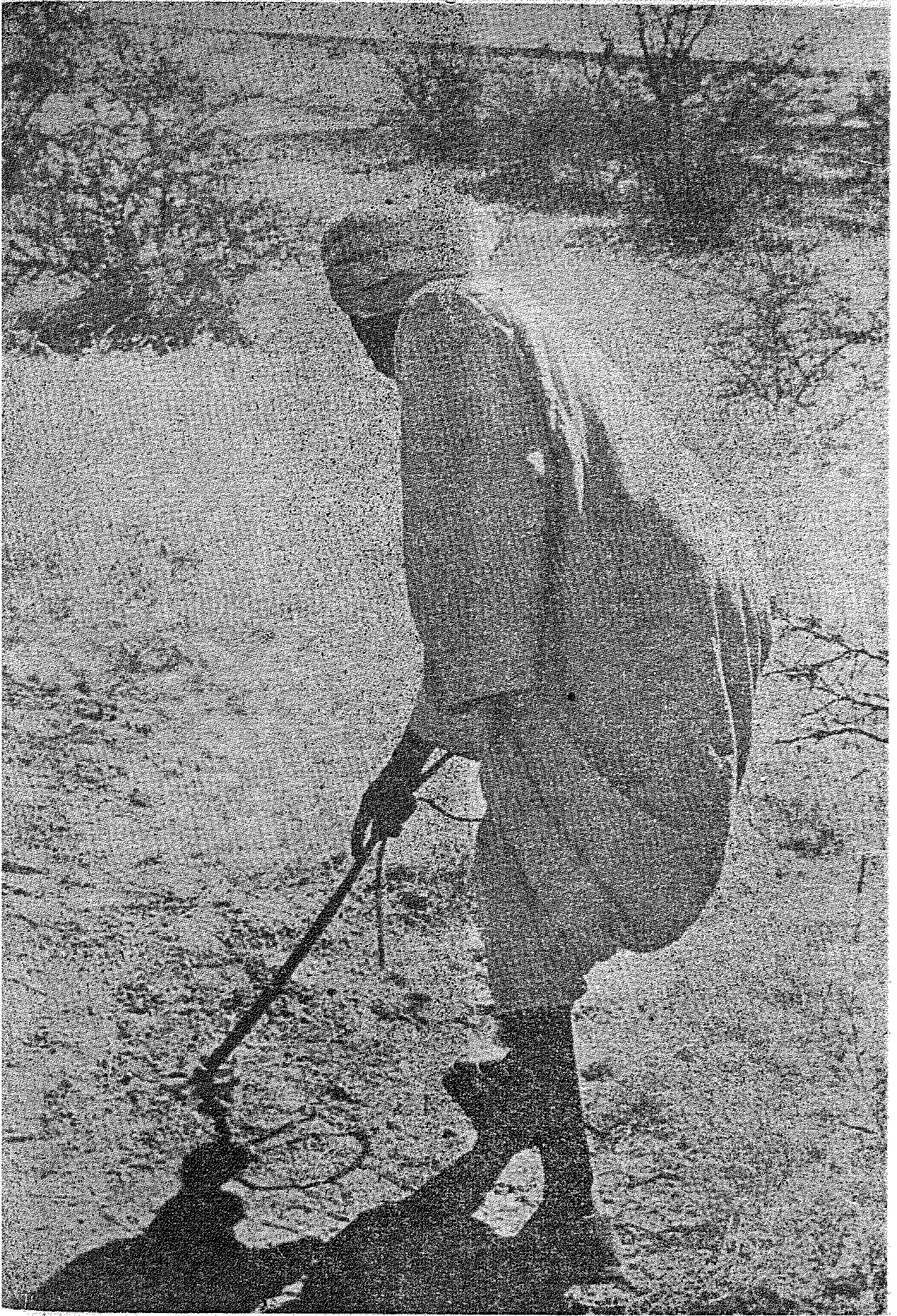
فيمتنعن أولا ويقلن لا أحد يذهب معه فيتحنن لهن ويتملقهن حتى يرضين فيقول « من أراد الذهاب منكن فلينزل فى القرعة » ، ويبعد عنهن قليلا ، وحين يسمع صوت وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف ، ويأخذها من علاقتها مغطاة ويدفعها لصاحبه المشترى فيأخذها ويذهب بها الى داره ويعلقها فى بيته ، ويوكل بالقرعة جارية أو امرأة تأتى كل يوم على الصباح وتأخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن وتغسلها جيدا ثم تضع فيها لبنا آخر محلوبا فى ساعته وتعلقها ..

وحينئذ يأمن الانسان على ماله من السرقة والضياع .. »





الافريقيون فى حماية البوليس



 البحث فى الصحراء

من القصص الافريقى

أجايى والساحر الطبيب

بقلم آموس توتولا — **ترجمة الأستاذ على شلش**

آموس توتولا روائى من نيجيريا . ولد عام ١٩٢٠ من أسرة متوسطة الحال . وقد لاقى فى حياته كثيرا من المشاق اذ عمل زمنا بالزراعة وبيع الأخشاب كما تنقل بين عدد آخر من الأعمال الشاقة .

وقصته « أجايى والساحر الطبيب » تعتمد أساسا على الفولكلور الشعبى الافريقى . وهى حافلة بالرموز رغم بساطتها .

عاش فى احدى القرى شاب يدعى أجايى وكان يعاون والده فى حقله وعندما تقدم والده فى العمر وأصبح عاجزا عن العمل ، استمر اجايى فى رعاية الحقل الى أن أصبح يافعا فى سن الزواج .

وفكر أجايى فى الزواج غير أن المال وقف عقبة فى سبيله . فماذا يفعل ؟ لقد استقر رأيه على أن يتقدم بنفسه الى أحد المرابين ليقترض منه مالا يفى بنفقات زواجه على أن يقوم بالعمل لدى المرابى حتى يوفيه دينه .

وبعد مضى عدة أشهر من زواجه مرض أبوه ، وثقل عليه المرض ، ولم تمض أيام حتى أسلم أبوه الروح .. واجهت اجايى مشكلة أخرى هى نفقات الجنازة . وفى النهاية لجأ الى مراب آخر . تعهد بالعمل لديه لقاء مبلغ من المال أنفقه على جنازة أبيه .

وأصبح اجايى مدينا لاثنين من المرابين . وكان يعمل لدى الأول من الصباح حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ثم يستأنف العمل لدى الآخر فى الساعة الثانية بعد الظهر حتى غروب الشمس .

وساءت حاله وأصبح عاجزا عن توفير القوت الضرورى لنفسه وزوجته . وأشفق جيرانه عليه ورثوا لحاله .

وذات يوم نصحه أحد جيرانه بالذهاب الى طبيب يشتغل بالسحر عله يدله على حل لمشكلة الفقر التى يعانيها .

وعمل أجايى بالنصيحة فذهب الى الطبيب وشرح له متاعبه . وجلس الطبيب يستمع له ثم أجابه قائلا :

« اذا كنت تريد أن تتغلب على فقرك فعليك أن تشترى تسع نعجات وتسعة جوالات فارغة . تضع فى كل جوال واحدة من النعاج التسعة وهى حية . وبعد ذلك تذهب الى قبر أبيك فى منتصف الليل ومعك حملك . وهناك تضعها جميعا فوق القبر .

وعندما تعود فى الصباح الى المقبرة سوف تتملكك الدهشة اذ تجد الجوالات فارغة فوق القبر ، وهذا يعنى أن أباك قد أخذ النعجات التسع .

وعليك عندئذ أن تعود الى بيتك ومعك الجوالات الفارغة حيث تضعها

فى حجرة وتنتظر أياما تجد بعـــدها الجوالات التسعة مملوءة بالمال الذى يضعه أبوك بدلا من النعاج . ويبـــدو لى أن سبب فقرك هو أنك لم تقـدم نعاجا كقربان من أجـل أبيك منـذ توفى . ولكنه عليك أيضا أن تخبرنى متى تضع النعاج فوق القبر وفى أية ليلة » .

وانتهى الطبيب من اجابته فشكره أجايى ومضى . وفور وصوله الى بيته ابتدرته زوجه قائلة : « ماذا قاله لك الطبيب الساحر عن علاج فقرك ؟ » .

وراح أجايى يشرح لها ما حدث فى شىء من الاضطـراب . وأجابت زوجتـه ردا على سـؤال له : كيف يأتى بثمن النعاج قائلة : « معنى هذا اننا سنموت جـوعا ؟ على أننى أرى أنك اذا حاولت اللجوء مرة ثالثة الى أحد المرابين ، فان تستطيع أن ترضيهم جميعا . ولذلك سوف أذهب أنا هذه المرة ، وبذلك نتمكن من الحصول على المال اللازم لشراء النعــاج التســع والجوالات . أننى أريد أن نقضى على فقرنا بأسرع وقت ممكن » .

وعاد يسألها وقد سيطر عليه حزن ممض : ومن اذن يوفر لنا قوتنا عندما تعملين لدى مراب آخر ؟ » فأجابت : «غير مهم ، فاننا سوف نعيش معتمدين على أى شىء نحصل عليه » .

وفى اليوم التالى ذهبت الى أحـد المرابين ، فاقترضت عشرة جنيهات . وصحبت زوجها الى السوق . غير أن سوء الحظ لازمها فلم تكف الجنيهات العشرة لشراء أكثر من ست نعجـات وستة جوالات فارغة .

ووقعت هذه الحقيقة على أجايى وقع الصاعقـة ، وأصابتـه الحـيرة والارتباك ، فقرر أن يعود مع زوجته بالمال الى بيتهما .

غير أن الزوجـة أجابتـه قائلة : يا زوجى ، لنشتر نعاجا وجـوالات بأقصى ما نستطيع أن نشتر به بهـذه الجنيهات . وعند ذلك تأخذها الى قبر والدك كدفعة أولى . وهناك ترجوه أن يقبلهـا الى أن تأتى له بالثـلاث الباقيات متى توفر لديك المال لشرائها. ذلك لأننى أعتقد اننا سننفقها فى أمور أخرى ، اذا عدنا بها . وبذلك نظـل أسرى للفقر » .

وسر أجايى بنصيحة زوجـته . فاشتريا ست نعجـات ومثلها مـن الجوالات .

وعند انتصاف الليل وضع أجايى كل نعجة داخل جوال . ثم حملهـا الواحدة تلو الأخـرى الى قبر والده وكانت المقبرة على مقربة من القرية .

ووقف أمام القبر يعتذر عن النقص الذى أصاب القربان ، ويعد باحضار النعاج الثلاث الباقية وقتما يتوفر لديه المـال !

وفى الصباح المبكر أسرع مع زوجته الى المقبرة . حيث طغى على وجهيهما البشر ، اذ وجدا الجوالات فارغة بلا نعاج ، فظنا أن الأب الميت قد أخذها قبل طلوع النهار . وعادا ثانية الى البيت بالجوالات الفارغة فى انتظار نهاية الفقر .

وظلا ينتظران ، وينتظران وينتظران حتى مر شهر ثم عادا مـن جـديد ينتظران وينتظران وينتظران وينتظران ، حتى أصبحت الشهور عاما ، ولمـا

ينخفض منسوب الفقر ، بل تحول من سيىء الى أسوأ ، وأصبحا يجدان مشقة فى الحصول على وجبتين من الطعام خلال الأسبوع الواحد .

وراح أجايى الى زوجته قائلا : «لقد أثرت فى ذلك اليوم بالعودة الى بيتنا بالجنيهات العشرة بدلا من هذه الورطة! وكان الألم يأكله أثناء حديثه مع زوجته التى أجابته بقولها : « لا تدع اليأس يتطرق الينا . ان نصيحتى الآن هى أن تذهب الى الطبيب الساحر وتسأله عن سبب استفحال الفقر بدلا من انتهائه ! » .

وعملا بنصيحتها ذهب الى الطبيب الساحر . وشرح له كيف قدم النعجات قربانا لأبيه ولم ينته فقره . وعندئذ صاح به الطبيب الساحر : « ها ، ان فقرك لن ينته الا اذا قدمت النعاج الثلاث الباقيات ! » .

وعاد أجايى بما سمع . فقال لزوجته : اننا لا نملك قرشا كما تعرفين . فكيف نحصل على ثمن باقى النعاج ؟ ان فى نيتى الآن أن أذهب الى قبر أبى عند انتصاف الليل لأذكره بأنه كان يعرف أننى فقير قبل وفاته، فكيف يطالبنى بعد وفاته بتسع نعجات. وسوف أقول له أيضا اننى بذلت ما فى وسعى وأعطيتك ست نعجات من تسع . غير أن الساحر أبلغنى أنك تصر على أخذ الباقى . فاذا أجابنى بالايجاب ، فسوف أقطع رأسه عندئذ وأحاول الخروج من القبر بقدر الامكان » .

وانتصف الليل ، وغادر أجايى بيته وقد حمل معه ثلاثة جوالات خالية ومدية طويلة .. وسار الى قبر والده حيث ملأ جوالين بالطين والتراب بطريقة ماهرة حتى بديا كما لو كانا محشوين بالنعاج . وبعد ذلك وضع نفسه داخل الجوال الثالث . وبقى فى انتظار والده الميت ليأخذ الجوالات.

وانتصف الليل تماما . لكن أباه لم يأت . وأخيرا أقبلت أشباح ثلاثة .. كانت الطبيب الساحر ومعه خادماه وأقبلوا على الجوالات الثلاثة فحملوها ومضوا .

ووضعوا الجوالات فور وصولهم فى حجرة الطبيب الساحر الذى أقبل عليها وشرع يفك أربطتها بقصد اخراج النعاج وذبحها ثم تسليم الجوالات فارغة لخادميه لاعادتها الى المقبرة قبل طلوع النهار .

غير أن الطبيب فغر فاه عندما فتح الجوالين الأول والثانى ، ووجد بهما طينا يابسا وترابا . ثم اتجه الى الثالث وراح يفك أربطته . وفجأة قفز أجايى من داخله والمدية فى يده. وأوثق أجايى الطبيب بينما شرع المدية يطوق بها رأسه بطريقة أثارت الرعب والفزع فى نفس الطبيب .

وحاول الطبيب الصياح مستنجدا، لكن أجايى أسرع باغلاق فمه ، ثم وجه اليه سؤاله فى شغف . أتعتقد أن الفقر سيجانبنى عندما استوليت على النعاج الست لنفسك ؟ » .

ورد الطبيب الساحر متمتما : انك لا تستطيع التحرر منه . ولذا فاننى أنا الذى أخذت نعجاتك وليس والدك » .

وبادره أجايى وقد طغى عليه الفرح: ولكننى اعتقد أنك أبى الميت . ولما كنت قد استوليت على نعاجى ، فاننى

آمرك بتحريرى من الفقر هذه الليلة» .

ــ لا ، لست أنا والدك الميت بأى حال ! .

فصاح أجايى مزمجرا باعثا الذعر فى نفس الطبيب :

ــ أؤكد لك أنك أنت أبى الميت الذى يملك قوة تحريرى من الفقر . ولذا فاننى جد مبتهج لأننى سوف أتحرر منه الليلة ! » وهنا أطلق أجايى سراح الطبيب لكى يريه المكان الذى يحفظ فيـــه ماله . وأذعن الطبيب ، لأمر اجايى على كره منه . وتقــدم برشده عن المكان عنــدما هدده أجايى بقطع رأســه .

واســتولى أجايى على المــال كله ومضى به الى منزله . حيث سألتــه زوجته فور وصوله : آه ، عــدت يا أجايى ؟ ماذا قال لك أبوك عنــدما زرته بالمقبرة ؟ » فأجابها » سوف نخلص أنفسنا من كل ديوننا صباح غد . لأن الطبيب الساحر قد تحول الى أبى الميت الليلة وتقمص شخصيته وارتأى أن يحـــررنا من الفقـــر وأن يستولى على نعاجنا بادعاء زائف » .

وسألته متعجبة : « كيف حررنا الطبيب الساحر ؟ » .

ــ لقد اســتوليت على كل ثروته بالقوة . وهى هذه ! .

وعندئذ راح الاثنان يعدان النقود التى بلغت ستمائة من الجنيهات .

وقاما فى اليوم التــالى بتســديد ديونهما وتحرير نفسيهما . وعاشـــا بعد ذلك سويا فى سعادة ووئام .



السياسى المهرج

لقد نشرت جريدة الساندای تيمس اللندنية فى عددها الصادر فى الثانى والعشرين من شهر مارس أن « السير روى ولنسكى» رئيس وزراء الاتحاد الافريقى المركزى قد أصدر تصريحا فى الواحد والعشرين من شهر مارس ردا على تطوع الدكتور نكروما للتدخل للتوسط فى انهاء متاعب المستعمرين فى الاتحاد الافريقى .

ولقد ذكرت جريدة الساندای تيمس أن «السيرروى ولنسكى» وهو رئيس وزراء الاتحاد الافريقى قد عقب على تصريحات الدكتور نكروما رئيس وزراء غانه قائلا : « لو أن الدكتور نكروما قد تريث حتى تعلن تفصيلات الأسباب التى أدت الى قيام الحوادث الجارية الآن والتى يسعى جاهدا فى أكرا الى تدبيرها واثارتها ، لأدرك أن النتيجة المحتومة لكل هذه الأحداث لن تكون الا الدمار والشدة والموت .

وان الأجدر بالدكتور نكروما أن يحدثنا عن الأربعين عضوا من أعضاء برلمان غانه الذين زج بهم فى السجون دون محاكمة لا لشىء الا لأنهم خالفوه فى الرأى ، كيف يرى ابقاءهم فى السجن الى أجل غير مسمى بينما يدافع عن قضية غيرهم من الناس فى أجزاء أخرى من دول الكومنولث ، الذين سجنوا لأنهم يتآمرون على قلب نظام الحكم ، ويستخدمون العنف والاغتيال لتحقيق مؤامراتهم !! » .

* * *

لعمرى أن هذا لغو باطل وهراء لا معنى له يعرض كاتبه للصفعات حتى يرد اليه صوابه ،لولا أن كاتبه هو «السيرروى ولنسكى» الحاكم الادارى الجاهل بالسياسة ، الذى لا يدرى من أمورها شيئا ! .

وانا لنجد تسلية كبرى لأنفسنا متى قارنا تصريح ولنسكى هذا بتصريحه السابق الذى يقول فيه : ان المؤامرة باضت وأفرخت فى أكرا ، مهما تسامحنا مع هذا السياسى السابق المهزار الذى أقام من نفسه — فى غفلة من الزمن — واحدا من أعظم المفكرين فى العالم .

فعندما بدأت الاضطرابات وقامت عصابات ولنسكى النازية المتوحشة بقتل الافريقيين العزل من كل سلاح وذبحهم وتشريدهم ،اتهم روى ولنسكى غانه بأنها هى التى حبكت خيوط المؤامرة ، وأوحت بسياسة استخدام العنف عندما اجتمع مؤتمر كل الافريقيين فى أكرا ويعنى بذلك أن الدكتور نكروما كان وراء كل هذه الاضطرابات فى افريقية الوسطى .

ثم يعود هذا الروى ولنسكى نفسه ليقول ان الدكتور نكروما لا يعرف حقيقة النزاع ولا تفاصيله وان عليه

أن ينتظر حتى تعلن الحقائق ، ليعلم النتيجة النهائية ، لهذه الحركة التى يغذيها من أكرا .

وأنا لنسأل هذا الرجل الذى يتميز بأنه أول رئيس وزراء عابث مهرج فى كل دول الكومنولث ، ونقول له : اذا كان الدكتور نكروما قد تآمر حقيقة مع قادة الاتحاد الافريقى الوطنيين ومع العملاء الروس فى أكرا كما سبق لولنسكى اتهامه بهذا ، فانه لابد يعلم كل الحقائق والتفصيلات الخاصة بالمؤامرة .

واذا كان على الدكتور نكروما أن ينتظر حتى تنشر الحقائق والتفصيلات ، كما يقرر ولنسكى الآن ، فمن البديهى أن نكروما لم يشترك فى المؤامرة ،ولم يضع خيوطها ، ولم يوص بها ! والآن أيها السيد ولنسكى الجاهل العابث أى التصريحين نؤاخذك به ونحاسبك عليه ؟؟ هيا أعلن ذلك للعالم ! .

وانه لمن المحزن المؤسف أن نلاحظ أن عدد المفكرين الأحرار أمثال ولنسكى قد زادوا فى دول الكومنولث وأن هذا الاتهام الموهوم الباطل بالتآمر يجد من يصدقه ويناصره من بين الشخصيات البارزة التى كان الأجدر بها ألا تنساق وراء الأكاذيب الباطلة التى يفتريها حفنة من البيض تعيش فى الاتحاد عيشة ريفية جاهلة .

ولنرجع الى مناقشة تصريح آخر لولنسكى يقول فيه : ان على الدكتور نكروما أن يوضح لأعضاء برلمان غانه الأربعين ، الذين زج بهم فى السجون الى أجل غير مسمى لمجرد انهم اختلفوا معه فى وجهة النظر ، لماذا يعاملهم كذلك فى الوقت الذى يناصر فيه قضية غيرهم فى دول الكومنولث الأخرى ، الذين سجنوا لأنهم يتآمرون على قلب نظام الحكم ، مستخدمين العنف والاغتيال .

ان على ولسنكى أولا وقبل كل شىء أن يتحرى الحقيقة ، ويتقن قراءة الأرقام ، واذا عجز لبلاهته وغبائه عن هذا فليعهد الى نفر من موظفيه ممن يفوقونه تعليما وتثقيفا أن يفهموه حقيقة الأمور ويشرحوها له ! .

انه لو سلك هذا السبيل لأدرك أن أعضاء برلمان غانه المسجونين ليسوا أربعين بل اثنين فقط ، وأن سبب اعتقالهما ليس اختلاف وجهات النظر ، بل أسبابا خطيرة أخرى يعرفها العالم كله .

ان بعض أعضاء حزب المعارضة وهم ليسوا من أعضاء البرلمان مسجونون لأنهم متهمون بارتكاب اعمال الهدم والتدمير ! .

ومن الطبيعى الواضح أن فى امكان الدكتور نكروما أن يشرح لهم سبب اعتقالهما ، وهو محاولتهما قلب الحكومة الشرعية التى اختارها الشعب من بين أفراد الشعب لتحكم لخير الشعب الحكومة التى اختارها الشعب بمحض اختياره وبكامل حريته ، وأولتها أرادة الشعب توكيلا شرعيا لتحكم — انهما عدوان لأفريقية وللأفريقيين ..

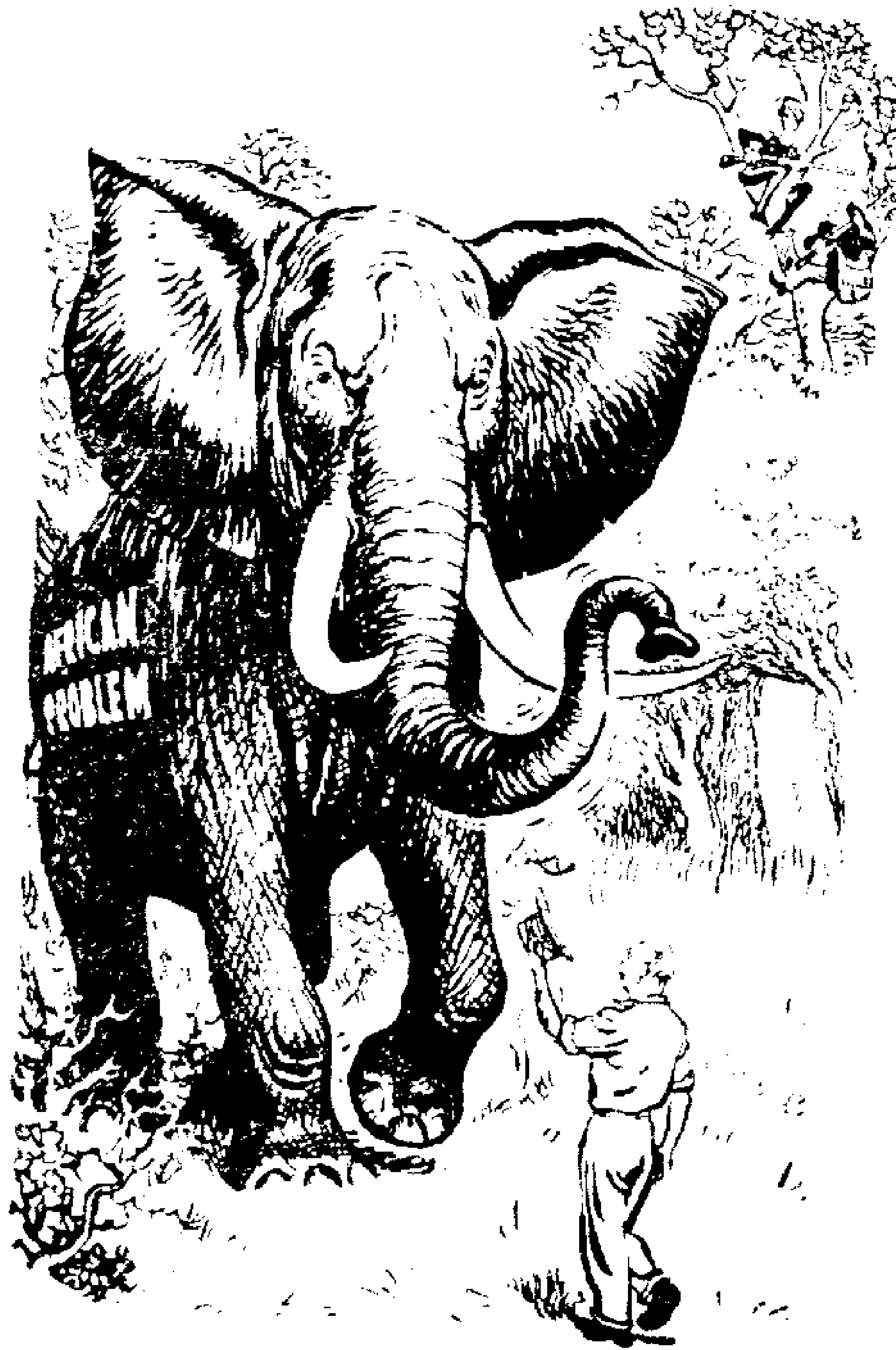
أما الحال فى أفريقية الوسطى فمختلفة تماما عن هذا ! فان المعتقلين والمسجونين هم المحاربون من أجل الحرية ، العاملون على تحرير وطنهم

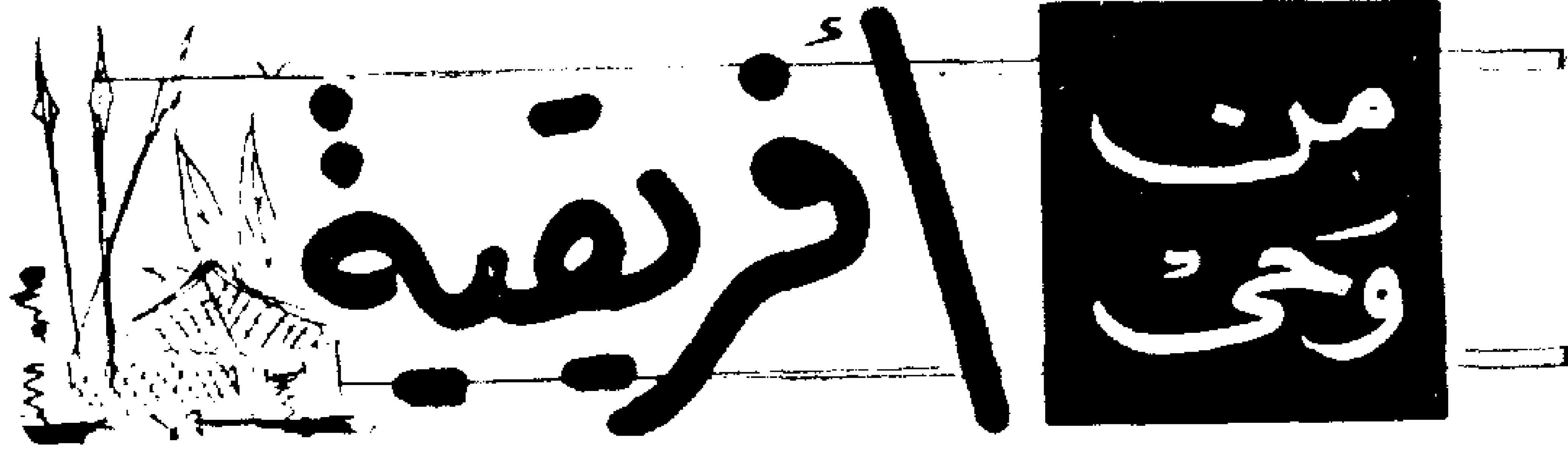
من طغمة المستعمرين البيض الذين يمتصون دماءهم ويستغلون مواردهم ويقفون فى طريق تقدم أوطانهم ، ويأبون عليهم الاستقلال والحرية ،حتى يتسنى لهم استعبادهم واستغلالهم !.

ان المسجونين فى افريقية الوسطى هم أبناء افريقية وأصدقاء الافريقيين!.

ومما يزيد الطين بلة أن حكومة ولنسكى تقوم على نظام يتنافى مع المبادىء الديموقراطية الصحيحة التى يعتنقها الأحرار فى العالم كله ، انها حكومة الأقلية المستعمرة التى تتحكم فى الأكثرية الوطنية صاحبة البلاد الشرعية . انمثل هذه الحكومةلايمكنها حتى مجرد الادعاء بأنها تمثل الحكومة البريطانية لأنها غير ديموقراطية .. أن حكومة ولنسكى لا يمكنها أن تدعى لنفسها أى حق فى الحكم ، الا حق القوة الحربية الغاشمة .

واذا كان ولنسكى قد أراد بذلك أن يجعل من الدكتور نكروما هدفا لحملاته فمرحبا به ، لأنه انما جعلمن نفسه بذلك هدفا لغانه من السهل عليها أن تكيل له الصفعات والضربات انني لا أحسده على الدور الذى يلعبه، الدور الذى نال بسببه عن جدارة واستحقاق لقب « الرئيس المهرج » .





الرائحـــة المـــرة

مستوحاة من قصيـدة الشـاعر الافريقي ــ دافيد ديوب ــ الذى بدأ يشكك فى ماضى القارة ، وأمجـادها فاذا بها ترد عليه

« .. أيها الولد المندفع
ان الشجرة العملاقة الشابة
الشجرة التى ترقد هناك
وحيدة فى فخار بين الأزهار الذابلة
هى افريقية ! !
افريقيتك التى تولد ثانية
تولد من جديد فى عناد ، واصرار
وتكتشف فاكهتها شيئا فشيئا
رائحة مرة هى رائحة الحرية
فالحرية لها رائحة مرة !! »

* * *

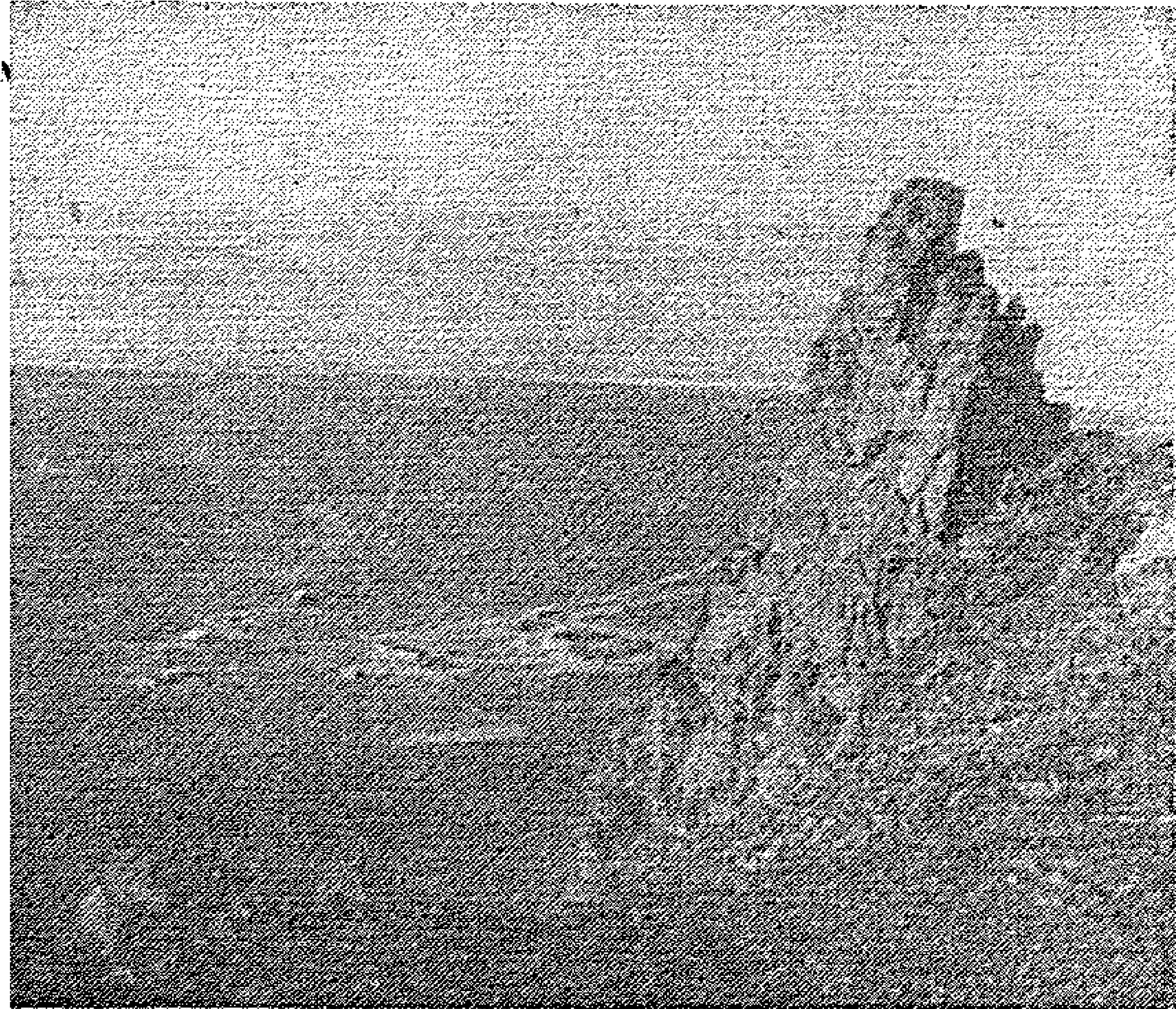
افريقى يتحدث :

افريقيـا يا أرض الأجـداد المجـدبة الحـيرى
عن وجهك ألوى فى حقـد وجهـا منحـوتا مزورا
أحرقت مدارا ضم الشمس بما فى جبهتى السمرا
لم تمسك أرضـك من أعمـاقى فى يوم عات جذرا
فأبى قد بيع رقيقا فاستخذى وتوثب محجره ذعرا
دنيـاه تبكى غربتــه ، وتوسـده همس الذكرى
ما أبعـد ما بين الجـذر المسكين ولمتـه الخضرا !
مـا كنت لنـــا يا افريقيــا فى محنتنـا الا قبرا

* * *

ولدى لا تظـــلم أيامى . لا تذرف من أجـــلى عبره
قد كنت جـــديرا أن تلقى فى عروة أيامى .. زهـره
فلقـــد قاتلت هنـــا المجهول . تقد عمقت هنـا سره
دورت الشمس . دحوت الأرض كسوت روابيها خضره
والآن أعـــود الى ماضى . أعـــود لأيامى الحـــرة
أنظر فى الأفق ترانى أنهض أكســـو أوراقى نضره
تبصر قلبى يمتـــد يريح على أفق حان صـــــدره
تلمح عصـــفورا يدعونى ، ويعيـــد بأغصانى نقره
وثمــــارى يكســـوها أرج فضى مبحـــوح النبره
شـــجر الحرية حـــين يدور يرقرق رائحـــة مره

عبده بدوى



NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

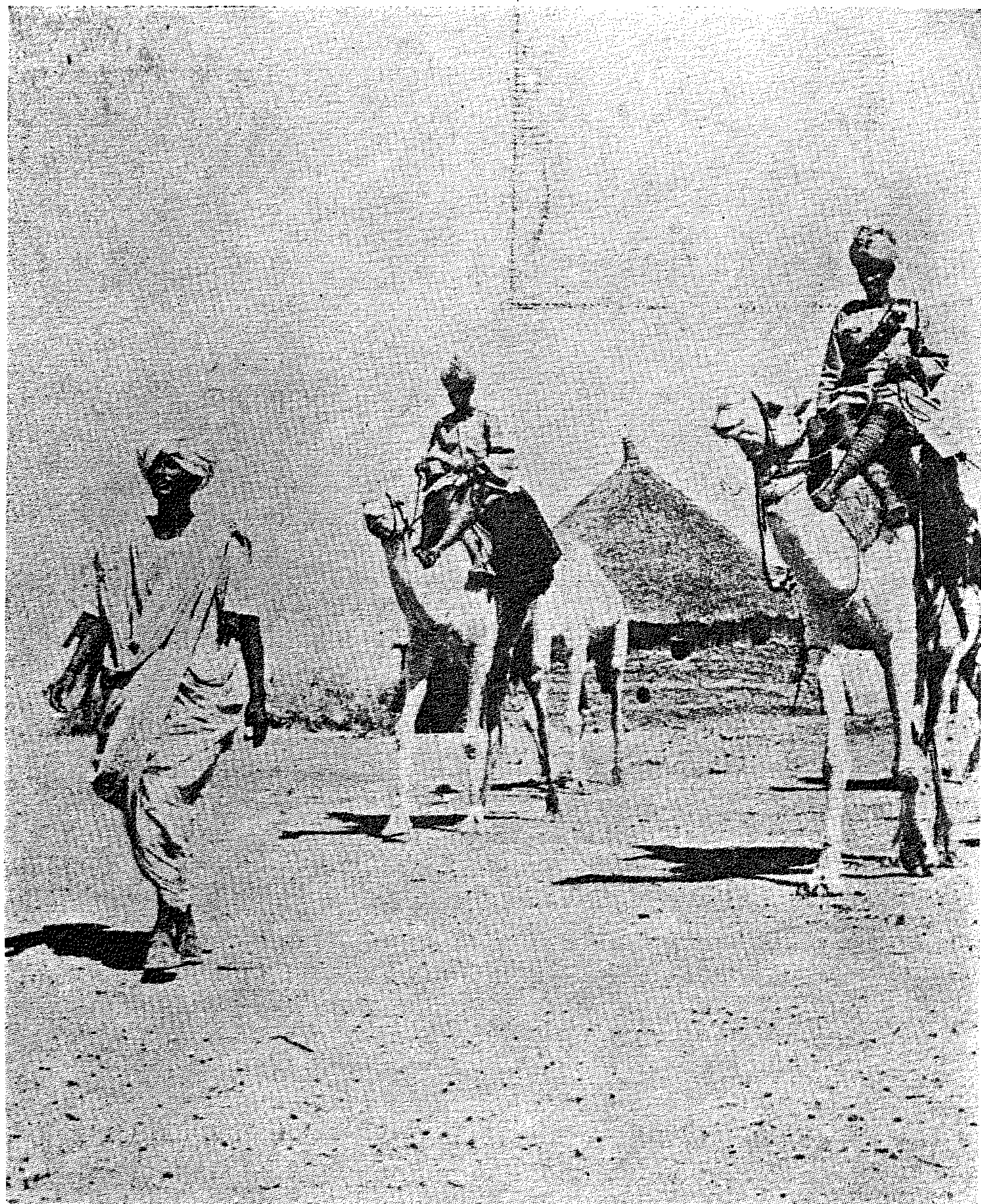
Subscriptions should be sent to : Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.



Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture.

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK



من جوانب الصحراء

3rd. Year Issue No. 29 APRIL 1960.



Nahdatu IFRIQUIAH

30 Milliemes

IN THIS ISSUE

السنة الثالثة　　العدد ٣٠　　مايو ١٩٦٠



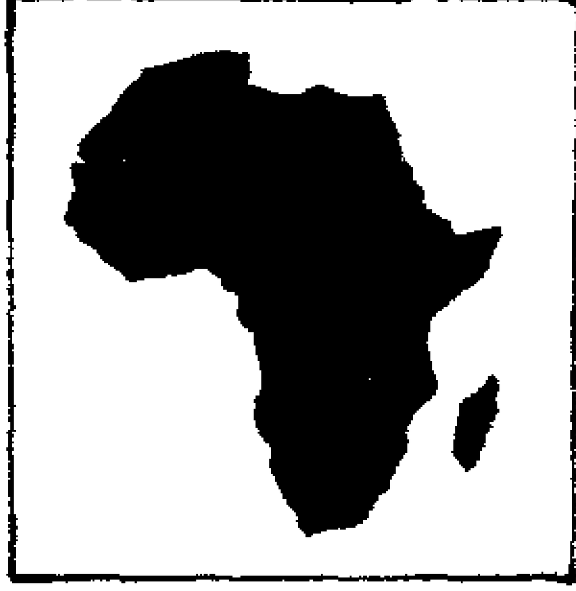
نهضة افريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



من النحت الافريقى



نهضة افريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

(١)

.. وارتفع علم جديد فى سماء القارة الافريقية أحاطت به العيون واشتركت فى رفعه رويداً رويداً حتى استقر مهيبا بلونيه الأخضر ، والأصفر فى سماء « توجو » فاذا بالقارة كلها قلب يخفق ، وفجر يصدح ، وأغنية حرية ! .

واذا بهذا العلم بين يوم وليلة قلب قارة يميل غربا نحو « غانه » فرحا باستقلالها ، معتزا بحريتها ، ويميل شرقا نحو « داهومى » فى تموج سريع كأنه يذكرها هى الأخرى بأن الوقت قد آن ليحلق فى سمائها المتحررة قلب القارة الكبير فى صورة علم .

.. لقد رفعته يد « سيلفاتوس أوليمبيو » فى حب ، وقوة ، ومع أنه يبلغ خمسين عاما الا أن يده لم ترتعش وهى تزفه نحو السماء عاليا . فقد عاشت هذه اليد خمسين عاما تحلم بهذه اللحظة الخالدة . لحظة رفع علم فى سماء « توجو » !

(٢)

تهتم جريدة « المساء » اهتماما خاصا بالقارة الافريقية ، والأحداث التى تغلى فيها . هذه الأحداث التى تتعلق فى نهايتها دائما ثمرة الحرية القانية ذات الرائحة المرة ! .

وهكذا فتحت بحب نافذة على القارة الافريقية من جريدة المساء ، ومجلة « نهضة افريقية » يسرها أن تحيى الزميلين فاروق القاضى ، وجيلى عبد الرحمن اللذين يشرفان على باب « نافذة على افريقية » .

« عبده بدوى »

محتويات العــــدد

الأفريقيون في أمريكا

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

من أمريكا سمعنا صوتا جديدا ليس بغريب النبرة على أسماعنا . فقد كان فيه الشيء الكثير من ماضينا، والشيء الأكثر من حاضرنا ، ومستقبلنا، فاذا كان جديدا على انسان فهو هذا الذى يسمعه مصبحا ، وممسيا ، وفيما بين الصباح والمساء ، لأنه الانسان ((الأمريكى)) الذى يعيش بجوار الانسان الأسود فى أمريكا دون أن يعرف أن ضلوعه تنطوى على قلب شعب ، وأن عينيه تمتلئان بذكريات قارة ، وأن كتفيه تنوءان بحمل أعباء الحضارة فى هذا العالم الجديد ! .

فالأمريكى قد وطن نفسه على أن يلغى عشرين مليون أسود فى سير الحياة هناك ! عشرين مليون قلب يسهمون بجد واخلاص فى تطوير الحياة . ذلك لأنه تلقى فى البيت ، والمدرسة والحياة أن السود قاصرون عن البيض ، وانهم دخلاء على المجتمع الأمريكى ، بل ودخلاء على الحياة نفسها ، فهم لا يعترفون بقدرات السود ، وطاقاتهم البناءة فى أى مكان فى العالم ، ولذلك نراهم يقيمون ستارا سميكا بينهم وبين هؤلاء السود ، فهناك أحياء كاملة تحصر السود فاذا اراد واحد منهم أن يقيم حيث يقيم البيض نرى السكان يهددون بترك الحى ، ونرى أصحاب البيوت يصرخون ، لأن الايجارات ستنهار ، ونرى البيض ، كل البيض يحاصرون هذا الرجل الأسود بنظرة الحقد فى العين ، وبحماس المسدس فى الكف ، حتى لقد أخذوا يكتبون على بعض الفنادق ، وأماكن الاجتماع كلمة « ممنوع دخول السود والكلاب ! » .

لقد كانت هذه الكلمة من قبل يكتبها البيض هكذا ((**ممنوع دخول اليهود والكلاب**)) فماذا الذى أصاب الافريقيين بكل هذا الهوان فى هذه البلاد ؟ وما الذى جعل الصهيونية تتحكم فى مقدرات البلاد ، وتوجيه سياستها ، وأخيرا نقاباتها التى أحدثت هذه الضجة الكبيرة حول مقاطعة الباخرة العربية « كليوباتره » ؟ .

لقد أصبح الأمريكيون المعتدلون أنفسهم يتساءلون عن سر التغلغل الصهيونى فى البلاد ، فسمعنا الشيخ الأمريكى « وليم فولبرايت » رئيس لجنة العلاقات الخارجية يقول بعد تقديم اقتراحه بالعدول عن المقاطعة **((ان الدافع لى على تقديم هذا الاقتراح هو وجود جماعة تمارس الضغط على الحكومة لاقحام النزاع**

الاسرائيلي في السياسة الداخلية للولايات المتحدة . في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر كالبوتقة التي يتحول فيها كل المهاجرين الى مواطنين صالحين دون اعتبار لدياناتهم أو عنصرهم ، أما الآن فقد شاهدنا فئة معينة تدين بالولاء لدولة أجنبية ، وجماعات أجنبية » .

ونحن نعيد التساؤل مرة أخرى ، لماذا تخضع الحياة الأمريكية للصهيونيين وهم قلة لا تؤثر على سير الانتخابات ، كما يؤثر السود الذين يبلغون عشرين مليونا ، ولا تتوقف عليهم حياة البلاد بقدر ما تتوقف على هذه الكتل الضخمة من السود التي تباشر الانتاج في الميادين الزراعية ، والصناعية بجد واخلاص ، فهم الذين يمثلون القاعدة الهرمية التي تتحمل بصبر عنيد ضغط الحياة عليها من الطبقة العليا ، والطبقة المتوسطة ! .

ان القول بتأثير الرأسمال الصهيوني قد يكون مبالغا فيه في بلد كأمريكا ممتلىء برءوس الأموال الوطنية . وبالفائض الذي يغنيها عن رؤية ذوي الأنوف المقوسة ، ومن هنا نرى سببا آخر لهذه المواقف العدائية التي تتكرر المرة بعد المرة من أمريكا ، نرى هذا السبب في قلق الأمريكيين المتزايد من نمو الوعي العربي ، والعمل على احتضان كل العواصف التي يمكن أن تهب على الحياة العربية ، ومن أهم هذه العواصف التي يفرغون فيها حقدهم ، وبغضهم هذه العاصفة التي صنعت بأيديهم ، وسميت بعد ذلك باسم « الصهيونية : » .

كما نرى هذا السبب في العداء التقليدي للدول الافريقية من شمالها الى جنوبها ، ومن شرقها الى غربها فالجمهورية العربية في نظرهم طاقة مشعة تتوجه اليها كل الأنظار في افريقية بدلا من اتجاهها بعيدا الى أمريكا ، والجمهورية العربية المتحدة في نظرهم بلد ثوري شعبها من الملونين يجب أن يقف عند حدوده المرسومة سياسيا . أما الحدود الفكرية ، والعربية التي يتشابك فيها كل العالم العربي فشيء تنكره السياسة الأمريكية ، ولاتعترف به ! .

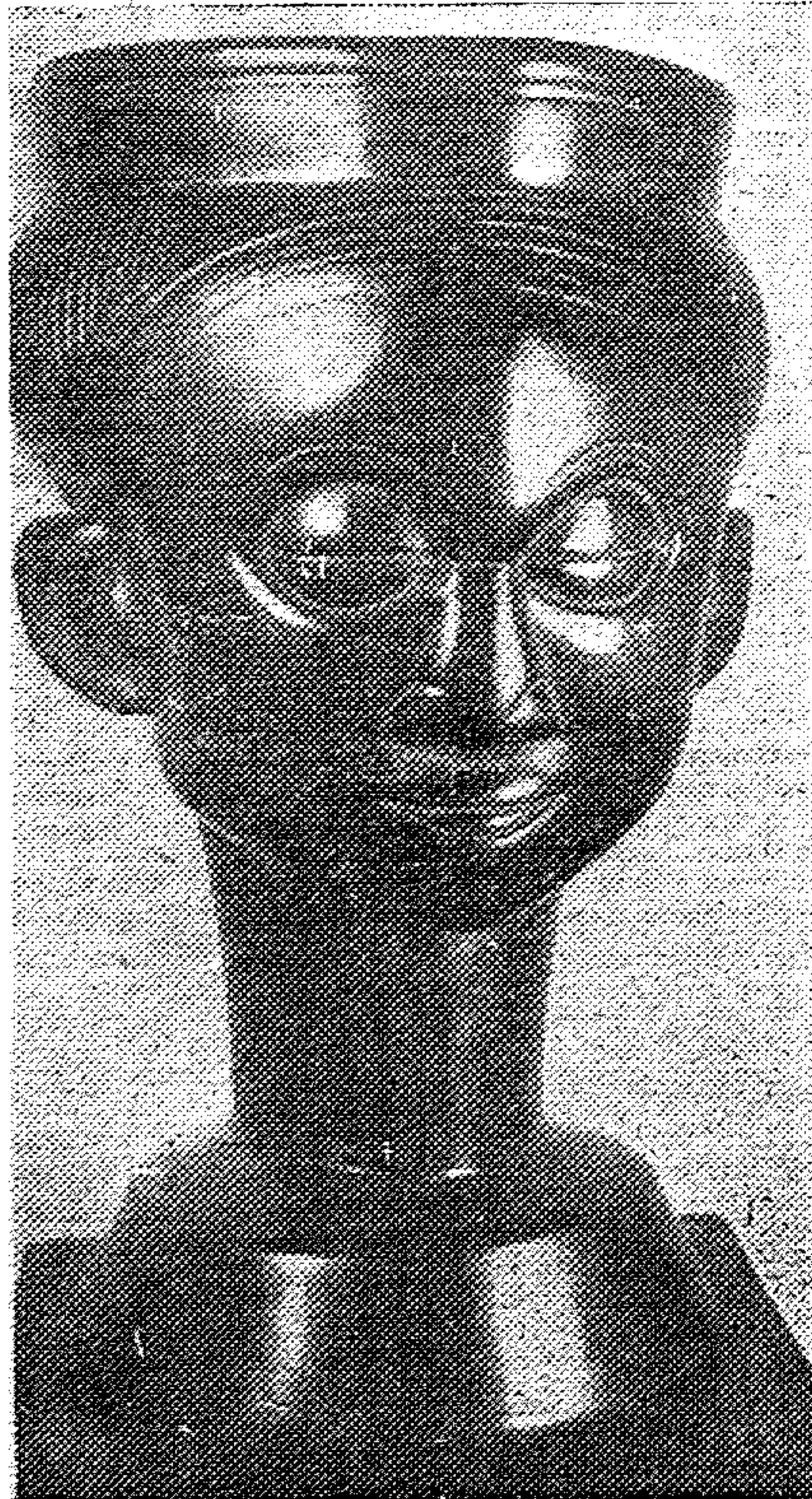
وقد أدرك هذا أخيرا الافريقيون في أمريكا فاحسوا أنهم يتلاقون عاطفيا مع العالم العربي ، ورأينا « **جيمس لوسون** » رئيس الحركة الوطنية الافريقية في أمريكا . يندد بالسياسة الأمريكية ، ويؤكد أن الافريقيين في أمريكا سيعبئون أنفسهم ضد المؤامرات الصهيونية التي تهدف الى تمزيق العلاقات القائمة بين أمريكا والعرب ، كما يؤكد أن الصهيونيين هم الذين حرضو عمال ميناء نيويورك على مقاطعة الباخرة « كليوباترة » ، فهذه المقاطعة لا تعبر عن شعور عمال الموانى الأمريكية لأن عدد الافريقيين بينهم يبلغ ٦٠٪ ، ولذلك نراه يعلن عزمه في حديثه بحى « هارلم » على تحطيم المقاطعة ، وتصميم الافريقيين في أمريكا ــ وأنا هنا أتعمد تسميتهم بالافريقيين ــ على تفريغ شحنة الباخرة العربية اذا لم تتراجع السياسة الأمريكية عن احتضان كل المشاغبات الصهيونية ، ونحن نقدر

قيمة هذا العزم من هذا الزعيم الكبير ، ونقدر أنه لو لم تتراجع السياسة الأمريكية وتحصر التمدد الصهيونى لرأينا هؤلاء الافريقيين يتجمعون فى كتل كبيرة متحدية لتفريغ شحنةالباخرة ، ولضرب مناطق النفوذ الصهيونى فى أكثر من مكان بأمريكا .

انالجمهورية العربية المتحدة تتكفل بهذه العصابات التى ترتعد على حدودها ، أما هؤلاء الصهيونيون الذين يذوبون داخل المنظمات الأمريكية ثم يعودون للتجمع لضرب النفوذ العربى الصاعد فسيتكفل به هؤلاء الافريقيون الذين تربطنا بهم أوثق الروابط وأقواها ، فسواء أقاموا فى أمريكا ، أو عادوا فى دولة كليبيريا ، أو أى بلد افريقى آخر فبيننا وبينهم علاقات الوطن الكبير ،والكفاح المشترك، والمثل الطيبة ، والرغبة فى أن يسود العالم السلام ، والعدل ! .

لقد كان الافريقيون فى أمريكا يعيشون فى انزواء عن كل ما يمس وجودهم ،ولكنهم الآن أخذوا فى الظهور على مسرح السياسة هناك ، وأصبحت كلمتهم تستطيع أن تزلزل الصهيونية المنتهزة ، وهذا الانحراف المتعمد فى السياسة الأمريكية .

ونحن هنا فى العالم الافريقى سعداء بهذه الكتلة الجديدة التى أخذت تؤكد وجودها ، وتستعيد روابطها القديمة ، وتحنو بحب على جذورها ، ومن شمال القارة يسعدنا أن نجيبهم، وأن نشد على أيديهم ، وأن نذكرهم بأننا ننطوى لهم على الحب نفسه والحماس الذى ينطوون على مثله لنا .



هذه هى توجو

بقلم : الدكتور عبد العزيز رفاعى

أبت افريقية الا أن تتحرر ، فوثبت من سباتها العميق فى وجه الاستعمار ، وناضلت من أجل ذلك من سنين . انطلقت أمم ، كانت بالأمس جاثية أمام الاستعمار ، جذوة قوية مضطرمة فأذابت قيوده وتحررت ، وأضاءت لغيرها من الأمم السبيل . فاقتفت اثرها ، تنضح جفنها الوسنان بأنداء الحرية ، وتستقبل حياتها الكريمة ، من هذه الأمم : **توجولاند** .

وتوجولاند ، أمة من أمم افريقية المناضلة ، تمثل اقليما يقع ضمن أقاليم غرب افريقية . بين ساحل الذهب غربا وداهومى شرقا وساحل المحيط جنوبا ، على بعد درجات قليلة شمالى خط الاستواء ، وهو جزء من هضبة افريقية يمتاز بساحل بحرى مستقيم ، رملى منخفض ، كونه ذلك التيار البحرى المعروف باسم كاليما ، وعلى صفحته تتجلى آثار مدن قديمة .

اما مناخ **توجولاند** ، فهو حار رطب على الساحل يتمتع بفصلين ممطرين يمتد الأول من مارس الى يونيو والثانى من سبتمبر الى نوفمبر ، ويبلغ متوسط الأمطار السنوى ٥٥ بوصة .

ويعتبر اقليم توجولاند اقليما جغرافيا مليئا بخيرات المنطقة الاستوائية ومظاهرها النباتية ، تنتشر فى أرجائه أشجار جوز الهند الذى جلبه اليه البرتغال فى فجر الاستعمار الحديث كما تحتويه أشجار زيت النخيل والمطاط ، كما تتلون فيه النباتات الطبيعية باختلاف ارتفاع سطحه ، فالغابات الاستوائية تنمو فوق مرتفعاته ، وعلى هضابه تنمو حشائش السافانا المتنوعة والبستانية وغيرها .

ولا يختلف الاقليم كثيرا عن نظائره فى افريقية الغربية من الناحية الأنثروبولوجية عموما . فسكانه زنوج موزعون بين أرجائه فى نسب ودرجات من الرقى متفاوتة ، فالجزء الجنوبى الغربى من توجولاند تسكنه جماعات تختلف عمن يسكن الساحل والجنوب الشرقى منه ، اذ يمثل هؤلاء جماعات قبيلة الايفا . وبين سكان الساحل تمتزج الدماء البرتغالية بالدماء الزنجية ، اما فى جميع المدن فيمثل السكان سلالات من البرازيليين الزنوج الذين نزحوا اليه ابان القرن التاسع عشر .

ويبلغ عدد السكان الوطنيين اقل من مليون نسمة وهم يتكلمون اربعين لغة مختلفة ، وكما هو معروف فى غرب افريقية تقسم الشعوب الى عدد كبير من القبائل ، كل منها تدين بالولاء لرئيسها ، اما هو فيخضع لسلطة

مجلس من الرؤساء الفرعيين ولفيف من الموظفين .

ولقد ظل اقليم توجولاند اقليما بكرا ، يعيش فى حدود كيانه الاجتماعى والاقتصادى ، شأنه فى ذلك شأن سائر افريقية ، حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . ومن ثم بدات الحياة فيه تتلون بألوان غريبة وفدت اليه عن طريق الاستعمار الغربى .

وقد بقى اقليم توجولاند تحت الحكم الألمانى ثلاثين سنة . وكانت العناية منصبة فيه حول الزراعة والتجارة وطرق المواصلات . وقد ادخل الألمان فيه زراعة البن والكاكاو والمطاط والقطن ، وكانت السلع المتبادلة فى التجارة هى البذور وتجارة الذرة وزيت النخيل . على أن التجارة عموما كانت وقفا على المستعمرين فى معظمها ، وقد بلغت قيمة الصادرات سنة ١٩١٣ ...ر٤٥٧ جنيه وقيمة الواردات ...ر٥٣١ جنيه . وكان الألمان يمثلون السواد الأعظم من سكان المستعمرة الأوربيين ، فقد بلغوا سنة ١٩١٢ — ٣٢٧ ألمانيا من ٣٦٨ اوربيا ، لكنهم القوا قياد الأمور فى هذه المستعمرة لمن أتى بعدهم من المستعمرين عقب الحرب العظمى الأولى عندما انتهت بهزيمتهم ، وبالتالى بتقسيم مستعمراتهم بين دول الأعداء .

اذ ذاك قسم اقليم **توجولاند** بين دولتى فرنسا وانجلترا ، فنالت فرنسا قسما يجاور داهومى تبلغ مساحته ٢٠ر٤٦٣ **ميلا مربعا** ، على حين نالت انجلترا اجزاء حول الساحل ، وقد اقرت ذلك التقسيم عصبة الأمم سنة ١٩٢٢ .

وانشطرت وحدة الاقليم الى قسمين ، وأخذ كل قسم منها ينمو فى ظل هذه التجزئة تحت لونين مختلفين من السياسة الاستعمارية ، وان ارتبطا معا بوحدة من الاستغلال الاقتصادى وكبت الحريات والضغط السياسى وغيره ، وقد ظلا كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، حيث وضعا تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة .

ولايزال توجولاند حتى اليوم تشرف عليه المنظمة الدولية تماما كالكمرون تدير بريطانيا جزءه الغربى وتدير فرنسا الأجزاء الباقية منه ، وتقع عاصمة القسم الانجليزى على مسيرة بضع ساعات بالسيارة من أكرا عبر نهر الفلتا واسمها **هو** .. وقد قطعت هذه العاصمة خطوات كبيرة نحو التقدم ونما سكانها الأوروبيون من ١٢ الى ٢٤ فردا ، وهو ما يقرب من نصف المجموع الكلى لغير الافريقيين فى جميع أرجاء توجولاند البريطانى البالغ عددهم ٥١ فردا ، أما الافريقيون فى العاصمة فيبلغون حوالى خمسة آلاف نسمة .

وتعتبر قبيلة الايفا شعبا ناميا مقدما فى توجولاند ، كما أنها تنتشر كثيرا بين رحاب ساحل افريقية الغربى . وهم عموما على جانب من التعليم وان بدت بعض قراهم خالية من المعاهد التعليمية ، كما أن الايفاويين الفلاحين مازالوا على حالتهم البدائية تقريبا .

ولهذه القبيلة عاداتها وتقاليدها ، منها عادة القسم العظيم . الذى يتم اجراؤه فى احدى الحفلات العامة التى

تجمع عددا كبيرا حول مسألة من المسائل . وهو قسم يعاقب كل من يحنث به عقابا يشهر به عن مجتمعه فنرى الحانثين به وقد خدشت خدودهم والسنتهم جزاء بما فعلوا ، مما يطبع القسم بطابع الصرامة ، ويدفع الكثيرين من الايفاويين الى الجفول من اثباته خوفا من التشويه .

ولقد دخلت وسائل الأخلاق السيئة بدخول الاستعمار وأخذ الانحلال الأخلاقى يتفشى بينهم . ومن عاداتهم أنه لو حدث وسقطت احدى العذارى فانها لا تتحمل البقاء فى قريتها ، بل تندفع الى الهجرة ، الى مدينة أكرا حيث تستطيع العيش بعيدا عن الأنظار .

وفى ظل الاستعمار . أخذت المسيحية تنتشر بين رحاب هذه القبيلة الواسعة الأرجاء . وكان هناك بعثة ألمانية تدعو للتبشير . وتضطر تلك لمغادرة البلاد اثر هزيمة ألمانيا وتقسيم توجولاند بين انجلترا وفرنسا ، لكنها تركت وراءها كنيسة مستقلة كان لها نشاطها الدينى الملحوظ . وقد استتبع النشاط التبشيرى بعد رحيل هذه البعثة ، مبشرون من الانجليز والأمريكان . وقد انتشرت المسيحية كما انتشر الاسلام عن طريق التجارة وبالأساليب التى ذاع بها من ربوع الصحراء . ولكن على الرغم من هذا لا تزال الوثنية باقية فى بعض أرجائها.

ولم تستطع توجولاند أن تقف جامدة ازاء حركات التحرر التى أخذت تغمر افريقية . فالأسباب التى ابتعثتها عبر حدودها كانت كفيلة ببعثها بين ربوعها لتوفر أسبابها بين رحاب هذا الاقليم .

وترجع أصول هذا الاختمار القومى الى اشتراك الافريقيين فى الحربين العالميتين : جنودا وعمالا ، اذ ذاك انطلقوا الى آفاق جديدة واتصلوا بالعالم المتحضر ، فاتسعت مداركهم، واذا كانت لوسائل الاستعمار الفرنسى الانجليزى فى داخل البلاد أثرها فى ايقاظ المشاعر القومية ، واشعار السكان بضرورة التعاون من أجل المصلحة المشتركة ، بعد أن أثار فى نفوسهم القلق والتبرم والتذمر . فقد كان لانتشار الثقافة الغربية ، ووجود فئة جديدة مثقفة أثرها الكبير فى حفز هذا الوعى وتوجيهه نحو الولاء لتوجولاند وكراهية الاستعمار .

وقد تجلت بواكير الوعى القومى فى نضال هذا الاقليم من أجل توحيد جزئيه فى دولة واحدة وتحررهما من الاستعمار الغربى . وقد جاء ذلك ثورة على السياسة التى تتبعها فرنسا فى القطاع التابع لها من الاقليم ، التى تقوم على العمل على ادماج الاقليم فى اتحاد مع فرنسا ، وثورة ضد سياسة بريطانيا ازاء نظام الحكم الذى تنهج فيه بريطانيا نهج الرياء فيما تتبعه من نظم الحكم غير المباشر .

رغب شعب الايفا توحيد نفسه ، ولكنه وجد هناك صعوبات تعرقل سير حركة الوحدة ، ففيه من السكان ما يقرب من ٤٠٠٫٠٠٠ نسمة فى الجانب الفرنسى ، وحوالى ١٧٠٫٠٠٠ نسمة فى الجانب البريطانى ، وبجانب

ذلك ، هناك طائفة منه يبلغ تعدادها ۲٥٠٫٠٠٠ نسمة تعيش بين ربوع ساحل الذهب الشرقى على طول الحدود الغربية للاقليم : وهى طائفة بوجودها خارج حدود الاقليم تمثل حجر عثرة فى سبيل تحقيق الوحدة القومية تحقيقا كاملا ، وذلك يرجع لأطماع نكروما الذى يرغب فى أن تصبح توجولاند جزءا من ساحل الذهب مادام ذلك يوسع من رقعة بلاده .

وكما يواجه شعب الايفا فى توجولاند هذه العقبة فى سبيل توحيده تواجهه سياسة فرنسا القائمة على الاصرار على أن تظل قابضة على ما لها من قطاع فى الاقليم ، وتعارض بشدة ، اتجاه هذا الشعب الآخذ بالوحدة بين القطاعين الفرنسى والانجليزى .

أما البريطانيون فيتبعون خطة ماكرة لمواجهة حركة التحرير . تتفق ومصالحهم ، فهم يحاولون السير على لون من الوحدة بين ساحل الذهب وتوجولاند كى ينال نهر الفلتا ذلك الذى يمثل الحدود ، الادارة نفسها على كلتا ضفتيه ، بعد أن أصبح مشروع الألمنيوم فى طريق التنفيذ . وبريطانيا من جهة أخرى لا ترغب فى أن تمنح نكروما الكثير من المطامع بدون جدوى .

وثمة مشكلة أخرى هى اختلاف الرأى حول أهداف الحركة القومية فى توجولاند . فبين أرجاء توجولاند البريطانية يوجد هيئتان سياسيتان بين عناصر الايفا : تمثل الهيئة الأولى جماعة قومية مغتصبة تكره الفرنسيين الى درجة كبرى وتسعى للتخلص منهم ، ان اليوم أو غدا ، بالطرق كلها ، وهى تعمل على توحيد توجولاند الحقيقية فى وجود قومية حرة دون التوجه لساحل الذهب وضم ما به من عناصر الايفا المنتشرين فيه . وهو اتجاه يغطى بلا شك على حركة التحرير القومى الكامل لهذا الشعب ، أما الهيئة السياسية الثانية فقد أمها جماعة متحالفة مع الرئيس نكروما ورأيها العمل على الاندماج مع ساحل الذهب .

ووراء الحركة القومية فى توجولاند تقف الشخصية القوية التى تتبلور حولها الحركة . وتجد مكانها فى مدينة ليومى عاصمة المنطقة الفرنسية وهى شخصية الزعيم **سلفانوس أولجبيو** .

ينحدر سلفانوس من عائلة كان لها نشاطها الكبير فى تجارة الرقيق الافريقى ، وقد هاجرت منذ بضعة أجيال الى جزر الهند الغربية ، ثم انتقلت الى البرازيل ، وقد كان لوالد هذا الزعيم الفضل فى ارجاعها الى افريقية لتتخذ منها مقرها الأخير .

ولقد تعلم سلفانوس الألمانية صغيرا ثم ذهب الى الجامعة فى ديجون ، ومن ثم الى مدرسة الاقتصاد فى لندن .. وقد تقلد ادارة الشركة الافريقية المتحدة لسنين عديدة فى توجولاند . وقد آل على نفسه العمل فى المجال السياسى لخدمة بلاده فى نشاط قومى مشتعل . فى ذكاء واستثارة لقضية بلاده وأهدافها .

أما محور ذلك النشاط : فهو دأبه على توحيد شطرى توجولاند فى دولة واحدة ذات سيادة . وهو اذ يستثنى الايفاويين المنتشرين فى ساحل الذهب

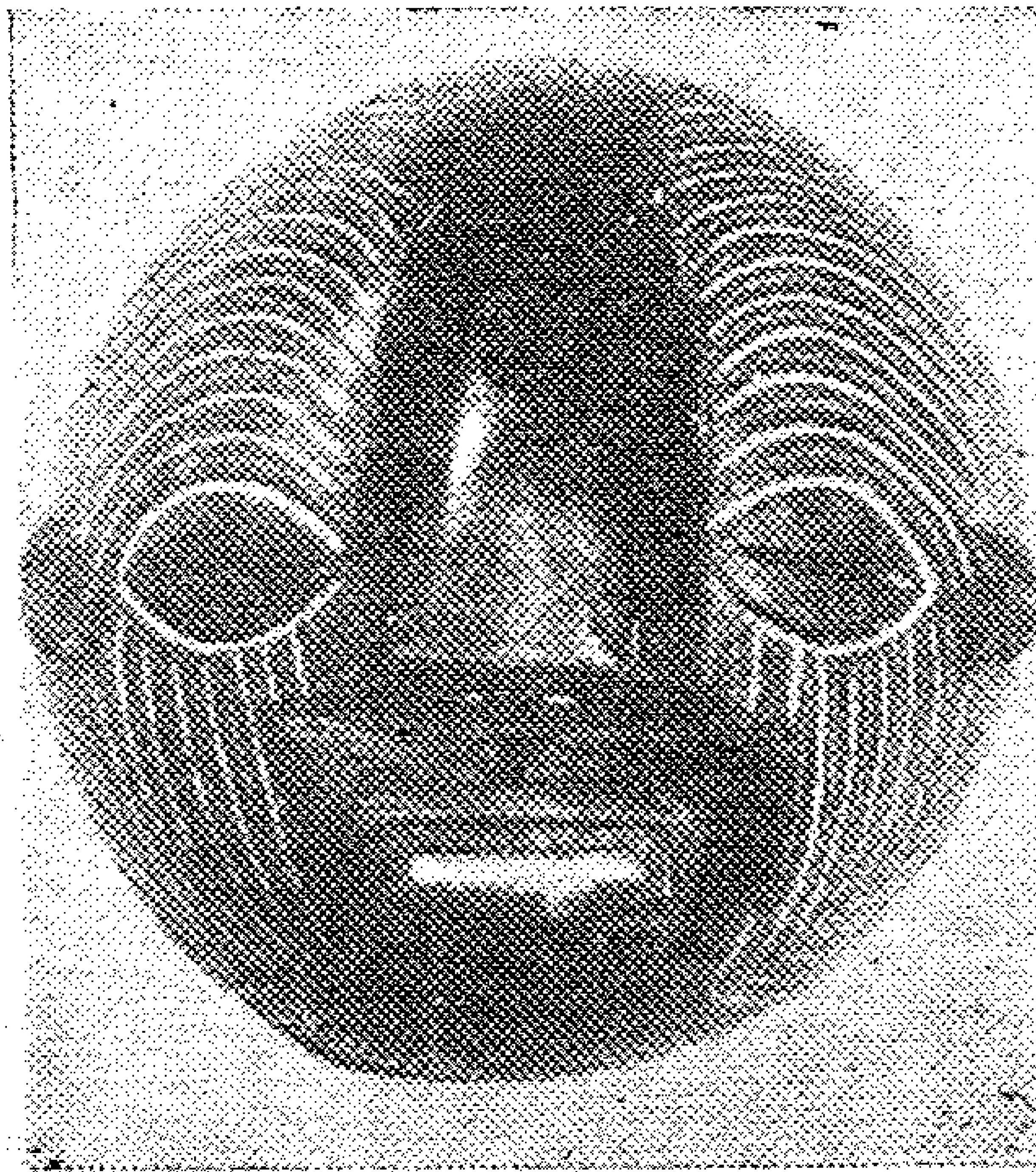
فيقصر الوحدة على العناصر الموجودة مثلا فى توجولاند ، فانه يأمل أن يقوم هناك اتحاد فدرالى بين ساحل الذهب وتوجولاند ، ويعارض اتجاهات نكروما فى محاولاته ضم توجولاند البريطانية فى الوقت المناسب الى غانة ، لأن ذلك فى رأيه يشجع الفرنسيين على ضم قسمهم الى داهومى ، وبذلك يساء الى قضية توجولاند .

واذ يتخذ هذا الزعيم مقره بين القطاع الفرنسى ، فانه يشهد بنفسه عن كثب حكمة شكوى الأهالى من الحكم الفرنسي أكثر من شكواهم من نظم الحكم البريطانى .

ففى القطاع الفرنسى تزداد الحريات قيودا فى اتجاه فرنسا لاستئصال جذور الشعور القومى المشرق فيه . وهم بجانب اهمالهم لشئون التعليم والاقتصاد ، الا ما يقع فى نطاق مصالحهم ، يسيئون فى امعان الى حقوق الاقليم السياسية بادارته من باريس ، شأنه فى ذلك شأن الكمرون الفرنسى ، بل ينكرون على توجولاند حقه فى الوجود القومى ويطبقون فى معاملته الخطط نفسها التى يتبعونها فى المغرب .

ولا جدال فى أن الفرنسيين بهذا كله قد أعمتهم النزعة الاستعمارية عن الاعتراف بحقيقة تطور الشعوب فى العالم ، الأمر الذى نعاه عليهم زعيم توجولاند الوطنى سلفاتوس ، على أنهم بسياستهم الخرقاء هذه قد استثاروا الروح القومى وزادوه ايقاظا ، حتى وجدوا أنفسهم فى النهاية أمام عدو يساجلهم الحرب والنضال كل يوم من أجل التحرر القومى .

لن يستطيع الأستعمار ايقاف عجلة التطور القومى ، بعد أن بلغ المدى الافريقى مرحلته التاريخية ، وقد وضح طريق الحرية أمام توجولاند ولم يعد الا أن تمعن فى السير قليلا لينبلج صبحها عن فجر جديد ومستقبل مجيد .



مشكلات خلفها الاستعمار

للأستاذ محمد جلال عباس

مقـــــدمة

يعتبر مؤتمر برلين (سنة ١٨٨٥) البداية الحقيقية للتسلط الاستعمارى على افريقية ، فقد تم فى هذا المؤتمر تقسيم القارة الى مناطق نفـوذ بين الدول الاستعمارية ، وأخذت كل دولة تبسط سلطانهـا على الأجـزاء التى اعترف لها المؤتمر بالنفوذ عليها ، ثم بدأت مرحلة الصراع لرسم الحدود بين المستعمرات .

ولقد رسمت هذه الحـدود على أساس مـن الأطمـاع الاسـتعمارية وتسابق الدول للسيطرة على أوسع المساحات وأغنى الأراضى دون أن يؤخذ فى الاعتبار توزيع القبـائل والوحدات القومية التى سـبق تكوينـها مجىء الاستعمار .

ويعتبر شـعب ((الايوى)) الذى تقوم مشكلته على الحدود بين «غانة» و « توجو » التى استقلت أخيرا أوضح مثال على ذلك .

ولقـد مرت مشـكلة « الايوى » بتطورات عديدة باستعراضها فى هذا المقـال تنكشـف حقـائق الاسـتعمار ونواياه الخبيثة .

الحماية الألمانية على توجو :

فى منتصف القرن التاسـع عشر اتجهت ألمانيا الى دخول ميدان المنافسة التجارية فى غرب افريقية ، وقـد استمرت المنافسة بينها وبين فرنسـا فى ساحل توجو قائمة حتى سنة ١٨٨٠ حتى وصلت بعثات ألمانية كثيرة كانت أهمهـا تلك البعثـة التى أرسلها «بسمارك» بقيادة الدكتور « جستيف تشتبجال » والتى استطاعت بعـد وصولها بمدة وجيزة أن ترفع العلم الألمانى على جهات كثيرة من الساحل وتقضى بذلك على المنافسة الفرنسية .

وقـد نجح « تشتبجال » سـنة ١٨٨٤ فى عقد اتفاق مع زعيم عشيرة الايوى التى كانت تسكن المنطقة الواقعة فى الجـزء الشرقى خلف البحـيرات السـاحلية ، كما استطاع رفـع العلم الألمانى على جهات كثيرة فى الداخل مما جعل ألمانيا تعلن حمايتها على هذه المنطقة التى أسمتها باسم « توجو » نسبة الى كلمة « توجو » التى تعنى فى لغة الايوى « ماوراء البحر » .

وحينما عقـد مؤتمر برلين سـنة ١٨٨٥ كانت ألمانيا قد بسطت نفوذها على هذه المنطقة فاعترف المؤتمر لها بهـا .

بداية المشـكلة :

وبدأت مشكلة الحدود تظهر بعد هذا المؤتمر حينما اخذت كل من انجلترا والمانيـا تخططـان الحـدود بين

مستعمرتيهما المتجاورتين : ساحل الذهب (غانة) وتوجو الألمانية ، وفى يوليه سنة ١٨٨٦ عقد أول اتفاق بين الانجليز والألمان على وضع علم على الساحل غربى لومى مباشرة ليفصل بين حدود ساحل الذهب وتوجو ، ثم توالت بعد ذلك الاتفاقيات لوضع خطوط الحدود (١٨٨٨ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩٩) وقد أدت هذه الاتفاقيات الى شطر جماعات الايوى الى قسمين : قسم عاش داخل ساحل الذهب تحت النفوذ البريطانى ، وقسم آخر عاش فى داخل توجو تحت النفوذ الألمانى، كما أدت اتفاقية سنة ١٩٠٤ الى تقسيم جماعات « الداجومبا » فى الوسط ، وجماعات « المامبروس » و « الجونجا » فى الشمال بين النفوذ البريطانى ، والألمانى كذلك .

وكانت النتيجة الحتمية لذلك هى اختلال نظام الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند هذه الجماعات التى كانت قبل الاستعمار تعيش حياة آمنة مطمئنة أساسها التعاون الكامل بين أبناء العشائر ، والوحدة السائدة بين عشائر القبيلة ، وكانت الأرض ملكا للجميع، ومجالا حيويا لكل فرد من أفراد القبيلة ، فأتاها الاستعمار ، وشطر الأرض ، وفرق بين أبناء القبيلة الواحدة ووضع الخطوط المزيفة التى تمنع اتصال أبناء الشعب الواحد بعضهم مع البعض الآخر ، ومن ثم اضطربت حياتهم الاقتصادية وأصبح نشاطهم الاقتصادى الموجه لسد حاجاتهم الضرورية مقيدا بتلك الخطوط المفتعلة التى رسمها الاستعمار دون اعتبار لشخصية الشعوب ومصالحها .

حلول مؤقتة :

ولما شعر المستعمرون أن أبناء الشعوب المقسمة هذه قد أخذوا يظهرون التذمر ، ويعلنون مطالبتهم ورغباتهم فى الوحدة ، ولما شعر المستعمر بأن الخطر يتهدده ان لم يجد ما يسكت به هذه الأصوات المطالبة بالوحدة ، أو على الأقل يخفض من ضوضائها ، لما شعر بذلك أخذ يفكر فى الحلول المؤقتة فعقد اتفاقا يقضى بتخفيف قيود انتقال شعب الايوى عبر الحدود بين غانة وتوجو ، كما شجعت السلطات الاستعمارية البريطانية أبناء الايوى القاطنين فى توجو على الانتقال الى ساحل الذهب (غانه) . وقد كانت السلطات البريطانية تهدف من وراء ذلك الى مصلحة استعمارية محضة تتمثل فى الحاجة الى عمال للعمل فى مزارع الكاكاو ، فشجعت ذلك لكى تضمن وصول عدد من الأيدى العاملة من أبناء الايوى لتشغيلهم فى جمع الكاكاو ، واعداد بذوره للتصدير .

أما قبائل ((**الداجومبا**)) فقد كانت تنتظم فى امارة ، عاصمتها « يندى » (Yandi) ، وقد قسمت بلادهم بحيث أصبحت العاصمة فى المنطقة الواقعة تحت النفوذ الألمانى ، وتشتت بقية الداجومبا فى المستعمرة البريطانية ومن أجل رعاية «الداجومبا» المشتتين فى ساحل الذهب تنازل رئيسهم عن جزء من سلطاته لنائب له يشرف على شئون هؤلاء المقيمين فى داخل حدود ساحل الذهب وأصبح الداجومبا

بذلك مقسمين الى قسمين : — الشرقيون ويحكمهم الرئيس ومركزه يندى ، والغربيون ويحكمهم نائب الرئيس ومركزه سافيلوجو (Saveluge) ويعتبر هذا أيضا حلا من الحلول التى لجأ اليها الاستعمار لكى تتوقف القبائل عن المطالبة بوحدتها .

الحرب الأولى والتقسيم :

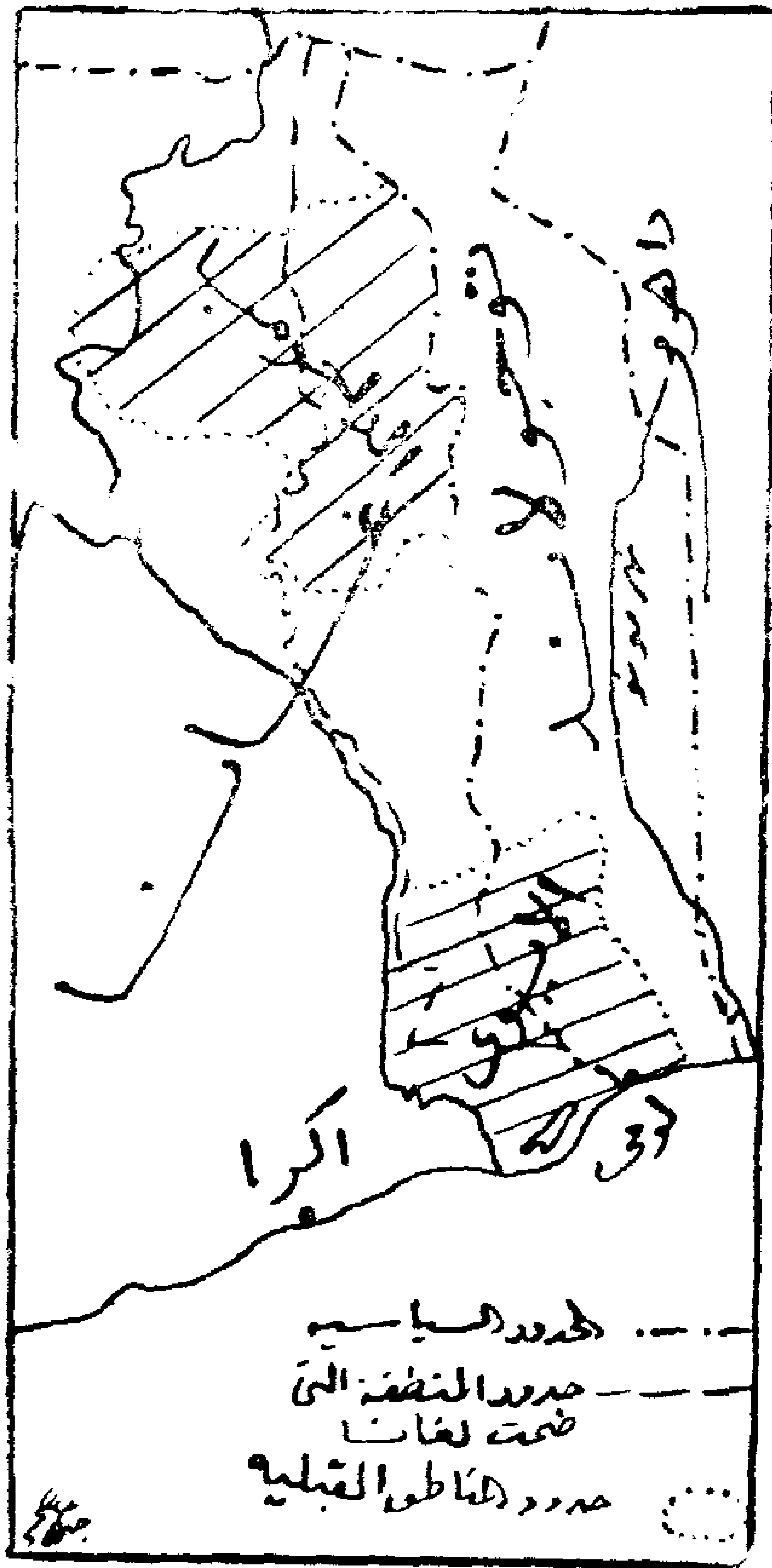
ظل الألمان يحكمون منطقة «توجو» ويعملون على استقلال مواردها الاقتصادية ، ومدوا السكك الحديدية من لومى الى « أنيشو » على الساحل، كما مدوا الى الداخل خطين حديديين الى كل من « باليما » و «باليتا » وبنشوب الحرب سنة ١٩١٤ بين ألمانيا والحلفاء احتلت كل من الجيوش الفرنسية ، والجيوش البريطانية جزءا من مستعمرة توجو الألمانية ، وبذلك قسمت بينهما على أساس المنطقة التى احتلها كل منهما ، فانجلترا حصلت على منطقة الساحل ، ومنطقة السكة الحديد ، والفرنسيون احتلوا الجزء الداخلى والشمالى ، وكان من نتيجة ذلك أن تعرض شعب «الايوى» لتقسيم جديد ، اذ شطرت العشائر التى كانت تسكن توجو وقسمت بين النفوذ البريطانى ، والنفوذ الفرنسى.

وبعد انتهاء الحرب جردت ألمانيا من مستعمراتها ، وقررت عصبة الأمم تطبيق نظام الانتداب على هذه المنطقة ،وأعيد تقسيمها بحيث حصلت انجلترا على الشريط الغربى المجاور لمستعمرة ساحل الذهب (غانه) ، وحصلت فرنسا على الجزء الشرقى المجاور لمنطقة « داهومى » ، بما فى ذلك كل المنطقة الساحلية ، ومنطقة السكة الحديد .

وقد كان لهذا التقسيم نتائجه بالنسبة للشعوب الواقعة على جانبى الحدود ويمكننا أن نلخصها فيما يلى : —

١ — عادت الوحدة الى شعب « الداجومبا » وأصبحت داخلة ضمن نطاق النفوذ البريطانى فى ساحل الذهب .

٢ — ضم شتات الجماعات الأخرى التى قسمتها الحدود الى قبائلها الأصلية مثل المامبروس والجونجا .



٣ ـ أعيد تقسيم الأيوى للمرة الثالثة بحيث أصبحت ثلاثة أقسام : قسم يعيش تحت الانتداب الفرنسى حول لومى وشرقها وشمالها ، وقسم يعيش تحت الوصاية البريطانيــة فى الجزء الخاضع للانتداب البريطانى ، وقسم ثالث يقع غرب خانق نهرالفولتا فى أراضى ساحل الذهب الأصلية ، ويمثل هذان القسمان الأخيران فى الواقع قسما واحدا لخضوعهما للنفوذ البريطانى ويعتبر الفصل بينهما نظريا محضا ، سواء من الناحية الدولية أو الناحية التاريخية .

وهكذا نجد أنه بينما حلت مشكلة شعوب الداجومبا والمامبروس والجونجا فى الوسط والشمال ازدادت مشكلة شعب الايوى حدة فى الجنوب.

الحكم البريطانى والحكم الفرنسى :

منذ أن خضعت توجو لنظام الانتداب سنة ١٩٢٢ بدأت كل من انجلترا وفرنسا تطبق طريقتها الخاصة فى حكم المستعمرات ، فأخذت فرنسا تتبع طريقة الحكم المباشر ، وتعمل على فرنسة المنطقة التابعة لها فى توجو كما كانت تفعل بمستعمراتها الأخرى ضاربة بشروط الانتداب عرض الحائط ، وتعمدت أن تغفل الشرط الذى يقضى باعداد المناطق الخاضعة للانتداب اعدادا يؤهلها للاستقلال عن طريق تدريب اهلها على حكم أنفسهم ،فأخذت تعمل على القضاء على شخصية شعب التوجو وتنشر الفرنسية كلغة رسمية ، ولغة أساسية فى البلاد ، وتقضى على كل ما هو وطنى .

اما الانجليز فقد أخذوا يطبقون نظرية الحكم غير المباشر التى نادى بها « اللورد لوجارد » والتى تقضى باقرار حكم الزعماء المحليين ، واتخاذهم وكلاء للسلطات الاستعمارية فى بلادهم، ولذلك شجعوا نظام الحكومات والمجالس المحلية المنتخبة ليخلقوا بين الرؤساء التقليديين (Tradional Chiefs) وطبقة القادة من المثقفين (Elite) الخلافات التى يمكنهم عن طريقها المحافظة على سيطرتهم .

ويذكر « هاريسون تشرسن » فى هذا الصدد أن الأيوى الذين عاشوا فى ظل الحكم الفرنسى المباشر قد تطلعوا الى اخوانهم الذين يعيشون فى ظل الحكم البريطانى غير المباشر لما فيه من حرية نسبية ، ومن ثم اتجهت المطالبة الى توحيد البلاد فى ظل الحكم البريطانى .

والواقع أن ذلك الاتجاه لا يعنى أن شعب الايوى يفضل الحكم البريطانى لذاته ،انما فضل الحرية العرجاء التى تمنحها بريطانيا لا لذات النظام وانما لهدف آخر أسمى هو الاتحاد كخطوة أولى نحو التحرر من الاستعمار .

الحرب الثانية والشعور بالمشكلة :

وبقيام الحرب العظمى الثانية ووقوع فرنسا فى قبضة ألمانيا ، وقيام حكومة فيشى الموالية للمحور ، أقفلت الحدود بين ساحل الذهب وتوجو ، وهنا قامت الحدود حائلا فعليا بين أبناء شعب الايوى ، وأدركوا أن لا سبيل الى حياة أفضل الا بالاتحاد ، وبدأت مطالبتهم بذلك تعلن ، وتأخذ صفة دولية بعد أن كانت أمانى تكمن فى

الصدور . وأعلنوا حقهم فى الوحدة فى أول مؤتمر لهم عقد فى أكرا سنة ١٩٤٦ وسافر ممثلون منهم الى مجلس الوصاية سنة ١٩٤٧ يطالبون بالاعتراف لهم بوحدتهم ، غير أن مجلس الوصاية قد خيب آمالهم اذ أصرت كل من انجلترا وفرنسا على ابقاء الوضع على ما هو عليه فوافق المجلس أخيرا على الابقاء على التقسيم القديم قائما .

ولقد نشطت الهيئات ، واللجان العديدة التى تشكلت من شعب الايوى مثل جماعة الايوى الاتحاديين (Ewe Unionist Association) فى توجو البريطانية ، ولجنة اتحاد توجو (Comité de l'Unité Togolaise) فى توجو الفرنسية ونشطت مثل هذه الهيئات فى مطالبة الأمم المتحدة بتوحيد البلاد، وكانت نتيجة المطالبة أن وصلت المشكلة الى أسماع العالم ، واستجابت الأمم المتحدة لبحث مطالب شعب الايوى فأرسلت فى سنة ١٩٤٩ بعثة من مجلس الوصاية الدولى لزيارة مناطق الايوى الثلاث ، وتلقت هذه البعثة طلبات عديدة ، وشاهدت اصرار شعب الايوى على الاتحاد .

وأرسلت الأمم المتحدة بعثة أخرى سنة ١٩٥٢ ، قوبلت باصرار كل من انجلترا وفرنسا على ابقاء الوضع على ما هو عليه ، دون أى تعديل ،ولكنها تلقت سيلا من الطلبات ، فضلا عما قام به الايوى فى كل من غانه ،والمنطقة الفرنسية من مظاهرات للمطالبة بالاتحاد والاستقلال ، ولكن السلطات الاستعمارية أخمدت هذه الحركات بالقوة القاهرة ،

وقد اضطرت كل من انجلترا وفرنسا ازاء ذلك الى الاتفاق على تسهيل الانتقال عبر الحدود ، كما أعلنتا أنهما تبحثان بعض المسائل التى تتعلق بتوحيد شعب الايوى مثل مسألة فرض ضرائب متساوية ، ومسألة التعليم العالى وتمويله برأس مال مشترك لانشاء جامعة يلحق بها أبناء الايوى من كلا الاقليمين ، وكان الهدف الأساسى من ذلك هو صرف الايوى عن مطالبهم واخماد الأصوات التى تطالب بالوحدة والاستقلال ،وهو أمر لم ينطل على شعب الايوى .

مؤامرة على غانه :

ونظرا لحكم منطقةتوجو البريطانية كجزء من غانه ، فقد شارك الايوى وسائر أبناء توجو البريطانية شعب غانه فى كفاحه من أجل الدستور ، ومن أجل الاستقلال حتى استطاع المجلس التشريعى الغانى أن يرغم انجلترا على تحديد موعد لاستقلال غانه فى سنة ١٩٥٧ ، وعندئذ أدركت بريطانيا فشلها فى الاحتفاظ بسيطرتها الكاملة على غانه ، فاتجهت الى خلق المشكلات الاقتصادية والسياسية لهذه الدولة الناشئة قبل مغادرة البلاد .

واهتدت بريطانيا –فيمااهتدت اليه– الى اجراء استفتاء فى مايو سنة ١٩٥٦ لضم منطقة توجو الواقعة تحت وصايتها الى غانه ، واستطاعت أن تقنع مجلس الوصاية بذلك ، وكانت نتيجة الاستفتاء غريبة للغاية فالأغلبية

التى وافقت على الانضمام الى غانه أغلبية ضئيلة : ٥٨٪ فقط ، فضلا عن ان الأغلبية العظمى فى شعب الايوى بالجنوب صوتت ضد الانضمام لغانه، وكانت تفضل تطبيق نظام الوصاية لكى تستطيع توحيد بلاد توجولاند فى دولة مستقلة سنة ١٩٦٠ .

والمعروف دوليا فى مثل هذه الاستفتاءات التى تتم بأغلبية ضئيلة أن يعاد الاستفتاء بعد مدة أخرى لتتبلور فيها فكرة الشعب من جديد، أو أن يعمل اعتبار لرأى المناطق التى بها أغلبية واضحة لاتجاه معين لتحقيق رغباتها ، ولكن الذى حدث أن انجلترا أسلمت توجو لغانه فور ظهور نتيجة الاستفتاء .

وكانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك الى أن تزيد من حدة مشكلة الايوى فتخلف بذلك لغانه مشكلة تهدد وحدتها واستقرارها السياسى ، اذ أن شعب الايوى الذى رفض فى الاستفتاء الانضمام الى غانه ، سيظل يطالب بالانضمام الى توجولاند ، وبذلك يقوم الخلاف بين الجارتين الشقيقتين فتشغلان بها عن الاتجاه الى التضامن من أجل الصالح الافريقى الاسمى ، أو قد يجد الاستعمار فى هذه المشكلة وسيلة من وسائل استعادة نفوذه ومدخلا لمؤامراته .

ولقد صح ما هدفت اليه انجلترا ، وثارت المشكلة بين غانه وجارتها توجو قبيل استقلالها ، وكاد الصدام يقع بين الجارتين على الحدود لولا أن تدخلت عوامل أقوى من الاستعمار جعلت الجارتين تتراجعان وتغلبان العاطفة الافريقية على المؤامرة الاستعمارية .

المظهر الجغرافى للمشكلة

هكذا نرى أن المشكلة قد نشأت نتيجة للاستعمار فى أول أمرها ، كما اتخذت مظهرها الحالى أيضا نتيجة لسياسة الاستعمار وأطماعه ، ويتلخص الوضع الحالى لتوجولاند والايوى فيما يلى :

١ ــ الجزء الشمالى من توجو التى كانت خاضعة للنفوذ البريطانى قد أدمج فى مديريات الاقليم الشمالى بغانة حيث جمع شتات القبائل التى مزقتها خطوط الحدود المفتعلة مثل الداجومبا والمامبروس (Mamprusi) والجونجا (Goja) .

٢ ــ الجزء الجنوبى الذى تسكنه جماعات الايوى فى «توجو البريطانية» أدمجت فيه المنطقة التى تسكنها جماعات الايوى التى كانت داخلة فى حدود مستعمرة ساحل الذهب الأصلية وأصبح شعب الأيوى مجموعا فى اقليم شرق الفولتا والتوجو (Togo-traus Volta Region)
وقسم هذا الاقليم الى المديريات الخمس التالية :

بويم كراتشى	Buem Krachi
كيبوندو	Kpondu
هو	Ho
انالو	Analo
تونجو	Tungu

وفى هذه المنطقة يعيش نحو ٦٢٧ الفا من شعب الايوى منهم نحو ٤٠٠ الف كانوا يعيشون فى منطقة الوصاية

البريطانيــة ونحــو ٢٢٧ الفــا كانوا يعيشون فى منطقــة شرق الفولتــا بساحل الذهب .

٣ ـ الجزء الجنوبى ومنطقة السكة الحديد فى توجولاند المستقلة تسكنها أغلبية عظمى من شعب الايوى يبلغ عددهم نحو ١٧٥ ألفا ،وتمتد أوطانهم الى الشرق حتى نهــر مــونو حيث يشاركون بعض القبائل الأخرى التى تعيــش على جانبى الحــدود بين توجولاند وداهومى الفرنسية .

٤ ـ الجزء المطل على مصب نهــر مونو داخل حدود داهومى تسكن به أعداد قليلة من أبناء الايوى ويطالب بعض أحزاب توجو مثــل اتحـــاد توجو (Union Togolaise) بمصب النهر لاستكمال توحيد شعب التوجو.

وهكذا نجد أن شعب الايوى قــد انقسم ، وفتتت وحدته ، وبرغم ذلك فانه شعب مترابط يؤمن بالوحــدة ايمانا يرجع الى تنظيمه الأصلى الذى اكتسبه فى موطنه القــديم بجنــوب غرب نيجيريا ، وهاجر به الىموطنه الحالى فى توجــو وغانه ، وقــد كان للهجرة وما تطلبتــه من تنظيم قبلى عسكرى أثرها الذى ما زال ينعكس فى ايمان شعب الايوى بوحدته .

وفضلا عن ذلك الايمان التقليدى بالوحدة ، فان هناك عوامل جغرافية تقوى هذا الاتجاه ، وتتمثل فى تشابك المصالح الاقتصادية ، فان الايوى بغانه يسكنون شرق الفولتا فى منطقةمنعزلة عن السكك الحــديدية والمواصــلات الغانيه مما جعل التوجيه الجغرافى له نحــو توجولاند فى الشرق ، وتعتبر اتاكيام (Atakpame) وباليمى (Palimé) نهايتى السكك الحديدية فى توجولاند الأسواق الرئيسية كمنتجــات الايوى القاطنين فى غانه .

موقف غانه وتوجولاند من الايوى

يتضح مما سبق أن غانه تقف من مشكلة الايوى موقفا خاصا يتمثــل فى العمل على ادماج الايوى ادماجا كاملا فى الشعب الغانى ، ويتضح ذلك من تقسيمها الادارى لاقليم شرق الفولتا والتوجو ، غير أن مؤتمــر توجولاند (Togoland Congress Party الذى كان يعارض الاتحاد مع غانه فى الماضى قد حول مطالبته الىوجهة نظر وسط بين طلب شعب الايوى فى الانفصال عن غانه والاتحاد مع الايوى فى توجو. وبين اتجاه الحكومة الغانيه الى ادماج شعب الايوى فى غانه ادماجا كاملا ، فالحزب المذكور يطالب الآن بأن يكون للجزء الجنوبى من توجولاند فى المنطقة التابعة لغــانه وفى توجــو المســتقلة شخصية اعتبــارية مســتقلة ليمكن لشعب الايوى أن يتعــامل كوحــدة متكاملة .

وتقف توجو موقفا معارضا لأى اتجاه يرمى الى اعطاء الايوى شخصيــة ذاتية مستقلة داخل الدولة ، وذلك لأن الايوى يحتلون المنطقة الجنوبيــة التى تقع بها العاصمــة والتى تعتبر أغنى مناطق توجو حيث يتركز معظم النشاط الاقتصادى فضلا عن أنها منطقة السكة الحــديدية ، وأن توجو لا تعارض فى ذلك وحسب ، بل تهدف أيضا الى تحقيق وحدة الايوى فىظلها وهذا الاتجاه هو الذى أدى الىحوادث

الحدود بين غانه وتوجولاند فى شهر مارس الماضى (١٩٦٠) .

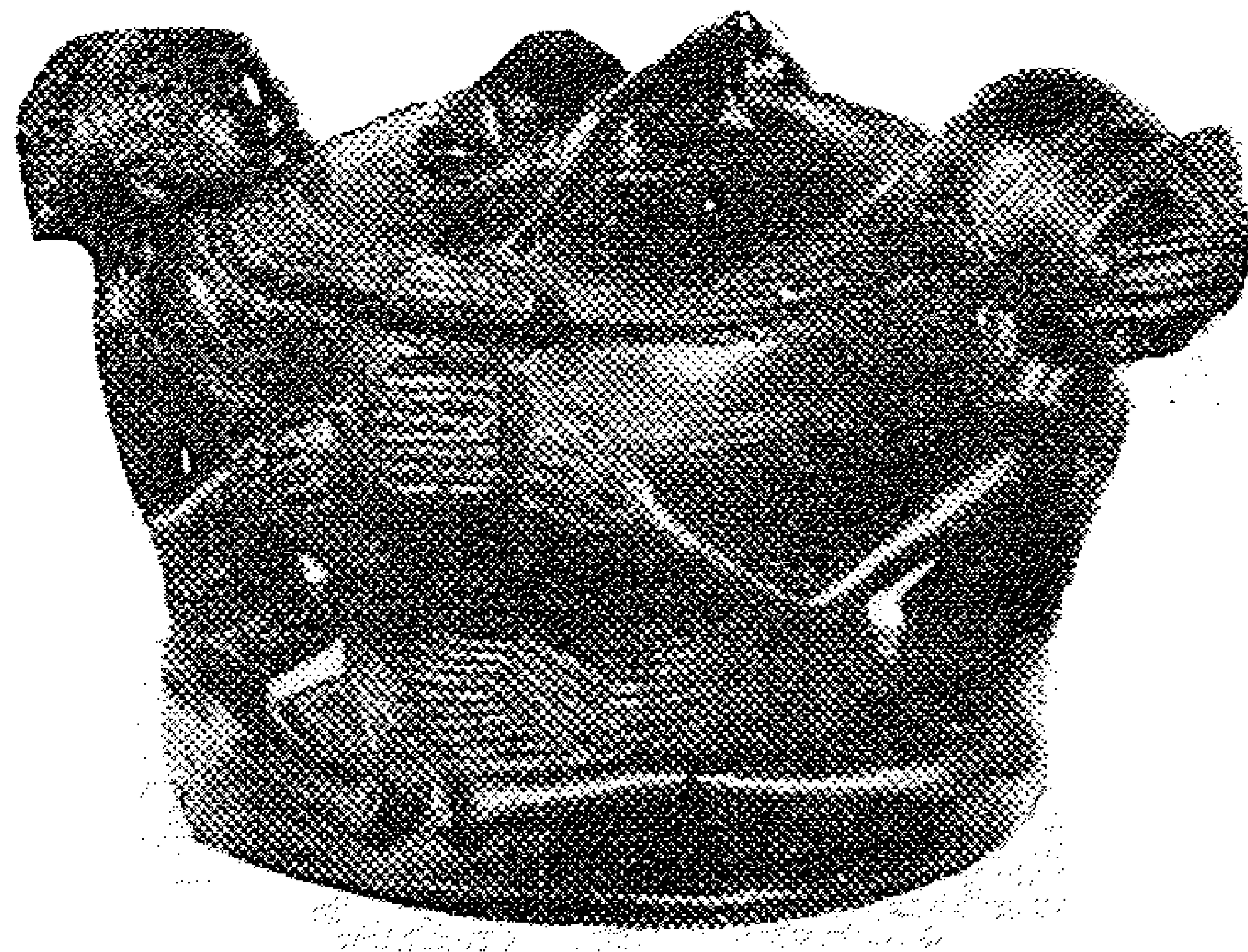
الحل الكبير :

ولئن كان الاستعمار قد نجح فى اقامة مثل هذه المشكلة بين جارتين شقيقتين فى افريقية فانه لن ينجح فى الابقاء على مثل هذه المشكلات تهدد العلاقات بين الافريقيين ، ذلك لأن حل مثل هذه المشكلات يأتى تلقائيا بعد التخلص من الاستعمار ، مع الروح التى تسود القارة الافريقية فى عهد الحرية والتى تسير بها نحو وحدة كبيرة فتمحى فيها تلك الحدود التى رسمها الاستعمار ، ويعود فى ظل هذه الوحدة الكبيرة سلمها واستقرارها القائم على أساس من النظم التقليدية لقبائلها وشعوبها ، تلك النظم التى قامت قبل الاستعمار وعاشت فى ظلها القارة يسودها الوئام والتعاون والسلام بين الشعوب .. تلك النظم التى عمل الاستعمار على اضعافها بشتى الوسائل حتى وصلت الى درجة الاختلال ثم استغلها الاستعمار فى اثارة المشكلات التى ينفذ عن طريقها ويسيطر .

لا شك أن الحل الكبير الذى يتمثل فى الوحدة الكبرى للقارة هو وسيلة للقضاء على هذه المخلفات الاستعمارية البغيضة وطريق الى تحقيق السلام والتقدم والنهوض للقارة الافريقية بشتى شعوبها .

والى أن تصل القارة الى هذا الحل الكبير فعلى أقطارها المستقلة وشعوبها أن تعمل على حل مشكلاتها التى خلفها الاستعمار بتغليب روح التعاون والوحدة الافريقية على روح الاطماع والسيطرة التى تفرق بينها وتترك للمستعمرين ثغرة للعودة فى قناع جديد من الاستعمار ، وهكذا تخطو خطوات نحو الحل الكبير .

وان مطالبة شعب الايوى بالوحدة لا تهدف الى الانفصال وانما تهدف الى محو الخطوط المفتعلة التى رسمها الاستعمار والتى تعتبر الهدف الكبير لكل افريقى مخلص لافريقية .



الوان من الفن الافريقى

للأستاذ سليمان جميل

لقد تبع زحف الشركات الأوروبية الى القارة الافريقية لنهب ثرواتها البكر زحف مماثل من الكتاب ، والمستكشفين والعلماء لتوطيد أقدام الحكومات الاستعمارية المتباينة الى الأبد فى افريقية . وظهرت مئات من الكتب تتحدث عن الحياة فى القارة المكتشفة حديثا .. كتب فى الفن ، والعلم ، والسياسة ، والاجتماع ، والدين . وأصبحت هذه الكتب مصدر متعة للقارىء الأوربى المتطلع بحماس متزايد الى معرفة أسرار الحياة فى افريقية. ومنذ زمن غير بعيد جاءت هنا الى بلادنا دعايات كتب مضللة ، كان الغرض منها تشويه صورة شعوب وسط وجنوب افريقية فى أذهاننا ، بغية تشتيت شعوب القارة الواحدة ، ودأبت هذه الدعايات الاستعمارية على عرض الرجل الافريقى فى صورة الرجل البدائى المتوحش ، وما أكثر ما رددته هذه الدعايات من أن « الفن الافريقى البدائى » ، انما يؤكد تخلف الافريقيين فى ركب الحضارة ، وبعدهم عن التطور الانسانى ابعادا سحيقة ترجع الى أزمان التطور الحيوانى ، وما من شك أن كل هذه الدعايات لابد تعنى فى النهاية أن الاستعمار انما يبقى فى افريقية من أجل تطوير الافريقيين ، والخروج بهم من الظلمات الى النور ، غير أن هذا الزيف الذى يتم من جانب الاستعمار لتشويه الحقائق عن حياة الشعوب الافريقية ، والذى يتم فوق ذلك باسم العلم والثقافة ، اذا ما ألقينا به فى سلة الدعايات المسمومة ، فاننا نرى أن الفنون فى أوربا تأثرت بالفن الافريقى المعتمد على التجاوب العميق مع الطبيعة الثائرة ، ولقد ظهر الفن التشكيلى فى أوربا منطبعة فيه خصائص فن النحت الافريقى ، كذلك الموسيقى الأوروبية فقد انتقلت اليها الايقاعات الافريقية بعد أن أصبحت لغة الطبول تميز طابع الموسيقى الأمريكية ، والتى عن طريقها تم تلقيح وجدان شعوب العالم بأهم خصائص الموسيقى الافريقية .. والواقع أن فنون افريقية انما هى دعامة من دعامات البعث الافريقى الجديد ، وقوة وجدانية هائلة تعيد شعوب أوربا الى رشدها لتمعن النظر من جديد فى قيمة ذلك الفن الانسانى ، ولعل أقوى المظاهر الانفعالية فى الفن الافريقى تتمثل فى الرقصات الافريقية ، والتى أول ما يلفت النظر فيها ، ذلك السيناريو المرسوم بفطرة صافية نامية ليبرز تدفق الحركة الانفعالية منذ مولدها بطيئة حتى لحظة بلوغها ذروة الانتفاضة والثورة . وهكذا تتميز الرقصات الافريقية ــ التى سنتحدث

عن بعض أنواع منها الآن ـ بمحتوياتها الدرامية التى تكشف عن أقوى ألوان الصراع فى قلب القارة الناهضة ، وتكشف أساسا ، عن هذا المعدن البشرى الخام الذى ينصهر فى بوتقة الصراع العالمى ضد الاستعمار ليصنع وجها نظيفا لحضارة الانسان .

التوتم :

ترتكز الرقصات الافريقية عادة على شعار التوتم ، ذلك الشعار القدسى الذى يشير الى ديانة الجماعات الافريقية ، والتوتم قد يكون حيوانا أو نباتا أو طائرا ، ذلك لأن الافريقيين فى حياة الغابة الثائرة انما يحصنون أنفسهم ضد القوى المجهولة فى حياتهم بتقديس هذه الرموز التى يبذلون من أجلها التضحية والفداء ،والتى يدفعون بها أو عنها الشر ، أو يجلبون لحياتهم بها الخير .. ولكل جماعة من الجماعات شعارها التوتمى الخاص بها والذى تتمثل فيه ديانة الجماعة ، ويتحدد تبعا له أسلوبها العقائدى . .

والرقص عند هذه الجماعات الافريقية أسلوب حياة كاملة وليس مطلقا ، فنا للمتعة وتزجية وقت الفراغ ، وهو بذلك يعد مظهرا من أهم مظاهر الحياة اليومية التى يتميز بها سلوك جماعات افريقية بعد الصحراء على وجه الخصوص .

رقصة التضحية :

المكان ((شرق غينيا))

هذه الرقصة تأخذ مكانها فى قرية صغيرة خضراء بجوار النهر فى ضوء القمر ، بالاضافة الى أضواء النار المشتعلة فى أكوام من القش والأعشاب . وتتكون الفرقة الموسيقية فى هذه الرقصة من الطبول فقط ..

فيبدأ العزف بطيئا هادئا ويتدرج فى العنف صعودا الى أن يصل الى سرعة فائقة يبلغ عندها التنافس أشده بين قارعى الطبول المتعددة الأحجام .. وتفتتح الرقصة عند هذه اللحظة تماما ، فيدخل الى حلبة الرقص غلام صغير ممسكا بعصا طويلة مثبت فى نهايتها علم ، ويظل الصغير يتجول حول الحلبة ببطء عدة مرات وهو يلوح بالعلم فى كل اتجاه ،وفجأة يختفى الغلام من الحلبة ، ثم يعود اليها ثانية وبصحبته شابان يرتديان قمصانا بيضاء ،ويحمل كل منهما على كتفه فتاة صغيرة يقرب عمرها من ست سنوات، ويغطى رأس الفتيات الصغيرات غطاء من الشعر المستعار ، وعلى صدورهن توضع سترة حمراء مثبت بها قطع من الزجاج وحبات من الودع ، وأجراس صغيرة . وخلف هذا المنظر تظهر امرأة عجوز عارية حتى خصرها ممسكة بقوقعة فى يدها ، ترمز للشر، تلوح بها تجاه الراقصين طوال الوقت ، وحول الحلبة المستديرة التى يرسمها سكان القرية يقف عشرات من الرجال يرفعون الأعلام ، ويلوحون بها خارج الحلبة فى اتجاهات دائرية مضادة لحركة الراقصين والعجوز الساحرة . ثم تظهر الفتيات الصغيرات يلوحن بأذرعهن ويتمايلن برءوسهن مع ضربات الطبول ، بينما الشبان يحملون الفتيات فى فترات متقطعة على أكتافهم وهم يرقصون بخطوات معقدة الحركة، وعندما يبدأ الايقاع آخذا فى الصعود

بسرعة .. تترك الفتيات موقفهن الأمامي من الحلبة ويتدحرجن بعيدا على الأرض في حركة منتظمة ، وفي هذه اللحظة تكون الطبول قد بلغت قمة السرعة بينما ترتمي الفتيات فجأة وبكل عنف تجاه « التوتم » ثم يبدأن يتمايلن في حركة بطيئة بصدورهن في شكل دائري وهن راكعات على الأرض، ويستمر ذلك المنظر في خشوع بينما تهدأ الطبول بالتدريج ثم يلتف الراقصون الشبان حول التوتم ويحملون الفتيات على أكتافهم ، ويشقون طريقهم خارج الحلبة ،وتتبعهم العجوز الساحرة في حركة ثقيلة وما تزال تحمل بيدها القوقعة وبجوارها يسير الغلام الصغير ممسكا بالعلم يلوح به في حركة عكسية مع حركة حاملي الأعلام خارج الحلبة الى أن تموت ايقاعات الطبول . .وتنتهي الرقصة .

رقصة الشجاعة :

المكان « حدود ليبيريا »

هذه الرقصة تعتمد فقط على الحركات البهلوانية العنيفة واللعب بالسكاكين لاظهار شجاعة الرجل الافريقي ،دون أن يتشكل منها موضوع تتحدد بدايته ونهايته ، وهي لذلك تعد أقل قيمة من حيث الشكل الدرامي بالنسبة للرقصة السابقة . وقوام رقصة الشجاعة أربع أولاد صغار أجسامهم عارية ، يغطون عوراتهم بحزام عريض من جلد الأسد ويضعون على رؤوسهم أغطية مصنوعة من الجلد مثبتة بها عشرات من ريش الطيور ،وتبدأ الرقصة بأن ينزل الأولاد الأربعة الى الحلبة وهم يقومون بألعاب بهلوانية تزداد عنفا لحظة بعد أخرى، ثم يظهر خلفهما بعد قليل رجلان يجوبان الحلبة في سرعة خاطفة ثم يمسك أحدهما فجأة بأحد الأولاد الأربعة ويتبادل الرجلان قذف الولد الصغير بينهما كالكرة ، بينما يدوران في حركة دائرية حول الحلبة ، وبعد ذلك الاستعراض يقوم كل راقص على حدة بأخطر الحركات البهلوانية ثم يبدأ أحد الراقصين مرة ثانية فيقذف بالولد الصغير الى الراقص الآخر بينما هذا الأخير يقذف الى الأول بالسكاكين وبحيث تمر السكين تلو الأخرى من بين رجلي الطفل ..

وفي حركات أخرى يثبت أحد الراقصين عددا من السكاكين في الأرض، بينما يقذف الراقص الآخر بالولد الصغير من بعيد نحو السكاكين ، وفي اللحظة التي يصل فيها الولد في الفضاء فوق السكاكين تماما ، يمد الراقص الواقف بجانبها ذراعه في خفة وسرعة ليلقف الولد .. وتستمر الرقصة حتى النهاية معتمدة على اظهار مهارة الراقصين في الحركة البهلوانية واظهار شجاعتهم في اللعب بالسكاكين ..

رقصة التوتم : ـ المكان « جاقارا ـ أعالي الفولتا »

تتكون مساكن « جاقارا » من طابق واحد وقليل منها يتكون من طابقين ، وهي مبنية من الطوب النيىء ، وفي هذه المساكن تعيش جماعات السكان جنبا الى جنب ، وان تميزت كل جماعة عن الأخرى « بتوتمها » الخاص بها ، الا أن هذه الجماعات متعاونة

فيما بينها تعاونا وثيقا للدفاع عن كيانها فى حالة السلم والحرب .

الراقصون :

وعددهم اثنا عشر ـ كل واحد منهم يغطى رأسه بقناع يمثل توتم جماعته، ويتصدر مجموعة الراقصين رئيس الجماعات لابسا قناعه فوق رأسه وجسمه عار تماما اذا ما استثنينا ذلك الغطاء المصنوع من جلد الحيوان الذى يستر به عورته .

الرقصة :

كل واحد من الراقصين ينزل بدوره الى الحلبة لابسا قناعه ليؤدى رقصته منفردا .. ومن حوله جمهور الجماعة التى تنتمى الى توتم الراقص .. وتتجه خطوات الجمهور حول الحلبة فى اتجاه مضاد لخطوات الراقص ، ثم تتعقد حركة الجماهير وتزداد همهماتهم ارتفاعا وهم يحركون رؤوسهم الى أسفل والى أعلى ،ويهزون أكتافهم فى حركة رأسية . . وعندما تشتد حركة الجماهير يظهر من بينها راقص فى شكل حيوان يأخذ طريقه الى وسط الحلبة فى خطى هادئة معتزا بكبريائه ، يلوح فى الفضاء بعصا فى يده ، وسرعان ما تبدى الجماهير فزعها من الحيوان ، فى حين يتقدم رئيس الجماعات من الحيوان وفجأة تزداد حركة الحيوان وحشية وهو يقوم بأغرب أنواع الحركات البهلوانية بأقدامه ،وهزات رأسه ، ووسطه الى الأمام والى الخلف ، ويظل رئيس الجماعات يثير الحيوان بحركاته التمثيلية الصامتة الى أن يرتمى الحيوان الرمز على الأرض بعد أن يفقد توازنه من شدة الاعياء ، وفى هذه اللحظة تماما ، يتجه الراقص الأول فى حركات عذرة نحو الحيوان فيقتله بالرمح ثم يأخذ العصا التى كان يلوح بها الحيوان ويعطيها لواحد من قارعى الطبول الملتفين حوله وفى الحال يجرى جميع الأطفال التابعين لهذا الحيوان التوتم نحو الرمز الميت ، والذى مات الشر بموته ، ثم يحاول الأطفال التقاط الريش المثبت فى جلد الحيوان ويجرونه أخيرا ، ويعودون به الى المكان الذى أتى منه خارج الحلبة ... وتتكرر هذه المشاهد جميعا كلما نزل الى الحلبة راقص جديد يمثل « توتما » جديدا لجماعة أخرى .. حتى تقوم كل جماعة برقصتها التوتمية ...

رقصة الصيد : المكان « ياموسوكرو ـ ساحل العاج »

المسرح :

أرض فضاء رحبة .

الراقصون :

ثلاثة من الصيادين المسلحين بالرماح والسكاكين ، وولد عمره حوالى خمسة عشر عاما يضع فوق رأسه قناعا لرأس غزال ويغطى جسمه بجلد الغزال أيضا ومثبت بأسفل ظهره ذيل صغير .

الرقصة :

الصيادون يثبتون بعض الحشائش الخضراء فى قطعة متوسطة الطول مثبتة فى الأرض وسط الحلبة . وبمجرد أن ينتهوا من وضع هذه الحشائش فى مكانها يتقوسون داخل أغطيتهم المصنوعة من جلود الحيوان ويختفون داخل صفوف الجمهور حول الحلبة الى حين يدخل الغزال « الراقص » بهدوء وحذر نافخا فى

الهواء محدثاً صوتا خافتا بسيطا بينما يتحرك واحد من الصيادين خارجا من بين صفوف الجماهير مستعدا بالسكاكين فى يديه متجها نحو الغزال ، ومع ايقاع الطبول الآخذ فى الصعود قليلا يتلفت الغزال حواليه فيرى الحشائش الخضراء المثبتة فى نهاية العصا ـ ويقترب منها فى حذر شديد وتزداد ضربات الطبول ارتفاعا فيرجع الغزال بعيدا عن الحشائش الخضراء ، وان ظل مترددا بين الاقدام عليها ، والاحجام عنها . حتى تبدو خضرة الحشائش مغرية فى عينى الغزال فيقترب منها هذه المرة ، ويكاد يلمسها ، وان تظاهر فى الوقت نفسه بأنه لا يعبأ حتى يلمسها . وبينما أخذ الغزال اتجاها مضادا بجسمه لموقع الحشائش اذ ينقض عليها فى حركة رشيقة ليلتهمها بسرعة .. وفى هذه اللحظة تنطلق سهام الصيادين الثلاثة فتصيب الغزال ولكنه يظل يقاوم والسهام عالقة بجلده بينما الطبول تتوالى ضرباتها فى سرعة مذهلة فيرتمى الغزال فوق الأرض وان ظل يحرك أجزاء جسمه بلا أمل الى أن يتجه الصيادون نحوه فى حركة خاطفة ويقطعون ذيله بالسكين .. وتنتهى الرقصة .

رقصة القردة :

هذه الرقصة هى الأخرى كرقصة الشجاعة لا تتميز بشكل درامى يجسد حركاتها ، ويوضح نمو الانفعال منذ بداية الرقصة حتى نهايتها ، وكل ما تمتاز به هذه الرقصة أن الراقصين فيها يمثلون حركات القردة وكأنهم القردة تماما فى قفزاتهم وحركاتهم البهلوانية ومشاجراتهم ، وهم يبحثون عن الطعام .. وفى هذه الرقصة يلبس الراقصون أقنعة تمثل رأس القرد ، ويغطون أجسامهم بجلود القردة المتعددة الألوان وعندما تبدأ الرقصة تظهر القردة باحثة عن الطعام تصاحب حركاتهم ضربات الطبول المتنوعة ، والموسيقيون فى هذه الرقصة يلبسون ملابس مغطاة بأنواع مختلفة من الريش بحيث يبدو كل عازف منهم وكأنه ببغاء أو نسر أو بوم .

رقصة الفرس : المكان ((كوانجالادوجو ـ ساحل العاج))

مع حلول موسم الأمطار يبدأ الافريقيون رقصة الفرس .. يبذرون فيها البذور فى الأرض الطيبة .. وتظل رقصاتهم مستمرة أياما طوالا حتى تتجمع السحب وترعد السماء وتسقط الأمطار لتروى الحقول .

المسرح :

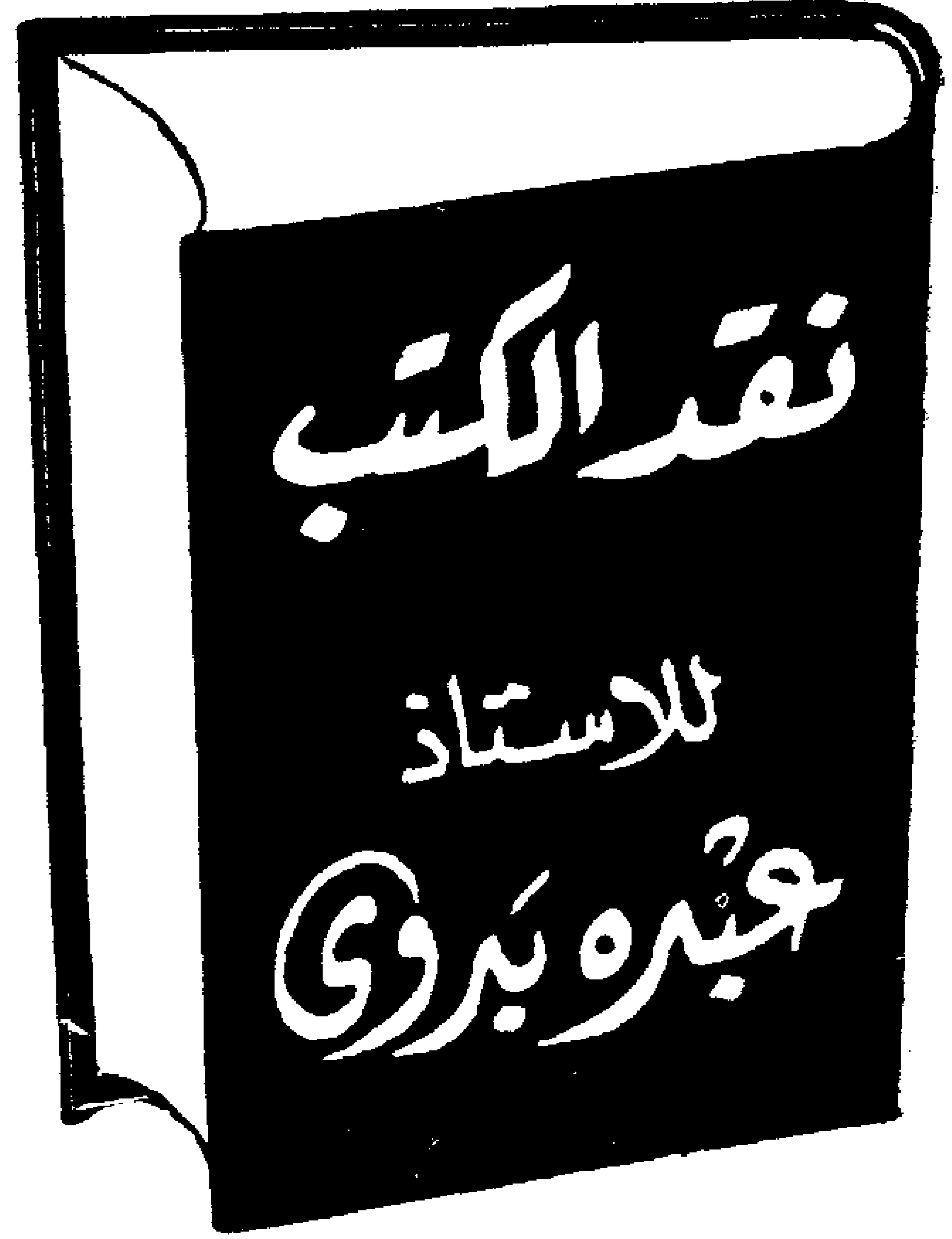
حقل معد للزراعة .

الرقصة :

مجموعة من الراقصين الشبان أجسامهم عارية وعوراتهم مغطاة بجلود الحيوان ممسكين بمجموعة من قطع الصفيح مثبت بها عشرات حبات الودع ، والمعدن ، وقطع الحجارة الصغيرة ، تبدأ الرقصة باقتراب الشبان فى حركات بطيئة رزينة وهم يلتفون حول التوتم فى خشوع فى شكل دائرة حركية صغيرة .. ثم تزداد دوائر الراقصين داخل الحلبة الكبيرة ، وفى كل دائرة تبدو الخطوات متكاملة تنمو نموا معقدا متنوعا مع تنوع ايقاعات الطبول ، ويبدو السكان جميعا

متشابكى الأيدى يغنون حول الحلبة ويرد الراقصون بعدهم الغناء بصوت مرتفع ، وبالتدريج ينزل جمهور المتفرجين الى داخل الحلبة ، والرجال الكبار هم أول من يبدأ دخول الحلبة ثم يعقبهم النساء ثم الفتيات الصغيرات والأطفال ، وجمهور المتفرجين فى هذه الرقصة لا يقحم نفسه فى التغييرات الايقاعية المتلاحقة مكتفيا بتتبع الرقصة بنوع من الايقاعات البسيطة المتكررة . فى حين تبدو مجموعة الراقصين المحترفين مندمجة فى حركاتها وخطواتها متابعة الايقاعات المركبة المتلاحقة التى تمثل جوهر رقصة الفرس ، ويظل الجميع يرقصون سواء المحترفين أو الجمهور الى أن يظهر عند حدود الحقل عدد من الراقصين يلبسون ملابس الحيوانات والطيور ويتدرجون فى خطواتهم من البطىء حتى أقصى سرعة متجهين الى منتصف الحلبة ، وفى أيديهم مجموعة من الصاجات النحاسية ، وأنواع مختلفة من آلات النضج كالصفارة ، وتبدأ هذه المجموعة من الراقصين ترقص فى حركات واقعية طبيعية تمثل حركة الحيوانات والطيور ، وكل راقص فى هذه المجموعة يمثل نوعا من أنواع الحيوانات أو الطيور ويقلد صوته بآلة الصفارة .. وتظهر مهارة الراقص فى هذه المجموعة الى درجة تبدو فيها حركاته رشيقة ، وكأن الجسم الذى يحدثها غير مرئى ، وبينما الجميع يرقصون الحيوانات مع البشر مع الطيور تتشكل دائرة من بينهم حول الطبول ، ثم تظهر أربع فتيات عاريات الا من غطاء عوراتهن يقتحمن الدائرة من أربع جهات متباعدة ثم يتجهن فى خطوات متزنة نحو مركز الدائرة وهن يتمايلن نحو الأرض بصدورهن يمسكن أكياسا من القماش فى أيديهن يبذرن ما بها من حب فى أرض الحقل ، وما أن ينتهى ما بالأكياس من البذور حتى تنهض الفتيات ويأخذن شكل خط ممدود متموج الحركة الى أن يصلن أمام الرجال الكبار فى صدر الحلبة ثم يركعن أمامهم على الأرض فيبدأ كل رجل يبارك الفتيات بأن يضع يديه على رؤوسهن ثم يتقدم أربعة من الرجال فيحملون الفتيات الأربع على أكتافهم متجهين بهن خارج الحلبة . بينما الحلقة المصنوعة من الراقصين والجمهور تظل ترقص فى أماكنها وتغنى ، ويزداد غناؤهم ارتفاعا كلما علت فى الفضاء أصوات الرعد ويستمر الجميع فى الغناء الى أن تشتد العاصفة وترعد السماء وتنزل الأمطار فيندفع الجميع نحو « التوتم » يحملون الطبول فوق رؤوسهم عائدين كتلا بشرية الى مساكنهم .





من الكتب التى ظهرت حديثا كتاب « ثورة افريقية » للأستاذ « صبرى أبو المجد » وقد صدره بكلمة الرئيس « **جمال عبد الناصر** » عن التضامن الافريقى الآسيوى التى جاء فيها « ان مؤتمر آسيا وافريقية انما هو تأكيد لمؤتمر باندونج الذى اشتركنا فيه ، وتضامنا من أجل تثبيت مبادئه. هذه المبادىء التى آمنتم بها والتى آمنت بها الشعوب الحرة فى جميع أرجاء العالم . هذه المبادىء التى تعبر عن تقرير المصير ، والتى تعبر عن التضامن للعمل من أجل الاستقلال ومن أجل تثبيت الاستقلال، والتضامن من أجل التنمية الاقتصادية ، ومن أجل التطور الاجتماعى لجميع الشعوب الأسيوية الافريقية » .

ثم ذكر المؤلف أنه حمل موضوع الكتاب فى نفسه من زمن يرجع الى الثامن عشر من شهر ابريل عام ١٩٥٥ حينما التقت الشعوب الافريقية والأسيوية لقاءها الخالد فى «باندونج»، وظهرت بحق « **الشخصية الافريقية** » برغم المؤامرات ، والمثبطات ، وقد عبرت عن هذا مجلة نيوزويك الأمريكية بقولها « ان القارة الافريقية تسير نحو الاستقلال والتحرر من الاستعمار ، وأصبحت نهضتها هى أعظم أحداث القرن العشرين كما يعتبرها بعض الساسة العالميين .

وقد صاحب هذا التحرر النفسى نشاط معاد من بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا فقد اتجهوا جميعا الى أمريكا لتثبيت أقدامهم فى هذه الأرض التى تنكرهم ، وكون بعض الساسة والكتاب جبهة معادية لكل صوت ينادى بالحرية ، وكل ضمير يتحرك فى اتجاه كلمة الحق ، ومن هنا سمعنا « **دالاس** » وزير خارجية أمريكا السابق يؤكد بقاء افريقية خاضعة لنفوذ أوروبا الغربية بدلا من الاعتماد على أوروبا الشرقية ، وسمعنا « **جون جنتر** » يدافع عن البقاء فى افريقية المفتوحة كالفراغ ، والمحرومة من وسائل الدفاع ، والتى تعتبر أثمن غنيمة على الأرض ، وأنه يجب التمسك بها ما أمكن مادامت آسيا قد ملكت مصيرها ، ووجدنا أكثر من صحيفة تدافع عن البقاء فى افريقية . فاذا لم يكن بد من ترك البلاد فليكن الاحتلال حينئذ اقتصاديا وفكريا . ولكن افريقية استطاعت أن تدرك أن الحرية لا تتجزأ «لقد آمنت شعوب افريقية ايمانا لاحد له بأن معركة الحرية فى كل بقعة من بقاع افريقية كل لا يتجزأ . الانتصار فى جزء منها انتصار لبقية

الأجزاء . والهزيمة فى مكان ما منهـا هزيمة للجميع » .

ويكرر المؤلف كلمة « آمنت » هذه عشر مرات فى عبارات خطابية لاجديد فيها .

والمؤلف يقدم لنا القارة تقديما عجيبا فيقول ان القارة الافريقية فيما مضى كانت مهدا للحضـارات ،والديانات ، والفلسفة ، ونحن بدورنا نسائله أية فلسفة يقصـد ؟ وهـل الأديان التى يقصدها وفدت من آسيا أم نبتت فى افريقيـة مادام يقـول ان افريقيـة كانت مهدا لهـا ؟ ثم هـل معجزة مصر القديمة فقط هى الأهرام ،وابتكار الكتابة كما يقـول ؟ فالكلام بهـذه الطريقـة يؤكد الفـراغ الحضـارى لافريقية ماعدا مصر التى تقف كنقطة ضوئية فى الشمال ، ولذا نرى الأجانب يهربون من دور هذه الحضارة المصرية ويقسمون افريقية الى افريقية شمال الصحراء ،وافريقية جنوب الصحراء . ثم يهاجمون الجنوب بأنه ظل خلوا من الثقافات ، والتنظيمات الاجتماعيـة دون أن يعرفوا دور ممالك غانه ،وملى ، والأشانتى ثم أخيرا دون أن يعرفوا أن عشر دول اسلاميـة قـامت غـرب القارة ! .

ثم نرى المؤلف يورد احصائيات عن الماس ،والذهب ،والنحاس ،ولا ندرى على أية احصائية اعتمـد لأن آخـر الاحصائيات تخالف ما أورده من أن فى افريقية ٩٨٪ من ماس العالم ، ٥٥٪ من الذهب ، ٢٢٪ من النحاس . ذلك لأن الحديث عن هذه الاحصـائيات يعتبر خادعا فهو يتجدد من آن لآخر ويعتمد على التخمين فى بعض الأحيان وبخاصة فى هذه الأرض الشاسعة التى تخضع لألوان من النظم السياسية، والاقتصادية . فهناك كتاب يتناولون افريقية بالطريقة نفسها التى يتحدث بها الكاتب عن افريقية كقوله « هـذه القارة التى تفوق امكانياتها وخاماتها حد الوصف ، والتى بالرغم من أنها لم تستغل بعد تساهم بنصيب وافر فى خدمة البشرية » فالحديث بهـذه الألفاظ المتحمسة لا يؤكد عند القارىء وفرة الامكانيات والخامات فى افريقية، واذا تركنا الخامات جانبا فيمكن أن نقول للمؤلف أين هذه الامكانيات التى « تفوق حد الوصف » فى افريقية ؟.

ثم نرى المؤلف يقول ان المسيحية والاسلام يتوغلان فى الشمال والشرق والغرب دون ذكر للجنوب فهل يفهم من هذا الكاتب أن المسيحية لم تتغلغل فى الجنوب بينما نراها تشكل الحياة هناك ؟ وهل الاسلام لم يتغلغل هـو الآخر رغم الجهود الصادقة التى قام بها الهنـود والباكستانيـون فى نشر الاسلام فى هذه المنطقـة الكبـيرة ؟ فالحقيقة تؤكد وجـود المسيحية ، والاسلام فى الجنوب .

* * *

ثم يصف لنا المؤلف فى ضربات قلم سريعة كيف قسمت القارة بين فرنسا، وانجلترا والبرتغال، وألمانيا ، وايطاليا ويتناسى أسبانيا ، ويورد لنـا بعض المآسى التى حدثت فى الكونغو فيذكر ما سجله المبشر الأمريكى « ميرفى » عام ١٨٨٥ من قوله «لقد رأيت عشرات من الأيدى المقطوعة . أيدى الرجال والأطفـال والنسـاء الذين اتهمـوا بالاهمال فى الانتاج قد وضعت أمـام

الضابط الأوروبى الذى راح يعدها ليتأكد من أن جنوده الوطنيين لم يضيعوا الرصاص فى الهواء » .

ويروى « روجه كيسمنت » : أن أجداد الافريقيين الذين يعيشون اليوم فى الكونغو كان عليهم أن يجمعوا نصيبهم من المطاط البرى والا بترت أيديهم، وأحرقت قراهم ، وقتل أطفالهم ، وان جدات النساء اللاتى يعشن الآن فى الكونغو كن يعذبن ويقتلن ويغتصبن ويؤتى بهن لكى يلهو بهن جنود الملك ليوبولد وعملاؤه ، لقد أخليت القرى، وانتزعت ملكية الأرض ،ودمر المجتمع الافريقى . حتى لقد قدر « كيسمنت» عدد هؤلاء السكان الذين ماتوا نتيجة لهذه السياسة بثلاثة ملايين نسمة حتى عام ١٩٠٤ . ثم نقصوا ثلاثة ملايين أخرى عام ١٩١٢ .

ولقد لاقت افريقية فى أكثر من مكان ألوانا عديدة من التعذيب ، والتدمير النفسى بحيث لم يسلم من الاستعمار الانجليزى ، والفرنسى ، والألمانى ، والايطالى ، والأسبانى ، والبرتغالى ، والبلجيكى الا ليبيريا فى الفترة ما بين عامى ١٨٣٠ ، ١٩١٢ وكنت أحب أن يذكر المؤلف أن ليبيريا — وان ضمت الافريقيين الذى دفعوا الى ترك الولايات المتحدة — كانت خاضعة قبل اعلان استقلالها فى ٢٤ من أغسطس عام ١٨٤٧ للنفوذ الأمريكى ، وان أمريكا لم تعترف بهذه الحرية الا فى عهد « أبرهان لنكولن » عام ١٨٦٢ .

ثم تحدث المؤلف عن الرق وبدأ حديثه بقول (جوزيف كوبر) « ان تاريخ الاسترقاق قد مضى عليه أكثر من ثلاثمائة سنة ،وبناء على احصاء قام به كاتب فرنسى مدقق ظهر أن هذه التجارة قد انتزعت من افريقية أكثر من خمسين مليون رجل » .

ثم ذكر لنا ان القرون الثلاثة الميلادية السادس عشر، والسابع عشر ،والثامن عشر قد عرفت « أبشع ما عرفه تاريخ البشرية من أنوع الجرائم » فقد كان ما يدفع لقاء هؤلاء البشر كميات من المحار ، والأصداف ، وبعض كؤوس من النبيذ ، والبيرة ، وان طرق اقتناص الافريقيين كانت تتراوح بين اصطيادهم بالشباك فى الغابات ، أو اجبار الناس على بيع آبائهم ، أو أبنائهم ، أو تابعيهم ويقص علينا « جون هوكنز » كيف توصل الى غرضه بقوله « أعددت العدة بمعونة أصدقائى فى لندن وكانوا كلهم يرحبون بما اعتزمت القيام به فصاروا يسهمون فى الاعداد لهذا العمل بأموالهم ويغامرون معى بالاشتراك فيه ، فسرعان ما جهزت ثلاث سفن كبيرة وتوجهت الى سيراليون على ساحل غانه فمكثت هناك بعض الوقت واستطعت بحد السيف تارة وبغير ذلك من الوسائل تارة أخرى أن أشحن فى السفن ثلاثمائة زنجى على الأقل وحملت معهم بعض منتجات تلك المنطقة ثم ضربت فى المحيط ورحلت . فقايضت على الرقيق كلهم بملء خمس سفن من الجلود ، والزنجبيل ، وقصب السكر، وكميات من اللآلى ، واخيرا — فى عام ١٥٦٣ — عدت الى بلادى حاملا معى هذه الثروة الهائلة فقسمتها مع من أسهموا فى العمل من أجلها ، وأخذ كل نصيبه » .

وقد بلغ الأمر بالملكة « اليزابيث » حدا جعلها تمنح « جون هوكنز » هذا

سفينة تحمل اسم المسيح ، كما خلعت عليه لقب « سير » ، ومنحته أعظم الأوسمة . ثم أعطته قيادة الأسطول البريطاني اعترافا بفضله « على البشرية !! » .

حتى أن الانجليز بمقتضى معاهدة « أوترخت » أصبح لهم حق احتكار مطاردة هؤلاء البشر ، ونقلهم ، وبيعهم مما كان له أثر في رخاء ليفربول ، وبريستول ، ولانكشير « وكان في ليفربول اسطول مؤلف من ١٩٢ سفينة يستطيع نقل ٣٠٠٠٠ر٣٠٠٠ عبد في السنة ، وكان نصيب العبيد الكرباج والسلاسل ، وآلات التعذيب ، وغذاء البهائم ، « وقبر في المزبلة » وكثيرا ما كان ينتفع بجثث الموتى للسماد » .

وكنت أحب ألا يسير المؤلف في كل كتابه على تسمية هؤلاء الافريقيين المظلومين بالعبيد . كما لا أدرى لماذا لا يستبدل بكلمة « قبر في المزبلة » كلمة « قبرا في المؤخرة » ؟ وهل ينتفع بجثث الموتى للسماد أو في السماد ؟ .

والمؤلف يسوق لنا معلومات سطحية بلا جهد أو عناء فاذا أراد أن يتعمق ويتكلم عن أساس التفرقة العنصرية نراه يبتعد عن الحقيقة فنراه يقول : ان التفرقة العنصرية في أساسها تفرقة في المعاملة بين البيض من ناحية والملونين من ناحية أخرى ، في حين أنها كما قلنا في مقال سابق « الفوارق الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية بين البيض والملونين ، وهذا الاعتقاد الخاطىء الذى يقول بأن مجموعة الاختلافات بين البيض والملونين ستظل دائما أعظم من مجموعة التشابه (١) » فالتفرقة في المعاملة مسألة فرعية لا تمس جذرية الموضوع .

* * *

ثم يتكلم عن استيقاظ المارد الأسود ويصدر البيان بقول النائب الفرنسى « بيركوت » « **أما اليوم فقد تغير الزمن وانفتح مستقبل جديد أمام الشعوب الافريقية ، ومن ثم أمام الانسانية كلها ـ ومن ناحية أخرى فان تحرر افريقية يعنى أن تعود للظهور على المسرح العالمى ، حضارتان كبيرتان عملت الدول الاستعمارية بوحشية على سحقهما . أولاهما الحضارة العربية ، والثانية حضارة الشعوب الافريقية السوداء** » ثم يقول : هل كانوا يتوقعون لأنفسهم ، وهم الذين احتلونا ، وأذلونا عشرات السنوات . حاولوا فيها القضاء على حرياتنا ، وخيراتنا ، وحياتنا ، يتوقعون مثل هذه النهاية ، ويكرر كلمة « هل » هذه سبع مرات في صفحتين دون أن يضيف جديدا الى « هل » الأولى .

وبعد هذا يذكر لنا ما قاله الاستعماريون حول استغلال افريقية ، ولعلى لا أكون متحاملا على الكاتب حين أقول أن خير ما في كتابه هو الأفكار التى تأتى بين قوسين دائما ، فهى التى تبهر ، وهى التى تثير . فنراه يورد قول الاستعمارى القديم « سيسيل رودس » لقد بنينا امبراطورية في أمريكا وفقدناها ، وبنينا امبراطورية

(١) مجلة نهضة افريقية العدد ١١ سبتمبر عام ١٩٥٨

فى الهند وسنفقدها يوما – وقد فقدت بالفعل – لكن امبراطوريتنا الثالثة والدائمة هى افريقية ،ونراه يورد رأى «جورج بارمور» من أن كراهية الرجل الأبيض لا تأتى كنتيجة للعنف ، والتعصب فى نفوس الافريقيين وانما كنتيجة لأن الافريقيين يقابلون فى صحوتهم أينما كانوا بعنف الرجل الأبيض ، وروح الكراهية التى تملأ نفوسهم وتفيض منها .

والكاتب هنا لا يحلل طبيعة التحرر فى البلاد ، ودوافعها ، ومستقبلها ، وانما يسوق عدة آراء متضاربة . ثم يختم هذا الفصل الأخير بكلمات حماسية كما كان يفعل رواد المسرح القديم . فنراه يقول فى خطابية « لقد استيقظ المارد الأسود ولن ينام بعد اليوم . لقد تحقق الأمل الأكبر ، والحلم الأكبر . قامت ثورة العصر الحديث ، ونجحت – بقوة وسرعة – ثورة العصر الحديث » فالكلام بهذه الطريقة عن الأمل الأكبر ، والحلم الأكبر ،وعن قيام ثورة العصر الحديث، ونجاح ثورة العصر الحديث لايرسب فى نفس القارىء فهم القضية الافريقية ، وانما يرسب فى عقله السطحى شيئا جديدا يمكن أن نسميه « السجع الحديث » الذى يدور حول تدوير الكلمة حول الجملة مرتين :

ويتعرض المؤلف لدور الجمهورية العربية المتحدة فيقدم لنا كلمة الرئيس « **جمال عبد الناصر** » «لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق. ان دولة جديدة تنبعث فى قلبه . لقد قامت دولة كبرى فى الشرق ليست دخيلة ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ، ولا مستعدية . دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسلم ولا تفرط ! تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو . لاتتحزب ولاتتعصب، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل. تدعم السلام . توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتضيق » ؟ .

ثم يحدثنا المؤلف عن أثر الثورة العرابية ، وانها أخفقت بسبب الانقسام الذى حدث بين معسكر الشعب ، ومعسكر الخديوى ،وبسبب عدم وجود كفاءة حربية تقود الثورة ، ولانتشار روح الخيانة ، والرشوة بين عدد من قادة الثورة والضباط ورجال البدو ، ويورد ما أورده المؤرخ « عبد الرحمن الرافعى » من قلة الكفاية الحربية ، وهذا كلام يقبل المناقشة فأنا أعلم أن بعض المؤرخين قد أخذوا على الأستاذ عبد الرحمن الرافعى تحامله على «عرابى» ، وأعتقد أن الانقسام الذى حدث بين معسكر الشعب والخديوى لم يكن عاملا رئيسيا فى تدمير الثورة فكل الثورات التى تنجح والتى تفشل لابد فيها من وجود المعسكرين والا لما سميت ثورة ، وأن العبرة تكون بالمعسكر الأقوى ، وما من أحد يشك فى أن معسكر الشعب كان هو الأقوى فى هذه الفترة .

وأما القول بانتشار روح الخيانة والرشوة بين الضباط ، ورجال البدو فشىء نسلم به للمؤلف ، وأما أن نصم عددا من « القادة » بالخيانة والرشوة فشىء لايمكن قبوله . لقد كان كل ما ذكره أن « محمد سلطان »

رئيس مجلس النــواب ، كان يوزع النقــود باسم الانجليز ، وأن « على خنفس » قد خان الثــورة ، والكل يعرف أنهما لم يكونا من قادة الثورة.

وأما التشكيك فى قيادة **((عرابى))** ، وأنه لم يشترك فى واقعة واحدة ،وأنه لاذ بالفرار فى موقعة التل الكبير دون جهاد أو نضال ،وسلم نفسه للانجليز ووقف موقفا معيبا فى المحاكمة فأشياء نلمح فيها التحامل على « عــرابى » . فالخطأ فى عدم قيام « عرابى » بسد قناة السويس لا ينفى عنه زعامته لأن القائد فى كل أنحاء العالم معرض للخطأ ، والقول ــ على حد الرأى القائل ــ بعدم جهاده ونضاله فى التل الكبير ، وعملية التسليم بعــد معــركة غير متكافئــة لا يبرر التحامل عليه بهذه الصــورة المبالغ فيها .

ثم يمــر المؤلف سريعــا بمصطفى كامل ، ومحمد فريد الى أن يصل الى ثورة مصر عام ١٩١٩ فيتحدث عنهما مــن خــلال آراء « ويڤيل » أى أنه لا يرى فيها الا ما يراه هذا الانجليزى الذى ينظر الى البلاد ، والى السياسة الدائرة فيها من خلال فهمه لقضيــة البلاد ، ولزعمائها .

ثم يســير بنا حتى ثورة يوليــو عام ١٩٥٢ التى توضحها كلمات الرئيس **((جمــال عبــد الناصر))** فى فلسفة الثورة . هذه الكلمات التى تقــول : **لقد آمنت بالجندية طول عمــرى .. والجندية تجعل الجيش واجبا واحدا هو أن يموت على حدود وطنه . فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطــرا للعمــل فى عاصمة الوطن وليس على حدوده، ومرة أخرى دعونى أنبه أن الهزيمــة فى فلسطين ، والأسلحة الفاســدة ، وأزمة نادى الضباط لم تكن المنــابع الحقيقية التى تدفق منها السيل ، لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق .. ولكن الأهم من كل ماكنا نقوله أننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن هذا الواجب واجبنا ، واننا اذا لم نقم به فاننــــا نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها .**

ثم توالت انتصارات الثــورة فى الداخل والخــارج ، وأصبحت كلمتنا مسموعة فى المجال الدولى ، وصــار لنا كيان عربى ، وفلسفة عربية .

* * *

ثم ينتقل بنا المؤلف فجأة الى الجزائر فيذكر لنا أن فتح مصر ، وبرقة كان مفتاح التغلغل للشــمال الافــريقى ، ولا يخرج القارىء من حديثــه بشىء محدد عن ماضى الجزائر لأن الحديث كله يدور حــول الشــمال الافريقى بصفة عامة .

وأنا أعرف أن من يريد القاء الضوء عليها كان يمكنه أن يحدثنا عن وصول الفينيقيين الى ســـواحلها فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وأن الرومان قد حكموا بعد ذلك الجزائر ثم دخلت البلاد المســيحية وباســمها حطمت النفوذ الرومانى ،وتحالفت مع الوندال، وتعرضت للصراع بين قرطاجنة وروما ، ثم كيف ارتبطت بتاريخ المغرب العربى الاسلامى واعتنقت مذهب الخوارج. ثم مذهب الشيعة ، ثم اعتنقت أخيرا مذهب أهل السنة ، وأنها تبعت تونس التى اخــذت بمــذهب الفــاطميين ،

وصارت بذلك ذات صلة بمصر . كما تأثرت بأنظمة المرابطين ، والموحدين التى قامت فى المغرب الأقصى ، وبهذا أصبحت تلمسان ، وقسطنطينية مركزين من مراكز الاشعاع الاسلامى فى هذه البلاد . ثم كيف أصبحت مهددة بالأسبانية ، وكيف أصبح «بابا عروج» بعد ذلك ملكا على الجزائر ثم كيف وقع اسيرا فى أيدى الأسبانيين ، وكيف وهب أخوه البلاد للسلطان العثمانى وبهذا دخلت البلاد فى الحوزة العثمانية ، وكيف كان « الداى حسين » آخر من حكم الجزائر عام ١٨١٨ ثم أخيرا كيف وقعت فريسة فى يد فرنسا ، واتخذت فرنسا قرارها الخاص بهذا الاحتلال عام ١٨٣٠ .

ومهما يكن من شىء فقد قفز بنا المؤلف عدة قفزات لا تتبع التطور التاريخى الى أن وصل بنا الى جزائر العصر الحديث التى تعيش بين الدم والرصاص ، ودور جبهة التحرير الجزائرية ، وكيف أن فرنسا عدلت من سياستها فى كل البلاد الافريقية التى تستعمرها فى ضوء حرب التحرر الجزائرية . وهنا يتحمس الكاتب ، ويكرر فكرة معينة بعد أن يبدأها عدة مرات بقوله « فليعرف من شاء ومن لم يشأ » وهنا يمكن أن يسأله « من لم يشأ » كيف تتأتى له المعرفة وهو لا يريدها ؟ أو على حد قول المؤلف لا « يشاؤها » .

* * *

ثم يبدأ المؤلف فصلا جديدا بعنوان صحفى هو « اشبه ما يكون بالهلال » على حد تعبير «هوبير ديشان» قاصدا بذلك امتداد الاسلام فى افريقية ، وكل خطوات الاسلام عنده لا تتعدى فى الشرق هجرة المسلمين الأول الى الحبشة فى عهد الرسول ، وانشاء بعض امارات اسلامية فى شرق القارة ، وأن « سعيد بن سلطان » أسس فى أوائل القرن التاسع عشر دولة عربية فى زنجبار .

وقد كنت أحب للكاتب — ما دام فى مقام الفخر بالعروبة والاسلام وما دام قد أفرد بابا لذلك — ان يذكر أن افريقية قد عرفت العروبة فى عهد يرجع الى ما قبل المسيحية بل والموسوية ، كما عرفت المد العربى الكبير فى فترات الضغوط على الخصوم السياسيين فى عهد الأمويين ، والعباسيين ، وأن من أهم هذه الهجرات الاسلامية هجرة أبناء «عباد الجلندى» ، وطائفة الزيدية ، وبعض أهالى اقليم « الاحساء » على متن ثلاث سفن كبيرة ، وهجرة الحسن بن على وأولاده الستة ، وبنى نبهان من عمان بحيث تكونت من كل هؤلاء تسع مناطق نفوذ عربية فى الشرق هى مقديشيو ، وبردة ، وملندة ، وبمبا ، وزنجبار — لا كما ذكرها المؤلف فى أوائل القرن التاسع عشر — ومافيا ، وكلوة ، وموزمبيق ، وسفاله ، وكل هذا فى وقت مبكر جدا .

* * *

ثم يتحدث المؤلف عن شرق افريقية ، ووسطها حديثا حماسيا لا تثبت منه فى الذهن الا تلك الكلمات الحماسية التى تلمع ثم تموت سريعا لأنها نتيجة احتكاك منفعل بمشكلات القارة لا المشكلات نفسها فى ضوء التحليل والمعاناة . ثم يقدم لنا غرب افريقية

فيقول لقد تحررت منه غانة ، وغينيا، وتحرر الى حد ما الكمرون ، ونوجو وصحتها (توجولاند) واشتدت الحركة الوطنية فى موريتانيا ،وساحل العاج ، ونيجر (وصحتها نيجيريا فاذا كان يقصد نهر النيجر فكان يمكن أن يقول بلاد النيجر لأن الحركة الوطنية لا تشتد فى الماء) ، ونساد وصحتها (تشاد) وافريقية الوسطى ، وجامبيا ، وسير اليونى وصحتها (سيراليون) ، وأتجولا وصحتها (أنجولا) ولاشك أن الأخطاء المطبعية لعبت فى هذا دوراً كبيرا ولا أدرى لماذا نسى ليبيريا وهى بلد تذوق طعم الحرية من زمن بعيد . ثم لا أدرى لماذا لا يعترف بالحرية الكاملة لدولة الكمرون وقد اعترف بها كل العالم فى أول يناير من هذا العام ، وبدولة توجولاند التى يسميها « توجو » ، وقد أعلن من زمن بعيد أنها ستستقل فى ابريل وقد استقلت بالفعل .

* * *

ثم يحدثنا المؤلف عن جنوب افريقية ،وعن الصراع الذى قام بين البوير ، والانجليز ، وكيف أصبحت الكلمة فيها للانجليز من دون البوير، والافريقيين ،وكيف كان رؤساء القبائل يستدرجون الى التوقيع على بيع أرضهم بعد أن يهيىء لهم البيض مجالس الشراب ، وكيف قام المبشرون بدور خطير تعبر عنه الحكمة الآتية للافريقيين .

« لقد أوصونا بأن نغمض عيوننا أثناء الصلاة .. وما أن فتحناها حتى كانت أراضينا قد سلبت منا » ويذكرنى هذا بقولهم كذلك **((عندما جاء الرجل الأبيض كانت لدينا الأرض ، ولديه الكتاب المقدس ، أما الآن فالأمر على العكس ، لديه الأرض، ولدينا الكتاب المقدس))** ، وقد كان البيض ينقبون دائما عن الخصومات التقليدية بين الافريقيين ثم يعملون على بعثها من جديد ، ولم يمنع هذا من ظهور بعض النوايا الطيبة للسير بالبلاد ،من جانب الافريقيين ،والهنود المستوطنين ، وبعض العناصر الأوربية التقدمية ، ولكن حزب الدكتور **((مالان))** استطاع القضاء تماما على هذه النوايا الطيبة . وتحت هذه الظروف القاسية استطاع الشعب أن يثور ، وأن يطالب بحريته .

* * *

ثم ينتهى بنا المؤلف الى أن القارة الافريقية أوشكت على الانتصار الكامل، وأن هناك مؤامرات تدبر من الدول الاستعمارية الكبرى والصغرى تفوق فى عنفها مؤامرات القرن التاسع عشر الذى قسمت فيه افريقية ، ولا شك أن فى هذا بعض الحماس لأنه من المستحيل أن تكون الضغوط السياسية والاقتصادية فى العالم الافريقى الواعى الجديد تفوق المؤتمرات التى كان يقسم ، ويوزع فيها الكيان الافريقى الضخم حول مائدة مستديرة، وبوساطة ذوى الياقات المنشاة !

ان تحذير الافريقيين من المؤامرات قد يكون مقبولا . أما القول بعنف المؤامرات الآن عن تلك المؤامرات التى قسمت فيها القارة فشىء يثبط الهمم أكثر مما يثيرها فالقارة اليوم قد شبت عن الطوق ، وأصبحت تهزأ بكل أنواع الضغوط ، وتسير بقوة فى طريق التحرر الذى لن تستطيع قوة أن توقف تياره ! .

ثم يتعرض المؤلف لمشكلة اليهود، وأن الخطأ الأكبر الذى ارتكبه العرب فى تاريخهم الحديث هو عدم تنبههم لخطورة الصهيونية يوم وفدت عليهم فى صورة مستعمرة زراعية ، ومستشفيات عام ١٨٨٢ ،فقد رفضوا البقاء فى أى أرض عدا فلسطين ، ولكنهم بدأوا يتسللون الى غرب القارة الافريقية اقتصاديا ،فتبادلت اسرائيل مع بعض الوفود الافريقية الزيارات، وحرصت على رفع تمثيلها فى أكثر من بلد افريقى الى درجة سفارة ، حتى لقد أصبح الميزان التجارى بين غانه واسرائيل فى الفترة ما بين أول بناير عام ١٩٥٨ حتى آخر نوفمبر من تلك السنة ١٠٨ر٨٩٨ جنيها لصالح اسرائيل .

كما أن لليهود شركات واستثمارات، واتصالات مع نيجيريا ، وليبيريا ، وأثيوبيا ،وافريقية الفرنسية ،وغينيا، ومدغشقر ، والمؤلف هنا فى هذا الفصل الرائع يضع أصبعه على الحقيقة حين يقول « **ويبدو أن الحرب الاقتصادية والدبلوماسية التى تشنها الجامعة العربية على اسرائيل تؤتى ثمارها فى الجبهة الأوروبية أكثر مما تؤثر فى الجبهة الرئيسية التى قامت من أجلها، وهذه الجبهة هى كتلة الدول الافريقية الأسيوية** » .

* * *

ثم يختم المؤلف كتابه بفصل عنوانه « من باندونج الى كوناكرى » فيصف لنا التقاء الزعماء فى باندونج ، والى هذا اللقاء الافرسيوى الذى تم فى القاهرة . ثم اللقاء الذى خلفه فى ابريل عام ١٩٥٨ فى « أكرا » ،وكيف وضعت الأسس للوصول بكل بلد الى الحرية، والى السلام ، والمساواة .

وأخيرا فالكتاب يستمد غالبية مراجعه من الصحف ، ولا أوافق المؤلف على تسميتها مصادر لأن هناك فرقا كبيرا بينهما يعرفه كل باحث ومن هنا نرى الكتاب بصفحاته التى تبلغ ٢٩٨ صفحة ليس الا تحقيقا صحفيا طويلا فاذا كان المؤلف قد قصد به هذا اللون من التأليف فانه سيكون موفقا غاية التوفيق ، أما اذا كان يريد كتابا به بعض جوانب علمية فانا نراه قد جانب الصواب لأن الكتاب لا يسير على منهج ، ولا يعتمد على تحقيق أو تحليل علمى . لأن جهده كله كان يدور حول هتاف واحد هو « تحيا افريقية ، ويسقط المستعمرون » .



رائد وثقافة

للأستاذ عبد المنعم عامر

لم تجزع القارة الافريقية لحدث من أحداث تاريخها الثقافى كما جزع سكانها فى القرن العاشر الهجرى حين نعى الناعون رائد الثقافة الاسلامية ، وسفير المعارف العربية : جلال الدين السيوطى .

فلقد كان ((**جلال الدين السيوطى**)) رحمه الله سراجا وهاجا ، تشع أضواء معارفه على شعوب القارة الافريقية بين شماليها ووسطها ، وفى شرقيها وغربيها .

وكان بيته فى القاهرة بوتقة تنصهر فيها العلوم والفنون والآداب ، ومنزلا للعلماء الافريقيين من الأقطار المختلفة يفدون عليه فى مواسم الحج ، ذهابا وايابا ويقصدونه ابتغاء علم ما فيه مرضاة ربهم فى دنياهم وفى آخرتهم .

وكان ((جلال الدين السيوطى)) فوق هذا رائدا للأمانى القومية ، داعيا لها بين الشعوب الافريقية ، وطالما اهتدى به السلاطين فى ولاياتهم ، وهرع اليه الناس بشكاياتهم ، وقد لعبت آراؤه وتوجيهاته دورا محمودا فى توفير الرفاهة لحياة الشعوب .

((وجلال الدين السيوطى)) من أوائل المبعوثين الثقافيين الذين قادوا النهضة الفكرية فى القارة الافريقية ، وقد ولد رحمه الله فى مدينة أسيوط ، وعاش حياته فى القرن التاسع الهجرى ، وكان مولده ليلة الأحد مستهل شهر رجب سنة ٨٤٩ هـ .

وشاء له القدر الا ينعم بما ينعم به الأطفال ، فنشأ يتيما فى أسرة من ذوى الوجاهة والرياسة ، كان لها شأنها فى دولة المماليك ، وقد تقلد كثرة من أبنائها المناصب المرموقة فى الدولة ، ومنهم من ولى الحكم فى بلده ، ومنهم من ولى الحسبة ، ومنهم من كان تاجرا فى صحبة الأمير شيخون .

وأما جده الأعلى همام الدين ، فقد كان من اهل الحقيقة والتصوف ، ولم يعرف المؤرخون أحدا من أسرة السيوطى خدم العلم كما قام على خدمته أبوه ابن الكمال أبو بكر .

ولقد روى السيوطى فى كتابه ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، وهو يؤرخ لنفسه : ((أن من يثق به حدثه أنه سمع والد السيوطى يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا ، أو هو من أهل بلاد الشرق ، وأنه يقينا من أهل الخضيرية — وهى محلة ببغداد .

ويعتبر المؤرخون العرب جلال الدين السيوطى واحدا من العلماء الأفذاذ الذين أسهموا فى ثراء التراث العربى بما قدمه من مؤلفات عدة فى علوم كثيرة .

والواقع أن نشأة ((جلال الدين السيوطى)) تعتبر مثالا فريدا لما ينشأ

عليه بعض الناس فى حياتهم الأولى ، ونموذجا خالدا لعقلية ممتازة ،وذاكرة قوية ، استطاع بهما الطفل جلال‌الدين ان يحفظ القرآن كله ، وله من العمر دون ثمانى سنوات ، وأن يحفظ كتاب العمدة لابن رشيق ، والمنهاج فى الفقه وأصول الدين ، والفية ابن مالك ولما يبلغ مبلغ الغلمان .

وفى مستهل سنة ٨٦٤ هـ شرع جلال الدين السيوطى فى الاشتغال بالعلم ، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من المشايخ ، وفقه علوم الفرائض على الشيخ الشرمساحى ، وقد كان هذا الشيخ رجلا فاضلا ، بلغ السن العالية وجاوز اقرانه فى تحصيل العلوم .

ونال السيوطى اجازة تدريس العلوم العربية فى سنة ٨٦٦ هـ ، وفى هذه السنة صنف أول مؤلف له : وهو كتاب شرح الاستعاذة والبسملة ، ثم توالت مؤلفاته بعد ذلك ، وكثرت حتى بلغت عدتها نحو ثلاثمائة كتاب فى‌علوم التفسير والحديث والفقه والنحو وعلوم البلاغة ، وقد وصل السيوطى فى الفقه والنقول التى اطلع عليها الى درجة لم يصل اليها أحد من أشياخه، ولا وقف عليها عالم من بعده .

ومع هذه الدراية الواسعة والاحاطة الشاملة بأنواع العلوم والمعارف فان السيوطى لم يكن له حظ فى علوم الميراث ولا باع فى علم المنطق ، فقد كان الحساب أعسر شىء عليه وابعده عن ذهنه .

ويقول السيوطى : اذا نظرت فى مسألة تتعلق بالحساب فكأنما أحاول جبلا احمله « ويقول : .. وكنت فى ميادين الطلب قد قرات شيئا فى علم المنطق ، ثم القى الله كراهيته فى قلبى، وسمعت أن ابن‌الصلاح أفتى‌بتحريمه، فتركته لذلك ، وعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث ، الذى هو أشرف العلوم » .

* * *

ولقد كانت هذه الكثرة الوافرة من المؤلفات للسيوطى‌موضع نظر وتحقيق بعض المؤرخين الباحثين ،ورأى‌بعضهم ان جلال الدين‌السيوطى لايستطيع ان يصنف كل هذه الكتب ، ولا يمكن ان يسعفه الوقت فيملى على الناسخين هذا القدر الضخم من المؤلفات .

ويزعم بعض هؤلاء الباحثين ان السيوطى كان يستضيف‌علماء المغرب، وهم فى طريقهم لتأدية مناسك الحج ، فيقيمون فى التكية التى كان يشرف عليها بالقاهرة ، ويستقضيهم اجر ضيافتهم علما يكتبونه ، ومعارف يدونونها ، فنسب السيوطى هذا لنفسه .

والرأى فى نظرى أن هذه الكثرة من الكتب ان كانت تدعو المؤرخ الباحث الى شىء فانما تدعوه الى تقدير السيوطى واكباره ، ولا يصح ابدا أن تكون طريقا للحط من قدره ، وأن نسبتها الى جلال الدين السيوطى نسبة صحيحة الا ان يقوم دليل مادى من العلم فينقضها .

على أن مؤلفات السيوطى ليست كلها كتبا ضخمة أو مصنفات ذات أجزاء عديدة ، وانما يوجد من بينها عدة تمثل رسالات وكتيبات صغيرة لا تتجاوز أوراقا قليلة ، وهى كلها مكتوبة بالخط المعروف فى مصر .

وان جلال الدين السيوطى عالم ، وهو عالم آتاه الله بسطة فى المعرفة وسلسا فى التأليف، وقد تتلمذ على نحو خمسين ومائة عالم ، وتنقل رحمه الله الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والسودان وبلاد التكرور ، وكانت له المقدرة المالية التى توفر له الناسخين والورق ، فضلا عن أن العصر الذى عاش فيه السيوطى كان عصر هدوء سياسى ، نمت فيه الثورة القومية فى شكلها الثقافى ، فزخرت المكتبة العربية بالمؤلفات العديدة .

وقد كان العلماء فى جميع الأنحاء العربية والاسلامية يتخذون السيوطى هاديا لهم فيما يشكل عليهم من العلم والمعرفة، أستاذا يفقههم ورائدا يفتيهم ويرشدهم ، فلا عجب أنه كان له هذا الانتاج الثقافى ، ولا بأس أن يكون له هذا القدر الوافر من المصنفات .

والسيوطى فى عصره لم يكن عالم قومه فحسب ، بل كان رائد النهضة الفكرية العربية فى البلاد الافريقية والأسيوية ، **ولقد عرفه أهل السودان وليا من أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، وعرفته بلاد التكرور اماما ، واتخذه علماء شمال افريقية هاديا ونصيرا .**

وان الذى يهمنا فى أمر جلال الدين السيوطى بعد هذه الاحاطة العامة، انما هو الجانب الثقافى الذى نشره فى القارة الافريقية ، وعمل فيه على توحيد كلمة المسلمين ، وجمع به شمل الناس على أهداف واحدة من الحياة الكريمة ، وهو أيضا ارتياده البلاد المجاورة لوطنه سفيرا لقوميته وعروبته ، يدعو خلق الله الى الاستمساك بحقوقهم المدنية والى أداء واجباتهم الدينية .

وان رحلة جلال الدين السيوطى لأقاليم « **السودان** » تعتبر من أهم ما خلفه السيوطى ، وهى لا تزال مخطوطة لم تنشر بعد ، وتوضح هذه الرحلة الصلات بين شمال وادى النيل (الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة) وبين جنوبه (جمهورية السودان) ، وانها صلات تمتاز بطابع خاص ، وتتناسب فى مظاهرها تناسبا طرديا ، فما أصاب الشمال شىء من الانحلال السياسى الا كان له صداه فى الجنوب ، وكان له أثره فى العلاقات بين شطرى الوادى .

ويذكر السيوطى فى رحلته أن بلاد السودان قد تأثرت أيام تطاحن مماليك مصر فى القرن التاسع الهجرى ، وأن الأمن فيه قد اختل وكثر التعدى بسبب الصراع الذى دفعت اليه الأطماع القبلية ، ولقد كان أثر هذا واضحا فى الجزء الشمالى من السودان (بلاد النوبة السفلى) لاتصاله الوثيق بشمال الوادى ، كما يقول جلال الدين السيوطى .

ويروى السيوطى أن بلاد السودان قد اعتبرت مهجرا للفارين من شمال الوادى فى القرنين السابع والثامن من الهجرة (الثالث عشر والرابع عشر الميلادى) لما أصاب القوم من اضطهاد وعدوان من المماليك الذين تملكوا زمام الحكم فى مصر بعد أن انتزعوه من العرب أصحاب السلطان أصلا ، الذين نظر اليهم المماليك — وبخاصة المماليك البحرية — نظرتهم

لعنصر غير مرغوب فى بقائه بالبلد الذى آلت اليهم مقاليد حكمه ، وذلك لخوف المماليك وقلقهم من قيام العرب والعربان باشاعة الفتن والثورات لاسترداد سلطانهم المغتصب .

ولم يكن جنوب الوادى الا الطريق الدائم لهجرة العرب للخلاص مما حاق بهم بسبب هذه الأحداث وغيرها التى انتزعت الحكم ونقلت السلطان من أيدى العباسيين الى الطولونيين الاخشيديين ، ثم الى الفاطميين فالأيوبيين والمماليك .

ويروى السيوطى أنه قد جاءت الى جنوب وادى النيل فى ركاب هذه الهجرات مختلف العقائد والمذاهب الفكرية ، وبخاصة من الفاطميين الذين لاتزال لهم آثار معروفة ومتفرقة فى بلاد السودان .

وانه ليتضح من رحلة السيوطى للسودان فى القرن التاسع الهجرى أن الجماعات المهاجرة من شمال وادى النيل كان لها حماس للرسالة الدينية مستمد من القوة الروحية ، وأنها قد استطاعت فى سرعة فائقة أن تكتسح أسسه التى قامت فى ظل نوع تتغلغل فى المجتمع المحلى للسودان وان من العبادات لم تكن له أركان راسخة، بل كان طابعه الغالب تلك البقية الباقية من المعتقدات القديمة التى ورثوها من عهود الوثنية السحيقة .

ولقد كان يسيرا على المهاجرين العرب تقويض جهاز الملكية فى السودان التى مارسها ناس مؤلهون من رجال الكهنوت ، وتمكنت الزعامات العربية من السيطرة الكاملة على مصير الوطن الجديد فى مختلف مناطقه الاقليمية فى البادية ، وفى الحضر ، وفى الريف .

وأحدثت هذه الهجرات فى مراحلها المتعاقبة تطورات فى نظام الحكم وفى حياة المجتمع ومظاهر نشاطه الاقتصادى والسياسى ، وقد أزالت ما كان قائما من فوارق بين الراعى ورعيته ، وما بينهما من عبودية مطلقة ، ويروى السيوطى فيما ذكره عن حال القبائل التى شاهدها فى رحلته بالسودان أنه قد تكونت من مجموعات القبائل زعامات اقليمية ، تولاها شيخ المشايخ ، ويكون عادة شيخ أقوى قبيلة فى المجموعة ، وقد عرف هذا اللقب فى عهد السلطنة السنارية باسم « الملك » أو « المانجل » .

وأن هذا الشيخ كان يمارس مسئولياته فى مجلس « الأجاويد » ، وذلك فى المسائل الخارجة عن سلطاته التقليدية التى يباشرها بشخصه .

وهذه السلطات يلخصها السيوطى فى توزيع الشيخ الأراضى الزراعية على رؤساء البيوت ، والمحافظة على حقوق القبيلة فى الأراضى التى تحتلها والآبار التى تستخدمها .

واذا كانت القبيلة ضاربة فى الصحراء ، فان شيخها يتولى اصدار أمره بالرحيل والنزول والقيام فى مواطن الرعى الموسمية ، وتختص كل قبيلة بمرعاها الخاص الذى كان يحدد عادة بأشجار تزرع على حدوده الأربعة .

وقد كان الناس يفضلون زراعة الأشجار على وضع الأحجار ، وسببه أن موجات زحف الرمال تنكسر عند الأشجار ، وتطغى على الأحجار ، وتخفى معالمها .

وعلى الشيخ أن يكون عارفا بتقاليد القبيلة وتقاليد القبائل المجاورة لها ،

وان يكون حافظا للأنساب ، وأن يقوم باستضافة الغرباء ، كما كان على الشيخ أن يتولى تنظيم اقامة الأعياد القومية والتقليدية ، وغير هذا من العادات القائمة ، فالشيخ رمز القبيلة، يتولى ادارة شئونها الخاصة والعامة، ويفض مشكلاتها ، وينظم علاقاتها مع شيخ المشايخ ، وهو الذى يقوم بجمع العشور عن الأرض الزراعية ، ويرسل جزءا منها الى شيخ المشايخ ، وهذا بدوره يدفع منها جانبا الى خزينة السلطنة عند قيامها على رأس اتحاد المشيخات فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى (القرن التاسع الهجرى).

ولقد ذكر السيوطى فى رحلته حوادث وقصصا تدل على أن رجال الدين الذين دخلوا البلاد من وقت لآخر لم يكن لهم الأثر المحسوس فى بعث شعور الفرد ويقظته للسير نحو مستوى للحياة أفضل ، وانهم كانوا يتباغضون ويسعون لدى الحكام والسلاطين أصحاب الجاه ليقضوا للناس مصالحهم طمعا فى عطاياهم .

وبعد ، فهذا جلال الدين السيوطى أول رائد للثقافة فى القارة الافريقية ، وهذه بعض من آثاره الخطية، ولئن كانت مكتبات العالم لا تكاد واحدة منها تخلو من المخلفات الثقافية للسيوطى ، فان واحدة من هذه المكتبات تخلو تماما منها ، وهى مكتبة بلدية أسيوط ، وجدير بنا فى عصر نهضتنا المباركة أن نعنى عناية كبيرة بالبيئات الاقليمية من جميع نواحيها وسائر مآتيها .

وقد آن الأوان لأن ينال جلال الدين السيوطى حظه من الدراسة والتمجيد، ولأن تقدم الهيئات المعنية بالعمل على أن يحتل السيوطى مكانه اللائق فى العقل الثقافى العام كرائد من الرواد الأول لثقافتنا العربية ، وأكبر مؤلف فى تراثنا العلمى ، وان الشعوب الافريقية ليسرها أن تسهم فى احياء ذكرى الرجل الذى عرفت له قدره، وعاشت طويلا على آثاره .

وان التراث العربى فى أشكاله وعلى فنونه يمثل للنهضة الافريقية قوة ثقافية يجب أن يستضىء بها كل مؤمن بالقومية العربية ، وهو ليس تراث بلد من البلاد ، ولا هو لطائفة من الطوائف ، ولكنه تراث شعوب عديدة، ان كانت قد غلبت على أمرها حينا فقد نهضت ودبت فيها الحياة ، وأخذت طريقها لانتزاع حقوقها فى الحضارة الانسانية التى تدعو الى الخير والمحبة والسلام ، وهو التراث الذى يتفاعل له العقل العربى ، وينسجم مع الأهداف القومية ، فان فيه الذوق وفيه الفن ، وفيه التاريخ لصور الكفاح .

ولو أن نشر هذا التراث سار على سياسة هادفة لقام فينا الوعى الذى ننشده فى نهضتنا ، وتستهدفه الشعوب الافريقية فى قيامها ، ويقضى على تلك الذبذبات الفكرية الهدامة التى ترد من الشرق ومن الغرب ، ويوجهها ضحالة من المفكرين ، فتعوق التقدم نحو أهدافنا القومية .

وانه لمن الخير للبعث الثقافى أن تشمل جهودنا التراث العربى ، فتنشره من جميع نواحيه ، ولا تكون عنايتنا به مقصورة على تلك المعارف الأكاديمية فى اللغات والدين والآداب ، وانما يجب أن يعنى المتخصصون بأحياء ما يناسب نهوضنا ونهوض جيراننا حتى يتمثل للشعوب الافريقية تراثها التاريخى الذى تبين فيه الوحدة الفكرية .

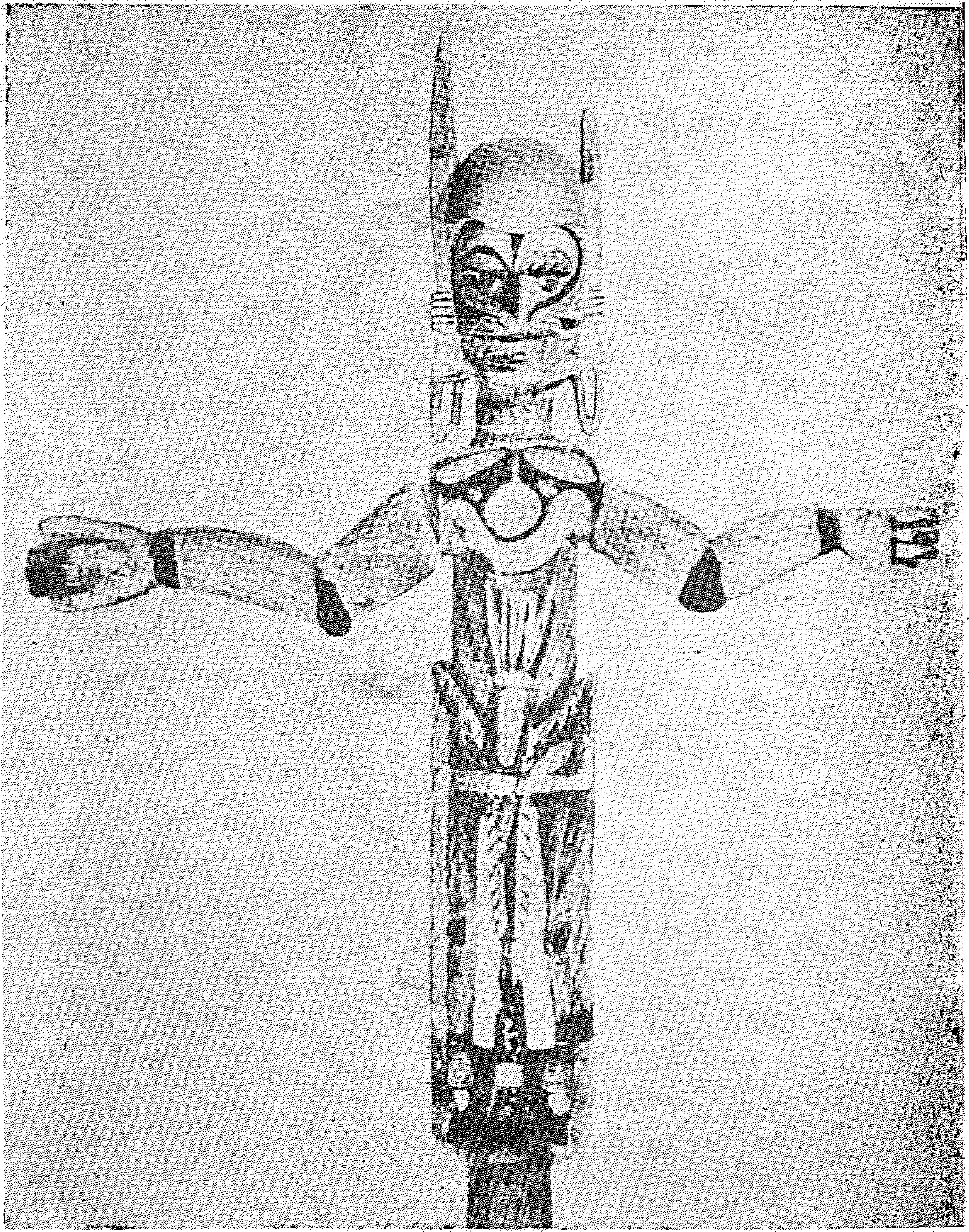
جولة مصورة حول



« الاضراب الجماعى فى جنوب أفريقية »



الأجانب والتماسيح



من الفن الافريقى



« منظر في كينيا »

مصادر الهام المثال الأفريقي

للأستاذ : فؤاد دواره

منذ مايقرب من نصف قرن عثر بعض الفنانين الفرنسيين على مجموعة من التماثيل الافريقية ، كان قد حملها الى « باريس » بعض الرحالة وتجار الرقيق . وكان معظم هؤلاء الفنانين من الشبان الذين ضاقوا بأساليب الفن الأوربى ، وتطلعت نفوسهم الى أساليب فنية جديدة ، فسرعان ما وجدوا بغيتهم فى تلك التماثيل البدائية التى صنعها الفنان الافريقى فى قلب القارة السوداء .. وهكذا ، كان أولئك الفنانون الفرنسيون أول من أدرك القيمة الجمالية الأصلية لفن النحت الافريقى .. أما اليوم فقد أصبحت تلك القيمة معترفا بها فى كل الأوساط الفنية كلون من أعظم ألوان النحت فى العالم ..

ومنذ أهتدى العالم المتمدين الى قيمة هذا الانتاج الفنى ، ألفت عنه كتب عديدة ، ونشرت مقالات ودراسات لا حصر لها ، وبدأت أشهر متاحف العالم الفنية تعنى بتزويد مجموعاتها بنماذج من انتاج المثال الافريقى ، كما تسابق أثرياء العالم من هواة المقتنيات الفنية على شراء أكبر عدد من نماذج النحت الافريقى . وكانت أعظم هذه المجموعات قد نقلت الى أوربا من زمن طويل ، حملها التجار والمستكشفون وعلماء الأجناس وغيرهم من الأوربيين الذين اتيح لهم أن يرتادوا غياهب القارة العريقة .. حملوها معهم لا باعتبارها أعمالا فنية كبيرة القيمة ، وانما كنماذج للصناعات اليدوية ، البدائية ، وكانت نظرتهم اليها نظرة الأوربى المتمدين الى تعبيرات البدائيين الساذجة الخالية من كل قيمة فنية ، فقد صنعها رجال متوحشون محرومون من كل موهبة ، ولا يدركون معنى الفن . !!

الفن الحديث

غير أن الكتابات والدراسات الأولى عن فن النحت الافريقى اتجهت كلها الى شرح خصائصه الفنية دون الاهتمام بالفنان الذى صنعها ، وبالبيئة الثقافية المحيطة به والتى لابد أن تترك آثارها فى انتاجه وتوجهه وجهة خاصة .

والواقع أن التقدير الحقيقى لأى فن ينبغى أن يقوم على فهم مدلوله وفوائده وأشكاله المختلفة ، ومعرفة الظروف التى نشأ وتطور فى ظلها ، وهذه الحقيقة أصدق ماتكون بالنسبة للفن الافريقى والظروف المحيطة به ، وفى هذا المقال سنحاول دراسة فن النحت الافريقى فى علاقاته بالنظم والأفكار والمعتقدات الافريقية ، الأمر الذى يساعد على تقدير خصائصه الفنية ، وادراك المصادر التى ألهمت المثال الافريقى .

ولقد ازدادت قيمة النحت الافريقى فى السنوات الأخيرة لتأثيره الواضح فى المذاهب الفنية الحديثة التى تميل الى البساطة والتجريد وتحاول بعث روح جديد فى المذاهب الفنية القديمة.

وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أن النحت كان يحتل مكانة هامة فى حياة الافريقيين قبل أن يغزوهم الأوربيون بقرون طويلة ، فقد كان النحت دائما عنصرا أساسيا فى معظم طقوسهم واحتفالاتهم . وكثير من الأدوات التى كانوا يستخدمونها فى حياتهم اليومية أضافوا اليها زخارف ونقوشا لا نفع لها الا مجرد الزينة ، كما نحتوا كثيرا من التماثيل لا لشىء الا للمتعة الفنية التى تحققها ، ولدينا الآن نماذج عديدة من التماثيل فى أحجام مختلفة صنعتها معظم الشعوب الافريقية التى لم يصل الاسلام اليها ، لما هو معروف من تحريم تعاليم الاسلام لصنع التماثيل ، وذلك لما تثيره من أفكار وثنية عمل الاسلام على القضاء عليها .

وعلى أساس ما وصل الينا من التماثيل الافريقية يمكن تحديد مساحة فن النحت الافريقى فتشمل الجزء الجنوبى من غرب القارة وتمتد كالحزام العريض فى وسطها حتى تقارب شرقيها .

سمات ثقافية مشتركة

ومن المعروف أن سكان أواسط افريقيا تتقسمهم مئات القبائل ، وأن لكل قبيلة كبيرة نظاما سياسيا متطورا يمكن مقارنته بنظام الممالك الصغيرة التى تكونت فى المدن الأوربية خلال العصور الوسطى . وقد تقدمت الأساليب الفنية فى أواسط افريقية تقدما كبيرا قبل أن يغزوها الأوربيون بزمن طويل . وكذلك عرف الافريقيون استخدام الأدوات الحديدية كأسلحة فى الحرب ، وكأدوات يصنعون بها أشياء أخرى كان نحت التماثيل من بينها .

ويؤكد تعدد ثقافات الافريقيين وتنوعها تأثرهم بكثير من الثقافات الوافدة ، واتصالهم بغيرهم من الشعوب خلال قرون طويلة .

ويمكن بشكل عام تقسيم فن النحت الافريقى الى أربعة أقسام رئيسية داخل المساحة العامة التى أشرنا اليها من قبل ، وهى : —

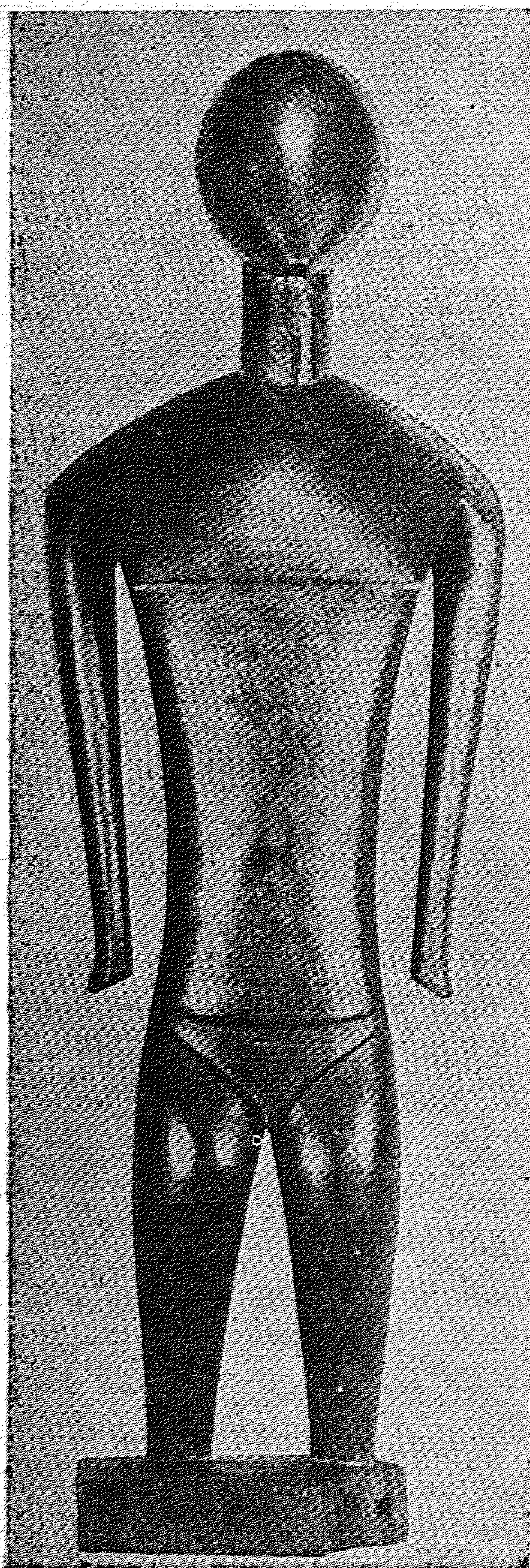
١ — غرب افريقية .

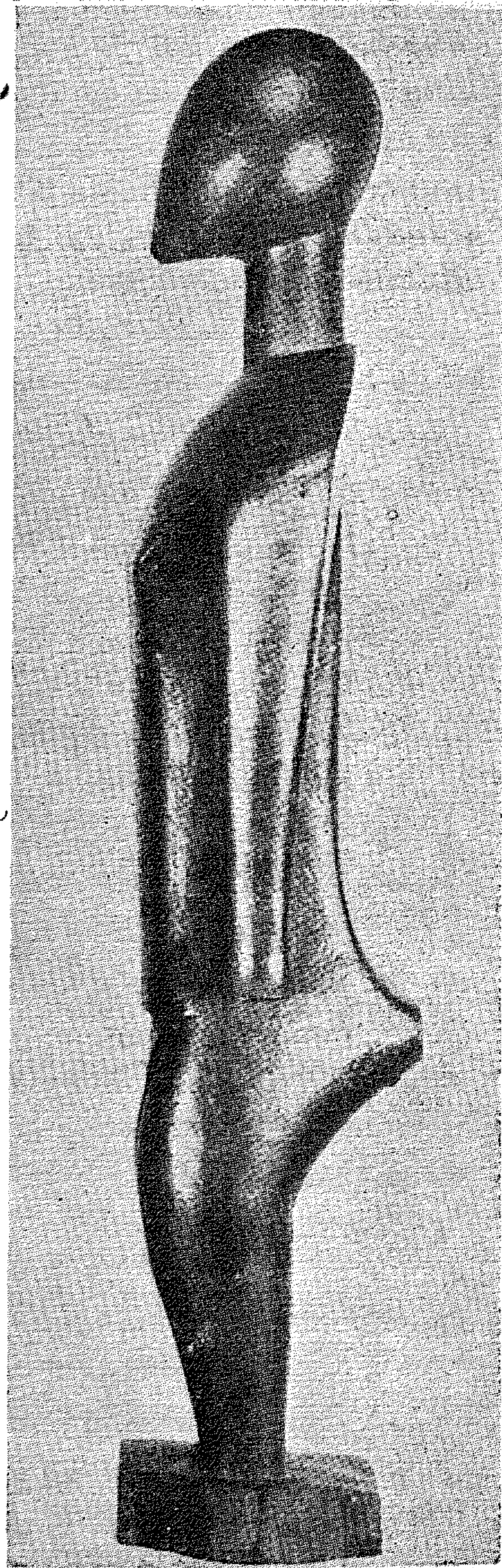
٢ — الكاميرون .

٣ — وسط افريقية .

٤ — شرق افريقية .

وكل قسم من هذه الأقسام الرئيسية يضم عدة أساليب فنية بحيث تكاد كل قبيلة تتميز بأسلوبها الخاص ، غير أن هذا لا يتعارض مع وجود سمات فنية مشتركة بين الشعوب الافريقية جميعا ، فالفن لدى جميع شعوب العالم ليس الا وجها من وجوه الثقافة ، ومتى تميزت مجموعة من الشعوب بسمات ثقافية مشتركة فلابد أن ينعكس ذلك على فنونها فتتشابه فى خطوطها العامة وسماتها الرئيسية ثم تختلف بعد ذلك فى أفريقية بوجه خاص وتتشابك أوجه النشاط الثقافى عادة وتتداخل بصورة





من النحت الافريقى

أشد وضوحا منها فى ثقافات المجتمعات الغربية .

الأسلاف والآلهة

فوحدة المجتمع الافريقى هى الأسرة المكونة من الزوج ، وهو الرئيس عادة ، وزوجاته وأطفاله وتابعيه . والأسرة الافريقية : وحدة اقتصادية ، وسياسية ودينية قائمة بذاتها ومرتبطة بأقوى الروابط . وهذه الوحدات الصغيرة نسبيا ترتبط لتكون جماعات أكبر هى القرى ، وهذه القرى ترتبط مع غيرها من القرى لتكون جماعة أكبر هى القبيلة التى يراسها شيخ أو ملك ينوب عنه رئيس لكل قرية .

وتنظيم هذه الجماعات الكبيرة مشابه لنظام الأسرة ، ويحدث أحيانا أن يتوحد عدد من القبائل ليكون شعبا يحكمه ملك . ومكانة الفرد داخل كل من هذه الوحدات الاجتماعية تتحدد عن طريق الوراثة ، وحسب الآباء والأجداد الذين ينتسب اليهم . لذلك كان الزعيم أو الملك يجمع فى الغالب بين الرئاستين السياسية والدينية . وتنشأ حوله حياة شبيهة بحياة البلاط الذى يضم نواب الرئيس وأتباعهم وأتباع الرئيس الكبير ومستشاريه . ويحكم الدولة نظام ضرائبى دقيق ، يصرف من حصيلته على الجيش والقضاة الذين كثيرا ما يلجأون فى محاكماتهم الى استشارة الآلهة ، وتنفيذ ما تشير به .

ولما كان النظام القضائى يعتمد على طقوس دينية خاصة فقد كان مصدرا هاما من مصادر الهام المثالين والفنانين الافريقيين .

ومن المصادر الهامة التى يستلهمها الفن الافريقى الطقوس الدينية العديدة المتصلة بعقيدة تقديس الأسلاف ، فكل من الأسرة والقبيلة والقرية لا تتكون من الأفراد الأحياء وحدهم ، وانما تضم كذلك أرواح الأسلاف المتوفين ، التى تتبع تصرفات الأحياء من سلالتهم باهتمام زائد ، وتتصل بأرواح أسلافها الكبار فى سلسلة صاعدة تنتهى عند الآلهة .

ومن هنا كان لأولئك الأسلاف مكانة تسمح لهم بأن يعاونوا أفراد سلالتهم أو أن يلعنوهم ويجلبوا الشؤم عليهم . وهذه اللعنة لا يمكن تجنبها الا عن طريق التمسك الشديد بالتقاليد والطقوس المصطلح عليها لتكريم أرواح الأسلاف وارضائها .

ويقدس الافريقيون نوعين من الأسلاف : أسلاف الأسرة ، وأسلاف القبيلة ، وهم الملوك والزعماء الراحلون وهؤلاء أقوى من سابقيهم ، فتقام لهم كثير من الطقوس والاحتفالات لتكريمهم فى حضرة الملك أو الزعيم الحى ، تحقيقا لمصلحة القبيلة كلها ، وأمنها . أما الطقوس التى تقام لتكريم أسلاف الأسرة ، فهى طقوس خاصة تقام داخل المنازل على أسس أكثر فردية . على أن كلا النوعين من الطقوس يستوجب ، فى الأغلب ، وجود تماثيل .

وكثير من العقائد الدينية فى افريقية تؤله بعض مظاهر الطبيعة ، وتؤمن بقدرة السحر وقوة تأثيره . وآلهة الطبيعة آلهة متخصصة يسيطر كل منها على نوع خاص من أنواع

النشاط الانسانى ، كالولادة ، والقدرة الجنسية للرجل ، ونماء المحاصيل ، والحيوانات ، والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك .. لكل منها الهه الخاص الذى تقام له الصلوات والابتهالات تحت اشراف الكاهن الرسمى . وفى معظم الحالات تقام لهذه الآلهة تماثيل مختلفة الأحجام من الحجر أو الخشب

أما عقيدة السحر فتتلخص فى الايمان بأن الوقاية من الأمراض وغيرها من الشرور لا تتحقق الا عن طريق استعمال بعض المواد والأدوات بطريقة خاصة ، ومعظم اجراءات السحر تعتمد على تمثال معين يضيف اليه الكاهن بعض المواد السحرية ، وكثيرا ما يطلب من المثالين صنع هذه التماثيل خصيصا لهذا الغرض وهو استخدامها كأداة للسحر . ويعتقد الافريقيون أن المواد السحرية التى يضيفها الكاهن تهب التمثال روحا أو قوة خاصة تجعله قادرا على تحقيق الغرض الذى من أجله أقيمت الطقوس السحرية .

الجمعيات السرية

وتأتى بعد ذلك عملية التنبؤ بالمستقبل التى يؤمن بها معظم الافريقيين ، ويقصرونها على أفراد معينين من أفراد المجتمع كالكهنة وغيرهم . وتعتمد هذه العملية ، فى الأغلب ، على نوع خاص من التماثيل .

وتحتل الجمعيات السرية مكانة هامة فى حياة كثير من المجتمعات الافريقية ، وتعتبر هى الأخرى مصدرا هاما من مصادر الهام المثال الافريقى . والجمعية السرية تتكون من عدد من الرجال والنساء يمارسون نشاطادينيا أو سياسيا يتسم بنوع من السرية ، وتختلف أهميته وآثاره باختلاف التقاليد والظروف الاجتماعية فى كل قبيلة . وفى بعض القبائل تتمتع هذه المنظمات بنفوذ كبير ويخشى بطشها ، فى حين أنها فى قبائل أخرى تعمل من أجل الصالح العام ، وفى معظم أجزاء غرب افريقية يغلب أن تتولى هذه الجمعيات اقامة الطقوس والاحتفالات السحرية والدينية ، وتتخصص جمعيات أخرى فى مراقبة الشبان الناشئين ، وتلقينهم تقاليد القبيلة وعاداتها ، وقواعد السلوك التى ينبغى أن يحترموها بعد أن أصبحوا اعضاء ناضجين فى المجتمع .

ولكل جمعية من هذه الجمعيات أسلافها الخاصة بها ، كما أن لها أرواحا أو قوى خاصة خارقة تساعدها على تحقيق آمالها ، وهذه الأرواح والقوى لابد أن تتجسد فى شكل تماثيل يصنعها



« من الفن السيراليونى »

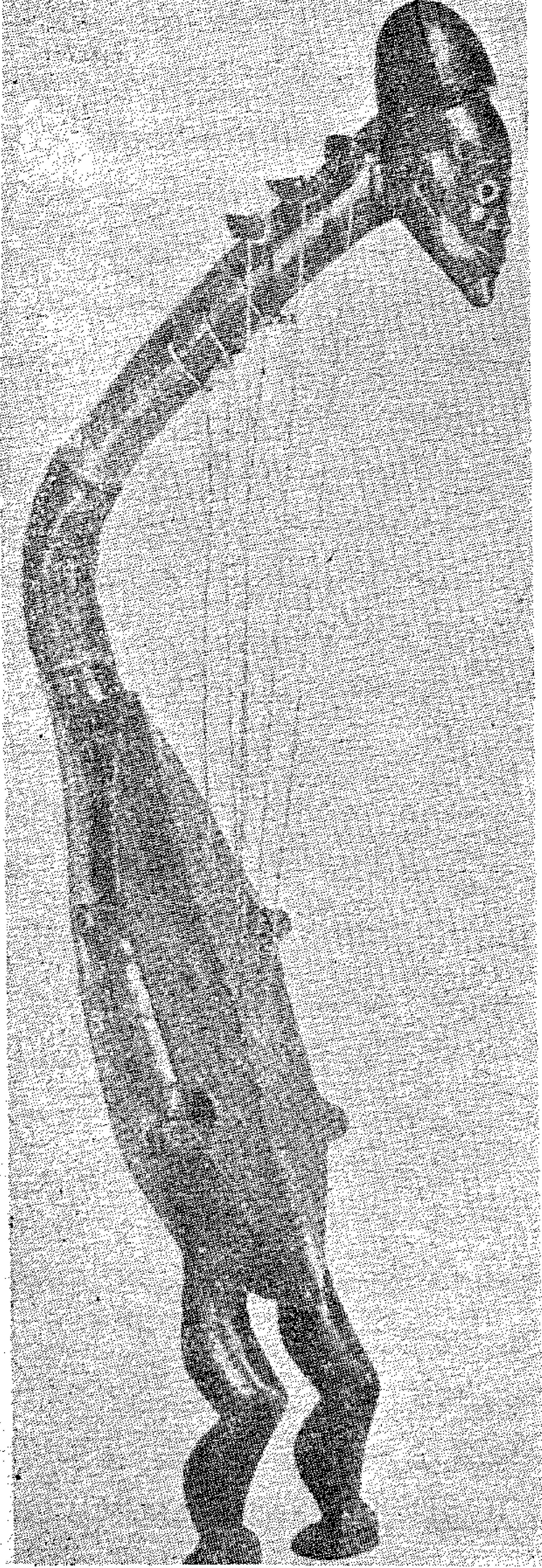
المثال الافريقى على النحو المناسب المعبر عن معتقدات الجماعة .

ويعتمد المجتمع الافريقى على الزراعة أعظم الاعتماد ، وينطبق هذا على سكان الغابات والأحراش ، انطباقه على سكان السهول العشبية ، ولكن هذا لا يمنع من أن الصناعات اليدوية كانت دائما احدى السمات المميزة للمجتمع الافريقى ، ومن المألوف أن تتكون مراكز صناعية وتجارية لكل مجموعة من القبائل . ومن الحقائق المعروفة أن الصناعات اليدوية تقوم الى حد بعيد على أسس فنية وزخرفية ولما كان لكل قبيلة تقاليدها ، وأسلوبها الفنى الخاص ، فقد أتاحت هذه المراكز الصناعية لهذه الأساليب أن تمتزج وتتقارب فيما بينها .

على أن هناك خصائص فنية عامة يمكن التعرف عليها فى فن النحت الافريقى . فالتمثال الافريقى ، باستثناء حالات قليلة ، يعبر تعبيرا قويا صادقا عن التقاليد الفنية السائدة فى بيئة الفنان، سواء فى القبيلة أو القرية أو الأسرة الكبيرة التى يعيش فيها الفنان ويستمد منها تصوره للحياة وفهمه لظواهرها ، ثم يعكسها بقوة مذهلة فى تماثيله التى يصنعها من الخشب أو البرونز أو العاج .

وليس معنى هذا أن الفنان الافريقى ينقل تماثيله من الطبيعة نقلا مباشرا، بل هو يبسطها ، ويبرز فيها بعض التفاصيل الهامة ، ويهمل تفاصيل أخرى يستشعر عدم أهميتها .

ومع ان معظم النماذج التى يستلهمها المثال الافريقى فى صنع تماثيله نماذج ثابتة ومتوارثة ، تحددها التقاليد والعقائد السائدة ،الا أنه استطاع دائما أن يبرز فى كل أعماله احساسه الخاص وشخصيته الفنية المستقلة .



«آلة موسيقية من الكونغو الفرنسية»

نذور وقرابين

وكثير من التماثيل الافريقية تصور الانسان ، ومعظمها يتخذ شكلا اسطوانيا صغيرا ، والقليل منها مايزيد طوله على قدمين فى حين يقل طول معظمها عن ست بوصات . والخشب هو المادة المفضلة لصنع هذه التماثيل. ويصبغ التمثال عادة باللون الأسود أو الأحمر الفاقع ، باستثناء قبيلة « اليوربى » ، وبعض قبائل «الكنغو» الأخرى ، فهى تطلى تماثيلها وأقنعتها بألوان متعددة ،وكثيرا ماتطعم التماثيل بمواد أخرى مما فى متناول الفنان

وفى بعض مناطق افريقية الغربية أصبح تمثال الانسان يرمز لاله من الآلهة ، يقدمون له النذور والقرابين الرسمية ، ولذلك فمن الصعب أن تعرف الغرض الذى يستخدم فيه التمثال مجرد النظر اليه أو دراسته ، وانما يستوجب الأمر دائما الحصول على معلومات دقيقة مباشرة .

وفى مناطق كثيرة من افريقية ينحتون نماذج للانسان يزينون بها أعمدة المنازل والأمشاط والأوانى ، وغيرها من الأدوات التى يستعملونها فى حياتهم اليومية ، كالطبول والأجراس ، والعلب ، والسكاكين ، والفئوس ، ومن الزخارف التى تنحت على هذه الأدوات ما له دلالات رمزية.

الأقنعة المقدسة

ويعتبر صنع الأقنعة نموذجا فنيا يكاد يكون عاما فى كل أجزاء افريقية ، ومع أن الملامح الانسانية هى التى تستلهم فى صنع غالبية هذه الأقنعة ، الا أن بعضها يصنع على شكل راس حيوان ، أو يتخذ شكلا مجردا . والأقنعة تستخدم بصفة أساسية فى طقوس الجمعيات السرية ، وقد ترمز لروح من أرواح الأسلاف أو الآلهة . وفى مناطق قليلة تستخدم الأقنعة فى اجراءات السحر بدلا من تمثال الانسان .

وتنقسم الأقنعة الى أربعة أنواع رئيسية : الأول يصنع على صورة وجه انسان ويرتديه الانسان فوق وجهه الحقيقى ، والثانى كالخوذة يغطى الرأس كله حتى الكتفين ، والثالث وهو أكثر الأنواع انتشارا يصنع له مقبض قصير أو طويل ليستطيع من يستعمله أن يغطى به وجهه ، ثم يرفعه الى أعلى أو يخفضه الى أسفل حسب مشيئته ، أما النوع الرابع فهو أقرب ما يكون لغطاء الرأس ، وغالبا مايرتدى الشخص معه ملابس من القماش أو الياف النخيل ، تخفى معالم فصله خلاء فسيح تعمق بمضى الزمن شخصيته ، وفى معظم الأحوال يعتبر هذا الشخص تجسيدا لروح من أرواح الأسلاف التى يمثلها القناع أو يرمز لها . واثناء الطقوس يتحرك ذلك الشخص ويتكلم بطريقة لا تنم عن شخصيته ، ووفقا لأصول وقواعد متوارثة .

وبعض القبائل تحرم على أفرادهما ممن ليسوا أعضاء فى الجمعية السرية رؤية بعض الأقنعة المقدسة ، ومن يخالف ذلك يعرض نفسه لعقوبة قاسية قد تصل الى القتل . وترتدى اقنعة أخرى فى المناسبات العامة التى يشترك فيها الجميع اما بالرقص ،واما

بمراقبة الراقصين . وثمت وظائف كثيرة للأقنعة مجهولة لنا تماما لأنها تعتبر سرية فى بعض القبائل ، فلا يبوحون بأسرارها لأى غريب عن مجتمعهم ..

ومع أن الأشكال الحيوانية تظهر فى كثير من آثار الفن الافريقى الا أنها أقل استعمالا من الشكل الانسانى ، فهى تنحت فى أشكال اسطوانية وبيضاوية ، وتستخدم فى أغراض دينيةوسحرية ، كما تستخدملزخرفة بعض الأدوات المتصلةبالحياة العقائدية، والحياة الدنيوية فى الوقت نفسه . وبعض القبائل تنسب للحيوان الذى تصنع له التماثيل ، وفى هذه الحالة تصبح لهذا الحيوان أهمية دينية واجتماعية خاصة .

وفى بعض التماثيل يجتمع الانسان والحيوان فى تكوينات مشتركةلأغراض رمزية متصلة بالعقائد احيانا ،واحيانا أخرىنرى كثيرا منالرسوموالزخارف التى تنحت على الأدوات الدنيوية لا يقصد بها أكثر من تجميل الأداة ، وجعلها جديرة بأن يستعملها شخص ثرى عظيم .

مكانة المثال فى المجتمع

ان الانسان والحياة المحيطة به هى أكبر ملهم للمثال الافريقى ، باستثناء حالات قليلة ، واذا كانت التماثيل الافريقية تختلف كثيراً فيما بينها ، وتتعدد أشكالها وأساليبها ، فما ذلك الا لاختلاف الثقافات الافريقية وتعددها .

ومنالمكنعلىهذا الأساس التعرف على اسم القبيلة ، او المنطقة التى صنع فيها التمثال من شكله وأسلوبه الفنى .

ويتكون أسلوب المثال من تضافر عدة عناصر ، تشمل نسب أجزاء التمثال وتصميمها بحيث تعبر عن علاقة معينة ، ومن قوام التمثال وهل هو مجوف مثلا ، أم مصمت، وطريقة علاج السطح ، واللمسات الأخيرة ، وغير ذلك من السمات الفنية .

وهناك عدد كبير من الأساليب المختلفة فى النحت الافريقى ، ولكن التشابه الواضح بين أساليب القبائل المتجاورة، يوحىبأنها جميعا مستوحاة من تقاليد فنية واحدة ، تفرعت عنها هذه الأساليب المتقاربة . ومن الممكن التعرف على عدد من التقاليد الفنية المشتركة ، يمثل كل منها عددا من القبائل . ومن هذه التقاليد والأساليب الفنية المختلفة تتكون السمات العديدة المتنوعة التى تميز النحت الافريقى .

واذا كانت العلاقات والمشابهات واضحة بين بعض التقاليد والأساليب الفنية وبعضها الآخر ، فان هذا لا يعنى امكان بلورتها جميعا فىأسلوب افريقى واحد ، وان كان هذا لا يمنع من امكان اكتشاف بعض الخصائص العامة المشتركة التى تسهم فى تكوين قيم جمالية معينة يتأثر بها المثال الافريقى .

والمثال الافريقىعادة صانعمحترف اجتاز فترة من التدريب ، وأحيانا يكون مثالا ، وساحرا أو كاهنا فىوقت واحد . والنحت مهنة وراثية فى بعض القبائل ، فى حين أنها فى قبائل أخرى لا ترتبط الا بالموهبة والاستعداد .

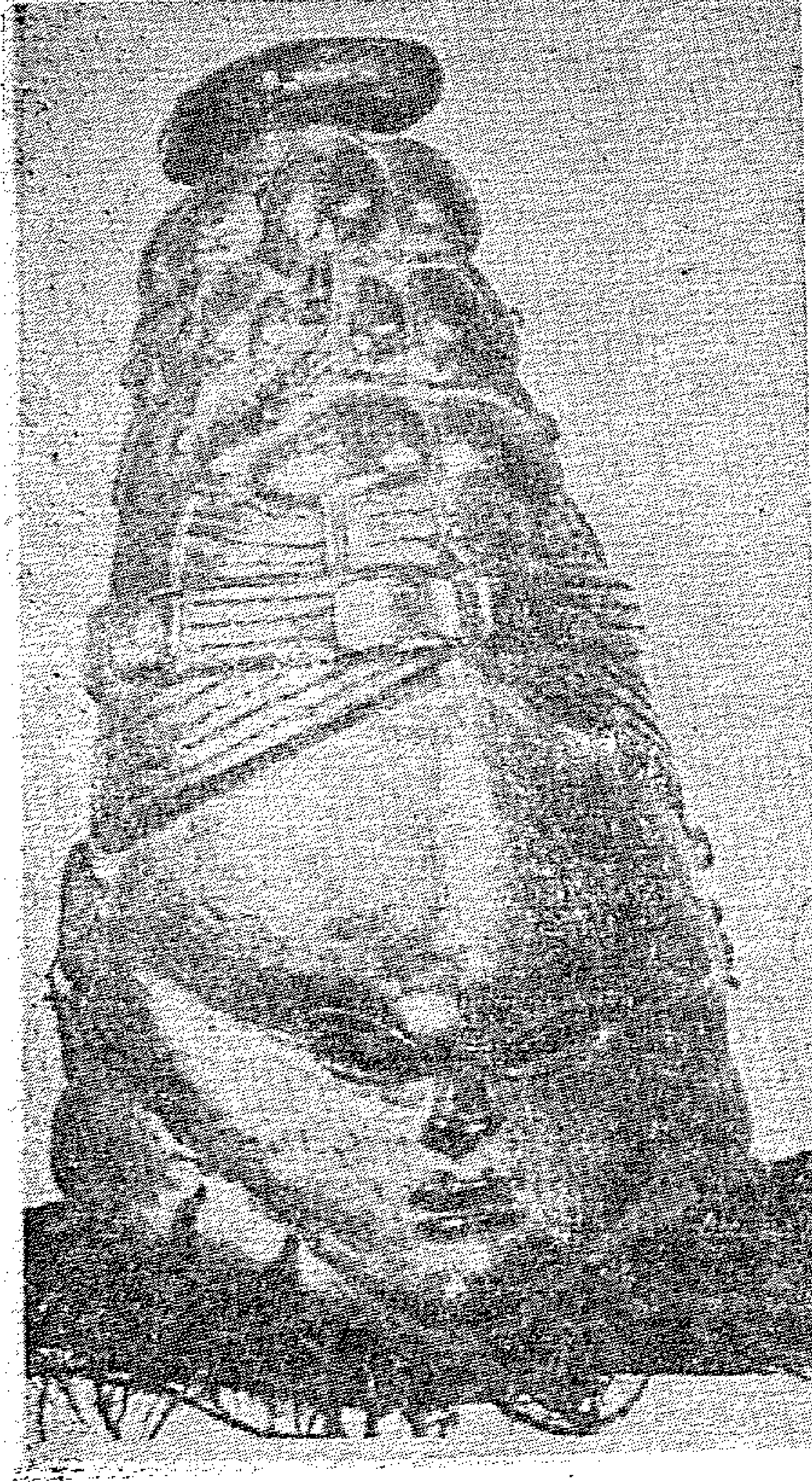
وفى كل منطقة يعمل المثال وفق التقاليد السائدة فيها . وفى معظم مناطق افريقية تقريبا ، يحظى المثال بقدر كبير من التقدير والاحترام ، وتضعه بعض القبائل فى مكانةسياسية ودينية ممتازة .

والمكانة التى يتمتع بها الفنان فى المجتمع الافريقى ، والآمال التى يعلقها الافريقيون على أعماله ، توضح لنا بشكل عام الى أى حد يتوفر لمعظم القبائل الافريقية قدر معقول من الاطمئنان الاقتصادى يسمح لهم بالفراغ الفنى اللازم لممارسة الخلق الفنى ، والاستمتاع بآثاره .

فن جماعى

وفى كل أنحاء افريقية ، تستعمل الأدوات الحديدية فى صنع التماثيل ، والأداة الرئيسية هى القادوم ، رغم أن السكاكين والمقاشط والأزاميل تستعمل هى الأخرى . وخلال فترة التدريب يتعلم التلميذ كيف يستخدم هذه الأدوات ، وكيف يصنعها . وقد اشتهرت بعض المناطق بصنع أدوات النحت . والمثال يعلم تلميذه عادة كل التحسينات التى أدخلت على صنع هذه الأدوات وطرق استعمالها ، مما سبق له أن تعلمه أو اهتدى اليه عن طريق الممارسة .

ومن الصعب تأريخ فن النحت الافريقى ، لأن معظم النماذج التى وصلت الينا، لانعرف تاريخ الحصول عليها ، أما من افريقية ذاتها ، وأما عن طريق أحد التجار الأوربيين . وفى الحالة الأخيرة يكون تاريخ الحصول قليل القيمة ،فى حين أن تاريخ الحصول



((قناع من سيراليون))

على التمثال من افريقية قد يكون له بعض الأهمية .

وعن طريق دراسة تأثير الرطوبة الجوية ، وفعل الحشرات فى خشب بعض التماثيل أمكن القول بأن هذه التماثيل ترجع الى ما يقرب من خمسين عاما مثلا . وعلى هذا الأساس يرجح أن معظم التماثيل الافريقية الموجودة فى المجموعات الأوربية والأمريكية ترجع الى فترة تتراوح بين عامى ١٨٢٥ ، ١٨٩٠ ، وان أمكن مع ذلك أرجاع عدد قليل من التماثيل البرونزية والعاجية الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

وقد انقرض فن النحت من بعض مناطق افريقية أو كاد ، وتمزقت القيم الاجتماعية التى كانت تبجل المثال، وتقدسه ، ولكن مما يعزى عن ذلك أن فن النحت مازال حيا وقويا فى كثير من المناطق الأخرى ، وبصفة خاصة فى « ليبيريا » و « يوروبا » ، و « داهومى » ، و « الكاميرون » .

وجميع خصائص الفن الافريقى هى فى واقع الأمر تقاليد فن النحت . والمثال الافريقى ، سواء أكان ينحت تمثاله من الخشب أو من بعض المعادن، فهو ينحته بمقدرة ، ويخلق من مادته أشكالا فنية متكاملة ، كلما دققت النظر فى تفاصيلها ، كلما فطنت الى نواح جديدة من نواحى جمالها ،ومهارة صانعها . ولن تستطيع أن تدرك فهم الفنان الافريقى للأبعاد الثلاثة الا عن طريق عمل مساقط مختلفة للتمثال من كل زواياه ، فتماثيله ولو أنها تقليد للطبيعة أو تفسير لها ، الا أنه قلما يقيد نفسه بحدود الواقعية ، بل يبسط فيها ، ويخلق ويتصرف فى نسب الأجزاء وأشكالها ، بطريقة تقربها من الأشكال الهندسية ،وتبرز بالتالى وظائفها كما يتصورها .

وقد ترتب على ذلك أن أصبح لكل تمثال وجوده الخاص البعيد عن أن يكون مجرد تصوير للطبيعة أو محاكاة لها . كل منها له شخصيته الخاصة المتكاملة ــ لأنه صنع بفهم معين ليحقق هدفا معينا ، غالبا ما يكون هدفا مشتركا بين الجماعة ، وليس مقصورا على شخص بعينه . لذلك كان التمثال الافريقى معبرا عن ثقافة الجماعة كلها ، وليس مجرد تعبير عن فرد من بينها شأن الغالبية العظمى من التماثيل الأوربية .

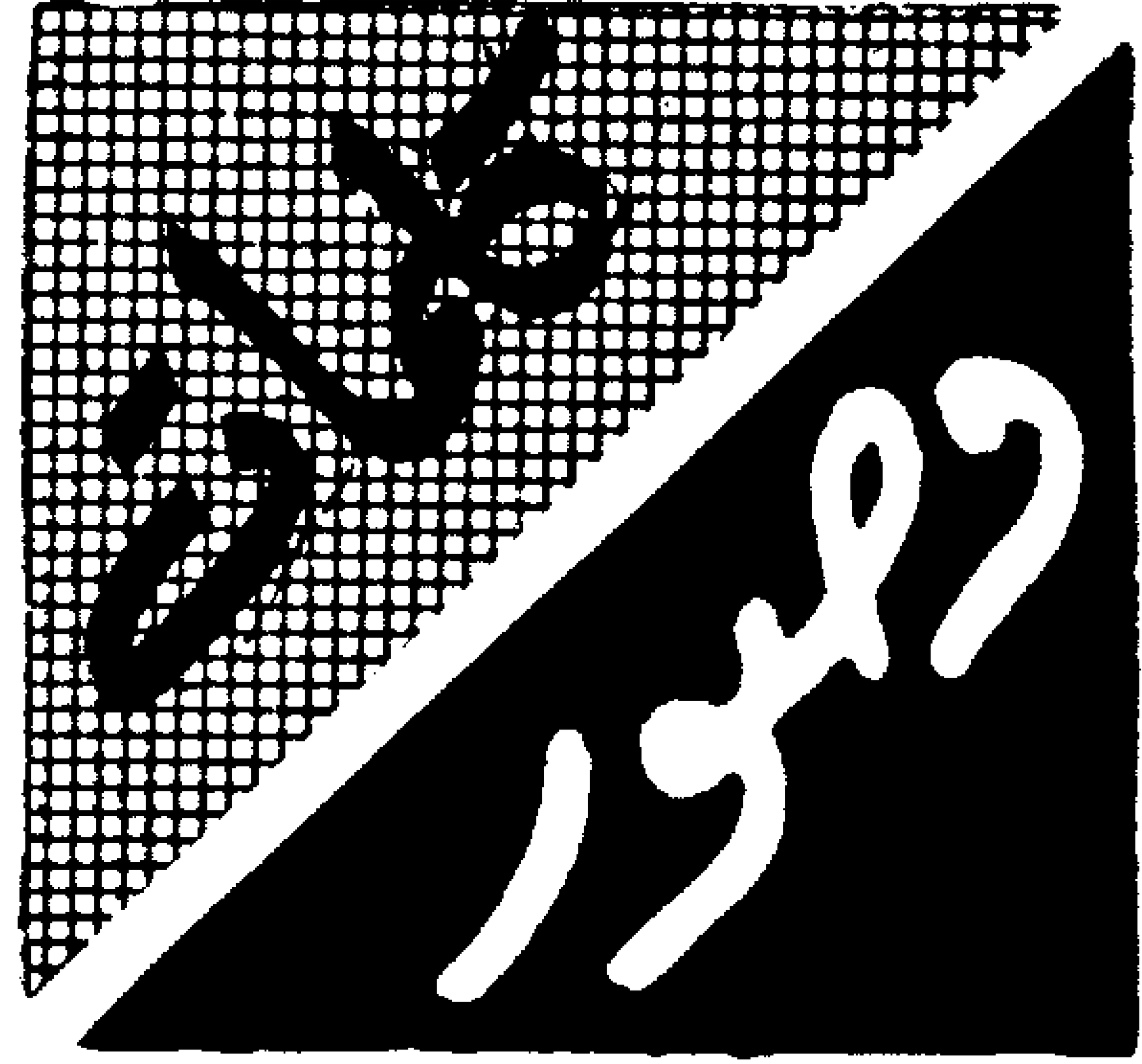
ورغم هذه الحقيقة ، فمقدرة المثال الافريقى وحساسيته باعتباره فردا متميزا ، لا تقل أثرا فى الفن الافريقى عنها فى فنون أى أمة من الأمم على اختلاف العصور . ولعل امتياز بعض التماثيل الافريقية من ناحيتى الجمال والتعبير حتى لتعتبر روائع فنية ، هو خير دليل يمكن أن يقدم على صدق هذه الحقيقة . واختلاف المستوى الفنى واضح بين القبائل وبعضها ، ووضوحه داخل القبيلة الواحدة .

وتسيطر على أعمال الفنان الافريقى ثقة كبيرة بالنفس ، مع ميل ضئيل نسبيا الى المبالغة . ومن أوضح سمات هذه الثقة بالنفس سيطرة المثال على يديه سيطرة واضحة فى كل التماثيل الافريقية الممتازة ، التى تشعر أمامها بأن كل جزء فيها فى مكانه تماما بحيث لا تستطيع أن تحذف منها أو تضيف اليها شيئا .

انها أعمال فنية متكاملة ، لها وجودها الخاص ، وخصائصها الفنية المتميزة ، وهى خصائص تتمشى مع أعظم تقاليد فن النحت العالمى ..

عن كتاب :

"The culpture of Negro Africa" by: Paul S. Wingert.



ذكرى كمال الدين صلاح

احتفل فى مساء ١٩٦٠/٤/٢٥ باحياء الذكرى الثالثة للشهيد « كمال الدين صلاح » وقد بدأ حفل الذكرى بالآيات الكريمة « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

ثم تكلم الأستاذ أحمد الشرباصى فقال « هذا حفل يقيمه المركز العام لجمعية الشبان المسلمين لذكرى الشهيد كمال الدين صلاح ، والمركز العام يرى من أسباب شرفه واعتزازه أن تكون داره محلا لهذه الذكرى ، لأن ذكراه ليست ذكرى فرد وانما ذكرى عقيدة ، وأصحاب الرسالة تهمهم العقائد قبل الأشخاص ، ولعل أكبر منزلة يزكيها العقل والدين والانسانية هى منزلة الشهادة بسبب العقيدة والفكرة والمبدأ لأنها تدل على نبل وسمو عن الأغراض ، ومنذ ثلاث سنين ، وفى شهر رمضان ، وعلى مقربة من ذكرى بدر نال كمال الدين صلاح نعمة الشهادة وهو صائم بعد أن اعتدت عليه يد أثيمة من ورائها الاستعمار ، والصهيونية .

والناس يقولون : ان ذكرى الصديق العزيز تدوم الى الأبد فكيف اذا كان شهيدا كريما ، صديقا عزيزا لكل افريقى ناهض ، وكل عربى متوثب ، وكل انسان يقدر معنى الحرية ، والكرامة ، وكمال الدين اذا أغفلنا الكثير من مميزاته فلن نغفل أنه كان خدن بيت ، وربيب أسرة . وقد نشأته أسرته على الاعتزاز بالوطنية ، والعروبة ، والدين فكان وفيا لمصر ، وفيا للعروبة ، ووفيا للدين ! .

ان القطرات الحمراء التى نزفت منه لم تكن قطرات دم فحسب ، ولكنها كانت ريا لشجرة الحرية فيد الله كانت فوق اليد الآثمة التى أرادت وأد اسمه ، فاذا باسمه يتوهج ويصبح استشهادا وخلودا ، وبقاء !

ثم تحدث السيد عبد الله التل فذكر أن شجرة الحرية لا تنمو وتزهر وتثمر الا اذا رويت بدماء الأبطال ، وشجرة الحرية حتى مطلع هذا القرن كانت نبتة عطشى الى دماء الشهداء . الى دماء عبد القادر الجزائرى ، ويوسف العظمة ، وعلى عبد اللطيف ، وأحمد عبد العزيز، وفرحات حشاد ، والطبقجلى وغيرهم .. وقد ارتوت من هذه الدماء الذكية ومن أكثر من مليون ونصف مليون مسلم فى عمليات الكفاح التى وقفت بصلابة فى وجه الفرنسيين والانجليز ، والايطاليين ، وهكذا ،

تحولت الأمة بفضل هــذه الدماء الى أمة عربية أبية .

فجزاكم الله أيها الشهداء عن الأمة العربية خير الجزاء ، وعلى أرواحكم أن تطمئن اليوم لأنها أثمرت مجــــدا للوطن .

وشهيدنا علم من أعلام التضحية بذل دمه فى سبيل أمتـــه الكبرى . فالصومال جزء من الأمة الاسلامية . فحينما انتدب لتنفيـــذ قرار الأمم المتحدة حنق عليه الانجليز لأنه كان ممثلا للقيادة العربية الجـــديدة فى القاهرة ، وممثلا ((**لجمال عبد الناصر**)) واذا كانت اليد الأثيمة قد اغتالته فى الظلام فان دماءه أصبحت شـــعلة تضىء الطريق للأحرار . فنم مطمئنـــا أيها الشهيد فقد هب الذين ضحيت من أجلهم ، وقاربت افريقيـــة ــ كل افريقية على التحرر . لقـــد كنت كما قال الشاعر :

ساحمـــــل روحى عـلى راحتى
والقى بهـــا فى مهاوى الردى
فاما حيـــاة تسر الصـــديق
واما ممـــات يغيظ العـــدا

ثم تكلم السيد عبد الرحمن البزاز فقال : لست ادرى ما يجمل بى أن اقوله فى مثـــل موقفى هذا ، فذكرى الشهداء يجب الا تصرفنا عن شعور عنيد يلزمنا بتقديم الشهداء بعـــد الشهداء لأن شجرة الحرية لابد لها من الدم ، فعلينا أن نتعظ بالكلمة التى كان يرددها غاندى دائما ، والتى تقول « ان الأمم التى تريد أن تستقل وان تتحرر عليها أن تعـــرف أن السجن والقتل من حوادث اليوم العـــادية »

وسنقدم يوما بعد يوم مزيدا من الدماء لأننا نبغى شـــيئا كبيرا ، فعلينا أن نكون على حد قول الشاعر :

يجود بالنفس ان ضن الجواد بهـا
والجود بالنفس اقصى غاية الجود

أما القطر الذى استشـــهد فيه « كمال الدين صلاح » فله على فضل كبير ، وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ حينما كنت أتم دراستى فى انجلترا ، وحينما كنت أتنزه فى حديقة « هايدبارك » فاذا بلوحة تستوقف نظرى فقد كان مكتوبا عليها ((**المنبر الاسلامى**)) ، وكلمة أخرى هى « السيد اسماعيل » ثم عنوانه . وقد استهوتنى هـــذه الملاحظة فسجلتها وذهبت بشـــوق أبحث عنه . فاذا بالسيد اسماعيل هذا يسكن فى بيت فقير بضاحيـــة مهملة وكان صوماليا يتحدث العربية بطلاقة ويتحدث عن الاسلام بفهم ، وهكذا أحسست أن السيد اسماعيل الصومالى يفتق فى نفسى براعم الوعى بالعروبة وبالاسلام ، فشعرت انى فى حاجة اليه ولازمته . وكان من أثر هذه الصداقة القوية أن أقمنا مبدأ آخر فى « هايد بارك » باســـم فلسطين استطعنا بوساطته أن نتحدى منابر اليهود المتعددة .

ولم يقـــف أثر الســـيد اسماعيل الصومالى عند هذا الحد ، وانما تعداه الى السعى وراء العروبة والاســـلام فى كل مكان بافريقية ، والى الايمـــان بأن هـــذين الســـلاحين من أمضى أسلحتنا فى هذه الحياة ! هـــذه هى الذكرى الطيبة التى احفظها فى قلبى للصومال والتى تجريها اليوم على لسانى



الشهيد كمال الدين صلاح

هذه الدماء الطيبة التى استشهدت من أجل العروبة والاسلام هناك .. فى الصومال .

ثم تحدث الدكتور « مصطفى الشكعة » فذكر أن ثلاثة أعوام مضت على استشهاد البطل وهو من ورائها يحركها بدمائه : ها هى ذى افريقية التى أحبها البطل والتى بذل من أجلها دماءه طاهرة مطلولة تسير فى ركب الاستقلال قطرا اثر قطر ، وبلدا بعد بلد . ففى خلال ثلاث سنين استقلت من دماء « كمال الدين صلاح » غانة ، وغينيا ، والكمرون ، والصومال نفسه قارب الاستقلال .

واذا كانت البطولات توزن بنتائجها فما أعظمها من بطولة ، وما أروعه من فداء . فكمال الدين كان يخوض المعركة وهو يعرف أنه فى خطر ، وأنه سائر الى الموت ، ان لم يكن اليوم فغدا . على هذا الطريق سار كمال الدين صلاح ، سلاحه ايمانه ، ومع ذلك فقد سار الى نهاية الطريق ، الى أن كانت نهايته المشرفة التى رفعت رأس كل عربى ، وأسهمت فى تحرير القارة .

لست أدرى لماذا كلما رجعت الى آخر خطاب منه وقرات قوله « اننا نخوض حروبا صليبية لسنا فيها بمعتدين ! » ذكرت فى الوقت نفسه وقفة القائد الرومى قبل الف سنة أو تزيد على طرسوس وهو يقول فى جنوده « أيها الجنود أين نقف ؟ » فيقولون له « على منبر طرسوس » فيقول بأنفه « .. لا . لن نقف الا على منبر القدس! » نعم انها حرب صليبية ، وروح صليبية لاتزال تضرب بجذورها الى الآن . فحين يطالب بلد أوروبى بالحرية كقبرص ، ويأخذ فى زلزلة المغتصبين نتلفت فلا نرى الا قلة من الضحايا ، أما حينما يطالب بالحرية بلد عربى فالضحايا لاتكاد تحصى ، واذن فهى حرب ضد العروبة ! وضد الاسلام ! وقد فهم كمال الدين هذا فنذر نفسه للتاريخ ، وللتضحية . فنحن لا نراه يعيش كالدبلوماسيين ، ولكن يعيش كالأبطال والقادة المكافحين.

لقد أزاحه الاستعمار من طريقه ، ولكن دماءه ظلت تروى شجرة الحرية فى افريقية . هذه الشجرة التى تأبى أن تنمو الا بالدماء ، ومن هنا فقد قضى « كمال الدين صلاح » نحبه فى الليلة التى بشر الله فيها الشهداء بأن لهم الجنة ، ولكن هل هذه وحدها صفحة كمال الدين صلاح ، كلا ان له صفحات طويلة مشرقة وضاءة لأنه كان علما من أعلام الوطنية والعروبة والاسلام .

وأخيرا لقى مصرعه نتيجة لعقيدته ، وكأنى أسمع تمتماته وهو يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على اى جنب كان فى الله مصرعى !

ثم تحدثت السيدة نادية رأفت عن دور زوجة الشهيد فى الصومال ، والقى كلمة الصومال الأستاذ محمود دوكسيه ، فذكر أن أحياء هذه الذكرى احياء للمثل التى نادت بها الكتب السماوية .

وأخيرا القى الأستاذ « **فتحى رضوان** » كلمة الأسرة فذكر أن الفقيد لم يعد ملكا لأسرته ، وانما أصبح ملكا للعروبة والاسلام وقوى التحرر فى كل مكان فى افريقية ، وشكر الحاضرين . ونحن لاننسى لسيادته من قبل كلمات صادقة جاء فيها

« .. ولكن الشيء الذى جعل لحياة كمال هذا المعنى الذى يضيء نوره فى القلوب هو أنه أراد أن يختم حياته الخاتمة التى تناسبه ، وليس هناك خاتمة تناسبه الا أن يموت ! يموت على هذه الصورة لا يفكر فى أولاده ، ولا فى زوجته ولا فى شيء آخر .. ولقد أحسن الى نفسه فكلنا سنموت ولا يمكن أن ينقذنا من الموت مطلقا حذر أو احتياط ،سنموت ولو تعددت الأسباب ، وتخلفت الأعمار .. **ولكن العظيم هو الذى يختار لحياته العظيمة الخاتمة العظيمة ! »** .

الايفو EWOUS

فى جنوب الكمرون ، وفى جابون يعتقد الناس فى « الايفو » وهو خادم الساحر الخبيث . فالساحر يتحكم فيه ويأمره بأن يتشكل فى صورة حيوان ضئيل يسير فى خفية ليلتهم قلب من يريد الساحر موته .

والمثل المتواتر عندهم هو « الموت وليد الحقد » ، وهم يعتقدون أن للساحر أربع عيون ، ثنتان للنهار ، وثنتان لليل ، وأن هؤلاء السحرة يتجمعون بالليل ثم يقومون برقصات عنيفة ، ثم يزرعون شجرة موز تؤتى أكلها فى الليلة نفسها فهم لا ينصرفون من رقصهم الا اذا ظهرت أصابع الموز الناضجة ، وهم يعرفون السحرة من عيونهم المتسلطة ، وكلماتهم المشحونة بالبغضاء التى يمكنهم نقلها الى نفوس حاسديهم ، والناس يتحاشون شرهم باستعمال مادة زيتية خاصة يدهنون بها أجسامهم ، وبتعليق البصل فى فناء الدار ، ووضع تعاويذ فى تجوف بوق، وهم اذا شكوا فى انسان يؤذى الناس عن طريق بغضه يمتحنونه بشرب مادة تسمى « شربة اللبن » وهى مادة نباتية صمغية فاذا لفظها كان بريئا من السحر وايذاء الناس ، واذا استقرت فى جوفه حددوا عقوبته ، ومن أقسى العقوبات التى تفرض فى هذه الظروف تسليط جماعات النمل البرى على جسمه !

علم توجو لاند

رفرف علم جديد على « توجو لاند » التى تحررت أخيرا ، ويتألف هذا العلم من ثلاثة ألوان هى الأخضر ، والأصفر ، والأحمر ، وبهذه الدولة الجديدة تنحسر موجة أخرى من موجات الظلم عن القارة ، وتحس افريقية بأنها تكسب أرضا جديدة ، وحياة جديدة . فلا حياة فى عالم اليوم الا فى ظلال الحرية . الا فى ظلال علم كبير كهذا العلم الذى رفرف أخيرا فى سماء افريقية .

كلمة :

كتب الأستاذ « أحمد بهاء الدين » هذه الكلمة :

« ان افريقية السوداء لا تبحث فقط عن التعليم ، والرخاء ، والحضارة ؛ انها تبحث أولا عن شيء أهم من ذلك بكثير . تبحث عن كرامتها . ان اللون الأسود ليس مجرد « لون » ينظر اليه الناس كما ينظرون الى الأبيض ، والأحمر ، والأصفر .. ان اللون الأسود يرتبط فى ذهن العالم بالتخلف . بالعبودية . بالرقيق . بالعرى الكامل .

بالسكنى تحت الأشجار ، والتقاط الطعام من أرض الغابات . هذه الصورة المهينة هى أهم ما تريد افريقية السوداء القضاء عليها .

قال لى شاب فى الكميرون : عندنا فى الكميرون قصة شعبية تبدأ بأن الله خلق ثلاثة أنواع من المخلوقات : الرجل الأبيض، والرجل الأسود ، والغوريلا . وأن الله بعد أن خلقهم اخذ الرجل الأبيض فى يده ومضى تاركا وراءه الرجل الأسود والغوريلا . ان هذه القصة تترجم لنا مدى الهوان العميق الدفين الذى يحس به الرجل الأسود ومدى لهفته — المشروعة — على محو هذه الصورة والغائها ، بل ونسيانها .

لقد انعقد فى روما مؤتمر للكتاب والفنانين السود انتهوا فيه الى قرارات فى مقدمتها أن تاريخ العالم قد كتبه الرجل الأبيض ، وكتبه متحيزا ضد الرجل الأسود ، وانه يجب اعادة كتابه التاريخ بشكل ينصف العنصر الزنجى ، ويجعل الزنوج بشرا فى مستوى سائر الأجناس ، واهتم الكتاب والفنانون السود باثبات أن الزنوج أيضا كان لهم دور فى الحضارات المختلفة كالعرب ، والهنود ، والصينيين والأوربيين ، وانتهوا الى القول بأن الحضارة الفرعونية القديمة فى مصر لها جذور زنجية لأن الفراعنة كانوا متصلين بالزنوج ومتفاعلين معهم ، وطالبوا المؤرخين السود بأن يدرسوا هذه النقطة . فبذلك ينتسب العنصر الأسود الى موكب الحضارة الانسانى ويستردون كرامتهم ، ويقضون على الفكرة الراسبة فى الأذهان من أن كل الأجناس قد ساهمت فى الحضارة ما عدا الزنوج .

ان افريقية السوداء تبحث عن كرامتها : كرامة ماضيها ومستقبلها ، وهذه نقطة هامة يجب أن نضعها فى الاعتبار ونحن نفسر كل سياسية افريقية ، وكل مستقبل افريقى ، ونحن نؤمن بكرامة البشر جميعا . نؤمن بأن لون البشرة هو مجرد لون ، ولا فضل للون على آخر . ولهذا فنحن فى مقدمة الذين يمكنهم أن يساعدوا افريقية السوداء على استرداد كرامتها ! »

غينيا :

تسير « غينيا » بقوة واخلاص فى طريق التحرر فقد رفضت كل أنواع الوصايا ، وسخرت من كل الضغوط ، وبخاصة تلك الضغوط الفرنسية التى تشكلت أخيرا فى حرب اقتصادية عنيفة ، ولكن « سيكوتورى » الذى قال كلمته المشهورة من أنه يفضل الفقر مع الحرية على الغنى مع العبودية تسير مع شعبه فى طريق العزة الافريقية . فشعب غينيا ينادي اليوم فى قوة بالوحدة الافريقية ، ومن آخر ما قاله سكيوتورى فى هذا المجال « ان الوحدة الافريقية هدف عادل ، والله دائما مع القضايا العادلة . انى أومن بأن هذه الوحدة ستتحقق لأنها حركة نشأت من الشعب الافريقى ، ولابد للشعب الافريقى أن ينتصر » .

وقد رفضت غينيا أخيرا هذا التسلل الصهيونى الذى بدأ بطرق القارة فحينما عرضت « تل أبيب » انشاء بنك وشركة ملاحية ، وعقد

اتفاق تجارى وتزويد البلاد بالخبراء . رفضت غينيا هذا بكل قوة .

ومن المواقف المشرفة لهذه البلاد دعوته القوية المتجددة لمساندة الجزائر ، واهتمامه أخيرا بقضية فلسطين . فحينما تحدث اليه وفد فلسطين فى مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى قال له « .. غينيا ستكافح من أجل عودتكم الى بلادكم » .

رحلة الى النهود :

صور الشاعر خليل عجب الدور الهوارى رحلته الى النهود بالسودان، وقد استطاع تقديم فكرة عن الحياة البسيطة هناك وسط الجبال والآكام.

تلك النهود فحبذا آكامها
برزت وقد ظهرت لنا أجامها
فاذا الفضاء بأسره معشوشب
ترعى الرعاء به السحاء سوامها
والساحة الفيحاء يبدو سدرها
وحرازها مخضوضرا وبشامها
واذا الرمال البيض يظهر شكلها
كالدر يلمع فى الضحى بسامها
تهفو بها ريح الصبا راد الضحى
فيظل يعبق كالكبير خزامها
واذا الفلاة كشاشة عرضت لنا
صورا تمر بديعة « أفلامها »
وهناك أحياء القبائل جمة
وبطونها موصولة أرحامها
ولقد رأيت العرب فى وديانهم
فى متعة يشفى النفوس دوامها
ولقد رأيت نساءهم فى حيهم
مثل الظباء تحفها آرامها !
فترى النياق مع الصباح رواتعا
وبهن يزخر فى المساء مصامها
وترى «الكنابنات» تلعب فى الضحى
من كل بكر حولها أغنامها !
وترى « الدغيميات » ثمة و « الخزا
ميات » تخترق الفلا انغامها
ومليحة جاءت تسوق نعاجها
هيفاء حلو كالرحيق كلامها
مكحولة العينين سمراء اللمى
قد سرنى ترحابها وسلامها
حلفت على بأن أبيت وانه
صعب على عتابها وملامها
ولقد جلست مكرما حتى أتى
يزجى النياق عسيفها وغلامها
ذبحا الى من النعاج سمينة
صغرى لذيذ فى الشواء لحامها
قد اكرما مثواى داخل خيمة
نشرت بها ستر يروق نظامها
ستر من « السعف » المطرز ضفره
ملساء تلمع سرنى احكامها
.. جاد الحيا أرض الهنود فانها
أرض يطيب كثيبها ورغامها

فالشاعر يقدم لنا قطاعا شعبيا تتزاحم داخله القبائل وتتواصل ، وتنمو من حوله نباتات الصحراء الخشنة كالسور ، والحراز ، والبشام، والخذام . ثم ترى الماشية تحول هذه النباتات هنا وهناك . وهو يقدم لنا المرأة العربية « عاملة » تخرج الى الحياة ،وتسهم فيها بجهودها ،ولاتنسى تلك العادة المزروعة فى نفوس العرب وهى عادة الكرم ، ومن هنا نرى المرأة تكرم الشاعر ، وتدعوه للضيافة حتى يأتى زوجها فاذا قدم ذبحا له من النعاج أسمنها . واذا به سعيد بهذه الضيافة ، وبهذه الخيمة التى أقيمت بعناية من فوقه .. ثم أخيرا اذا به يحب الحياة فى هذه الأرض ، ويدعو لأهلها بأحب دعوة تطرق أسماعهم : وهى أن يدر عليهم المطر . فالمطر هو كل شيء هناك .



اسرة افريقية فى شيكاغو

شخصية العدد

محمد المهدى مجذوب

يعتبر « محمد المهدى مجذوب » من الشعراء الأول الذين يشكلون الملامح الحقيقية للشعر السودانى الحديث . وخطورة هذا الشاعر أنه لا يصدر عن ثقافة غريبة أو رؤى غير متمثلة فى الوجدان الجماعى للحياة السودانية كما أنه لا يصدر عن الواقع الذى يعيشه فقط . وانما عن التركيب العضوى للمجتمع السودانى .

ولعله الوحيد الذى سجل مفاخر « المهدية » فى صدق ، واخلاص فى الشعر الحديث فما زال مشدودا الى مفاخرها . والى ما أشيع عنها فما زال فى شعره يصور المهديين بأن السبح فى أيديهم كانت تقدح بالشرر وأن نبات « العشر » المعروف فى السودان كان يستحيل فى أيديهم الى ما يشبه السيوف . وأنهم كانوا يجدون اسم المهدى مكتوبا على ورق الشجر، وعلى بيض الطيور ، فهو الى جانب تأثره بأخبار المهدية شديد التأثر بما قرأ من « رسائلها » ، و «منشوراتها». وقد ساعده على هذا الايمان تأثره بالجو الصوفى الذى يسيطر على قطاعات كبيرة من أهل البلاد فهو نفسه مجذوب من مجاذيب «الدامر» الذين يعتبرون مدرسة خاصة فى الشعر السودانى . والذين تحول الشعر الصوفى على أيديهم الى قيم روحية عليا . بعد أن كان يدور حول مدح شيخ الطريقة . أو « الشطح » أو أناشيد الذكر السطحية ، كما انتقلوا به نقلة أخرى الى ذكر البطولات الحربية ، بعد أن انتقل المثل الأعلى للشخصية السودانية من الرجل الصوفى الى الرجل المحارب . وقد كان من أبرزهم فى هذا الشيخ « محمد الطاهر مجذوب » .

وقد تلقى شاعرنا تعليمه فى أول الأمر فى « الخلوة » ثم واصل تعليمه حتى تخرج من قسم الكتبة بكلية « غوردون » القديمة ، ثم باشر حياته أخيرا كمحاسب فى الخرطوم بعد أن طوف فى بلاد كثيرة بالسودان .

فهو هنا شديد الالتصاق بجغرافية بلاده ، وثقافتها ، ومن هنا عبر عن كثير من القيم السابحة فى وجدانها فهو يتحدث عن زهاد السودان ويسميهم (فقراء غير هنود) ويتحدث عن « أم الأحاجى » التى كانت جارة له فى حلة «الكراكة» وعن «جبل الختمية». وعن رحلاته فى الجنوب . وأجمل شعره ما صور به التقاليد الشعبية . ومن هذه التقاليد تقاليد الزواج فمن قوله فى قصيدة « قرية قمراء » .

« دلوكة (١) » فى الليل ترتعد
بكمت وارسل شجوها الكمد

---

(١) اطار من الصلصال يشبه الطبل عندنا

مجنـــونة نفضت اضالعهـــا
وتكاد في أجـــلادها تقـــد
ويمد من آهاتهـــا « الشتم (١) »
شـحج الرنين يكـاد ينقصـم
متربص بالرقـــص يصرعـــه
ويدق فيـــه كأنه قـــدم
رقصـت مـع الأحـلام عـذراء
وبرقصـــها للحـب أنبـــاء
تكني وتعلم كـل خافيـــة
وقلوبنـــا لهـف وايمـــاء
ويهيج بالفتيان « شـبال (٢) »
والى حنـين عبـيره مـــالوا
والســـوط يأكل ظهر مبتـــدر
في كـل جـرح منـه تأمـــال
والقـــرية القمـــراء كالخبر
ومكانهـــا غبراء في المـــدر
بعوية مســـحورة رقيـت
لتفيـق من احلامهـا لآخـــر

...وتعتبر قصائده الأولى مقصورة على الحياة السودانية . ولكنه حين زار مصر زيارة عـابرة فتن بأمجـادها وخلودها ومن أروع قصائده فيهـا قصيدة « أم صابر » و « بورسعيد . والنصر » .

وقد روى لي أنه عنـدما هبـط القاهرة طوف به أصدقاؤه في أحيائها المترفة وحملقوا في وجهـه . قـائلين « هل أعجبتك القاهرة ؟ فكان رده أنه لم يرها لأنه يريد القاهرة الحقيقية. فذهبوا به الى حي الأزهر . ودخلوا به الى واحد من مطاعمه الشعبية . فأحس بالزهو . والسعادة . وكان من أثر هذه الرحلة الشعبية تلك القصيدة المصورة «عشاء» ولا نحسب أن أحدا سبقه الى وصف أحد مطاعم القاهرة بهذه « الروح الجياشـة » وبهـذه الأبعاد المحددة للحياة الشعبية في هذا الحي :

هات فولا بالزيت في أول الليل واذهب به الشجا عن لهاتي

لمعت كل حبة مثلما تلمع في البـذور دورة في الفلاة

هاته والرغيف والكوز والقلة . أشهى لأعيني من مهاة

«قلة» جيدها ثقيل ، وتعييه بردف مدملج كالصفاة

بعثت في يدي مـن نداها ومـالت بفم بارد النطاف مؤات

من جواري « هارون » في ملكه السمح الى كل شاعر مشرقات

جلس « القدر » (٣) كثرى يتباهى في سامر وحداة

بطنه مائل به وقفاه لامع كالأثيم في الخلوات

وحواليه قومه من صناع يصطفيه وحائمين سقاة

رب اني قنعت فارحمه لقد خالط الهـوى في رفاتي

كان خصم النبي موسى أما ارجع قوم الكليم بعد انفلات

... على أنا نراه أخيرا قـد أحس بالمشاعر الافريقية ــ وبالعبء الواقع على هذه القارة فجاء شـعره ملونا بواقعها وصراعها ، ومن ثم نستطيع أن نقول أنه الشاعر الوحيد في العربية الذي يصدر عن ضمير القارة في حب واخلاص فهو لا يصدر عن الحقـد. والشعور بعقدة اللون . وانما يصدر عن الاندماج بهذه القارة والاحساس بها وهذه الوراثات التي تجرى في عروقه .

---

(١) طبل صغير يساعد الدلوكة على الامتداد الصوتي

(٢) حركة الشعر التي تقوم بها الفتاة التي ترقص في العرس ، ويكافأ بهذه الحركة المعطرة كل من يثبت لضربات السوط من (العريس)

(٣) قدرة الفول

عندى من الزنج أعـراق معـاندة
وان تشـدق فى انشـادى العـرب

وقد استطاع أن يقدم لنا صورة من أمنياته التى يجب أن يكون عليها فى قوله :

فليتى فى الزنوج ولى رباب
تميـل به خطـاى وتستقيم
وفى حقـوى من خرز حـزام (١)
وفى صـدغى مـن ودع نظيم
واجترع ((المريسـة)) فى الحوانى
واهـذر لا آلام ولا ألوم
واسرع فى الطـريق وفى عيـونى
ضبـاب السكر والطرب والغشوم
طليق لا تقيـدنى قـريش
بأحسـاب الكرام ولا تميم

وحين يعشق تراه يعشق ((حبشية)) من صميم افريقية

وبدت سـتائر بيتهـا
وضـاءة بين الطـلال
فـادرت عينى ((أين بابك يا
محطمـة الرجـال)) !! ؟
ورجعـت أفـزع للكرى
كى أسـتريح الى مـراح
ونهضـت أسـمعه الملا
مـة وهـو مشـتعل الجـراح !!

وهو لا يقف عند هذا الجانب اللاهى من الحياة الافريقية وانما يتعـداه الى مشكلاتها فيقول فى التبشير الذى يجعل ستارا لتدمير روح الشعب .

وان عجبت فمن ((قس)) أخى ورع
لدى الكنيسة لم تعلق بها الريب
ان كان يدعـو الى عيش فشرعتـه
قـدس الاناجيل فيها الحب والقرب
انى لأعـرض وجهى ثم اسـأله
عـن لون وجهى بالالام ينتقـب
فكيف يمنـع قلبى عـن مواطنـه
وكيف مثلى فى آلسـودان يغترب

(١) نطاق مصنوع من دقيق الخـرز الملون ويسمونه فى جنوب السودان (السكسك)

كما يتعرض لكفاح القارة ودورها الايجابى . ويدعو للكفاح العنيف الذى لا يعترف برحمة الأديان .

بنى وطنى للنـار فى كل بقعـة
لسان دخان فى السموات أسـود
لكم جيرة فى (كينيا) قـد تمردوا
وأشربهم ((جومو (٢))) سلاف التمرد
طوى الغاب من أسواره كل ضيغم
أبى الدم الامـل دخـد مـورد
فلا ترحموا لم تبق فى الأرض رحمة
والا هلكتم بين عيسى وأحمـد

وهكذا نرى الشاعر قد عبر عـن التجارب الضخمة التى تعيش فى أعماق بلاده والتى تعيشها وتستشرف اليها مع محافظة على ((الشكل)) القـديم الذى تزدهر به العربية ، وقد كانت وسيلته الى ذلك المشاهد المتكاملة الحية فكل كلمة يسوقها ، وكل نغمة ينقلها ، شديد الاتصال بطبيعة المشهد العضوى دون أن يفقده الوزن والقافية السيطرة التامة على ((وحدة المشهد)) . ونستطيع أن نرى هذا فى اللوحة التى رسـمها ((لفوردون)) وهو محاصر فى الخرطوم ينتظر النجدة .

و ((غردون)) أمس لدى شرفـة
بمنظـاره كم يعيـد النظـر
وقـد امسـك النيـل أمواجـه
واخفى عليـه وجـوه الخـبر
يرى ((الغـرب)) نارا على ومضها
يهز الرماح ((رعاة البقـر)) (٣)
وجاش ((النحاس)) (٤) لدى ليلة
من الخيل يركب فيـها القـدر
ظلام و ((غردون)) فى صـدره
ظـلام الفلا وسـكون الحفر

(٢) بطل كينيا العظيم جوموايناتا
(٣) يقصد أنصـاره الذين كان أكثرهم من غرب السودان وهم ((البقارة))
(٤) طبل الحرب فى السودان

تغنى الرياح بأســـــــماعه
هتـــاف الدراويش بالمنتظر (١)
ويبـــدى له الليــل من حـوله
بريق السيوف وضـــوء السـور
وفى عينيــــه أفــق أزرق
هـو الأفـق يجهــل معنى البصر
وأياسه الفجـــر مـن نجـدة
على النيـــل تمخـره كالحجر
يراه فيحســـبه صـــورة
مضيعــــة فى رحاب الذكر

وقد نرى فى بعض صـوره ظلالا من التقليد كتلك الصورة التى رسمها فى قصيدة « النصر » .

فذلك « رمسيس » فى جنـــده
يذورق عــن ربهم بالنبــــال
لقــد خرجوا من رموز النقـوش
على الصخـر أطلقهم من عقـــال

ففيها تأثرات من الصور التى كانت تخرج من كأس الشاعر على محمود طه . والتى يمتد تأثرها هى الأخـرى الى قصيدة أبى نواس التى يقول فيها:

فللكأس ما زرت عليــه جيوبهــا
وللمـــاء ما دارت عليـه القـلانس

ومهما يكن من شيء ، فالشـــاعر محمـــد المهــــدى مجـــذوب يثرى الشـــعر الســـودانى بتلك التجارب المهدية التى ترجع فى حقيقتها الى أفكار الشيعة والتى ترجع كذلك الى تأثره العميق بالتراث الدامع الذى تعمقه عن هذه الأفكار التى تكثر أكثر ما تكثر فى السودان . كما أن انعطافه نحوَ الافريقيين شيء طبيعى فى نفسه ففى عروقه الشيء الكثير من دمائهم . وفى قلبه الشيء الكثير من عواطفهـم وانا لنحيى فيه صدقه واخلاصه .

---

(١) المهدى المنتظر المعروف فىالسودان باسم محمد أحمد المهدى





الصديق المخلص

للأستاذ عباس خضر

توفى السلطان وترك ابنه عبد السلام صغيرا لم يبلغ سن الرشد التى يكون فيها سلطانا خلفا لأبيه . وكانت أم عبد السلام امرأة ذكية عاقلة ، فقالت لولدها :

ـ يا ولدى ، أنت ابن السلطان ، وستكبر وتكون سلطانا مثل والدك ، ولذلك لا ينبغى لك أن تكثر من صحبة الناس ، لأن بعضهم يصاحبك لمالك ، وبعضهم لجاهك ، وقليل منهم يصاحبك لنفسك .

ـ وماذا أفعل يا أمى لأعرف هذا من ذاك ؟

ـ كلما صاحبت واحدا ادعه يفطر معك ، واسلق ثلاث بيضات ، وانظر فاذا أكل واحدة ، وترك لك اثنتين ، فهذا لا تصاحبه لأنه منافق غشاش .. يريد أن يظهر لك أنه يحبك أكثر من نفسه . واذا أكل اثنتين وترك لك واحدة ، فهذا أيضا لا تصاحبه .. لأنه قليل الذوق وطماع .

ـ وكيف أعرف الصديق المخلص اذن ؟

ـ تعرفه اذا قاسمك البيض ..

وكان أول من صاحبه عبد السلام هو ابن الوزير . دعاه ليفطر معه وأحضر البيضات الثلاث ، فأكل كل منهما واحدة ، وأصر ابن الوزير على أن يأكل عبد السلام البيضة الثالثة متظاهرا بالمودة والاخلاص ..

وأعرض عبد السلام عن ابن الوزير ولم يتخذه صديقا .

وكان الصاحب الثانى هو ابن أحد العمد .. دعاه ليفطر معه ، وأحضر البيضات الثلاث ، فأكل كل منهما واحدة ، وبقيت الثالثة فتناولها ابن العمدة ..

وأعرض عبد السلام عن ابن العمدة كذلك ، ولم يتخذه صديقا .

رأى عبد السلام بعد ذلك أن يدع أبناء الكبراء ويبحث عن أولاد الفقراء عساه يجد من بينهم صديقا صادقا مخلصا ، فكان صاحبه فى هذه المرة ابن الحطاب ، رآه يوما وهو فى طريقه الى الصيد رث الثياب خشن الأطراف وتبادلا التحية ، ودعاه عبد السلام الى مرافقته فى الصيد فسار معه . ثم كان عبد السلام يذهب معه الى كوخ أبيه الحطاب فيأكل معه الكسرة بالملح والشطة .. وأحيانا يشوون كيزان الذرة ويأكلونها ساخنة لذيذة .

وتذكر عبد السلام نصيحة أمه ، غدعا ابن الحطاب ليفطر معه ، وأحضر البيضات الثلاث ، وكان فى أشد القلق يخشى أن يفعل ابن الحطاب مثل ما فعل ابن الوزير أو مثل ما فعل ابن العمدة ، فيفقد هذا الصديق الذى شعر نحوه بالمحبة والأخوة الصادقة ، شعورا لم يحس به نحو الأولين . ولكن ابن الحطاب أخرج سكينة وقسم احدى البيضات قسمين متساويين ، وقال لصديقه :

« أنت تأخذ واحدة ونصف واحدة وأنا آخذ واحدة ونصف واحدة » .

فسر عبد السلام سرورا عظيما ، ثم أخبر أمه بما حدث ، فقالت له :

« هذا هو الصديق الذى يحبك لنفسك فتمسك به وحافظ على صداقته » .

ومنذ ذلك الحين صار ابن الحطاب صديقا حميما لابن السلطان ، فلما كبر عبد السلام وبلغ سن الرشد وصار سلطانا اتخذ ابن الحطاب وزيرا له . وعاشا سعيدين فى ظلال الصداقة والمحبة والاخلاص .



من وحى أفريقية

((للأستاذ فتحي سعيد))

يا أخي الأسود في أقصى الجنوب
الجنوب البكر من أفريقيه :
لك في الشرق قلوب
من هناك ...
من روديسيا ونياسلاند الحبيبة
شاقنا دق الشباك ..
وصليل المعركة
صك أسماع أحباء لشعبك
في روابي النيل يرنون لدربك
كلنا في الجرح شرق
نبض عرق ..

* * *

ياأخي الأسود في أقصى الجنوب
قصتي أعظم قصة ..
كل من هب ومن دب مشى عبر الديار
هكذا مرت حياتي من دمار لدمار ..
وأنا ألهث خلف القافلة ..
وبجنبي انفجار القنبله ..
والروابي القاحلة ..
بدمي رويت فيها سنبلة ..
علها يوما تشق الصخر نحوالازدهار ..

* * *

ثم دار الدورة الكبرى الفلك .
ذات صيف واذا بالحقل قد صار مناجل..
والروابي بساط من سنابل ..
لم يكن من قبل حقلي أخضرا ..

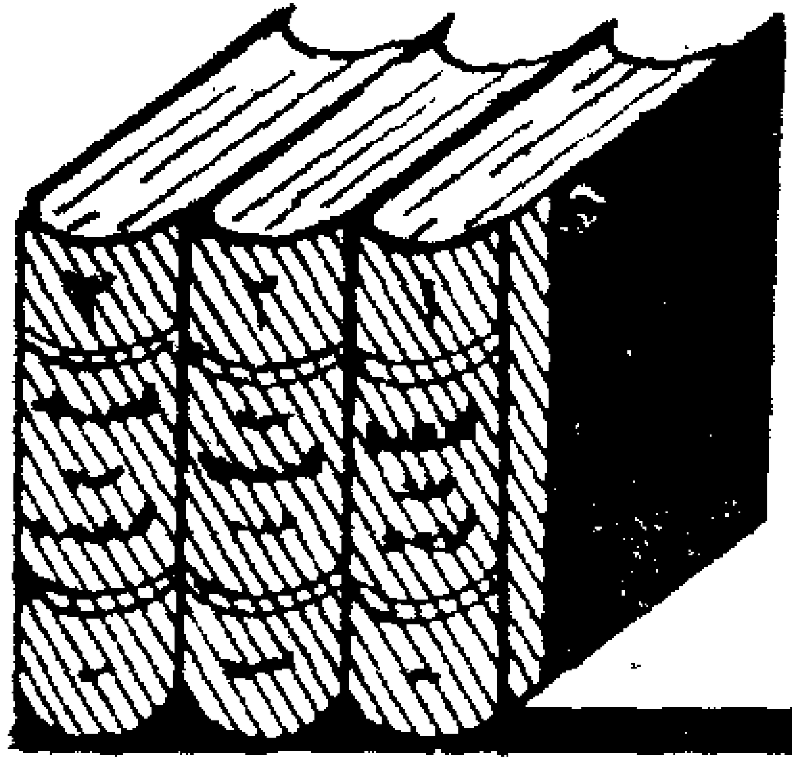
بدمى رويت يوما سنبلة
شقت الصخر ولاحت فى ازدهاء ..
لم يكن من قبل لونى أسودا ..
لوحتنى الشمس من طول العراك ..
ثم كان الانتصار ...

* * *

فاذا ما ضج فى أقصى الجنوب
ضج بالثورة شعب
وهوى الجلاد بالسيف عليه
واذا ما لاح فى أقصى الشمال ..
لاح للآمال درب ...
ورفيقى عنده مد يديه
وحملنا عمرنا فوق اليدين
ومشينا ومشينا
غاية فى جسدين ..
ولدينا ما لدينا ..
موكب هدار ثائر ..
من قلوب محرقة
صاعقه ...
من ثقه ...
ترفع السعد تغنى كل قوه
تقذف الجلاد فى أعمق هوه
واذا خر شهيد قام آخر ..
واذا نادى بشير رد سامر ..
هكذا لا خطوة نحو الوراء ..
لا وراء .. !

* * *

من شمال لجنوب .. وجنوب لشمال
أنا فى الشرق كما فى الغرب حر
أنا عند الخير .. خير
ولقاء الشر .. شر ..
أنا عزم قد تحجر ..
أنا أكبر ..
من رصاص البندقيه
بنضالى بنضال الآدميه
فاصلبوا أحرارنا فوق المشانق
وازرعوا الأرض بأشواك العوائق
فاذا خر شهيد قام آخر
هو للانسان والانسان فى كل مكان وزمان
غصن زيتون والحان سلام !!



كتاب الشهر

القومية الأفريقية ، والاحتياجات للمستقبل

فى ضوء السياسة البريطانية بافريقية المتطورة ..

بقلم ((السير اندروكوهن))

— ٢ — عرض وتقديم للعميد (ا . ح)

محمد عبد الفتاح ابراهيم

عود على بدء :

يحاول ((السير اندروكوهن)) ما حاوله كثيرون من المؤلفين الانجليز، الذين كتبوا عن افريقية فى السنوات الأخيرة ، من أن التطور الدستورى فى أفريقية لم يجىء بضغط الرأى العام المحلى وحده ، بل يحاول أن يقرن به عدم عوامل داخلية وخارجية يجملها — على ما قلته فى عرض النصف الأول من كتابه فى عدد الشهر الماضى — فيما أسماه ((**الضغوط المتشابكة**)) والذى يعنينا هنا اليوم من حديثه : ماجاء خاصا بهذه الضغوط ، التى يقول عنها انها أعمال وسياسات الحكومة البريطانية وحكومات المستعمرات ودور الرأى العام والرأى البرلمانى فى بريطانيا من جهة ، ثم من جهة أخرى ((**الضغوط القومية**)) والآراء والاتجاهات التى تنبع من داخل المستعمرات نفسها من جهة أخرى ، وأبرز ما نلقاه هنا فى حديثه ما أثاره عن ((**ضغوط القومية**)) ولا سيما أنه أفرد له قسما من كتابه بعنوان :

((القومية والولاء القومى))

وذلك لأنه يثير هنا عدة مشكلات ، لها دورها فى القسم الأخير من كتابة: أى الجزء الخاص ((بافريقية والغرب: المطالب للمستقبل)) .

مشكلات الجنس :

من الضرورى أن يعتبر التصادم الجنسى ، أى التنازع بين الأجناس المظهر الغلاب السائد فى افريقية ، فكل الحركات القومية فى شرق وغرب افريقية حركات جنسية ، يقوم بها الافريقيون للاستقلال عن سيطرة الأوروبيين ، على أن هذه الحركات فى الواقع ، ليست صراعا بين أجناس فى الطابع الكلاسيكى لتنافس أقسام مستقرة بين مجموعة من السكان فى اقليم ما على مثال ما نراه فى جنوب افريقية ، من نزاع عنصرى بين البيض والملونين ، وعلة هذا أنه ليست فى البلاد التى نعنى بدراستها هنا فى هذا الكتاب مستوطنات أوروبيات عدا كينيا ،

مع تجمعات صغيرة فى تنجانيقا ، وجماعات آسيوية فى شرق افريقية، وهذه المستوطنات قليلة العدد ولا نسبة بين جملة سكانها وبين الكتلة الضخمة للسكان الافريقيين ، هذا عدا أن هناك من العلائم ما يدل على أن الجماعات من غير الافريقيين انما تتكيف فى الوقت الحاضر مع هذه الحقيقة .

وقد وجهت الحركة القومية فى غرب افريقية ضد الجماعات الأخرى من السكان ، بل ضد الحكومة الاستعمارية بالمثل ، وعندما يصل الافريقيون الى السلطة السياسية ، أو يشعرون بأنهم سيحققون هذا تضيع الى حد بعيد العصبية القبلية ، والأوروبيون فى غانه لهم الشعبية التى لهم فى الهند، ولكن مع هذا فمن غير الممكن اسقاط أهمية مشكلة الجنس ، وذلك بسبب أنها هى التى تجعل مشكلة التوافق بين القبيلة وبين الأمة ذات أهمية كبيرة .

تأثير القبلية :

وفى أجزاء من افريقية تعتبر (القومية) أقل قوة من القبلية ، وهذا شيء طبعى ، على أساس أن الفكرة القبلية ترجع الى أعماق كبيرة فى التقاليد والعادات .

وقد تكون (القبيلة) قوة تعمل للتقدم، على مثال ما كانت بين الشاجا (Chagga) فى تنجانيقا ، حيث يجيء الرخاء الاقتصادى عن طريق زراعة البن ، وقد أوجدت الحركة التعاونية الناجحة نوعا من المباهاة القبلية ، مع تقدم مضطرد فى التعليم والتجارة ، وفى التطور والتنمية من وجهة عامة .

صحيح أن الكثير من صور التقدم قد جاء عن طريق القبيلة ، ولكن من الصحيح أيضا أن المعارضة للحكومة تستند أيضا الى التنظيم القبلى ذاته، ثم ان بعض العناصر التقليدية فى المجتمع الافريقى من الزعماء وكبار السن وغيرهم ممن يريدون الابقاء على الأوضاع كما هى ، يستندون الى المشاعر القبلية التى قد تكون قوة نافعة فى فترات الانتقال السريع ، ولكنها تكون مظهر رد الفعل أو المعارضة للحكومة، ويقصد هنا المؤلف المعارضة العادية الوسائل والأساليب لا المعارضة العنيفة ، على مثال **((حركة الماو ماو))**.

القبيلة فى بناء الأمة :

العادة أن يقول الناس ان السياسة البريطانية فى افريقية انما تقوم على أساس مبدأ « فرق واحكم » ، ولكن المؤلف يقول ان هذا غير صحيح ، لأن هدف بريطانيا كان فى السنوات الأخيرة أن تبنى أمة من كل مجموعة من القبائل ، ولهذا فانه بمجرد أن يترك الانجليز بلدا ما من بلاد افريقية ، أو يبدو أنهم سيذهبون عنه تظهر كل بوادر الشد والجذب بين الجماعات المختلفة، ولهذا فقد كان الناس يتساءلون دائما لماذا يحشد الانجليز جهودهم لبناء بلاد وراء حدود اصطناعية ، تعيش فيها جماعات مختلفة التاريخ والثقافة واللغة ، بل قد تختلف اللغات أحيانا اختلافا واضحا ، كما هى الحال بين اللغة الانجليزية وبين اللغة العربية ، فتنجانيقا مثلا يسكنها ما يقرب من تسعة ملايين يتكلمون بأكثر من مائة لغة منفصلة ، والفكرة هنا هى أن القبائل منفصلة لا تستطيع الامداد بكل احتياجات الأهلين ، وليست بالقوة التى تمكن من أن تقف البلاد على قدميها فى خضم العلم الحديث، ولهذا كان من الضرورى جمع عدد من

القبائل مع حكومة مركزية ، لها طابع دستورى فى صورة ما .

ولكن مع هذا ، فان القبيلة عنصر شديد التعقيد ، ولقد وضحت الخلافات بين «قبيلة الأشانتى» وبين الحكومة المركزية بمجرد انشاء النظام الوزارى فى ساحل الذهب ، ولا تزال هذه الخلافات قائمة حتى اليوم فى غانه ، وربما رجع هذا الى أن « الأشانتى » لم يسهموا فى النظام السياسى لساحل الذهب الا قبل التغييرات الدستورية لسنة ١٩٥٠ بما لا يزيد على أربع سنوات ، وهكذا الحال بالنسبة لبلاد أخرى ، ولهذا خطره ، بسبب الصعاب الادارية والمالية والبشرية التى يثيرها أو يوجدها بمعنى أدق .

المشكلات القبلية فى أوغندة :

وقد ظهرت المشكلات القبلية فى أوغندة فى أبلغ صورها ،وربما كان هذا بسبب القوة والوضع النسبى الذى للبوغندة ، عندما يقارنون بباقى سكان البلاد ، فسكان بوغندة (البلاد) (الناس) أكثر من سكان باقى مناطق القبائل ، ثم هى أكثر ثروة وأوفر تعليما ، وأكثر تقدما بسبب طول اتصالهم بالأوروبيين ، وفضلا عن هذا فان البوغندة ـ وهم يعيشون فى وسط البلاد ـ كانوا قبل وصول الانجليز أكثر تحضرا من غيرهم ،ولهم نظام قديم دقيق من أنظمة الحكم ، ولهذا فان الكثيرين منهم يخشون أن يعطل باقى سكان البلاد عن تقدمهم، ولعل هذا كان الدافع لطلبهم الانفصال والاستقلال عن غيرهم أثناء اضطرابات سنة ١٩٥٣ ، ثم انهم فى نظرتهم البعيدة للمستقبل يريدون أن تكون لهم السيادة فى أوغندة المستقلة ، وفى الوقت نفسه فان القبائل الأخرى تحس بمشاعر الغيرة لتقدمهم ،وتخشى من توليهم السيادة .

وقد عمدت بريطانيا بالنسبة لهذا الموقف الى سياسة ذات جانبين، فقد عمدت من ناحية الى بناء التنظيم المركزى والى زيادة عدد الأعضاء الافريقيين فى المجلس المركزى ، مع العمل لربط كل جزء من البلاد مع المركز ، عن طريق التمثيل فى المجلس المركزى بانتخاب مباشر ، وفى الوقت نفسه عمدت من الجانب الآخر للتطور السياسى والاجتماعى لكل جزء من البلاد .

وقد انتقدت هذه السياسة على أنها تسبب فى الواقع تقوى المشاعر القبلية بين القبائل المختلفة ،وفى الوقت نفسه تضعف وحدة البلاد ، على أن الذين يوجهون هذا النقد يغفلون أن حكومة البوغندة ترجع الى أكثر من خمسين سنة ، وأن المشاعر القبلية كانت موجودة وقوية قبل هذه الاصلاحات التى نمت فى السنوات الأخيرة ، ولكن الواقع أن هذه المشكلة توجهنا بدورها الى مسألة أعمق والى بحث أبعد مدى هو : محاولة تعريف طابع « القومى » فى افريقية .

ويرى بعض الناس « القومى » اما فى صورة ((**البطل**)) ، واما فى صورة ((**المتعصب الخطر**)) ، وقد يكون « القومى » فعلا فى صورة من هاتين الصورتين مثله فى هذا مثل أى من الأفراد فى العالم كله لا فى افريقية وحدها ، ولكن ليست هذه هى الصورة الصحيحة .

ولقد سبق أن قلت فى الحديث عن العوامل التى أوجدت القومية ، أنها ترجع الى ضغط الغرب نتيجة للآراء

الغربية،ولتقدم التعليم وتوافر المعرفة، وللتطور الاقتصادى،كما أنها من جانب آخر نتيجة الرغبة فى المساواة مع الغرب ، ليس كأفراد بل كأمم ، وقد زاد من تضاعف هذه العوامل ومؤثراتها الاتصال القوى بالغرب تبعا لتجارب الجنود الذين حاربوا فى مسارح الحرب خارج افريقية ،وتبعا لدراسات الطلاب الذين رحلوا فى أعقاب الحرب طلبا للعلم فى أوروبا وأمريكا ، ولكن هنا يجب أن نتدارس معا الصعاب التى يواجهها أولئك الذين يدعون للقومية ، فهم يجب أن يسدوا الثغرة بين حياتهم فى افريقية ، وغالبا فى القرية ، وبين الجامعات التى درسوا فيها فى بريطانيا ، وهؤلاء يجب أن يعملوا مع أناس غير متعلمين فى الغالبية ولا يعرفون شيئا عن العالم الخارجى، والفرد « القومى » يحذر أن الكثيرين ممن يتحدث اليهم لا تتوافر لهم المستويات التى يستطيعون بها أن يحكموا على الأشياء التى يقولها لهم .

و « القومى » يشعر بخيبة أمل عندما يدرك الثغرة الواسعة بين حال بلاده ، مع كل العوامل التى تعطل التقدم السريع ، وبين الصورة المثالية التى يسعى اليها ليصل ببلاده الى حكم ذاتى وثقافة محترمة ،واقتصاد متوازن حديث الطابع ،وهو يشعر بأنه يستطيع بالاستقلال أن يسد هذه الثغرة،ولكنه يشعر ايضا فى داخلية نفسه ، بأنه سيكون عملا صعبا شاقا ، وانه يحتاج الى معاونة الخبراء والاخصائيين الأجانب لوقت طويل حتى بعد الاقتصاد .

فماذا يجب أن يكون موقف الغرب تجاه دعاة القومية فى افريقية ؟ !! .

هنا يقول المؤلف انه من الواجب **أولا** معاملتهم لا على أساس أنهم قديسون ولا على أساس أنهم مهيجون مثيرو قلاقل ، بل كأفراد يجب أن يبذل كل جهد لايجاد صلات بشرية معهم ، **وثانيا** يجب ألا يشعر الغربيون بخيبة أمل لو وجدوا أيا من دعاة القومية ليس بالرجل الكامل ، ولهذا لا يجب أن ينظر اليهم فى ضوء المستويات التى يضعها الغرب للرجال المثاليين ، والأمر **الثالث** أنه يجب ادراك أن من واجب القوميين معارضة الحكومات الامبريالية المستعمرة ،ذلك لأنهم يهدفون الى انهاء الحكم الاستعمارى ، ولكن اذا اتجهوا الى التخريب أو العنف يجب ايقاف هذا فليسوا أكبر من القانون ، ولكن أيضا ، لا يجب أن يتهموا بالشيوعية لأنهم يعارضون الحكومة .

ان القوميين يمكن أن يوجدوا اتصالا ما مع الشيوعيين ، وان كانوا الآن فى افريقية لم يفعلوا هذا الا فى نطاق محدود ، ولكن اذا خلط الغرب بين القومية والشيوعية فانه يخطىء خطأ له ضرره الكبير ، لأن التعاون الناضج بين الغرب وبين القوميين الافريقيين هو الدعامة الوحيدة ضد الشيوعية فى افريقية ، **ورابعا** يجب أن يدرك الغرب أن القوميين يوجدون لونا من القوة الدينمائية فى المجتمعات الافريقية ، **وخامسا** يجب أن يكون الغرب حذرا فى اعتبار القوميين ، لا يمثلون احدا بسبب قلة عددهم نسبيا ، ففى البلاد الافريقية تنمو الحركات القومية بسرعة تبعا لازدياد عدد الزعماء المتعلمين الذين يبرزون

الى الصفوف الأولى ، وتبعا لحصول الأفراد والشعوب على القوة الاقتصادية ومن واجب الحكومات أن تدرك هذا بسرعة وأن تحاول ، بمهارة ، توجيه نشاط القوميين الى الاتجاهات الانشائية للبناء مع ضمان تعاونهم فى برامج التقدم السياسى . وسادسا ، يجب أن يدرك الغرب أن العمل الناضج مع القوميين هو الوسيلة الصحيحة لمعاونة البلاد الافريقية للوصول الى حكم نفسها ، على أنه يجب ملاحظة ضرورة معاونة الجماعات المتخلفة من الأهلين للتقدم ، كما يجب العمل لحماية الأقليات وان كان هذا قد يسبب تعقد العمل مع القوميين ، ولهذا فمن الضرورى حث القوميين على ادراك أن حماية الأقليات انما هى جزء من البرنامج الضرورى للتقدم السياسى .

وأخيرا يجب أن يذكر الغرب أن هذه البلاد عندما تستقل يجب أن تعمل فى انطلاق واستقلال ، فاذا ما أخطأت التوجيه فلا يجب أن يرفع الغربيون أيديهم فى رعب ، وكأن كل شىء قد انهار بدرجة لا تمكن من علاج الموقف .. بل يجب أن يذكر الغربيون أنه ، حتى فى أكثر البلاد تقدما ، لاتكون الحياة العامة كاملة الصفات دائما .

* * *

افريقية والغرب

لكن ماذا تحتاج افريقية ؟ !! ماذا تحتاج هذه الدول الافريقية لتطورها الاقتصادى والاجتماعى حتى بعد أن تحصل على سيادتها وكيانها الذاتى ؟! ثم ما هى اتجاهات دول الغرب نحو مشكلات المعونة المادية لهذه الدول فى افريقية الاستوائية ، وليس من الضرورى أن تختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق فى غرب افريقية وبين البلاد التى فى شرقيها على الرغم من اختلافها وتباينها فى مراحل التقدم السياسى .

الفكرة فى هذا ببساطة أن هذه البلاد عندما تحصل على سيادتها الذاتية يجب أن تكون قادرة للوقوف على قدميها ، مثلها مثل دول العالم الحديث ، ولهذا فان التقدم السياسى يجب أن يصحب بالتطور الاقتصادى لرفع الدخل القومى ومستوى المعيشة ، كما يصحب بالتقدم الاجتماعى والتعليمى لامكان اعداد القادة الذين يتولون الحياة العامة للبلاد ويتولون تجارتها ، وما الى هذا من مطالبها .

الاقتصاد الافريقى :

وقد لا يكون من الممكن بحكم الحيز ، فى كتاب جملة صفحاته ١١٨ صفحة ووصل المؤلف الى بداية القسم الرابع منه قبل ٣٠ صفحة من نهايته ، أن يتحدث تفصيليا عن كل هذه البلاد الافريقية ، ولهذا فقد تخير أعرفها له فتخير أوغندة على أساس أنها أوفر أمطارا وأخصب أرضا ، ولكنها مع هذا تصلح لابراز كل النقط الرئيسية الأساسية فى هذا الحديث.

فالغالبية العظمى من سكان أوغندة من المزارعين الذين يعيشون لا فى مدن ولا فى قرى ، بل فى أكواخ متفرقة وهناك على طول البلاد وعرضها ، ولاتنتج أوغندة الحاصلات الغذائية فحسب ، بل تنتج القطن والبن للتصدير وتنتج الفول السودانى والتبغ

للاستهلاك المحلى ،وفى كثير من البلاد يربى الأهلون الماشية ، على الرغم من أن هناك مناطق كثيرة لا تعيش فيها الماشية بسبب الذباب ، وان كانت الحكومة تبذل جهودا كبيرة فى هذا المضمار ، وتزداد تجارة اللحوم باستمرار ، ثم ان جزءا صغيرا فقط من البلاد يعتبر مزدحما بالسكان وان كان هذا التزاحم أقل حدة منه مما هو فى أجزاء من كينيا أو شرق نيجيريا ، وقد بذلت جهود لوقاية الأرض الزراعية من التلف .

ويقوم العمل الزراعى على أساس الأسر ، والعادة أن غالبية العمال الزراعيين من النساء ، وتكثر فى البلاد الجرارات لحرث الأرض وقد كثر استخدامها حديثا ، وقد يكون استخدامها فى مناطق كثيرة مسألة غير اقتصادية .

ويعيش الناس فى مزارع صغيرة لاتزيد مساحة ايها عن عشرة أفدنة ، ويضع الأهلون أيديهم على الأرض بحق الاحتجاز طبقا للتقاليد ، فيما عدا بوغندة حيث يمتلك كل مجتمع الأرض التى يعمل فيها ، وفيما عدا الاعتراف بالملكية الفردية فى بعض المناطق المزدحمة بالسكان ، ولا يملك الأوروبيون أو الهنود أكثر من ١ ٪ من الأرض فى أوغندة ، والملاحظ أن كل انتاج القطن وغالبية انتاج البن يجىء من حقول المزارعين الوطنيين ، أما الشاى والسكر فمن انتاج المزارع الكبيرة التى تملكها الجماعات أو الأجانب من غير أهل البلاد .

ويصل محصول القطن والبن الى ٩٠ ٪ من صادرات البلاد ، ولهذا فان اقتصاديات أوغنده تتأثر بالأسعار العالمية ، وكان التعدين يسير فى نطاق محدود ، ولكن منذ الكشف عن مناجم كبيرة للنحاس وضعت الخطط للاستغلال الواسع المدى للمعادن .

وصناعات حلج القطن واعداد البن ، وصناعات البناء وما اليها جلها فى أيدى الهنود ، ولكن نفذ الوطنيون الى هذه الصناعات بمعاونة الحكومة ، التى عاونت أيضا على اقامة مصانع الأسمنت والنسيج ، ويزداد عدد الافريقيين الذين يعملون فى هذه المصانع ، بل وفى ادارتها .

ويشترى محصولا القطن والبن محليا ، ثم يباعان فى الخارج بوساطة مجلس التجارة ، ومع أن الحركة التعاونية تلعب دورا هاما الآن فى البلاد الا أن تجارة الجملة فى أيدى الهنود والأوروبيين . وكذلك ، فان تجارة القطاعى تعتبر من وجهة عامة فى أيدى الهنود الا أن فى أوغندة الآن خمسة عشر الف افريقى من تجار (القطاعى) التجزئة ، يتولون نصف تجارة التجزئة فى البلاد .

وقد أقيمت الأبنية الحديثة فى بعض نواحى البلاد ، بل ان فى أرض البوغندة مناطق بها سيارات أكثر عددا من عدد دافعى الضرائب ، وقد تضاعف دخل الافريقيين بين سنة ١٩٥٠ و سنة ١٩٥٦ ، ويكون هذا ٦٣ ٪ من جملة دخل البلاد .

ولا تزال أوغندة بمنجاة من مشكلات المراكز الصناعية الحديثة الواضحة فى أجزاء اخرى من افريقية ، ولايزيد عدد السكان المأجورين عن ٥ ٪ من تعداد السكان ، ويجىء العمال الذين

ينقدون محصولات عينية من الشمال الغربى والجنوب الغربى للبلاد او من **(رواند اوراندى)** كما أن كثيرين من المزارعين البوجندا يستخدمون عمال الأرض من مهاجرى (ألبانيا رواندا) ، وجل العمال المهرة من الهنود مع ازدياد عدد العمال المهرة الافريقيين الا أن النقص فى الافريقيين المهرة واضح ملموس .

وتبذل جهود كبيرة لزيادة عدد الطلاب فى المدارس الأولية والثانوية وفى الجامعات ، ولكن لا يزال عدد الطلاب الذين حصلوا على ثقافة فى مستوى المدارس الثانوية والعالية والفنية قليلا .

وفى أوغندة شبكة من طرق المواصلات الحديثة أفضل مما فى كل افريقية الاستوائية ، ولكن مع هذا فان الحاجة ملحة الى انشاء عدد كبير من الطرق الحديثة .

عوامل النقص فى الاقتصاد الافريقى:

وفى هذه الصورة الموجزة لبلد اقتصادياته ــ أساسيا ــ اقتصاديات زراعية نجد عوامل الضعف وعوامل القوة التى تكشف عنها عادة هذه الاقتصاديات ، فأوغندة بلد تشغل بتقوية بنائها القائم ، وتعمل لتطور صناعات جديدة ، كما تعمل لزيادة الانتاج فى باقى صور النشاط . وفى هذه الصورة نجد بعض الثغرات التى لا تختلف فيها أوغندة عن غيرها من البلاد الافريقية الاستوائية ، او بمعنى ادق ، لا تختلف عن البلاد المتخلفة فى الأجزاء الأخرى من العالم ، وهذه الثغرات توضح السبيل للعمل الذى يمكن أن يقوم به العالم الخارجى لمعاونة هذه البلاد ، وهذه الثغرات او عوامل النقص هى :

١ ــ هبوط مستوى الانتاج فى زراعات الفلاحين .

٢ ــ افتقار أغلب المناطق الى نظام فردى لاستصلاح الأراضى وتملكها .

٣ ــ عدم توافر رؤوس الأموال للاستثمار .

٤ ــ نقص التوازن فى اقتصاديات البلاد .

٥ ــ عدم استقرار أسعار الحاصلات الرئيسية للبلاد .

٦ ــ قلة نصيب الافريقيين فى التجارة والصناعة وقلة عدد الافريقيين فى أعمال الادارة .

٧ ــ الحاجة الى المزيد من المعرفة الفنية والتعرف على المشكلات والامكانيات للبلاد .

٨ ــ قلة عدد كفاية الرجال والنساء ممن يتوافر لهم ولهن الدراسة العالية أو القدرة على الأعمال التى تتطلب مهارة خاصة .

وتتطلب كل من هذه النقاط بعض سطور لايضاحها .

هبوط مستوى الانتاج فى زراعات الفلاحين :

قد أثار هبوط مستوى الانتاج فى زراعات الفلاحين ما اذا لم يكن من الأفضل تنظيم الأرض على أساس مزارع كبيرة يتولاها أخصائيون من خارج البلاد ؟ ، ولكن هذا فى الواقع وان بدا أنه أفضل السبل الا انه غير مستطاع ، لأن النظام الحالى يضمن انتاج المحصولات التى تباع نقدا ،

وبذلك يوزع الدخل بين الأهلين مما يوجد الاستقرار الاقتصادى والسياسى بينهم ، ثم ان زراعات الفلاحين يجب أن تكون هى العمود الفقرى لاقتصاديات افريقية الاستوائية .

ويجب أن يلاحظ أن أقل زيادة طفيفة فى انتاج الفدان من القطن تزيد من دخل المواطن ، وبالتالى من جملة دخل البلاد ، ولهذا فان المشكلة تتطلب :

● استخدام الأساليب الحديثة فى الزراعة ، والقيام بالزراعة بالطرق الصحيحة ، وتنفيذ التدابير الضرورية ضد الآفات الزراعية ، وتنفيذ تعليمات الوقاية بدقة .

ويتطلب هذا بدوره اعداد الرواد الزراعيين الموجهين ، ولكن اعداد هؤلاء الموجهين يعتبر بدوره مشكلة تتطلب مجهودات كبيرة من الحكومة.

مسألة الملكية الفردية للأراضى

منع تملك الأفراد للأرض بحكم القانون ، لا تبعا للعادات والتقاليد ، يحد ولا شك من زيادة استصلاح الأرض ، كما يمنع الفلاح من الاقتراض بضمان الأرض التى يزرعها ، ويعطل من مختلف المشروعات التى وضعتها الحكومة لامكان اقراض الافريقيين ، وقد لوحظ هذا فى كينيا وخطت الحكومة خطوات واسعة فى هذا الشأن فى أرض **الكيكويو** منذ قيام اضطرابات **ماوماو** بوضع الاتفاقات التى تنظم تملك الأفراد للأرض .

والواقع أنه لا تستطيع أى حكومة افريقية استصدار أى قانون يغير من الأوضاع بالنسبة للأرض ما لم يرض الأهلون أولا عن هذه القوانين ، فالأرض أساس الحياة فى افريقية ، كما هى فى أى مكان آخر ، والافريقيون عادة يشكون فى نوايا الحكومة ، وقد عورضت قوانين تملك الأرض فى أجزاء من كينيا ، كما قوبلت المقترحات الخاصة بهذا فى بعض مناطق أوغندة بالاعتراض ، على الرغم من أنها شرحت بوساطة وزير الأراضى فى أوغندة وهو افريقى ، وقد قيل فى بعض الأماكن : **(ان الحكومة تريد أخذ الأراضى واعطاء الأهلين أجزاء منها ثم أخذ الباقى ، وربما تعطيها لمستوطنين أوربيين)** ولا شك أن هذا لم يكن صحيحا .

على أن الأمر يتطلب أن تستصدر الحكومة القوانين التى تنظم هذه الملكية والتى تمنع اعطاء الأرض لغير الافريقيين مالم توافق الحكومة على ذلك ، أو بمعنى آخر يجب أن تحمى الحكومة حقوق المواطنين ، ثم ان القروض يجب أن تمنح بوساطة مصارف نظامية تحت رقابة .

عدم توافر رؤوس الأموال للاستثمار

لا تتوافر رؤوس أموال افريقية كبيرة للاستثمار ، ورؤوس الأموال الخارجية تتطلب عائدا سريعا لا قبل للبلاد بتقديمه ، ثم ان تولى الحكومة هذا للحصول على عائد مباشر لزيادة الدخل غير ممكن الا فى حالة انشاء خطوط حديدية مثلا ، لنقل انتاج معدنى جديد ، ومع هذا ، فان الاستثمار الحكومى فى المدى الطويل

له نفعه لاسيما اذا احسن توجيهه فى مشروعات الطرق واصلاح موارد المياه ، وتحسين نظام الرى والصرف مما يزيد من المحصول ويوجد أرضا جديدة للاستثمار .

وقد قامت كل حكومات افريقية الاستوائية منذ سنة ١٩٤٨ باستثمارات داخلية كبيرة . ولكن مما لا شك فيه أن افريقية الاستوائية ـ لو أريد الوصول بها الى مستوى جيد فى وقت معقول لتتابع تقدمها ـ فانها تحتاج ، وتحتاج بسرعة ، الى رؤوس أموال كبيرة تجىء من خارج البلاد .

نقص التوازن الاقتصادى :

أغلب بلاد افريقية الاستوائية مثلها مثل أوغندة تعتمد على محصول رئيسى واحد ، أو محصولين رئيسيين للتصدير ، وأحيانا قد يصحب هذا بانتاج معدنى محدود ، ويعتبر الكونغو البلجيكى وحده شاذا عن هذا .

وقد ذهب الجزء الأكبر للاستثمار الخارجى فى افريقية منذ الحرب الى البلاد التى بها عدد كبير من الأوربيين نسبيا والتى تقوم بها صناعات ، مثل اتحاد جنوب افريقية واتحاد روديسيا ونياسالاند والكونغو البلجيكى ، وتسترعى كينيا رؤوس الأموال الأجنبية أكثر من تنجانيقا وأوغندة وبلاد غرب افريقية البريطانية ، والفكرة فى هذا أن أصحاب رؤوس الأموال يعنون بالاستقرار السياسى فى البلاد التى يريدون استثمار أموالهم بها ، ولكن ليس معنى هذا أن البلاد الافريقية المستقلة التى يتولى أمرها افريقيون أقل استقرارا من غيرها فى المدى الطويل ، ولكن العامل المعطل هو قلة عدد المديرين المحليين ، ثم قلة عدد العمال المهرة المدربين .

ولهذا فقد قامت الحكومات بالاشتراك فى الاستثمار المعدنى والصناعى ، وتعدين النحاس فى أوغندة تتولاه جزئيا شركة كندية من «تورنتو» وهى أكبر شركة استثمار كندى خارج أراضى كندا ، ولكن أصحاب الأعمال الذين يشتركون فى المشروع سيرجعون سبب النجاح الى أن الحكومة نفسها تسهم فى رأس المال عن طريق شركة كونتهاهى . وتكوين شركة بدلا من الحكومة يعطى ثقة للأفريقيين الذين ينظرون للاستثمار على أنه رأس مال أهلى جمع بالاكتتاب .

وتبعا الظروف الخاصة بهذه البلاد يكون ايجاد صناعات ثانوية جديدة مسألة من الصعوبة بمكان ، فان عدم توافر العمال المهرة ونقص الفنيين المحليين وعدم توافر رؤوس الأموال المحلية ، كل هذا يجعل أى صناعة جديدة قاصرة عن التنافس مع نتاج البلاد الصناعية الأخرى . حتى مع تقدير الفرق فى تكاليف النقل ، ولمواجهة هذا يجب أن تبذل الحكومات من جانبها معاونات ، وبخاصة فى المراحل الأولية كاطلاق حق استيراد المواد الضرورية والاعفاء من الجمارك والضرائب وفرض حماية جمركية على هذه الصناعات .

ولكن اقامة هذه الصناعات الجديدة يجب الا ينظر اليه كغاية ونهاية فى حد ذاته ، فالأفضل السير دون التصنيع ما لم يكن هذا اقتصاديا فى المدى

الطويل بدلا من اقامة صناعات تكون عبئا ثقيلا على البلاد ، ولهذا السبب فان هذه البلاد ما لم يتوافر فيهـا معادن تستغل اســتغلالا اقتصـاديا يبدو أنها ستعتمد ، أساسيا على انتاج زراعى لحاصلات قليلة العدد .

وهنا يكون من الأهمية اســتقرار الأسعار ، وقد تولت المجـالس التى كونتها الحكومات أيام الحرب تسويق بعض المحصولات الرئيسية كالكاو فى غانه والكاكاو والفـول الســودانى فى نيجيريا والقطن والبن فى أوغنـدة ، وبذلك كان المنتجون يواجهون أسعارا ثبتتها الحكومات ، وبذلك أمكن تجنب المضـاربات العنيفـة التى تؤثر على الأسعار، على أن هذه الأسعار قد ثبتت فى بعض الأمـوال أقل من مسـتوى الأسعار العالمية ولكن الحكومات منحت معونة للتصـدير عندما تباع هـذه المحصولات عن طريق مجالس التسويق.

وقد انتقدت الطريقة التى سارت بها عمليات التسويق من جانب بعض رجال الاقتصاد ، ولكن تثبيت الأسعار قبل موسم الزراعة له فائدته ، فان هذا التحديد قد اتخذ كتدبير ضد التضخم المالى ، ولكن على أية حال فان هذه الأسـعار كانت أعلى مـن مستويات الأسعار قبل الحرب ، حتى مع تقـدير فرق قيمة النقد ، ثم ان الحصيلة الناتجة لدى المجالس قـد استخدمت فى التطـور الاجتمـاعى والاقتصادى للأهلين ، وبذلك كان لها نفع أكبر مما يكون لها لو وزعت سنويا على عدد قليل من المنتجين ، ويرجع التطور الاجتماعى والاقتصادى لأوغندة وغانه ونيجيريا ، الى حد بعيـــد ، الى هذا المورد المالى وحده .

وهنا يصل بنا المؤلف فى الصفحات الأخيرة من كتابه الى :

قلة دور الافريقيين فى الصنـاعة والتجارة .

الحاجـة الى المزيد مـن المعرفـة الفنية .

الحاجة الى المزيد من القادة المدربين.

والواقع أن الحكومات قد وجدت أنه من الضرورى أن تخطو خطـوات ايجابية لمعاونة الافريقيين فى ميـدان التجارة ، ففى أوغندة ، على سبيل المثال لا الحصر ، وضعت الحـكومة برنامجا لتشجيع الافريقيين على القيام بالأعمال التجارية مع تعليمهم أساليب التجارة ، وتكوين اتحادات التجـار واعداد هيئات الاتجار بالجملة ،وبناء الحـوانيت فى المدن الرئيسـية التى تؤجر للافريقيين بشروط اقتصادية، كما عملت على تدريب الافريقيين على أعمال المصـانع ، كما نظمت أعمـال الادارة لتدريب المساهمين الافريقيين فى الشركات والمصـانع التى يملكها أوروبيون أو آسيويون ، كما شجعت الصناعات الصغيرة التى تنتج للأسواق المحلية ، وبذلك يمكن نشر التطـور الصـناعى على طول البـلاد ، كما أنه يوجد تجارة داخلية للأسواق المحلية ، الأمر الذى يجب أن يكون واحدا من أهداف السياسة التجارية .

وكانت الجمعيات التعاونية واحدة من وسائل دفع الافريقيين للمساهمة فى النشاط الاقتصادى للبلاد ،وتتكون هذه الجمعيات من الفلاحـين الذين يعملون تحت اشراف وتوجيه موظفين حكوميين .

وقد ازدهرت الحركة التعاونية فى شرق وغرب افريقية ، وبدأت الحركة التعاونية فى أوغندة منذ عشر سنوات وأصبح بها الآن (١٤٠٠) جمعية تعاونية يضمها (١١) اتحادا تعاونيا ، ولهذه الاتحادات الآن أحد عشر محلجا للقطن فى أوغندة أمكن ايجادها على اساس قروض طويلة الأجل .

والهدف من هذه المشروعات فى اوغندة وغيرها من البلاد ، هو ايجاد طبقة متوسطة بين الافريقيين تقوم بدور فعال فى النشاط الاقتصادى ، وتعاون الافريقيين فى الحصول على معرفة شئون التجارة والصناعة بوساطة التجربة ، وممارسة العمل فعلا .

وقد تطلبت الحاجة ايجاد معاهد وهيئات للأبحاث ، وفى شرق افريقية على سبيل المثال توجد هيآت أبحاث للزراعة والغابات وأمراض الفيروس والتغذية ، وللابحاث الاقتصادية والاجتماعية والصناعية ، كما شكلت هيئات لبحث تأخير الجو والمطر على الأرض لوضع أسس التنظيم الصحيح للزراعة ومواسمها .

وقد عاونت الأمم المتحدة فى تشكيل هيئة لدراسة تطور وسائل الرى والصرف فى حوض نهر روفيجى فى تنجانيقا ،

صحيح أنه قد أمكن الوصول الى نتائج طيبة بوساطة هذه الهيئات التى تتولى البحث ، ولكن لا يزال هناك الكثير من أوجه المعرفة التى تتطلب بذل الجهود ، والوصول اليها .

ولكن لا هيئات البحث ولا زيادة المعرفة ولا زيادة الثروة القومية يمكن ان تحقق نتائج لها اثرها ما لم يتم تطور الكتلة البشرية فى افريقية ، والجزء الهام فى بناء أى أمة وهو ايجاد القادة من الشبان والآنسات الذين يمكن أن تتوافر لهم الدراية والقدرة على أن يلعبوا الدور الرئيسى فى الحياة العامة وفى الحكومة المحلية .

وما لم يتم اعداد القادة المحليين فى الحياة العامة والادارة والشئون الاقتصادية فان تطور هذه البلاد الافريقية لابد أن يتعطل ، وذلك لأن هناك مدى لما يمكن تحقيقه بوساطة هيئات الادارة التى تجىء من خارج البلاد .

وهكذا . فان التعليم ، فى أوسع مراحله ، من الأهمية بمكان ، وفى المناطق البريطانية فى غرب وشرق افريقية توجد ثلاث كليات جامعية وأربعة معاهد عليا للتعليم الفنى العام ، كما اتسع التعليم الثانوى والاعدادى ، وبذلت الجهود للنهوض بالتعليم الصحى ، كما عنيت الحكومات بزيادة عدد الافريقيين الذين يتولون المراكز العليا فى الادارة المدنية

* * *

وهكذا ، ينهى المؤلف كتابه الذى يقول أنه لم يتعرض فيه لمؤتمر مونتريال الذى اتفقت فيه حكومات الكومنولث على معاونة البلاد المختلفة فى مجموعة الكومنولث البريطانى ، كما لم يذكر فيه أى شىء عن الاتفاق الخاص باستقلال نيجيريا فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، الاتفاق الذى تم فى مؤتمر لندن بين زعماء نيجيريا ووزير الدولة البريطانى ، ومع هذا فالكتاب لا يخلو من كثير من النفع لايضاح سياسة بريطانيا فى قارة افريقية .

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.
2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.
3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.
2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.

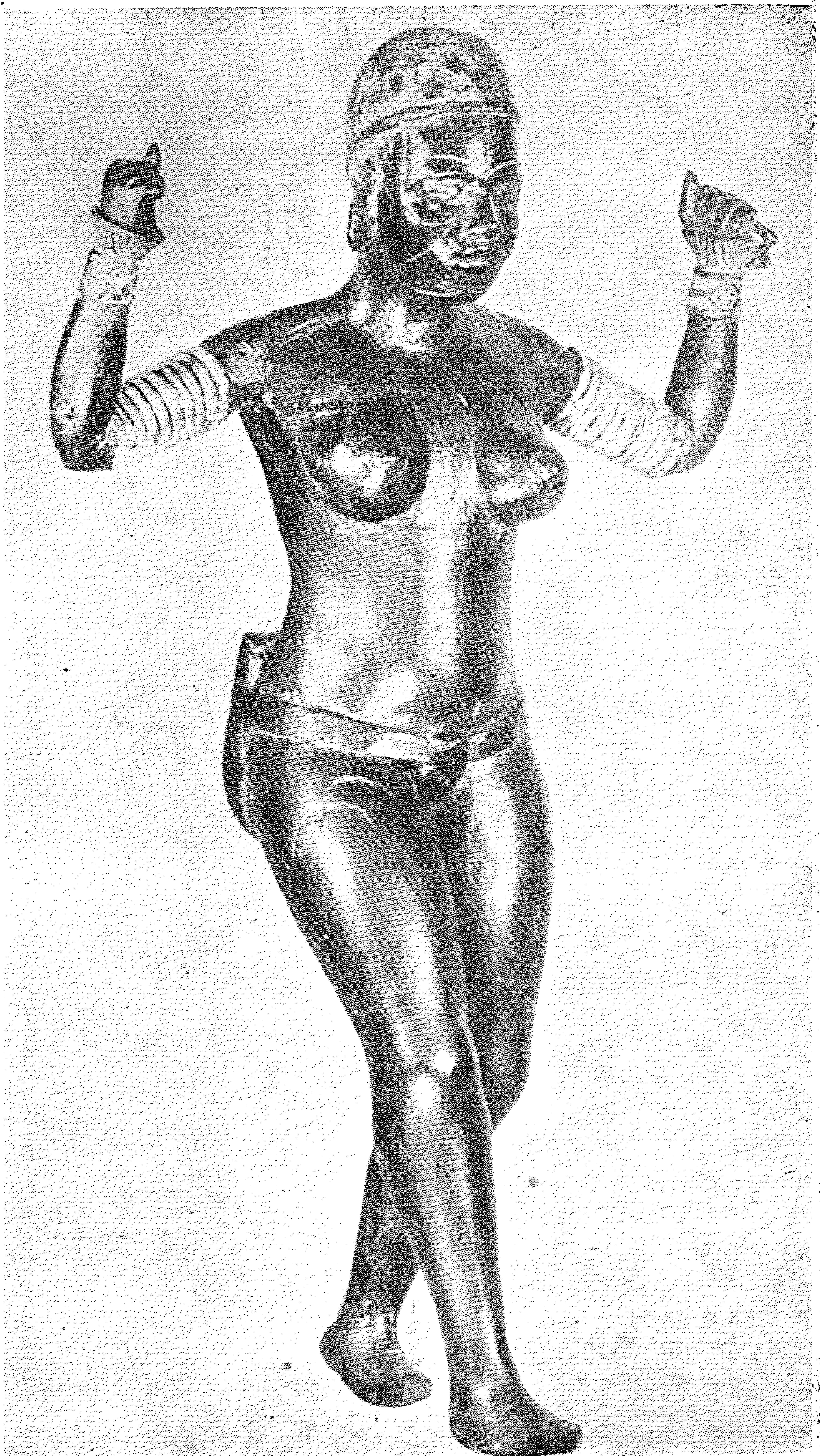


Nahdatu Ifriquiah

A monthly Magazine for African Culture.

Editor in Chief

M. ABD EL AZIZ ISHAK



تمثال من البرونز من نيجيريا

Third Year

Issue No. 30

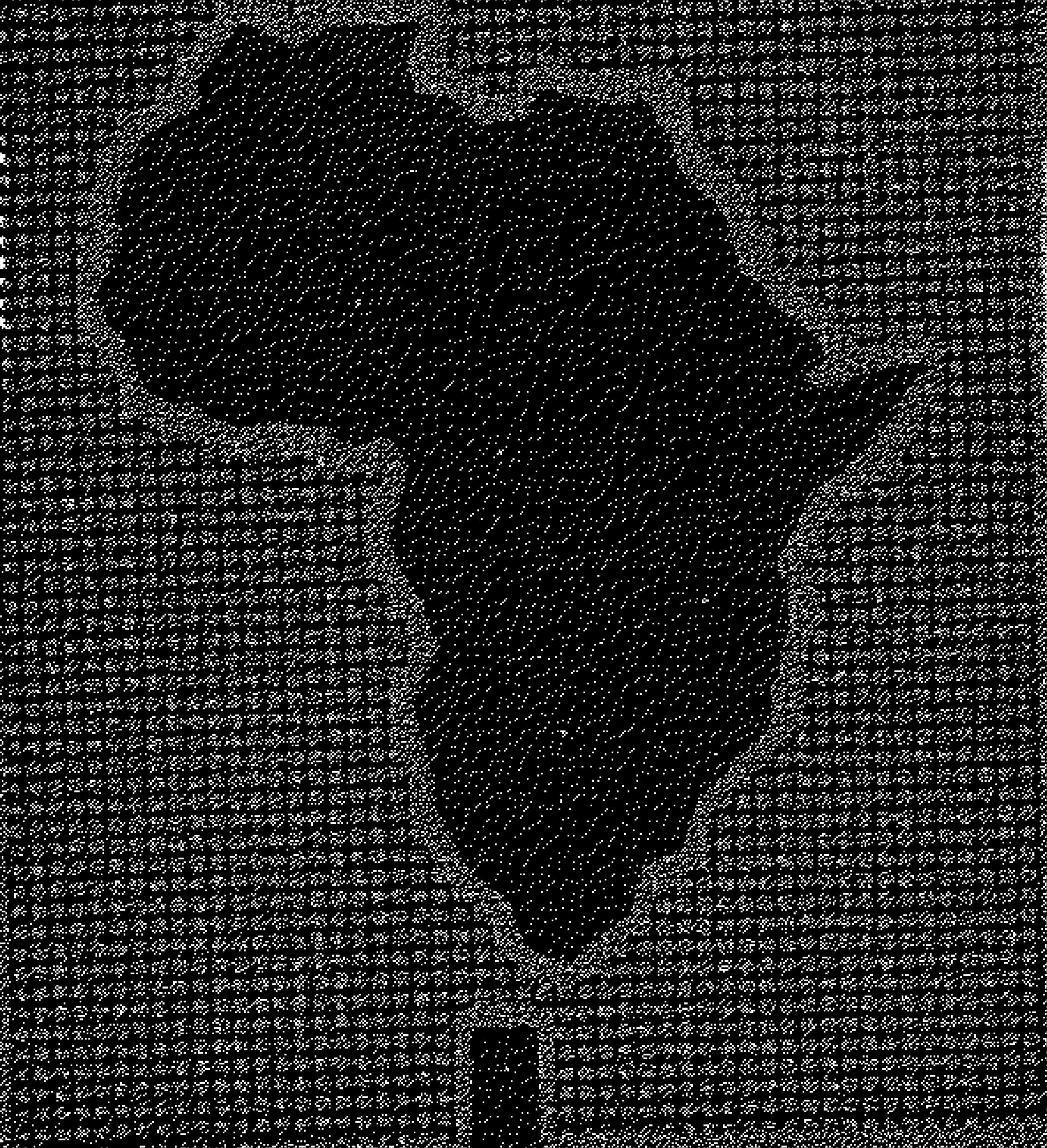
MAY 1960.

Nahdatu IFRIQUIAH

0 Milliemes

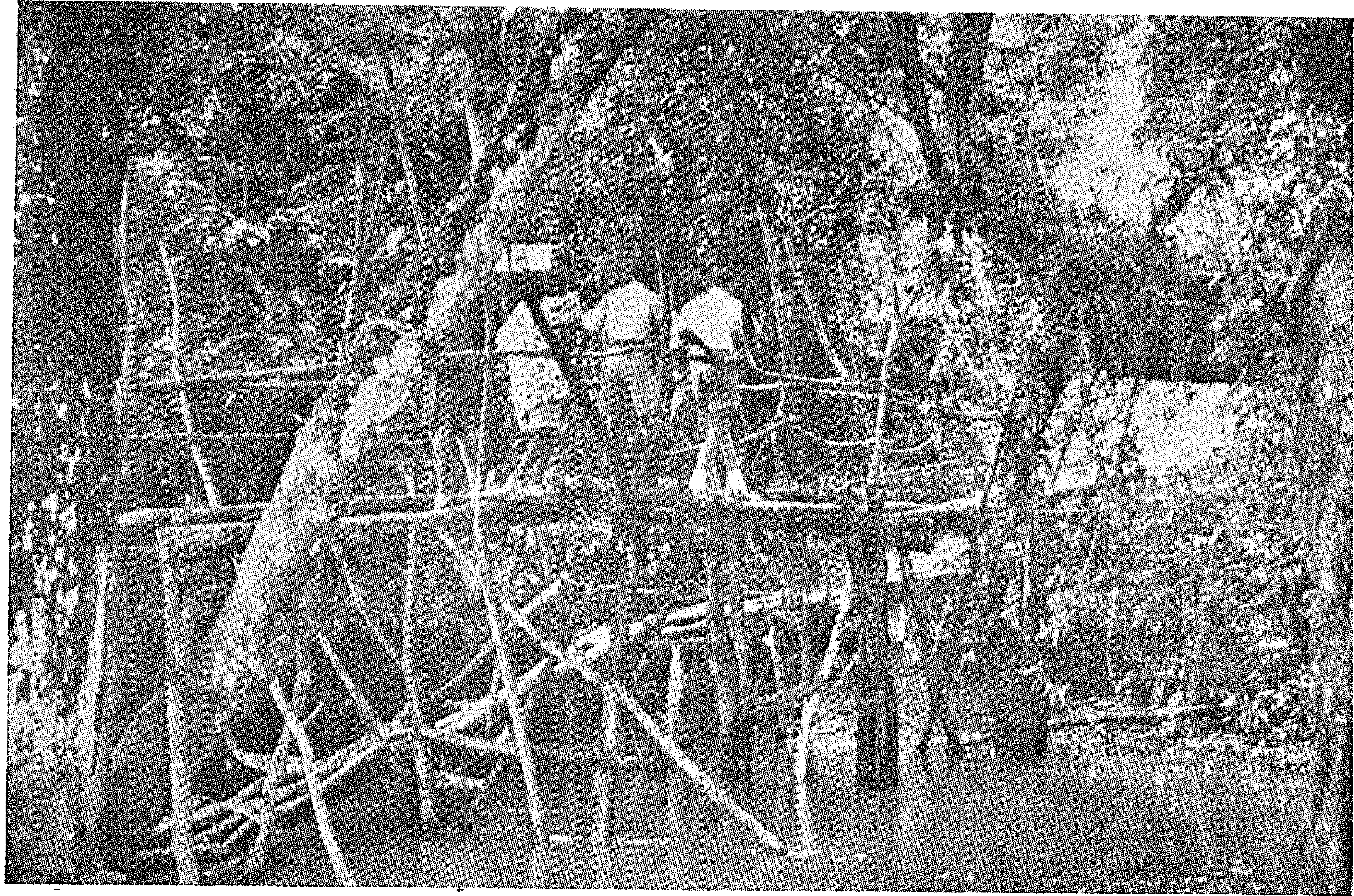
IN THIS ISSUE

السنة الثالثة | العدد ٣١ | يونية ١٦٠



نهضة أفريقية

الثمن ٣ قروش



« الجسور المعلقة فى افريقية »

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

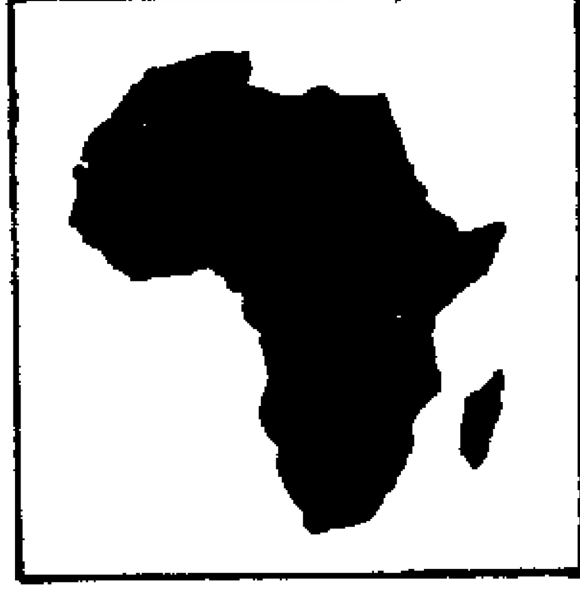
دار أخبار اليوم للتوزيع

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة افريقية
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز إسحق

فكرة ..

يعرف الصحفيون فى كل أنحاء العالم اهتمام الرئيس « جمال عبد الناصر » بالقضايا الافريقية التى لا يحملها بين جنبيه داخل الجمهورية فقط وانما يحملها معه كذلك كلما ركز علم مودة فى زيارة ، أو لمس أعماق شعب فى مقابلة . فقد عرف العالم كله مساندته القريبة لافريقية حينما زار الهند ، حتى لقد أدرك الصحفيون من سيادته هذا الاتجاه فكان هذا السؤال فى اليونان .

ـناديتم دائما باستقلال ، وحرية الشعوب الافريقية ، وقدمتم الكثير حتى تحقق هذا الاستقلال . هل تتفضلون ، وتكشفون لنا بعض نواحى المساعدات تجاه الشعوب الافريقية وهل تستطيع هذه الشعوب اذا ما تحررت أن تؤدى دورا فعالا فى السلام العالمى ؟ .

وقد جاءت اجابة الرئيس نابضة بكل معانى الحب ، والانسانية فقد وقف وسيقف دائما مع كل الشعوب المكافحة فتيار التاريخ لا يمكن الا أن يكون فى صف هذه القوى النامية فقد جاء فى قول سيادته على السؤال المتقدم « .. ان الذين يقفون فى سبيل تحرر الشعوب الافريقية أو غير الافريقية هم الأغبياء الذين يتصدون لتيار التاريخ الزاحف » .. وهكذا يسع قلب الرئيس كل ما فى الانسانية من معان كريمة وتعيش معه افريقية فى عصر ذهبى .. فى عصر الحرية !! .

« عبده بدوى »

محتويات العدد

أحاديث افريقية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

عاد رئيس تحرير هذه المجلة من غرب افريقية بعد أن حضر مؤتمر الطوارىء للشعوب الافريقية فى أكرا ، ومؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية فى كوناكرى عاصمة غينيا ، وفى هذا المقال يسجل خواطره عن هذين المؤتمرين التاريخيين .

مؤتمر الطوارىء .

فى الوقت الذى كانت الأنظار تتجه فيه الى كوناكرى فى أواخر شهر مارس الماضى حيث تقرر انعقاد مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى ، وكانت السكرتيرية الدائمة لذلك المؤتمر تتوافد الى عاصمة غينيا وتتخذ الترتيبات الادارية والاجراءات الشكلية ، وتنسق شئون الاقامة والانتقال لأعضاء الوفود ، صدرت دعوة سريعة عاجلة من أكرا الى الشقيقات الافريقيات لعقد « مؤتمر طوارىء » أو « مؤتمر عمل ايجابى Positive action » لمجابهة أصرار فرنسا على تكرار تجاربها الذرية المشئومة فى الصحراء الافريقية .

قد أحدثت الدعوة ـ برغم خطورة الدافع اليها ـ بلبلة فى الخواطر والأفكار ، فقد تحدد لها الموعد نفسه ـ تقريبا ـ الذى تحدد لانعقاد المؤتمر الآسيوى الافريقى فى « كوناكرى » ، وقد دعى الى مؤتمر الطوارىء الوفود الافريقية التى كان من المتوقع أن تذهب الى «كوناكرى» ، مما كان يهدد باصابة المؤتمر الآسيوى الافريقى بعضب شديد ، ولكن التشاور والمساعى لدى « أكرا » أسفرت عن عقد مؤتمر الطوارىء قبل المؤتمر الآسيوى الافريقى بنحو أسبوع ، وما لبثت الوفود أن تقاطرت الى عاصمة غانة وتركزت عليها الأضواء وأرهفت الآذان فى أنحاء القارة ، وفى العالم الخارجى وشحذ الصحفيون أقلامهم لتسجيل القرارات التى سوف يتمخض عنها المؤتمر ، وتمت أعمال الاجراءات وألقيت الخطب وانعقدت اللجان ، ثم أعلنت قرارات المؤتمر .

والواقع أن القرارات كانت دون الآمال التى عقدت عليها ، فقد تحول المؤتمر الى مباراة للخطب المنبرية ، ولم تبد فى ثنايا الخطب مقترحات عملية ايجابية يمكن أن تحقق الهدف

الرئيسى الا وهو : ايقاف فرنسا عند حدها ومنعها من الاستمرار فى تجاربها الذرية المهلكة ، ولم يات المؤتمر بجديد فيما يتعلق بتحقيق الأهداف الفرعية من أمثال «تحرير القارة من الاستعمار» و « الوحدة الافريقية » ..

بل ان المؤتمر فيما يتعلق بتحرير القارة قد اتخذ ـ فى الواقع ـ خطوة الى الوراء ، ذلك أن الشعوب الافريقية كانت قد قررت ، فى مؤتمر أكرا الأول ، أن لكل شعب أن يتخذ السبيل التى يراها مجدية فى سبيل التحرر من الاستعمار ، أى أن يسلك سبيل القوة أو يسلك سبيل « عدم العنف » على النمط الـ « غاندى » المشهور .

كان ذلك فى مؤتمر أكرا الأول للشعوب الافريقية (ديسمبر ١٩٥٨) فلما انعقد المؤتمر الثانى الذى سمى « مؤتمر الطوارىء » اذا بهذا المؤتمر يتخذ قرارا صريحا باتباع سياسة الكفاح السلمى ازاء الاستعمار ، بل ان المؤتمر قرر انشاء « معهد » لهذا الغرض فى أكرا تكون مهمته تدريب القادة الافريقيين ، على سياسة عدم العنف ، وتوكل ادارته الى سيدة هندية فاضلة ، كانت من تلاميذ غاندى .

وقد انصرفنا من أكرا وتركنا السيدة الفاضلة وراءنا لكى تشيد دعائم المعهد المطلوب .

وفيما يتصل بالهدف الفرعى الثانى وهو « الوحدة الافريقية » ، كان ادراج هذا الهدف فى جدول الأعمال سببا فى صدمة حاقت بالمؤتمر قبل أن ينعقد : ذلك أن الدعوة الاولى التى صدرت من أكرا لانعقاد المؤتمر لم تقترح فى جدول أعمال المؤتمر غير « مناهضة التجارب الذرية الفرنسية فى الصحراء » ، وما ان جاءت الردود الى أكرا بقبول الدعوة حتى أرسل المسئولون فى غانة رسائل الى القادة الافريقيين يقترحون فيها بحث مواضيع أخرى على رأسها موضوع « الوحدة الافريقية » ، وهو موضوع بالغ الحساسية بالنسبة لدول افريقية الغربية وسرعان ما جاء رد الفعل من أكثر من مصدر ، وكان أهم تلك المصادر نيجيريا ، فقد بعث رئيس حكومتها برد يتسم بالدهشة والقلق من اضافة هذا الموضوع الخطير الى جدول الأعمال فى اللحظة الأخيرة دون تشاور سابق مع المسئولين فى الدول الافريقية ، وشفع رئيس الحكومة النيجيرية قلقه ودهشته بأن أعلن مقاطعة المؤتمر .

وقد كانت القرارات التى اتخذت فى أكرا ، هذه المرة ، تشابه أخواتها التى اتخذت فى المؤتمرات السابقة فيما يتصل بالتعاون السياسى والتكافل الاقتصادى والتآزر الثقافى ، وربط أقاليم القارة الافريقية بعضها ببعض بوسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية ، وقد أحيلت تلك القرارات ـ كما حدث فى المرات السابقة أيضا ـ الى الحكومات المختصة .

وما أن انفض المؤتمر الافريقى العاجل الذى لم يدم سوى ثلاثة أيام حتى تدافعت الوفود للسفر الى كوناكرى لحضور مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى ، وقد أمكن ـ بعد

جهد جهيد ـ ان تنتقل الوفود العديدة بوسائل النقل المحدودة ، الى عاصمة غينيا التى كانت قد اتخذت زينتها للمناسبة المشهودة .

وفى كوناكرى تضخم الأمر واتسع اتساعا عظيما فقد انضمت جحافل الوفود الآسيوية الى أخواتها الافريقية وقد كان الوفد الصينى من الضخامة، مثلا ، بحيث خصصت لجنة الاستقبال لتنقلاته سيارة « أوتوبيس ضخمة »، ولم يكتف اخوان الشرق الأقصى بمجىء الساسة والعاملين فى حقول الثقافة والاجتماع والاقتصاد، بل جاءوا معهم بفريق كامل من لاعبى ولاعبات « الاكروبات »،وقد استطاع هؤلاء اللاعبون واللاعبات أن يشدوا اليهم انتباه كوناكرى واعجابها بما كانوا يقدمونه كل مساء على مسرح المدينة من أفانين الألعاب وأعاجيب الحركات .

ولئن جاء الوفد السوفييتى بغير لاعبين أو لاعبات ، الا أنه كان موفور العدد ، متنوع الكفاءات ، مزودا بالمترجمين والمترجمات **« وأجهزة الاستماع »** .

وكان وفد الجمهورية العربية المتحدة من أوفر الوفود عددا ، وقد بذل أقصى الجهد ليواجه مختلف التيارات التى كانت تجنح بالمؤتمر تارة الى اليمين ، وتارة الى الشمال .

وبالاضافة الى ممثلى الدول والشعوب الافريقية والآسيوية توافد «المراقبون» ورجال الصحافة والاذاعة من جميع أنحاء العالم ، وساهم هؤلاء مساهمة فعالة فى « توجيه » المؤتمر ، وبلغ من حرص بعضهم على التأثير والتوجيه أن تسلل صحفى « تركى » وقبع تحت احدى المناضد أثناء انعقاد احدى اللجان ، وقد ضبط سيادته على الفور وأبعد عن المؤتمر وعن غينيا أيضا ..

وقد استعرض المؤتمرون حساب الأرباح والخسائر منذ « باندونج » وسجلوا زحف الشعوب الافريقية والآسيوية نحو التحرر والاستقلال، وأوصوا بأن توثق هذه الشعوب تضامنها السياسى استعدادا للوثبة الأخيرة على الاستعمار ، وأن تحذر هذه الشعوب مايسمى بـ «الاستعمار الجديد » وهو المحاولة التى تبذلها بعض الدول الكبرى ،فى الوقت الحاضر للتسلل الاقتصادى الى الشعوب الحديثة العهد بالاستقلال ، وتدعيما للحيطة من هذا النوع الجديد من الاستعمار أوصى المؤتمر بقيام منظمات اقتصادية **« افرو آسيوية »** تستطيع أن تمد يد المعونة بالقروض أو بالمنح أو بالمعونة الفنية للأقاليم المتحررة ، أو التى على وشك الاستقلال .

وفى الوقت الذى كانت تتقدم فيه سكرتيرية المؤتمر « التى تتخذ مقرها الدائم فى القاهرة ، بجهودها لادارة المؤتمر وطبع قراراته والاشراف على مختلف شئونه اذا بأحد الوفود الآسيوية الكبيرة يتقدم باقتراح لالغاء تلك السكرتيرية ، وكان هذا الاقتراح مشفوعا بتوصية جديدة لانشاء هيئة فعالة تحل محل السكرتيرية « التى لم تثبت فعاليتها » وأن تكون تلك الهيئة الادارية المستحدثة بالانتخاب

من بين الدول والأقاليم الأعضاء فى المؤتمر .

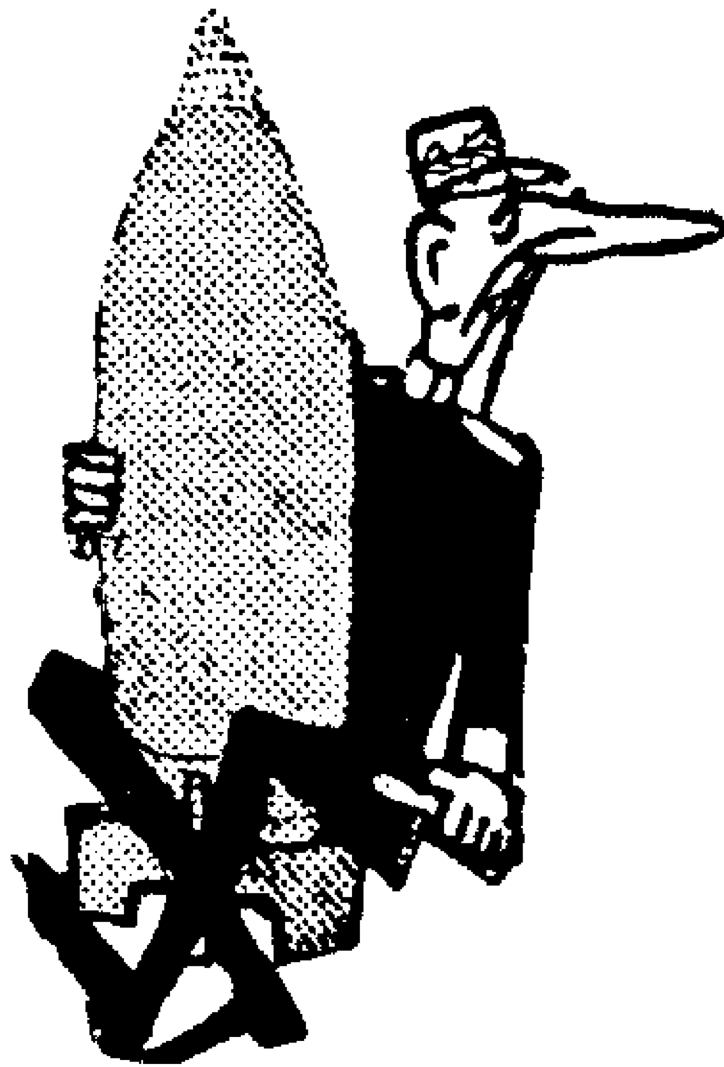
وقد أثار هذا الاقتراح زوبعة عنيفة كادت تؤثر تأثيرا بالغا فى مستقبل المؤتمر ، ولكن روح الوئام أدت فى النهاية الى حل وسط ، تتكون بمقتضاه هيئة سكرتيرية جديدة (من ٢٧ دولة افريقية وآسيوية) ويكون مقرها فى القاهرة ، كما يكون لها من الامكانيات المادية والأدبية ما تستطيع به استمرار العمل الجاد لمساعدة الشعوب المكافحة ولقيام التضامن والتعاون بين الشعوب المتحررة .

وقد استطاعت السكرتيرية بذلك ان تجتاز المحنة ، وكان أكبر الفضل فى ذلك عائدا الى أنها ـ أى السكرتيرية ـ مقترنة فى الأذهان بالجمهورية العربية المتحدة ، فقد وضعت سمعة الجمهورية ومكانة رئيسها فى الميزان حينما تجمع الخطر فرجحت كفة السكرتيرية وعلى النحو الذى أشرنا اليه .

ولئن كان هذان المؤتمران الشعبيان لم يأتيا بجديد تقريبا ، فيما يختص بالقرارات والتوصيات الا أن تجمع قادة الشعوب على صعيد واحد ، كان وما يزال باعثا على شحذ الهمم واستثارة العزائم . والتصميم على طرح قيود الاستعمار . كما أن القرارات والتوصيات **التى تتخذ فى تلك المؤتمرات ، لها وزنها ، ان لم يكن اليوم ففدا ، فى نظر الحكومات الافريقية والآسيوية المستقلة ، وبخاصة الحكومات التى تقيم لآراء شعوبها والشعوب الصديقة وزنا وحسابا .**

ولا ريب ، فى أن تلك المؤتمرات الشعبية أيضا انما تعتبر سندا وعاملا مكملا لمؤتمرات الحكومات المستقلة ، بل ان كثيرا من الشعوب الافريقية ـ على وجه الخصوص ـ تبعث الى المؤتمرات الحكومية التى تتخذ قرارات لها صفة الالزام ، بالمندوبين الذين تبعث بهم الى مؤتمرات الشعوب أنفسهم .

وفى ذلك بشير بوحدة الأهداف العليا التى تسعى اليها الحكومات بمؤازرة الشعوب .



اتحاد جنوب افريقية

للأستاذ : مختار السويفى

تكالب المستعمرون كلهم على جنوب افريقية .. جاء البرتغاليون أولا ، ثم تبعهم الهولانديون فالانجلوسكسون .. وحاول الفرنسيون والألمان والبلجيك أيضا أن يستوطنوا هناك ..

ومنذ تلك اللحظة التى وضعوا فيها أقدامهم على أرض الجنوب الافريقى ، والصراع على أشده يدور فى جبهتين : فقد كانوا يتقاتلون فيما بينهم كالذئاب عند اقتسام الفريسة ، كما أعلنوها فى الوقت نفسه حرب قنص وابادة على الافريقيين .. سكان الجنوب الأصليين ..

نظرة بسيطة الى التاريخ القريب.. ولنبدأ من عام ١٤٩٠ م .

حينما سمع الأمير **((هنرى الملاح))** البرتغالى ، عن ثراء افريقية .. يقول المؤلف الانجليزى دجرافت جونسون فى كتابه « مجد افريقيا » أن هنرى الملاح هذا ، كان يفكر فى تكوين مملكة صليبية افريقية فى جنوب بلاد المغرب حتى يحصر المسلمين فى وسط القارة ، فلا يتمكنون من الزحف على أوروبا .. وبالفعل ، فقد بدأ « هنرى الملاح » فى ارسال الرحلات البحرية التى جست النبض وأحضرت « عينة » من الانسان الأسود وجدت اقبالا شديدا وارتفع الطلب عليها فى مختلف الأسواق الأوروبية .. ولم ينس هنرى الملاح أن يهدى عشرة من هؤلاء السود الى البابا **((مارتان الخامس))** ، الذى قبلهم وفرح بهم ، وأكد للملاح تأييده فى مجهوداته الاستكشافية ، ومنح البرتغال الحق فى امتلاك كل أرض تستكشفها . ونشطت الأساطيل البرتغالية فى الاستكشاف حتى وصلت الى ساحل خليج غانة عام ١٤٧١ م ، وهناك أقام البرتغاليون محطة بحرية حربية تجارية ، تتابعت من بعدها المحطات على طول الساحل الغربى .. فى رأس فردى ، وجزر ماديرا ، ورأس بوجاد ، وساحل الذهب ، وسيراليون ، وجامبيا ، حتى وصلت ڤاسكودى جاما الى رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٠ م . وأصدر البابا قرارا بالتصديق على ملكية البرتغال للجهات التى « اكتشفتها » فى افريقية ، كما بارك النخاسين البرتغاليين فى تجارتهم .

وقبل أن نترك تاريخ البرتغال فى افريقية ، غربها وجنوبها ، نحب أن نلفت النظر الى خلو الجو فى ذلك الحين للبرتغال ، فلم يكن ثمة منافس لهم فى عمليات « الاستكشاف » .. ولكن الى حين ..

ففى بداية القرن الخامس عشر ،

كان هنـاك صراع هائل بين انجلترا وهولاندا فى ميدان الملاحة البحرية، فقد كان للهولانديين فى هذا الوقت أساطيل تجارية بلغت وحداتها مايقرب من ١٥ ألف سفينة ، فى حين أن وحدات الأساطيل البريطانية لم تكن تزيد عن أربع آلاف سفينة . وتمكن الهولانديون من التفوق على البحرية الانجليزية وانتصروا عليها فى مواقع عدة ، بل وتمكنوا من الهجوم على الجزر البريطانية نفسها ووصلوا الى نهر التيمز .

وكان هناك سبب لبداية الصراع بين هولاندا وانجلترا من ناحية ،وبين هولاندا والبرتغال من ناحية اخرى.

ففى اواخر القرن السادس عشر كادت البرتغال أن تفلس من المال والرجال ، فهى دولة صغيرة تعدادها لم يكن يزيد عن مليونين ، وبرغم ذلك فقد جازفت وفتحت البلاد ودخلت الحروب حتى أضناها التعب . ولاحت الفرصة للهولانديين الذين كانوا الموزعين لتجارة البرتغال فى كل أسواق أوروبا تقريبا حتى عام ١٥٨٠م. حين وجدت هولاندا نفسها قادرة على العمل وحدها ، فأعلنت الحرب الاقتصادية ضد البرتغال ، وكونت شركة هولاندية للتجارة مع الشرق والهند ، ثم بدأ بعد ذلك الصراع العسكرى فى ميادين غرب وجنوب افريقية ، وميادين الشرق الأقصى فى آسيا ، وتمكن الهولانديون فى النهاية من طرد البرتغال من معظم مستعمراتها ، واستولوا على غانة وأنجولا ، ثم أقاموا القلاع العديدة على طول الساحل الغربى لافريقية حتى جنوب القارة . وفى رأس الرجاء الصالح ، أقاموا مركزا للتجارة «اياها» ومحطة لتموين السفن وشحنها بالأسلاب الافريقية .

وكان الهولانديون أكثر عددا من البرتغاليين ، لذلك فقد قامت هولاندا بتصدير الجنس الأبيض الى جنوب افريقية للاقامة هناك بصفة مستمرة، وبدأت مستعمرة رأس الرجاء الصالح فى النمو حول خليج تابلن ، وفرح الهولنديون كثيرا بالأراضى الخصبة الوفيرة التى لا يكلفهم الحصول عليها الا أقل العناء ،وضمنوا لسفنهم أيضا حماية على طول طريقها الى الهند والشرق الأقصى ، واحتكروا بدورهم حق الاتجار فى الانسان الأسود ..

أما انجلترا ، فقد كانت أكثر تريثا ، لما يعتركها من ظروف خاصة.. وما كانت انجلترا لتسكت على تفوق هولاندا فى أوروبا وافريقية والشرق الأقصى ،انما يلزم لذلك وضع الخطط والتدابير ..

وفى سنة ١٦٠٠ ، حصلت شركة الهند الشرقية على امتيازها من الحكومة البريطانية ، وهى الشركة التى تبلورت حولها أسس الاستغلال البريطانى فى آسيا عامة ، وفى الهند وما حولها على وجه الخصوص . وأصبح لهذه الشركة كيان خطير ، بل كان من اختصاصاتها أن تمارس السيادة بالنيابة عن الهنود فتبرم المعاهدات وتجيش الجيوش وتعلن الحروب .. !

وفى سبيل تأمين سلامة الطريق الى الهند ، قامت شركة الهند الشرقية بانشاء القواعد البحرية والحربية على طول الساحل الغربى لافريقية ، وأشهر هذه القواعد ما أقيم منها فى جامبيا سنة ١٦٦٢م ،وفى سييراليون سنة ١٦٧٠ . وأصبحت هذه القواعد نواة للتوسع البريطانى فى افريقية كلها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فقد كانت انجلترا أكثر الدول الأوروبية — التى كان يمكنها الوصول الى افريقية — عددا، وتحت وطأة الجوع والفقر كما يقول جورج بادمور فى كتابه « افريقيا .. الامبراطورية البريطانية الثالثة » ، خرجت أفواج كبيرة متلاحقة من الجزر البريطانية واتجهت صوب افريقية . ورسمت سياسة محكمة أشرفت عليها الدولة فى تنظيم عمليات الهجرة والاستيطان ، وتولت الشركات الرأسمالية عمليات نقل المهاجرين عبر البحار ومساعدتهم فنيا بعد استيطانهم فى المستعمرات الجديدة ، وكان الربح الذى يعود على هذه الشركات يتمثل فى الاستيلاء على نسبة معينة من الأراضى الزراعية المستعمرة. أو الحصول على حصة معينة من انتاج المناجم ان وجدت . ومنذ ذلك الحين ، أصبحت انجلترا أكبر الدول الأوربية شأنا فى مجال الفتح والبحرية والاستعمار . واحتكرت بدورها تجارة الرقيق ، واشتد الصراع بينها وبين هولاندا .. وظلت انجلترا تكيل الضربات الى الأسطول الهولاندى ، ثم أخذت تمتص المستعمرات الهولاندية واحدة تلو الأخرى ، الى أن انعقد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ ، وحصلت فيه انجلترا على مستعمرة رأس الرجاء الصالح من هولاندا .

وبتوالى هجرات الانجلوسكسون الى غرب افريقية وجنوبها ، انتشرت المستعمرات البريطانية وتكاثرت ، عددا ، وقام صراع هائل بين الأنجلوسكسون والهولانديين ..

حرب البوير

منذ أن احتل الانجليز راس الرجاء الصالح ، بدأ صراع برى بينهم وبين الهولانديين على أرض افريقية . ويقول م .س. جين مراقب عام تعليم البنين فى اتحاد جنوب افريقية فى كتابه «نشأة اتحاد جنوب افريقيا» مبررا هذا الصراع : ان الانجليز كانوا يرغبون فى الغاء تجارة الرقيق ،فى حين أن الهولانديين ،البوير ،كانوا يعتمدون على الرقيق فى استغلال الأراضى وزراعتها . لذلك ، فقد بدأ البوير الهجرة نحو الشمال ، وأسسوا جمهورية « ناتال » على الساحل الشرقى لجنوب افريقية .. وسرعان ما هاجم الانجليز الجمهورية واحتلوا أراضيها ، ومن ثم هاجر البوير مرة أخرى نحو الشمال ، وأسسوا جمهورية « أورنج » ، كما عبروا نهر الفال وأسسوا جمهورية « الترنسفال » . وفى الوقت نفسه، أسس الانجليز مستعمرة «روديسيا» وأصبحوا يحيطون بجمهوريات البوير من جميع الجهات ، وعندما اكتشفت حقول الماس فى « كمبرلى » بالترنسفال ، سال

لعاب الانجليز مرة أخرى وقرروا ضم جمهورية البوير ، ان عاجلا أو آجلا .

وتذرع الانجليز بأسباب منها أن المانيا تشجع جمهوريات البوير فى خلق المتاعب لانجلترا فى جنوب افريقية حتى يتسنى لها — لألمانيا — أن تحصل على بعض المستعمرات ، كما أن الكثيرين من العمال الانجليز قد هاجروا الى الترنسفال ليعملوا فى مناجم الذهب ، ولكن الهولانديين كانوا يحرمونهم من ممارسة الحقوق السياسية ويتخذون ضدهم بعض مواقف الاضطهاد . هذا ، فضلا عن عقد النقص التقليدية التى تحكم تصرفات الانجليز ضد هولاندا ، ففى سنة ١٨٩٩ ،صمم جوزيف تشمبرلين على الانتقام من البوير فشن عليهم الحرب .. واستمرت حربا نظامية طيلة ثلاث سنوات تحولت فى السنة الأخيرة منها الى حرب عصابات .

وفى سنة ١٩٠٢ ، كسبت انجلترا المعركة وفرضت شروط الصلح على البوير . ومنذ تلك اللحظة ، تهيأت انجلترا لادخال جنوب افريقية فى نظام الكومنولث البريطانى ، ورفعت مستعمرة رأس الرجاء الصالح الى درجة دومنيون ، وأصبح مقر الحاكم العام الانجليزى فى «بريتوريا» عاصمة جمهورية الترنسفال السابقة ارضاء للبوير ، فى حين أصبحت مدينة راس الرجاء « كيب تاون » عاصمة للاتحاد المكون من دول الترنسفال وناتال واورنج ومستعمرة راس الرجاء الصالح كما اتخذت فى الوقت نفسه مقرا للبرلمان ..

كيف قام الاتحاد ؟

قام اتحاد جنوب افريقية أصلا ، بقصد تركيز الاستعمار البريطانى فى جنوب افريقية كوسيلة للسيطرة على القارة كلها ، وكان فى الوقت نفسه وسيلة فعالة فى التكتل ضد الافريقيين وتوحيد الجهود فى القضاء عليهم ،أو حجزهم فى مناطق معينة لا يبرحونها. وبنظرة بسيطة الى تاريخ بريطانيا فى غرب افريقية وجنوبها ، يتبين لنا مدى السياسة الفدرالية التى حاولت بريطانيا تطبيقها هناك . ولكن النجاح فى ذلك قد صعب مناله فى الغرب ونجح الى حد كبير فى الجنوب .

وكان سيسل رودس — وهو أكبر بناة الامبراطورية البريطانية فى افريقية — يعتنق المبدأ القائل بأن الامبراطورية مسألة خبز وزبد . وفى سبيل مبدئه هذا ، أقام اتحادات اقتصادية عدة بين دول ومستعمرات الجنوب الافريقى ، ولم يتورع فى سبيل ذلك عن ارتكاب الضغط والارهاب والتهديد والحرب . واستطاع فى عام ١٨٨٩ م أن يعلن الاتحاد الجمركى بين مستعمرتى الكاب وأورنج ، ثم ضم مستعمرة باسوتولاند الى هذا الاتحاد سنة ١٨٩١ ، وضم مستعمرة بتشوانالاند سنة ١٨٩٣ ،وضم ناتال سنة ١٨٩٨ ، ولم يلق المتاعب الا فى محاولة ضم الترنسفال ، تلك المحاولة التى نجحت فى حرب البوير ..

ثم مرت فترة اتخذت فيها ، الخطوات النهائية كافة فى سبيل اتحاد

جنوب افريقية الذى أعلن تأسيسه ضمن نطاق الكومنولث البريطانى فى ٣١ مايو سنة ١٩١٠ ، مستهدفا حياة أفضل للجنس الأبيض ، والموت والشقاء للافريقيين .. !

الاتحاد ينهب جنوب افريقية

يتكون الاتحاد من مناطق راس الرجاء الصالح وناتال وأورنج والترنسفال بصفة أصلية ، كما يشرف الاتحاد على افريقية الجنوبية الغربية وكانت تابعة لألمانيا ، وكذا مستعمرات بتشوانالاند ، وباسوتولاند ، وسوازيلاند وكلها كانت تحت الحكم البريطانى منذ نشأتها .

ويتكون الجنوب الافريقى من هضبة حافتها الشرقية عالية الارتفاع (جبال دراكنزبرج) ، وغربها وجنوبها هضبة الفلد وصحارى كلهارى ، وتجرى هناك أنهار لمبوبو ، وأورانج ، والفال .. والجنوب الافريقى معتدل المناخ عامة ، غنى بالأراضى الزراعية الخصبة والثروات الحيوانية والمعدنية ،وتقوم فيه صناعات كبيرة عديدة . ففى رأس الرجاء : تقع سهول الكرو والفلد ، وتربى فيها الثروات الحيوانية (ماشية ونعام) ، كما يزرع الذرة والدخان بكميات استغلالية كبيرة ، وتزرع مساحات شاسعة بالكروم حيث تصدر الأنبذة الى انجلترا ومنها الى أسواق أوروبا ، كما تصدر منها أيضا كميات كبيرة من أخشاب الغابات ، وتوجد بها أعظم مناجم الماس فى العالم ، ويوجد النحاس بوفرة وبكميات تكفى الصناعات المحلية أيضا ويصدر فائضة الكبير الى الخارج . وأهم المدن كيب تاون المتصلة بداخل القارة بالسكك الحديدية ،وبورت اليزابيث على خليج الجو وهى من أكبر موانى تصدير الجلود وريش النعام ، وايست لندن لتصدير الحبوب ، وبورت نللث على مصب نهر الأورنج من أكبر موانى تصدير النحاس ، وكمبرلى أكبر واشهر مدينة لسلب الماس وتصنيعه وتصديره (٩٨ر٤٪ من انتاج العالم) .

وفى ناتال : حيث تخترقها جبال دراكنزبرج ، يزرع القصب بوفرة ، ويقوم بزراعته وتصنيعه عدد كبير من الهنود الذين أحضروا من بلادهم لعدم استطاعة التعاون مع السود من ناحية ، وللسياسة المرسومة لابعاد السود وحجزهم فى مناطق معينة من ناحية أخرى ، كما يزرع الشاى على مدارج الجبال ، وتزرع مساحات شاسعة بالفواكه ، وتعتبر ناتال من أكبر الأقاليم المنتجة للأناناس فى العالم ، كما يصدر منها البرتقال والموز والليمون والحبوب بأنواعها ، وتوجد بها المراعى والغابات حيث تربى الثروة الحيوانية وتستغل الثروة الخشبية ، وفى ناتال توجد مناجم الفحم الشهيرة فى المنطقة الواقعة بين دندى ونيوكاسل ، كما توجد بها أيضا مناجم الذهب .

أما اورنج : فمعتدلة المناخ جدا، ومراعيها جيدة ، ووديانها خصبة مغطاة برواسب الأنهار ،ويزرع فيها

القمح لتصديره ، كما تنتج أورنج ، وتصدر كميات كبيرة من الصوف والجلود واللحوم المحفوظة ويوجد بها الفحم والماس ، وأشهر مدنها بلوفونتين ، وأغلب الجنس الأبيض فيها من الهولانديين (البوير) ..

وفى الترنسفال : يكثر البوير أيضا، ويشتهر هذا الاقليم بوفرة انتاج مناجم الذهب والماس ، وتقع فيه مدينة جوهانسبورج الشهيرة ، كما تقع مدينة بريتوريا وسط مزارع شاسعة لانتاج الحبوب والدخان والفواكه والبن والساجو . وتصدر بعض محاصيل هذا الاقليم من ميناء لورنسو مركيز الواقعة على خليج دلاجوا . كما تنقل النسبة الغالبة من المحاصيل الى دربان فى ناتال أو الى كيب تاون حيث ترسل الى انجلترا رأسا .

أما المستعمرات الأخرى التى ندب عليها الاتحاد ، أو يشرف عليها سياسيا واقتصاديا « سوازيلاند ، وباسوتولاند ، وبتشوانالاند ، وافريقية الجنوبية الغربية » فكلها مراعى لتربية الثروة الحيوانية ومزارع لانتاج الحبوب والفواكه ، وتصدر الى انجلترا والأسواق الأخرى كميات هائلة من اللحوم المحفوظة والجلود والأصواف وريش النعام ، وكذلك الحبوب بأنواعها والفواكه والدخان..

اتحاد مفكك غير مستقر

ومنذ اعلان الاتحاد فى سنة ١٩١٠، وعدم الاستقرار هو الطابع المميز للسياسة الداخلية فى جنوب افريقية .. فثمة صراع مازال يأخذ مجراه بين البوير والانجلو سكسون من جهة ، وبين هؤلاء وأولئك والسكان الأصليين من جهة أخرى .

ويتميز اتحاد جنوب افريقية بظاهرة أساسية ، هى أن عنصر السكان الأصليين يكون الأغلبية فى تعداد الذين يعيشون هناك . ففى الولايات المتحدة مثلا ، يكون الزنوج عشر تعداد السكان ، وفى نيوزيلاند يوجد عشرون أوروبيا مقابل الفرد الواحد من السكان الأصليين «المورى». وفى كندا يوجد ثمانون أوروبيا مقابل كل هندى أحمر ، ولكن فى اتحاد جنوب افريقية هناك أكثر من ثلاثة من الزنوج مقابل كل مستعمر أبيض!

وحسب تعداد سنة ١٩٣٦ ،وكان هناك ، مليونان من البيض (٦٠٪ منهم من الهولانديين و ٤٠٪ من الانجلوسكسون) يقابلهم ٦٠٠ر٦٠٠ر٦ من السود . وقد ارتفعت هذه النسبة فى تعداد سنة ١٩٤٨ فأصبح عدد البيض حوالى ٦٠٠ر٦٠٠ر٢ يقابلهم حوالى ٥٠٠ر٥٠٠ر٨ من السود .

ولا يفوتنا أن نذكر أن السود الذين يعيشون فى اتحاد جنوب افريقية هم جزء من جنس «البانتو» الذى يعيش فى وسط القارة وجنوبها، ويقدر عددهم بحوالى ٢٢ مليونا . ويرتبط هذا الجنس بروابط اجتماعية وثقافية واحدة برغم كل التقسيمات السياسية الاستعمارية التى قطعت أوصال القارة ، مما يشكل خطرا داهما على المستعمر الأبيض ، سواء فى اتحاد جنوب

افريقية أو فى المستعمرات التابعة له أو فى كينيا وتنجانيقا وغيرها .

وهناك ظاهرة أخرى فى شأن سكان اتحاد جنوب افريقية ، هى أنهم غير متجانسين دائمو الصراع مع بعضهم البعض فهناك طبقة أخرى متوسطة تتكون من الملونين المخلطين من عناصر بيضاء وعناصر أخرى ، وهؤلاء يقدر عددهم بحوالى ٢ر١٠٠ر٠٠٠ ، ويرجعون فى أصلهم الى توالد السود والبوير القدماء . كما توجد طبقة أخرى بين الملونين والسود ، وهى طبقة الهنود الذين استقدمهم الملاك الانجليز فى أوائل القرن التاسع عشر ليعملوا فى مزارع القصب ، وقد بلغ عدد هؤلاء الهنود حسب تعداد سنة ١٩٤٨ ، حوالى ٨٥٠ر٠٠٠ .

سياسة التفرقة العنصرية ..

والتفرقة العنصرية هى السياسة الرسمية لحكومةاتحاد جنوب افريقية التى تقسم السكان وترتبهم ترتيبا هرميا على راس الأجناس البيضاء الذين يعتبرون السادة هناك ، ويتمتعون بكل الحقوق السياسية والاجتماعية ، ولا يحرمون من شىء ، ويباح لهم كل شىء . ويعقبهم الملونون الذين يستمتعون بنصف الحقوق السياسية ، فيباح لهم حق الانتخاب ولا يباح لهم حق الترشيح للبرلمان . ويليهم الهنود ، وقد حرموا من مباشرة الحقوق السياسية كلية ، كما حرمتهم حكومة مالان سنة ١٩٤٨ من حق تملك الأراضى الزراعية أو المناجم بشتى أنواعها ، ولايتميزون عن السود الا فى السماح لهم بحق مساكنة البيض فى أحيائهم .

أما السود فترسبهم الحكومة فى قاع هذا التقسيم الهرمى ، ويعانون أقصى ما يمكن لبشر أن يتصور من أشكال الظلم والعنت . ففضلا عن تقتيلهم ومحاولة ابادتهم بشكل منظم ، وفضلا عن التعذيب الوحشى والارهاب ، فان السياسة الرسمية التى تنتهجها الحكومة بسلطاتها كلها ، التشريعية والتنفيذيةوالقضائية تجرد السود أصحاب البلاد الشرعيين من كل حق من حقوق الانسان .

فمن الناحية السياسية ، حرمت الحكومة السود من مباشرة جميع الحقوق السياسية كحق الانتخاب أو الترشيح أو تولى الوظائف العامة بأى شكل لها .

ومن الناحية الاقتصادية ، حرمتهم الحكومة بقوة القانون من حق تملك الأراضى الزراعية أو المناجم ، كما حرمتهم أيضا من العمل كعمال فنيين ، وفى الوقت نفسه يحدد القانون اجور العمال السود بالنسبة لأترابهم من العمال البيض ، حيث يتحصل العامل الأبيض على أكثر من خمسة اضعاف مايتحصل عليه العامل الأسود الذى يقوم بالعمل نفسه .

ومن الناحية الخلقية ، فقد خصصت الحكومة أحياء سكنية للسود وحرمت عليهم أن يساكنوا البيض فى أحيائهم . كما حرمت عليهم أيضا أن يستعملوا طرق المواصلات الخاصة بالبيض ، بل وحرمت عليهم أيضا ، الدخول الى دور

السينما والمطاعم المخصصة للبيض وحدهم .

ومن الناحية الجغرافية ، أصدرت الحكومة فى سنة ١٩٣١ قانونا بتخصيص « مناطق احتجاز » على جانبى الاتحاد فى المناطق الواقعة على الجانب الشرقى فى مواجهة المحيط الهندى ، وفى المناطق الواقعة فى الجانب الغربى للاتحاد فى مواجهة صحراء كلهارى . وقد حشرت هذه المناطق بعدد كبير من السود ، وحرم عليهم الخروج منها الا بتصريح خاص تمنحه السلطات الادارية . ويبلغ عدد السود المحتجزين فى هذه المناطق حوالى ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ فى حين أن مساحتها الكلية لا تتجاوز ٧ ملايين فدان . ولذلك فان هذه المناطق تعتبر من اكثر جهات افريقية كثافة فى السكان . وقد حاولت حكومة سمطس أن تشترى لحساب هذه المناطق بعض الأراضى المجاورة لها ، فباءت محاولتها بالفشل حين رفض الملاك البيض بيع ممتلكاتهم الزراعية ، ومازال السود المحتجزون يعانون الفقر والضيق ..

ولم تكتف حكومة اتحاد جنوب افريقية بهذه المعاملة المزرية للأجناس السوداء ، بل وقسمتهم أيضا الى طبقات ثلاث ، أولاها طبقة المحتجزين الذين سبق ذكرهم ، وثانيتها طبقة العمال الزراعيين الذين يعملون فى المزارع الأوروبية نظير أجور بسيطة لا تكفى اشباع الحد الأدنى لحاجات الانسان الأساسية ، وثالثتها طبقة العمال غير الفنيين الذين يعملون فى مناجم المعادن النفيسة والمصانع فى مختلف مدن الاتحاد .. ويعمل هؤلاء العمال بعقود لا تتجاوز ٣ شهور حتى يتمكن أصحاب العمل (البيض) من الاستغناء عنهم بسهولة . ويعيش هؤلاء العمال فى معسكرات لا يبرحونها بعد انتهاء العمل ، ويضطرون الى الانعزال عن العالم طوال مدة العقد .

والجدير بالملاحظة ، أن العمال البيض فى اتحاد جنوب افريقية من أشد دعاة سياسة التفرقة العنصرية ، ويخشون خطر منافسة العمال السود لرفع أجورهم أو تحسين أحوالهم ، واشترك العمال البيض اشتراكا فعليا منظما مع قوات البوليس فى قمع هذه المحاولات بقسوة وشدة ..

وبعد ..

فان السياسة التى تتبعها حكومة اتحاد جنوب افريقية تقوم بصفة أصلية على استنزاف ثروات الجنوب الافريقى ، الزراعية والحيوانية والصناعية والتعدينية .. وهى فى هذا السبيل تريد أن تدعم الاحتكارات الاقتصادية التى تقوم بسلب هذه الثروات ونهبها ، ولو أدى الأمر فى النهاية الى الافريقيين السود .. أصحاب البلاد الشرعيين .. ولكن هيهات .. !

التكالب الاستعماري على افريقية

دكتور جلال يحيى

شهدت القارة الافريقية تغييرات كبيرة فى المائة عام الأخيرة ، وتتابعت عليها الأحداث فى سرعة وقوة ،ووقفت هذه القارة وقفة ثابتة أمام هذه الموجات التى حاولت اجتياحها ،وأثبتت بذلك أن لها من الحيوية ما يؤهلها للحياة ، بل لانتزاع حقوقها من أيدى كل مغتصب أثيم .

ويمكننا أن نقسم هذه الفترة التاريخية الى مراحل ،نظرا لما تميزت به كل منها من ألوان وأحداث خاصة من جهة ، ولحركات رد الفعل الذى تسبب عن هذه الأحداث من جهة أخرى .

كانت افريقية فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر تختلف عنها فى السنوات السابقة لاعلان الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وعنها فى الفترة الواقعة فيما بين الحربين العالميتين ، ثم ظهرت بشخصيتها المتميزة القوية ، ككتلة صلبة ، بل كمارد بدأ فى اليقظة ،منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فلنأخذ هذه المراحل الواحدة تلو الأخرى ، ونحاول رسم صورة للقارة الافريقية فى كل منها .

* * *

كانت افريقية قد قامت بنصيبها فى حركة الكفاح الذى وقع بين الشرق والغرب ، بل يمكننا أن نقول بين الاسلام والمسيحية ، أو بين العروبة والاستعمار ،منذ نهاية القرن الخامس عشر ، اذ أن العرب كانوا قد توغلوا فى هذه القارة شرقا وغربا وبين شمال وجنوب ، وحملوا معهم اسلامهم وايمانهم ومثلهم العليا وهم يسيرون فى هذه الطريق الطويلة الى جوار قوافلهم المحملة بالتجارة ، فكانوا أصدق سفراء للدين الحنيف ،وأقوى حملة للحضارة والمدنية فى هذه القارة العذراء ، ولم يجبروا الأهالى على اعتناق دينهم ، بل تركوا الأفارقة أنفسهم يكبرون أخلاقهم وعاداتهم ، وايمانهم وصدقهم ووفاءهم ، ويعلمون أن هذه صفات الاسلام والمسلمين . فترك الأفارقة أصنامهم وآلهتهم التى لاتغنى ولاتنفع ودخلوا فى دين الله أفواجا . فأخذت كثير من مناطق هذه القارة لونها الإسلامى دون أن تفرط فى افريقيتها ، ونشأت اجيال جديدة تعتز باسلامها مثل اعتزازها بعروبتها وبافريقيتها ، أخلاق اسلامية ،وصدق ايمان عربى، ودماء جديدة ،وقوة عضلات برونزية، وكان فى استطاعة من يذهب الى افريقية فى هذه العصور أن يشهد انتشار هذا كله من الشرق ومن

الشمال الى ما وراء خط الاستواء . موجات سلمية قوية وفدت على القارة العذراء واستجاب لها الوطنيون ، بل وامتزجوا بها وأصبحوا جزءا منها ، وشهد لها أعداؤها بالقوة والعظمة حتى الآن .

ولكن ظهور حركة النهضة الأوروبية كان عاملا من العوامل التى دفعت سكان غرب أوروبا الى محاولة انتزاع التجارة العالمية من أيدى سكان الشرق الأدنى العربى ، والاسلامى . وبدأ التجار الغربيون يفكرون فى الوصول الى ثروات الشرق الأقصى عن طريق السير بسفنهم الى الغرب ، أو الملاحة حول القارة الافريقية . فاكتشفوا القارة الأمريكية فى رحلاتهم الأولى . وبدءوا فى اقامة نقط ومراكز ، بل قواعد بحرية على طول السواحل الافريقية ، فبدأ الاستعمار والاستغلال .

احتاج الغربيون لهذه القواعد لتموين سفنهم بالمياه والمأكولات الطازجة فى رحلاتهم الطويلة ، واحتاجوا اليها كمراكز للحصول على موارد الأقاليم المحيطة بها من ثروات افريقية ورجال افريقيين يرسلون بهم الى حقول القطن وقصب السكر فى العالم الجديد ، والتى لا يمكن للأوروبيين أنفسهم أن يتحملوا حرارة الشمس المحرقة فيها . فكانت هذه القواعد المتناثرة على طول السواحل الافريقية هى المستعمرات الأسبانية والغربية الأولى . وظهر الفرق واضحا جليا بين اندماج العرب والمسلمين مع الأفارقة من ناحية ، وبين من جاءوا لاستعباد الشعوب واستغلالها من ناحية أخرى .

وبرغم قوة الدافع الاقتصادى فى هذه العملية الاستعمارية ، وظهور أهميتها الاستراتيجية الا أن الغرب قد حاول اعطاء لون حضارى ودينى لهذه الحركة الاستغلالية ، فبئس ماعملوا . لقد ادعوا أنها حركة صليبية موجهة ضد خطر الاسلام فى الأجزاء الشمالية من القارة عليهم فى أوروبا ، وكانت المسيحية السمحة بريئة من حركتهم كل البراءة . وحاولوا اقامة محالفات مع بعض الدول والممالك المسيحية الافريقية ودفعها الى معاداة القوى العربية والاسلامية تفريقا للمعسكر الاقليمى وتمهيدا لفرض نفوذهم على القارة بعد أن تنقسم على نفسها ، وتهيىء الطريق للقادمين الجدد . ولم يتورعوا عن ارسال الهدايا لكنائسهم فى روما ومدريد ولشبونه ، وعن أن يطلبوا الى الكنائس الغربية مباركة حركتهم .

ولكن الأفارقة شعروا بقوة هذا الغزو وخطورته ، وتأكدوا من انه لا يتصل بالدين أى اتصال ، ففشلت خططهم فى القارة ، وقام بعض أبناء الكنيسة الغربية نفسها بفضح أعمالهم . وعلى أى حال فان ما يهمنا هو ظهور هذه القوى الجديدة ، أو تلك القواعد التى أخذت شكل المستعمرات على طول سواحل القارة الافريقية وتوغلها واتساعها صوب الداخل .

ولقد رحب كثير من الأفارقة بهؤلاء «البيض» فى أول الأمر وزودوا سفنهم بالمياه والمأكولات ومنحوهم

الهدايا وكل ما يحتاجون ، ولكن البيض أجابوا عليهم بطلقات نارية من بنادقهم أذهلت الأهالى وفرقتهم ، وواصل الأجانب صيد الافريقيين وشحنهم على سفنهم ، أسرى ورقيق ، للعمل فى العالم الجديد . وتشدق الغرب بعد ذلك بأن العرب هم تجار الرقيق فى افريقية ، ونسوا أو تناسوا هذه المناظر التى صحبت مجىء سفنهم وسفن أجدادهم الى سواحل هذه القارة تحمل معها الموت والدمار ، وتترك السواحل فى خراب وبؤس بعد قيامها بعمليات الصيد الآدمى .

وكان لهذه العمليات أثر كبير فى ابتعاد الأهالى عن الأوروبيين ، وفى محاولتهم تسليح أنفسهم بالأسلحة نفسها التى يحملها المعتدون .. فظهرت البنادق على أكتاف الأفارقة العرب وهم يسيرون الى جانب قوافلهم فى طرق افريقية ودروبها ، وأصبح هؤلاء التجار من أخطر الأفارقة على المغامرين والمستعمرين الأوروبيين ، وقاوموا الأسبانيين والبرتغاليين فى شمال القارة وغربها وشرقها . ووحدوا جهودهم وشعروا بأنها معركة واحدة لمنع الأجانب من النزول الى الساحل ، ولالقاء من يتمكن من الساحل ويتحكم فيه الى اليم ، ونجحوا فى مناطق كثيرة وبخاصة فى شمال القارة وشرقها .

* * *

هزلت قوى أسبانيا والبرتغال ونزلت هولندا ، ثم فرنسا وانجلترا الى الميدان الاستعمارى ، وتقدمت الأسلحة الأوروبية وزادت خطورتها على أبناء افريقية مع مرور الزمن . وساد التنافس بين فرنسا وانجلترا فى العالم الجديد ، والشرق ، ونمكن البريطانيون من الاستيلاء على مستعمرات فرنسا القديمة . ثم ساءت أحوال فرنسا وقامت بثورتها التى ختمتها بسيطرة نابليون . ونزلت فرنسا الى الميدان الاستعمارى مرة جديدة بعد أن عملت على فرض سيطرتها على أوروبا نفسها ، وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر . ولكنها جلت عنها بعد سنوات قليلة . فاتجهت أنظار فرنسا الى الساحل الافريقى المواجه لها على البحر الأبيض ، الى الجزائر التى اشتهرت بامكانياتها الاقتصادية وبخاصة فى انتاج القمح والحبوب اللازمة لقوات الفرنسيين . فرسم الفرنسيون أمر استيلائهم عليها ، واتخذوا لذلك الذرائع ، واستفادوا من الموقف الدولى فى عام ١٨٣٠ وأرسلوا قواتهم لاحتلالها . وبدأت بذلك صفحة جديدة فى تاريخ الاستعمار الأوروبى فى افريقية . انها بداية الامبراطورية الاستعمارية الثانية ، وتجربة لاحتلال قطر افريقى بأكمله دون الاكتفاء ببعض الموانى والقواعد البحرية .

ولقد جاهد أبناء الجزائر الأبرار ما وسعتهم قوتهم . وسجل لهم التاريخ سبعة عشر عاما مجيدة من الجهاد فى سبيل الله ، والوطن . ولم يلق الجزائريون السلاح الا للاستعداد لمعركة تالية أشد بأسا وقوة على المغتصبين المستغلين المتحكمين الأجانب . وان صورة جهاد

الجزائر ضد الاحتلال والاستعمار الفرنسى لصورة واضحة وصادقة لجهاد وكفاح الشعوب الافريقية ضد حركة الاستعمار الحديثة ، كل فى منطقته وبكل ما له من قوة وموارد .

استولت فرنسا على الجزائر وفتحت بذلك الطريق لتوسعها الاستعمارى فى شمال القارة وغربها ، وفتحت الطريق أمام الدول الاستعمارية الأخرى لاقتطاع أجزاء من جسد هذه القارة والتحكم فيها واستغلالها واستعباد أهلها الأحرار . وزادت هذه الحركة قوة مع تقدم الأسلحة الأوروبية ،وتصميم الأفارقة على الكفاح ، كما زادت انتشارا مع نمو الحركة الصناعية وتكدس رؤوس الأموال فى أوروبا ، فى الوقت الذى خضعت فيه افريقية لحرب اقتصادية منظمة .

* * *

تأتى الأسباب والمصالح المادية فى الصف الأول ، وقبل غيرها فى هذه الحركة الاستعمارية الجارفة الطاغية ذلك أن الصناعة الحديثة الكبرى لم تكن قادرة على زيادة انتاجها ، أو حتى على الاحتفاظ بنسبة الانتاج اذا لم تجد أسواقا جديدة تصرف فيها مصنوعاتها ، فأصبح من اللازم البحث عن عملاء جدد فيما وراء النطاق الأوروبى . وأكد جول فيرى أن الاستهلاك الأوروبى قد بلغ أقصى درجاته ، ولم يبق أمام الدول الأوروبية الا انتهاج سياسة التوسع الاستعمارى بحثا وراء عناصر مستهلكة جديدة ، وتأمينا على صناعتها من الارتباك أو الانهيار .

واعتمدت الدول الصناعية الكبرى فى أوروبا على كمية ضخمة من رؤوس الأموال ، بخاصة وان الصناعة كانت تعطى أرباحا أكبر وأسرع من الأرباح الصناعية ،ولم تجد هذه الأموال مجالا تعمل فيه ، أو يستثمره فيه أصحابها على القارة نفسها ، فكان هذا دافعا الى استثمارها فى بلاد جديدة تحتاج الى سكك حديدية ، والى تنمية وسائل الاستغلال الزراعى ، والى الخبرة الأوروبية الحديثة ، وقد يكون هذا الاستثمار مغامرة فى حد ذاته ، ولكنه أتى فى معظم الحالات بأرباح طائلة ، بخاصة وأنه قد حصل على « الحماية » اللازمة . ولقد دفعت الحاجة الى التوسع الاقتصادى والمالى الى توسع وغزو استعمارى ، وأدى ذلك بالتالى الى احتفاظ الدول المستعمرة لنفسها بأسواق تحت تصرفها .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك الحاجة الى المواد الخام . وكانت هذه القوة الجديدة واضحة فى رأس **ليوبولد الثانى** الذى حاول منذ أول عملياته الاستعمارية أن ينظم انتاج المطاط واستغلال المعادن ، ووضحت كذلك فى رؤوس بعض رجال الاستعمار الفرنسيين فى أثناء حرب الهند الصينية ،وكان الهولانديون قد أفادوا من ذلك فى استعمارهم السابق ، ولكننا نجد أن رجال الاستعمار قد نادوا بهذه الحاجة أقل من مناداتهم « بالأسواق » ، ويرجع ذلك الى أن الوسائل والطرق التى ساروا عليها فى استغلال الموارد الاقتصادية كانت بعيدة كل البعد عن النزعات الانسانية

التى ألف الأوروبيون سماعها والتحدث عنها .

وأخيرا فهناك الأسباب الاستراتيجية ، اذ أن التوسع الاستعمارى جاء نتيجة طبيعية لخطة الحصول على القواعد اللازمة لتأمين المواصلات ، وما تحمل من تجارة ومصنوعات ، كما أن الحصول على هذه القواعد سبب فى ازدهار الحركة الاستعمارية ، وكان هذا السبب من أقوى الأسباب لدى الانجليز بنوع خاص ، ذلك أن الأسطول البريطانى قد احتاج الى قواعد يلجأ اليها للتموين ، واصلاح السفن واتمام عملياته حتى يتمكن من السيطرة على الطرق البحرية الرئيسية ويعمل فى جميع البحار . وأكد **جول فيرى ،** الوزير الفرنسى حاجة بلاده لمثل هذه القواعد حينما أعلن فى سنة ١٨٨٥ أن السياسة الاستعمارية ضرورية لاعطاء البحرية قواعد تتزود منها السفن بما يلزمها ،وشرح ان فرنسا تحتاج الى تونس ومدغشقر لهذه ((**الضرورة**)) . وحينما أخذت ايطاليا فى التفكير فى شرق افريقية ربطت بين مشروعها وبين الحصول على قواعد بحرية على طول طريق الملاحة المؤدى الى المحيط الهندى عن طريق البحر الأحمر ،ومع ذلك فقد قام الأوروبيون بحركتهم التوسعية وهم يتحدثون عن ((**واجب الرجل الأبيض**)) فى جميع أنحاء العالم ، وأخفت الدول الأوروبية وراء ذلك رغبتها فى زيادة نفوذها وقوتها عن طريق استغلال الغير .

* * *

تهيأت أوروبا للانقضاض على افريقية ، ومهدت لذلك بتحطيم الاقتصاد الوطنى فى هذه القارة ، وبمنع وصول أى أسلحة وذخائر الى أيدى الأهالى ، تجريدا لهم من أسلحتهم أمام الغزو المنظم القادم ، وألبست كل ذلك لونا انسانيا ، مدعية أنها تحارب تجارة الرقيق فى افريقية ، وعمد المستكشفون الجغرافيون الى الكتابة عن افريقية ، وكأنها المصدر الوحيد للرقيق فى العالم ، وكأن هذه التجارة هى أهم صادراتها ، وأكدوا ازدهار هذه التجارة برغم كساد أسواقها واقفالها فى مناطق كثيرة من العالم وبخاصة فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية والهند . وملؤوا كتاباتهم بوصف القرى المخربة وشرحوا المعاملة السيئة التى لقيها أهالى افريقية على أيدى تجار الرقيق ، ثم ذكروا أن معنى وصول عبد واحد الى الساحل هو صيد عشرة فى داخل القارة ، يموت تسعة منهم فى أثناء السير ، ومن سوء المعاملة والجوع ، وأكدوا أن هذا الاقليم أو ذاك كان مزدهرا فى أثناء رحلتهم السابقة ، ثم عادوا ووجدوه خرابا نتيجة لعمليات صيد الرقيق !

ولا يمكن للمؤرخ المدقق أمام هذه الروايات أن يهمل اهتمام هؤلاء الرحالة بكتابة أشياء غريبة تلفت النظر وتسترعى الانتباه ، عن أهالى هذه المناطق ، وتهيىء الطريق لفتح القارة أمام الرجل الأبيض ونفوذه . اذ كان من الطبيعى أن تأخذ حركة تجارة الرقيق فى الكساد نتيجة لالغاء كثير من أسواقها .

وصرف هؤلاء الكتاب كثيرا من وقتهم ومن صفحات كتبهم فى وصف القسوة ، والوحشية التى تستخدم فى صيد الرقيق ،ولم يلتفت أى منهم لشرح علاقة السيد بعبده بعد شرائه له ، والمعاملة الطيبة التى أوصى بها القرآن المسلمين فى معاملتهم لمن ملكته أيديهم ، وحضهم على اعتاقهم ، وتطبيق المسلمين لهذه القواعد فى حياتهم مع من يملكون من رقيق .

وعلينا أن نعلم أن كتابات هؤلاء المستكشفين الجغرافيين قد مهدت وهيأت الرأى العام فى أوروبا للتدخل فى شئون مناطق معينة من القارة الافريقية ، والسيطرة عليها بالتالى ، باسم الانسانية ،برغم وضوح العوامل الاقتصادية التى دفعت بالدول الأوروبية للقيام بهذا العمل ، وفى تلك الفترة من التاريخ بالذات . وعلينا أن نعلم أيضا ، أن كتابات القناصل الأوروبيين فى البلاد الشرقية قد ادعت ازدهار تجارة الرقيق ونموها من فترة لأخرى ، دون سبب واضح الا أن بلادهم قد قررت فرض سلطتها على هذه البلاد الشرقية ، متذرعة بتجارة الرقيق ، أو قررت على الأقل البدء فى التدخل فى شئونها وتهيئة الجو المناسب لخلق مناطق النفوذ ثم المستعمرات ، والقيام بالتالى باستغلال موارد هذا الاقليم .

ولا يعنى هذا أبدا أن تجارة الرقيق لم تكن موجودة فى افريقية ،بل كانت موجودة ، ولكنها لم تتخذ الصورة التى أعطاها لها الكتاب الأوروبيون ، ولم تزدهر تلقائيا دون سبب ظاهر، بل اتخذت الدول الأوروبية ذلك سببا ومدعاة للتدخل فى الأقطار العربية ،أو الاسلامية أو الافريقية ، متمسحة فى الانسانية ، ومرتدية ثياب القديسين الأوائل .

ولم يكن من السهل القضاء على تجارة الرقيق فى بضع سنين وبخاصة أن هذا النظام قد ارتبط بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، اذ أن هذه التجارة كانت مورد رزق للسلطات ولتجار القوافل العرب ورجال المال أيضا ، ولكن الدول الأوروبية أعطت نفسها حق محاربة تجارة الرقيق واستخدمت هذا السلاح لكى تقضى على أسس الاقتصاد فى البلاد التى عقدت النية على احتلالها .

بدأت الدول الأوروبية فى تطبيق هذه السياسة واعتمدت على أساطيلها وقطعه السريعة الحركة وفرضت الحصار على سواحل افريقية، وكانت هذه السفن تقف فى أماكن محددة ، وتقوم بالمرور من وقت لآخر أمام السواحل . وتمكنت الدول الأوروبية ، وبخاصة بريطانيا ، من عقد معاهدات مع السلاطين المحليين، بدعوى محاربة تجارة الرقيق ، وتسمح لها بالتدخل فى الملاحة الوطنية . فأصبح لسفن الأسطول البريطانى الحق فى زيارة وتفتيش ومصادرة واتلاف السفن العربية والافريقية التى تعمل فى هذه التجارة، وكان من حق قباطنة السفن الحربية البريطانية تقديم السفن المصادرة للمحاكمة أمام **محاكم الأميرالية** ، فى القواعد الحربية البريطانية .

وتمتع البريطانيون وبقية الأوروبيين بنفوذ كبير نتيجة لهذه العمليات .

ونظرا لصعوبة أسر السفن العربية والافريقيـة فى اعالى البحـار ، فان القطع الحربية الأوربيـة كانت تعلن خروجها على القانون ، وتنفذ الحكم عليهـا ، أى تتلفهـا وهى فى أعـالى البحار ، وتعود ببحارتها لمحاكمتهم ، وتأسر كل من يسافر عليها ، وترسل بهم الى مؤسسات خاصة فى الهند ، أو تسلمهم لرجال التبشير وتهيئهم للخدمة عند الأوروبيين .

ولا يخفى ما فى هـذا الاجراء من اعطاء سلطات واسعة لرجال البحـر الأوروبيين تسمح لهم بالتصرف فى كل سفينة يعلنون أنها تعمل فى تجـارة الرقيق ، مما يتسبب فى القضـاء على كل سفن العرب ومصادرة أو اتلاف جزء كبير من تجارتهم البحرية، بدعوى وجودها على سفن تعمل فى تجارة غير مشروعـة . وترتب على ذلك بطبيعة الحال انهـاك التجـار العرب والافريقيين اقتصاديا ، ولم يكن للعرب أى حق لاستئناف الأحكام التى تصدر ضدهم ، ان سـاعدهم الحظ على العودة أحياء الى الساحل وتقديمهم للمحاكمة . واذا ما وجـد الأوروبيون بعض العبيد على السفن، فانهم كانوا صيدا حلالا لهم ،يدربونهم على العمل فترة من الزمن ، ويعلنون تحريرهم ، ويستغلونهم فى الزراعة ، دون دفع أى ثمن لهم بطبيعة الحال ، اذ أنهم قد أصبحوا أحرارا . !!

أما بالنسبة لأصحاب الرقيق فانهم كانوا قد استغلوا جـزءا هاما مـن رأسمالهم فى شراء « الأيدى العاملة» التى تسـاعدهم فى الزراعـة والرعى والتجارة ، ورتبوا أمرهم على اطعامها فيما بعد ، وكان معنى تحرير الرقيق هو القضاء على هذا الجزء الهام من رأس مالهم ،واضعافهم أمام المستعمر أو المستوطن الأوروبى ــ وعلى الرغم من أن هذا العتق لن يغير كثيرا من الحالة المادية لهؤلاء الرقيق . وهكذا يخسر الملاك العـرب والأفارقـة ولا تتغير حال الافريقيين الكادحين . أما الأوروبيون فيمكنهم اسـتخدام الافريقيين نظير أجور يومية زهيدة ، بدلا من تخصيص جزء كبـير من رأسمالهم « لشراء » الأيدى العاملة. فيسـمح لهم ذلك بالتفـوق على الافريقيين دون عناء كبـير ، ودون النزول الى ميـدان الاسـتعمار والاستيطان برأس مال كبير ،خصوصا وأن أساليبهم ووسائلهم فى الانتـاج والاسـتغلال كانت متفـوقة على أساليب الافريقيين ووسائلهم .

ذلك هو الجانب الاقتصادى الذى استخدمتـه الدول الاسـتعمارية الأوروبية لتحطيم الاقتصاد الافريقى تمهيدا لنزولها فى الميدان الاستثمارى والاستغلالى ، دون أن تلقى مقـاومة تذكر ، سواء من سفن الافريقيين أو من قوافلهم فى الداخل ، أو حتى من منـافستهم الاقتصـادية . وأردفت ذلك بقرار حظـر تصـدير الأسلحة النارية والذخائر الى افريقية ،تجريدا القوى الوطنية من كل سلاح للمقاومة وطبقت الدول الاسـتعمارية هـذه الخطة باسم المدنية والانسانية ،وهى مرتدية ثياب القديسين .

اتخذ نشاط الدول الأوروبية شكل « **التكالب** » على **المستعمرات** . وازدادت هذه الحركة شدة وقوة حتى بلغت التناحر ، وقامت بريطانيا بمحاولة لضم جمهورية **الترنسفال** سنة ١٨٧٧ ، ولكنها اضطرت الى الاعتراف باستقلال هذه الدولة بعد **ثورة البوير** في سنة ١٨٨٠ ، واحتفظت لنفسها بحق الاشراف على سياستها الخارجية وادارتها ، وانزلت بريطانيا قواتها سنة ١٨٨٢ في منطقة قناة السويس ، وعملت على قمع الثورة الوطنية المصرية ، وسيرت جيوشها الى القاهرة بدعوى العمل على حفظ الأمن والنظام وتدعيم سلطة الخديوى المزعزعة ، وكانت تعمل في حقيقة الأمر على تدعيم مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في هذه المنطقة الهامة وما يتبعها من امبراطورية افريقية كبيرة غنية ، وصحب هذه العملية نزول البريطانيين في **النيجر الأدنى** — وتلاها في سنة ١٨٨٥ نزول البريطانيين في شرق افريقية .

أما فرنسا فانها قد توغلت في النيجر من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٣ ، ثم قامت باحتلال **اوبوك** في بلاد الصومال في هذه السنة الأخيرة ، وأعلنت حمايتها على مدغشقر في عام ١٨٨٥ . وأما ايطاليا فانها قد أحتلت ميناء **عصب** في البحر الأحمر منذ سنة ١٨٧٩ ، ثم احتلت مصوع سنة ١٨٨٥ ، واتخذتها قاعدة لانشاء مستعمرة **أرتريا** .

وأخيرا فان ألمانيا قد نزلت الى الميدان الاستعمارى بعد أن رضخ بسمارك لضغط رجال الأعمال الألمان في سنة ١٨٨٤ . فنزل الألمان في ابريل من هذه السنة في جنوب غرب افريقية ثم في الكميرون ، ثم في شرق افريقية والى الجنوب من منطقة النفوذ البريطاني . وكان من الطبيعي أن تنشأ الخلافات بين الدول الأوروبية في هذا التكالب الاستعمارى ، ولو أن هذه الخلافات لم تبلغ درجة الصدام في ذلك الوقت ، ولكن التنافس الأوروبي الاستعمارى وصل الى درجة جديدة في افريقية الوسطى ، وعلى حوض الكنغو الذى كان مجالا لنشاط « **الجمعية الدولية للكنغو** » ، التى أسسها **ليوبولد** الثانى ملك البلجيك ، والذى اشتهر في التاريخ بأنه رجل أعمال استعمارى ، علاوة على كونه رجل دولة ، وكانت الجمعية قد توصلت فيما بين عامى ١٨٧٩ و١٨٨٢ ، وبمجهود **استانلى** الذى عمل فيها ، على انشاء نقط ومحطات عسكرية في كل المنطقة الواقعة بين البحيرات الاستوائية وممتلكات الدول الأوروبية الأخرى على الساحل ، اصبحت الملكية الفعلية للجمعية على حوض الكنغو ثابتة ، على الرغم من أن وصولها الى هذه المناطق كان صعبا ، وبخاصة أن الفرنسيين كانوا قد احتلوا الأراضى الواقعة الى الشمال من مصب هذا النهر ، بينما احتل البرتغاليون الأراضى الواقعة الى جنوبه ، وجاءت بريطانيا لكى تؤيد البرتغاليين في سنة ١٨٨٤ .

ولقد انتهزت ألمانيا هذه المسألة واقترحت تسوية عامة للمسائل الافريقية ، وأعلنت معارضتها لتحكم أى دولة بمفردها في مصب نهر الكنغو ، وطالبت بضمان حرية التجارة في كل الأقاليم الافريقية القريبة من المحيط الأطلسى . وعمد **بسمارك** بذلك الى خلق سابقة ، ووضع أسس نظام استعمارى جديد لا يسمح للدول المستعمرة باحتكار المصالح والثروات . وكان هذا يسمح لألمانيا بجنى ثمار ما زرعه الآخرون ، وحاولت السياسة الألمانية أن تصل

الى اتفاق مع فرنسا على هذه الأسس منذ شهر أبريل سنة ١٨٨٤ . ووافق **جول فرى** على مبدأ المفاوضة ، ولكن على أساس اشتراك انجلترا فيها ، فتطور الأمر بالتالي الى ((**مؤتمر**)) وضع أسسه كل من الألمان والفرنسيين . واجتمع هذا المؤتمر فى برلين من نوفمبر سنة ١٨٨٤ حتى فبراير سنة ١٨٨٥ وظهرت خلافات كبيرة من وجهات نظر الفرنسيين والألمان ، ولكنها لم تؤثر على اتمام أعمال المؤتمر ، واعترفت ((**الاتفاقية العامة**)) التى أنهت المحادثات بدولة ((**الكونغو الحرة**)) التابعة لملك البلجيكيين دون أن يقرر ذلك ضم هذه الدولة لبلجيكا ، كما فرضت على كل دولة ترغب فى الاستيلاء على أرض فى افريقية الوسطى أن تبلغ ذلك للدول الأخرى ، وأن تقوم باحتلال المنطقة احتلالا فعليا ، وبشكل يمنع أى دولة ترغب فى سبق منافسيها من اعلان ضم أى مناطق ليس لها عليها سلطة فعلية . وقررت الاتفاقية العامة حرية التجارة فى كل المنطقة المعروفة باسم حوض الكنغو ، والتى تزيد مساحتها كثيرا عن مساحة الحوض الجغرافى لهذا النهر ، اذ أنها تمتد من ساحل افريقية الوسطى المطل على المحيط الأطلسي حتى ساحل افريقية الشرقية المطل على المحيط الهندى ، وفيما بين الزمبيزى وجنوب الحبشة. وكانت حرية التجارة تتطلب أيضا حرية الملاحة فى نهر الكنغو وفروعه ولكل السفن من أى الجنسيات ، وتتطلب عدم دفع أى رسوم على البضائع المستوردة ، والمساواة فى الحقوق ، من الناحية الاقتصادية بين كل الأوروبيين الذين يفدون للمغامرة فى هذه المناطق .

وهكذا توصلت الدول الأوروبية لأول مرة الى وضع مبدأ ((**الاستغلال الاقتصادى للجميع**)) فى النطاق الاستعمار . وكان هذا يمنع التنافس الدولى فى هذه المنطقة ويقيم تسلطا أوروبيا موحدا على هذا الجزء الغنى من القارة العذراء ، ولقد كانت قرارات مؤتمر برلين أسسا بنى عليها نظام الاستعمار والاستغلال والاستنزاف للقارة الافريقية دون أن تتطاحن الدول الاستعمارية فيما بينها ، وان كانت قد أخذت تعدو وتتكالب للحصول على أراضى غيرهم — أراضى الافريقيين .

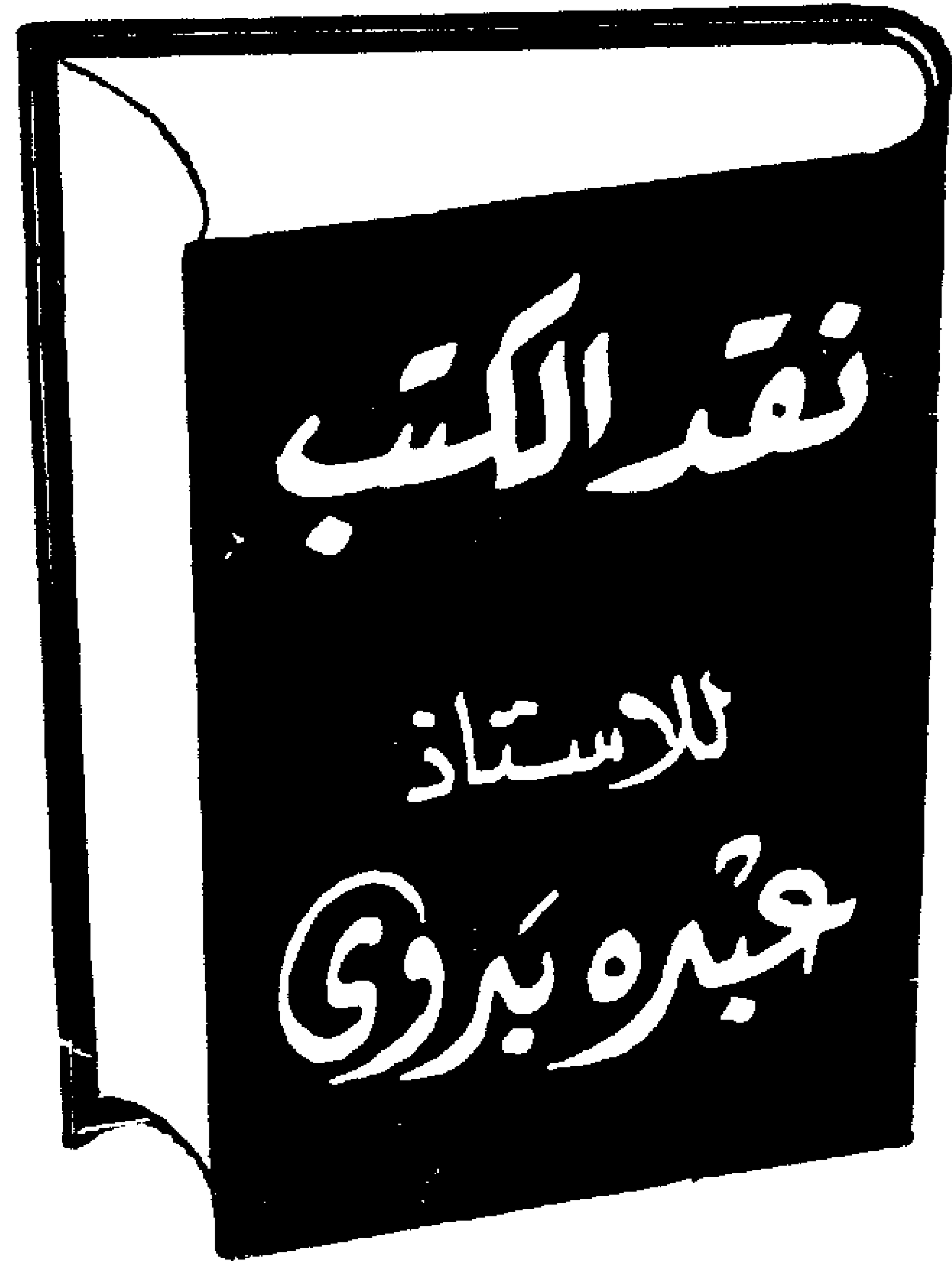
* * *

وأخيرا فيجب علينا أن نشير الى أن هذا النزول الى الميدان الاستعمارى ، وما تلاه من تقسيم القارة الافريقية الى مناطق نفوذ تمهيدا لتحويلها الى مستعمرات محتلة ، ومناطق تستغل لخدمة مصالح الأجانب وجيوبهم قد أيقظت الافريقيين ، ودفعت بهم الى الجهاد والعمل على الاحتفاظ بالاستقلال والعزة والكرامة .

فقامت حركات التحرير فى شرق القارة وغربها وفى شمالها وجنوبها ، وحمل الأفارقة أسلحتهم البدائية وهبوا للدفاع عن بلادهم ضد الغزاة الوافدين . ساروا صفوفا متراصة لكى يقابلوا رصاص المستعمرين وقذائف مدفعيتهم ، مستعذبين الموت فى سبيل بلادهم ، ومضحين بالنفس والنفيس لكى يحافظوا على حريتهم وحرية أبنائهم .

وكانت قوة ايمانهم أشد بأسا من رصاص المستعمرين الأجانب . فى كثير من المعارك .

وليست حروب المهدية فى السودان ومعارك محمد بن عبد الله حسن فى الصومال وماء العينين فى موريتانيا وغيرهم .. وغيرهم .. من رجال افريقية بعيدة . والذكرى تنفع المؤمنين .



مما لا شك فيه أن أية نهضة حديثة لابد أن تكون وثيقة الجذور بكل النهضات السابقة لها وبخاصة فى ميدان الثقافة . فالقارىء العربى اليوم يتلمس فى طريق الوعى الجديد هذا العالم الضخم القديم من الثقافة كرصيد ، وكطاقات دفع تساعده على الابداع ، وعلى التعمق .

فنحن ممن يقولون بأن لنا ماضياً مشرفا ، واسهاما حقيقيا فى قطاعات الثقافة كلها ، وأن أى انطلاق حقيقى لابد أن يكون على هذه «الأرض القديمة» من الثقافة العربية، فما نشاهده الآن من الضحالة والأفول فى ميادين الفكر ليس الا نتيجة طبيعية لهذه العملية من الانفصال التى تمت بين كثير من مفكرينا ، وماضيهم ، وعدم الصبر على هذه الألوان الفكرية التى مهما قيل بعدم ملاءمتها للعصر الحديث الا أنها الجذور الطبيعية لثمرة الفكر الطيبة . ومن العجيب أن نؤمن بكثير من قضايا الفكر اليونانى، ونعتمد عليه فى كل دراسة حديثة مع ثبوت خطئه على مرور الزمن ، ولا نؤمن بالقيم المضيئة الباقية فى تراثنا القديم خوفا من القول بعدم مواكبة الفكر الأوروبى ، واعجابا بالبريق السريع الذى لا يحتاج الى جهد ،ومن هنا ترانا ندعو المشرفين على الرسائل العامية فى الجامعات الى الاهتمام بالمراجع العربية القديمة بهذا الحماس الذى نبذله للمراجع الأجنبية، فالمشاهد الآن فى الأبحاث العلمية — وبخاصة تلك الأبحاث التى تتصل بالقضايا العربية — الضحالة ،وعدم التعمق الخوف الكامن فى النفس من المراجع القديمة التى لم تنل الى الآن ما تستحقه من التحقيق ، والتيسير ، والدراسة ، والفهرسة ، ومن هنا يأتى دور ادارة احياء التراث التى تعمل كجزء من جهاز وزارة الثقافة والارشاد القومى .

وهذا ما يدعونا الى النظر فى أحد كتبها الذى صدر عنها من مدة كبيرة وهو كتاب ((**سيرة الحبشة**)) تأليف ((الحيمى الحسن بن أحمد)) ، وبتحقيق الدكتور ((**مراد كامل**)) الذى صدره بمقدمة كبيرة بلغت خمسا وثمانين صفحة .

وقد تعرض فيها المؤلف لأهمية هذا النص فذكر لنا أن بلاد اليمن ترتبط بالحبشة منذ أقدم العصور، هذا الارتباط الذى مزج كثيرا من السكان تبعا للعوامل ، والظروف . فهجرة سكان اليمن ، وحضرموت الى الحبشة ما زالت تتوالى الى الآن ،

ومما يؤكد قدمها تلك الكتب ، والنقوش المتوافرة الآن لكل الباحثين، وقد كان من أقوى هذه الصلات بين البلدين انتشار الدعوة الاسلامية ، وبرغم أن الكتب العربية القديمة لم تلق الضوء الكافى على هذا النوع من الصلات الا أن كتاب « **سيرة الحبشة** » الذى نتعرض له قد أجاب على كثير من الأسئلة التى تهم الباحث عن هذه الصلات بين البلدين فى القرن الحادى عشر الهجرى « فهذه الرسالة تقدم لنا مثالا عن اتزان العقل ، والأمانة العلمية عند أحد كتاب العرب ، الذى بالرغم من الظروف الدينية التى كانت هى السبب فى قيامه بمهمته فى الحبشة ، والتى كانت تحتم عليه أن يرى الأشياء من زاوية خاصة ، فقد أمكنه أن يتحلل من كل هذا ، ويرى المسائل مجردة من كل تعصب أو تحيز فيصف لنا مشاهداته فى الحبشة وصفا علميا صحيحا لا تشوبه شائبة، بعقلية قاض عادل نزيه ، وعالم مدقق خبير ، وقد حمله نظره المجرد الى الأشياء أن يصل الى استنتاجات قويمة تدل على تحقيق ، ومعرفة بالأمور ، وان ما وصل اليه من فهم نفسية شعوب الحبشة ، وأخلاقها مدة اقامته القصيرة بينهم يعتبر دليلا على حسن فهمه للأمور ،وثاقب نظره، وان خاصية الأحباش المحافظة جعلتنا نتحقق اليوم من النتائج التى وصل اليها « الحيمى » كاتب هذه الرحلة منذ ثلاثة قرون » .

والعثور على هذه المخطوطة يرجع الى هذا الجهد الذى قام به الدكتور « **خليل يحيى نامي** » حينما سافر فى عام ١٨٩٢ على رأس بعثة مصرية لتصوير مخطوطات اليمن فقد طلب منه الدكتور « مراد كامل » البحث عن هذه المخطوطة هناك ، وقد وفقت البعثة الى العثور على نسخة منها فى مكتبة القاضى « لطف محمد الحيمى » ، وصورتها . فهى تقع فى اثنتين وأربعين ورقة مقاسها ٢٢×١٦ سنتيمترا ، وتاريخها يرجع الى عام ١٠٨٣ هـ ، وتفضل المخطوطة الموجودة فى مكتبة « ليدن » التى رجع اليها فى التحقيق كذلك ، وتحتفظ ببعض الظواهر اللغوية اليمنية كالخلط بين الظاء والضاد ، وكتابة الكلمة بالظاء مرة ، وبالضاد مرة أخرى فى الصفحة نفسها مثل « الضيافة ، والظيافة » ، وككتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة أحيانا ، وكتابة الألف المقصورة ألفا ممدودة .

أما ترجمة المؤلف كما وردت عن البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضى العلامة شيخ الاسلام « محمد بن على الشوكانى » فهى كالآتى :

« الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفى الجمالى اليمانى المعروف بالحيمى .

أحد أعيان دولة الامام المؤيد بالله ابن القاسم ، واخيه الامام المتوكل على الله ، وهو من أكابر العلماء ، وأفاضل الأدباء ، وكان يقوم بالأمور العظيمة المتعلقة بالدولة ، ثم يشتغل بالعلم درسا وتدريسا ، وكان يوجهه الامام المتوكل على الله فى المهمات لفصاحته ورجاحة عقله ، وقوة تدبيره . فمن

جملة ما بعثه اليه من المهمات ارساله الى حضرموت ، لما وقع الاختلاف بين السلاطين آل كثير . فقام بالأمر أتم قيام ، وصلحت الأمور بحميد رأيه ، وجميل عنايته .

ووجهه أيضا الى سلطان الحبشة لما وصلت اليه منه كتب تتضمن رغوبه في الاسلام ، ويطلب وصول جماعة من آل الامام اليه ليسلم على أيديهم . فتوجه في نحو خمسين رجلا ، وركب من بندر « المخا » ، ثم توجه من هنالك ولاقى مشاقا عظيمة ، واستمر في الطريق سفرا واقامة نحو تسعة أشهر فوصل الى سلطان الحبشة في يوم عيد للنصارى ، فدخل على السلطان ، لابسا شعار الاسلام من الثياب البيض ، وكان السلطان غير مريد لما أظهره في كتبه من الرغوب في الاسلام ، بل معظم قصده المراسلة ، كما يفعله الملوك وأنه يريد اصلاح الطريق .

فلما استقر صاحب الترجمة في مدينة السلطان أضافه وأكرم أصحابه ، وأراد أن يخلع عليه خلعة حرير خالص ، وسوارين من الذهب فقال له : **هذا لا يحل في شريعتنا .**

وكان لصاحب الترجمة في تلك البلاد صولة عظيمة ، حتى كان اصحابه يبطشون بالنصارى اذا تعرضوا لهم ، ويضربونهم . وشاع عند الحبشة أن العرب الذين هم أصحاب المترجم له يأكلون الناس ، فزادت مهابته في صدورهم ، وكان أعظم معين على ذلك البنادق التي لا يعرفها أهل الحبشة اذ ذاك ولولا هي ماقدروا على مرور الطريق فانهم كانوا ينصبون عليهم كالجراد ، فيرمونهم بالبنادق فيقتلون منهم ، وينهزمون ، ويفزعون لأصواتها وتأثيرها .

ثم لما يئس صاحب الترجمة من اسلام السلطان طالبه بالاذن له بالرجوع الى ديار الاسلام ، فتثاقل عنه ، ثم بعد حين أذن له ، وكان لا يصحو من شرب الخمر ، فعين له وقتا يصل اليه للوداع ، وترك شرب الخمر في ذلك اليوم ، وجمع وزراءه ، وأمراءه ، وأعيان دولته ، فأمر صاحب الترجمة أصحابه أن يرموا بالبنادق عند وصولهم الى باب السلطان كما يفعله أهل اليمن ، ويسمون ذلك « تعشيرة » .

فلما سمع السلطان أصوات البنادق هرب من ايوانه ، وهرب الوزراء ، وسائر أصحاب السلطان . فدخل صاحب الترجمة الدار ، ثم بعد ذلك عاد السلطان الى مكانه ، وأخذ في أهبة توجيهه الى بلاد الاسلام .

وكان جملة بقائه لديه ثلاث سنين (كذا) ورجع الى حضرة الامام سالما .

ثم قدم لنا الأستاذ المحقق فصلا ممتعا عن علاقة الحبشة بالعالم الخارجي فذكر أن الحبشة كانت من أقدم العصور سوقا تجارية هامة ، وكان الرقيق من أهم ما يتداول في هذه السوق باعتباره مطلبا هاما من مطالب دول العالم القديم ، ولذا نرى موانيها تزدهر على البحر الأحمر ، ونراها تعمل من جانبها على تأمين اقتصادياتها باحتلال بلاد اليمن في تلك الفترة التي سبقت الاسلام ، ومن هنا نراه ينظر نظرة علمية الى الأحداث في هذه الفترة فاذا كان الشائع أن غزو

الأحباش لليمن كان دينيا صرفا حمل عليه اضطهاد ذى نواس اليمنى للنصارى فى نجران فان التأمين الاقتصادى للحبشة لم يكن بمنأىعن هذه الأحداث ، ولا أدرى لماذا ساق المحقق هذه القضية فى صورة المشكك لها فقد جاء فى قوله :

« وفى سبيل تأمين هذه التجارة ، والطرق التى تسلكها غزت الحبشة بلاد اليمن قبل الاسلام ، وبسطت عليها سلطتها ، واذا كان اضطهاد ذى نواس لنصارى نجران ، وطلب هؤلاء المسيحيون النجدة منامبراطور الدولة الرومانية الشرقية ثم من ملك الحبشة هو السبب الظاهر لغزوة الحبشة لهذه البلاد فقد يكون السببان : الدينىوهو نجدةالمسيحيين والاقتصادى وهو الرغبة فى حماية الطرق التجارية قد سارا جنبا الى جنب فى قيام الحملة ونجاحها ، ولأجل تأمين هذه الطرق التجارية أيضا حاولت الحبشة غزو مكة الا أن ما وقع بجيوشها من مرض أعقبته هزيمة فوت عليها غرضها وأطمع فيها الدولة الفارسية، فساعدت على اخراجها من الجزيرة العربية ، وأعقب ذلك خروج هذه الأسواق من يد الحبشة ووراثة الفرس لها » .

ومهما يكن من شىء فقد كان لوقوع الحبشة على البحر الأحمر أثر بارز فى الانتعاش الاقتصادى ، كما كان لمساندة الدولة الرومانية الشرقية لها أثر كبير فى محاولتها التوسع على حساب جاراتها ، ذلك لأنغزوة الحبشة لجنوب شبه الجزيرة لم يتم الا بالمساعدة البحرية منالدولة الرومانية الشرقية ،ولكن ظهور الاسلامقد أوهن الحبشة فقد حرمها من مساعدة الدولة الرومانية الشرقية التى كانت تضع أيديها على الشام ، وفلسطين ، ومصر ، وبالتالى البحر الأحمر ، كما حرمها من عميل غنى كذلك هو الدولة الفارسية ، ومن هنا رأيناها تفقد السيطرة على كثير من أطرافها ، وبخاصة الشريط الساحلى الذى يطل على البحر الأحمر فقد أصبح مهجرا للقوى العربية الفارة من الضغوط السياسية ، والتى سرعان ما أكدت سياستها على هذا الشريط البحرى الهام .

وازاء هذا نرى الحبشة تنطوى على نفسها ، وتجر نظراتها البعيدة الى مواقعها المنهارة اقتصاديا ، اللهم الا هذا الضوء النحيل من النور الذى كان يربطها بمصر فقد كانت تتبعها دينيا . بل وكثيرا ما نرى هذه الصلة تتعرض للاهتزاز بسبب عدم الفهم العميق لهذه الصلة .

« .. ولكن الاضطراب كثيرا ما كان يعتور هذه العلاقات فقد يحدث أن يخلو منصب المطران لمدة كبيرة لصعوبة المواصلات بين البلدين ،وبسبب ماكان يتعرض له مسيحيو مصر فى بعض الأوقات من معاملة شاذة من بعض الولاة ، والخلفاء القصيرى النظر الذين لم يقدروا خطورة هذه العلاقة تقديرها الصحيح ، وبسبب الظروف السياسية التى تجتازها الحبشة » والكلام بهذه الصورة قد يوهم أن المسيحيين قد لاقوا اضطهادا من بعض الولاة فى مصر بينما

لم يلاق المسلمون فى الحبشة ألوانا من هذا الاضطهاد ، وان هـذا الاضطهاد نفسـه كان يجد صـداه المضاد فى مصر المسـلمة ، وبخاصـة أنا نجد المحقق يبرز الجوانب المضـيئة لتسـامح ملـوك الحبشـة مـع المسـلمين كتعيينهم حـكاما مسلمين خاضعين لهم ، وكتذللهم للولاة فى مصر لارسال البطاركة ، وكطلبهم التسامح مع المسيحيين كما يتسامحون مـع المسلمين عندهم . فالتاريخ يؤكد أن بعـض المسيحيين فى مصر ، وبعـض المسلمين فى الحبشة قد لاقوا عنتا من ذوى الفهم القـاصر ، وأن طبيعـة الدينين براء من كل هذا ! .

وقد قابلت رغبة الحبشة فى تحطيم عزلتها رغبة البرتغاليين فى التعرف على هذه المملكة المسيحية السوداء ، ومن هنا نرى الأمير ((**هنرى الملاح**)) يسعى للتعرف على هذه المملكة حتى يستطيع بوساطتها القضاء على المسلمين فى مصر الذين كانوا يفرضون الضرائب الفادحة ، ويقفون فى وجه استمرار سير التجارة الهندية .

كما نرى أن البرتغاليين ينجحون فى اكتشاف طريق «رأس الرجاء الصالح» وفى تأسيس امبراطورية لهم فى الهند ، ولكنا نرى قـوة الأتراك تتـدخل لاضعـاف البرتغـاليين . فقـد وضعوا أيديهم على سـاحلى البحـر الأحمر ، وطمعوا فى اقامة دولة اسلامية فى الحبشة ، واتصلوا بمسلمى الولايات الشرقية بها ، وسرعان ما قام من بين هـذه الولايات الامـام ((**أحمـد بن ابراهيم**)) أمير هـرر الذى نجـح فى اكتساح جميع الحبشة « حتى لقد اضطر الامبراطور أن يفر أمامه من بلد الى بلد يتقاسمه الخوف ، والجوع ، والمرض ، وأخذ الامام بعد ذلك يتصرف فى الحبشة كلها تصرف الملك المستقل صاحب الأمر والنهى ، فأخذ يرسـل الولاة من قبله الى جميع أجزاء البلاد لفتحها ، واخضـاع أهلها ، وجمـع الأمـوال منهم ، أو الاتفـاق معهم على طريقة ادائها ، واستقر هو فى ((**دمبيا**)) التى أعجبته لكثرة خيراتها ، واتخـذ فيها عاصمته » .

وازاء هذا نرى الملكة « هيـلانة » تعمل على ايجاد حليف قوى يستطيع القضاء على الامام أحمد ونراها ترسل وفدا الى البـابا ليعترف بتبعيـة « لبنا ونجل » للـكنيسة الغربية ، ونرى « لبنا ونجل » هذا بعد موتها يخطو خطوة أخرى للتقرب من الكنيسة الغربية فيعين « برمودز » الطبيب بطريركا كاثوليكيا للحبشة ، ويحتفل بعيد الفصح عام ١٥٣٨ وفقا للتقويم الجريجورى ، ثم يرسل « برمودز » الى ملك البرتغال الذى يزوده بخطاب الى نائبه فى الهند يأمره فيه بارسال أسطول برتغـالى مـزود بأربعمـائة وخمسين جنديا لمساعدة امبراطـور الحبشة ولمقاتلة المسلمين ، وقد وصلت معونة برتغالية فى عام ١٥٤٢ بقيـادة « كرستوفر دى جاما » ، واستطاعت القضاء على قوة الامام أحمـد تماما « .. وبفضل هذه المساعدة الاجنبية قضى على الثورة ، وأفاقت الحبشة من هذا الكابوس ، وخرجت تركيا من هذه المحاولة مدحورة ، فاكتفت بعد ذلك بالاشراف على البحر الأحمر من

سلسلة الموانى التى استولت عليها على الساحل الغربى ، وهى : سواكن، ومصوع ، وزيلع ، وبربرة فكان من نتيجة ذلك أن حرمت الحبشة من أن تطل بصفة نهائية على هذا البحر ، وقد انتهت سلسلة الأحداث هذه بمحاولة تدخل البرتغاليين فى معتقدات الشعب ، واخراجه من الكنيسة المصرية الى الكنيسة الرومية ، ولكن الشعب لم يقبل عمليات الهجوم المنظمة ووقف من البابا ومن الكاثوليكية وكتبها التى ترجمت الى الامهرية موقفا حادا حتى لقد أصبحت كلمة **((كاثوليكى))** سبة تلقى على من يكرهونه من الأحباش والأجانب على السواء ، ولم تفلح محاولة الملك **((سوسنيوس))** فى حمل الشعب على ترك الكنيسة المصرية اذ سرعان ما ترك الحكم لولده « فاسيلاداس » الذى طرد الكاثوليك، وأحرق كتبهم ،ودمر آثارهم ،وتخلص من البرتغاليين وآمن باخراج الحبشة من عزلتها ولكنه لم يستطع التعاون مع البرتغاليين الذين خربوا البلاد فى عهد أبيه ، ولا مع الأتراك الذين لم ينس تحريضهم للامام أحمد ، ولا مع الأسبان الذين يتعصبون للكاثوليكية كذلك ، ولا مع مصر التى كانت خاضعة للأتراك ، ومن هنا فلم يجد أمامه الا اليمن التى وان كانت ضئيلة الشأن الا أنها استطاعت طرد الجيش التركى ، والخروج من هذه السلطة التركية الأمر الذى عجزت عنه مصر ، والحجاز ، وغيرهما من الدول **((فليس هناك من مدخل يستطيع به أن ينفذ الى صداقة اليمن الا مدخل الدين . فأرسل اليها يبلغها رغبته فى فهم الدين الاسلامى لعل الله يهديه الى اعتناقه .**

ولقد وصلت أخبار هذه الاتصالات الى اليسوعيين والبرتغال الموجودين فى البلاد فاتخذوها مادة للحملة على الامبراطور ، ولكن كثرة مبالغتهم فى تشويه كل حركة تصدر من ((فاسيلاداس)) وشدة كراهيتهم له دعت الى عدم تصديق هذا الامر برغم صحته .. وأجابت اليمن الدعوة فأرسلت اليه من يفقهه فى أمر الدين الاسلامى ، الأمر الذى هو موضوع الكتاب)) .

وقد بدأ الكتاب بحمد الله والثناء على رسوله ، ووصف رحلته الى الحبشة حينما طلب منه المتوكل على الله اسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم أن يسافر الى الحبشة استجابة الى رغبة ملكها الذى طلب من يفقهه فى الدين ، وكيف أن الملك قد ألح فى أمر الارسال « ثم ان الملك المذكور عاود مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله رضوان الله عليه بكتاب آخر وهدية أخرى ، واستعجل الرجل المطلوب وصوله اليه ، وذكر فى كتابه ما معناه : أن المهاداة بالمال ليست هى المطلوب ذاته ، وانما هى تبع للوصول الى نيل الغرض بارسال الرجل الذى استدعى وصوله » .

وقد تحدث «المؤيد» فى هذا الأمر الى المؤلف بعد أن قدم من فريضة الحج للمرة الثالثة فما كان من المؤلف الا أن رحب بالأمر ، وبدأت الاستعدادات لهذه الرحلة من تجهيز ، وانتقاء هدايا

للملك ، وكتابة رسالتين تدفع الأولى منهما اليه فى أول لقاء وهى تتحدث عن الرد على رسائله وتتعرض للهدايا ، أما الثانية فتدفع اليه حينما يرى الاصرار منه على دخول الاسلام .

ثم وصف لنا خطواته على الطريق الموصل الى الحبشة ،وتعرض للحديث عن السلطان «شحيم بن كامل» الدنكلى، وكيف أن الدناكلة كانوا بعيدين عن « التخلق بشىء من أحكام الشرع الشريف المطهر وذلك لما شاهدناه من اختلاط رجالهم بنسائهم وكلهم عراة لا يستترون عوراتهم ، ولا يستترون بمنكراتهم ، كأن المنكر عندهم من المعروف ، والبدع لديهم من الأمر المأنوس » فكبيرهم كان متزوجا باثنتى عشرة امرأة ، وهم أنفسهم كانوا دائمى التجسس على الرحلة يحاولون دائما القيام بنهبها ، ولكن البنادق التى كانوا لا يعرفون عنها شيئا كانت تصدهم ، وتلقى فى قلوبهم الرعب ، وتدفع فى عيونهم التساؤل ، فالرحلة قد تعرضت لكثير من المخاطر ، ولطمع الكثير من الناس ،والتوجس من شعب «القالة»، ولجهل المرشدين ، وخيانة بعضهم ، وتقاصر الزاد .

وما زالت الرحلة فى هذا الجو الخانق حتى وصلت الى « أندرته » ولاقت بعض المسلمين هناك ، ثم لاقت الأمير اسحق فى بلاد « السحرت » ، والأمير « قباقسطوس (١) » فى بلاد « ابرقلى » ثم وصلوا بلاد « الفلاسة (٢) » ، و « الأمحرة » ، وقرية يسكنها مسلمون بالقرب من الامحرة ، وفى هذه القرية لاقى الوفد شيئا من الراحة النفسية ، وعلم أن وزراء الملك يتوجسون خيفة منه لأنهم علموا أن الوفد قادم لادخال الملك فى دين الاسلام وترك دينهم ، ومن هنا أعاد الوفد النظر الى الرسالة التى يحملها ، وما كاد يقرب من ديار الملك حتى أرسل اليه رسولا ، ولكن هذا الرسول قد تأخر مما ألقى الرعب فى قلوبهم ولكنه قدم أخيرا يحمل الاذن بالدخول ، والاقامة فى بيت الوزير « حواريا » .

ثم استدعى الوفد فى اليوم الثانى لمقابلة الملك ، وهناك أحس بسطوة الوزراء « ولما نظرنا الى الملك وجدناه ، وقد نزل عن سريره ، وقعد على الأرض اكراما لنا ، واعظاما لامامنا ، وقاعدته التى يعرف عليها أنه لا ينزل عن سريره لوفود وافد الا أن يكون فى أعلى مراتب الفخامة » .

ثم أخذ مترجم الملك يحمل كلامه الى الوفد مرحبا ، وسائلا عن الامام، وعن الكتاب الذى يحمله الوفد ثم سلم الوفد فى اليوم الثانى الهدية ، والكتاب وبعد ستة أيام استدعى الملك الوفد بعد أن تخفف من كثير من رجال حاشيته .

وأفضى اليه بأمر الرغبة فى دخوله الاسلام ولكنه طلب عدم اذاعة هذا الخبر حتى يبلغ الى أمير المؤمنين .

ثم رغب الوفد فى العودة ،وبخاصة بعد أن لاقى عنتا من الاقامة هناك، ومن تدبير حريق فى مكان اقامته ،ومن مراوغة الملك فى السماح له بالعودة ،

---

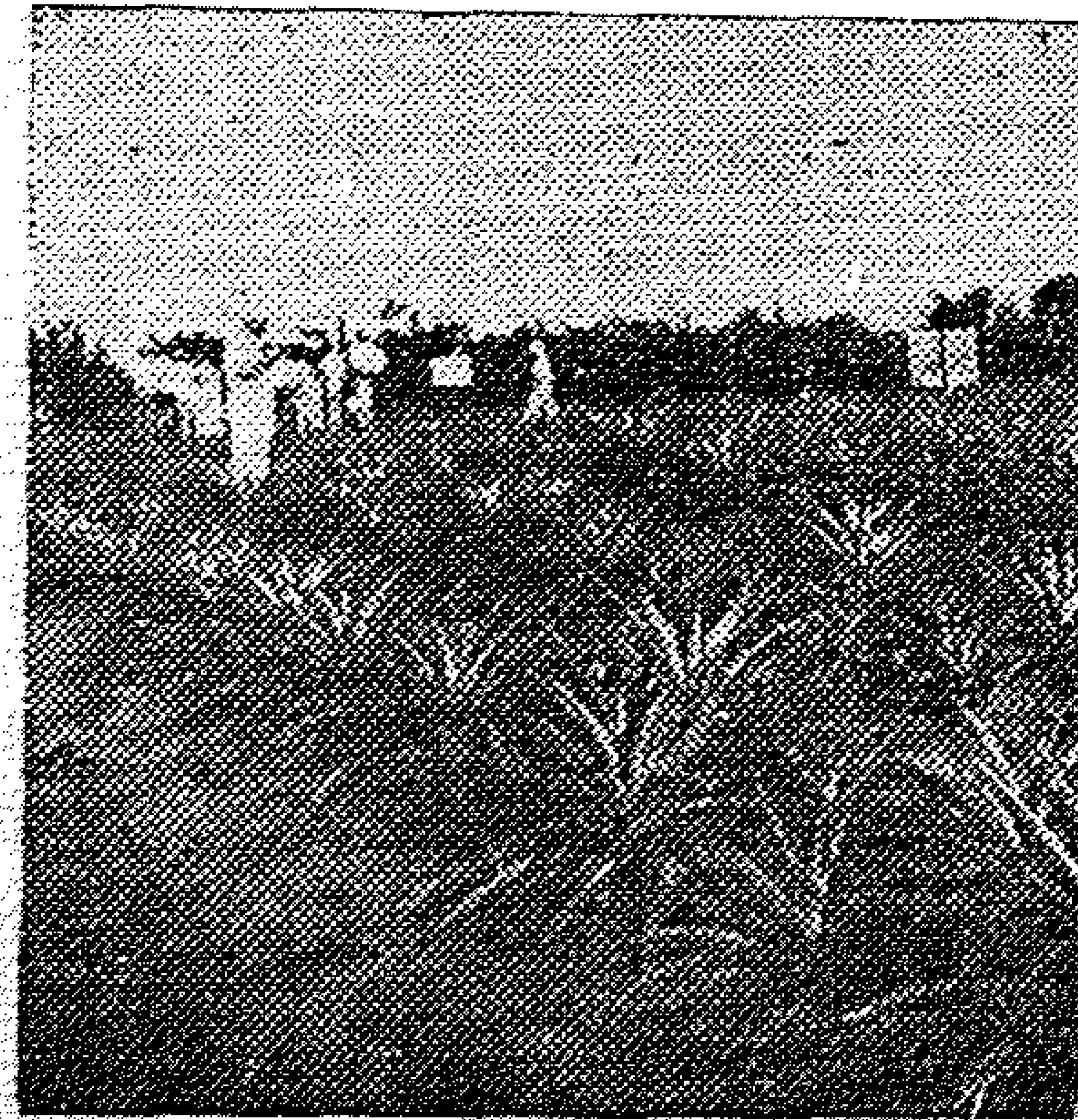
(١) صحة اسمه بالحبشية «قباكرستوس»

(٢) هم الفلاشة يهود الحبشة .

والضيق بالجهل السائد بين السكان مسلمين ومسيحيين على السواء ، وتفكك الوفد ، ولكن بعد تسعةشهور اذن الملك للوفد بالعودة فشق طريقه بين مصاعب عديدة حتى انتهى أخيرا الى البلاد . وهكذا تنتهى هذه الرحلة الشائقة بعد أن ألقت ضوءا كافيا على ملابسات الحياة فى هذه الفترة ،وعلى طريقة التفكير ، ونظم الرحلات ، والمقابلات والاحتكاك بين الدينين الاسلامى والمسيحى ، والوصف الجغرافى لهذه البقاع بما فيها من سكان .. مما يجعلنا الآن نتساءل عن مصير التراث العربى الكبير فى افريقية وعن الأمل فى أن يعود الدكتور ((**مراد كامل**)) مرة ثانية الى هذا التراث الضخم بتفكيره المنهجى ، وأسلوبه العلمى . فبهذه الطريقة التى حقق بها الكتاب نستطيع أن نجعل للتراث العربى مكانا فى قلوبنا ، وفى حياتنا .

وان كنت أحب أن لو أكمل الدكتور الاستشهاد بالقصيدة التى تعرض فيها المؤلف لحياة المسلمين والمسيحيين فى الحبشة وكيف تعرضت بالنقد لهما — فبرغم أن سيادته هو الذى نبهنى الى ذلك فى حديث خاص — الا أنى أعتقد ان من حق الفكر أن يعرف رأى الحيمى فى هذه القضية شعرا بعد أن تعرض لها نثرا فربما أعطتنا القصيدة اضافات أخرى ، زيادة على ما تقوم به من اثراء للتفكير الشعرى فى هذه الفترة .

وانى لأشهد أنى لم أنتفع بكتاب محقق فى تراثنا العربى كما انتفعت بهذا الكتاب . فالمقدمة الوافية التى قدم بها فتحت فى ذهنى نوافذ كثيرة على الحياة فى هذا العصر ،واستطاعت أن تعبر بى الكتاب المحقق — على ضعف أسلوبه وتفكك أفكاره — بلا سأم لأنى تسلمت بعد قراءة المقدمة المفتاح الذهبى الذى جعلنى أقبل عليه بكثير من الفهم ، وكثير من العمق قد لا أجدهما مع كتب الرحلات الحديثة وهكذا يعتبر هذا الكتاب فتحا جديدا فى ميدان التحقيق الواعى الفاهم ، ووساما آخر من الأوسمة التى علقها الدكتور مراد كامل على صدر الفكر الحديث .



امبراطوريات افريقية قديمة

بقلم : توماس هودجكن

ان لفظة السودان التى خرجت من صفة السود هى اللفظة التى أطلقها العرب على الشريط الهائل من أعشاب السافانا الذى يمتد عبر افريقية من المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر . وتمتد الى شمال هذا الشريط الصحراء الكبرى كما تمتد الى جنوبه الغابات الاستوائية .

أما الى الغرب فيوجد نهر النيجر الذى يخترق السودان فى معظم أجزائه ، والذى يعد همزة وصل طبيعية بين الشعوب التى تعيش على ضفافه .

ولقد قامت فى هذه المنطقة خلال الفترة التى يعرفها الأوربيون بالعصور الوسطى ، دول كبيرة منظمة غالبية سكانها من الزنوج ، بلغت من الاتساع والقوة فى بعض مراحل تاريخها حدا يمكن معه أن نسميها بالامبراطوريات . وتبرز بين هذه الدول ثلاث هى غانة ومالى وجيو .

فالى أى شىء ترجع أهمية هذه الدول ؟ ان أهميتها تكمن من الوجهة الرئيسية فى أنها لعبت دور الوسيط اذ كانت تقوم بدور الوسيط التجارى ، وكانت مدنها تمثل أسواقا ضخمة للذهب والرقيق الذى يأتى من مناطق الغابات فى الجنوب ، وللملح الذى يستخرج من مناجم الصحراء ، وللخيول ، والأقمشة ، والسيوف ، والكتب ، والخردوات التى تأتى من شمال افريقية ، ومن أوربا أيضا . ولكنها قامت أيضا بدور الوساطة فيما يتعلق بالأفكار أيضا ، فلقد باتت مدن غرب السودان منذ القرن الحادى عشر المراكز الأولى التى خرجت منها التعاليم الاسلامية ، وانتشرت عبر صحراء افريقية بين أهل غرب القارة .

وقد ترتب على انتشار الاسلام نتائج هامة بالنسبة لغرب افريقية . فقد كان معناه توثيق الصلات عبر الصحراء بين العالمين العربى ، والافريقى ونمو التعاليم الاسلامية ، والبحوث العلمية . والحقيقة أننا استقينا معظم ما نعلم عن هذه الممالك مما كتبه الجغرافيون العرب المعاصرون الذين بذلوا جهدا مشكورا فى وصف هذه المنطقة الاسلامية الواقعة على الحدود ، أو من الدارسين الافريقيين الذين كانوا يكتبون باللغة العربية .

وثمة سبيل الى دراسة هذه الممالك السودانية ، وهو أن نختار بعض الأحداث المعروفة فى التاريخ الانجليزى ، وندرس الأحوال التى كانت سائدة فى غرب السودان فى هذه الآونة . وقد يساعدنا هذا على رسم صورة لامبراطوريات غانة ، ومالى ، وجيو فى قيامها ، وتطورها ، وادخالها فى اطار تاريخى معين .

ولنبدأ بهذه الحادثة المعروفة عام ١٠٦٦ حين غزا وليام ملك نورمانديا انجلترا ، فماذا كان حال غرب افريقية اذ ذاك ؟ ما من شك فى أن أقوى دولة افريقية كانت حينئذ هى دولة غانة التى كانت خاضعة لحكم شعب مازال يعيش حتى الآن ويعرف باسم الساراكوك ، الذين كانوا منذ القرن الثامن أو ما قبل ذلك يسيطرون على المنطقة الواقعة شمال نهرى السنغال والنيجر .

ولعله يحق لنا أن نذكر أن امبراطورية غانة القديمة التى كانت تقع على أطراف الصحراء تبعد عن دولة غانة الحديثة ببضعة مئات من الأميال . وتقع الأخيرة فى المنطقة التى كانت تعرف فى الماضى بساحل الذهب . والصلة الرئيسية التى تربط بين هاتين الدولتين هى أن شعب غانة الحديثة ينظر الى شعب مملكة غانة القديمة باعتباره أبا له فى الثقافة، بالصورة التى ينظر بها الأوربيون فى العصر الحديث الى كل من اليونان وروما .

وأعظم وصف لغانة كما كانت فى القرن الحادى عشر قد ورد عن الجغرافى العربى الكبير « البكرى » الذى أتم مؤلفه بعنوان وصف شمال افريقية عام ١٠٦٧ . ، ولنورد هنا بعض عباراته .

« تتألف غانة من مدينتين تقعان فى سهل . يسكن احداهما المسلمون ، وهذه عظيمة الاتساع وتضم اثنى عشر مسجدا .. أما المدينة التى يسكنها الملك فتقع على بعد ستة أميال ، وتسمى بالغابة .

ويختار الملك تراجمته ، وأمين خزانته ، ومعظم وزرائه من بين المسلمين .

وديانة هؤلاء الزنوج هى الوثنية وعبادة الأصنام ..وتؤول جميع ركائز الذهب التى توجد فى المناجم الى الملك ولكنه يترك لشعبه التبر الذى تجده فى متناول الجميع .. وفى وسع ملك غانة تجريد حملة من ٢٠٠ر٠٠٠ مقاتل ٤٠ر٠٠٠ منهم مسلحون بالأقواس والسهام .

ولعلك تلاحظ أن البكرى يتحدث عن عاصمة غانة باعتبارها تتألف من مدينتين ، احداهما اسلامية ،والأخرى غالبيتها من الوثنيين . ونكاد نجزم بأن المدينة الاسلامية كانت تحتل موقع مدينة كومبى صالح الحديثة ، فى المنطقة التى تسمى الآن بغرب افريقية الفرنسى ، حيث كشفت الحفريات عن وجود عدد من المنازل المبنية من الحجر على نسق سليم بجدرانها مثلثات مجوفة ، ونقوش آيات قرآنية ، كما عثر على مسجد وجبانات كبيرة خارج المدينة .

وقد أوضح البكرى أيضا أن الأسرة الحاكمة كانت فى زمنه من الوثنيين . ولكنه ما أن مضت عشر سنوات على هذا التاريخ (١٠٧٦ ــ ١٠٧٧) حتى تغير الموقف تماما . فقد هاجم البربر الموراويديون ،وهم مسلمون متطهرون مصلحون موطنهم غرب الصحراء ، هاجموا غانة بعد أن استتب لهم الأمر فى مراكش ، واستولوا عليها وحملوا اسرتها المالكة على اعتناق الاسلام .

وما من شك فى أن هذه الفترة هى

الفترة التى بدأ الاسلام ينتشر فيها فى جميع أنحاء السودان الغربى ،الأمر الذى كان يرجع الى عاملين لايقلان أهمية عن بعضهما البعض ، وهما التغلغل المسالم للتجار ، والعلماء القادمين من شمال افريقية ، وحرب الجهاد التى قام بها الموراويديون .

ولنقفز الآن ثلاثة قرون أخرى على وجه التقريب ، وندرس الحالة التى كان عليها غرب السودان عام ١٣٤٦ ، وهو تاريخ موقعة « كريسى » .فكيف كانت الأحوال اذ ذاك ؟ لقد اختفت امبراطورية غانة اختفاء كليا . فقد لقيت الهزيمة على أيدى جيرانها الجنوبيين المعروفين باسم «السوسو»، فى عام ١٢٠٣ فيما يحتمل ، وفر معظم التجار ، والعلماء الغانيين الى الشمال ، واستقروا فى مدينة « قوافل » فى أقصى أطراف الصحراء الكبرى حيث مدينة « ولاطة » . وقد استولت هذه على معظم تجارة غانة عبر الصحراء ، ولو أنه يحتمل أن يكون الشعب الغانى قد قام أيضا ببعض الهجرات الى الجنوب . وكانت مدينة « تمبوكتو » التى تقع عند انحناءة نهر النيجر الى الشرق ، على أعتاب عهدها بالازدهار التجارى الكبير .

وكان الجانب الأعظم من غرب السودان ــ وهو المنطقة الممتدة من السنغال فى الغرب الى دويلات الهوسة (شمال نيجريا الآن) فى الشرق ــ تابعا من الناحية السياسية لامبراطورية « مالى » المترامية ،وربما كان يمثل جزءا منها .

وقد بدأت مالى وهى مملكة شعب الماندنجو فى الأخذ بأسباب القوة والسطوة فى القرن الثالث عشر .

ولكن اتساع رقعة الامبراطورية المالية ، وامتداد حدودها الى أقصى حد ممكن ، تم على يد الامبراطور العظيم **« مانسا موسى »** (ومانسا تعنى فى لغة الماندى الامبراطور) الذى ظهر فى القرن الرابع عشر ، والذى كان لمواكب الحج العظيمة الى مكة التى كان يقيمها والتى كانت تمر بالقاهرة صدى كبير ، وقد أخذت امبراطوريته مكانها فى خرائط الأوربيين فى العصور الوسطى .

وقد ذكر بعض المؤرخين فى مصر بعد ذلك بفترة طويلة ما كان يوزعه « مانسا موسى » من عطايا سخية من الذهب ، وما ترتب على ذلك من تضخم للعملة المحلية .

وفيما يلى فقرة مما كتبه أعظم الرحالة العرب **« ابن بطوطه »** وهى تبين كيف استلفت النظام السياسى لامبراطورية مالى نظره ، وأثار دهشته .

ان لدى الزنوج بعض الصفات الرائعة . فهم نادرا ما يظلمون ، وهم يكنون كراهية شديدة أكثر من أى شعب آخر للظلم . ولا تأخذ سلطانهم رحمة بمن يرتكب أدنى درجة منه ، والأمن مستتب تماما فى بلادهم . وليس لمسافر أو ساكن أن يخشى من اللصوص أو المجرمين . وهم لا يصادرون ممتلكات أى رجل أبيض يموت فى بلادهم ، حتى ولو كان ماله لا يحصى.

ومثل هذا الحكم لا يمكن أن يصدر على فرنسا أو انجلترا فى ذلك الوقت.

ولنتناول نقطة أخيرة من نقط التاريخ وهى عام ١٥١٣ ، الذى وقعت فيه معركة فلودن ، حينما كان هنرى الثامن ملكا على انجلترا وكان فى ميعة الشباب .

فقد بلغت مملكة شعب سنغاى التى اتخذت جيو على النيجر الأوسط عاصمة لها ، والتى كانت آخذة فى التوسع فى خلال القرن السابق أوج مجدها فى هذه الفترة ، وكان حاكمها من أقدر حكام غرب افريقية الا وهو ((أسكيا)) العظيم ، وقد كان هذا قائدا سابقا فى جيش «سونغاى » وقد أطاح عام ١٤٩٣ بآخر خليفة فى الأسرة المالكة المتداعية التى حكمت البلاد ثمانية قرون طوال ، واستولى على الحكم فى جيو ، وفى ظل حكم أسرة « أسكيا » التى حكمت امبراطورية « جيو » خلال القرن السادس عشر — وهى الفترة التى تعاصر عهد حكم أسرة « التيودورو » فى انجلترا على وجه التقريب — توحد الجانب الأعظم من غرب السودان فى ظل حكومة واحدة .

والحقيقة أن امبراطورية « جيو » قد امتدت فى هذه الآونة الى قلب الصحراء ، وتوغلت فى حدودها حتى بلغت مناجم الملح الحيوية الهامة على حدود الجزائر الحديثة ، وقد فاقت فى ذلك امبراطورية مالى السابقة . أما فى الشرق فقد احتل ((أسكيا)) العظيم مدينة القوافل القوية اجاديس ، التى كانت تتحكم فى الطرق التجارية الرئيسية المتجهة الى تونس وطرابلس ومصر ، كما غزا فى سنة ١٥١٣ دويلات الهوسة — بما فيها كانو ، وهى الآن مركز تجارى هام فى شمال نيجيريا — وضمها فترة من الزمن فى امبراطورية جيو . ولا تظهر عبقرية « اسكيا » من انتصاراته العسكرية قدر ظهورها فى نظام الادارة الدقيق الذى وضعه ، بمساعدة التجار ، والطبقات المستنيرة فى المدن ، لكى يكون وسيلة لتوحيد امبراطوريته المترامية .

وقد كان للطبقة المستنيرة نفوذ كبير فى امبراطورية اسكيا ، الأمر الذى أثار اعجاب الرحالة المعاصر « ليو افريكانس » الذى كان شابا حديث السن والذى اصطحب عمه فى بعثة دبلوماسية من مراكش الى بلاط أسكيا فقد كتب يقول :

هناك عدد كبير من القضاة والأطباء والكتبة فى تمبكتو ، يتقاضون جميعا مرتبات ضخمة من الملك ، وهو يولى احتراما كبيرا لرجال العلم . ويزداد الطلب هناك على المخطوطات التى تستورد من مدينة بربرى . وأرباح تجارة الكتب أعظم من أرباح أية تجارة أخرى .

ولا ريب فى أن « تمبكتو » كانت المركز الثقافى لامبراطورية « أسكيا » فقد كانت تدرس فى جامعتها علوم اللاهوت والشريعة الاسلامية ، والخطابة ، وقواعد اللغة والأدب ويحاضر فيها علماء من القاهرة ، وفاس بالاضافة الى الأساتذة المحليين ويحضرها طلبة من الشباب المتحمس للمعرفة ، والفضيلة ، كما وصفهم كاتب معاصر ، يأتون من مختلف أنحاء غرب افريقية .

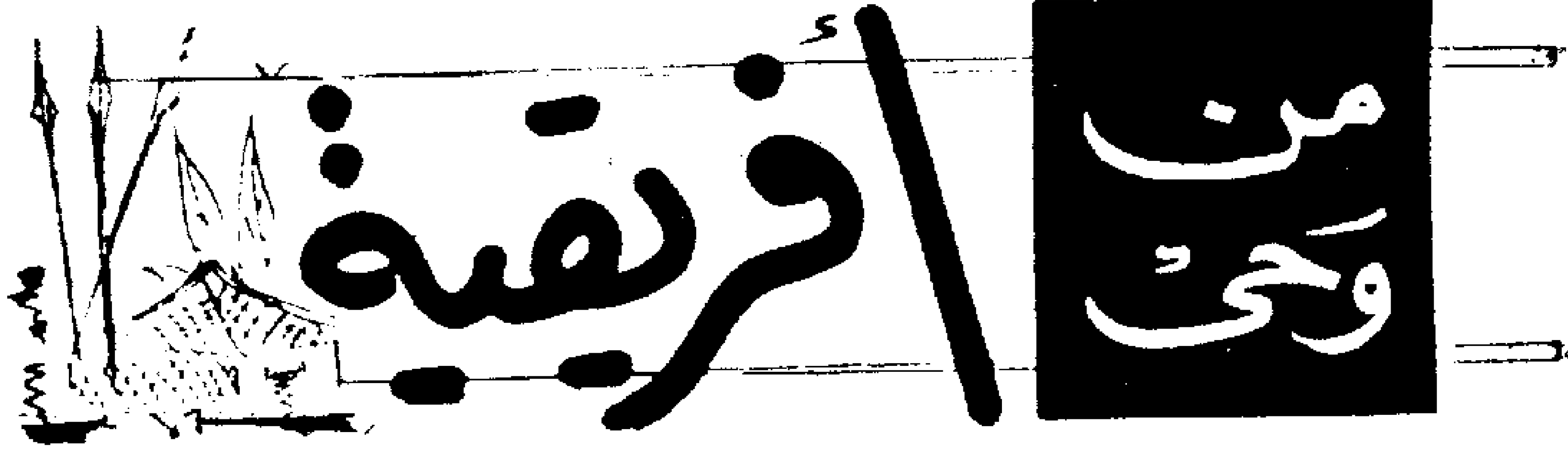
هذه هى غانة ، ومالى ، وجيو ، ولا يسع المرء هنا الا آن يتساءل عن الأسباب التى دعت الى تفكك هذه الامبراطوريات التى كانت محكمة الادارة بدرجة كبيرة وضياع الحضارات التى ارتبطت بعد عام ١٦٠٠ تقريبا؟ هل كان السبب هو افتقار هذه الامبراطوريات الى حدود طبيعية، بمعنى تعرضها للهجوم من الصحراء، والغابات ؟ هل كان السبب هو ضعف وسائل المواصلات ؟ أو كان المغالاة فى الاعتماد على تجارة الذهب والرقيق؟ أو كان الفارق الشاسع بين ترف القصور وفقر الجماهير،وهو مالاحظه افريكانس ؟ ان محاولة الاجابة على هذه الأسئلة ستخرج بنا بعيدا عن نطاق حديثنا .

بيد أن هناك نقطة واحدة واضحة وضوحا تاما فيما يختص بجيو ، فان غزو القوات المراكشية المسلحة بالمدافع والمزاريق (وقد تمكن هؤلاء من حل مشكلات النقل عبر الصحراء) للامبراطورية عام ١٥٩٠ كان بداية عهد من القلاقل ، انقلبت فيها موازين القوة بين الافريقيين ، والعرب ، والوثنيين ، والمسلمين ، والبدو ، والحضر ، والمدن ، والريف . وقد وصف أحد المؤرخين السودانيين الذين عاشوا فى هذه الأثناء الأحوال السائدة بقوله :

لقد تغير كل شىء ومنذ هذه اللحظة. فقد حل الخطر محل الأمن وحل الفقر محل الغنى ، وذهب السلام مخلفا البؤس ، والكوارث ،والعنف .

وكان من الطبيعى أن ينظر المؤرخون الافريقيون فى القرن السابع عشر الذين شغلوا بظاهرة التفكك ، والانحلال ، الى عهد الأسرة الأسكية باعتباره عصرا ذهبيا . ولقد باتت لهذه الممالك السودانية القديمة أهمية خاصة بالنسبة للجيل الحاضر من سكان غرب افريقية الذين يعملون على بناء دول مستقلة ، واصبحت تتخذ مثلا يحتذى فيما هم ماضون فى تنفيذه من مشروعات .





لا صديق للزنوج

مستوحاة من قصيدة الشاعر الافريقى ..
« أرماتو » التى يقول فيها :
« .. لا أعلم صديقا للزنوج » .
سوى الأرض، والسماء، والعواصف، والأمطار، والبعوض
ذلك لأن الأرض تراهم يسقطون كالتراب .
ولأن السماء تسمع صراخهم ، وتنكر عليهم حقهم !
ولأن العواصف تحمل أناتهم ، ولا تستطيع اخفاءها !
ولأن الأمطار تمتزج بدموعهم المستمرة !
ولأن البعوض لا ينكر ما امتص من دمهم !
.. ليس من شىء صديق للزنوج .
سوى الأرض، والسماء، والعواصف، والأمطار، والبعوض

* * *

ما لنـــا من صـــديق   فى ذلك العـــــــالم
غيـر الثرى ، والســماء   وريحـــها الظـــالم
وغـــير صـــوت البعوض   وأغنيـــات المطـــر
تقـــول « لا مفـــر !
لا مفـــر ! لا مفـــر ! »

* * *

فالأرض تعـرف ذلنـا ، ووجوهنا المستفهمة
والنـــار فى أعماقنـا المنزوفة .. المتسـائلة
هو قـد أقام بوجهنـا فى غير رفـق مرسـمه
ومضى يدحرج يومنـا بين الفجاج المظلمـة !

* * *

والأفق كم رنت به أصـــداؤنا المتناغمـة
دقت عليـه دموعنـا ، ودماؤنا المسترحمــه
فاذا به فى صمتـــه كالقبر يحـرس جمجمه
أتراه ينكر أن نسائل ربنـــا فى « مظلمه !! »

* * *

والريح ليست تنكر العشش الرطاب المعتمة
تمشى فتخشى أن تضل على الجروح الصرمة
هبت ، وجاشت .. ثم قلقلت القــرى المتهدمه
لكنــها رقت أمــام جفـون طفــل حالمــه !

* * *

بينا نجـوع نرى البعوض يهز فينــا موسمه
ما جاء من عرق الحيــــاة يريقــه فى غمغمه
يمتصــــه فى خطفـة فى نقــــرة ، فى دمدمه
.. فنرى به أيامنــا ، وحياتنــا المتناعشمه !

* * *

ونحس فى المطــر الحيـاة تضىء ! تورق نمنمه
ونحبـه فطيـه دمـع حياتنـا المتهـدمه
يهتز بالحزن العميق .. الى المراعى القـائمة
فاذا بهـذا الحــزن أخضر فى الروابى الملهمه !
واذا بنــا ــ والصمت يغرقنـا ــ ذرا مستسلمه

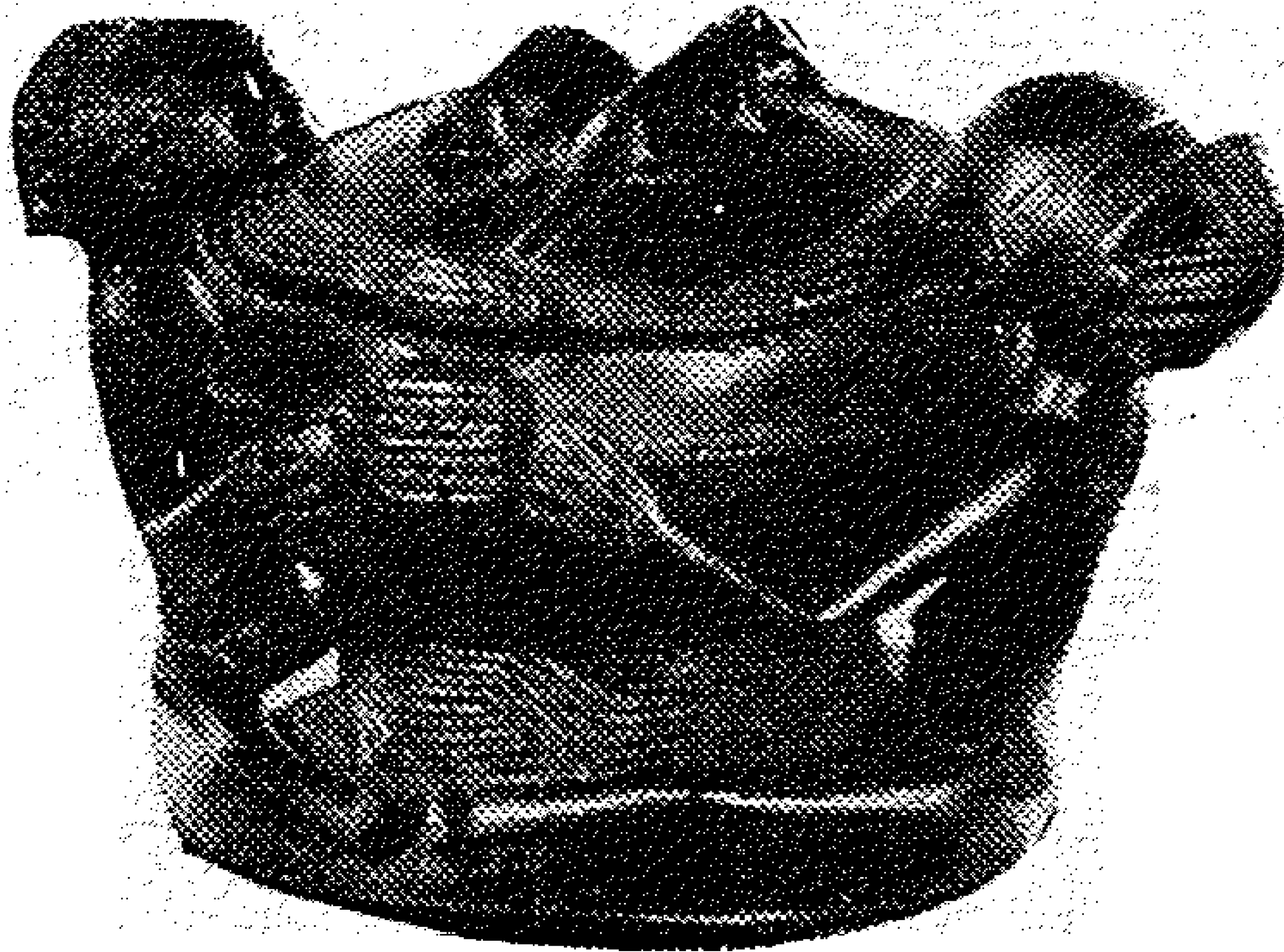
* * *

ما لنــا من صــــديق فى ذلك العــــــالم
غــير الثرى والســماء وريحهـــا الظــــالم
وغــير همس البعــوض وأغنيــــات المطــــر

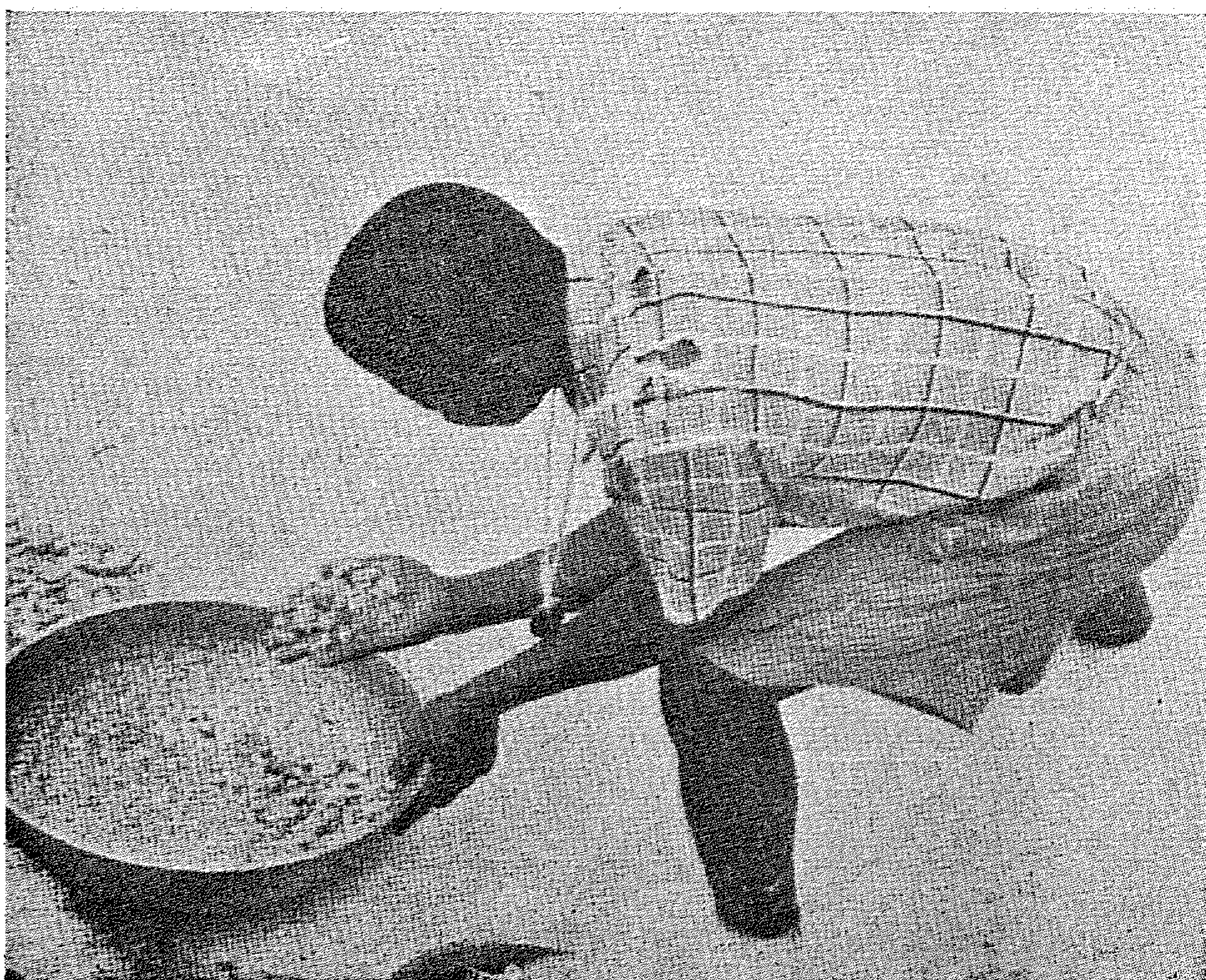
* * *

تقـــول « لا مفــر ! »
لا مفـــر ! لا مفـــر ! »

« ع . ب »

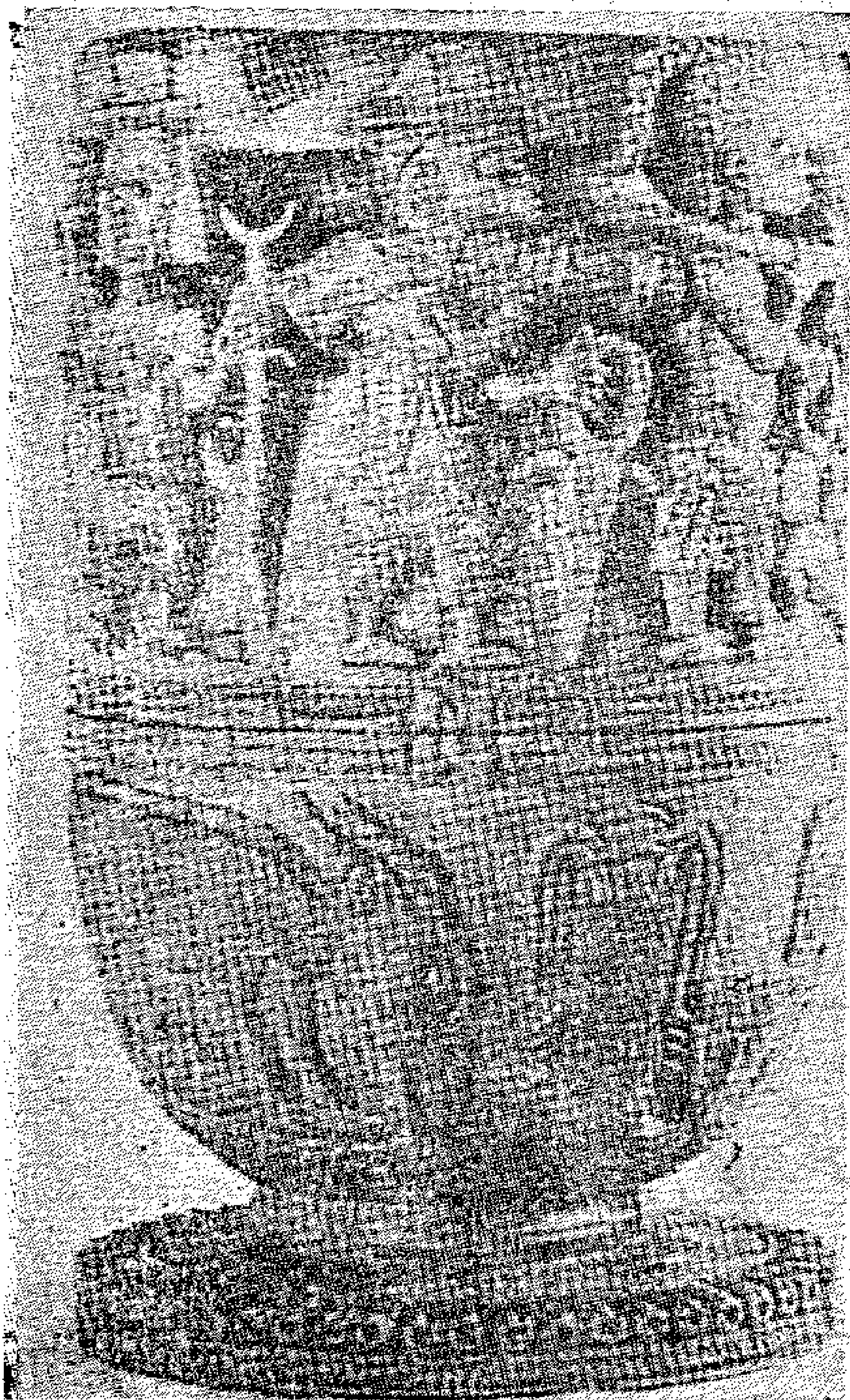
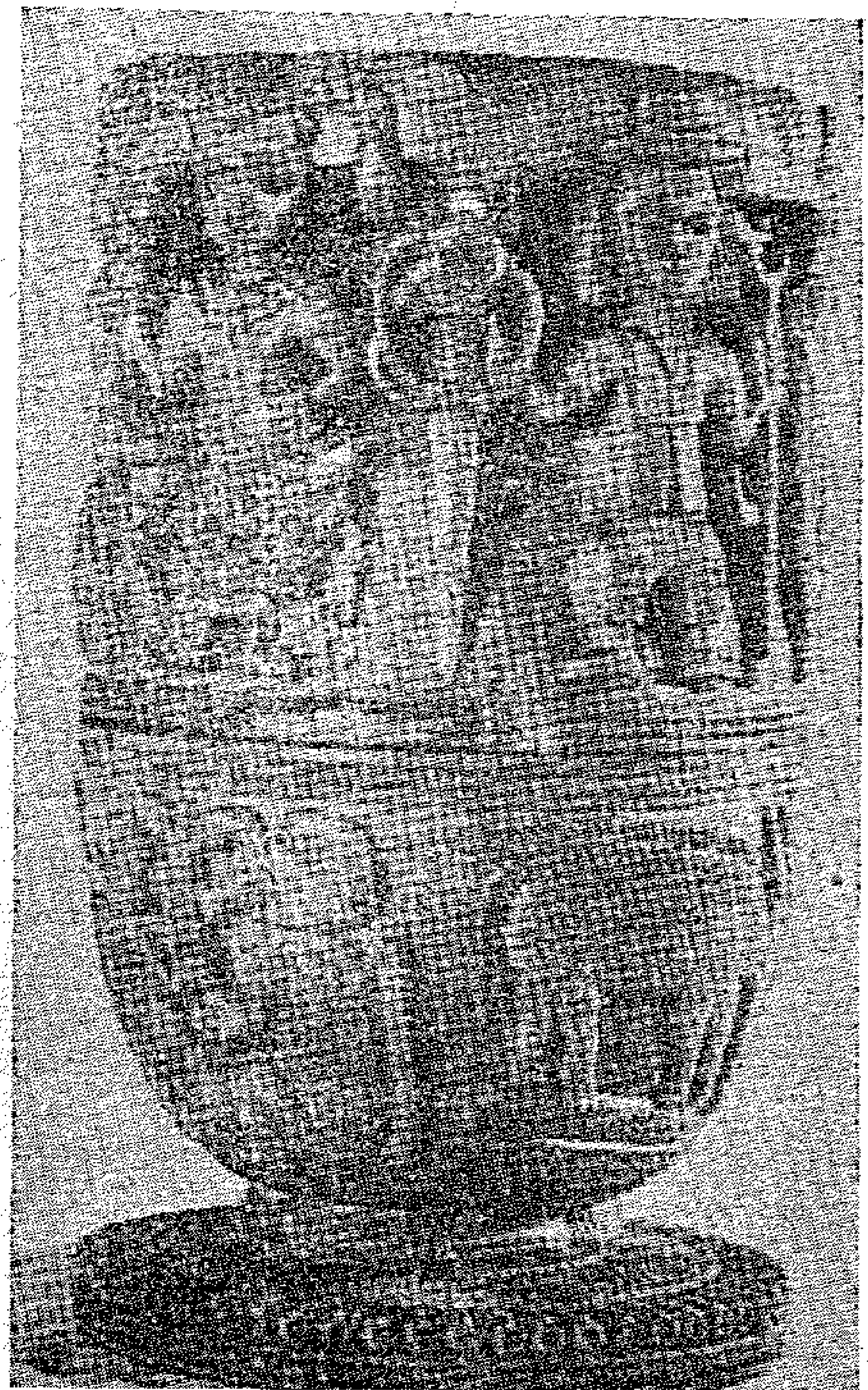


جولة مصورة حول



« استخراج الذهب »



« ألوان من الفن الافريقى »

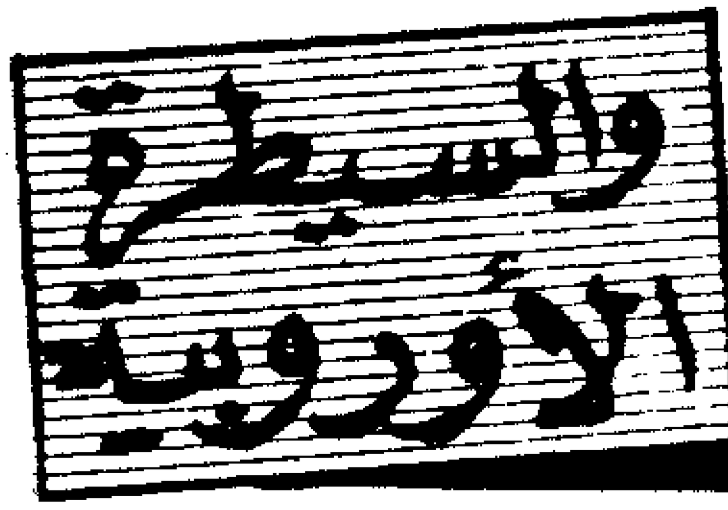


« من الفن النيجيري »



((طفلتان افريقيتان))

شرق أفريقية



بقلم : سميرة محمود حسن

تجتاز منطقة شرق افريقية مرحلة حاسمة فى صراعها لنيل حريتها ، واستقلالها بعد أن سيطر عليها الأوروبى ، ما يقرب من السبعين عاما تعرضت فيها البلاد لمختلف أوجه النشاط الأوروبى ، سيطرة كاملة فى ادارة شئون الشعوب واستغلال مواردها الاقتصادية .

ولهذه المنطقة مركز استراتيجى خطير ربط بينها وبين مختلف المناطق الداخلية فى القارة الافريقية . فهى ذات صلة وثيقة بمنطقة وادى النيل فى شطريه الأعلى والأسفل منذ أقدم العصور . كما كانت معبرا الهجرات الدينية والتجارية بين أركان القارة الافريقية وبلاد الشرقين الأدنى والأقصى بصفة عامة ، وأرض البلاد العربية بصفة خاصة .

ولهذه المنطقة مكانتها الاقتصادية فى التجارة الافريقية الى جانب الأهمية الاستراتيجية مما دفع الأوروبيين الى التنافس على السيطرة عليها .

وقد تعرضت هذه المنطقة الى تطورات الأوضاع السياسية التى أدت الى نشأة الحركات القومية ومقاومة الأوروبيين .

ولقد كان من الطبيعى أن تتأثر المجموعات الافريقية بالسيطرة الأوروبية ، فحياة الافريقى تقوم أساسا على النظم القبلية التقليدية ، والأوروبى يسعى الى الاستغلال الاقتصادى فى أوسع حدوده .

وقد عرض هذا الاتجاه الأوروبى الأسس القبلية الى خطورة الهدم والانحلال والفناء . وزادت هذه الخطورة تبعا للأثر الذى تركته العلاقات بين المجموعات القبلية فى الداخل وبين المنطقة الساحلية التى أقام فيها تجار وحكام من العرب وغيرهم لعدة قرون ، وقد اهتم الاستعمار الأوروبى بتزايد النفوذ العربى على الشاطىء الشرقى لافريقية وخشيت بريطانيا على مصالحها فى هذه المنطقة الهامة وسعت الى توطيد علاقاتها مع السلطان العربى ، وتنبه الرأى العام الأوروبى للقارة الافريقية على أنها أرض بدون مالك . وظهر الصراع الأوروبى على أشده . وقد عمل الأوربيون على ادخال نظم جديدة وانشاء مدنيات حديثة فى تلك المنطقة بعثت روح الوعى القومى فى الوطنيين بعد نصف قرن من الزمان .

العوامل المؤثرة فى المجتمع الافريقى :

١ ـ البعثات التبشيرية :

لقد سبق ادخال الادارة الأوروبية فى شرق افريقية البريطانية وصول البعثات التبشيرية ، وكان من أهدافها تحرير الرقيق ، ومقاومة تجارته ،

واقامة المدارس لتعليم الصناعات الصغيرة . وكان من المبشرين كراف، ويوحنا ريبمان سنة ١٩٤٩ ثم تبعهما لفنجستون البريطاني وعملت فى تلك المنطقة من ١٨٥٨ ، وقد عملت البعثات التبشيرية على القضاء على ما وجدوه من العادات والتقاليد المحلية بين مختلف المجموعات القبلية وأدى ذلك الى استياء الافريقيين من هذا النشاط الأجنبى ، وأصبح هذا موضوعا للجدل يثير كراهية الشعب ضد السيطرة الأوروبية ، الى جانب أن المسيحية عقيدة كثيرة التعقيد على ادراك الافريقيين . فالمبشرون ينقلون الافريقيين من العادات القبلية ، وعقائدها دون أن يقيموا لهم بديلا تدركه عقولهم . هذا الى جانب أن حالة الانفصال من الاقتصاد الوطنى الى الاقتصاد التجارى الحديث وما يتبعه من محاولات للتكييف الاجتماعى الاقتصادى قد أدى الى نشوء أزمات روحية لدى الافريقيين ، وهناك كثير من المساعى تبذل للتوفيق بين المذاهب والعقائد القديمة وبين المسيحية مما تجد له صدى فى اشكال حركات الكنائس الافريقية المستقلة.

وقد استطاع المبشرون بمرور الوقت أن يدرسوا عادات القبائل ، ونظم حياتها . وبالرغم من ذلك واجهت الكنيسة المسيحية ازمة انفصال جماعة الكيكويو حيث كونت لنفسها كنائس محلية للعبادة الوثنية غير خاضعة لرقابة المبشرين .

٢ ــ التعليم :

الى جانب مهمة التبشير بالدين المسيحى وسط القبائل الافريقية قد كانت الارساليات تقوم بفتح المدارس لتعليم الافريقيين الذين يقبلون عليها اذا أتيحت لهم الفرصة ، وبذلك كان انتشار التعليم أثرا من آثار السيطرة الاوروبية ، وكان السلاح الذى شهره الوطنيون فى وجه التعصب الجنسى ، والتفرقة العنصرية فيما بعد ، والى الآن لم ينل الأفريقيون القدر الذى يستحقونه من التعليم وهذا من الأسباب التى توقظ الشعور بالنقص لان التعليم المبتور يخلق مشكلة بين الأفراد .

ذلك أن الفئات التى تعلمت من قبيلة الكيكويو تعليما متوسطا لا تستطيع اتمام دراستها وفى الوقت نفسه لا تستطيع القيام بالزراعة فيضطر افرادها الى الاشتغال أجراء فى أرض البيض . وقد نال كثير من أبناء القبائل الافريقية وبخاصة الكيكويو والاكامبا والواشاجا قسطا من التعليم ، فمنهم الصحفيون والسياسيون الذين يطالبون بحقوق بلادهم وينادون بخروج الأوروبيين والحصول على الحقوق الكاملة للحكم الذاتى . وقد اتسعت وسائل نشر التعليم والمعرفة عن طريق عرض الأفلام السينمائية ، والاذاعة فقد استطاع الافريقيون أن يكونوا على علم بالتطورات الحديثة فى العالم الخارجى فى العلوم ، وثورات الشعوب الأخرى . بعد أن كانوا لا يعرفون غير بيئتهم المحيطة بهم قبل دخول الأوروبيين وزادت الصحافة الوطنية انتشارا واتساعا ، ومن أهدافها توضيح السياسة ، وتوطيد علاقة جمهور المتعلمين وغير المتعلمين .

وبهـذا لعبت دورا مهمـا فى نشر الوعى القومى ، ويقظة شعور الافريقيين ، وقد ترتب على هـذا ظهـور زعامات سـياسـية افريقيـة جـديدة تعالج نوعا جديدا من السلطة ، هذه الزعامات درست المصطلحات السياسية الأوروبية ، وعرفت كيفية استعمالها ، واستطاعت التعبير عن القضايا الافريقية مما كان له أكبر الأثر فى ظهور الحركة القومية فى تلك المنطقة .

٣ ـ النظم الاقتصادية :

وكمـا صحب دخـول الأوروبيين انتشار الدين المسيحى والتعليم فقد ترتب عـلى اسـتقرارهم فى شرق افريقية البريطانية ظهور نظم اقتصادية جـديدة أدخلت تعـديلات كثـيرة على حيـاة المجمـوعـات القبلية . وظهر نوع جـديد من الاقتصـاد الحديث الذى يعتمد على رئاسـة الأوروبيين وتأجـير العامل الافريقى الذى انسلخ من قبيلته ، وأصبح لدينا فى هذه المنطقة اقتصاد تقليـدى ـ يسد مطالب الحياة المحلية الوطنيـة وقد أخذ فى التناقص والاختفاء نظرا لتغيير الظـروف المحيطـة . وامـا الاقتصاد الثانى فهو الحـديث الذى يعمـل على اسـتغلال موارد البـلاد بأرخص التكاليف للحصول على المواد الخـام وذلك لمصلحـة الأوروبى الخاصة . فالافـريقى فى الحقيقـة لا يشارك فى الاقتصاد العام الا بجـزء ضئيل فى الثروة المحلية والانتاج ، على حين نجد أن الأوروبيين يوجهون الجهاز الاقتصـادى لمصالحهم ، مما جعل العمال الافريقيين يطالبون بزيادة الأجور وانشاء الخـدمات الصحيـة والاجتماعية والتحرر من حالة عدم التوازن فى توزيع الدخل بين الأوربى والافريقى .

هكذا حدد الاقتصـاد الأوروبى الحديث الذى دخل افريقيـة ، حدد الطريق الى الحركة الوطنية بعـد أن ظهـر للوطنى الافريقى اتجـاه المستعمر الأوروبى نحوه .

المراجع : ـ

Buell : (1928) The Native Problem in Africa

Hodgkin Thomas (1956 Nationalism in colonial Africa (London)

Lugard. F. D. (1893) The Rise of an East African Empire.





الرحالة حرخوف :

تعتبر الأسرة السادسة من اشهر الأسر التى اهتمت اهتماما خاصا ببلاد النوبة ، والبلاد التى تقع خلفها جنوبا عند الشلال الثانى ، ويعتبر **«حرخوف»** من اشهر هؤلاء الرحالة الذين توغلوا فى الجنوب ، وقويت عندهم حاسة المعرفة بالنهر ، وكل البلاد الواقعة على جانبيه .

وقد كان يسير وفق طريقة علمية فى عملية الكشف هذه ، ذلك لأنه ما كان يعود من الطريق نفسه الذى سلكه . فالمغامرة السهلة لم تكن لتشوقه ، وتكرار المعرفة لم يكن يجد له صدى مستحبا فى نفسه التى كانت « كالمؤشر » الذى يتحرك فى خط جنوبى دائما . فقد قام بأربع رحلات متتابعة للكشف ، والدراسة . كانت أولاها حينما كان صغيرا وسمع أن والده سيتوغل نحو الجنوب ، وقد رجاه فى هذه المرة أن يصحبه ، ووعده الا يشكو من شيء ان هو صحبه معه بعيدا عن مصر ، وامام هذا الحماس الذى ارضى والده لم يكن بد من ان يسيرا سويا ، وان يتوغلا حتى يصلا الى « أيام » عند الشلال الثانى فى مدة طالت حتى بلغت ثمانية أشهر . كان خلالها « حرخوف » دائم البحث ، والسؤال عن طبيعة البلاد ، وسلوك الناس ، والمقارنة بين الطبيعة فى الجنوب والطبيعة فى الشمال ،والسلوك فى النوبة والسلوك فى مصر ، وما كان يقف كثيرا عند عملية المقارنة هذه ، لأنه ما كان ينكر شيئا من حوله ، وما كان يقابل عنده هذا الامتداد فى الجنوب الا امتدادا آخر فى الشمال ، ومن هنا نراه يعود ممتلىء النفس بالروابط النيلية التى تضرب بجذورها فى كل مكان على الشاطئين .

وما يمكث كثيرا فى مصر حتى نراه بهذا القلق العلمى الذى يصله بالأيام الأولى التى قضاها هناك ، والذى يلح فى الصباح بالقوة نفسها التى يلح بها فى المساء ، ومن هنا لا يجد بدا من أن يطلب من المسئولين فى مصر انه يريد أن يتوغل فى الجنوب أكثر مما توغل فى المرة الأولى ، ويجد آذانا صاغية ، واعجابا بحماسه فتعد له العدة ، ونراه يسير مخترقا طريقا جديدا هو طريق « **الفنين** » وفى طريقه كان يشاهد ويسجل طبيعة الحياة من حوله ، ويتعمق خطوات الوجود الرطبة التى كانت تتأمل هى الأخرى الحياة من حولها ، وتأتى له الرسل من مصر فيرد بأنه لن يترك البلاد الا بعد أن يقضى ثمانية اشهر اخرى كهذه الأشهر الأولى . فاذا أتمها عاد الى مصر ، واخذ يحدث الناس عن

الطبيعة الطيبة فى هـذه البـلاد ، وعن امتداد الصحراء التى تكتنفها فى أكثر من مكان ، ويقبل عليـه الناس يستمعون ويجد لذة فى أن يتكلم ، وتسوقه لذة الحديث الى أن يفكر وهو يتكلم لم لا يعود مرة ثالثة الى هذه المنطقة ؟ ولم لا يتوغل أكثر مما توغل من قبل ؟ ولم لا يضيف الى نفسه مساحات أكبر من تلك المساحات النفسية التى أضافها من قبـــل ؟ وهـكذا نراه يعـود بعـزم وحب جديدين الى هـذه البلاد مارا بدرب الأربعين المعروف ، وقد كانت هـذه الرحلة مثمرة بالنسبة له فقـد عاد بأفكار جديدة ، وبثلثمائة دابة محملة بخيرات هذه البلاد .

أما رحلته الرابعة والأخيرة فقـد أحضر فيها قزما للرقص المقدس أمام الملك ، وكان هذا فى عهد «مونرع» ، و « بيبى الثانى » .

على أن ((**حـرخـوف**)) لم يكن الوحيد فى هذه الفترة الذى شـاقه سحر الجنوب . فقد كان بجانبه كذلك الرحالة ((**مخو**)) ، والرحالة ((**سابنى**)) وقد كان الجميع يعودون بالبخور ، والعطـور ، وسن الفيـل ، وريش النعام بعد أن كانوا يقدمون هم كذلك الى رؤساء القبـائل المنسـوجات ، والعسل ، والعطور ، ولم يكن السفر فى هـذه الفترة صعبا لأن القـوات النوبية كانت تشكل جزءا من الجيش المصرى ، حتى أن جيش ((**أونى**)) كان قائما على التجهيز من النوبيين والمصريين سواء بسواء ، فضـلا عن روابط المصاهرة التى كانت تتم بين الشعبين دائما ، وهكذا نرى فضل مصر قديما ، فى عملية الاستكشافات على طول النيل .

الملك بعانخى :

سجل الملك « بعانخى » أخبـار فتوحاته فى مصر على صخرة كبيرة من الحجر الأسود فى معبده بجبـل « البركل » ، وقد عثر ضابط مصرى عام ١٨٦٢ على هـذه اللوحة ونقلها الى القـاهرة ، وهى موجـودة الآن بمصـلحة الآثار بالقـاهرة ، ويبلغ ارتفـاع هـذه اللوحة المنقوشة على صخرته خمسة أقدام ، وأربع بوصات ، وتضم ١٥٩ سـطرا ، وعلى راس هذه اللوحة صورة الاله « آمون » وهو جالس ، وأمامه « بعانخى » وثلاثة ملوك آخرون وكلهم فى هيئـة ركوع ، وهذه مقتطفات من الوثيقة :

« وفى اليوم الأول من شهر توت وبعد مضى احدى وعشرين سنة على حكم ملك الشمال والجنوب بعانخى، محبوب أمون الأزلى ، تفوه جلالته بهذه الكلمات : اسمعوا عنى يا معشر القوم ، هذه الأشياء التى عملتها ولم يسبقنى اليها سلفى . أنا الملك الوفى الذى أمده الله بفيض منـه ، وقـد قضى الله أن أكون حاكما منذ ولادتى، حاكما يلقى فى قلوب الزعمـاء الهلع والرعب .

وفى اليوم التاسع من أول شهور الصيف شرع جلالته فى رحلتـه على النهر شمالا الى طيبة ، واشترك فى احتفالات آمون ، ثم استمر فى سيره على النهر ، ثم خـرج من رحلته فى السفينة ، وأسرج خيوله ، ثم ركب

مركبه ، وقد دب الذعر فى قلوب الناس حتى بلغ جهات ساتى النائية (يقصد آسيا) ثم انقض جلالته على أعداء جنده ، ثم حاصر جلالته مدينة ((هيرمابولس)) ، ثم جعل أكواما من التراب تغطى الحيطان ، وثبت عليها أعمدة خشبية ليرقى عليها ، وصار الجند يرمون السهام ، والقلاعات تقذف بالحجارة فتقتل الناس داخل المدينة .

وفى اليوم الثالث غدت المدينة كريهة الرائحة بسبب الجيف المتعفنة ثم خرت المدينة صاغرة طالبة من جلالته الرحمة ، والعفو ، وقد جاء السفراء يحملون معهم كل جميل ، وحسن من ذهب ، وحجارة كريمة، وملابس فاخرة . وذهب الى اصطبل الخيول ، وأدرك أنها كانت تعانى الجوع وقال : حلفت بحياتى أن أسوأ أعمالكم الشريرة التى ساقتكم اليها قلوبكم الفظة هو تجويعكم الخيول ، الا تعلمون انى ظل الله فى أرضه ، وان الحظ حليفى دائما .

ثم تقدم جلالته نحو الجدار الأبيض (ممفيس) ثم بعث برسل من قبله ليقولوا لأهلها : لا توصدوا أبواب مدينتكم ، وسوف لا يقوم عراك داخل المدينة . ستظل ممفيس آمنة وادعة ، ولن يلحقها أذى ، ولن يرفع طفل صوته بالبكاء .

وعند طلوع الفجر جاء صاحب الجلالة الى الدار البيضاء ، ووجد أنها حصنت تماما فثار غضب جلالته وقال محنقا : سأغمر هذه المدينة كطوفان الماء ، وقال لجنده : جاء دوركم الآن لتعملوا ، طوقوا السور، وادخلوا المنازل عن طريق النهر ، واصفحوا عن أولئك الذين لا يبدون مقاومة ويريدون الخضوع لكم فان محاربة هؤلاء أمر مرذول .

ثم بعث ((**تفنخت**)) الذى حارب الملك ــ رسولا الى جلالته قائلا : لنكن في سلام وأمن مع بعض فانى لم أر وجهك تعلوه الهزيمة ،واننىأصبحت لا أحتمل ما أصليتنا من نار ، وان الذعر قد دب فى قلوبنا من جراء غاراتك وهأنذا أقر بالهزيمة فقد وصلت أقصى المستنقعات فى المياه الخضراء العظيمة (البحر الأبيض المتوسط) ولكنى خائف . أدركت أنى تعس فلا تعاقبنى بما أنا أهل له من العقاب . »

وقد رحب به جميع الناس محتفين مرددين : فليحى الحاكم ، والفاتح المقدس بعانخى .

معلومات عن غانة :

● احتفل باستقلالها فى مارس عام ١٩٥٧ ، وكانت تسمى من قبل « ساحل الذهب » ولكن رجع الى اسم « غانة » الذى كان المسلمون يطلقونه على جميع النواحى التى تقع جنوبى المغرب ، وغربى السودان .

● مساحتها ٢٣٥ر٠٠٠ كيلو متر مربع .

● تنقسم هذه الدولة العظيمة الى مقاطعات خمس هى : ــ

١ ــ المنطقة الشمالية .
٢ ــ اشانتى .
٣ ــ توجولاند .
٤ ــ المنطقة الشرقية
٥ ــ المنطقة الغربية ..

● تعتبر أول بلد منتج للكاكاو .

● أهم مدنها «اكرا» و «كوماس»، و « كيب كوست » ، «تاكورادى» .

● بدأ الوعى التحررى فيها عقب الحرب العالميـــة الثانيـــة الذى توج بتكوين حزب « مؤتمـــر الشعب » برياسة الدكتور كوامى نكرومة ، وفى عام ١٩٥١ اضطرت بريطانيا الى منح البلاد دستورا جديدا ، وفى ١٨ من سبتمبر عام ١٩٥٦ أعلنت بريطانيا انها ستمنح غانة الاســتقلال داخـــل الكومونولث ، وأخـــيرا حصلت على استقلالها فى ٦ من مارس عام ١٩٥٧ .

● أصبحت أخـــيرا جمهـــورية متحـــررة بقيـــادة الرئيـــس كوامى نكرومة .

● كان استقلالها بشير خير على الدول المجاورة التى قامت هى الأخرى بعزم واصرار مقتفيـــة آثار غانة فى طريق التحرر ، وقد تم للكثير منهـــا ما أرادت .

● تدعو غانة باخلاص الى الوحدة الافريقية ما استطاعت ، وفى ســـبيل ذلك اتحـــدت مع غينيـــا ، وجاء فى دستورها أن للبلاد الحق فى أن تنضم الى أى اتحاد افريقى كبير

تحقيق صحفى :

من التحقيقات الموفقة هذا التحقيق الذى قام به الأستاذ عبـــد الحميد سرايا فى جنوب افريقية على الطبيعة هناك ، فقد قطع سبعة آلاف كيلومتر مـــن القـــاهرة الى جوهانســـبرج ، وصافحته فى كل خطـــوة يخطـــوها لافتات متراصة بأن هذا المكان خاص بالبيض ، وهذا المكان خاص بالملونين . رأى هذا فى السينما ، والمتـــاجر ، والأوتوبيسات، والمصاعد، والكنائس، ورأى كيف أن أهل البلاد تحرم عليهم الاقامة فى جوهانسبرج بأمر الحكومة التى حصرتهم فيما وراء الجبـــل . وكيف أنهم يعيشون فى ظلال قوانين جائرة ومن هذه القوانين:

١ — تحـــريم الزواج المختلط فالكنيسة لن تبـــارك أى زواج بين الأوربيين وغيرهم وكذلك الحكومة .

٢ — قانون الاسكان الذى يهدف الى عزل البيض عن السود .

٣ — تحديد المنـــاطق الســـكنية حسب التقسيم اللونى .

٤ — مصادرة كل الجهـــات التى تقاوم التفرقة العنصرية .

٥ — تقسيم العمل بحيث ينحسر الوطنيون عن الأعمال الفنية ، والضغط عليهم اقتصاديا .

٦ — حمـــل جوازات المرور لمنـــع تدفق الوطنيين على المـــدن ، ولكى ينتقل العامل الوطنى من منطقة الى جوهانسبرج مثلا فعليه أن يقـــدم الأوراق الآتية : —

(ا) شهادة حسن سير وسلوك موقع عليها من زعيم القبيلة وضابط البوليس الأبيض .

(ب) شهادة تثبت انه دفع خمسة شلنات « ضريبة رأس » عن العـــام الماضى .

(جـ) شهادة بالموافقة على البحث عن عمل .

(د) فاذا وجد عملا كان عليـــه حمل شهادة توضح عمله ، وعنـــوان قبيلته ، واسم زعيمها .

(هـ) شهادة تخول له السير ليلا بعد الساعة العاشرة مساء .

ثم ذكر لنا التحقيق الآتي : ـ

ينقسم سكان جنوب افريقية الى ثلاثة شعوب ، أو على وجه الدقة ثلاثة اجناس هي :

١ ـ الجنس الأسود

ويضم ما يعرف باسم الوطنيين ، ويسمونهم فى جنوب افريقية « البانتو » والبانتو كلمة بلغة قبائل الزولو تعنى الرجل ، وعددهم تسعة ملايين ونصف مليون نسمة ، وهؤلاء « البانتو » ينقسمون الى عدة شعوب أهمها **النجوني ، والسوتو ، والشانجان** وكل شعب بدوره ينقسم الى عدة قبائل منها الزولو ، والكوزا ، السوازى ، والندبيلى ، والبيدى ، والتسوانا ، وليس بين هذه القبائل والشعوب الا العداء والتناحر الذى ترسب فى نفوسهم منذ قرون ، وحتى المثقفون منهم يحافظون جدا على التقاليد القبلية التى ورثوها عن آبائهم ، وكل القائمين بالتدريس فى مدارس البانتو من أبناء هذه القبائل ، ومع أن بعضهم تلقى تعليمه فى أوروبا الا أن التقاليد القبلية لا تزال عميقة الجذور فى نفوسهم ،وان كانوا جميعا كالافريقيين يلتقون حول فكرة واحدة : هى كراهية الرجل الأبيض .

٢ ـ الجنس الأبيض

يبلغ ثلاثة ملايين ، ويضم شعبين رئيسيين ، الشعب الأول ينحدر من أصل هولندى ، ويعرف باسم «الافريكان» ويكون ٥٤٪ من مجموع الجنس الأبيض ، والثانى ينحدر من أصل انجليزى ويكون نسبة ٤٥٪ أما الأجناس الأخرى فتكون مجتمعة ١٪ ، وبين الأفريكان والانجليز عداء مستحكم ، وان كانوا يلتقون كذلك حول فكرة واحدة : هى كراهية الوطنيين ، وبرغم أن اتحاد جنوب افريقية مستقل من خمسين سنة الا أن الأفريكان لا يعترفون بهذه الحرية الا فى عام ١٩٤٨ حينما كونت أول وزارة افريكانية خالصة .

وتحتدم اليوم بين العنصرين الانجليزى والافريكانى معركة حامية لأن الأفريكان يريدون اعلان الجمهورية تمهيدا للخروج من « الكومنولث » أما الانجليز فيريدون بقاء الاتحاد على وضعه الحالى من حيث تبعيته للتاج البريطانى ، ولعضويته فى الكومنولث.

٣ ـ الجنس الأسمر :

ويبلغ مليونين و ٨٠٠ ألف نسمة وينقسم الى ثلاثة شعوب : ـ

١ ـ الخلاسيون وعددهم مليونا و ٢٠٠ ألف ، ويسمونهم « ملونو الكاب » وهم مزيج من هولندا ، وانجلترا ، وشرق افريقية ، وعدن، وجاوه ، والهند ، والصين ،والمملكة العربية السعودية ، وأكثرهم مثقفون يسهمون فى الحياة فى ظلال التفرقة العنصرية .

٢ ـ الملايو وكلهم مسلمون وعددهم ٩٠ الفا ، وقد وفدوا على البلاد حينما نفت الحكومة الهولندية منذ أكثر من ٢٥٠ عاما الشيخ يوسف وحاشيته وأجبرته على ترك جاوة والمعيشة فى هذه البلاد .

٣ — الهنود وعددهم ٤٠٠ الف ويقيمون على الساحل الشرقى ، ويميزون بالثراء لأن كل تجارة هذه المنطقة فى أيديهم .

مؤتمر كوناكرى :

من مؤتمر كوناكرى كتب السيد « أنور السادات » ما يأتى :

أجلس الآن مرة اخرى الى المنضدة الصغيرة بعد أن عدت الى غرفتى عقب جلسة لطيفة مع الرئيس سيكوتورى تناولنا فيها الشاى بعد انتهاء طعام الغداء ، وقبل أن اصف هذه الجلسة لابد لى أن احكى عن استقبالنا فى مطار « كوناكرى » فقد كان السيد « اسماعيل تورى » وزير الأشغال العامة ،ورئيس اللجنة السياسية فى الحزب الديمقراطى الغينى على رأس مستقبلينا ، وكان هناك أيضا وفد الاتحاد السوفيتى، والصديق سفرنوف بقامته الضخمة، ووفد الصين الشعبية ، وسفيرنا ، وأفراد السفارة . وقد تبادلت مع اسماعيل تورى الكلمات المناسبة ،ثم بدأ مهرجان جميل من الغناء والرقص الشعبى ترحيبا بنا ادت فيه فتيات الحزب ألوانا رشيقة من الرقص ، والغناء الوطنى كشفت لنا عن مدى تعلق الشعب الغينى بالفنون، والبهجة ، والمرح ، وقد كانت تقود الفتيات سيدة عرفنا فيما بعد انها عضو فى المكتب السياسى للحزب وهو قمة التنظيم هناك .

ولقد كانت نصف ساعة من النشوة والألحان نسينا فيها متاعب اثنتى عشرة ساعة كاملة فى الجو ، وأحسسنا بكل معانى الترحيب المخلص العميق . واعود الى الرئيس سيكوتورى فهو **شاب فارع الطول تحمل أكتافه وجها شديد السمرة وسيم التقاطيع ،تحس لأول مرة تراه بجاذبية عجيبة لعلها وسامته ، أو لعلها ابتسامته غير المتكلفة التى تضفى على وجهه بشرا محببا الى النفس ،أو لعلها بساطته وهو الرجل البسيط جدا من صميم الشعب الذى وصل بكفاحه ، والتفاف الشعب حوله الى هذا المركز ، أو لعلها ملابسه الوطنية البسيطة وهى عبارة عن رداء محور من الجلباب المغربى ، و « بلغة » مغربية مما نعرفه هنا فى ريفنا ، ويلبسها فلاحونا ، أو لعلها ومضة الذكاء التى تشع من عينيه الباسمتين .. وكل شىء فى وجهه يبتسم .**

لعلها احدى هذه العلامات ،أو كلها هى التى تجعل من « سيكوتورى » شخصية جذابة تزينها رزانة طبيعية ويقين هادىء راسخ .

كلمة :

جاء فى مقال لكيسلى هالفورد «ان مستقبل غرب افريقية يتطلب من شبابه أن يبدأ الحياة وله غرض واضح محدد أمامه .

ونحن على يقين من أن شباب هذه المنطقة يذخر بالعقول المفكرة ،والأيدى الصناع فى الحرف ، والمهن الآلية، على أنه ليست تنقصه سوى القوة التى تحدد الهدف وتسير به نحوه .

ان وحدة غرب افريقية تنبع ، وتنبعث منتقاة الجوهر ، وملهمة

بعقيدة مؤداها أن فى الوحدة قوتها ، وفى الخلاف والتصدع ضعفها » . ـ

حافظ ابراهيم :

من الرثاء المؤثر الذى رثى به شاعر النيل البطل السودانى الزبير قوله :

يا روضة النيلين جئت مسلما
فعليك من لدن الآله سلام
لى فى ربوعك من رجالك معشر
شم اذا جار الزمان كرام
أين «الزبير» أبو الفوارس والندى
قد غيبته عن حماك رجام
قد كان فخرا للبلاد وذكره
باق بها . ما كرت الأعوام
كفاه سودتاه كفة حاتم
جودا ، وكفة عنتر وحسام
ولى فأودع كل قلب حسرة
وبكى عليه العرب والأعجام
فحباه رب الكائنات نعيمه
وسقى ثراه من السماء غمام





« الطبيعة فى توجو »



الخل الوفى

بقلم
عباس خضر

خرج الملك ذات يوم يجول فى أرجاء مملكته ، وكان متخفيا فى زى تاجر من التجار حتى لا يعرفه أحد ، وجعل يمشى فى الخلاء حتى رأى منظرا عجيبا .. رأى رجلا واقفا فى بركة من الماء وبيديه غربال يغربل به الماء .. فتعجب منه غاية العجب ، ولما اقترب منه سأله :

ــ ماذا تفعل أيها الرجل ؟ .

ــ ابحث عن شىء .

ــ اى شىء تبحث عنه بهذه الطريقة العجيبة ؟ .

ــ شىء بحثت عنه فى كل مكان فلم أعثر عليه .. بحثت عنه بين الناس وبين الحيوان والطيور وفى الجبال وفى الرمال ، ولم يبق الا الماء ، وهأنذا كما ترانى أبحث عنه فى هذه البركة ..

ــ أهو عزيز الى هذا الحد ؟ .

ــ ليس فى الحياة أعز منه .

ــ هلا ذكرته لى فقد أدلك عليه ، أو أعينك فى البحث عنه .

ــ انه الخل الوفى ..

ــ الخل الوفى .. ؟

ــ نعم ، الصديق المخلص .

وفكر الملك قليلا ، ثم قال للرجل :

ــ اسمع يا صاحبى ، كف عن عملك هذا وتعال .. أنا صديقك المخلص

فخرج الرجل من البركة ، وسار مع الملك المتخفى حتى وصلا الى قصر الملك .. فاصطف الحرس ، وعزفت الموسيقى ، وأحاط بهما الخدم والحشم فى أدب واجلال .

نزل الرجل فى ضيافة الملك ، ونام ليلته قرير العين سعيدا بهذه الصداقة الجديدة ، راجيا أن يكون له الملك الصديق المخلص الذى ظل يبحث عنه سنين طويلة .

وفى اليوم التالى جلس الملك فى ديوانه يدير شئون رعيته ، وجلس الوزير عن يمينه ، والصديق عن شماله . وبينما هم كذلك حضر رسول ينبىء الملك بأمر هدية بعث بها اليه أحد الحكام ، وهى حلة من الحرير الفاخر مرصعة بأثمن الجواهر ، فنظر الملك اليها وأعجب بها ، وقال لوزيره :

ــ دبرنى يا وزير .

ــ التدابير لله يا ملك .

ــ هل ألبس هذه الحلة ؟ .

ــ نعم يا مولاى انها حلة عظيمة تليق بمقامكم السامى .

« وكان الصديق صامتا ، فالتفت اليه الملك وقال له » :

ــ هل البس هذه الحلة ياصديقى ؟ .

ــ لا ، لا تلبسها ..

ــ لماذا ؟ .

ــ ليلبسها أولا الرسول الذى اتى بها .

فأمر الملك الرسول أن يلبس الحلة ، فقال الرسول :

ــ انها يا مولاى حلة ملكية فكيف لمثلى أن يلبسها ؟ .

ولكن الملك أصر على ما أمر به ، فلم يسع الرسول الا أن ينفذ أمر الملك ، فلبس الحلة .. واذا جسمه يتساقط قطعة قطعة ويسيل منه الدم ..

وكانت الحلة مسمومة ، وكانت مكيدة مدبرة لقتل الملك فسر الملك بصديقه وأعجب بذكائه واخلاصه .

« وفى يوم آخر كانوا جالسين فى ديوان الملك كالمعتاد ، واذا رسول يقبل بهدية أخرى ما رآها الملك حتى دهش لمنظرها فقال للرسول » :

ــ ما هذه ؟ .

ــ رمانة يامولاى .

ــ رمانة .. ؟ رمانة من ذهب ؟ .

ــ انها رمانة حقيقية ذات قشرة ذهبية ، تطرحها شجرة عندنا ،واحدة فقط فى العام ، لا تطرح غيرها ، وقد أحببنا ان نؤثر بها جلالتكم .

فالتفت الملك الى يمينه وقال :

ــ دبرني ياوزير ، هل آكل من هذه الرمانة ؟ .

ــ نعم يا مولاى ، أن منظرها جميل ، ومادامت بهذا الشكل فلابد أن تكون لذيذة الطعم شهية المذاق .

« ثم نظر الملك الى شماله » وقال :

ــ ياصديقى العزيز ، لماذا أنت ساكت ؟ هل ترى أن آكل من هذه الرمانة .

ــ لا . لا تفعل .

ــ لماذا ؟ .

ــ مر هذا الرسول أولا يأكل منها .

وما أكل الرسول من الرمانة حتى سقط يتلوى على الأرض . وظهر انه سم كان يراد دسه للملك فى هذه الرمانة الذهبية .. فازداد حب الملك لصديقه واعجابه بوفائه وذكائه ، مما جعله يتمسك باطالة مدة ضيافته ويبالغ فى تكريمه .

«فى يوم ثالث كانوا فى الديوان مثل عادتهم فأبلغ الملك نبأ هدية جديدة هى حصان عربى أصيل وعليه سرج من الذهب الخالص مبطن بالديباج الأخضر ومطعم بالماس ، وتحلى صدره « وشمة » من أثمن الجواهر . وشاهد الملك الحصان فكاد يطير من الفرح به، لأنه من هواة الخيل ولم ير لهذا الحصان مثيلا من قبل » . وقال لوزيره :

ــ دبرنى يا وزير .

ــ التدابير لله يا ملك .

ــ ما رأيك فى هذا الحصان .

ــ انه عظيم يا مولاى ، ما رايت مثله .

« وهم الصديق بالكلام خشية اندفاع الملك لشدة لهفته الى الحصان ، ولكنه ضبط نفسه وانتظر حتى يسأله الملك » فقال هذا :

ــ هيه يا صديقى .. ما اظنك تعترض على أن أركب هذا الحصان ..

ــ مهلا أيها الملك العزيز ، لن نخسر شيئا اذا انتظرنا قليلا حتى يركبه القادم به .

ــ فليكن ما ترى أيها الصديق الكريم .

« وما كان أعظم دهشتهم حينما ركب الرسول الحصان ورأوا الأرض تنشق وتبتلعهما وتنطبق عليهما .. » .

« وذات يوم خرج الملك وصديقه الى الصيد ، وقصدا صحراء بعيدة وجعلا يطاردان الغزلان ، وكانت تفر منهما وتعدو ، فيعدوان وراءها ،حتى أوغلا فى الصحراء وقطعا مسافة طويلة » . وقال الملك للصديق .

ـ هيا بنا نرجع فقد جاوزنا حدود مملكتى .

ـ ولكن المسافةالتى قطعناها طويلة تستلزم العودة فيها أياما ، وقد نفد ما كان معنا من زاد وماء ، فاذا سرنا راجعين هلكنا من الجوع والعطش .

ـ وبما تشير يا صديقى ؟ .

انظر هناك .. ألا ترى ذلك القصر الذى يبدو بعيدا عند الأفق .

ـ بلى ، أراه .

ـ ماذا تقول فى أن نتجه اليهونطلب من أهله زادا أو ماء على الأقل ؟ .

ـ ولكنه يقع خارج حدود مملكتى.

ـ اننى أعرف أصحابه وهم أناس كرام طيبون .

ـ لا بأس ، هيا بنا .

« وسار الاثنان ، وما اقتربا من القصر حتى عزفت الموسيقى واصطف الحراس ، وأبدى لهما كل من هناك عظيم الاجلال وأرق التحيات .

دهش الملك ،ولكن الصديق بادره قائلا : »

ـ أنت ملك وأنا ملك ، وهذه مملكتىوهذا قصرى . وقداستضفتنى مدة طويلة فلابد أن تتكرم بالنزول فى ضيافتى حتى نقضى معا أياما أخرى وقد صرنا صديقين .

« ونزل الملك فى ضيافة الملك الثانى، وكانا يجلسان فى الديوان هنا كما كانا يجلسان هناك ، وكان من العادات المتبعة فى هذه البلاد أن الضيف اذا كان عزيزا فان زوجة المضيف تخدمه بنفسها مهما كانت منزلتها » .

وفى يوم من الأيام أستأذن الملك المضيف صاحبه الملك الضيف فى أن يغيب عنه يوما واحدا يقضيه فى مكان من مملكته لأمر مهم يتعلق بصالح البلاد » وقال له :

ـ كلما احتجت الى شئ فاضرب هذا الطبل بهذه المقرعة فان زوجتى تحضر وتلبى طلباتك .

ـ أشكرك يا صديقى ، فاذهب وعد الينا بسلام .

وأراد الملك الضيف أن يتوضأ ، فضرب الطبل بالمقرعة ، فخرجت اليه زوجة المضيف فى جمال فاتن وحسن رائع ، تزينها الحلى الغالية ، وقد لبست ثوبا حريريا فاخرا تجر ذيله الطويل وراءها .. وقالت بصوت عذب رقيق :

ـ انى فى خدمتك .

ـ اريد أن اتوضأ .

فأحضرت طستا وابريقا من الذهب الخالص ، وجعلت تصب الماء علىيديه من الابريق ، فلما فرغ نظر حوله فلم يجد منشفة يجفف بها الماء ، فقالت له :

ـ جفف بذيل ثوبى .. !

ـ عفوا ياسيدتى ! .

ـ ان هذه عادتنا فى اكرام الضيف العزيز ..

بهره حسنها ، وتسلل الشيطانالى قلبه .. فمد يده الى ذيل الثوب ولمس ساقها .. وفيالحال اختفت عن ناظريه

ندم الملك على فعلته اشد الندم ، وخرج من القصر ، وجعل يسير على غير هدى وهو لا يشعر بما حوله ، حتى وجد نفسه أمام البركة التى لقى صاحبه عندها اول مرة ، ورأىالرجل الباحث عن الخل الوفى فى المنظر الأول نفسه ، يغربل الماء



عرض وتلخيص : لمعي المطيعي

فى « كوناكرى » عاصمة دولة غينيا الديمقراطية ،وفى سبتمبر من عام ١٩٥٩ صدر هـذا الكتاب وعنوانه عن الانجليزية **« نحو صبغة افريقيـة كاملة »** والكتاب يعالج الكيان الافريقى كله خلال معالجته لمشـكلات دولة غينيا الديمقراطية .. وان شئنا الدقة فهذا الكتاب بمثابة (فلسفة الثـورة الافريقية) فهو يعرض مشكلاتها .. ويعرض الحلول لها .. بأسلوب سهل بسيط بعيد عن التعقيد والألفـاظ الضخمة .. والمصطلحات السياسـية المعقدة ، ويتخذ تشبيهاته وأمثاله من ارض غينيـا ذاتها .. ومن البيئة الأفريقية ذاتها وفى الوقت نفسه تحمل هذه التشبيهات ، البسيطة والألفاظ السهلة فى طياتها اعمق الافكار وأكثرها تأثيرا .. يقول : ليشرح حـزب غينيا الديمقراطى :

« لقد قدمنا لكم هذا الحـزب منذ اثنى عشر عاما ، وكان مجرد بذرة .. والبذرة يلزم لها ظروف ملائمة لتنبت وتثمر .. وقلنا وقتئذ لنساء غينيـا هاتوا المياه صباح مساء لتنبت البذرة وقلنا لشباب غينيا احموا البذرة .. وقد نبتت البذرة وأصبحت شجرة ، فقلنا لشباب غينيا تسلحوا بالنبـال حتى تبعـدوا عن الشجرة الطيـور المؤذية التى تسلبها أوراقها وثمارها .. وقلنا لأعضاء الحزب وقادته الأول ، أن هذه الشجرة ليست لأشخاصهم على الاطلاق ، فقد يموتون خلال العمل وقبل أن يروا ثمارها ـ وقبـل ان يذوقوا حلاوة ثمرتها .. هـذا وقد ذكرنا أثناء المؤتمرات المتعددة أن هذه الشجرة مثل الحق .. فينبغى أن تدرك الحق وأن تبينـه للشعوب ، وعندما تنجح هذه الشعوب فى تمييز الحق عن الباطل فانها لن تحيد عنه مطلقا » .

هـذا هو مثال واحـد لبسـاطة التشبيه وبساطة العبارة التى يتميز بها الكتاب من بدايته حتى نهايته .. على ان الكتاب « العودة الى افريقية » .. والهدف من الفكرة الرئيسـية فيه .. ان كل شيء للافريقيين .. وكل شيء نبحث عن أصله وتراثه الافريقى .. فان افريقية القـديمة لم تعـرف التجزئة ، وانما التجزئة قد فرضـها الاستعمار .. « وقد ادخلت فرنسـا تعديلات كثيرة على الأراضى الافريقية لالغاء شخصيتها وادماجهـا تماما فى فرنسا » .. الا أن هـذه المحاولات الزائفة لم تفلح .. واضطرت فرنسا الى رفع شعار الاتحاد المزيف واحاطته بمظاهر زائفة وكانت تهدف من وراء هذه الخطة الى ادمـاج الأراضى الافريقية فى الامبراطورية الفرنسـية .. وطمس معالم الشخصية الأفريقية .

فى المجال الدولى

واذا كان حزب غينيا الديمقراطى ينادى بالديموقـــراطية ، فان لهذه الديموقراطية جذورها وأصـــولها الأفريقيـــة ، لقـد اعتاد الافريقيون أنماطا ديمقراطية معينـــة ، ذلك لأن المتقدمين فى العمـــر هم الذين كانوا يتكلمون باسم بلادهم « وفى مؤتمرات القرى يتـــكلم المسـنون أولا » ان العودة من جـديد لافريقيـــة ليست بالمعنى السياسى لهذه الكلمة فحسب ولكن بالمعنى الثقـــــافى والأدبى ، والديموقراطى أيضا .

وهكذا يصبح « شـعار العـودة لافريقيـــة » المحرك الرئيسى لفلسفة الثورة الأفريقية ، التى يعبر عنهـا الكتاب .. فى المشكلات التى يعرض لها كلها .. ففى الدعـوة الى تحرير المرأة يقول سيكوتورى « ينبغى أن نعود مرة ثانيـــة الى تراثنا الخاص ، فاننا لا نجد المرأة الأفريقية تعتبر مخلوقا أدنى .. فان كثيرا من جماعاتنا لا تزال تخضع لسلطة الأمومة » .

هذا هو الخط الأول والأساسى فى أفكار الكتاب .. وبجانب هـذا الخط قسمات أخرى ذات أهمية كبرى ٠٠ ومن أشدها بروزا : الاتجاه الاتحادى لأنه كى تنجح ثورةغينيا ، لابد أن تأخذ بالفلسفةالاتحادية .. والافكار الاتحادية .. ومن هنا كانت الأهمية الكبرى لوحدة مختلف الفئات والهيئات فى غينيا داخل حزب واحـــد هـــو « حزب غينيا الديموقراطى » .. هذا الحـزب الذى « أتيحت له ظروف مناسبة ، لم تتح لغيره من الأحزاب الأخرى الشقيقة ، فى السنغال والســودان ونيجـيريا وغيرها » وهو يختلف عن غـيره من الحركات (العرقية) التى سبقته فى غينيا ، وهو ليس حزبا قاصرا على الماضى أو الحاضر .. وانما هو لا يغفل الماضى ويهتم بالحاضر ويرسم خطوطه على أساس المستقبل أيضا « وسوف يدهش بعض الناس اذ يعرفون أنـه ليس فى غينيا سوى حزب واحد فقط ، حـزب قومى هـو حـزب غينيـا الديموقراطى » .

وهى تولى اهتمـامهـــا بازالة المتناقضات مـن بين فئاتهـا ، تلك التناقضات التى غذاها الاستعمار ، وحاول أن يفيد منها .. والتى تعتبر من مخلفات الاستعمار ذاته ٠٠ «وهناك تناقضات بين جماهير الريف التى تمثل ٨٠٪ من السكان وبين الاقطاع الذى أفسده الاستعمار فى افريقية .. وهناك التناقض بين أهـل الريف ونخبـة المثقفين » .

« والتناقض بين الشـباب ومن يسمونهم بالأغنياء المسنين »

وبدون حل هذه المتناقضـات أو دفعها الى الخلف لا يمكن أن تقوم وحدة حقيقية لغينيا .. التى يقع على عاتقها قيادة الثورة الاتحادية الافريقية .

ومن القسمات الرئيسية الأخرى.. الاتجاه الديموقراطى .. فحزب غينيـا الديموقراطي يقوم على مبدأ (النقد والنقد الذاتى) الذى يستحيل علينـا بدونه تحديد ما هو صواب وما هـو خطـأ « ٠٠ كذلك فان قادة الحزب ينتخبون من قواعده ٠٠ » وتقوم دولة غينيا على الديموقراطية أيضا .. ولكن ما هى الديموقراطية ؟ وما معنـاها الديمقراطى ؟ ومـا شـكلها ؟ وما

المقصود منها ؟ وما الفرق بينها وبين الدكتاتورية ؟ .. وهل كل أنواع الدكتاتوريات خاطئة ؟ .

ان الدول يختلف بعضها عن بعض حسب دلالتها ،وبحكم روحها وطبيعتها الخاصة التى تطابق الدور الذى تقوم به فى مختلف الميادين . فان ألمانيا الاشتراكية الوطنية، فى العصر الهتلرى كانت تحكمها عناصر بارزة فى الجيش الألمانى وفى الاقتصاد والمالية والعلوم .. ومع هذا كانت دولة رجعية فان صفة الدولة تقدر على أساس علاقتها بالتقدم الذى تحرزه لمصلحة الشعوب.. فان دولة ما يمكن أن يقودها رجال ليسوا على قسط كبير من التعليم ، ينحدرون من الطبقات العاملة ومع هذا يمكنهم أن يحرزوا للبلاد تقدما كبيرا ..

ان الدكتاتورية هى تركيز السلطة فى يدى رجل واحد أو مجموعة من الرجال وبسط هذه السلطات على مجموع الشعب .. فاذا كنا نرضى بهذا التعريف فان سائق العربة يزاول نوعا من الدكتاتورية .. وهناك بهذا المعنى نوع من الدكتاتورية فى النقابة ورابطة الشباب وجمعية النساء أو فى الفريق الرياضى » .

« اما اذا كانت الدكتاتورية التى تزاولها الحكومة تنبثق من ارادة الشعب ، فتكون الدكتاتورية ذات طبيعة شعبية والدولة دولة ديموقراطية .

« ان ديموقراطية تقوم على مصالح الشعب المطلقة ، فان هذا الشكل من الديموقراطية هو الذى نعترف به وتقوم عليه دولتنا » .

«حقا ان للديموقراطية طبيعة ذات أشكال متعددة ،ويمكن تفسيرها بطرق مختلفة ، وذلك حسب الاتجاه الفكرى الذى يقف خلفها ، وحسب الهدف أو القوة الاجتماعية » .

فالديموقراطية التى تأخذ بها غينيا، هى الديمقراطية التى تقوم على مصالح الشعب بأسره .. ولا تخشى فى ذلك أن تزاول الدولة سلطاتها .. أن تتهم بالدكتاتورية ، فالدكتاتورية هنا تنبثق من ارادة الشعب .. فهى اذن دكتاتورية ديمقراطية .. من الشعب والى الشعب . . تنبع من الظروف الموضوعية للبلاد وليست مسخا من الديموقراطيات التقليدية أو الدكتاتوريات التقليدية وانما تمتد جذورها الى قلب افريقية القديمة .. وتتخذ شكلها من التطور الحديث .

ولقد ورثت غينيا من النظام الاستعمارى السابق عبئا ثقيلا فى مختلف المجالات وعليها أن تسلك طريقا جديدا ، لتصحيح الأوضاع ورد الاعتبار لافريقية ..

فالنظام الاستعمارى الذى كان يقدم التعليم يهدف الى خلق « مركبات النقص » فى شباب غينيا « ويجعلهم يشعرون بأنهم فرنسيون أكثر من الفرنسيين أنفسهم » وكان « يقدم حضارة وثقافة افريقية على أنها مظاهر من الهمجية » .. كذلك فرض النظام الاستعمارى ، اللغة الفرنسية ولم يعمل على تعليم اللغات القومية .. ومن ثم أصبح من المفروض على غينيا حاليا أن تتخذ اللغة الفرنسية لغة رسمية لفترة معينة « ولقد أمر المكتب

السياسى بتعليم اللغات الافريقية فى مدارسنا ليتحدث بها الموظفون الوطنيون فى المستقبل ، وفى كل مكان فى غينيا الى الشعب مباشرة .. واننا نأسف من أنه ليس فى استطاعتنا فى الوقت الحاضر أن نتخذ لغة رسمية من اللغات الافريقية غير اللغة الفرنسية .. وكى لا يغير هذا الاستخدام المتواصل للغة غير قومية شخصيتنا فسوف نجعل للتربية محتوى وطنيا قوميا » .

وامام غينيا حاليا ، فى مجال التعليم أن تهتم بالتعليم الذى يرمى الى التخصص ، وتعليم الجماهير فى الوقت نفسه .. وهناك مشكلة تحرير المرأة .. فان وضع المرأة الافريقية فى الوقت الراهن لا يتفق مع التقاليد الافريقية الأصلية .. وانما هذه الأوضاع قد خلقها الاستعمار « ان النظام الاستعمارى قد حط من قدر الرجل الافريقى واحتفظ للمرأة الافريقية بمكان أدنى : أى أنه جعلها عبدا لعبد .. وهذه سياسة التمييز الأوروبى تقوم على الترتيب التالى : الرجل الأوروبى ثم المرأة الأوروبية ثم الرجل الافريقى وأخيرا المرأة الافريقية » .

واذا كانت غينيا ترفع شعار حرية الرجل الافريقى .. فكيف يسمح الرجل الافريقى لنفسه بأن يستعبد المرأة الافريقية .. ان عقدة الموقف هى « أن الرجل الافريقى يوافق على مبدأ تحرير المرأة ، الا أنه لا يعنيه أن يربك نظام أسرته بممارسة هذا المبدأ ، أنه مخلص فى تمييزه لهذا المبدأ .. ولكنه يفضل أن يرى تأييده فى كل مكان ، غير بيته الخاص » .

وقد ترك الاستعمار الفرنسى اقتصاد غينيا خرابا .. وترك انظمة تجارية فاسدة .. وأوضاعا استقلالية بشعة « وان نظامنا السياسى يحرم ويدين الفردية والسرقة والظلم والاستغلال ، وعلى ذلك فان اقتصادنا ينبغى ، بفضل التخطيط وادخال الوسائل الفنية الكثيرة والتعاون وتوزيع الثروة والسلع توزيعا عادلا .. أن يساعد الى أقصى درجة على التقدم العام للبلاد وعلى التوازن التام للأمة . ان الثورة الاقتصادية ستعالج من جميع نواحيها فى المؤتمر القومى المقبل لحزب غينيا الديموقراطى ، فان هذا المؤتمر سيدرس مشروع السنوات الثلاث الأولى (١٩٦٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢) ويضعه فى صورته النهائية ، وينتظر أن يكون مجموع تكاليف هذا المشروع عشرة ملايين فرنك على الأقل »

« ومن المنتظر أن يكون فى مقدورنا قبل أول يوليو عام ١٩٦٠ ، أن نقرر مرة واحدة والى النهاية المسائل الهامة التى ستحدد الشروط للتطبيق الكامل لخطة غينيا فى التطور والتعدين ، والتطور الصناعى والزراعى والصناعات اليدوية والتطوير الاجتماعى وحركة التداول ، والبنك الوطنى وبنك الاصدار ، وقوانين الاستثمار ونظام الجمارك .. ويقوم مشروع الثلاث سنوات على ٥٠٪ للانتاج ، ٣٠٪ للمهمات الاجتماعية ، ٢٠٪ للنظم الادارية » .

ومشكلة اللصوص والسائقين المهملين والمختلسين .. باتخاذ الحزم فى تطبيق القوانين لأنه بدون هذا الحزم والدولة فى بداية نشأتها ، لا تستقر الأمور .. « فان اللص أو القاتل لايهتم بممتلكات الغير ولا بحياته . ولا يحترمون البيئة الاجتماعية ولقد قررت الدولة باقتراح من الحزب أن تأخذ اللصوص بالشدة ، وتسمح باطلاق النار عليهم اذا ضبطوا متلبسين بالجريمة .. وقررت اعدام السائق

الذى يقتل نفسا بريئة نتيجة للاهمال « وما لا تستطيع الوصول اليه عن طريق العقل ، لتأسيس مجتمع جديد سنحصل عليه عن طريق معاقبة أولئك الذين يعرقلون البلاد عن الوصول الى أهدافها » .

وقد ترك النظام الاستعمارى مشكلة غريبة أخرى هى مشكلة « الجنود المسرحين » .. هؤلاء الجنود الذين وقفوا مع الاستعمار ضد كفاح الشعب .. وماتوا فى سبيل الاستعمار ، ولا يهمهم على الاطلاق سوى المال .. هؤلاء يقولون اليوم « اذا كانت السلطات لا تريدنا ولا تطلب خدماتنا فاننا سننثير المتاعب » غير أن شعب غينيا الذى حصل على استقلاله دون اراقة دماء يعرف كيف يروع هذه الفئة التى تريد أن تريق الدماء من جديد .

وان غينيا ، الدولة الغنية بالرغم مما ورثته عن النظام الاستعمارى والمشكلات التى تواجهها .. غينيا التى زاولت أبرع حركة تصوير عندما قالت للاستعمار الفرنسى فى الاستفتاء « .. لا .. غينيا هذه ستتقدم بثبات لتبنى اقتصادها .. وتعيد تنظيم ادارتها .. وستتقدم بتعليمها وتزاول سيادتها فى الداخل والخارج .. ولا تعزل نفسها عن أحداث العالم .. وتتخذ الحياد الايجابى شعارا لها فى المواقف الخارجية .. وتتقدم بثبات لالغاء الاستقلال الذى باشره الاستعمار ، ويروج له بعض دعاته .. وتزاول تجارتها الخارجية على أسس من استقلالها وسيادتها . وحزب غينيا الديموقراطى يواصل اشرافه ورقابته على الدولة .. والأمور تتحسن شيئا فشيئا » .

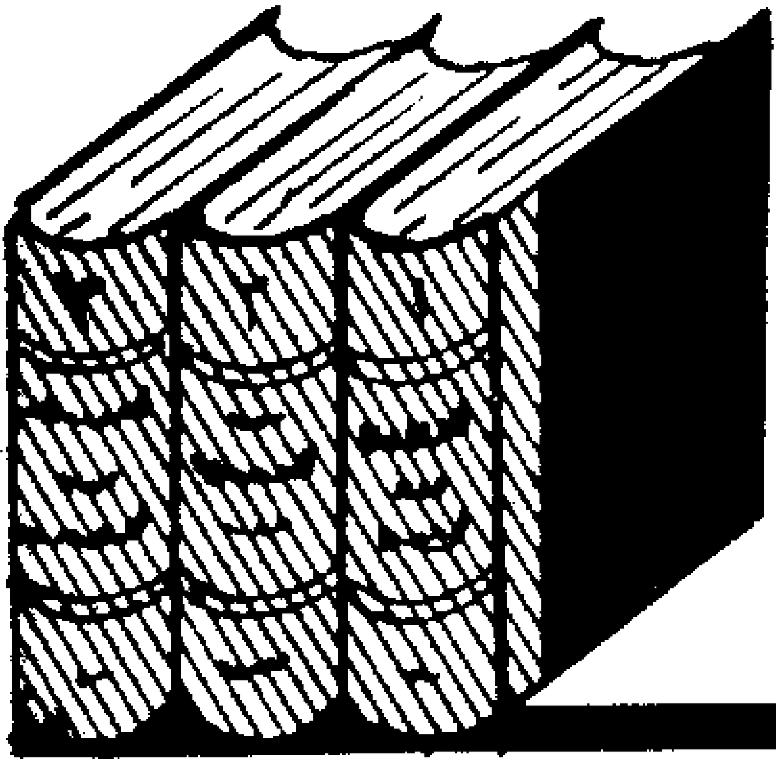
« اننا لنعرف قرى استطاعت فى حدود برنامج مواردها البشرية أن تقيم لنفسها ساحة السوق ، وبعد السوق بنت مدرسة ، وبعد المدرسة شقت طريقا وزرعت حقلا .. بجانب أعمالها العادية الخاصة » .

« وماذا حدث فى جمع الضرائب منذ أن نلنا استقلالنا ؟ فى عام ١٩٥٥ حصلنا ٤٢٪ من الضرائب ، ٥٠٪ من الضرائب حتى يوليو ١٩٥٧ .. وحصلنا الضرائب التى لم تحصل عن ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ وذلك فى مدة ٦ أشهر (من أكتوبر ١٩٥٨ الى مارس ١٩٥٩) » .

« وأنجز الفلاحون فى القرى تعبيد ٨.٠٦٠ كيلومترا من الطرق ، و ٣٣٠ فصلا ، ٦٧٢ قنطرة ، و ٢٢٤ متنزها ، ٢٨ صيدلية ، و ٨ منازل للموظفين ، ٦٧ مزرعة مشتركة ، و ٢٨ مسجدا ، و ١٥ مبنى للادارة ، و ٥ أسواق ، ٢١٠٠ متر من أنابيب البترول ، و ٨ مشاتل ، ٧٦٠٠ متر من السدود ، و ٢٢٧ مخزنا تعاونيا ، و ٢ ناقلتين نهريتين ، و ٣ ملاعب ، و ٣٠٫٧٠٠ شتلة لزراعة الغابات »

أية صورة بسيطة رائعة ، بالأرقام يقدمها شعب غينيا البسيط الذى يستمد بساطته من بساطة افريقية ذاتها ومع هذه البساطة عزم وتصميم لا تنجح ازاءه محاولات الانتهازيين وما أروع وصف سيكوتورى للانتهازيين بقوله « ان الانتهازى نتاج الذاتية والفردية .. انه بمثابة النمر فى الغابة ، والحمل فى القرية ، والكلب ازاء منافعه .. متواضع مع المتواضعين ، ومتظاهر مع المتظاهرين .. ولكنه بالرغم من الأشكال والأقنعة الكثيرة دائما على باطل ، وملىء بالكبرياء » .

والمجد لشعب غينيا ، ولكل الشعوب الافريقية المناضلة فى سبيل العزة والكرامة .



الحكومة المحليـــة

فى غرب افريقية

بقلم
دكتور ل . جراى كووان

عرض وتقديم
عميد (أ ح) محمد عبد الفتاح ابراهيم

الكتاب والكاتب :

كتاب مـن الكتب الحديثـة التى أصدرتها دور النشر الأمريكيـة فى « المكتبة الافريقية » ، وقد لا تكون الولايات المتحدة أقل اهتماما بافريقية من غيرها من بلاد الغرب ، ولكن الواقع أن المكتبة الافريقية نالت من اهتمام المؤلفين والبـاحثين الأمـريكان فى السنوات العشر الأخـيرة أضعاف ما نالته من اهتمام فى الحقبات الخمس الأولى من هـذا القـرن ، أصـدرته « كولومبيـا بونيفر سيتى بريس » سنة ١٩٥٨ فكان أول كتاب أمريكى يعنى بالحديث عن الادارة والحـكم فى الطابع المحلى ، مع مقارنة هـذا التنظيم الادارى بين غرب افريقيـة (الفـرنسى) وبين غـرب افريقيـة (البريطانى) ، بل كان أول كتـاب باللغة الانجليزية يعـرض لافريقيـة الفرنسـية بالدراسة والبحث .

طوف المؤلف دكتور ل . جـراى كووان لسنتين فى بلاد غربى افريقية لبحث التطور فى الحكم المحلى ، وأقام بمناطق تحت حـكم فرنسا وأخرى تحت سيادة بريطانيا وانتهى الى أن الحكم المحلى فيها يمثل كلا الطابعين القديمين الأصليين للتنظيم القبلى فى غربى القـــارة مختلطا بمـا أدخله المستعمرون على هذا التنظيم مـن مستحدثات الغرب .

ويعمل الدكتور كووان مســاعدا لأستاذ مادة (الحـكومات) بجامعـة كولومبيا ، وله كتابان سابقان أولهما : « فرنسا والسار » وثانيهما : « تاريخ مدرسة الشئون الدوليـة بجامعـة كولومبيا » ، ويدل الكتابان على اتجاه المؤلف نحو الشئون الدولية وبخاصة لأن « فرنسا والسار » من الموضوعات التى شغلت المؤلفين فى التاريخ الأوروبى طويلا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ثم وثبت الى الضوء ثانية بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن هنا يكون الكتاب

الذى نحن بصدده اليوم هو أول وأحدث كتب المؤلف فى المادة التى يساعد فى تدريسها ، مادة « الحكم » و « الحكومات » .

منطقة البحث

على أن الرجل فى الواقع مع تجواله الواسع قد عنى فى كتابه بمناطق تبرز فيها الأصول الأساسية لدراسته ، ومن ثم فانه عرض بخاصة لنيجيريا ، ولغرب افريقية الفرنسى (موريتانيا ــ السودان ــ النيجر ــ السنغال ــ غينيا ــ ساحل العاج ــ داهومى) ، وللكمرون الفرنسى ، ثم لافريقية الاستوائية (تشاد ــ الكونغو الأوسط ــ وجابون) ، ومن الواضح أنه قد عرض لها فى التصوير الأصلى قبل الاستفتاء الذى جاء مع الجمهورية الخامسة فى فرنسا وقبل هذا التفتت الذى أوجد عددا من الجمهوريات الافريقية الحديثة استقلت منها غينيا وتكون اتحاد مالى واستقلت غانة وتوجولاند والكمرون وتخطو بقيتها فى سبيل الاستقلال السياسى كمقدمة للاستقلال الاقتصادى .

ويعرض الرجل للحديث أحيانا فى طابع التعميم وأحيانا فى طابع التخصيص عندما يريد أن ينتقل الى مرحلة المقارنات .

تاريخ الدراسة :

ونستطيع أن ندرك لأول وهلة أن البحث قد دار طوال سنتين ، سنة ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، ولكن أغلب مادة التحليل فى الكتاب قد استمدت مما حدث حتى نهاية سنة ١٩٥٦ ، اذ وضع المؤلف التغييرات الرئيسية التى حدثت سنة ١٩٥٦ موضع التقدير ، ولكن لاشك أن الأحوال فى غربى قارتنا « افريقية » تتغير بسرعة تسبق آلات صف الحروف ، ولاشك لهذا من أن الكثير من نقاط البحث قد أصابها التعديل وكان نصيبها من التبديل كبيرا ، وقد اعترف المؤلف بهذا صراحة فى مقدمته ، ولهذا فقد راح يبدى أمله فى أن تكون الصورة العامة ــ على الأقل ــ صحيحة .

الموضوع والعرض :

على أن الصورة العامة التى استهدفها المؤلف تقدم فى الواقع قصة معروفة مروية ، طرقها أكثر من مؤلف وعرض لها أكثر من كاتب من زوايا أخرى كان أبرزها فى تقديرى الصورة التى عرضها السير أندركوهن فى كتابه « السياسة البريطانية فى افريقية المتطورة » ، وان كان كووان قد انساق فى التفاصيل التى شغلت خمس وستين ومائتين من الصفحات من الحجم الكبير .

كيف عالج الرجل موضوعه ؟

وقد عرض المؤلف موضوعه فى (٢٧٧ صفحة) مقدمة وأربعة عشر فصلا ، ووقف الفصول ١و٣و٥و٧و٩ و١١ للحديث عن نيجيريا متحدثا على التوالى عن : « السلطة الوطنية » ــ « التمثيل الشعبى منذ سنة ١٩٤٥ » ــ «نظام المجالس المحلية» ــ «السلطة التقليدية للمجالس المحلية فى نيجريا» ــ «الحكومة الاقليمية والادارة المحلية» ــ « الحكومة الاقليمية والأحزاب السياسية النيجيرية » .

وكانت الفصول ٢و٤و٦و٨و١٠

و١٢ للحديث عن افريقية الفرنســية في ذات الطابع والأسلوب الذى عالج به الحديث عن نيجيريا فيما عدا أنه نظر الى (الادارة المحلية) في افريقيه الفرنسية قبل سنة ١٩٣٩ .

وقدم في الفصلين ١٣و١٤ حديثا مجملا لمستقبل المناطق الافريقية في غرب القــارة السوداء ، في تقديره تبعا للأوضاع التى كانت واضحــة له في ذلك الوقت ، واخشى أن أقول أنها كانت كلها تقديرات غيرت منهــا الحوادث المتتالية السريعة التى أحس بها المؤلف في تحريره لمقدمة كتابه ، ولكنه لم يعدل منها على ما يبدو ، وان كان من حقه علينا أن نقول بأنه حتى عندما أعد كتــابه للنشر كانت بعض العوامل المؤثرة الفعالة لم تتبلور بعد ، وبخاصـــة ما يخص منهـــا أفريقية الفرنسية .

ومن هنا كان الجزء الأصيل القوى في كتاب الاســتاذ كووان مقدمتــه التى عرض فيــها تمهيــده للقصــد الأساسى الذى استهدفه من وصف بناء الحكم المحلى وتحليل نصيبه من العمل في ضوء النفوذ المستمد مــن النظم التقليدية من جهــة ، ومــن جهة أخرى للضغوط النــاشئة مــن تجارب الادارة والسياســه الغربيتين كما تصورهما الأحزاب السياسية في تطــورها الجــديد ، ومــن تجارب «الادارى» القادم من الغرب .

اتجاهات المؤلف في بحثه :

ويصور المؤلف مــن البــداية في مقدمته أنه كان هناك بين السلطات التنفيذية للزعماء من الرؤساء وكبار السن ، وبين الجيل الصــاعد مــن المثقفين الشبان ، هذا الجيل الذى جاء بطوابع جديدة للحكم والادارة ،وينقل هنا فقرات منقولة من دراسة لريتشارد هنت في نيويورك تايمز عدد ١١ من أكتوبر سنة ١٩٥٧ وهى دراسة كانت وقفا للحديث عن غانة يقول فيها :

« ابن العم يقف موقف التضاد من ابن العم الآخر » .

« شيخ مسن يجلس فوق عرشه ، وشاب في بحر العمر يجلس في مقعد من الخشب حديث الصناعة » .

« كلاهما يكافح من أجل السلطة والحصــول على المقعــد التقليــدى المقدس الذى جلس فوقه من قبــل « آكيم ايو واكوا » » .

« ففى عاصمته في كيبى KIBI يجلس الزعيم القبلى متمسكا بزعامته على رعاياه مقسما للدفاع عن سلطاته وحقوقه حتى آخر لحظة من حياته» .

« وفى مكتبه في أكرا يجلس وزير الحكومة المحلية منكبا فوق الأوراق التى تعــلو المنضدة الــكبيرة أمامه مصرا على أن الكهل « أومــانهين » يجب أن يترك الاشتغال بالسياســة والحــكم مخليا الطــريق للحـــركة الشــعبية في غــانة الجــديدة ، والديمقراطية صندوق الانتخــاب » .

ويبدى المؤلف ، أنه قد طلب من شعوب غربى افريقية فيما بين حواف الصحراء وبين خليج غانة — في خضم الثورة الاجتماعية والثورة الاقتصادية اللتين غمرتا العالم كله — أن يسهموا في عمل هيئـــات سياسية رسمت لبيئات تختلف تماما عن بيئتهم ، على

حين أنهم فوجئوا بأن الأسس الأصيلة التى عرفوا الولاء لها كجزء من ماضيهم يجب أن يغفلوها تماما فى غمرة هذا التطور السريع لكل صور الحياة .. لقد وضعت « الفردية الاقتصادية » الناشئة عن الثورة التكنولوجية للقرن العشرين جهدا لا يحتمل على نسيج المجتمع التقليدى ، وانعكس تردد الافريقيين عن تقبل هذا التطور فى رغبتهم الاحتفاظ أو الابقاء على بعض عوامل الاستقرار للسلطة القبلية فى عالم يتفكك ويتوزع بوسائل مختلفة أمام أعينهم .

ولم تنظر دول الغرب التى تتولى الأمر فى المنطقة نظرة متماثلة لهذا التطور اللازم ، ولم تعلق فرنسا وبريطانيا أهمية متماثلة على « التمثيل المحلى » ، فمنذ سنة ١٩٥٠ عرفت منطقة جنوب نيجيريا - على سبيل المثال لا الحصر - التمثيل المحلى حتى فى قرى الأحراش العميقة للداخل ، على حين أنه فيما عدا مناطق البلديات الكبيرة فى غرب افريقية (الفرنسى) وقف التمثيل الشعبى عند حد المجتمعات الاقليمية ..

ومرة أخرى ماذا يقول الرجل فى كتابه ؟ !! .

وقد يكون من الضرورى أن نعرف أولا بأن النظام السياسى ، أى نظام الحكم - فى غربى افريقية ، قبل الادارة الاستعمارية الأوروبية ، يقدم طوابع واسعة التباين بالقدر الذى هناك من قبائل ، فان كل مجموعة كانت لها طوابعها السياسية الخاصة ، ولكن من وجهة عامة فان النظام السياسى أى التنظيم للحكم فى هذه الأجزاء من غربى أفريقية ، والتى عرض لها المؤلف بالدراسة التفصيلية ، انما تجىء فى ثلاثة طوابع رئيسية لم يكن هو أول من أبرزها ، بل سبقه الأستاذ ايفانز بريتشارد عالم الانثروبولوجى الكبير فى كتابه « النظام السياسى الافريقى » ص ٦ و ٧ طبع لندن سنة ١٩٤٠ وهذه يمكن اجمالها فيما يلى :

١ - نظم الحكم التى تتوافر بصفة عامة فى المجتمعات الصغيرة حيث يمتزج معا التنظيم الادارى والتنظيم العشائرى (نسبة للعشيرة) ، وقد يجىء هذا الامتزاج صحيحا يحفظ لكل من التنظيمين كيانه ويتخير فى هذا الامتزاج أحسن ما فى الطابعين ، أو أن يكون الامتزاج مضطربا فيطغى أحدهما على الآخر .

٢ - نظم الحكم التى يكون فيها التنظيم القبلى هو الاطار أو الدعامة التى يقوم عليها التنظيم الادارى .

٣ - نظم الحكم التى تتوافر فى المجتمعات الكبيرة والتى يكون فيها التنظيم الادارى هو دعامة النظام السياسى .

والواقع أن عملية نقل السلطة من الزعامة التقليدية للزعيم ومستشاريه الى الهيئات الجديدة المنتخبة مسألة صعبة فى كل مكان من غرب افريقية ، والعادات القبلية والسلطة والولاء للزعماء تصطدم بالطوابع الجديدة للحكومة دائما ، وبخاصة فى المستويات المحلية التى أدخلت فى الحقبة الأخيرة من السنين ، سيما اذا لاحظنا أن النظم القبليه قد أوجدت فيها التعاليم السلوكية للأفراد والتى استمدتها القبائل من الموارد السحرية والدينية ،

فالجميع يعتقدون بأن القوانين القبلية ليست من فعل البشر ، بل هى تنظيم لمحرمات تقليدية يجب أن يتجنبها الجميع ويجب أن يحترموا هذا التجنب ، والذى أضعف من قوة هذه القوانين في جملتها ، أن الشباب يتركون المناطق القبلية فى الأقاليم للعمل فى المناطق الحضرية بالمدن ، ويرقب هؤلاء من النظم التى من وضع البشر ما له من قوة مرغمة فضلا عما يتوافر فيه من انطلاق تجديدى ، ثم ان المزارعين المجدودين الذين نالوا حظا من الثراء يبيعون انتاجهم من الكاكاو والبن فى الأسواق الأوروبية ويتعاملون فى البيع والشراء والتمويل والاستثمار تبعا لأسس مدنية وضعية ، ومن ثم فان هؤلاء وهؤلاء مع ما تحتاجه الادارة الحكومية من الموظفين المثقفين يوجدون طبقات جديدة تنفذ الى قلب السلطة التقلدية ، سلطة الزعيم وتقوض من بنائها .

الحد الفاصل بين تنظيمين :

وهنا يحدثنا المؤلف عن المنطقة التى تبدو فيها مشكلة التغير والتحول من النظام القبلى الى النظام الادارى الحديث ، وهو يستهدف التحدث عن التجديد الاقليمى قبل أن ينصرف للحديث عن « الزعيم » القاعدة التى تقوم عليها الحكومة القبلية فى افريقية.

ونعرف أن مشكلة التغير تتبع الحد الفاصل للبناء التقليدى لمنطقة الغابات المساحلة للبحر وبين مناطق السافانا للشمال ، فى خط يجرى فى وسط غانة ونيجيريا ، ثم يدور فى المناطق الفرنسية أصلا للغرب فاصلا مناطق الغابات المرتفعة عن التلال المتعرجة فى أرض السافانا والتى تتابع تعرجها حتى تضيع وسط الصحراء ، وللشمال من هذا الخط يعيش أناس يختلفون عمن يقيمون لجنوبه فى الدين والثقافة والتنظيم الاجتماعى ، فللشمال يعيش الرجال الذين يمتطون الخيل ويربون الماشية فخورين برجوعهم بأصولهم الى الغزاة من العرب والبربر ، وكان أسلافهم فى القرون الماضية هم الذين أوجدوا الامبراطوريات القديمة التى امتدت لمناطق فسيحة فى الصحراء ..

قاعدة الحكومة القبلية الافريقية :

والزعيم هو القاعدة التى تقوم عليها الحكومة القبلية الافريقية ، وسواء أكان الزعيم رأس الأسرة الكبيرة أو القرية أو المملكة ، فان مكانته تستمد أصلا من واجبه لحماية رعاياه الذين يعتمدون عليه فى كل شىء ، وتدعم من حكمه وزعامته للجماعة ، الأسرار التى تتوافر له وحده الدراية بها ، والتى تمكنه من التحدث الى الأرواح، وتكمن فيه قوة الاخصاب للأرض والماشية والقدرة على انزال المطر ، وعن طريق هذه القدرة وذلك الاخصاب يتحكم فى حياة أو موت المجتمع الذى يتولى حكمه .

وفى بعض القبائل لا ترجع هذه السلطة الى الزعيم ، بل الى سلسلة أسلافه الذين أوجدوا العشيرة ، ثم القبيلة ، وهى مجموعة غامضة من الناس جاءوا على التوالى وضاعت قصتهم وسط أساطير سجل تاريخ القبيلة .

ويمكن أن تقارن سلطة بعض الزعماء القليلين الأقوياء بسلطات الحكام فى أوروبا أيام القرون الوسطى، سلطة تستند الى مجموعة متماثلة فى الحالين .. الى الأسرة والمحاربين والفلاحين ، وكان الأخيرون هم الذين يقدمون الهدايا التقليدية من حاصلات أرضهم .

وقد استطاع حكام الامبراطوريات القديمة بالصحراء فى القرنين الثالث والرابع عشر أن يبنوا نظام ادارة معقد متعدد الدرجات للحكام الاقليميين الذين يعمل فى مناطقهم عدد من (الموظفين) الذين يتولون جمع الضرائب وما الى هذا من الخدمات ، ولكن كانت معظم الامبراطوريات القديمة فى الواقع تقوم على شخصيات الحكام أنفسهم ، فان الملك القوى كان هو وحده الذى يستطيع بأسلوبه العنيف فى الحكم الاحتفاظ بسلطانه على بلاده المترامية الأطراف ، على حين أنه عندما يتولى الحكم خلف له ضعيف تقسمت الامبراطورية الى زعامات متفرقة أى ترجع الامبراطورية الى الأصل المتقسم الذى تكونت أصلا نتيجة لتجمعه .

وقليل من الزعماء التقليديين الذين تولوا الحكم تبعا للنظام القبلى الافريقى هم الذين يمكن أن يقال عنهم أنهم كانوا أوتوقراطيين تماما ، فالعادة أن الزعماء كانوا يستعينون على تولى شئون الحكم بمساندة مجالس من كبار السن ومن رؤساء الأسر والعشائر ، وعلى حين أن الزعيم لم يكن مرغما على تقبل مشورة المجلس كان من الحماقة أن يغفلها تماما ، وكانت العادة أن يتم التخلص من الزعيم الاوتوقراطى النزعة لتجنب تفتت البلاد نتيجة للقتال بين الأسر ، وقد عرفت بعض القبائل نظام الحكم على أساس طبقات السن .

الفولانى والهوزا والتنظيم الادارى :

ونجد الطوابع الثلاثة الأساسية للنظام السياسى فى نيجيريا وفى افريقية الفرنسية ، وتقدم امبراطورية (الفولانى) فى نيجيريا التطور السابق للاستعمار الأوروبى ، فى تنظيم ادارى كبير يمتد من رئيس القرية الى الأمير حاكم البلاد ، وقد ظهر شعب الفولانى ، ويعرف أحيانا باسم شعب الفولا Fula أو فولبى Fulbe على المسرح الذى يعرف الآن باسم نيجيريا الشمالى سنة ١٥٦٤ ، **ويعتقد أنهم جاءوا من مصر** عن طريق شمال افريقية وأقاموا أولا فى **هضبة فوتاجالون** (Futa Ðjalon) **فى غينيا الآن ،** وقد امتدوا تدريجيا بقطعان ماشيتهم التى تزداد عددا منتشرين وسط جماعات الهوزا والتى كانت لهـا سطوتها فى القرنين السابع والثامن الميلاديين .

ولم يحدث قبل سنة ١٨٠٤ عندما أعلن عثمان دان فوديو Dan Fodio الحرب المقدسة أن اصطدم الفولانى والهوزا فى قتال ، وفى سنة ١٨٠٤ حدث الاصطدام الذى انتهى بغزو أرض الهوزا وتكوين امارات الفولانى ، هذا الامارات التى وجدها فردريك لوجارد فى نيجيريا الشمالية سنة ١٩٠٠ عندما أقام السيطرة البريطانية على البلاد ، وقد أطلق

عثمان دان فوديو على نفسه اسم « قائد المؤمنين » وهو لقب حمله ابنه محمد بللو من بعده ثم توارثه أبناؤه من بعده ، ويلقب به اليوم سلطان سكونو رأس المسلمين فى شمال نيجيريا .

وقد أبقى حكام (الفولانى) الجدد على هيكل التنظيم الادارى الذى كان قائما فى ولايات الهوزا وحسنوا منه طوال القرن التاسع عشر ، وكان الأمير من الناحية النظرية رأس الدولة وفى يديه كل السلطة القضائية ، وهو الذى يملك كل الأرض ، ويعاونه مجلس مكون من أصحاب الاقطاع ومن غيرهم من كبار السن وأهل الرأى ، وكانت بعض هذه المراكز التى يحضر أصحابها مجلس الأمير وبخاصة الاقطاع الزراعى قائمة قبل غزو « الفولا » ، على أن الناحية الهامة هنا أن كلا من أعضاء المجلس كان بالاضافة الى دوره فى مجلس الشورى يتولى ادارة واحدة من مصالح الدولة ، بتحمل مسئولية الواجبات التنفيذية بها أمام الأمير .

وكان الأمير يعين حكام الأقاليم اما من الزعماء المحليين واما من أفراد أسرته ، وكانت الغالبية عادة من أفراد أسرته ضمانا لولائهم له ، وفى ختام سلسلة التنظيم الادارى يجىء رؤساء القرى وينتخبون عادة بوسائل تقليدية تعارف الناس عليها من قرون ، ويؤكد الأمير هذا الاختيار بموافقته عليه .

كانت هذه الصورة هى الصورة الغالبة فى القرن التاسع عشر ، ولا يزال هذا النظام قائما حتى اليوم فى أرض الهوزا على ما جاء فى ص ٤٦ ج ٣ من كتاب « الادارة الوطنية فى مناطق أفريقية البريطانية ـ طبع لندن سنة ١٩٥١ » .

وكان واجب رؤساء المناطق والقرى ـ بالاضافة الى واجب المحافظة على حكم القانون ـ جمع الضرائب التى تحدد طبقا لأسس وأصول ترجع الى عهد ولايات الهوزا القديمة ، ولهذا كان من الممكن القول بأن حكم «الفولا» لم يغير شيئا مما ألفه الناس واعتادوه ، ولكن أضعفت بعض تصرفات الأمراء ولاء المواطنين للحكم القائم ، وقد سببت مشاعر عدم الرضى ـ التى كانت تنمو مع ازدياد الوسائل الطغوائية التى يستخدمها الحكام الأمراء ـ ضعف المقاومة للغزو البريطانى فى أواخر أيام القرن التاسع عشر .

عند اليوروبا والايبو :

وقد عرف طابع الحكم عند (اليوروبا) فى نيجيريا الغربية صورة الزعامات الصغرى ، وكان الحاكم يستند الى (مجلس السبعة) أى المجلس المكون من سبعة أعضاء يختارون من الأسرة الكبيرة فى البلاد ، وقد عاشت ممالك اليوروبا طوال الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر مرعية الجانب يدين الأهلون لها بالولاء حتى تطرقت اليها الفوضى فسببت أن يستبدل هذا النظام القبلى الاقليمى بنظام ادارى بريطانى .

اما فى شرق نيجيريا فعاش الايبو فى تنظيم يقوم على أساس قبلى دون أن تتوافر سلطة مركزية وسيطرة بين الأمير وبين رؤساء القرى ، كانت القرية اكبر وحدة فى التنظيم الادارى ،

ولم تكن القرى ترتبط الا بأضعف الروابط اللهم الا عندما تواجه البلاد غزوا له خطره أو أن تحل بها نكبة عامة كالجدب أو السيول ، ففى هذه الأزمات التى تضطر القوى فيها الى التماسك والتجمع يتلفت الجميع معا نحو الأمير الذى ينظم فى البلاد وحدة موقوتة ، وفيما عدا هذه الحال العامة فان القرى تنظم أمورها وحدها فرادى .

على أن هذا الطابع اللامركزى كان واضحا الى ابعد من أن يكون صورة للبلاد فى جملتها ،بل أن هذه اللامركزية كانت واضحة حتى فى القرية فلم يكن هناك زعيم واحد ، بل كانت الزعامة موزعة بين رؤساء العشائر ، وكانت المسائل الخاصة بالقرية تناقش فى مجلس كبار السن ، ويتولى رياسة المجلس رئيس أكبر أسرة فى القرية ، وكان من الضرورى أن يوافق مجلس كبار السن على القوانين حتى تكون لها القوة التنفيذية ، ومع هذا فان القوة السياسية لم تكن فى أيدى رؤساء الأسر ، بل كان لأصحاب الثروات (حتى ولو لم يكونوا من كبار السن أو من الأسر الكبيرة) دورهم الفعال أحيانا ، ولكن كحديث عام نستطيع أن نقول بأن طبقات السن لعبت دورا هاما فى التنظيم السياسى وفى تنفيذ القوانين .

فى غرب أفريقية وللغرب من النيجر :

وكان لهذه الطوابع الثلاثة التى عرضنا لها عند الحديث عن نيجيريا مكان فى غرب افريقية (الفرنسى) أو بمعنى أدق للغرب من مصب النيجر ، لقد كانت تلك المنطقة قواعد الحكم للامبراطوريات الصحراوية التى انتهت تاركة وراءها الأساطير والتقاليد فقط لدورها القوى فى تاريخ غرب أفريقية ، ولقد ظلت أمبراطورية غانة مزدهرة حتى سنة ١٢٤٠ تستمد قوتها من الاتجار بالذهب مع قوافل التجارة القادمة من مراكش .

ووصل نفوذ امبراطورية مالى الى ذروته فى حكم ميناموس فى أول القرن الرابع عشر ، وفى القرنين الخامس والسادس عشر ازدهرت امبراطورية سونجهاى Songhai فى المنطقة التى بها الان النيجر والسودان الفرنسى .

على أن الصورة البارزة هنا .. صورة الملك أو الأمير ، فقد كانت حكومات كل تلك الامبراطوريات القديمة تقوم على الملك وحده ، واستطاع الملوك لمهارتهم فى الحرب ولخبرتهم بالقتال وقيادة الجند أن يوسعوا من رقعة بلادهم حتى اتسع نطاق سيطرتهم بالقدر الذى لم يعد من الممكن أن يتولاه رجل واحد ،ومن ثم بدأت الحركات الداخلية التى قضت على كل هذه الامبراطورية أكثر مما قضت عليها عمليات الغزو الخارجية .

وقد فرض محمد أسكايا Askaia (١٤٩٣ ــ ١٥٢٩) أحد ملوك سونجهاى على بلاده نوعا من النظام الادارى يشبه نظام حكم امارات (الفولانى) الذى عرضنا له بالبحث قبل صفحات وان كان من الضرورى أن نذكر بأن التنظيم عند الفولانى قد طبق بعد ثلاثة قرون من تطبيق اسكايا له .

ماذا يقول المؤرخون ؟ !

يقول هنري لابور في كتابه « تاريخ افريقيـــة السوداء طبع باريس سنة ١٩٥٠ » ص ٣٢ ـ : « ان البـــلاد كانت مقسمة الى عدد من الولايات، وكان رؤســـاؤها يحتملون أمـــام الامبراطور وحده مسئوليـــة حفـظ النظام والعمل على رخاء السكان ، وكان لكل مدينة هامة حاكم يتولى الأمـر فيها ، ولكن كان الامبراطور هو الذي يتولى كل شيء ، واليه يرجع في كل الأمور لا في أهمها فحسب » .

ولكن لم يلبث أن اختفت كل هذه النظم الادارية التي فرضها هؤلاء الحكام على بلادهم ، اختفت معهم عندما غابوا هم عـــن مسرح الحـــوادث ، وعاد الأهلون بالتبعية الى نظمهم السياسية التقليدية البسيطة .

ومع هذا فان التاريخ يحدثنا بأن هذه الممالك كانت ثابتة الدعائم ،وكانت المسائل المالية والقضائيـــة وأعمـــال الادارة في أيدي وزراء يتخـــــيرهم الامبراطور لادارة شئون البلاد تحت اشرافه وادارته ..

على أن النظام التقليدي القبلي لم يستمر طويلا في الأرض التي ســيطر عليها الفرنسيون للغرب من النيجر ، ففي البداية وقع الفرنسيون المعاهدات مع الحكام المحليين وتركوا لهم أمـــر الادارة في بلادهم حتى ليحدثنا ريموند بويل في كتابه « المشكلة القوميـــة في افريقية » طبع نيويورك سنة ١٩٢٨ بأن فرنسا عقدت مع السنغال وحدها بين سنة ١٧٩٥ وبين ١٨٩١ ـ أي في أقل من مائة سنة ـ (١٣٠) مـــائة وثلاثين معاهدة ،ولكن مع الأيام راحت الادارة الفرنسية تسحب السلطة من أيدي الزعماء المحليين وتضعها في أيدي الموظفين الفرنســـيين كوسيلة مـــن وسائل الكبت ، وكوسيلة للحد مـــن انتشار الطوابع والتقاليد القوميـــــة في البلاد من ناحية أخرى .

لقد استقلت بلاد غرب افريقية ، وحتى الجمهوريات التي وافقت على أن تظل ضمن مجموعة البلاد الفرنسية فانها لابد وأن تنتهي للتخلص نهائيـــا من هذه الارتباطات بأسرع مما يظن، ومن ثم فانها مهما نسقت من نظمها الادارية للحكم فلابد أن تجمع في نطاق التنظيم المستحدث صورة أو أكثر من نظم الادارة القبلية الاقليمية الطـــابع التقليدي في حياة الأفراد والمجموعات والذي ارتبطت بحياة هذه وهؤلاء لقرون طوال ..



من القصص الافريقي

ترجمة : الأستاذ على شلش

كاتب هذه القصة ـ القربان ـ من الكتاب الشبان الذين نالوا اعجاب نقاد الأدب ومتذوقيه فى أوروبا .. وقصصه تتميز ـ شأنها فى ذلك شأن الأدب الافريقى كله ـ بالبساطة التى تكشف عن عمق ، والاعتماد على الفولكلور الشعبى ..
وشنوا يعمل باذاعة نيجيريا فى الوقت الحاضر .

جلس « جوليو أوبى » يحملق فى آلته الكاتبة . بينما رئيسه الباشكاتب يغط فى نوم عميق فوق مكتبه . وفى الخارج كان « البواب » بسترته الخضراء ، نائما أيضا فى كابينه . فلم يكن قد ولج البوابة أحد من الزبائن قرابة أسبوع .

وكانت ثمة سلة خالية ، موضوعة فوق الميزان الضخم الذى انتثر حوله نوى بلح ، تبعثر فى التراب

ونهض « جوليو » الى النافذة التى تطل على السوق الكبيرة القائمة على ضفة نهر النيجر . وكانت هذه السوق تقام ، كغيرها من أسواق مدينة «ايبو» خلال أيام الأسبوع الأربعة المقدسة . غير أنها تحولت الى سوق يومية بمجىء الرجل الأبيض ونمو مدينة « أومورو » وتحولها الى ميناء كبير لتصدير زيت النخيل .

الا أن السوق بالرغم من هذا ظلت تدب فيها الحركة يوم «نكو» المقدس . وكان الناس يرددون أساطير عجيبة عن السوق . منها ان الالهة التى تهيمن على الفضاء ، تتبدى يوم انعقاد السوق فى صورة امراة عجوز ،وتقف فى منتصفها ، وتحرك مروحتها السحرية فى سائر الجهات الأربع لكى تجذب الى السوق الرجال والنساء من العشائر البعيدة .

وكانوا يأتون ومعهم منتجاتهم ،مثل زيت النخيل وثمار الكولا والكاسافا والحصر والسلال والأوانى الفخارية ، ثم يعودون الى بيوتهم بكثير من الملابس الملونة والأسماك المشوية والأوانى المعدنية والأطباق .

وكان يأتى آخرون عن طريق النهر الكبير جالبين معهم البطاطا والسمك فى قواربهم .

وعندما ترسو القوارب يغادرونها فيقومون ببيع أسماكهم بعد كثير من المساومات والعناء .

والمراة القادمة عن طريق النهر الى السوق ، تقوم بشراء الملح والزيت والقماش اذا كانت المعروضات من صنف جيد . كما تشترى لأطفالها أقراص الطعمية أو الأكارا والماى ماى التى يطهوها النساء فى « ايجارا » .

وعندما يحل المساء ، يستقل القادمون قواربهم عائدين من حيث اقبلوا . وتبتعد القوارب بينما الماء

تنعكس عليه أشعة الغروب فيتلألأ ويتحول الى القوارب ومن فيها ، فيشدها رويدا رويدا حتى تبدو للعين نقطا سوداء سرعان ما تختفى .

ولم يكن جوليو من أهالى «أومورو» فقد قدم من قرية صغيرة تبعد نحو عشرين ميلا ، للعمل فى شركة النيجر بعد تخرجه فى احدى مدارس التبشير عام ١٩٢٠ . وكانت مكاتب الشركة تجاور سوق « أومورو » المعروفة ، لذلك كان على جوليو ، فى بداية عهده بالعمل — أن يألف ضجة السوق من خلفه .

وكان يتجه صوب النافذة كلما ابتعد الباشكاتب أو غرق فى النوم ، حيث يقف يتأمل النشاط ، والحركة الدائبة فى السوق . وفى هذه المرة وقف طويلا يتأمل ويفكر ، وجال بخاطره حديث أم خطيبته « جانيت » وكلامها الغريب حين قالت له : أن كل الذين يأتون الى السوق الكبيرة ليسوا أشخاصا حقيقيين . « كما أن بعض الفتيات الجميلات اللاتى رأيتهن يخترقن الزحام لسن بشرا ، وانما هن جنيات يعشن فى النهر » .

ومع أنه لا يؤمن بالخرافات ، فقد سألها وقتئذ : « وكيف يعرف المرء ذلك ؟ » وجاء هذا السؤال بمثابة ترضية لمعتقدات أم « جانيت » التى تعتبر مخالفة مثل هذه المسائل ، أمرا غير سليم .

ولقد أجابت على سؤله بقولها : «ان جمالهن ليس كهذا الجمال الذى عهدناه فى عالمنا ، انهن يتنقلن بسرعة ، ولا يتحن لك فرصة التأمل فيهن ، اذ يبتلعهن الزحام عندما تلقى عليهن نظرة خاطفة بطرف عينك » .

دارت كل هذه الأمور بخاطر **جوليو** فى جلسته الآن الى النافذة . وراح يقارن بين زحام السوق قبل اليوم وخلوها الآن . وهو لا يصدق ان السوق الكبيرة يمكن أن تخلو بهذا الشكل ، غير أنه انتقل بتفكيره الى الكيتيكا أو مرض الجدرى الذى سبب كل هذا الخراب .

لقد كانت «أومورو» قرية صغيرة بالأمس ، يتعهدها سكانها بالنظافة والكنس . أما اليوم فقد أصبحت ميناء نهريا كبيرا يحفل بالقذارة والضجيج والازدحام .

وأقبل مرض الجدرى الذى لا يخشى شعب « الايبو » مرضا قدر خشيتهم له . اذ كان يمثل بالنسبة لهم الها من آلهة الشر : ضحاياه لا ينوحون ولا يتألمون خشية أن يسيئوا اليه أو يزعجوه » . وعندما كانوا يقولون : « ان الجدرى أو «**الكيتيكا** » كما يسمونه ، موجود فى تلك القرية » ، يكون هو قد سبقهم الى قرى أخرى مجاورة .

وهذا ما أدى بجوليو الى القلق . فقد مضى نحو أسبوع منذ رأى خطيبته « جانيت » فى المرة الأخيرة . ويومها شرحت له أمها فى أدب كيف لا يجب أن يزورهم فى هذه الأيام ، وكيف أن عليه أن يمتنع عن هذه الزيارة « حتى يرفع المسيح هذه البلوى عنا » .

وكان لايمان الأم بالمسيحية واخلاصها لتعاليمها أثر فى قبولها فكرة زواج جوليو بابنتها ، اذ شاهدته وهو يشترك فى تراتيل الكنيسة .

انه يذكر حديثها عندما قالت له : « يجب عليك ألا تغادر بيتك ، لأنك لن تعرف أحدا فى الشوارع . انظر الى هذا المنزل القائم عبر الطريق .. لقد أصيبت العائلة التى تقطنه جميعها . وذلك ما يعنيه سعف النخيل الأصفر المعلق على مدخل المنزل .. لقد نقلت العائلة جميعها اليوم فى عربة النقل الحكومية الكبيرة .. »

ويومها أيضا سارت معه جانيت قليلا ، ثم افترقا وتصافحا ، وثمة غرابة ترين على يديهما .

ولم يعد جوليو فى تلك الليلة الى منزله مباشرة ، بل ذهب الى ضفة النهر حيث راح يتمشى هنا وهناك . غير أنه أحس بعد قليل أن الهة الليل التى يتحدثون عنها فى طريقها الى الظهور ، وفى الحال شرع فى طريقه عائدا الى بيته ، يسير آنا ويعدو آنا .

وفى طريقه الى المنزل مسرعا ، اصطدمت قدمه بشىء ، تكسر تحتها محدثا صوت انفجار مكتوم .

وتوقف ، وراح يحملق فى موضع قدمه . ولم يكن القمر ساعتها قد ارتفع فى السماء ، لكن الضوء الخافت ساعده على رؤية ذلك الشىء الذى حطمته قدمه ، ولشد ما كانت دهشته عندما اكتشف أنه وطىء بيضة من بيض القربان ، وكان يحوطها سياج من السعف الأخضر .

وشعر بالمعتقدات تطفو الى ذهنه . اذ يقولون أن من اعترضه قربان مريض وحطمه ، فان المرض ينتقل اليه .

غير أنه أزاح عن نفسه هذه الخرافات ، وقال لنفسه وهو يسرع الخطى : « هراء » .

كان الوقت قد تأخر به ، فقد ظهرت الهة الليل منذ قليل ، وارتفع صوتها عاليا مجلجلا فى الهواء الساكن المغبر .

وكان لايزال أمامه طريق طويل ، ولكنه كان يعرف أن المسافات ، والابتعاد أو الاقتراب، كل هذا لاينطبق على هذه الكائنات ، لذلك أخذ طريقه مباشرة الى مزرعة للبطاطا بجوار الطريق . وانبطح على بطنه ، وترامى الى سمعه صوت جلجلة الأجراس والهمهمات الصاخبة . وعندئذ ارتعد كيانه كله ، واقبلت الأصوات تتدافع نحوه . واستطاع أن يميز بينها أصوات أقدام تقترب مسرعة ، وقد بدا له أنها لنحو عشرين رجلا .

وأخيرا مرت الأصوات ، وعبرت المكان ، واختفت على الجانب الآخر من النهر .

.. تمثل جوليو تلك الليلة أمام ناظريه . وعاش فيها من جديد وهو ينظر الى السوق الكبيرة .. لقد كان ذلك منذ أسبوع فقط ، ولكنه يشعر الآن كما لو كان قد انفصل عن الحاضر، فصله خلاء فسيح تعمق بمضى الزمن .

ففى جانب جلس **«جوليو» وحيدا**، وفى الجانب الآخر كانت **« جانيت »** وأمها اللتان قضى عليهما الجدرى .

négliger. La vision du poète qui plonge dans le temps doit être totale. Le viol de la mère, la mort du frère et cette autre vision plus cruelle de la soeur qui offre son corps comme on offre ses bras pour une bouchée de pain :

« Ma soeur chante à qui veut l'entendre :
« Si tu veux
« offre-moi une tasse de café
« du pain, du froment
« une bouteille de bière
« tu seras mon chéri ».

Le poète ne pardonne pas; inutile de le catéchiser, de lui rappeler le pardon du Christ, car le Christ a tué ses dieux tutélaires, chassé ses sorciers, lavé sa tête sale avec l'eau bénite des missionnaires suspects, à qui le poète dénie le droit de purifier une âme dont ils méprisent l'enveloppe charnelle. Le poète le dit clairement.

« Comment secouer mon corps
« Sans disloquer mon âme rouillée ?
« N'ouvrez pas la porte vous ne l'entendrez pas grincer
« Vous ne saurez rien de ma mémoire
« Ni pourquoi la fève m'est signe
« De mauvaise conscience.
« C'était mauvaise conscience
« Naître au milieu d'une nuit
« Et crier paix à l'aurore
« Et commander toutes le missions esclavagistes.
« Qui donc t'a baptisé pour
« Baptiser à ton nom ? »

Tchicaya ne laisse aucun trou à sa mémoire. Il veut rester lucide. Aucune illusion sur sa situation de nègre. Les bains de jouvence qu'on voudrait lui faire prendre n'effaceront pas les marques profondes qui sont signes du forçat. A ceux qui lui proposent une histoire de grandeur, il répond merci. Il veut rester forçat, fils de forçat. Il veut sentir à chaque moment l'amère saveur du sang sur ses lèvres tuméfiées.

« Erreur je suis né
« Dans l'oeuf des royaumes étouffés !
« Mon père sut être frère forçat
« C'est pourquoi
« L'ivraie vient si bien sur mes terres
« Ma mère n'a jamais eu des idèes préconçues sur l'amour
« C'est pourquoi mes soeurs
« Ne m'aiment pas
« C'est même une mode.
« J'ai eu des vocations pénibles
« Etre Pape m'a séduit
« J'ai bien le goût de la luxure
« Mais celui de la servitude
« Me manque et c'est dommage ».

d'indifférence. Il faut se mobiliser comme font les fourmis pour rendre à la poussière la dépouille du monstre, car dit le poète :

« Il ne suffit pas de crier au viol
Car le scorpion ne fut jamais vicieux
« Un mil de fourmis va dépecer le buffle
« qui a égorgé l'agneau devant les hommes ;
« meure, meure qui voudra.

Poème parlé ! Scènes de tous les jours rapportées fidèlement avec une pointe d'amertume et d'ironie. Le nègre qui s'entend dire tous les jours qu'il est sale, quand bien même se baignerait-il dans tout les fleuves du monde, quand bien même laverait-il son corps à l'eau de toutes les pluies. Sale Nègre ! l'épithète reste indissolublement liée au nom.

Je crois que, sans être tout, naturellement, c'est le style qui fait passer le paradoxe et la vérité, indifféremment. C'est l'art du grand écrivain de faire passer des pauvretés par le brillant de la formule et la nervosité du trait.

Tchicaya est un jeune auteur qui cherche un style, qui ne l'a pas trouvé encore, qui le trouvera sûrement. L'on comprend que ce jeune poète qui doit être un lecteur assidu de Césaire, use de certains procédés du Maître, par exemple cette suite sans lien apparent de termes étranges, procédé qui rappelle l'écriture automatique. Seulement chez Césaire l'écriture automatique n'est qu'une apparence. Chaque poème de Césaire contient son unité et il n'y a jamais de rupture entre ce que dit le poète et ce par quoi il le dit.

Cependant Tchicaya, malgré quelques maladresses a des trouvailles étonnantes. Voici Nature Morte :

« Je jouais quand ma soeur morte
« Mon grand père
« Au couteau
« Mon grand père achevait
« Un grand poisson
« Pendu devant notre porte à un arbre
« Nous aimions les aubergines
« Moi je raffolais des courgettes
« Mais il fallut jeûner
« Aussi ai-je pleuré de faim.
« Si je vous dis
« Mon père ignore le nom de ma mère
« Je suis témoin de mon temps
« Et j'ai vu souvent
« des cadavres dans l'air
« Où brûle mon sang ».

L'on sent que Tchicaya refuse le lyrisme. Systématiquement il s'enferme dans la chose à dire. Il dresse consciencieusement les matériaux du procès. Il lui faut faire l'inventaire des crimes depuis le premier qui est la création. Il ne faut rien oublier, rien

« Mais qui savent la fèminité de la lune au corps d'huile,
« l'exaltation réconciliée de l'antilope et de l'étoile
« Ceux dont la survie chemine en la germination de l'herbe !

***

Ceci m'amène, faisant réflexion sur la poésie de Tchicaya à me demander si, prenant volontiers occasion des évènements insignifiants de notre propre vie pour en faire jaillir la poésie, ce n'est pas qu'ordinairement il nous est donné de les considérer avec plus de vérité que nous ne pouvons le faire pour les grands évènements de l'univers. Mais assurément la part active et effective qu'on y a prise est plutôt un obstacle qu'un avantage. En effet la violence de l'emotion étouffe jusqu'à la voix qui lui imposerait la mesure du temps. Ce n'est pas la passion qui fait le poète. Toute œuvre d'art véritable est un symbole mystérieux qui a plusieurs significations, et est en un certain sens, insondable. Plus une création poétique est issue de la seule pensée, et moins elle enfermera de mystère et plus on la comprendra. Dans le poème l'énigme seul intéresse. Tchicaya U. Tamsi est à l'antipode de la poésie de charme. Je ne sais si le mot peut passer, mais je me risque à dire que la poésie de U. Tamsi est une poésie chirurgicale. Tchicaya veut vider les boyaux pourris du monde, mais avec la patience et semble-t-il le détachement du clinicien.

Tchicaya ne s'émut pas; il fuit le lyrisme systématiquement, se faisant fort, par de savants aphorismes, à nous amener à ce point capital où le drame qu'il décrit en petites touches, prend à nos yeux une signification toute particulière.

Les poèmes de U. Tamsi commencent très souvent sur note tendre, mais écoutons plutôt :

« L'enfant dort
« La mère s'oublie
« La chouette hulule
« La lune est tranquille
« Le temps passe
« La lune disparaît
« La fleur d'eau se brise
« L'enfant dort ».

Et sur une note d'orgue finale qui rompt la monotonie de ce tableau, un seul cri :

« Se meurt la mère !

Une note, une simple note de signalisation et le poème continue, on pourrait presque dire qu'il se traîne. C'est que le poète «veut nous habituer, par d'inoffensives suggestions, à la préparation du Grand Jour. A quoi bon rappeler les crimes s'il est de l'ordre des choses que ces choses soient faites. La protestation verbale se heurte contre un mur

de la brute ; ce n'est pas pour rien qu'elle tourne le désespoir à la rage, l'ivresse sensuelle à la frénésie érotique ; c'est qu'il fallait prôner en face de la morale des maîtres une éthique démentielle. Parce que :

« Nous vous haïssons, vous et [votre raison
« Nous vous réclamons de la [démence précoce
« De la folie flambante, du [cannibalisme tenace »

Pour peindre ce monde où il est frappé d'ostracisme, l'artiste nègre avait besoin de tremper son pinceau dans les couleurs sulfureuses de l'enfer, seul lieu que lui assigne la topographie des maîtres.

Cependant après avoir culminé dans les hauts sommets du verbe et de la musique --- et je songe ici à l'inlassable trompette du Jazz, à l'insoutenable martèlement des vers de Césaire . . la révolte s'apaise et se recueille. C'est que cette nuit opaque dans laquelle se meut le révolté, affirme au bout une aube, l'aube des résurrections. Le poète noir retrouve un autre monde, un monde de pardon.

En vérité, cette tentative d'évasion s'ouvre pour le poète et pour ceux au nom de qui il parle sur une quête sans fin. Mais le poète, avide des sources où la nature renaît toujours, sait bien que la vie naturelle est aussi celle des consomptions et des flétrissures. L'acte de vie par lequel le Nègre se manifestera, il le devra à un acte de mort, de mort sans fissure, car il faut bien que l'ordre des choses s'accomplisse.

« J'accepte, dit le Nègre...j'accepte entièrement, sans réserve
« Ma race qu'aucune ablution d'hysope et de lys mêlés ne pourrait purifier,
« Ma race rongée de macules,
« Ma race raisin mûr pour pieds ivres, ma reine des crachats
« J'accepte, j'accepte.

Le poète ainsi endosse toutes les injustices. Il sait que sa force il ne pourra la puiser que dans le recul. Il ne sert à rien de se masquer ses laideurs. Au vrai, ces plaies qui suppurent au soleil, c'est aussi un acte de présence dans ce monde. Il faut seulement se ceindre les reins pour que cette hideur se mue en une grandiose auréole de gloire et de réconciliation totale.

Le poète pardonne :

« Pitié pour nos vainqueurs omniscients et naifs
« Eia pour ceux qui n'ont jamais rien inventé,
« Pour ceux qui n'ont jamais rien
« Pour ceux qui n'ont jamais rien exploré
« Pour ceux qui n'ont jamais rien dompté

le on témoigne, comme à une effigie, un respect qui ne coûte rien.

A la vérité la révolte du Nègre ne se contente pas seulement de signes; elle se nourrit de son propre cri, de ses propres vociférations. La négritude en se confiant à l'art, a dû se confier à un art hurleur aux canons étranges.

Par le traitement que l'artiste noir impose à la réalité, il affirme garde de la réalité dans l'univers qu'il crée révèle le consentement qu'il apporte en dépit de lui au réel qu'il tire des ombres pour le porter à la création. Aucun artiste ne tolére le réel, il est vrai; mais l'artiste noir, en dépit de sa révolte et peut-être à cause d'elle, ne peut se passer du réel. Il lui fallait seulement créer une œuvre où la forme, signe de son refus et de ses douleurs, débordât, submergeât la logique du réel, car dans le domaine de la révolte du nègre, toute unité qui ne soit pas de style est une mutilation.

On peut observer à travers la littérature négro-africaine comme à travers un bouillon de culture le développement intériorisé d'une tragédie à une voix. Au départ de cette voix il y a la reconnaissance et l'acceptation des origines, il y a la fierté de ces mêmes origines et de cette histoire martyrisée.

Le poète nègre a senti qu'il fallait d'abord séparer les mondes, celui du bourreau et celui de la victime; cette séparation accomplie, cet univers une fois revendiqué et accompli, le poète nègre enfin pouvait entendre cette voix de cet univers . . car dit le poète:

« J'ai acquis la force de parler,

Plus haut que les fleuves

Plus haut que les désastres »

Il fallait donner à cet univers de la négritude ses lettres de noblesse. Il appartenait aux poètes noirs de les lui donner en opposant aux cadences calmes de l'Europe gorgée de sa puissance tranquille, d'autres cadences dèrtitées des batailles d'ombre.

La littérature européenne, polymorphe et multidimensionnelle pouvait se payer le luxe d'appréhender l'homme total et de rendre présents ses différents moments. La littérature négro-africaine, en dehors de toute métaphysique de luxe ne pouvait aboutir qu'à une mise en accusation de l'homme blanc par l'homme noir. La négritude ne pouvait accepter que la seule dimension verticale, pour faire émerger l'homme noir de la boue d'ombre où l'autre l'avait enlisé.

Ce n'est pas pour rien que la littérature négro-africaine cherche systématiquement à se maintenir au niveau de l'onomatopée

LES IDEES ET LES LETTRES

TCHICAYA U. TUMSI, POÈTE DE LA RÉVOLTE

par N'DIAYE Ababacar

«Mon nom ! offensé; mon prénon ! humilié; mon état ! révolté; mon âge ! l'âge de la pierre.

Je suis d'avant Adam; je ne relève ni du même nom, ni du même lion, ni du même arbre. Je suis d'un autre chaud et d'un autre froid ».

De ce refus catégorique du poète antillais, nous ne retiendrons pour l'instant que ce qui semble en marquer la permanence; son état de révolte.

On a voulu voir dans la Négritude une protestation ou une pétition de principe. Il nous semble au contraire qu'il faille l'identifier à une révolte. En effet toute révolte tend à un nivellement. Le révolté dans sa fureur ne prétend pas seulement détruire l'Autre, il veut aussi se détruire, détruire l'image que l'autre se fait de lui. Alors, il se pose en s'opposant. La négritude semble être née d'un paradoxe, du paradoxe d'une naissance dans un monde qui justement refuse cette naissance du Nègre. Il fallut donc au Nègre combattre avec la seule arme que les maîtres lui avaient laissée : le langage. Dans ce combat à mort avec la réalité imposée, le nègre n'avait que la parole. Il lui fallut doter le langage de tout le venin nécessaire pour en faire une arme de riposte. De là ce bavardage décrété inefficace pour ceux-là qui ne savaient pas qu'au delà des mots, il y a le monde grouillant des mots.

« Des mots ? Ah ! des mots
Quand nous menons des quartiers de monde !... ».

Qu'attendait-on enfin du Nègre après plusieurs siècles d'esclavage ? Qu'il s'offrît le luxe de rythmer son chant aux accords d'une lyre ? parce que la voix noire refuse de s'assouplir aux rythmes traditionnels de votre style, vous la décrétez d'étrange!

Si l'artiste doit refaire le monde à son compte, on comprend que le Nègre ait choisi en face des autres le SILENCE SONORE des tamstams dont il est seul à capter le message de douleur.

La critique bien pensante a fait des poètes négro-africains des hommes de la révolte pure dans les mots. Prenons garde toutefois que ce jugement ne soit un moyen commode de se débarrasser des intraitables. C'est là une bonne recette pour enfermer l'insolent qu'est le poète nègre dans une rigueur stérile, à laquel-

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.
The Egyptian Region,
United Arab Republic.
Phone : 807658.

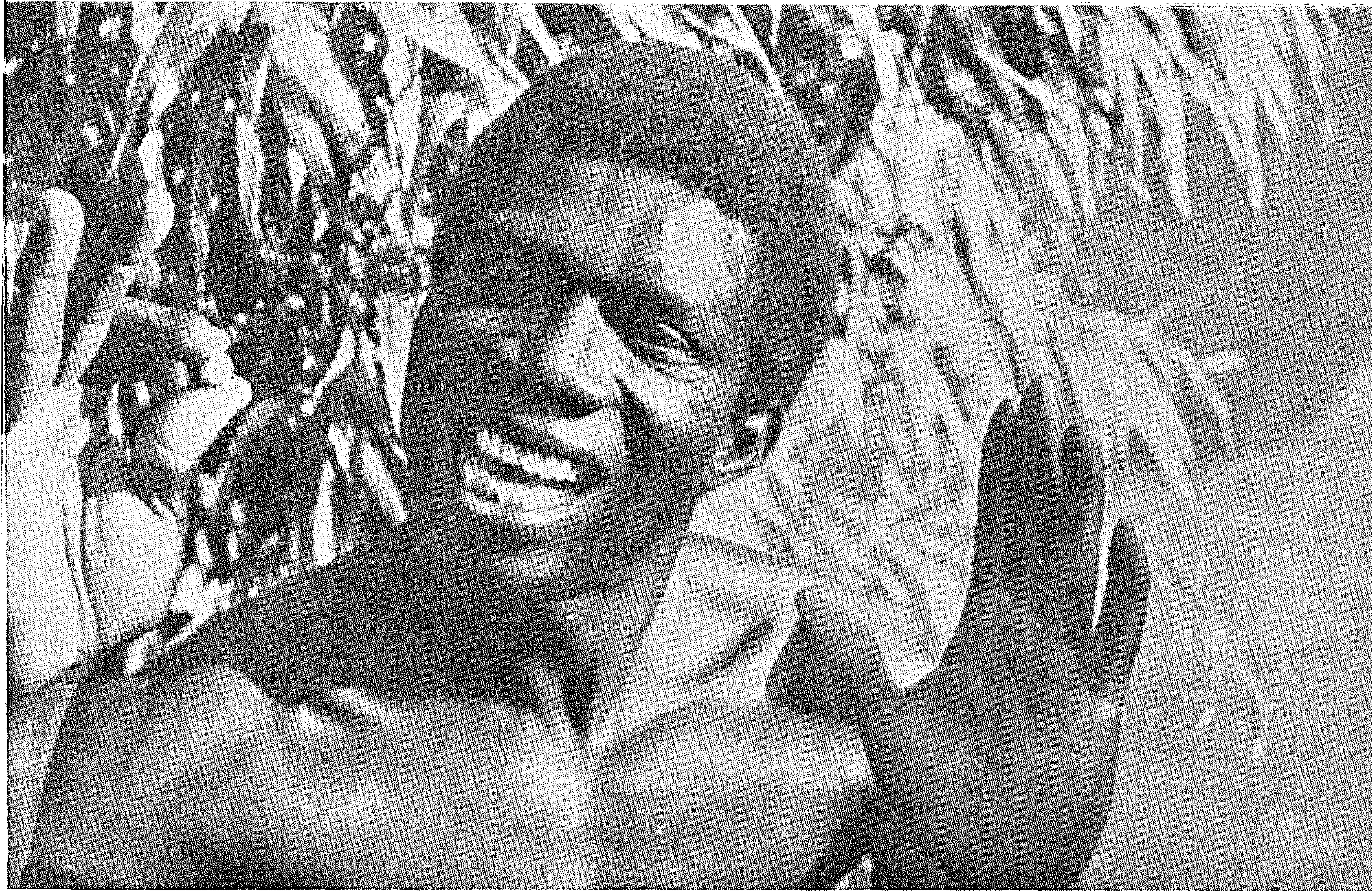
Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.



Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture.

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK



« فلاح افريقى »

Third Year Issue No. 31 JUNE 1960.



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

30 Milliemes

السنة [illegible]
العدد ٣٢ يوليو ١٩٦٠



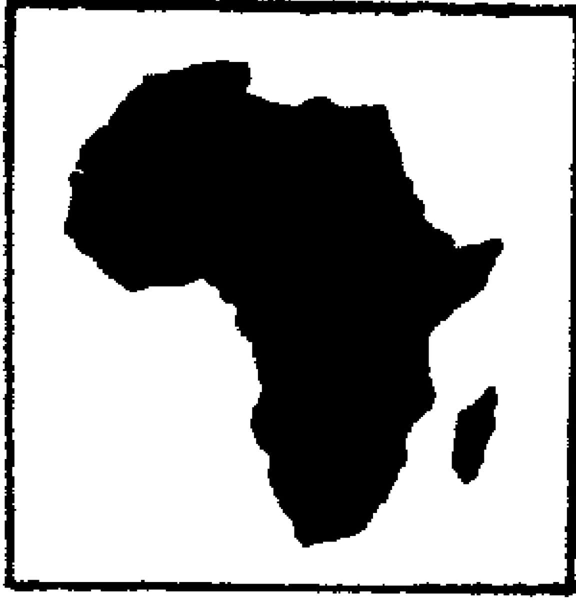
نهضة إفريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



« من العاملات فى إفريقية »



العدد ٣٢ يوليو ١٩٦٠

نهضة افريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ – تنمية الوعى القومى الافريقى .

٢ – التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ – نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ – الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ – الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضررى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
٥ شارع أحمد حشمت – الزمالك بالقاهرة
تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً :

لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع نفق الزير وطلى – الظاهر تليفون ٤١٨٨٨

فكرة ..

لن ينسى العالم هذا «الرمز» القوى الذى قام به مواطن بسيط فى الكونغو ، والذى قدّمه كهدية لكل الشعوب التى خفق قلبها بالحرية ، ولكل الشعوب التى تجاهد هى الأخرى لينتظم نبض التحرر فى روحها . ذلك لأن هذا المواطن البسيط حينما سار فى ثقة ، ثم تقدم من ركب الملك البلجيكى « بودوان » ، وانتزع منه سيفه ، وأخذ يلوح به من فوق رأس الملك ، لم يكن يحس حين تقدم من الملك أنه واحد من مواطنى الكونغو ، وإنما كان يحسّ أنه هو « الكونغو » نفسه بمناجمه التى اعتصرت ، وحقوله التى اغتصبت ، وربواته التى أصبحتْ من الذل كالسفوح ، ثم أخيرا بأفقه المشقق الغضبان الذى كانت تلطمه الشمس كل يوم لينهض ، ويتحرر ، ويفرض وجوده ! !

لقد ذعر الملك ، ولكن كل شىء فى الكونغو كان يبتسم ، ويتابع رقصات سيف الملك فى يد أحد البسطاء ، ورعشات يد « بودوان » وهو يتسلم السيف ثانيـــة ، وحين أعاده بانفعال إلى قرابه كانت قد تأكدت حقيقة كبيرة هى « أن سيف الاستعمار قد أغمد إلى النهاية ! » .

. . إن افريقية ما زالتْ تصدر الحكمة إلى العالم .

عبده بدوى

محتويات العـدد

صفحة

أحداث القرن الشرقي

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

ما كدنا نعود من غرب إفريقية حيث شهدنا « مؤتمر الطوارئ » فى أكرا ، ثم « مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى » فى كوناكرى حتى لاح فى الأفق مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة فى أديس أبابا .

وكانت الدورة الأولى لهذا المؤتمر ، قد انعقدت فى أكرا ، فى أوائل عام ١٩٥٨ حيث التقت — لأول مرة فى تاريخ القارة — دول مستقلة ، وتدارست شئونها العامة وشئون الأقاليم الرازحة تحت الاستعمار ، واتخذت قرارات سياسية (بعضها يرمى إلى صون السلام العالمى والاحتراز من الحرب الباردة) وقرارات اقتصادية (أهمها بحث إنشاء سوق إفريقية مشتركة) وقرارات ثقافية (ترمى إلى بعث الحضارات الإفريقية ونشر لغاتها الرئيسية ، وإنماء التعاون العلمى والفنى) وكان من أهم تلك القرارات جميعاً ، اتخاذ التدابير العملية الفعالة لمعونة الجزائر بوصفها الحصن الأمامى للوطنية الإفريقية .

وعندما هبطت بنا الطائرة فى أديس أبابا لم تكن الأعلام الإفريقية الخفاقة سبعة ، كما كان الحال منذ عامين فى أكرا ، إنما تضاعف العدد ، وتنوعت الألوان والرموز القومية بأعلام الا « توجو » و « غينيا » و « اتحاد مالى » و « الكمرون » التى رفعت رؤوسها فى غرب القارة ، وبأعلام « الكونغو » و « الصومال » التى جاءت مزهوة من الوسط والشرق .

ولئن حالت الظروف الطارئة فى « توجو » وفى « الكونغو » ، وفى « مالى » دون إرسال مندوبيهم إلى المؤتمر ، فقد ظلت أماكنهم محفوظة لهم ، وظل المؤتمر يرقب خطوات الأعضاء الثلاثة — وبخاصة الكونغو — بعين الرعاية ، وهى تتسلم مقاليد الاستقلال من أيدى المستعمر . وقد وقف على مقربة منها مستعمرون آخرون يودون نهشها والتهام أطرافها .

وإلى جانب المندوبين الرسميين للدول الإفريقية المستقلة توافدت

كالعادة ، أفواج المناضلين من أنحاء القارة ، وقد تعارفوا وتآلفوا لكثرة ما التقوا فى المؤتمرات السابقة ، وأصبحوا يشعرون أنهم أفراد أسرة كبيرة مجاهدة قد أصبحت هى والنصر المبين على موعد قريب .

ولقد كانت مدينة « أديس أبابا » فى ذاتها شيئا طريفاً لا يشابه المألوف مما رأيناه من مدن إفريقية فى الشمال أو الغرب أو الجنوب ، ففى حين نرى أكثر العواصم الإفريقية مدناً ساحلية ، أو منبسطة ، تغلبت على الرطوبة الكثيفة ويضرب عليها — ولا سيما فى الغرب — رواق من الحرارة السرمدية ، إذا نحن نجد عاصمة أثيوبيا مشيدة على مجموعة من التلال التى نبتت على ظهر هضبة عالية ، وانتثرت مساكنها ومرافقها العامة على قمم التلال وسفوحها ، فإذا شئت التنقل فيها كان عليك الهبوط والصعود إلى أن تصل إلى مقر المؤتمر ، أو إلى السوق ، أو إلى الفندق ، وربما تفاوت ارتفاع التلال بحيث تقطن فندقاً يعلو عن فندق زملائك مئات الأقدام .

والمدينة نفسها تعلو نحو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر مما يجعل « ضغطها الجوى » منخفضاً إلى الحد الذى يؤذى مرضى القلب ، ويجعل نسبة « الأوكسيجين » فى هوائها أكثر من مثيلاتها على الأرض المنبسطة ، وهذا كله من شأنه أن يشعر القادم الجديد إليها بأنه يعيش « فى طيارة » ويجعل المرء « بوجه عام » مقتصداً غاية القصد فى حركاته ، حتى لا يفتقر إلى « غاز الأوكسيجين » الثمين .

ومما يلفت النظر أيضاً فى العاصمة الأثيوبية خلوها — تقريباً — من المبانى المرتفعة ، وهى ممتدة — فى علو وانخفاض — على مدى البصر . ولقد ترى المسكن الأنيق ، والقصر المترف تفصل بينهما مسافة واسعة مما لا نصيب له من ترف أو أناقة ، بل هو مستودع لمياه الأمطار المتدفقة ، التى بدأت مسايلها عند وصولنا ، وسوف تمضى فى هطولها شهوراً طويلة .

وفى صباح ١٤ من يونيو عام ١٩٦٠ تقاطرت الوفود إلى مبنى البرلمان الأثيوبى ، وهو مبنى عصرى باذخ به من قاعات الاجتماعات العامة ، وغرف اللجان الخاصة ، وأجنحة « السكرتيرية » ، والدهاليز والمقاصف ما يكفل العمل المنتظم المريح لمؤتمر دولى كبير .

وعلى منصة القاعة الكبرى وقف إمبراطور أثيوبيا يرحب بضيوفه ، ويشيد بكفاح الشعوب الإفريقية

المناضلة ويذكر ما لاقاه .. هو وشعبه على أيدى المستعمرين ، ويدعو الأمم الافريقية إلى الأخذ بأطراف العلم ومناصرة بعضهم بعضًا .

ودارت عجلة المؤتمر ، ووقف رئيس كل وفد يعرض أحوال بلاده ويبين مدى ما قطعته من مراحل فى سبيل دعم كيانها السياسى والاقتصادى والثقافى ، وما مدَّت به يدها فى سبيل التعاون والمؤازرة لأخواتها الافريقيات وما تنوى أن تنتهجه لدفع المكايد التى تدبرها الدول الاستعمارية والدول التى تقوم بدور العميل خدمة للإستعمار .

وكان من أهم ما لفت الانتباه فى هذا المجال ما ظهر من تباين فى الأسلوب بين « غانة » و « نيجيريا » فيما يتصل بقضية « الوحدة الافريقية » إذ كان مندوب نيجيريا يرى أن هذه الفكرة سابقة لأوانها ، وأنه من الخير التدرج فى التقريب بين دول القارة ، والبدء بالتعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى . على حين رأت « غانة » أن الوحدة السياسية هى الطريق الأقرب إلى إزالة العقبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومحو الحدود المصطنعة والقضاء على الرجعية و « القبائلية » .

وقد قام رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة بحملة شعواء على « الاستعمار الجديد » . وقال — فى صراحة للمجتمعين من مندوبى الدول الفتية الناشئة : إن إسرائيل تعرض على بعضكم معونتها الاقتصادية فى الوقت الذى تعيش هى فيه على التسول والاستجداء ، وفى الوقت الذى تعينها فيه أمريكا وغيرها بما يقرب من مليون جنيه (يوميا) فماذا يكون معنى عروضها المساعدة إلا أن تكون ستاراً للاستعمار الذى يريد عن طريقها أن يتسلل من جديد بأمواله وخبرائه وعملائه .

وما إن انتهت خطب الافتتاح .. حتى تكوّنت من أعضاء الوفود ثلاث لجان رئيسية لبحث نقاط جدول الأعمال ، وتقديم التوصيات بشأنها إلى المؤتمر ، وتكونت فى الوقت نفسه « لجنة عليا » من رؤساء الوفود لكى تحال إليها المسائل التى قد لاتصل اللجان الثلاث بشأنها إلى اتفاق جماعى .

وكانت اللجان الثلاث :

(١) لجنة شئون الأمن والسياسة وتبحث :

ا — وسائل المعونة السياسية والدبلوماسية لحكومة الجزائر المؤقتة .

وسائل المعونة الأخرى للحكومة الجزائرية .

طرق إعلام الرأى العام العالمى عن الحرب الجزائرية .

ب — الموقف فى جنوب غرب إفريقية .

اتخاذ إجراء قانونى (أمام محكمة العدل الدولية) — اتخاذ إجراءات دبلوماسية .

حـ — إنماء الوحدة الافريقية ، وتشمل بحث إنشاء جهاز دائم لسكرتيرية المؤتمر .

د — تبادل المشورة فى السياسة الخارجية فيما يتصل بالقارة الافريقية .

هـ — تدعيم السلام العالمى والأمن تمشيا مع ميثاق الأمم المتحدة وقرارات « باندونج » و « أكرا » .

و — التجارب الذرية فى القارة الافريقية .

٢ — لجنة المسائل السياسية الخاصة.

ا — استئصال الحكم الاستعمارى من إفريقية وبحث الخطوات التى ينبغى أن تتخذ لبلوغ الأقاليم المحتلة مرحلة الاستقلال . ودراسة الوسائل الكفيلة بمنع إيجاد صور جديدة للاستعمار وإنشاء صندوق خاص لمعونة المجاهدين الافريقيين . وبحث مشكلة اتحاد وسط إفريقية . وسياسة التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقية .

ومن حق هذه اللجنة أن تستمع إلى شكاوى الوطنيين الافريقيين إذا طلبوا ذلك .

(٣) لجنة الشئون الاقتصادية والاجتماعية :

وتبحث وسائل تنمية التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية المستقلة ، ومسألة التمثيل الجماعى لهذه الدول لدى اللجنة الاقتصادية لافريقية (التى أنشأتها الأمم المتحدة) . ودراسة نتائج الاجراءات الجماعية التى اتخذتها بعض الدول الأوربية مثل (السوق الأوربية المشتركة) وتنظيم المعونة الفنية بين الدول الافريقية المستقلة وبحث المعونة المقترحة من الأمم المتحدة للأقاليم الافريقية من النواحى الفنية والاقتصادية

ويدخل فى اختصاص هذه اللجنة دراسة التعاون الثقافى والعلمى والتربوى والاجتماعى ووسائل الحفاظ على الثقافة الافريقية ، واللغات المستعملة فى المؤتمرات الافريقية والمنح الدراسية .

وليس ينفسح المجال — ونحن عائدون للتو من أديس أبابا — لنشر القرارات التاريخية التى أصدرها المؤتمر ، إنما نعد قراءنا بنشرها ، وبعض الخطب الافتتاحية الهامة فى العدد القادم ، لكننا نشير الآن لأهم القرارات ألا وهى الاجماع على الاستمرار فى معونة الجزائر بالوسائل المادية والدبلوماسية (وقد رصدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة نحو مليونين

من الجنيهات فى ميزانية هذا العام لهذا الغرض) ، وقرار إدانة إسرائيل ودمغها بأنها عميل الاستعمار فى إفريقية ، وقرار إنشاء بنك تنمية افريقى ، ومجلس ثقافى افريقى (على طراز الـ « يونسكو »)

وعمّا قريب يجتمع الخبراء الاقتصاديون والثقافيون لوضع أسس المنظمتين : الاقتصادية والثقافية اللتين سوف يكون لهما أبلغ الأثر فى تحقيق التضامن والوحدة الافريقية واللتين سوف يكونان الأساس الصلب للتحرر الافريقى .

ولقد صاحب المؤتمر أحداث جسام فى وسط افريقية . وفى « القرن الشرقى » . فقد كانت « دولة الكونغو » تبرز من ركام المعركة مع الاستعمار البلجيكى ، وفى الوقت الذى اجتمع فيه زعماء الكونغو لوضع هيكل دولتهم الضخمة كانت الدسائس الاستعمارية تعمل فى الداخل على تفريق الصفوف ، وإغراء الزعماء بعضهم ببعض ونشر المبالغات والترهات فى أنحاء العالم عن خطر حرب أهلية وعن رغبة بعض مقاطعات الكونغو فى الانفصال وتكوين دول مستقلة .

وفى الوقت نفسه راحت الدول المستعمرة الأخرى المحتلة للأقاليم المجاورة للكونغو تحشد قواتها المسلحة على حدود الدولة الجديدة ، وتزعم أن هناك خطراً من امتداد القلاقل من الكونغو إلى تلك الأقاليم ، وهى فى الواقع — تمثل دور الذئب الذى يريد أن ينهش جزءاً من الغنيمة .

وقد ارتاع المجتمعون فى أديس أبابا لهذه الأحداث ، واتخذوا قراراً بإنذار المستعمرين البلجيكيين وبتحذير هيئة الأمم المتحدة من مغبة تلك المؤامرات ، وأرسلوا إلى زعماء الكونغو يناشدونهم وحدة الصف والسير فى تماسك لإنشاء دولتهم الكبرى . وقد مرت أزمة الكونغو — إلى انتهاء المؤتمر — بسلام .

وكان الصومال (المتحرر من إيطاليا) وأخوه (المتحرر من بريطانيا) يرفعان أعلام الاستقلال والوحدة فى مقديشيو . وقد بارك المؤتمر تلك الوحدة ، وشهدنا معنا فى المؤتمر وفداً صومالياً ساهم بذكاء وحماس فى جميع القضايا الإفريقية وأبدى من روح التضامن والتعاون مالفت الأنظار .

ولقد عادت الوفود من أديس أبابا شاكرة لدولة أثيوبيا ، وإمبراطورها . كرم الضيافة متطلعة إلى عقد الدورة القادمة — بعد عامين — فى عاصمة إفريقية أخرى . وقد تجاذبت الدعوة أكثر من عاصمة افريقية . وكان أظهرها : الرباط والخرطوم . ولم يجد المؤتمر بداً . إزاء ذلك التجاذب الأخوى . من إرجاء البتّ فى مكان الاجتماع القادم . ومن يدرى فلعل أن تفوز به دولة ناشئة جديدة حينذاك .

الكونغو بين التحرر والمؤامرة

للأستاذ لمعي المطيعي

بداية الظلام :

يجدر بنا أن نبدأ من حيث يحسن البدء .. من عام ١٨٧٦ ، والرحالة الأمريكي (ستانلي) يجوب إفريقية ، فيقف على خيرات البلاد التي تبلغ مساحتها (٩٣٠,٥٥٤ ميلا مربعاً) أي ما يعادل ٧٧ مرة مساحة بلجيكا ذاتها . وتعتبر من أغنى البلدان الإفريقية في الحاصلات الزراعية ، إذ يوجد بها القطن والمطاط ، والنخيل ، وقصب السكر والكاكاو .. يضاف إلى ذلك كله الغابات الواسعة التي تغطي نصف المساحة .. فعقد « ليوبولد الثاني » ملك بلجيكا صفقة مع الرحالة .. وتدفق البلجيكيون على الكونغو ووجدوا هناك أكبر كنز في الثروة المعدنية ، فينتج الكونغو ما يقرب من ١٤ طناً من الذهب سنوياً ؛ ٥٠٪ من يورانيوم العالم ، ٧٠٪ من الماس الصناعي هذا عدا الكميات الهائلة من النحاس والرصاص والكوبالت والألومونيوم والراديوم والزنك والحديد والمنجنيز والفحم .

وظل البلجيكيون ينهبون الثروة المعدنية والزراعية . حتى عقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ لتقسيم إفريقية بين دول أوروبا ، فقدم ملك بلجيكا مستندات وهمية ووثائق مزورة تعلن الرضاء المزعوم لقبائل الكونغو عن بلجيكا التي تعمل على تطويرهم وتحسين حالهم ، ونشر التعليم بين صفوفهم ! ! فقرر المؤتمر إعطاء الكونغو إلى بلجيكا..

وفي أوائل عام ١٩٠٨ كان البرلمان البلجيكي قد قرر ضم الكونغو بصفة نهائية إلى الدولة البلجيكية . . فصدر قانون باستيلاء الدولة على المحاصيل الزراعية . والدولة هنا : هي الأجهزة الإدارية التي تخضع مباشرة لبلجيكا . وعينوا للكونغو حاكماً عاماً بلجيكياً ، وقسموا البلاد إلى مناطق وأقاليم ، وأنشأوا جيشاً تحت قيادتهم ، وسيّروا التعليم في خدمة أغراضهم . . وظلوا ينفردون بنهب كل شيء ، حتى تنبهت الاحتكارات الأمريكية إلى أهمية (الكونغو) من جهة الثروة المعدنية وبخاصة اليورانيوم ، والمواد الأخرى

اللازمة للصناعات الذرية . . فبدأت فى التسلل إلى الشركات التى تسيطر على يورانيوم الكونغو وبخاصة احتكار (يونيون مينير) .. الذى اشتركت فيه مجموعة (مورجان) بحصة كبيرة ، فأصبح لها إشراف كبير على يورانيوم الكونغو . . وكذلك نفوذ رأس المال الأمريكى فى المؤسسات البريطانية وغيرها التى تعمل بدرجة معينة داخل الكونغو . . يضاف إلى ذلك الاتفاقات التى عقدت بين الشركات الأمريكية والحكومة البلجيكية للبحث واستغلال هذه المواد .

وهكذا وجد شعب الكونغو نفسه فى العصر الحديث يرزح تحت نير الاستعمار البلجيكى . ونفوذ رؤوس الأموال الأمريكية وغيرها ، وتحيط به مناطق تقع تحت النفوذ الاستعمارى كإفريقية الاستوائية الفرنسية ، وتنجانيقا ، وأوغندا التى يسيطر عليها البريطانيون ، وأنجولا التى يسيطر عليها البرتغاليون ، وروديسيا الشمالية التى تقع أصلا تحت النفوذ البريطانى ، وأصبحت أخيراً نهباً للاحتكارات الأمريكية .

الحركة الوطنية تنتصر :

وقد واجهت الحركة الوطنية الحديثة فى الكونغو كل هذه الظروف القاسية ، وأبشع ألوان القهر الاستعمارى .. وقد لخص الرئيس « لومومبا » هذا الموقف فى قوله « ومن منا سينسى المشانق والرصاص الذى فتك بشهدائنا ، والسجون التى احتضنت أولئك الذين أخطأهم الرصاص »

وقد بلغت الحركة الوطنية فى الكونغو ذروتها فى ٤ من يناير عام ١٩٥٩ حين هبَّ الشعب يواجه القهر الاستعمارى ببسالة نادرة ، وفقد كثيراً من الضحايا ، فاضطرت بلجيكا إزاء هذه الأحداث الدامية إلى أن تعلن فى ١٣ من يناير عام ١٩٥٩ بياناً خاصاً « بمستقبل الكونغو » وبعد زيارة الملك بودوان واجتماعه بـ ٩٠٠ مندوب ، وعد الملك باستقلال الكونغو ، وصاحب هذا الإعلان بيان من الحاكم العام يهدد فيه بإرهاب المعارضين ، كما توعد باتخاذ أشد الإجراءات ضد من أسماهم (بالمشاغبين) وأصدرت الحكومة فى ١٥ من يناير عام ١٩٥٩ قراراً بفرض الرقابة على الأحزاب الوطنية ، والصحف التى كانت تندد بشاعة الاستعمار البلجيكى .

وقد سبق هذا الوعد باستقلال الكونغو محاولات كثيرة من جانب بلجيكا « لإفساد ضمير الشعب فى الكونغو » على حد تعبير المناضل الكونغى « جين بيير مارتو » .. وخطة إفساد ضمير الشعب هذه ، جاءت رداً على النضال المتواصل من أهل الكونغو ، فأرسلت بلجيكا « ڤان هيجر ليجيك » وزير شئون الكونغو فى

الحكومة البلجيكية بهدف دراسة الوضع من جميع نواحيه فى مختلف مناطق الكونغو ، ورفع تقرير بذلك إلى الحكومة البلجيكية . . وبالفعل سافر « ڤان هيجر ليجيك » إلى الكونغو واتصل بكثير من جهات الإدارة ، والهيئات الشعبية . وقدم التقرير المطلوب .. غير أن ذلك التقرير لم يشف غليل أشد المحافظين رجعية فى الحكومة البلجيكية فأجبروه على الاستقالة . واختاروا بدلا منه « أوجست دى شريفر » وجعلوه أيضاً رئيساً للهيئة التى عرفت باسم « جماعة العمل »

و « جماعة العمل » هذه هيئة اضطرت بلجيكا إلى تأسيسها فى أكتوبر عام ١٩٥٨ محاولة منها فى صرف أنظار الشعب عن القضية الرئيسية ، وهى الاستقلال ، وتخدير أعصابه ، وهى جزء رئيسى من « خطة إفساد الضمير ».

وتتكون هذه الهيئة من ٤١٢ عضواً بين بلجيكيين مشهورين بنزعتهم الاستعمارية وكبار رجال الأعمال البلجيكيين فى الكونغو ومعهم بعض رجال الأعمال السود الذين ترتبط مصالحهم بمصالح الاستعمار ، وبعض موظفى الإدارة ، وهم أيضاً ، سواء كانوا من البيض أو السود ، موالون تماماً للحكومة البلجيكية ، وأخيراً عدد قليل من أهل الكونغو ..

وعقب اختيار « دى شريفر » لهذه المهمة سافر إلى الكونغو فى نوفمبر عام ١٩٥٩ وحاول إقناع الزعماء الوطنيين ، غير أنه وجد صلابة وإصراراً على ضرورة الاستقلال . وإزاء فشله فى مهمته ، دعاهم لبحث الأمر فى العاصمة البلجيكية « . . بعيداً عن مواطن التأثر والحماس » — على حد تعبيره وقتذاك .

ومن الطريف أن كل هذه المحاولات كانت تجرى فى ظل مشروع خطير سبق أن وضعه « ڤان ميسلن » وعرف « بمشروع الثلاثين عاماً » وملخص هذا المشروع هو منح الكونغو الاستقلال بعد ثلاثين عاماً . والمشروع صدر فى عام ١٩٥٧ . ومعنى هذا أن تستقل الكونغو فى عام ١٩٨٧ .

غير أن ضمير الشعب لم يفسد . ولم تفلح « جماعة العمل » فى تخدير إحساسه . . ولم يعش مشروع « ڤان ميسلن » الاستعمارى .. وانتزع الشعب إعلان الاستقلال من الحكومة والملك .. وانتصرت الحركة الوطنية .

مناورات استعمارية وصهيونية :

غير أن الاستعمار كالحرباء ، يتلون باللون الذى يساعد على إخفاء مظهره . وينفث سمومه طالما كانت به حياة .. فالاستعمار البلجيكى لا يشأ أن يغادر الكونغو ، قبل أن يعقد

معاهدة أسماها « معـاهدة الصداقة » وتتكون من ١٢ بنداً حول ما أسموه بتقديم المساعدات فى الشئون الخارجية والإدارية المدنيــة ، وتنظيم القواعد العسكرية . . والاستعمار البلجيكى يهدف من وراء هذه المعاهدة إبقاء الموارد العسكرية والمعدنية والبشرية فى الكونغو فى أيدى الغرب . . غير أنه يقع فى وهم كبير ، فإن الحركة الوطنيــة التى قصفت عمر مشروع الثلاثين عاماً فى عام واحد . . والتى أجبرت بلجيكا على إعلان الاستقلال . . هذه الحركة الوطنية من الوعى بالدرجة التى سوف تفسد أحلام الغرب من وراء هذه المعاهدة .

وتحركت شهوة التوسع لدى الدوائر الصهيونية . . فعقــد « بن جوريون » اجتماعات مع « أوجست دى شريفر » وزير شئون الكونغو ، وبحث معه مشروعاً يتلخص فى تأليف شركة دولية ضخمة تضم (اسرائيل ، وبلجيكا ، والنمســا ، والسويد ، والدنمرك ، والنرويج ، وفنلندا) وهدف هذه الشركة الضخمة تقــديم المساعدات المالية والفنية التى تحتاجها الكونغو . . وصاحب هذا المشروع دعاية خبيثة ، روجتها الدوائر الصهيونية والاستعمارية . . هذه الدعاية تقول بأن هذه الشركة تتكون من دول محايدة ، ليست مع المعسكر الشرقى أو المعسكر الغربى . وهذا يتفق مع سياسة الكونغو الجديدة ، سياسة الحياد ، التى تعتزم الحكومة الجديدة بأن تسير عليها . . فيمكنها إذن أن تطمئن إلى هــذه الشركة . وإلى مساعداتها المالية والفنية .

وكأن اسرائيل ذاتها ليست ركيزة للدول الاستعمارية ، وكأنها لا تقوم على مساعدات الغرب بشكل أساسى ، وكأن شركاتها ومؤسساتها لا يتداخل فيها رأس المال الأمريكى والبريطانى . . ووجه الخطر فى هذه المؤامرة الصهيونية ، هو محاولة التظاهر باللون الحيادى لهذه الشركة ، مما يمكن اسرائيل من التسلل برؤوس أموالها وأفكارها إلى الدولة الفتية . .

وصاحب استقلال الكونغو نشاط كبير فى الدوائر الأمريكية ، وتحدثت عما أسمته « بخطة تطوير الكونغو » . . وتعتمد هذه الخطة على التقرير الذى نشرته لجنــة الشئون الخارجيــة بالكونجرس فى أغسطس عام ١٩٥٦ ، على ضوء بعثة (بولتون) الأمريكية الصهيونية والتى تحدثنا عنها فى عدد سابق من هذه المجلة . . وتستند الخطة الأمريكية الجديدة إلى نفوذ « مجموعة مورجان » « واتحاد الانجلو أمريكان » و « كارتل روديسيا » وغيرها من المؤسسات الاحتكارية التى تحاول أن ترث النفوذ الاستعمارى المنهــار فى إفريقية . . هذا هو الهدف الحقيقى

(لخطة تطوير الكونغو) التى تنادى بها الدوائر الأمريكية فى الفترة الأخيرة .

ووجدنا السلطات البريطانية فى (أوغندا) تروج شائعات كاذبة ضد (باتريش لومومبا) رئيس وزراء الكونغو ، وتصوره بأنه من أنصار التفرقة العنصرية ، وأنه سمارس سياسة ترتكز على الانتقام من الأجانب ، وهذا بهدف إثارة الأجانب فى الكونغو لخلق المتاعب أمام الحكومة الجديدة ، وبخاصــة أنهم يتمتعون بنفوذ فى اقتصاديات البلاد .

والسلطات البرتغالية من جانبها ، تحشد القوات العسكرية فى انجولا ، تمهيداً لخلق استفزاز قد يجــد فيه الاستعمار فرصة للتدخل .

وتتجمع المناورات الاستعمارية حالياً . فى مناورة خطرة : هى السعى إلى فصــل إقليم (كاتنجا) عن الجمهورية الوليدة .. وإقليم (كاتنجا) من أهم مناطق الكونغو ، وغنى بالثروة الزراعية والمعدنيــة ، ويتركز فيه الأجانب ، ويبلغ البلجيكيون حوالى ٨٠٪ من عدد الأجانب . . وبالفعل قد صرح « موريس تشومب » المرشح لرياسة وزارة هذا الاقليم من (اليزابث ڤيل) عاصمته ، صرح بقوله « . . إن اقليم كاتنجا قد ينفصل عن جمهورية الكونغو إذا لم تتصرف الحكومة المركزية فى حدود القانون ! !) .

ويذكرنا وضع الآجانب فى إقليم كاتنجا ، بدرجــه ما ، بوضع (الكولونز) – المستوطنين الفرنسيين – فى الجزائر ، ومحاولة خلق وضع انقسامى رجعى يهدد وحدة الكونغو . . وهذا الوضع لا يتفق مع ما جاء فى كتاب (القومية الافريقية وسيطرة الرجل الأبيض) – لنون ستولى – (. . أما الكونغو الذى يعيش فيه ١٣ مليون أسود ، ٨٠ ألف أبيض ، فليس للأبيض أو الأسود كلمة فيه إذ أنه يحكم من بروكسل) . . ونعتقد أن العبارات التى قالها « باتريش لومومبا » فى خطاب الاستقلال الأخير ، تضع الأمور فى نصابها ، قال : « . . كانت القصور الفاخرة للبيض ، وكانت الأكواخ الحقيرة للسود . . . »

تركة مثقلة بالمتاعب :

وهكذا تقوم دولة الكونغو الفتية ، وقد ورثت تركة مثقلة بالمتاعب ، وعليها مهام جسام .. فحول حدودها مناطق لما تحرر بعد . . والاستعمار البلجيكى قــد امتص ما شاء من الحاصلات والقوى . . والثروة المعدنية نهبٌ للشركات البلجيكية والأمريكية ، وأفراد من أهل الكونغو ، ارتبطت مصالحهم بمصالح الأجنبى . . والعشرون ألف جندى يخضعون لقيادة «جانسينز» وهو من العسكريين البلجيك ذوى

النزعة الاستعمارية ، عدا الضباط الأجانب المنتشرين فى جميع وحدات الجيش ، بمختلف الرتب .. والتعليم الذى كان مقصوراً تقريباً ، على البيض ، فلم تزد نسبة السود فى التعليم الجامعى عن ٢٪ . . والفرقة بين عناصر الكونغو ، التى أجادها الاستعمار وغذاها بين قبائل (البانتو) وهى قبائل زنجية تشتغل بالزراعة ، وبين (الأقزام) وهم قبائل تعيش على الرعى.. يضاف إلى ذلك تاريخ طويل فى التفرقة العنصرية بين البيض والسود .. ورعيل من أهل الكونغو الذين رباهم الاستعمار على طاعته وخدمته .

على أن أخطر الأمور التى تواجه الكونغو الجديد : هو الانقسام بين الزعماء الوطنيين من ناحية . وتذمر بعض القبائل الصغيرة من ناحية أخرى . . ويحاول الاستعمار جاهداً استغلال هذا التذمر ، ومرجعه عدم اشتراك زعمائها فى وزاة لومومبا . . والأمل كبير فى تصفية النزاع بين (يوليكانجو) الذى لم يشترك فى الوزارة الأخيرة وبين (جوزيف كازانوبو) زعيم حركة (اباكو) ، وهو رئيس الدولة الآن..

يضـــاف إلى ذلك التخلف الاقتصادى، وانخفاض مستوى المعيشة، والايديولوجية التى خلفتها الارساليات إذ يوجد فى الكونغو ١٤٨١ إرساليه تروج للثقافة الغربية ، وحاولت طمس معـــالم شخصية الكونغو والتراث الافريقى . .

مهام . . وإمكانيات :

إن وضعية الكونغو الراهنة ، بما فيها من صعاب ، تحمل فى الوقت ذاته الامكانيات للتغلب عليها.. وتتطلب وضع المهام الرئيسية موضع التنفيذ بشكل عاجل ، فهى السبيل لتطوير الكونغو وتقدمه وتدعيم اســـتقلاله الحديث .

وأول هذه المهام وأهمها ، الوحدة القومية والوحدة الاقليمية .. وإن النضال المجيد الذى خاضته الحركة الوطنية ضد محاولات التفرقة والتجزئة ، لكفيل بأن يحفظ للصف الوطنى وحدته ويحفظ للكونغو الجديد سيادته .

ثم الاهتمام ببناء جيش وطنى قومى . . ولا شك أن الكونغو سوف يتلغب على مشكلة الجنود المرتزقة الذين رباهم الاستعمار البلجيكى، والذين هم فى سبيل خلق المتاعب للحكومـــة الجديدة . .

ونعتقد أن الطريق ممهد أمام الكونغو فى التخطيط الاقتصادى ، دون شروط ، وبعيداً عن أحابيل اسرائيل ويمكنها فى ذلك أن تعتمد على مجموعة الدول الافريقية الآسيويه ، مستفيدة بإمكانياتها وطاقاتها الداخلية الهائلة . . وقد عرضنا للإمكانيات المعدنيـــة

والزراعية ، ونسجل هنا أن صادرات الكونغو بلغت فى العام الماضى ما يقرب من ١٠٠٠ مليون جنيه ، ويوجد بها شبكة من المواصلات الحديدية يبلغ طولها ٢٨٢٤ كم ، وطرقاً برية ممهدة يبلغ طولها ١٢٦و١٢٣ كم خلاف طرق الملاحة النهرية ، وهذه كلها أقامها الاستعمار لفائدته الخاصة ..

والذى يساعد على إنجاز هذه المهام الداخلية ، إعادة التثقيف والتربية ، والعودة إلى التراث الافريقى ، والحد من نفوذ الإرساليات الأجنبية ، وخلق جيل إفريقى تقوم عليه مرحلة البناء الجديدة .

أما فى النطاق الخارجى .. فقد ولد الكونغو المستقل .. وركب الاستقلال الافريقى يتسع مداه مما يساعد على تدعيم استقلال الكونغو وتطويره .. وولد الكونغو المستقل ومجموعة الدول الآسيوية الافريقية تقوى أكثر فأكثر .. وكانت مبادرة طيبة من الرئيس (لومومبا) بأن طلب فى رسالة إلى « داج همرشولد » عضوية الأمم المتحدة للكنغو ..

شخصية الكونغو :

كل هذه العوامل المواتيه ، وكل الأوضاع الداخلية التى فرضت الاستقلال ، وتنفيذ المهام الملحة .. يبلور أكثر فأكثر شخصية الكونغو ، التى حاول الاستعمار أن يذهب بمعالمها .. والتى نعتبرها عنصر استقرار وتقدم وسلام ..



لمحة من تاريخ صوماليا الحديث

بدأ النشاط السياسي في الصومال في عام ١٩٤٣ عقب هزيمة فلول الفاشية ودخول الجيش الانجليزى ، وقد كان الدافع لذلك ما عاناه الناس من المآسى الاجتماعية فى خلال الحرب . وشوقهم إلى تغيير حياتهم ، وامتلاء الجو العالمى بمبادئ روزفلت عن الحريات الأربع وحق كل شعب فى تقرير مصيره .

كان أول نشـــاط سياسى عرفه الصومال هو حزب نادى شبـــاب الصومال ، وكان فى بداية تكوينه متقنعاً جلباب نادٍ اجتماعى لتضليل الجيش الانجليزى عن أهدافه الرئيسية .

وعنـــد ما انتهت الحرب العالمية الثانية ، وتحسن الوضع المحلى نسبياً والوضع العالمى ، أعلن النادى نفسه حزباً سياسياً يحتضن جماهير الشعب من التجار ، والموظفين ، والعمال ، والفلاحين ، وقد كان الحزب يتطور ببرنامجه مع تطور الأوضاع فى الصومال . وبرنامج حزب الوحدة فى شكله المتطور المنقح هو:

١ ــ تصفيـــة الاستعمار من كل أجزاء الصومال بفئاته المختلفة ، الايطالى ، والانجليزى ، والفرنسى ، والحبشى واتحادها فى ظل علم واحد ودولة واحدة .

٢ ــ الغاء التعصب القبلى والطائفية الدينية وكل التقاليد الرجعية المناقضة لمضمون القومية والدولة .

٣ ــ يعمل الحزب لأن يكون الصومال جمهورية ديمقراطية ، وينتخب ممثلى الشعب لدى الهيئات الديمقراطية بوساطة الادارة العامة (الأغلبية)

٤ ــ دين الدولة الرسمى هو الاسلام ، ويعمل لانسجام التشريع والقضاء والقانون مع العقيدة الإسلامية .

٥ ــ يحترم الحزب حقوق الأجانب فى ظل القانون الدولى والتقاليد الديمقراطية .

برنامج الحزب الخارجى :

٦ ــ يؤمن الحزب بميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ويرغب فى توثيق عرى العلاقات الصداقية مع كل الشعوب الحرة والمحبة للسلام .

٧ ــ يسعى الحزب نظراً لكون الصومال جزءاً من العالم الإسلامى فى توثيق ارتباطه بكل الدول الإسلامية الأخرى .

البرنامج الاجتماعي :

٨ — توثيق التعاون بين الطبقات، وتشجيع العمل النقابي ، نشر الضمان الاجتماعي عن طريق إقرار معاشات للعجزة وضمان المصابين أثناء العمل .

٩ — وضع برنامج بعيد المدى لتوسيع المستشفيات والمعاهد الثقافية ، وتشجيع تعلم اللغة العربية ؛ نظراً لأنها لغة الدين الاسلامي ، وتوثيق عرى التعاون بالدول العربية كما يقرر تشجيع وتطوير وتنمية اللغة الوطنية حتى تستطيع أن تأخذ مكانها الطبيعي بعد خروج المستعمر .

البرنامج الاقتصادي :

١٠ — يؤمن الحزب بتوسيع وتنمية الثروة الزراعية والحيوانية ، وتشجيع الكشف عن المعادن .

١١ — وبالنسبة للسياسة المالية : فالحزب يؤمن بسياسة تقشفية ؛ وذلك لإقلال الواردات ، وتكثير الصادرات وتنويعها ، ولإيجاد توازن للميزان التجاري . يسعى الحزب لخفض النفقات ، وزيادة الدخل دون الإضرار بدافعي الضرائب .

كان الحزب ولا يزال يمتلك جهازاً تنظيمياً دقيقاً على مستوى عال ، وإمكانيات قضائية كبيرة .

نبذة عن تاريخ الحزب :

● أعلن المستر بيفن في مجلس العموم في ٤ من يونيو سنة ١٩٤٦ أن الحكومة البريطانية ستساعد الصومال على تحقيق أملها الكبير وهو الاستقلال والوحدة في نطاق الكومنولث ، لو رضى الشعب الصومالي بالوصاية البريطانية لمدة عشرة سنوات .

وقد رفض الحزب هذا الرأى رفضاً باتا .

● عند ما كانت الأمم المتحدة تناقش في مسألة تقرير المستعمرات الإيطالية وعند ما قررت الأمم المتحدة إرسال وفد من مندوبي الدول الكبرى لاستفتاء الشعب الصومالي في تقرير مصيره ، رفض الحزب رفضاً باتاً رجوع إيطاليا إلى الصومال .

● قاوم الحزب مشروع بيفن — سفورزا الذي يقضي برجوع إيطاليا إلى الصومال بدون قيد أو شرط .

● عند ما قررت الأمم المتحدة وضع الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة ، وأن تتولى ايطاليا الوصاية بالنيابة عنها لمدة عشر سنوات ، ثم يعطى الصومال الاستقلال ، قرر الحزب التعاون مع الإدارة الوطنية .

الأحزاب الأخرى :

● في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ أثناء اشتداد مسألة تقرير مصير المستعمرات الايطالية في أروقة الأمم المتحدة ؛ تكونت أحزاب عمادها رجال القبائل والفئات الرجعية ، وقد كانت الجالية

الإيطالية المكونة من الشركات ، والتجار الإيطاليين يمولونها مالياً ؛ للدعاية من أجل رجوع إيطاليا إلى الصومال بدون قيد أو شرط ، وقد كان يضم هذه الأحزاب مؤتمر عام .

وقد تطورت هذه الأحزاب فى برنامجها فأخذت تنادى اليوم بالاستقلال والوحدة الصومالية .

● عند ما أعطت انجلترا جزءاً من الصومال . للحبشة قررت الأحزاب الصومالية أن تتحد فى جبهة وطنية . يربطهم التعاون من أجل مقاومة العمل الاستعمارى الدنىء ، ويرتبطون فى الايمان بالوحدة الصومالية والاستقلال .

● أجريت الانتخابات العامة فى الصومال سنة ١٩٥٦ ؛ من أجل تكوين برلمان صومالى . ونجح حزب الوحدة بثلاثة وأربعين من مجموعة السبعين مقعداً . أما المقاعد الباقية فللأحزاب الأقلية ، وأربعة مقاعد للجالية الإيطالية ، ومقعد للجالية العربية . ومقعدان للجالية الباكستانية والهندية ، وكلف حزب الأغلبية بتأليف وزارة مسئولة .

● تمت صوملة الإدارة الحكومية تقريبا

● أصدرت الوزارة الصومالية برنامجا لسياستها الحكومية يستمد أسسه من برنامج حزب الوحدة ، ويتضمن البرنامج العملى من أجل رفع مستوى الشعب ، والتوسع فى بناء المستشفيات ، والمدارس ، وتشييد القنوات لتسهيل عملية إرواء المزارع ، وإيجاد توازن للميزان التجارى ، والاهتمام بتنمية الموارد الاقتصادية ، وكفالة الأمن الداخلى ، وتسهيل إدخال رؤوس الأمــوال الأجنبية مع حماية رأس المال الموجود داخل القطر .

وقد تكوّن أخيراً حزب من بعض الشبان يطلق عليه الحزب الاشتراكى الديمقراطى . وبرنامجه يتضمن : مقاومة الأحلاف والنضال من أجل السلام ، وهو امتداد لحركة حزب الوحدة الثورية .

المؤامرات الاستعمارية
فى الصومال

١ — الانجليزية :

فى شهر إبريل سنة ١٩٥٧ وصل وكيل الخارجية البريطانية إلى أديس ابابا ؛ ليبحث مع السلطات الأثيوبية مسألة الاتفاق المعقود بين بريطانيا والحبشة سنة ١٩٤٤ ، الذى يقضى بالسماح لبريطانيا بالاحتفاظ بقوة عسكرية بصفة مؤقتة فى إقليم أوجادين الصومالى الذى يخضع للإدارة الحبشية .

وشاع أن تلك المباحثات تناولت مسألة إنشاء دولة صومالية مستقلة تضم الصومال الإيطالى — سابقا — ؛ تحقيقا لمشروع إنشاء دولة صومالية إسلامية ، وهو المشروع الذى كانت إيطاليا تحلم بتحقيقه ، وهو مشروع يثير

القلق فى أثيوبيا باعتبارها دولة مسيحية.

٢ ـ أمريكية :

تبدى الدوائر الأمريكية اهتماما كبيرا بالصومال ، وقد انتشرت شركاتها البترولية بشكل كبير للبحث عن البترول ، كما لوحظ أن بعثاتها التبشيرية تتسلل إلى المدن والقرى الصومالية بشكل مريب .

٣ ـ ايطالية :

الشركات الإيطالية تسيطر على الاقتصاد الصومالى تماما . وقد دفعتها مخاوفها من مفاجآت المستقبل إلى العمل من أجل ضمان مصالحهم وقد عهدت الحكومة الايطالية إلى بعض رجال القانون الايطاليين بوضع دستور للصومال يصون تلك المصالح . ولكن الشعب الصومالى المستيقظ لن يسمح بمثل هذه المناورات .

٤ ـ فرنسية :

تواترت الأنباء عن إنشاء مصانع لحوم إسرائيلية كبيرة فى جيبوتى . كما تلقت أمانة الجامعة العربية مذكرة من الحكومة السعودية بأن اتفاقا تم بين فرنسا وإسرائيل يتضمن منح إسرائيل عدة امتيازات فى « جيبوتى » ، وذلك بإنشاء مصانع حربية هناك ، وبعض المصانع الأخرى فضلا عن إدارة الميناء إدارة تامة .

ويضمن الإتفاق كذلك أن تسدد إسرائيل كل عجز مالى قد تتطلبه شئون جيبوتى إزاء الامتيازات العديدة التى منحتها فرنسا لإسرائيل .

الحالة الاقتصادية :

الشئون المالية : يوجد فى الصومال (١) بنك روما (٢) بنك إيطاليا (٣) بنك نابولى وهى فروع لبنوك إيطاليا ، وليس لهاروؤس أموال مستقلة . يعتمد اقتصاد البلاد على الزراعة وتربية الماشية ، وقد بدأ التطور الزراعى الرأسمالى من ١٩٢٠ — ثم اندمج هذا النظام الزراعى فى مشروع التوسع العام للإمبراطورية الإيطالية الجديدة . وأنشئت جملة شركات ومؤسسات .

الصناعة : هى صناعة السكر والملح ، وتعبئة الأسماك والزيوت النباتية . مضافا إليها دبغ الجلود وحلج القطن وصناعة الصابون . وهناك عدد من الورش الكهربائية والميكانيكية . ومصانع لصنع الثلج وبناء السفن وترميمها وصناعة الصفيح والأخشاب والبويات .

وتعتبر أكبر المشروعات الصناعية شركة (S.A.I.S.) ، التى تزرع قصب السكر والمحاصيل التجارية . وتمتلك مصنعاً للسكر ومعاصر للزيت ، ومحالج للقطن ومصنعاً للصابون وطاقة كهربائية لإدارة هذه المشروعات .

ثانى المشروعات الضخمة هى شركة
The Aziendo Elletro Industriale di Vicezi.

أكبر منتج للطاقة الكهربائية فى البلاد ، ويمتلك معاصر للزيوت ، ومحالج للقطن ، كما تنتج الماء المقطر والثلج ، وثمة صناعة تصدير الموز فهى تصنع صناديق خشبية لحمل الموز إلى إيطاليا . كما تحتكر الحكومة الإيطالية استيراد وبيع التبغ والثقاب ، وتصدير الموز ، وبيعه ، وفى الوقت نفسه تحتكر النقل شركة (شتاوه (C.I.T.A.O.)

أما القطن فقد شجعت الحكومة الوطنيين على زراعتــه فى الأوقات الحاضرة على نهرى ويبى شبيلى ، وجوبا .

وهناك شركة الزراعة الصومالية التى أسست فى عام ١٩٢٠ برأسمال مبدئى قدره ٣٥ مليون لبرة ، كانت قد اغتصبت ٢٥٠٠٠ هكتار من الأهالى فى مقاطعة جوهر ، استخدمت ١٢٠٠٠ هكتار فى الزراعة ، والباقى استخدمته كمراعى ، وشيد لهذا المشروع الرى الكامل ، وسكة حديدية تربط أجزاء المشروع بعضها ببعض (نزعت الحكومة البريطانية السكة الحديدية أيام حكمها) ، وتقوم أكبر المشاريع الإيطالية فى الجزء المنخفض من نهر ويبى شبيلى فى ١٩٢٤ ، وقــد وزعت الحكومة الاستعمارية لعشرات المئات من الإيطاليين ما بين ٦٠ و ٦٠٠ هكتار ، وتبنت الحكومة لهم وسائل الرى وطرقاً تربط هــذه المشاريع بعضها ببعض .

ويربط أرباب المشاريع نقابات تتفق طبعاً ضد مصالح الشعب الصومالى . كما تقوم الشركات الأمريكية والإيطالية بنشاط ملحوظ للتنقيب عن البترول ، وقد تواترت الأنباء عن اكتشاف البترول فى أكثر من مكان .

فى تقرير وضعته هيئة الأمم المتحدة عن الصومال سنة ١٩٥٢ تقول : « إن النظرة البسيطة لمختلف قطاعات الاقتصاد الصومالى بالنسبة إلى طاقة البــلاد البشرية ، ومواردها الطبيعية تفصح عن خطوط عريضة لإمكانيات مقدمة . ومع أن البلاد تمتلك موارد معدنية ضئيلة ، والموارد الطبيعية محدودة بالأرض أو بالبحر فإن أكبر الامكانيات الاستقلالية واسعة بالنسبة للإمكانيات الحالية . خذ مثلا ميدان الزراعة فمن الواضح أنه من الممكن توسيع الأراضى المنتجة ، وزيادة الإنتاج عن طريق ترقية نسبية بسيطة للفن الإنتاجى . ومشروعات صغيرة ، ومنتظمة تمكن أن تكثر من قيمة الإنتاج الرعوى لاقتصاد البلاد ، وتقدم الصناعات الثانوية التى تعتمد على المواد الأولية المحلية ممكنة وضرورية ، ولن يستمر نقص الميزان التجارى إذا طبقت سياسة تخطيطيــة فى القطاع الزراعى ، والحيوانى ، والصناعى » ثم ينصح كاتب التقرير بقبول رؤوس الأموال الأجنبية كحل للمشكلات الاقتصادية .

● المحاصيل الرئيسية : الشعير — والذرة والحبوب والأرز والجوز والسمسم وقصب السكر والقطن وبذور الخروع والموز — الفواكه والخضروات .

الحيوانات : الخراف والجمال والماعز والقرده والخنازير ، وبرغم سوء تغذية الحيوانات لاعتمادها على الأعشاب الطبيعية ، وبرغم الأمراض فإن التقديرات الأولية قدرت بستة ملايين وخمسمائة وثلاثة آلاف حيوان ٦٥٠٣٠٠٠ .

الغابات: لا توجد صناعة الأخشاب ، والغابات الصالحة أخشابها للصناعة صعب استثمارها .

منتجات الغابات : المواد العطرية والصمغ العربى ، قشر نبـات المانجو الفبر ، الفحم النباتى وخشب الوقود ومواد الصباغة .

الثروة المعدنية : الملح . الصفيح الفحم الحجرى ، الرصاص . الحديد الصخرى . النيكل .

أحوال العمل :

نسبة العمال ١٠ ٪ من مجموع السكان .

ليس هناك تشريع عمالى مما يجعل تهديد مصالح العمال سهلا ، ويرجع سوء أحوال العمال إلى :

١ — زيادة التعطل

٢ — انخفـاض المستوى الحقيقى للأجور .

ألغى نظام العمل الإجبارى ، وقد دفع توسع الزراعة الوطنية إلى تحسين وحماية العامل الوطنى ، ويرجع التعطل إلى تخفيض مصروفات الحكومة ، وتقلص النشاط التجارى والصناعى والمشروعات الأخرى .

لا توجد إحصائيات عن العمال العاطلين ، ونظراً لهجرة سكان الريف إلى المدن فإن البطالة فى المدن تلازمها ظاهرة أخرى هى نقص اليد العاملة فى الريف .

* * *

هذه خطوط سريعة للحياة التى مرت بصوماليا توضح المصاعب التى اجتازتها ، ومعارك البناء التى ستجتازها فى ثقة وأمل بعد أن نالت استقلالها ، وأصبحت قوة كبيرة فى الشرق الإفريقى الذى ظل فترة كبيرة تحركه الأهواء الاستعمارية المغرضة .

لقـد ألقينا ضوءا على الماضى القريب لهذه البلاد ، ونظرة واحدة لهذا الماضى تجعلنا نعرف أن الصومال ما زال أمام معركة أخرى للبناء الاقتصـادى بحيث يستطيع فيها أن يتخلص من قبضة أمريكا ، وايطاليا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وينظر للحيـاة نظرة جديدة تستمد إخلاصها ، وثقتها من عالم الحرية الجديد ، الذى فتح على مصراعية لتدخل منه فى ثقة هذه البلاد .

روابط الصومال بجيرانه

١ ـ الصومال والجزيرة العربية :

اشتهر الصوماليون فى وقت مبكر جداً بالتجارة ، وإتقان فنونها . فقد كان لهم أسطول تجارى كبير يحمل منتجات بلادهم إلى البلاد العربية ، وإلى بلاد الهند ، وجاوة ؛ وغيرها من بلاد الشرق الأقصى ، إلا أن تجارتهم كانت أقوى ما تكون مع البلاد العربية كاليمن ، والحجاز ، وبلاد الخليج العربى حيث كان يصدر إليها العاج ، والمسك ، واللبان ، والجلود ، والأخشاب الثمينة كالساج ، والطرفاء التى كان يصنع منها العرب أعمدة لخيامهم .

ثم كانوا يعودون من هذه البلاد وقد استبدلوا هذه المنتجات بمنتجات أخرى من البلاد العربية كالتمر ، والزبيب ، والملابس الحريرية .

وقد استمرت هذه الصلة الطيبة بين البلاد العربية والصومال . وبوساطة عمليات التجارة هذه استيقظ الصوماليون على الدين الإسلامى ، واعتنقوه بحب ، وإخلاص ، فالتـاريخ لا يذكر أن النبي عليه السلام قد بعث إليهم برسل من لدنه كما أرسل إلى نجاشي الحبشة ، أو أن جيشاً إسلامياً قد جهز لإدخال الصوماليين فى الإسلام ، ومن هنا كان اعتناقهم للإسلام عن صدق ، واقتناع . وهذا يفسر شدة الحفاظ على هذا الدين فى هذه البلاد ، وعلى هذه العواطف الطيبة التى ظلت تربط هذه البلاد بالعروبة ، فقد تحالف اليمنيون والصوماليون فى كثير من المعارك التى دارت رحاها على أرض الصومال . والتى كان البرتغاليون يعملون على إشعالها بتحريض الحبشة على هذه البلاد المسلمة .

ومما يؤكد هذه الصلة أن الملك الصومالى « ولسمع » قد عمل على تزويج أبنائه ، وبناته من يمنيين ، وأن بعض هؤلاء الأبناء قد كونوا مملكة « آل سعد الدين » التى ازدهرت فى « زيلع » ثم انتقلت إلى هرر والتى حرصت على أن تتصل بعامل الخليفة فى اليمن ، وأن تدفع له الخراج ، ثم انتهت أخيراً على يد الإمام « أحمد بن ابراهيم » الذى حرص هو الآخر على أن يكون ذا صلة باليمن ، ومن هنا نراه يوفد بعثة من أهل البلاد لتتلقى العلم فى الزبيد باليمن ، وكان على رأس

هذه البعثـــة « أحمد شهاب الدين » الملقب « بعرب فقيه » لأنه تلقى تعليمه فى بلاد العرب !

ولم يقف الإمام «أحمد بن ابراهيم» عند هذا الحد من الصلات ، وإنما استعان بكثير من اليمنيين فى حكومته . ثم أكد أبناؤه من بعده هذه الصلات العربية باليمن ، ثم ضمرت هذه الصلة بضمور ملكهم الذى تفتت إلى أمارات ، وإن كان كل من البلدين فى هذه الفترة الحديثة يعمل جاهداً للالتقاء بالآخر ، فهما يملكان نقطة أستراتيجية هامة بعد قناة السويس وهى « باب المندب » الذى يعتبر نقطة انطلاق إلى الهند ، والشرق الأقصى ، وإفريقية الشرقية وجنوبها .

٢ ــ الصومال ومصر :

يلتقى المصريون والصوماليون فى أصلهم الحامى البعيد الذى اقتحم إفريقية عن طريق باب المندب ، وقد سجل التاريخ فى هذا العصر الأول تشابها بين القطرين فى الأدوات ، والصناعات فقد أكد الباحثون وجود صلة بين أسلحة الصـــين التى وجدت فى « جورواربى » ، و « بورايت » بالصومال وبين أسلحة من الطراز نفسه فى حلوان بمصر .

كما سبق ، منذ أكثر من ستة آلاف سنة ، هجرة صومالية ، بسبب الجفاف ، إلى مصر ، وقد حملت معها أحد شعاراتها وهو الطائر المسمى «هور» والذى ما زال معروفاً فى الصومال إلى الآن ، وتسمى أنثاه « قدن جوطو » وقد أخذ المصريـــون عن هؤلاء الصوماليين هذا الشعار وسموه «حورَ» ، ولما لم يكن هذا الطائر غير معروف لديهم نراهم يستعيضون عنه بالصقر ويسمى كذلك « حور » .

كما كانت توجد فى عهد (خوفو) جالية صومالية كبيرة ، شغل واحد منها واسمه (هرتيزى) منصباً رئيسياً فى بلاط ابن الملك خوفو .

وقد تأكدت هذه الصلات أكثر ما تأكدت عن طريق الملاحة ، وتؤكد كثير من مدونات هذا العصر هذه الصلة الطيبة التى كانت قائمة بين البلدين ، وكيف أن ملك ، وملكة بونت كانا يقدمان الهدايا إلى ملك وملكة مصر ، وقد دوّن الملك (سحورع) على جدران معبده القريب من القاهرة أنه استورد من بلاد بونت (الصومال) ثمانية آلاف مكيال من البخور ، وكثيراً ما كانوا يطلقون عليها اسم (البلاد المقدسة) نظراً لأنهم كانوا يستعملون هذا البخور فى طقوسهم الدينية ، وقد ظل أثر هذه الرحلات إلى الآن فى التأثرات اللغوية التى اقتبستها اللغة الصومالية من اللغة المصرية القديمة ، فالنار فى اللغة الصومالية

(دَبْ) بفتح الدال وسكون الباء ، وفى اللغة المصرية القديمة (دِبْ) بكسر الدال وسكون الباء . وكلمة السماء تسمى فى الصومالية (عِرْ) بينما هى فى اللغة المصرية القديمة (حِرْ) فكلا المخرجين قريبان من بعضهما البعض ، وكلمة (أينجا) فى الصومالية بمعنى أنا تقابلها فى المصرية القديمة (انج) وهكذا .

كما رأينا هذا الأثر فى عدد من القصص الشعبى المصرى الذى دارت حوادثه فى الصومال كقصة (البحار الغريق) .

ولعل أهم ما نقله المصريون إلى هذه البلاد هو ظاهرة (الإله الواحد) التى دعا إليها (أخناتون) .

حتى إن المصريين حينما اشتغلوا عن الصوماليين بصراع الهكسوس ، وأرادت (حتشبسوت) أن تعيد هذه الصلات القديمة بالرحلة التى بعثتها هناك أخذ الملك (برجوٍ) ملك الصومال يرحب بالبعثة فى ود ظاهر وهو يقول : (كيف أتيتم إلى هذه الأرض التى نسيها أجدادكم ! أترى نزلتم من السماء؟ أم أبحرتم على متن المياه ؟) ثم دخلت العلاقات بين البلدين فى عهد اليونان ، والرومان فى شيء من النسيان . حتى كان الوعى الإسلامى ، والرحالة المسلمون الذين أخذوا من جديد يقدمون عن هذه البلاد صورة زاهية .

ثم عادت العلاقات الحيوية فى عهد مصر المملوكية حينما تنبهت مصر إلى خطر محاولات البرتغال ، والأسبان لتثبيت نفوذهما فى هذه المنطقة ، وكيف أن مصر فى هذا الوقت اتصلت بالهند فى هذا الشأن ، ورغبت فى التحالف مع البندقية لمقاومة هذا التيار ، بل لقد اشتبكت بالفعل مع الأسطول البرتغالى عام ١٥٠٨ ، وكان هذا ما دعاها للتحالف مع القوى العثمانية التى كانت قد بدأت تظهر كقوة فى ميدان السياسة العالمية .

ثم كان عهد التوسع المصرى فى إفريقية . فقد عملت مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى تأكيد نفسها فى إفريقية . فأكدت سيادتها على حوض النيل ، ثم توسعت فى ثلاث جهات على امتداد النيل حيث بحر الغزال ، ودارفورد . ، وفى سواحل البحر الأحمر ، وخليج عدن . وكان أن ضمت إليها بربرة ، وزيلع ، وتاجورة ، وهرر .

وكان أن أوضحت مصر فى سياستها تجاه الصومال أنها ستعامل البلاد حسب الشريعة الإسلامية ، وأنها ستؤكد العدل ، والمساواة بين جميع الطبقات الموجودة هناك ، وأن أهل الصومال سيكونون كأهل مصر تماماً فى المعاملات كافة ، والتمتع بالحقوق (.. فقد صرتم كأهالى الديار المصرية

من كافة الرعايا تتمتعــون بالأمن وسائر المزايا ، يتساوى الضعيف فى الحقوق ، والقوىّ ، والكل يسلكون المنهج القويم السوى) وسرعان ما عملت مصر على ارتياد البلاد جغرافياً ، وشجعت على زراعة ألوان جديدة ، ومدت المواصلات ، وأخذت فى تجميل بعض المـــدن ، وبث الوعى التعليمى والصحى مما ترتب عليه أن ازدهرت بعض البلاد فقد أصبحت (بربرة) ميناء يتضاءل أمامه ميناء (عدن) ، وصارت تضم مستشفى ، وصيدلية ، ومخابز وطواحــين ، ومكاتب بريد ، ومصابيح كالحال فى مصر تماماً ، وقد جاء فى كتاب مصر فى إفريقية الشرقية أن جبرائيل فيران الذى كان قنصلا لفرنسا ، ثم وزيراً مفوضًا كتب ما يأتى على أثر زيارة قام بها فى هذه المنطقة عام ١٨٨٣ (.. أنشأ المصريون فى بربرة بمعزل عن الحى الوطنى مدينة إفريقية صغيرة عليها نضرة ونعيم ، وأتوا بالماء من جبل الدوبار الذى يبعد اثنى عشر كيلومترا من الساحل ، وأقاموا مبانى .. من محافظة ، ودار للشرطة ، والسجن ، وبيت للحاكم على الطراز الأندلسى بداخله حديقة لإقامة الزوار الغرباء ، وكان أسلوب البناء مطابقاً لمقتضيات الجو ، وحره المستعر .

وكانت العناية توجه كل يوم لتنضير قطع الرياض ، والزهر ، وزراعة الخضروات طول السنة ، وكان فى الميناء منارة تبدو على بعد خمسة عشر ميلا ، ورصيف يسمح بتفريغ وشحن المراكب الكبرى ، وتزويدها بالماء .

ولا ريب أن هذا العمل يدعو إلى الإعجاب ، لاسيما إذا تذكرنا أن الذى قام به حاكم شرقى ، وأن بربرة كانت تملك وقتئذ موارد ، واستعدادات للتموين أعظم ألف مرة من موارد واستعدادات جميع موانى إفريقية الشرقية من السويس إلى موزنبيقة فى متسع من الساحل لايقل عن سبعة آلاف كيلو متر . .

ولم يقف حد هذه الاصلاحات عند بربرة وإنما تعداه إلى كثير من المدن كزيلع ، وبلهار ، وتاجورة .

ثم كان التدخل الأجنبى المنظم والتنافس على اقتسام هذه البلاد ، والضربات التى وجهتْ بقســوة إلى الصومال من فرنســا ، وانجلترا ، والحبشة ، وبرغم الحركات التى قامت فى هذه البلاد كحركة « محمد عبد الله حسن » الا أن القبضة الأجنبية مازالت شديدة ومحكمة على هذه المنطقة ، ولكن ما كادت تنتهى الحرب الثانية حتى كان الصومال يستعيد قواه ، ثم حريته التى تحققت فى أول يوليو عام ١٩٦٠ .

وقد ظلت صلته بمصر فى كل من

هذه الفترات مضيئة ، وقوية ولم تكتف مصر بما أدخلته هناك من ألوان الحضارة ، ولا بمساندتها كل حركة قامت هناك،وإنما أضافت إلى ذلك دماً طاهرا هو دم السيد (كمال الدين صلاح)

٣ ــ علاقة الصومال ببعض الدول :

كذلك حافظ الصوماليون على علاقاتهم الطيبة بكثير من الدول المجاورة لهم فهم يتوسعون فى التجارة مع أوغندة. ويقومون فى هذه البلاد بجهود متواضعة فى دراسة اللغة العربية . وتحفيظ القرآن الكريم .

وهم لا يعتبرون أنفسهم غرباء فى أثيوبيا لأن لهم قطاعاً كبيراً هناك يطالبون بضمه إلى بلادهم . وكذلك لهم قسم كبير ضمه الإنجليز من أراضيهم إلى كينيا وأطلقوا عليه اسم N. F. D. ، وعاصمته تسمى « جبر » ، كما توجد فى نيروز عاصمة كينيا جالية صومالية كبيرة ، ويقال إن قبيلة الماساى الكينية من أصل صومالى ، وأهل كينيا يسمون الصوماليين ، بأهل اللسانين ، لأنهم يتكلمون بالصومالية ، والسواحلية . كذلك يوجد منهم فى السودان عدد كبير .

وهكذا يؤكد التاريخ حقيقة كبرى هى أن هذه البلاد التى استقلت حديثاً قد حافظت على روابط الود مع الدول الإفريقية ، ومن هنا تزدهر الفرحة فى قلب القارة بهذا البلد الكبير الذى يؤكد دوره الحضارى فى شرق القارة .



الرجال السود

أخذت سمات القارة الإفريقية الآن تظهر بوضوح بعد أن كان الاستعماريون يعملون جاهدين على اخفاء هـذه السمات بكافة الطرق ، فقد حاولو إذلال الرجل الأسود ، وشلوا قدراته ، وامتصوا قواه ، وسلطوا عليه ألوانا عديدة من الثقافات الضحلة ، والمغريات المدمرة والتقاليد التى لاتمتّ إلى الأعماق الإفريقية بصلة ، والتى كانت تضيع دائما كلما توغلت فى هذه الغابات النفسية . ثم تموت أخيراً بعيدا عن القرار النفسى للرجل الافريقى :

فقد مارس الأفريقيون أكثر من تجربة جديدة ، فلبسوا الملابس الدخيلة وتكلموا باللغات التى لم تحمل مشاعر آبائهم ، وسافروا إلى الخارج ، وتعرضوا للمغريات ، والسخط ، والتحقير ثم عادوا كأشد ما يكون الناس إيمانا بوطنهم وبقيمهم وتقاليدهم ، ذلك لأن هذه الحضارات الجديدة وإن أذهلت عيونهم إلا أنها لم تذهل قلوبهم عن حضارات أخر مستقرة فى ماضيهم ، وتقوم بين الحين والحين بإرسال طاقات بناءة تدفع المجتمع إلى أن يتحرر ، وأن يعيش كريما على نفسه وعلى الناس !

ولقد أحسّ الأربيون بمدى خطورة هذه القوى المشعة التى تصل بين ماضى القارة وحضارتها فجندوا كثيرا من المفكرين لينشروا على الرجال السود ، وعلى كل العالم أن القارة الافريقية مازال يخيم عليها الظلام ، وأنها تمثل طفولة الحياة وهمجية ، المتوحشين ، ومن هنا وجب أن تفرض عليها الوصاية من « البيض »

هذه هى بعض الأسلحة الغريبة التى حارب بها الغربيون إفريقية فماذا كانت نتيجة المعركة ؟ وبأى سلاح دافعت القارة عن نفسها فى هذه الفترة العصيبة من تاريخها ؟ لقد رأيناها تحارب بسلاح الإحساس ، فبرغم أن القارة كانت أجزاء منفصلة لايدرى بعضها عن البعض الآخر شيئا ، وعلى الرغم من أنها تتكلم أكثر ما تتكلم بلغات محلية غير مكتوبة ، وأنها لاتجد شيئاً تستند عليه فى محاربة هذه القوى المتسللة الغربية . . . برغم كل ذلك كانت تحسّ أنه كان لها

دور كبير فى عملية التطوير البشرى ، وأنها لم تصبح « متنحية » فى التاريخ إلا حينما أرغمت على ذلك فى العصر الحديث من القوى الدخيلة . وأن بداخلها كنوزا ضخمة من المعرفة والانسانية ستظهر فى يوم من الأيام . وستسود . وستفرض نفسها بما تملكه من قوى الخير والمحبة ، والسلام !

وهكذا نرى أن الافريقيين لم يفقدوا الإيمان بأنفسهم ، وتاريخهم . وما يمكن أن يحققوه للبشر فى هذه الحياة !

ومن الغريب حقاً أن نرى أن الرجال الذين تعرضوا لعمليات التأثير ونهلوا من المعرفة فى الخارج . أكثر من غيرهم . هم الذين مزقوا القمصان عن صدورهم ، ورفعوا شعلة الحرية .



« مواطن من الكونغو يهتف بالاستقلال بعد أن نزع من الملك بودوان سيفه »

وتخطوا طريقهم بين الرصاص إلى أن وصلوا بأوطانهم إلى « قمة النور ! » .

فالتاريخ لن ينسى أن تلك الجهات الصلبـــة التى أخذت تزهو فى أنحاء القارة ، ترتفع كالأعلام الكبيرة ، ففى كل بلد الآن ، علم كبير يخفق فى شوق ، وحب ، وجديّة .

فهو فى سماء الجمهورية العربية المتحدة « جمال عبد الناصر » وهو فى غانة « كوامى نكرومة » وفى غينيا « سيكوتورى » وفى كينيا «جوموكينياتا» وفى توجو « سلفاتوس أوليمبيو » . وفى ليبريا « تومان » ، وفى السودان «عبود» وفى أثيوبيا « هيلاسلاس » .

وهو فى الجزائر معركة ، وفى روديسيا صمود . وفى جنوب إفريقية وفى داهومى تجمّع ، وفى أوغندة تربص ، وفى زنجبار ترصد ، وفى موريتانيا ضيق ، وإصرار .

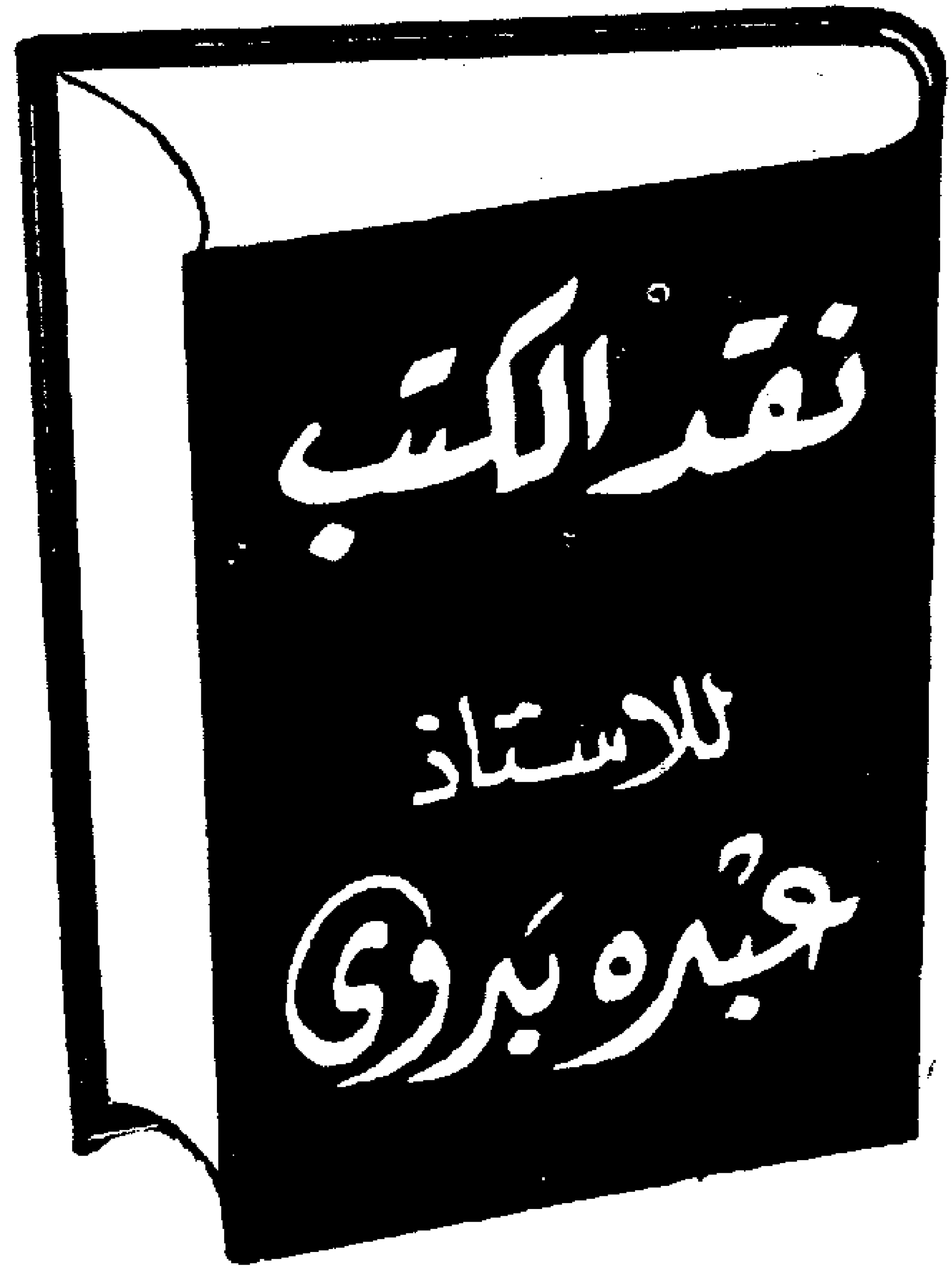
ثم أخيراً هو فرحة ، وأمل ، ونصر ، فى أربع دول حديثة وضعت حرابها الآن لتتحسس الفجر الجديد الذى أطل عليها بالحرية ، والنور ، والأمل فقلب القارة يخفق الآن للصومال وهو يضع أغلاله ، ويضم أجزاءه فى حنو ، وللكنغو وهو يلتحم بأعضائه ، ويقضى على فتن القبلية ، والمحلية . ولمدغشقر التى كانت منفى للثائرين ثم أصبحت فرحة الثائرين ، ولاتحاد مالى الذى أصبح قوة فى قلب القارة بعد أن كان نصلاً مغمداً فيه ! فإفريقية اليوم تسير فى خطين متوازيين إذا كان أولها هو خط الحرية فالثانى بلا شك هو خط الوحدة !

إن القارة الإفريقيـة ، وهى تقف اليوم لتسهم فى عمليات البناء ، والتعايش السلمى ، وتحطيم الأحلاف تقف كأفق كبير من النور . فلن يستطيع أحد فى جميع القارات أن يقول : إن على يديها آثار دماء قارة أخرى ، وإن فى قلبها دقات مسروقة من الذين وفدوا إليها ، ثم عاشوا تحت شمسها ، وإن فى مناجمها دخلاء ليس لهم رصيد متجمد من أحزانها فيما وراء البحار ، وإن فى حقولها أبيض لم يمش فى خيلاء على القلوب التى صارت ترابا تحت كل شجرة !

فإفريقية اليوم جديدة كالصباح الجديد ، ومخلصة كالأشجار التى تلتف فوق أرضها ، وواضحة كالشمس التى تعيس فى وجوه بنيها ، وطيبة كالسخاء الذى ينبع من حقولها ، ومناجمها ، فمن أجدر منها اليوم بدور القيادة فى هذة الفترة الحرجة من تاريخ العالم !

إن افريقية لم تعد اليوم غابات وظلمة ، وقبائل وإنما أصبحت ، قيماً ونوراً . ووحدة .

« ع . ب »



تتجه الأنظـــار الآن بلهفة إلى الجزائر ، وتتجمع حول قضيتها الضمائر الحية فى كل بلاد العالم ، حتى فى فرنسا نفسها نجد جبهة عريضة تمسح على جراح هـــذه البلاد بيد . بينما تهدد باليد الأخرى هؤلاء الرؤساء الذين أساءوا إلى قضية الحرية ، وأهدروا كرامة الإنســـان فى كل مكان .

من أجل هذا نقدم كتاب «السياسة الفرنسية فى الجزائر» للدكتور جلال يحيى لنعطى القارئ صورة حقيقية عن الصراع الدائر هناك ، وقد بدأ المؤلف حديثه عن هذه البلاد بمجئ الفينيقيين إليها ، ثم بتحالفهـــا مع قرطاجنة ، ثم ببسط النفوذ الرومانى عليها ، ومجئ المسيحية ، ثم الإسلام .

ونحن هنا نتساءل ، أين حقيقة هذا الشعب نفسه من خلال هذه السيطرة فى هذه الحقبة الكبيرة ؟ وهل يمكن مثلا أن أقدم تاريخاً لمصر إذا تكلمت عن غزاتها فقط من أول مجئ الهكسوس إلى قدوم الإسلام دون أن أتكلم عن دور هذا الشعب وتأكيده لنفسه وحضارته فى هذه الفترة ؟

إن هذه النظرة يجب أن تتغير عند المؤرخين ، فمثلها تماماً مثل دراسة الأمم من تاريخ الملوك ، أو من تاريخ طبقة واحدة من طبقات المجتمع .

ومهما يكن من شئ فقد وفى المؤلف دور العروبة هناك ، فذكر لنا أن العرب ساروا من مصر متجهين غرباً إلى المحيط الأطلسى حيث وضعوا أيديهم على « برقة » ثم تغلغلوا فى الشمال الإفريقى الذى كان تابعاً فى هذه الفترة للدولة البيزنطية ، وقد وجدوا فى هذا معاناة كبيرة لصعوبة البلاد من الناحية الجغرافية ، ولاستماتة الأهالى فى الدفاع عن أرضهم ضد هذا الوافد الجديد ، ثم أخيراً لأن البلاد كانت مفتوحة من ناحية البحر لتلقى الإمدادات من « بيزنطة » ولذلك نرى أن عدد السنوات بين غزو « برقة » ، واستقرار الأمر لموسى بن نصير قد بلغ ثمانيا وستين سنة !

وما كاد الأمر يستقر لموسى بن نصير حتى عمل على تنظيم البلاد من

الناحية الإدارية ، والمالية ، واستطاع أن يؤكد فى هذه البلاد العروبة حتى أصبحت من القوة ، بعد ذلك، ما مكنها من فتح الأندلس ، والتوغل فى فرنسا ، وقد أسهمت « الجزائر » فى هذه الفترة فى الدور الكبير الذى قام به الشمال الإفريقى كله ، ورأيناها تعتنق آراء الخوارج ، ثم تتحول إلى رأى الشيعة تحت ضغط الدولة الفاطمية ، ثم تتحول أخيراً إلى المذهب السنى .

ثم يترك المؤلف الخيط من يده ليتكلم عن الصراع فى أسبانيا ، وعن محاكم التفتيش ، ودور ايطاليا فى هذه الفترة إلى أن تظهر قوى الترك فى الميدان فيقول لنا : « كان من الطبيعى أن ينضم أهل الجزائر إلى جانب الترك المسلمين فى هذا الكفاح » ، ويعود ثانية ليتكلم عن البرتغاليين ، والأسبانيين حديثاً مستفيضاً إلى أن يصل بنا عرضاً إلى شخصية « بابا عروج » الذى أعلنه كل من الترك ، والبربر ملكاً على الجزائر ، والذى تسلم من بعده البلاد أخوه « خير الدين »

ثم سلمه بدوره إلى السلطان العثمانى الذى أنعم عليـــه أخيراً بلقب « بلك بكوات إفريقية » ثم خلف خير الدين فى الجزائر عام ١٥٣٦ الضابط « حسن أغا » ، ثم حسن باشا ، ثم صلاح ريّس ، ثم عاد حسن باشا مرة ثانية ، ثم يولج على .

وهكذا نرى المؤلف لا يتكلم عن الجزائر إلا من خلال هذا القطاع الكبير المسمى شمال إفريقية ، ولا يقدم لنا بالتفصيل إلا هذه الفترة الحديثة التى تبدأ بظهور القوى العثمانية . ومن الواضح أنه معذور فى هذا لأنه يعتمد على مراجع أجنبية ، وكتب عربية حديثة أما الحلقة المفقودة التى كان يمكن أن تسد هذا النقص فهى موجودة فى كتب التراث العربى المؤلف فى هذه الفترة ، والذى لم يحقق أو ييسر أكثره حتى الآن .

* * *

ثم قدم المؤلف حال الجزائر فى ظل الحكم العثمانى ، وكيف أن الأمور سارت فيها بطمأنينة حتى بدأ رجال الإنكشارية يتدخلون فى السياسة ، ويسيرونها طبقاً لأهوائهم . فقد امتلأت البلاد بهم قرب نهاية القرن السادس عشر ، وأصبح فى إمكانهم أن يعلنوا حرباً ، أو يوقعوا صلحاً أو محالفة أو معاهدة دون الرجوع فى ذلك إلى الإمبراطورية العثمانية التى بدأت تتحول عن فكرة إقامة إمبراطورية لها فى الشمال الإفريقى ، ولذلك نراها تكتفى بولايات الجزائر ، وطرابلس ، وتونس ، وتديرها بطريقة إرسال الباشوات من طرفها بحيث لا يقيم الباشا فى الولاية إلا مدة ثلاث سنين فقط ، ولذلك نراهم يسعون لجمع الأموال بالطرق

كلها ، ونراهم يوالون طائفة الإنكشارية خوفاً على أنفسهم من القتل . ثم نرى الأمور تتحول من يد الباشا إلى يد الأغا أو قائد الجند الذى كان لا يظل قائداً للجند إلا لمدة شهرين فقط . ثم يليه آخر يتسلم منه الأمر بالقوة . ولذلك نرى أن معظم الأغوات فى الفترة بين عامى ١٦٥٩ . ١٦٧١ قد قتل بعضهم بعضاً !

ثم قامت طائفــة أخرى تسمى « الريسا »[1] بتغيير هذا النظام بحيث لا يصبح للجند فى أمر الحكم شيئاً . فقد اختاروا واحداً منهم سموه «الداى» وأعطوه السلطة مدى الحياة . وهكذا تناست تركيا إرسال الباشوات إلى الجزائر . وأخــذ « الداى » يباشر سلطانه معتمداً على رجال البحرية . ولكن البحرية أخذت فى الضعف . مما أعاد ثانية نفوذ الإنكشارية . وجعلهم يتدخلون بين الوقت والآخر فى السياسة ، وقد يقتلون « الداى » أو يعزلونه ، وقد ترتب على هــذا أن طمعت أسبانيا فى البلاد ، وجعلتها تحتل ميناء وهران ، والمرسى الكبير ، ولكن أسبانيا تركتهما أخيراً لأنهما يرهقان ميزانيتها .

ومن الغريب أن يقول المؤلف « إن تاريخ الولايات الجزائرية هو تاريخ التنافس بين رجال الانكشارية ، وطائفة « الريسا » بينما كانت هناك طائفتان خطيرتان هما طائفة «الوجاق» ، وطائفة « الدرقاوية » ، وكانت هناك قوة رجال الصوفية الذين قاموا بثورة فى قسطنطينة . وقوة بنى العباس الذين تمردوا على الحكم فى وهران . وكان هناك النظام التركى الفاشل الذى لم تراع فيه مصلحة البلاد . ثم أخيراً كان هناك قرار الدول الأوروبية بالقضاء على بحرية الجزائر باسم القضاء على القرصنة فى البحار .

من هذا نرى أن تاريخ الولاية الجزائرية لم يرتبط بالتنافس بين طائفتى الانكشارية . والريسا فقط ، وإنما ارتبط بكل هذه العوامل المتقدمة التى أسلمتها إلى حالة كبيرة من الضعف ، وجعلتها مهيئــة للسقوط — كالثمرة الناضجة — فى يد أية قوة جديدة .

* * *

ولقد كانت فرنسا على علاقة طيبة بالجزائر فى بعض الأحيان ، فكانت سفنها تمون فى مرسيليا ، وكانت هناك معاهــدة بين البلدين تعطى لفرنسا ورعاياها ، ولتجارتها امتيازاً فى الجزائر ، كما سمح لبعض الفرنسيين بإقامــة منشئات للصيد على شواطئ الجزائر ، ولكن إلى جانب هذا كانت تقوم فترات عصيبة بين البلدين ، وقد ظهر هذا واضحاً حينما عرض شارل التاسع

(١) قباطنة البحر

على سلطان تركيا فى عام ١٥٧٢ امر تنصيب « هنرى دى ڤالوا » على الجزائر . وحينما تعاون بعض القراصنة من الأوروبيين مع بعض الجزائريين على الهروب بمدفعين من البرونز ، والالتجاء إلى مرسيليا . وحينما قتل أهل مرسيليا بعض الجزائريين بها فانتقم الجزائريون لذلك بأسر معظم السفن الفرنسية التى خرجت فى هذه الفترة من ميناء مرسيليا . وبرغم أن الفرنسيين سعوا إلى الصلح إلا أنهم لم يحترموه بعد ذلك مما دعا الجزائريين إلى استمرار نشاطهم ضد الفرنسيين .

وقد دعا هذا فرنسا إلى إرسال حملة كبيرة عام ١٦٦٤ لاحتلال « جرجل » ولكنها عادت خاسرة . ثم كانت الحملة الثانية فى العام التالى ولكنها باءت بالفشل كذلك . وبرغم أنه تم صلح بين الطرفين فى عام ١٦٦٦ إلا أن الفرنسيين لم يسلموا بمقتضاه أسراهم من المسلمين فى مقابل اطلاق الجزائريين لأسراهم . مما اضطر الجزائر إلى إعلان الحرب على فرنسا فى العام التالى ، والانتقام لأسراهم بتدمير تجارة فرنسا ، وبرغم أن فرنسا أمرت الأسطول الفرنسى بإطلاق النار على الجزائر فى عامين متتاليين إلا أنها لم تنل من البلاد شيئاً .

ومن هنا رأت فرنسا الاعتماد على تقويض البلاد من الداخل فاعتمدت على « الحاج حسن » فى القيام بانقلاب داخل الجزائر يسهل عليهم أمر احتلالها ، وقد استجاب فعلا « الحاج حسن » لهذا . واستطاع قتل « الداى » ووضع أمور البلاد فى يديه . ولكنه تنكر للفرنسيين . وذكر لهم أنه سيرد على كل قذيفة من مدافعهم بقذيفة أخرى من أسراهم بعد وضعها فى مدفع جزائرى . وقد نفذ بالفعل وعيده هذا مما اضطر الأسطول الفرنسى إلى الانسحاب وقد طلب الفرنسيون عقد صلح لكسب الوقت فى عام ١٦٨٤ ، ولكن ما كاد يأتى عام ١٦٨٨ حتى عاد الأسطول مرة أخرى للهجوم بعد أن ألقى ١٠,٠٠٠ قذيفة فى ١٦ يوماً ، ولم يستطع أن ينال من الجزائر شيئاً وكان أن وقعت فرنسا وثيقة صلح أخرى عام ١٦٩٠ . وقد اضطرت إلى هذا لتتماسك أمام بحرية هولندا ، وانجلترا . ولكن فترة الصفاء ما عادت تزدهر حتى تعرضت الجزائر من جديد إلى حملات من أسبانيا . وانجلترا ، وهولندا . والدنمرك ، والبندقية ، ولما لم تفلح كل هذه الحملات أخذت سبع دول تدفع للجزائر جزية كل عامين للاحتفاظ بأمن الملاحة ، وكانت هذه الدول هى : الولايات المتحدة ، وهولندا ، والبرتغال ، ومملكة نابلى ، والسويد ، والنرويج ، والدنمرك . أما بقية الدول فكانت ترسل هدايا

قيمة كفرنسا التى كانت تقدم هدايا من منتجاتها المحلية ، وكإنجلترا التى كانت هداياها أسلحة ، وذخائر .

ثم وقع خلاف بين « الداى » . وفرنسا بعد فترة كبيرة من الصفاء . ولعل من أهم ما حدث من خلاف فى هذه الفترة هو قيام الداى مصطفى بسجن قنصل فرنسا وبعض رعايا دولته ، ومطالبة الفرنسيين بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ قرش ثمناً للقمح الجزائرى .

ولكن حينما شعر الفرنسيون بعودة نشاط الانجليز فى الشمال الإفريقى نراهم يتفقون مع روسيا عام ١٨٠٨ على أن يكون احتلال الجزائر من نصيبهم . ويرسلون من يعد خرائط لمدينة الجزائر . وما يحيط بها ، وكانت أهم الذرائع التى تذرعت بها فرنسا لاحتلال الجزائر هى القضاء على القرصنة . وتأمين المواصلات البحرية . والتجارة فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ثم كان مؤتمر فينا . ومؤتمر لندن ، وبحث فى كليهما القضاء على البحرية الجزائرية . كما طالبت أمريكا بوقف المطالبة بالجزية السنوية المفروضة على سفنها ، ووقف عملية زيارة ، وتفتيش السفن ، ثم أخذت المسألة دوراً عملياً حينما اشتركت أمريكا ، وبولندا — ولعل المؤلف يقصد هولندا — وانجلترا فى ضرب البحرية الجزائرية مما ترتب عليه إغراق معظم الأسطول الجزائرى . وتدمير جزء من تحصينات المدينة ، ولكن الجزائر ظلت شوكة فى جنب كل الأوروبيين الذى رأوا فيها دولة مسلمة تتحكم فى سفنهم ، وخاصة فرنسا التى كانت قد دخلت مع الجزائريين فى صفقة كبيرة من القمح وامتنعت عن أداء ثمنها . مما أثار « الداى » فى إحدى المرات ، وجعله يدفع القنصل الفرنسى أمامه طالباً منه الخروج من حضرته« وهو ما يسمى بضربة المروحة ! »

ولا أدرى لماذا يصر المؤلف على أنها كانت مجرد دفعة فقط من حضرة الداى ، ثم يذكر أن هذه الدفعة سميت ضربة المروحة ، والحقيقة تؤكد أن « الداى » ضرب القنصل فعلا حينما تلكأ فى الخروج ، ولذلك يمكن أن نسميها ضربة « المنشة » لأنه قد اصطلح على أن تكون المروحة فى يد النساء فقط زيادة على أن ما فى يد « الداى » كان « منشة » كالمعروفة عندنا فى مصر .

ومهما يكن من شئ فقد انتهزت فرنسا هذه الإهانة — وما أكثر ما وجهت إليها من قبل من إهانات — لاحتلال الجزائر لأن الظروف السياسية كانت فى صالحها . وقر قرارها على ذلك فى عام ١٨٣٠ بما أعلنه الملك من الانتقام لشرف فرنسا ، ومن الخدمة التى ستجنيها المسيحية من ضرب هذه البلاد المسلمة ، وقد نجحت فرنسا

فعلا فى احتلال الجزائر ، وفى عرض شروط قبلها « الداى » ، وفى نهب المدينة ، وكانت هذه أولى خطوة لإنشاء امبراطورية فرنسية فى إفريقية !

* * *

وما كاد الأمر يستقر لفرنسا حتى عملت على الاستيلاء على الأرض وتسليمها للمهاجرين الفرنسيين ، وبخاصة الجنـــد ، ثم المهاجرين الأوروبيين من كل مكان ، واستعدت للتوغل فى الداخل بعيداً عن المدن ، وبخاصة أن قوى الأمير عبد القادر وتحركاته قد أزعجتهم ، ومن هنا أخذوا فى إرضائه أول الأمر ، ومكنوه من القضاء على الأتراك والقولوغلو لتضمحل قوة الجميع . ولكنهم عدلوا عن هذه الفكرة فى آخر الأمر خوفاً من قيام حركة عربية شاملة بقيادة «عبدالقادر» وبخاصة أن كثيراً من البلاد فى الداخل قد توحّد على يديه ، وأن قواته قد أصبحت قريبة من خطوطهم ؛ ومن هنا نراهم يعملون على تجميع القبائل . وتأليبها ضده . وعقد معاهدة معهم . مما دعا « عبد القادر » إلى الطعن فى هـــذه الاتفاقية بأنه ليس من حق مسيحىٍّ أن يتولى أمر المسلمين . وبتقدمه من خطوطهم . ودحرهم فى موقعـــة حازمة . ثم توالت بعد ذلك المعارك . ومع أنهـــا هدأت نوعاً ما إلا أنها عادت تتوتر بمجرد استيلاء الفرنسيين على مدينة « قسطنطينة » . وقد حارب الفرنسيون فى هذه المعركة بكل سلاح. وكانت عملية التدمير الاقتصادى هى أمضى هذه الأسلحة فقد كانوا يحصدون الغلال ، ويجمعون الثمار ، ويخربون منازل الأهالى ، ويعودون بمواشيهم ثم كانت الحرب الطاحنة التى شنت على قوات (عبد القادر) فى عام ١٨٤٣ والتى اضطر فيها (عبـــد القادر) إلى الالتجاء إلى المغرب الذى كان يناصره سلطانها ، ومن هنا كان لا بد من التحرش بهذه البلاد ، ولكن السلطان ما لبث أن غير موقفـــه من الثورة الجزائرية ، ومن الأمير (عبد القادر) ، وكان من أهم الأشياء التى حولته أنها أوهمته أن عبد القادر يريد نقل السلطة من يد (العلويين) إلى (الهاشميين) ، وقد أثرت كل هذه الأشياء فى ثورة عبد القادر مما جعلته يستسلم بعد كفاح مرير فى عام ١٨٤٧ ، وقد سمحت له ولأسرته أخيراً بالرحيل إلى دمشق وكان هذا إيذاناً بالقضاء على الجزائر تماماً ، ما عدا بعض الجيوب التى لم تستسلم تماماً .

ثم كان أن استولت على تونس وأمنت على حدود الجزائر الشرقية ، ووقعت مع انجلترا اتفاقية فى عام ١٨٩٠ لتقسيم مناطق النفوذ فى الصحراء ، وفى المناطق السودانية ، وبرغم أن الأراضى التى استولى عليها كانت مفككة بحيث

يمكن أن ترضى غرور (الديك الفرنسى) لينبش فيهـا بقدميه ويرضى غروره إلا أنه ظهر أخيراً أنها تتمتع بثروات معدنية ضخمة !

وهكذا استمرت فرنسا تضرب ضرباتها من هنا وهناك حتى كونت امبراطوريتها فى إفريقية بما فيها مراكش . وحاصرت بهـا الجزائر وأصبحت تعتصرها بين يديها (كالبرتقالة !)

* * *

ثم أورقت بذور الكفاح الجزائرى فى مطلع القرن العشرين . فكانت زيارة الشيخ محمد عبده فى عام ١٩٠٤ ، وكان منح الدستور لبلاد الشرق الأدنى من تركيا عام ١٩٠٨ ، وتحريك الحروب التى أعلنت ضد العالم الإسلامى لضمائر كل المسلمين فى أنحـاء العالم ، ثم أخيراً كان للحرب العالمية الأولى – التى قتل فيها خمسة وعشرون ألف جزائرى دفاعاً عن شرف فرنسا – أثر كبير فى عملية الانتفاض داخل الأمة الجزائرية ، إذ ما كادت تنتهى حتى سارع حفيد الأمير عبد القادر إلى المطالبـة بتطبيق تصريحات الرئيس « ويلسون » على الجزائر ، وإعطاء أبنائها حق تقرير المصير .

ثم تكونت بعد ذلك الجمعيات ، والهيئات السياسة ، وظلت تدافع حتى أخذت طابعها المميز الآن ، فقد سارع العلماء المسلمون بعملية تقريب بين السنة ، والشيعة ، وبين العرب ، والبربر لخلق كتلة موحدة يمكن بها مقاومة الفرنسيين .

كما بدأ وعى علمى فى البلاد بفضل جمعية العلماء المسلمين فأخذوا يفتحون المدارس ، ويلقون المحاضرات ، وينشرون الكتب ، ويؤكدون الثقافة العربية ، وقد فكرت الجمعية فى إنشاء جمعية إسلامية فى مدينة الجزائر . ولكن الظروف لم تساعدها ، وامتد نفوذها إلى تثقيف الجزائريين المقيمين فى فرنسا . وتأكيد معانى العروبة ، والإسلام فى قلوبهم ، كما عملت على مهاجمة الطرق الصوفية لأنها رأت فيها قوة سلبية لا تتمشى مع روح البلاد المتوثبة للحرية ، والنور ، وتصدت لدعاة الهزيمة الذين نادى واحد منهم فى عام ١٩٣٦ إن الوطن الجزائرى غير موجود ، وإنه لا يوجد فى البلاد ما يمكن أن يسمى بالقومية الجزائرية . فقد رد عليه الشيخ « بن باديس » بأن الأمة الجزائرية المسلمة موجودة مثلها فى ذلك مثـل بقية الأمم . وأن لها تاريخها ، ووحدتها الدينية ، واللغوية . كما أن لها ثقافتها ، وعاداتها ، وطباعها . مما أزعج الفرنسيين الذين كانوا يتعاونون مع رجال الطرق الصوفيـة ، وجعلهم يعملون على تشتيت القائمين على أمر « جمعية العلماء المسلمين » ، وقد أكدت هذه الجمعية

أن هناك قوميــــة جزائرية ، وأن صفتها الإسلام والعروبة فعاد كثير من الجزائريين إلى التمسك بصلواتهم ، وقاطعوا التدخين . كما أفتى هؤلاء العلماء بأن التخلى عن قانون الأحوال الشخصية الإســـلامى للحصول على صفة المواطن الفرنسى يعنى الارتداد عن الإسلام، ويتسبب فى عدم الصلاة على المتجنس بعد وفاته ، ويحرمه من حق الدفن فى مقابر المسلمين . فتمسك الجزائريون بقانون الأحوال الشخصية الخاص بهم ، ولم توافق إلا قلّة نادرة منهم لا تعدوا بضعة آلاف على الدخول فى الجنسية الفرنسية ، وكانت هذه لطمة واضحة أصابت النظم الفرنسية ، والسياســـة الفرنسية الاستعمارية فى الجزائر ، وساعدتْ على التميز بين الصفات الجزائرية ، والصفات الفرنسية ، وبالتالى على نضج الشخصية الجزائرية ونموها وتطورها » .

* * *

ثم كانت حركة « مصالى الحاج » التى أطلقت على نفسها اسم « نجم شمال إفريقية » ، وتوسعت بحيث ضمت تونسيين ، ومراكشيين إلى جانب الجزائريين . وتركز معظم نشاطها بين العمال الذين يخدمون فى المنطقـــة الفرنسية . والذين يعانون الإهمال ، والتفرقة بينهم وبين من يؤدى عملهم نفسه . وقد بدأت حركتها عام ١٩٢٦ ثم حلها الفرنسيون عام ١٩٢٩ ، ولكنها واصلت نشاطها السرى ، وظهرت فجأة عام ١٩٣٣ ، ثم أطلقت على نفسها اسما جديدا هو « الاتحاد الوطنى للسلمين المغاربة » ، وأكدت نفسها فى البلاد ، وقاومت « وحدة النواب الجزائريين » الذين كانوا لا يعترفون فى هذا الوقت بوجود الشخصية الجزائرية ، ونادت مع جمعية العلماء الجزائريين بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى الجزائر ، وبضرورة توحيد المسلمين فى الشمال الإفريقى ، ثم تخير لها (مصالى الحـــاج) اسم (الشعب الجزائرى) ، ولكن الفرنسيين قضوا على هـــذه الحركة ، وسجنوا (مصالى الحاج) عدة مرات كان آخرها الحكم عليه عام ١٩٤١ بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً .

ثم كان أن تقاربت القوى السياسية التى كانت تعارض الفرنسيين ، والتى كانت تؤيدهم حينما ظهر لهم أن فرنسا لن تكون إلا عدو الجزائر . ومن هنا ما كادت الحرب الثانية — التى هزمت فيها فرنسا — تنتهى حتى التقت القوتان وجهاً لوجه فى صراع عنيف ، صوره الأستاذ أحمد توفيق المدنى فى كتابه «هذه هى الجزائر» بقوله (وفتح الجميع مواسم الصيد الآدمى ، وطورد المسلمون فى المدن والقرى « والمداشر » كما تطارد السباع فى الغابات ، وعمت المذابح فذهبت

ضحيتها القرى العديدة ، ولم ينج منها رجل ولا امرأة ولا صبي ، وكانت المصفحات الفرنسية تسير صفاً فتدمر القرى على رأس من فيها من رجال ونساء وأطفال ، حتى تسوى بها وبمن فيها الأرض .

أما النساء فقد امتهن شر امتهان . وانتهكت حرماتهن انتهاكاً جديراً بأعمال وحوش الاحتلال الأولين . وقطعت آذانهن من أجل الأقراط . وأيديهن من أجل الخواتم . وأرجلهن من أجل الخلاخل . وكان الجندى يتباهى بتلك الغنائم ، ويتفاخر بإحراز أكبر عدد منها .

دامت المذبحة أياماً وليالى سوداء ، وأسفرت عن مقتل ٤٥ ألفاً من المسلمين ، واضمحلال قرى كاملة ، وخراب جهات فسيحة . وإعدام النخبة المفكرة فى كامل الجهة ، وبهذا ضربوا فى الصميم كل القوى السياسية ، ولكنها ما لبثت أن عادت كأقوى ما تكون عليه هذه القوى :

* * *

وهكذا وقفت فرنسا من قضية العروبة فى هذه البلاد موقفاً مشيناً . فهاجمت الجامعة العربية حين تكونت ، وعملت على الإبعاد بين عرب الشرق الأوسط وبين عرب شمال إفريقية فى فرنسا نفسها . وحملت على كل البلاد التى تساند قضية الجزائر . أو التى تعطف على رجالاتها . وعملت على تدمير اللسان العربى . والقوى الاقتصادية فى هــذه البلاد . ثم كان أن وقفت أخيراً وجهاً لوجه أمام الثورة المسلحة وأمام جيش التحرير والمد العربى القوى الذى أخذ يرتفع من كل مكان وبخاصة من القاهرة ولم يبق إلا أن تبقى البلاد لأهلها !

والكتاب يخيل لقارئه أنه لم يعش كثيراً فى نفسية مؤلفه . فهو يقــدم الجزائر فى أول الأمر غامضة . ولم يحاول جلاء هذا الغموض بالحديث العام عن الشمال الإفريقى لأن المفروض أن يقــدم (الجزائر) من خلال الشمال الإفريقى . ثم نراه يطيل فى بعض الفترات المؤرخة ويوجز فى بعضها . ونحن لا نعاتب المؤلف لأنه سمى كتابه (السياســة الفرنسية فى الجزائر) وسار فى هذا الخط الذى يؤرخ فيه لسياسة فرنسا بعامة ، وفى الجزائر بخاصة ، ولكنا كنا نحب أن نخرج بأكثر مما خرجنا به عن الجزائر نفسها ، وعن قضيتها فقد كان أكثر ما يعنى المؤلف هو الحديث عن فرنسا مهما يكن الحديث .

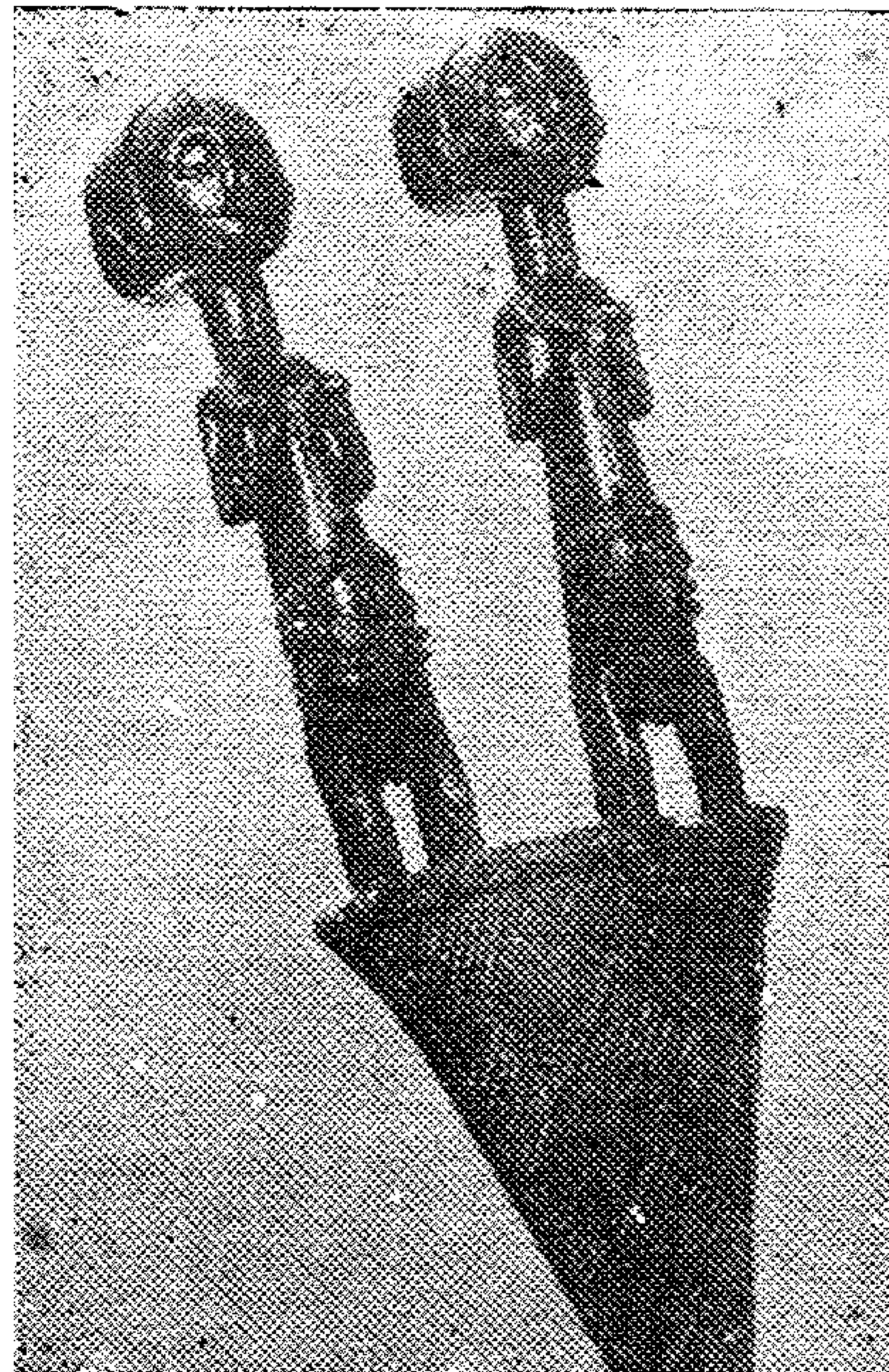
وإن كنا نرى المؤلف متحمساً دائماً لهذه القضية الإنسانية ، ولكن هذا التحمس كان يسوقه أحياناً إلى عدم الوصول إلى ذهن القارئ بسرعة فنحن

نراه، مثلا يقول عن رجال جمعية العلماء المسلمين : « وكانوا من المتأثرين بتعاليم ابن تيمية ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، ومن أنصار الإصلاح في العالم الإسلامي والنظر إلى الإسلام نظرة حديثة. فنظموا مجهودهم في « جمعية العلماء المسلمين » بإرشاد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى أصدر جريدتى « الشهاب » و « البصاير » وسار في مقالاتهما على غرار الشيخ محمد عبده . واعتمدت جمعية العلماء على الإسلام .. ألخ » .

وقد يأتى بمثل هذه الكلمات وهو يعرض لفكرة بكلمات من عنده فيقول «إن هــذه الأمة ليست فرنسا . ولا يمكنها أن تكون فرنسا، ولا ترغب في أن تكون فرنسا ، ولن تكون أبداً فرنسا » .

وهكذا نرى هذا الكتاب يسير في خط متعرج فيوفى بعض القضايا ، ويوجز بعضها، ويجعل القفزة بين بعض هذه القضايا كبيرة ثم يترك القارئ في آخر الأمر يتساءل لم هذه السرعة ، ولم لا يتعمق المؤلف الأحداث ويحللها في شيء من التعمق ، ولعل عامل السرعة نفسه هو الذى ملأ الكتاب بكثير من الأخطاء المطبعية واللغوية ، وبعدم التفرقة الصحيحة بين بعض المصطلحات كما في صفحات ٢٨ ، ٤١ ، ٥٥ . ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ .

وإن كان هذا لا يمنع من الثناء على الجهد المبذول فيه .



جولة مصورة حول

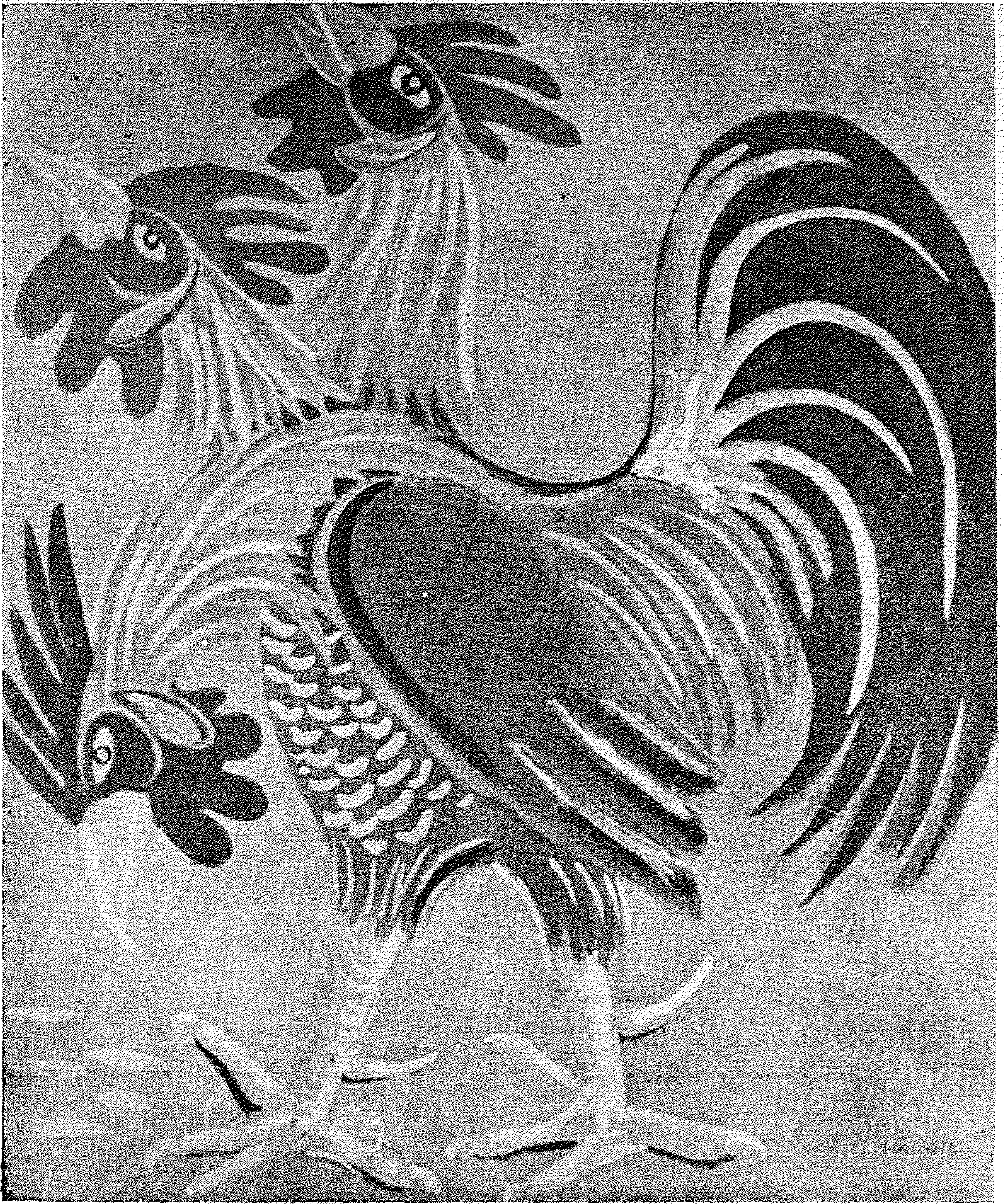


« من الفن الإفريقى »



« طعام الموز في غانة »

« تحية فى مطار غانة »



« من اللوحات الافريقية المعبرة »

افريقية في نظر كتاب الغرب

بقلم أندابانجي سيتهول

ترجمة عبد الواحد ابراهيم

وضع كثير من المؤلفين الأوروبيين والأمريكيين ، طائفة ضخمة من الكتب تناولوا فيها — على حد تعبيرهم — قضايا افريقية ، ومشكلاتها وتاريخها وطبيعة شعوبها . وقد قدموا في معظم ماكتبوه صورة مشوهة عن افريقية وشعوبها ، وبذلك امتهنوا قدسية المنهج العلمي ، ووصلوا إلى نتائج خاطئة لا تمت إلى الواقع بصلة . وأصبح من الضروري بالنسبة لنا أن ندحض افتراءات هؤلاء الكتاب ، وأن نلقي الضوء على بعض الجوانب المظلمة من الصورة العامة ، ولن نلجأ إلى ساليبهم في التحامل وفجائية الحقائق الواقعة ، ولكننا سنعتمد على الدراسة الموضوعية التي تقوم على أساس من احترام طريقة البحث العلمي الصحيح وسنختار لمناقشتنا كتاب « افريقيا العملاقة » الذى وضعه (ستيوارت كلويتي) لأنه يمثل في نظرنا جماع مواقف الكتاب الأوروبيين والأمريكيين الذين تعرضوا للحديث عن افريقية

ويحاول (كلويتي) أن يؤكد لقارئه ما إذا كان الرجل الافريقي مستعداً الآن لإدارة بلاده في ظل نظام الحكم الذاتي أم لا . وينتهي بنتيجة خاطئة يصر فيها على أنه لم يصبح بعد أهلا لهذا النوع من الحكم . فهو يقول مثلا فيما يتعلق بشعب روديسيا

« إلى أين يستطيع الافريقيون أن يذهبوا هنا ؟ وإلى أي مدى ؟ ان السماء يجب أن تكون حدهم الأخير لو كانت لهم عقول تفكر » .

ولقد نسي (كلويتي) أن يذكر أن الأمور في روديسيا وفي غيرها من البلاد الافريقية التي يتحكم فيها مبدأ (السمو الأبيض) قد وضعت على أساس أن يظل الأوروبي في ذروة السلم الاجتماعي دائماً . بينما يعيش الافريقي بفضل التشريعات العنصرية في قاع الحضيض . فقد وضعت الأجور والمرتبات على أساس أن الأوروبي الذى يتساوى مع الافريقي في الكفاية والخبرة ، والمؤهل يتقاضى أعلى الأجور بينما يتقاضى مثيله الافريقي أقل الأجور وأحطها . وأصبح مفتاح الموقف كله يتركز في امتياز الجنس الأوروبي الأبيض واعتباره العنصر الحري بالاستمتاع بكل

ما فى الحياة من خبر . ومن الأمور الشائعة فى افريقية انك تجد التميز بسبب اللون قائماً ومطبقاً فى كل مرافق الحياة العامة . ففى الفنادق وقطارات السكك الحديدية والسيارات ؛ والحدائق العامة تفرض على الرجل الافريقى — بصرف النظر عن ثقافته ونضوج تفكيره — سياسة التميز التى تحطم كل معانى انسانيته . وبينما توجد فى روديسيا الشمالية حرية سياسية للمواطنين إلا أن التأهيل السياسى متوقف على مستوى اقتصادى معين . ويقوم الهيكل الاقتصادى للدولة على أساس أن الإفريقى لايستطيع أن يصل إلى الحد الاقتصادى الذى يمكنه من مباشرة حقوقه السياسية .

ولعلنا لانوافق (كلويتى) على أن حدود الإفريقيين فى روديسيا هى السماء ، بل هى فى ظل نظام أبناء جلدته من الأوروبيين السقف القريب الذى بناه البيض هناك محافظة على سيادتهم وسموهم .

ثم ينتقل (كلويتى) إلى مغالطة أخرى فيذكر فى صفحـــة ٣٧ من الكتاب .

« لقد علمت بأن لدى قبيلة الماتابيلى أربعين اسما للحاشية فى الوقت الذى لا توجد فى لغتها كلمة (شكراً). لأن هذا الشعب ليس لديه مدلول يتطلب استعمال هذه الكلمة . فخدمة الأقارب والعشيرة أمر متوقع . ولا يمكن رفض الطعام عند ما يقدم . ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى شكر المعطى ما دام لهذا المعطى بدوره حق الأخذ ، أما إذا قام أجنبى بعمل شىء فتقاليد الماتابيلى تقضى بأن يأخذ هذا الأجنبى أجر ما قام به » .

هذا ما يدعيه كلويتى عن طبائع الماتابيليين وسلوكهم الاجتماعى .

ولقد ولدت أنا شخصياً بين قبيلة (الانديبيلى) وهى فرع من قبيلة الماتابيلى ، وعشت بين أبنائها أكثر من ثلاث وأربعين سنة ؛ وشاهدت كيف أن الوالدين فى أسر هذه القبيلة يبذلون جهداً كبيراً فى تمرين أطفالها على نطق كلمة (شكر) عند ما يقدم إليهم أحد أى شىء ، والأم الانديبيلية تقول لطفلتها عند ما تريد أن تعطيها شيئاً ماذا تقولين يا طفلتى العزيزة إذا أعطيتك هذا الشىء ؟ فإذا ما أجابتها الطفلة أقول شكراً قبلتها فى سرور ونشوة ، ثم أعطتها ما معها من هدايا . وعلى هذا الأسلوب فى الحياة الاجتماعية نشأت ونشأت زوجتى وينشأ كل طفل أنديبيلى . ومن الأمور المألوفة جـــداً عند قبيلة (الأنديبيلى) أن الطفلة إذا جاءت لأمها تحمل هدية أعطاها لها أى إنسان تسألها ماذا قلت له ؟ فإذا ما أجابتها بأنها قد قالت لصاحب الهدية (شكراً) صفقت لها أمها ، وأظهرت لها إعجابها بصواب سلوكها . وإذا ما قالت لها إنها لم تعرف بماذا تجيب ،

أمرتها فى التو أن تذهب مرة ثانية لكى تقول (شكراً) لمن أعطاها الهدية .

إن ادعاء كلويتى بأن كلمة (شكراً) لا وجود لها عند (الماتابيليين) ادعاء خاطىء لا يستحق منا أى تعليق . ولكننى أحب أن أوضح للقارئ أن كلمة (شكراً) موجودة فى كل اللغات الإفريقية .

وسأكتفى هنا بذكر بعض اللغات لأؤكد أن هذه الكلمة — على غير ما يدعى كلويتى — موجودة وجوداً لغوياً وقديمة .

فكلمة شكرا فى اللغة الانجليزية	......
وكلمة شكراً فى لغة الأنديبيلى	Nigyahonga
وكلمة شكراً فى لغة الشونا	Ndinotenda
وكلمة شكراً فى لغة اللوجاند «أوغندا»	Wehale
وكلمة شكراً فى لغة الهاوسا (نيجيريا)	Godiya
وكلمة شكراً فى لغة التسوانا	Kea ilumela
وكلمة شكراً فى لغة السوتو	en, Ahel

ولقد كان الأجدر بمستر كلويتى أن يترك موضوع الحديث عن أنثروبولوجية قبيلة الأنديبيلى لغيره من المتخصصين الأوروبيين والأمريكيين الذين درسوا هذه المسائل دراسة موضوعية . ولا شك فى أن كلويتى يعرف جيداً أن الناس جميعاً لا يجهلون كلمة « شكراً » لكنه — كغيره من البيض — شغوف بأن يجعل الرجل الإفريقى يبدو مخلوقاً مختلفاً اختلافاً أساسياً عن بقية الكائنات البشرية الأخرى ، وهذا ما جعله يؤكد أن الرجل الإفريقى لم يصبح بعدُ أهلاً للحكم الذاتى . وسيتضح لنا هذا الإتجاه عند الأوربيين لو درسنا كثيراً من الكتاب البيض من مدرسة كلويتى

إن كلويتى ليس على صواب عندما يقول « إن الطعام لا يرفض عند الأنديبيليين . والأجنبى لا يؤدى عملا دون أن يُدفع له أجر » .

إن هذا تضليل ومغالطة من كلويتى ، بل هو ظلم لحضارة الشعوب الإفريقية وثقافتها . إن أمثلة الشعب الأنديبيلى وحكمه ، تعطينا فكرة واضحة عن مدى كرم هؤلاء الناس ، وأحاسيسهم الاجتماعية المرهفة اليوم فهم يقولون « معدة الأجنبى صغيرة جداً » و « البقرة العابرة لا تفنى المرعى » و « كلنا غرباء فعلى كل منا أن يعامل الآخر معاملة حسنة » و « فلتعامل الغريب معاملة طيبة لأنك ستصبح فى يوم من الأيام غريباً » .

وعند قبيلة الشونا فى روديسيا الجنوبية مثل يقول « إن وصول القريب يشبع جوعى الشديد » . وهذا يعنى أننى وضيوفى سنأكل كثيراً ،

والأكل الكثير بالنسبة للضيوف عند الشوانيين مظهر من مظاهر حسن الضيافة واحترام التقاليد .

وللضيف الأجنبي عند أفراد شعوب قبيلتي الأنديبيلي والشونا مكانة خاصة ، فالأنديبيليون يطلقون عليه عبارة « رجل الآلة » وكذلك يطلق عليه الشوانيون . ولعلنا نلاحظ أن هذا المثل قريب جداً من المعنى الذى يقول « اللعنة على من لا يعامل رجل الله معاملة طيبة » .

وإن معظم القبائل الإفريقية التى درسنا مجتمعاتها تعامل الضيوف الأجانب ، إنما فى نطاق هذه المعانى .

ومن بين التقاليد الوطنية التى تحافظ عليها قبيلة اليوروبا فى نيجيريا محافظة دقيقة .. أن أى ضيف أو غريب لابد وأن يحتسى الكولا ويتناول بعض المشروبات النيجيرية ولابد أن يشاركه صاحب المنزل فى شراب الكولا حتى يحس الضيف بأنه فرد من أفراد الأسرة . ويحتقر المجتمع اليوروبى كل نيجيرى لا يأخذ نفسه بهذا السلوك .

ثم ينتقل كلويتى إلى موضوع آخر فيقول فى صفحة ٣٧٣ من الكتاب

« يحمل الرجل الأسود فى قلبه كراهية شديدة جداً للرجل الأبيض لأنه أبيض ، لأن البياض شىء لا يستطيع أن يكون عليه « الرجل الأسود » .

وأحب أن أقول لكلويتى إنه ليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة من هذا الخلط الفاحش . فالنوادى والمجتمعات التى تتعدد فيها الجنسيات والعناصر المختلفة يزداد عددها بسرعة كبيرة فى كل أنحاء إفريقية ، ولا يرفض الإفريقيون قبول عضوية الرجل الأبيض على أساس إنسانى نبيل ، ولكن البيض فى معظم الأحوال هم الذين يرفضون قبول الإفريقيين . ولعل من أهم الأسباب التى جعلت الأوروبيين يخافون من منح الإفريقيين استقلالهم الكامل أنهم يحسون تماماً ، أن الرجل الافريقى سيستعمل مختلف وسائل الكراهية ضد البيض ، وهى الوسائل التى استعملها الرجل الأبيض ضده . وإن مايكرهه الرجل الإفريقى فى الرجل الأبيض ليس لونه ، بل سياسته فى التميز الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى ، وهى سياسة ليس فيها أى معنى من معانى العدالة الانسانية ، بل هى سياسة يجد الرجل الافريقى نفسه فى ظلها داخل بلاده مواطناً من الدرجة الثانية أو الثالثة .

ولقد كان على كلويتى قبل أن يخوض فى خطئه أن يعرف أن الرجل الأبيض عندما سيطر على افريقية ، عمل على استغلالهم اقتصاديا ، وحطم مستوياتهم الاجتماعية ، فقضى بذلك على إنسانيتهم ، فالافريقى يهصره الألم وهو يجد أن ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠

افريقى يعيشون تحت رحمة أقل من ٥،٠٠٠،٠٠٠ أوربى .

هذه الأسباب التى كان على كلويتى أن يعرف أنها هى التى ولدت الكراهية فى قلوب الافريقيين للرجل الأبيض لا لونه كما يدعى .

ويستمر كلويتى فى حديثة عن الافريقيين فيقول فى صفحة ٢٨٢

(إن الافريقيين لايثقون كثيراً فى الطبقة المثقفة من اخوانهم الافريقيين السود . بل لايحبونهم)

وأحب قبل أن أناقش هذه النقطة أن أذكر بعض الملاحظات عن مظاهر العقلية الافريقية ، وهى ملاحظات لا يستطيع أن ينكرها أحد من المراقبين المنصفين أولا . وقد يكون هناك بعض الصدق فيما يقوله كلويتى من أن بعض الافريقيين المثقفين لايتمتعون بحب شعوبهم لهم ولايحظون بثقتهم ، ولكن الأمر ليس دائما كذلك مع جميع أبناء افريقية المثقفين . فالشعوب الافريقية تحتقر أى افريقى مثقف يساند الاوروبيين ، ويعمل لمصالحهم على حساب مصالح افريقية ، لكنها فى الوقت نفسه تولى كل ثقتها وحبها لأى افريقى مثقف يهب نفسه للدفاع عن مصالح الشعوب الافريقية .

ولعل ذلك أيضاً أمر واضح كذلك مع البعض ، فاذا ما وقف شعب من شعوب البيض يؤيد مصالح الافريقيين الحقيقية لقى هذا الشعب من الافريقيين كل حب وتقدير ، أما شعوب البيض التى تعمل على استغلال الافريقيين فهى الشعوب التى لا يقبلها الافريقيون ولا يكنون لها أية عاطفة طيبة ، وأى افريقى مثقف يمثل مركز زعامة شعبه ، لكنه يخفى وراء ظهره رجلا أبيض يوجهه كيفما يريد لا يمكن أن يثق به الشعب الإفريقى أو يحبه .

إن الشعب الافريقى يريد زعيما يستمد سلطته من شعبه لا من مجموعة من البيض . وهذا يعنى المثال القديم « إن الأمانة هى جواز المرور إلى قلوب الناس جميعاً » . فإذا ما كان الإفريقى المثقف غير أمين فلا ينبغى أن يتوقع ثقة الشعب فيه وحب الجماهير له .

إن الشعوب الإفريقية تثق فى الزعماء الإفريقيين المثقفين لا فى الدمى والأذناب التى تلعب بها أيدى البيض .

ولقد وثق الشعب الغانى فى دكتور كرامى نكروما يوم أن كان يدافع عن مصالح غانة ، وانتخبه زعيما ورئيساً للوزارة وهو ملقى فى سجون البريطانيين بدعوى أنه شخص يخل بالأمن . ويتسبب فى نشر الفوضى بين الشعب الغانى .

ولقد وثق الشعب الكينى فى توم موبيا ، واندفع يؤيده بكل حماسه وعواطفه ، وأظهر له التقدير الحقيقى فى كل مناسبة .

وأحب شعب نياسالاند الافريقى

زعيمهم الافريقى المثقف ويلنجتون شيرو ووثقوا به .

وهكذا يتضح لنا من هـــذه الأمثلة ومن غيرها أن الافريقيين لا يكرهون الطبقة الافريقية المثقفة — كما يدعى كلويتى — لكنهم يكرهون الخونة والأذناب .

وينتقل كلويتى بعد ذلك إلى نقطة أخرى فيقول فى صفحة ٢٣٣ :

(لقد ظل الرجل الافريقى تحكمه قرون من حياة التنافس الوحشى تدفعه دائماً إلى سلب أى شىء يستطيع أن يجده فى أى مكان)

ونحن لا ننكر ذلك ، ولا نريد أن نقول عن كلويتى إلا أنه يريد أن يخلق أثراً كاذباً فى أن الافريقيين هم وحدهم الذين كانت لهم هذه الحياة ، بل لقد كانت هذه هى طبيعة جميع شعوب العالم .

ولقد كان الرجل الأوروبى محكوماً بعدة قرون من حياة التنافس الوحشى للاستيلاء على ما يريد فى أى مكان يجده ، واحتلال الأوروبيين لآسيا وإفريقية وأمريكا واستراليـــا وبعض الدول الأخرى غير الأوروبية دليل على أن الأوروبى قد كان محكوماً بعدة قرون من حياة التنافس الوحشى للاستيلاء على ما يريد فى أى مكان يجده .

ولقد قتل المستوطنون الأوروبيون فى استراليا العدد الكثير من أبناء البلاد الأصليين . وقتل المستوطنون الأوروبيون فى أمريكا كذلك ، الكثيرين جداً من الهنود سكان أمريكا الأصليين لكى يقيموا مستوطناً لأنفسهم ، كما كان المستوطنون الهولنديون الأوائل فى مدينة الكاب يصطادون البوشمان كما يصطادون الحيوانات المتوحشة .

ولقد وقعت فى أوروبا الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠ ، وقامت حروب نابليون (١٧٩٩ — ١٨١٥) وخلال هذه الحروب ضاعت مئات الآلاف من الأنفس نتيجة لرغبة الفرنسيين فى إصرارهم على الاستيلاء على ما يستطيعون الاستيلاء عليه .

وليس قتل ١٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) إلا دليلا آخر على وجود حياة التنافس الوحشى عند البيض ؛ كما كانت الحرب العالمية الثانية التى ضاع ضحيتها أكثر من ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة ، والحروب الأنجلو فرنسية فى الهند وأمريكا الشمالية والثورة الأمريكية أيضاً عام ١٧٧٦ . والحرب الأمريكية الاسبانية ١٨٤٦. كانت كل هذه الحروب والمجازر دليلا واضحاً على أن الشعب الأبيض قد كان محكوما بقرون من حياة التنافس الوحشى .

ووجود المستعمرات الإنجليزية والفرنسية . والبرتغاليين والبلجيكيين والأسبانيين فى إفريقية وغير إفريقية

دليل آخر على حياة التنافس الوحشي عند الرجل الأبيض فهو يستوني على ما يريد دون نظر إلى ما قد يسببه ذلك من خسارة ضخمة في الحياة الإنسانية .

ولقد يستمر استيوارت كلويتي في مغالطاته فيقول :

« إن الوحشية لا تعني أيّ شيء بالنسبة للرجل الافريقي ، والحياة الانسانية بالنسبة له ليس لها قيمة كبيرة ، وبخاصة إذا كانت حياة رجل أجنبي » .

وقبل أن نجيب إدعاءات كلويتي يحسن بنا أن نرجع إلى بعض اللغات الإفريقية فربما كانت عوناً لنا على توضيح ما نحن بصدده .

فكلمة وحشية باللغة الانجليزية	cruelty	ورحمة	Mercy
وكلمة وحشية في لغة الزولو	isihluku	ورحمة	isihau
وكلمة وحشية في لغة الشونا	hasha	ورحمة	Mkowa
وكلمة وحشية في لغة السواحيلي		ورحمة	
وكلمة وحشية في لغة لوجاندا	abukamhwe	ورحمة	okusasire
وكلمة وحشية في لغة اليوروبا	iha	ورحمة	anu
وكلمة وحشية في لغة السوتو	horumolano	ورحمة	bopelotlhomogi
وكلمة وحشية في لغة التسوانا	sekloho	ورحمة	Mohau
وكلمة وحشية في لغة لامبا	ulukamsa	ورحمة	inhumbu
وكلمة وحشية في لغة الهاوسا	kuttu	ورحمة	rahama

وهكذا يتضح لنا أن كلمة رحمة موجودة أصلا في اللغات الافريقية ولم تكن شيئا جديداً أدخله الأوروبيون إلى افريقية. ويذكرني هذا الخطأ الذي قدمه كلويتي بحادث وقع لي أثناء الدراسة في روديسيا الجنوبية . فقد كان مدرسنا البريطاني يسخر من الافريقيين ، ويتهمهم بالكسل وسوء الخلق والوحشية ، وكثير غير ذلك .. من النقائص والعيوب التي لا تعيها ذاكرتي الآن . ولقد كتب هنا المدرس هذه الكلمات على (السبورة) أمام التلاميذ فانبرى له تلميذ من زملائي في الفصل لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، ولم ينتقل أبعد من قريته بأكثر من أربعين ميلا ، لقد انبرى له في غضب شديد قائلا : سيدي... إن هذه النقائص التي تتحدث عنها وتدعى أنها من طباع الافريقيين ليست في الحقيقة إلا طباع شعبك الأبيض إنك تستطيع أن تحدثنا عن مساوئنا باللغة الانجليزية وكذلك يستطيع أن يفعل ذلك شعبك الانجليزي

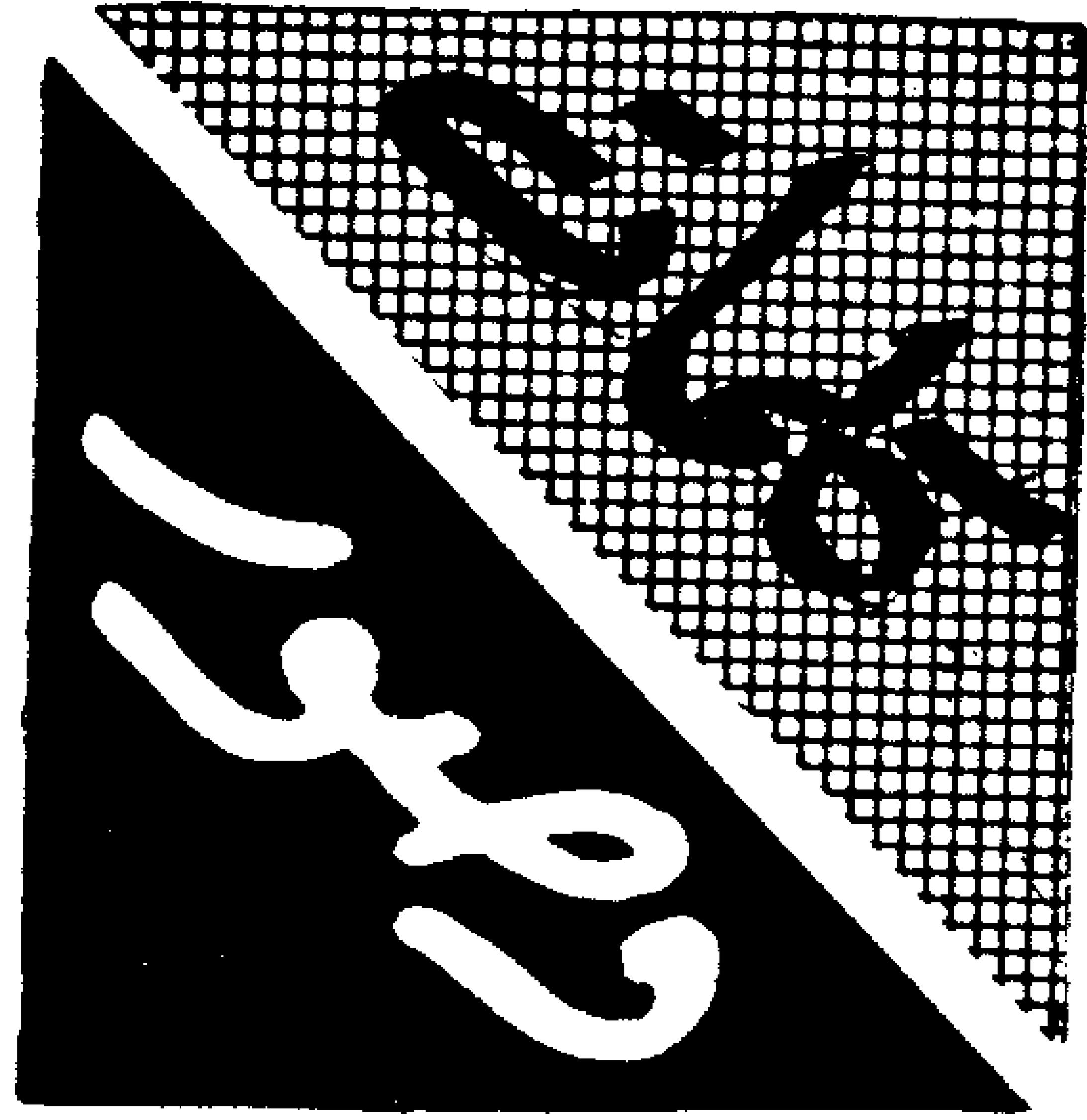
ونحن لانستطيع أن ننكر أن عند الشعب الافريقي شيئا من الوحشية ، لكن الافريقي ليس وحده هو الذي يمكن أن توجد لديه هذه الطباع ،

كما يحاول كلويتي أن يدعي ، إن الوحشية والرحمة صفتان موجودتان لدى جميع شعوب العالم. لكننا نرفض ما يدعيه كلويتي من أن الافريقي وحده هو الذى تتميز طباعه بالوحشية . وليس من شك فى أن ادعاء كلويتي بأن (الافريقي لا يقيم وزناً لحياة الرجل الغريب) إدعاء لايقوم على أساس صحيح . فللغريب فى أى مكان من افريقية حق الحماية . فعندما مات دافيد ليفينجستون فى قرية (شيتاندا) التى تقع فى افريقية الوسطى نقله الافريقيون إلى أقرب ميناء حتى لايدفن بين قوم غرباء عن جنسه . فقد كانوا حريصين جدا على أن ينام ليفينجستون الأبيض بين أبناء شعبه البيض . إننا معشر الافريقيين نعرف تماما أن البيض الذين يعيشون فى إفريقية هم الذين لايقيمون وزنا لحياة أى مخلوق بشرى لم تمنحه الطبيعة بشرة بيضاء . وأظن أن التاريخ لاينسى أبداً ذلك الحادث الرهيب الذى شهدته أرض الهندالطيبة فعندما قامت إحدى المظاهرات السلمية التى نظمها بعض الهنود ، واتجهوا إلى مركز القيادة البريطانية فى الهند أمر الجنرال البريطانى (داير) جنوده باطلاق النار على هؤلاء المتظاهرين المسالمين ، فحصدت المدافع منهم أكثر من ٥٠٠ شخص . وعندما طالب أبناء مدغشقر الوطنيون ، الحكومة الفرنسية بمنحهم الحكم الذاتى فى عام ١٩٤٧ أسرعت السلطات الفرنسية بقتل أكثر من ٨٠,٠٠٠ وطنى مدغشقرى ولا يستطيع إنسان أن ينكر أن الألمان قتلوا ثمانية ملايين من اليهود بطريقة وحشية للغاية . فإلقاء أمريكا القنبلة الذرية على هيروشيما عام ١٩٤٥ أوضح دليـــل على مدى استهانة السادة البيض بأرواح الجنس البشرى وقيام الكوكلوكس كلان بأعمال الوحشية ضد الزنوج فى الولايات المتحدة ، يؤكد لنا مدى احترام البيض لأرواح اخوانهم فى الانسانية .

إن حوادث القتل والاغتيالات والزنا واللواط والطلاق والخيانات الزوجية والعلاقات غير الشرعية والسرقة والتسمم التى يتسع نطاقها فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، والتى تمتلأ بها صحفهم ومجلاتهم وأقلامهم ليس إلا دليلاً واضحاً على مدى احترام البيض للحياة الانسانية ! ! !

وليس بغريب أن يكون كلويتي كغيره من الكتاب الغربيين الذين يحاولون دائماً أن يصوروا إفريقية فى نظر القارئ الغربى على أنها بلاد الأساطير والخرافة ، وأن شعوبها تختلف فى كثير من الملامح الإنسانية عن بقية شعوب العالم .

إن هذا التحامل من جانب كتاب الغرب ليس إلا دليلاً على حقد الرجل الأبيض على يقظة العملاق الإفريقى .



افريقية الجديدة :

لقد حرصتْ افريقية من زمان بعيد جداً على أن تقول كلمتها بصراحة وبثقة ، حتى لقد أصبح من المفروغ منه القول بأن الرجل الافريقى يحمل قارته فى نفسه ، ويصدر عنها ، فهو حار العاطفة كالجو فيها ، ومضئ النفس كأن الشّمس تطلع فى قلبه قبل أن تملأ آفاقه بالدفء والحدة والجديّة !

وهكذا نرى سلوكها ينبع من ضميرها فهى لا تجرى وراء التقاليد المتوارثة فى الغرب ، والتى أخذت تنتشر فى أكثر من مكان فى العالم ، فهى تحرص دائماً على أن تقول كلمة الحق حتى ولو آلمت هذه الكلمة دولة . أو أزعجت ملكا .

وقد رأينا هذا واضحا فى حفل الاستقلال بدولة الكونغو ، فحينما وقف الملك « بودوان » يتحدث عن الماضى لسياسة بلاده فى الكونغو نرى الزعيم « باتريس لومومبا » يذكره به فى صدق ، فبعد أن وقف الملك وألقى كلمته القصيرة التى قال فيها : « إن استقلال الكونغو يعتبر لحظة حاسمة ليس فى مصير الكونغو فقط وإنما — ولا أتردد فى القول — فى مصير القارة الافريقية جميعها ، فالحكومة البلجيكية تفهم وتقدر الحركات الاستقلالية التى تجتاح القارة . ونحن لانتردد أمام رغبة الشعب الكونغى الجماعية من إعلان الاعتراف باستقلال الكونغو من هذه اللحظة »

أمام هذه الكلمات المعسولة لم ينحن



لومومبا

جبن رئيس الوزراء، وإنما وقف ليؤكد للتاريخ كفاح بلاده ، وليوضح للظالم ظلمه وليؤكد المعانى الجديدة التى تعيش بها ولها القارة الافريقية .

ولذا نراه يقول فى اليوم الأول من إعلان استقلال البلاد ، وأمام الملك « بودوان » والوفود الأجنبية وأعضاء البرلمان بمجلسيه نراه يقول : « بالرغم من أن استقلال الكونغو قد أعلن اليوم بالاتفاق مع بلجيكا — وهى دولة صديقة سنتعامل معها على قدم المساواة إلا أنى أؤكد أن كل واحـــد منا لايستحق أن ينتمى إلى الكونغو إذا هو تناسى أن بلاده قد هزمت فى كفاحها الذى كانت تخوض غماره يومابعد يوم

لقد كان كفاحاً مثالياً مريراً لم يضن البلجيكيون علينا فيه بالحرمان، والآلام . والدماء !

لقد حاربنا فى معركة نبيلة عادلة لنضع حداً للاستعباد الذليل الذى فرضه عليه هذا الحكم الإرهابى المشين ،ومن هنا فجراحنا من الجدة بحيث لاتزول من ذاكرتنا ، فقد خضعنا للسخرة فى مقابل أجور لم تكن تكفينا ، ولم تكن توفر لنا القوت الضئيل ، والملابس المحتشمة ؛ أو حتى تمكننا من تربية أطفالنا تربية كريمة !

فقد كنا نعامل بالإهانات واللطمات التى كان يتحتم علينا أن نتحملها من الصباح إلى المساء لالشىء إلا لأننـــا إفريقيون ، كان هذا بعد أن تم استيلاؤكم على الأراضى التى نملكها فى ظل قوانين جائرة لامبرر لها إلا فرض إرادة القوى على الضعيف . فالقانون كان يختلف تماماً عند تطبيقه على السود والبيض فى أرضنا ! وهكذا رأينا القصور الفاخرة للبيض، والأكواخ الحقيرة لنا نحن السود !

ومن منا سينسى المشانق والرصاص الذى راح ضحيتها الكثير من أبناء الكونغو ؟ ومن منا سينسى السجون التى احتضنت من تجاوز عنه الرصاص

ومهما يكن من شىء فإن الآلام والجروح التى تركها حكمكم على قلوبنا وأجسادنا قد انتهى ، ولكنا سنخوض معاً، كفاحاً سامياً مريراً يسير ببلادنا نحو السلام ، والرخاء والعظمة . ولسوف يرى العالم أجمع ما يمـــكن للافريقيين أن يقوموا به فى هذه الحياة، فسيتحول الكونغو إلى مركز للقوة والنفوذ للقارة الافريقية جميعها »

وهكذا سمع الملك ، والعالم أجمع نغمة جديدة غير مألوفة فى الحياة الدبلوماسية التى تلف العبارات ، وتومئ إلى الغرض ، وتدور حول الهدف ، ولكن افريقية حينما تكلمت شرعت طريقة جديدة للتعبير بالحق ، وبما ينبغى أن يقال فى صراحة وقوة ، واعتداد ! إن إفريقية تتكلم الآن بعمق فليسمع العالم ، وليتتلمذ على القارة المضيئة الطيبة .

علم الصومال :

اتخذت الصومال مدينة «مقديشيو» عاصمة لها . كما اتخذت علمها من شعار فى وسطه نجمة

المرأة الافريقية

للمرأة الافريقية دور كبير فى معارك الحرية التى تجتازها القارة والتى تخرج منها دائماً بمزيد من النصر ومزيد من الدماء . فالإفريقيون مصممون . والأوروبيون لايتنازلون عن شبر واحد من الأرض التى يقفون بحقد عليها إلا بعد أن يغرقوها بالدماء . ولـــكن الأرض تسحب من تحت أقدامهم ، ووجوههم تأخذ وضعاً جديداً ثم تسير بغضب وحقد بعيداً عن القارة .

وعمليات الانتصار هذه لم يحققها الرجال فقط بحرابهم ، واصرارهم وإنما ساعدتهم فى تطريز هذه المعارك النساء بفهم، وحب لبلادهن ، حتى إننا نرى فى تاريخ افريقية معارك نسائية لم يشترك فيها الرجال ، وإنما قامت فى أذهان النساء فقط ، ثم نفذنها بغضا وحقداً ، وضرباً ، وعدن منهامنتصرات وفرحات بهذا النصر ، وإن كان نصراً مزركشاً بالدماء

ولعل « جنوب افريقية » هى أكثر البلدان التى تتظاهر فيها النساء ، والتى تظهر فيها زعيمات يتمتعن بكافة صفات الزعامة ، ولكن أطرف معركة للنساء هى تلك المعركة التى قامت فى سيراليون ونيجيريا . فالمرأة فى الأقاليم الجنوبية الشرقية تمارس عمليات اعتصار الزيت من النخيل وبيعه للتجار البيض ،وزيادة فى وضع اليد على هذه القوى العاملة قامت « الشركة الافريقية المتحدة » التى تعتمد على رأس مال أجنبى باحتكار هذا الزيت . وخفّضت من ثمنه . فبعد أن كان ثمن «الصفيحة» فى عام ١٩٢٤ ستة وعشرين قرشاً بلغ بعد احتكار الشركة له عام ١٩٢٨ ثمانية وخمسين قرشــاً ، زيادة على الضرائب التى سنتها الحكومة .

ولم يرض هذا النساء ، ولم يقبلن عمليات الإحصاء التى تقوم على قدم وساق لإحكام الحصار عليهن ، ومن هنا نراهن يقمن بمظاهرات عنيفة ، ويعتـــدين على الرؤساء فى منطقة (أوكلو) ثم امتدت المعركة فشملت اعتداء النساء على كل البيض . وإشعال النار فى مكاتبهم ودورهم . وكان أن نزل الجيش لمقاومة هؤلاء النساء ، وكانت معركة حامية استخدم فيها الجيش (المدافع) ضد هؤلاء النسوة فتساقط منهن الكثيرات ، وسالت دماؤهن فى كل مكان لتسجل قصة الطغيان ، والقوى غير المتكافئة .

ولم تكتف الحكومة بهذا وإنما فرضت على المواطنين ضرائب جديدة

لتعويض البيض ، وقد تأكد فى هذه المذبحة معنيان كبيران أولهما : أن النساء اعتدين لأول مرة على الرؤساء الوطنيين الذين يمالئون المستعمرين ، واسقطنهم من عدد المواطنين الصالحين ودمغنهم بالخيانة . وقضين عليهم أدبياً فى مناطق نفوذهم .

أما المعنى الثانى فهو أن النساء لم يقفن بعيداً عن معارك القارة وإنما شاركن فيها بدمائهن

شعر الطراد :

يهتم الشعر السودانى بما يسمى بشعر (الطراد) الذى كان أهم فترة انتشر فيها هى فترة العهد العباسى حينما شاعت الرفاهية . وعم الرخاء . ووجد الناس أنفسهم منساقة إلى التمتع بمجال الحياة ومظاهر الطبيعة ، مع استعراض قوى الروح الخفية التى يهمها أخيراً أن تضع أصابعها على (الصيد) .

وقد أثرى هذا النوع الشعر العربى وأوجد فيه نغمات جديدة : هى هذه الأنغام السريعة الرتيبة التى تتفق وعملية الجرى السريع وراء الفريسة التى تكون أكثر ما تكون ظبياً .

وبالإضافة إلى هذا فقد أوجد فى الشعر العربى مذاقاً جديداً يختلف عن رتابة المشاعر فى هذه الأجواء التى كثيراً ما كانت تجمد فى مجالس الخلفاء وتجف لكثرة ما تجتر من مدح بعيد عن الصدق . ذلك لأن الشاعر الذى اهتم بهذا اللون من الشعر كان يخرج من تقاليد نفسه ، وأجواء مجتمعه إلى الطبيعة التى كان يراها تسرع من حوله وهو يعدو ، ثم يعدو وراء صيده

ومع أن الطبيعة التى رؤيت فى هذا الشعر طبيعة سريعة أشبه بمناظر فى (فيلم) إلا أنها أعطت جديداً ، وأضافت مستحدثاً على أغراض الشعر المتجمدة .

ومع أن هذا اللون الذى يتصل بالمرح والطبيعة قد انتهى فى أكثر بلادنا العربية إلا أنه مازال يوجد فى السودان لمراعيه الممتدة . ولوجود كثير من ألوان الصيد هناك .

ومن الشعراء الذين يهتمون بهذا اللون هناك النور ابراهيم . ومحمد محمد على . ومن أجمل شعر محمد محمد على فى هذا قصيدته من ذكريات البطانة . التى رسم فيها قطاعاً طويلا للحياة فى هذه المنطقة الخصبة من السودان . وقد جاء فى قصيدته هذه :

وجبت البوادى بين الرفاق
وحيد المشاعر والفكرة
شهدت الصباح بها والمساء
وموج الأصيل على الخضرة
ورعت الظباء تخذن « العدار » (١)
مجنا من الوبل ذى المرة !
بكلب جرىء شديد المراس
هزبر هصور بلا عفرة
فطرن ، وطارفا أن ترى

(١) ذرة برية .

سوى الطين ينزو مع الطفرة
ونحن مع الوحل فى شدة
نزل فنسقط فى الحفرة

وتصرخ أرجلنا ضارعات
قفوا فالغنيمة فى الأوبة
فلما مللنا الطراد وثبنا
إلى الحلم ، وهو مدى الحسرة
ظفرنا بتيس كليم الاهاب

مليح الملاحظ ، والغرة
أبى ، عيوف ، شموس الفؤاد
إذا شام ظلا من الذلة
وهل أرضعته سوى حرة

تخطر فوق الربا الحرة ؟
تهاوت أمانيه فى غفلة
فأقوت مراعيه فى خطة
ترامى رفاقى على لحمه

وبت كئيبا أخا نفرة
ألسنا كهذا نحب الحياة
ونبنى القصور على الرملة ؟

* * *

وصبح نضير شآمى المحيا
كوجه العروس لدى الجلوة

صحبت الرعاة به مصغيا
إلى عازف ساحر النغمة
وكحلت عينى من السائمات

على الموج ذى البقلة المزة
يذودك عنها الأشم العنيف
كريم المنابت والعترة

يصوع بعنق كجزع « الدليب »
ويسمو بصدر من الصخرة
رعى الخصب دهرا فأضحى عليه
منيف تسنم كالقبة

إذا فاض من عارضيه الهدير
تغص الحوامل بالجرة

.. ويا رب ركب بدا فى السراب
كظل النخيل على اللجة
ركبت إليه جناحى لهيف

يلوذ لواذاً من الكربة
فقاسمته ماتبقى لديه
من الماء يمزج « بالكسرة »(١)
ويا رب راع خصيب الجناب

نمته البوادى على النجدة
سقانا حليبا كبدر التمام
يحيي المباسم بالرغوة :
وكم منزل حافل بالخيام
تجاوزته تاركاً مهجتى
حمدت القرى من كرام النجار
كبار الجفان على العسرة
يطوفون حول طواف الحجيج
سعى من نجيريا إلى الكعبة
ترى مجلسى تارة بالرجال
مشاطا ، وطوراً من النسوة
وأحلى من الكرم الحاتمى

وما قد أصبت من المتعة
مراح فتاة بفجر الشباب
تضىء عشاء دجى « الحلة » (٢)
يروعك منها قوام ، وصدر

طوى الثوب عنه سنى الفتنة
ونهدان ماعرفا لامسا
سوى نضحة الماء من قربة
وعينان من حلم هامس
غديران من غدر الجنة
حبتها البداوة من سحرها
فجاءت مثالا من الروعة

تحليل :

جاء فى كتاب الإسلام فى القرن العشرين للأستاذ عباس محمود العقاد ما يأتى عن الإسلام فى إفريقية : —

إفريقية الشمالية :

أما فى إفريقية الشمالية فقد احتلت فرنسا الجزائر فى سنة ١٨٣٠ ، واحتلت تونس فى سنة ١٨٨١ وسلكت فى كل

---

(١) طعام معروف عند السودانيين
(٢) تقابل ما يعرف عندنا بالحى

منهما السياسة التى تبصر من لا يبصر بأساليب الاستعمار سواء منه ما ينتحل المبادئ الديمقراطية أو ينتحل الدعوة الدينية .

فنابليون الثالث قد منح المسلمين فى الجزائر حقوقاً كحقوق المواطنة وهو عاهل مطلق اليدين . ثم جاء غمبتا داعية الحرية فحرم المسلمين هذه الحقوق وضاعفها لليهود .

وحكومة فرنســا وهى تنادى باعتزالها للدين تضع فى « الميزانية » التى عجزت مواردها عن مصروفاتها باباً واسعاً لمعونة المبشرين فى إفريقية الشمالية ، ويعلن وزيرها فى البرلمان أن « السياسة اللادينية » تقف عنــد حدود فرنســا ولا تتخطاها إلى المستعمرات .

وقد ابتدأ القرن العشرون فى الجزائر وتونس بنهضة من نهضات التقــدم يستعجلها المجددون ويستمهلها المحافظون ، ولم يبق من المحافظين فى نهاية القرن التاسع عشر من يحرم الدستور لأنه بدعة مستمدة من الشرائع الغربية ، ولكن أنصار القديم مع هذا يتحرجون مما يتوسع فيه أنصار التجديد .

وتم احتلال المستعمرين لإفريقية الشمالية باحتلال طرابلس فى سنة ١٩١١ فكانت الغنيمة هذه المرة من نصيب الايطاليين ، وسمعت فى ايطاليا قبيل الزحف على طرابلس أناشيد « الصليبية » فى نغم جديد ، ولكنها سمعت أيضاً بعد ذلك بزهاء ثلاثين سنة تمجيداً لغزوة الحبشــة وابتهاجا بتخليص أثيوبية القديمة من « الهمج » الذين انسوا دين المسيح !

مسلمو الحبشة :

ومن أكبر المجامع الإسلامية فى القارة الإفريقية مسلمو الحبشة وعدتهم مع المسلمين فى الصومال وأريترية لا تقل عن ستة ملايين .

وتجمع التواريخ التى كتبها الشرقيون والغربيون عن الحبشة فى القرن التاسع عشر على سوء حالهم واضطهادهم ، وقد أمر أحد ملوكهم يوحنا بتنصير سكان الحبشة جميعاً ومنهم المسلمون ، وجاء فى إحدى الرسائل التى كتبها غردون إلى أخته « ان يوحنا — ويا للعجب — يشبهنى تعصباً للدين وله رسالة سينجزها ، وهى تنصير جميع المسلمين »

وقد أشار ترمينجهام فى كتابه عن الإسلام والحبشة إلى أعمال يوحنا هذا فقال فى صفحة ١٢٢ « إن بعض المسلمين تحولوا إلى بلاد الجالا أو المنخفضات الإسلامية أو البلاد الوثنية حيث ينشرون دينهم ، وبعضهم تنصر ولكنه تنصر لا يعنى لديه إلا القليل إذ كان مقصورا على التعميد وأداء العشر ، وقد قال الكاردينال ماسيا

Massaia إنه رأى بعينه أناساً منهم

يخرجون من الكنيسة التي عمدوا فيها إلى المسجد ليزيلوا أثر العمادة على يد الامام

وبعد أن قتل هذا الملك فى حربه مع الدراويش حسنت أحوال المسلمين بعض الشئ ولكنهم تعرضوا لمظالم شتى يذكرها السياح من الأوروبيين كما ذكرها السياح الشرقيون فى كتب الرحلات الحديثة .

السودان :

ونريد بالسودان هنا جملة الأقطار الإفريقية التى يقطنها الزنوج . . وفيه مسلمون فى جماعات قليلة . أو متفرقون بين بواديه وقراه .

وموقف الحكومات الأجنبية فى أقطار هذا السودان جميعاً هو موقف المقاومة ، كما يؤخذ من تقارير المبشرين والسياح من الأوروبيين : وقد تمنع هذه الحكومات رسالات التبشير من دعوة المسلمين إلى النصرانية ولكنها تيسر لهم عملهم كل التيسير فى البلاد الوثنية فتبيح لهم السفر إلى أقصى الجهـــات وتحرمه على الجلابة والفقهاء وأصحاب الخلوات .

وصرح القس جو فى سنة ١٩٠٩ « بأن قبائل الوثنيين ما لم تدخل فى المذهب الإنجيلى قريباً فهى حتما سائرة إلى الإسلام »

وعقب ترمنجهام على هذا فى كتابه عن محاولة المسيحية مع الإسلام فى السودان فقـــال فى صفحة ٣٨ « ولكن هذا الخطر قد زال الآن »

ويفهم من كتاب السودان المتغير The Changing Sudan تأليف « لسون كاش Cash أنه ما من قائد أو رائد أرسلته مصر إلى أعالى النيل فى القرن التاسع عشر بإيعاز من الدول إلا كان من رواد التبشير على وجه من الوجوه

التبشير على الإجمال :

وبعد هذه الخلاصة العاجلة عن موقف الإسلام من الاستعمار فى القرن التاسع عشر على الخصوص نوجز الموقف الذى يقفه من جماعات التبشير بعـــد تجربة قرن كامل فى مختلف الأقطار . فالتقارير التى كتبها رسل التبشير مجمعة على صعوبة تحويل المسلم عن معتقده إلى دين آخر ، وأكثر هؤلاء المبشرين تابعون لكنيسة رومة أو للكنيسة الأنجيلية ، ومنهم من يجتهد فى تحويل المسيحيين الشرقيين إلى مذهبه لأن التحول من مذهب إلى مذهب فى ديانة واحدة أيسر من التحول من ديانة إلى أخرى .

وربما شجر النزاع بين المبشرين من المذهبين فى أواسط إفريقية ،

وفى الشرق الأقصى من آسيا ، وربما انتهى أمرهم جميعاً بين المسلمين إلى الكف عن الدعوة ، والإكتفاء بالقدوة والتعليم على أمل النجاح بهما حيث أخفقت الدعوة الصريحة كما ذكر داعيتهم الكبير تريمنجام فى كتابه عن محاولة المسيحية على الإسلام فى السودان .

وجملة الموقف الآن أن جماعات التبشير قد فرغت ، أوكادت من اتخاذ الإسلام هدفاً لدعوة التنصير ، وهى تنظر إليه الآن نظرتها إلى منافس خطر فى بلاد الوثنيين من الآسيويين والإفريقيين .

كلمة :

من الكلمات الطيبة التى كتبت عن قضية الجزائر هذه الكلمة للأستاذ « أحمد بهاء الدين »

الشاب النحيف . الذى لم تنقل وكالات الأنباء اسمه . عندما وصل إلى باريس .. اسمه « بن عمار » . إنه أحد جنود المقاومة فى جبال « وهران » بالجزائر . وهو خبير فى إرسال البرقيات بالشفرة إذ كان يرسلها من مراكز القتال إلى أماكن قيادة الثورة .

وعندما ذهب أحمد بومنجل ، ممثلا لحكومة الجزائر إلى باريس .. صحب معه « بن عمار » ، ليقوم بمهمة إرسال البرقيات وتلقيها بالشفرة ، بين بومنجل فى باريس وحكومة الجزائر فى تونس . وفى بلدة « ميلون » ، وفى بيت العمدة بالذات . حيث نزل بومنجل وصحبه . كانوا قد وضعوا جهازاً تحت تصرف « بن عمار » . ليكون على صلة مستمرة . بالشفرة . مع فرحات عباس .وسائر أعضاء حكومة الجزائر .

وقد انقطع هذا الإتصال . بعودة بومنجل وصحبه من باريس . وبالبيان الذى أصدرته حكومة الجزائر أول أمس .

وقد قال بومنجل . عند سفره إلى باريس : إننا لسنا زعماء عصابة . ولكننا قادة ثورة . ونحن لا نذهب لكى نستسلم . ولكننا نلبى دعوة للتفاوض . إن موضوع المفاوضات هو وقف إطلاق النار . وليس نزع السلاح ! وهذا موقف نهائى لنا . إننا سنبحث : كيف يكون مركز أولئك الذين يحملون السلاح من الجانبين . خلال استفتاء الشعب الجزائرى ليقرر مصيره !

وقال بومنجل أيضاً : إن مهمتنا. كما أنها مهمة فنية أولا ، إلا أنها أيضاً مهمة سيكولوجية ! إننا نريد أن نعرف بالضبط بأى نفسية تواجهنا حكومة فرنسا ..

والخلاف بين موقف الفريقين اللذين تفاوضا ، كبير جداً ..

حكومة فرنسا تقول : على الثوار أن يستسلموا .. وحكومة فرنسا ستجرى الاستفتاء الذى يقرر مصير الجزائر ، والفرنسيون فى الجزائر . على أى حال ، ومهما كانت النتيجة . فلهم حقوق « على الأرض » التى يقيمون فيها .. (أى أن احتمال التقسيم قائم !) .

وحكومة الجزائر تقول : إنه منذ أعلنت فرنسا قبولها مبدأ تقرير المصير فى الجزائر . لم تعد هناك حكومة أصلية للجزائر . حكومة الجزائر تسمى نفسها « حكومة مؤقتة ! » . كذلك فإن حكومة فرنسا فى الجزائر « حكومة مؤقتة » ! فالمباحثات إذن بين حكومتين مؤقتتين ؛ وإذا كان لحكومة فرنسا هناك جهاز ، وجيش .. فإن حكومة الجزائر لها جيش وجهاز مدنى . وحكومة الجزائر اعترفت بها دول كثيرة ولها تمثيل دبلوماسى مع هذه الدول . وحكومة الجزائر . قبل كل شىء . تمثل ٩٠٪ من سكان الجزائر .

وقد طلب بومنجل أيضاً السماح له بمقابلة أحمد بن بيللا وزملائه . الذين اختطفتهم فرنسا . وقال بومنجل لصحفى فرنسى : لا بد من إخطار بن بيللا بكل ما يتعلق بهذه المباحثات . كذلك فقد اشترط بومنجل أن يتم لقاء شخصى بين فرحات عباس وديجول .

ولكن حكومة فرنسا أرادت أن تعامل وفد الجزائر كزعماء عصابة . أرادت أن تضعهم فى شبه اعتقال . وأن يسلكوا فى البحث الطريق الذى حددته فرنسا بمفردها . الأمر الذى جعل حكومة الجزائر تعتقد أن فرنسا ربما لا تريد المفاوضات أصلا . وأنها لهذا تسد الطريق من أوله .

وقد كانت حكومة الجزائر لبقة فى بيانها . فلم تقل أنها تقطع المفاوضات ولكنها قالت : إنها ما زالت مستعدة للمفاوضات . ولكنها ترى أن إرسال وفدها الآن غير مناسب . وهى مستعدة لإرساله حين تغير حكومة فرنسا رأيها فى أسلوب المفاوضات .

وأغلب الظن أن قصة المفاوضات لم تنته بهذا الانقطاع . والعالم الآن ينتظر رد ديجول . .



« رئيس جمهورية الكونغو يهنئ الشعب بالاستقلال »

علاقة السودان بمصر القديمة

للأستاذ : عزت محمد ابراهيم

ارتبط تاريخ السودان القديم ، بتاريخ مصر القديمة منذ آلاف السنين . ودلت الحفائر والآثار ، على الصلة الوثقى التى ربطت تاريخ البلدين فى العصور الموغلة فى القدم ، وقد اتضح ذلك جلياً عند اكتشاف مدافن «بهان» فى أقصى بلاد النوبة ، وما وجد فيها من آثار تنتمى إلى حضارة ما قبل الأسرات ، كذلك مدافن « دكة » التى اشتهرت بآثار ترجع إلى حضارات ما قبل التاريخ . كما دلت الأبحاث الأنثروبولوچيـة على انتماء المصرى والسودانى إلى أصل واحد هو الأصل الحامى أو السلالة الحامية .

والآثار التى وجدت دالة على صلة السودان بمصر فى العصور القديمة كثيرة متعددة ، تدل دلالة أكيدة على تأثير الحضارة المصرية فى حضارة السودان ، تأثيراً كبيراً ، وبخاصة من أثر التجارة المتبادلة بين القطرين ، ويرى الأثريون أن حضارة النوبة فى عصر ما قبل التاريخ ليست إلا صورة من حضارة المصريين القدماء فى العصر الطينى . كما يرى الأثريون أيضاً ، أن ثمة علاقة بين مصر وشمال النوبة فى عهد زوسر من ملوك الأسرة السادسة ، ويستدلون على ذلك بما جاء من نقوش « لوحة المجاعة » من تخلف فيضان النيل سبع سنوات حتى انتشر الفقر ، وعمت المجاعة ، وما كان من نصح « امنحتب » للملك زوسر بتقديم القرابين للآلهـة « خنوم » آله « الفنتين » فعاد النيل إلى منسوبه القديم .

أما أول علاقة رسميـة لمصر بالسودان ، فقد كانت فى عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ، وقد ذكر تاريخ ذلك مدونا على « بلرمو » الذى يرجح الأثريون أن تاريخه يرجع إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد .

ويرى الأثرى «نيكر [1]» أن أم الملك « امنمحات» الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، من أصل نوبى .

وقد بدأت علاقة مصر بالسودان تتوطد ، وتزداد متانة فى عهد تحتمس الأول ، وليس هناك أدل على تلك العلاقة الوثقى من اللوحة التى أقيمت فى عهده جنوب الشلال الثالث ، كما يدل عليها أيضاً الأثر الذى وجد فى جزيرة « ساى» واستمرت العلاقة بين المصريين والسودانيين طوال السنين بعد حكم تحتمس الأول ، فامتدت إلى عهد تحتمس الثانى ، والملكة حتشبسوت ، التى كثر تبادل التجارة فى عهدها ، وبخاصة خشب السنط الذى يقال عن وصول عربة كبيرة منه مشغولة بالذهب . وإن كان قد انتاب هذه العلاقة بعض التراخى فى ذاك العهد ، حتى عاد إلى سابق عهده أيام تحتمس الثالث الذى حفر قنـــاة عند الشلال الثالث ، كما يستدل أيضاً ، على حكم تحتمس الثالث لتلك الجهات بما عثر عليه من آثار فى جبل « برقل » أما الملك تحتمس الثانى فقد عثر له على تمثالين صغيرين فى « بن نجا » و «وادى بانجع » .

ولا يكاد السودان يخلو من آثار للقدماء المصريين ، ففى بلدة العمارنة القديمة عثر على آثار انتصارات للملك تحتمس الثانى ، ولرمسيس الثانى هيكل منحوت أقيم لعبادة الاله « رع » ذكر فيه انتصاراته على الأثيوبيين ، كما أن له هيكلا عليه صورته وهو يقـــدم الطقوس للاله «آمون» وتحتها عبارات تدعو إلى السلام والمحبة نقشت أسفل اسمه ، وله أيضاً هيكل فى « نبته » لا تزال آثاره قائمة للآن .

وقد كان السودانيون يعملون فى وظائف كثيرة فى مصر ، فكانوا يستخدمون فى فرق الرماة ، وفى أعمال الشرطة ، كما كانوا يستخدمون أيضاً كجباة للضرائب ، وقد دلت الآثار على أنهم كانوا يشغلون بعض الوظائف العالية فى بلاط ملوك مصر ، كما يستدل على ذلك مما كشف فى مقبرة « ماى– جر– برى » يرجح أنها كانت فى عهد الملكة حتشبسوت ، كما يستدل أيضا من أدوات المقبرة بأنها لنوبى ذى سعة ، مما يوحى بما كان للسودانيين من مكانة سامية فى عهود فراعنة مصر . وقد دلت كثير من الآثار على أن السودانيين

(١) تاريخ السودان قديماً – دكتور حسن سليمان محمود ، جلال الجاويش .

كانوا يصلون إلى مراتب عالية ، فى الدولة ، لا يفرق بينهم وبين المصريين شىء ، وأنهـم كانوا يتمتعون بما يتمتعون به من مزايا ، ويؤدون ما يؤدونه من واجبات ، حتى إن السودانى كان يرتدى الزى الذى يرتديه زميله المصرى نفسه ، كما صور ذلك فى «تل العمارنة » فى عهد «توت عنخ آمون» وعهد « الرعامسة » وقد احتلت الديانة المصرية القديمة مكانة سامية فى حياة السودان القديم ، فعبد فيه الاله «آمون رع » وأضيف لقب « ميرى آمون » أى حبيب آمون إلى اسم الملك السودانى « بعنخى » وقد امتدت آثار اخناتون الروحية والدينية إلى بلاد النوبة . فانتشرت ديانته ، ومحى اسم الاله آمون حتى جبل « برقل » وأقيم فى مدينته معبد للاله « آتون » أما الآلهة الرئيسية فى السودان فكانت هى نفسها آلهة المصريين وهكذا كان «آمون رع » فى نباتة ، كما كان يسمى فى أبى سمبل سيد عرش الأرضين ، كما نجد أيضا الآلهة الذين يدعون « حور » كما فى « واوان » و « تاستى » .

وقد شيد امنحتب الثالث لزوجته معبداً فى « سدنجا » .

* * *

وأخيراً فقد استدل على وجود نقوش باللغة الهيروغليفية المصرية على جدران معبد طهرقا فى « كوة » ، نعت فيها الملك « بابن آمون ». وهكذا نجد أكثر من أثر يدل على الاتصال الوثيق بين القطرين الشقيقين السودان ومصر منذ قديم الأزل .





« البنت الطيبة ! »

للأستاذ : عباس خضر

كانت « سلسلا » مثل أمها .. طيبة تحب الناس والأشياء ، لاتكره ، ولا تحسد ، ولا يحمل قلبها الحقد ، وكان لأم سلسلا بقرة تعتنى بها وتعطف عليها وكانت البقرة جميلة الشكل وادعة الملامح ، يبعث منظرها فى النفس الاطمئنان والسلام .

مرضت أم سلسلا مرضاً شديداً وشعرت بدنوٍّ الموت منها . فأوصت زوجها (أبا سلسلا) بأن يحتفظ بالبقرة لابنتهما ولايفرط فيها ،وماتت الأم ، وحزنت عليها سلسلا كماحزن أبوها .

وكانت سلسلا لاتزال بنتا صغيرة وكانت لهم جارة أظهرت عطفها على سلسلا ، وجعلت تردّد على المنزل وترعى شئونه ، وتخدم الرجل وابنته وتقول فى كل مناسبة إن أم سلسلا كانت لها صديقة عزيزة ، وإنها مهما فعلت لابنتها أو زوجها فلن توفى حق ذكراها .

وكانت هناك جارة أخرى هى « أمنا العجوز » التى جعلت تحث الرجل على الزواج وتقول له إنه لن يجد أحسن من هذه التى تخدمه وتخدم ابنته ، وهى خير من تحل محل أم سلسلا حتى قبل الرجل أن يتزوج جارته . إذ سر منها ، ولا سيما عندما رآها تبدى عنايتها بابنته العزيزة .

وولدت زوجة الأب بنتا أسمتها « أم زبعبع » وسبحان الخالق القادر على أن يخلق الشىء ونقيضه ، فقد جاءت «أم زبعبع» دميمة ، قبيحة الشكل بقدر ما كان فى سلسلا من حسن وجمال

وبدأت زوجة الأب تتغير معاملتها لسلسلا وكلما رأت ما بينها وبين ابنتها أم زبعبع من اختلاف كبير ، من حيث الجمال والدمامة ، زاد غيظها وحقدها على سلسلا فكانت تأكل هى وابنتها طيبات الطعام وتعطى سلسلا الردئ والفضلات .

ولم تجد سلسلا من تشكو إليه غير

البقرة الطيبة . ذهبت إليها بعظام الدجاجة التى أكلوا لحمها ولم يبقوا لها منها غير هذه العظام وقالت :

— انظرى يا بقرتى ماذا أعطتنى زوجة أبى ..

وقالت لها البقرة : هات العظم وأنا آكله وأحيله لك دجاجة

وهكذا كانت تفعل دائماً .... تأخذ الفضلات والأشياء الرديئة التى تعطيها لها زوجة أبيها وتذهب بها إلى البقرة . فتأكلها وتنزلها لها طعاما طيباً مريئاً .

وكانت زوجة الأب تلحظ فى غيظ وعجب مايبدو على سلسلا من صحة ونضارة . على حين ترى ابنتها أم زبعبع هزيلة صفراء برغم ماتخصها به من أطايب الطعام . وذات يوم أعطتها فضلات الطعام لتأكلهـــا . فأخذتها سلسلا وذهبت إلى البقرة كالمعتاد ، وسارت وراءها زوجة أبيها على أطراف أصابعها لتنظر ماذا تفعل فرأت وسمعت وعرفت كل شىء . فاغتاظت من البقرة غيظا شديداً . وحدثت بأمرها أمنـــا العجوز ، فأشارت عليها أن تدعى أنها حامل « وتتوحم » وتقول لزوجها :

(نفسى فى كبد البقرة) فيضطر إلى ذبحها . وسمعت سلسلا مادار بين أبيها وزوجته ورأت عزمه على ذبح البقرة ، فحزنت حزناً شديداً ، وذهبت إلى البقرة وحكت لها وهى تبكى . فقالت لها البقرة : لاتبكى ولا تحزنى . وما عليك إلا أن تجمعى عظامى كلها عظمة عظمة بعد أن يأكلوا لحمى وتضعيها فى الليل تحت الشجرة وتغطيها وسأعود فى شكل ديك .

لم تذق سلسلا شيئاً من لحم البقرة واهتمت بجمع العظام كلها ، وفعلت كما قالت لها البقرة . ولما أصبح الصباح وجدت تحت الشجرة ديكا جميلا يحييها صائحاً : كوكو ... كوكو ...

ولما رأت زوجة الأب سلسلا تزداد صحة وجمالا كلما كبرت ، ورأت ابنتها أم زبعبع على عكسها تزداد قبحا ودمامة . فكرت وعزمت على أن تتلخص منها . وتحدثت بذلك مع أمنا العجوز ، فدبّرت لهـــا هذه حيلة للتخلص من سلسلا إذ جعلتها تتصنع المرض ، وقد خبزت « رقاقاً » وجففته ووضعته تحتها فى الفراش فكلما تقلبت طقطق .. فتقول لزوجها :

— آه ياعظامى .. عظامى تقرقع إنى سأموت لا محالة ؟

ويحزن الزوج ويلتفت إلى أمنا العجوز مستنجداً ويقول لها :

— يا أمنا العجوز ، ألا تعرفين وصفة لشفاء زوجى ؟

وتصف العجوز الوصفة ...وهى ثلاث شعرات من رأس « أمنا الغولة » تبخر بها زوجة الأب . وذلك بأن تذهب سلسلا إلى أمنا الغولة وتحضر منها الشعرات الثلاث ، ووصفت لسلسلا منزل الغولة وهو قريب .

وكان على سلسلا — إزاء إلحاح أبيها — أن تذهب كما أشارت العجوز فسارت فى الطريق الذى وصفته لها . وما ان ابتعدت قليلا حتى رأت على جانب الطريق شجر السيسبان فقالت :

— الله ! ما أجمل هذا السيسبان الطويل !

فرد عليها السيسبان :

— روحى ... جعل الله طولى فى شعرك لافى جسمك .

ومشت حتى رأت ثمرات التفاح على فروع أشجارها فقالت :

— الله ! ما أجمل هـــذا التفاح الأحمر !

فرد عليها التفاح :

— روحى... جعل الله حمرتى فى خديك لافى عينيك .

ومشت فرأت شجر الياسمين وقد تكاثرت أزهاره البيضاء فقالت :

— الله ... ما أجمل زهر الياسمين على فروعه النامية !

فرد الياسمين عليها :

— روحى .. جعل الله بياضى فى وجهك لافى شعرك .

وسارت فرحة مستبشرة ، فرآها غراب فجعل يحوم فوقها ، فإذا حادت إلى جانب من الطريق حاد إليها ورفرف بأجنحته أمام عينيها فقالت :

— مَا أظرف هذا الغراب الأسود

فقال لها الغراب :

— روحى ... جعل الله سوادى فى عينيك وشعرك لافى وجهك .

ووصلت سلسلا إلى بيت الغولة ، فقالت لها :

—السلام عليكم يا أمنا الغولة .

— لولا سلامك غلب كلامك لأكلت لحمك ورميت عظامك .ماذا تريدين ؟

— أريد أن أسلم وأطمئن عليك .

ودخلت سلسلا بيت الغولة فرأته قذراً غير منظم تنبعث منه الروائح الكريهة ، فكنسته ورتبته وهى تبدى سرورها وارتياحها ، ثم أقبلت على الغولة وهى تسرح شعرها المجعّد فقالت لها : هاتى يا أمنا الغولة المشط لأسرح لك . وجعلت سلسلا تسرح شعر الغولة وتقول لها :

— شعرك جميل يا أمنا الغولة

— روحى ... جعل الله كلامك كله جواهر .

وأخذت سلسلا ثلاث ، شعرات من رأس الغولة وهى تسرح لها ، وأخفتها ، ثم تركت الغولة وعادت ، على حين هى

سائرة فى الطريق عرجت على النهر لتشرب وتستريح على الشاطئ ، ثم رأت من بعيد فارساً يمتطى جواده وحوله عبيد وخدم ، فأسرعت قبل أن يراها أحد وتسلقت شجرة على الشاطئ واختفت بين أغصانها .

ووقف الفارس إلى جانب حصانه تحت الشجرة يصفر له ليشرب . ولكن الحصان رأى خيال سلسلا منعكساً على صفحة الماء . فأجفل فنظر الفارس الشاب ليرى مم أجفل حصانه . فرأى خيال سلسلا رائعاً فاتناً . فلم يرفع رأسه إلى أعلى حتى لا تنزعج . ثم استرق النظر إليها دون أن تشعر . فراعه منها جمال لم ير مثله .. شعر أسود طويل ووجه أبيض ، وخدان حمراوان . وقوام رشيق . وخصر دقيق .

وانصرف الفارس الشاب ، وأمر أحد أتباعه أن يراقب سلسلا ويتبعها حتى يعرف بيتها . وكان هذا الفارس هو ابن الملك .

ولما عادت سلسلا إلى البيت عجبت زوجة أبيها من عودتها سالمة ، وكانت ترجو أن تأكلها الغولة . وزاد عجبها لما رأتها قد ازدادت جمالا ، وكادت تصعق من الدهشة حين شاهدتها تتكلم فتتساقط من فمها الجواهر ... وسألتها عما حدث لها مع الغولة فأخبرتها بكل شىء .

أرادت زوجة الأب أن تحقق لابنتها أم زبعبع مثل ما تحقق لسلسلا ، فأرسلتها إلى الغولة لتحضر من رأسها ثلاث شعرات . فذهبت أم زبعبع فى الطريق إلى بيت الغولة ، وأول ما رأت شجر السيسبان نظرت إليه فى ازدراء وقالت :

— ما هذا ؟ سيسبان ! لماذا هو طويل هكذا بدون فائدة ؟ فرد عليها السيسبان :

— ررحى .. جعل الله طولى فى جسمك لا فى شعرك .

ثم سارت فرأت شجر التفاح فقالت له مثل ما قالت للسيسبان ، فرد عليها قائلا :

— روحى ... جعل الله حمرتى فى عينيك لا فى خديك .

وكذلك قالت للياسمين ، وقال لها :

— روحى . . جعل الله بياضى فى شعرك لا فى وجهك .

ولما عاكسها الغراب قالت له : ما أثقل دمك يا أسود اللون ! فقال لها :

— روحى . . جعل الله سوادى فى وجهك لا فى شعرك .

ووصلت أم زبعبع إلى بيت الغولة فقالت لها :

السلام عليك يا أمنا الغولة :

لولا سلامك غلب كلامك لأكلت لحمك ورميت عظامك .

ثم طلبت الغولة من أم زبعبع أن تكنس لها البيت ، فدخلت وأمسكت المكنسة وجعلت تكنس وتقول : ماهذه الرائحة الخبيثة ؟ ما لهذا البيت يبدو كأنه لم يكنس أبدا ! ولما رأت أم زبعبع الغولة تمشط شعرها تذكرت ماجاءت من أجله فقالت لها : هاتي يا أمنا الغولة المشط لأسرح لك شعرك . ثم جعلت تمشط الشعر وتبدى اشمئزازها من قذارته وتجعده وتقول :

رما لشعـــرك هكذا وسخا كأنه لم يغسل أبداً ! ألا تشعرين بهذا القمل الذى يدب فيه ! !

فقالت لها الغولة :

روحى . . جعل الله فمك يقطر سماً . .

ورجعت أم زبعبع إلى أمها فى غاية الشناعة .. شعرها أبيض ، ووجهها أسود ، وعيناها حمراوان ، وجسمها طويل هزيل ، وكلما تكلمت سقطت من فمها حية أو ثعبان ! فكتمت غيظها وسكتت .

وحدث فى أثناء ذلك أن جاء ابن الملك إلى أبى سلسلا وخطبها منه ، وأفاض عليهم بالنعم والهدايا . وفى اليوم المحدد للزفاف فكرت زوجة الأب وقالت فى نفسها : إن الأمير خطب ابنة زوجى ، فلماذا لاتكون هى أم زبعبع أليست ابنته ؟ وما أظن أنه رأى سلسلا فلتكن العروس هى أم زبعبع !

وأمرت زوجة الأب سلسلا أن تذهب إلى الفرن وتخبز ، وأخذت أم زبعبع فجمّلتها وزينتها وألبستها ملابس العروس وطلبت إلى النساء أن يخضبنها بالحناء.

رأى « الديك » ذلك . . الديك الذى كان بقرة ... فذهب إلى مجلس الأمير فى حفل العرس وجعل يصيح :

— كوكو ... كوكو ... سلسلا قاعدة تحمى ، وأم زبعبع فى المخنى ... كوكو ... كوكو ...

دهش الأمير لذلك ... وهجم هو ومن معـــه على المكان الذى به العروس فرأى أم زبعبع ، فقال : أين سلسلا : ليست هذه سلسلا التى رأيتها على شاطىء النهر ، فأحضروا له سلسلا ؛ ففرح بها وأخذها فى أحضانه . ثم أمر أن توضع زوجة الأب فى الفرن وهو يقول :

— من يحب النبى المختار يشعل الحطب فى النار ، فى الكافرة بنت الكفار ...

ولولا أن سلسلا شفعت لها وطلبت من الأمير أن يعفو عنها ، فأجاب طلبها ، لأكلتها النيران وراحت فى خبر كان .

« عثمان سيلا »

شخصية هذا العدد ليستْ من الشخصيـــات التى تتوهج الآن على صدر القارة ، والتى تتزعم عمليات التجمع ، وانتزاع النصر ، وتأكيد إفريقية ، إنما هى شخصية المواطن البسيط الذى أحسّ أن كل شيء فى بلاده محتكر لوجه أبيض ، وعينين زَرْقاوين فأراد هو الآخر أن يقاوم هذه الفكرة بفكرة تناهضها فى بلاد بعيدة عن بلاده . وكان له ما أراد فى حيّ سانت ميشيل حيث هـــذا المكان الذى يحمل رقم (٣٥)

وكثيراً ما كانت تحلو الذكرى لعثمان سيلا Ousman Silla حينما تخف كثافة الليل ، وتشفّ الظلمة كستار أوقد من خلفـــه النور ، وتشم للفجر الجديد رائحة رطيبة فى آفاق باريس . ففى هذا الوقت بالذات من كل ليلة كان يمكنه أن يرتدى معطفه ، ويحيى العاملين معه ، ثم يسير فى رفق تحت ضوء واهن يرسم على كل من يمر تحته كلمة « ساموری Samory »

وتنداح كلمة « ساموری » هذه فى ذهنه ، وتشدُّه بعيداً بعيداً عن الأفق الذى يغرد من فوقه ، والأرض التى تتناثر فوقها كرات الثلج ، وهكذا تغيم المنـــاظر من حوله ، ويحس أنه اجتازها إلى أرض بعيدة حارة فى قلب القـــارة الإفريقية ، حيث مدينـــة « داكار » التى ولد فيها من والدين فقيرين يعتصران الحياة من حولها اعتصـــاراً حتى يستطيعان الحصول على ما يمسك عليهما ، وعلى طفلهما الصغير الحياة ، فكل شيء من حولها يملكه الفرنسيون ، ويضعون عليه عيونهم ، وأسلحتهم حتى لقد أحس الأهالى أنهم يتنفسون من خلال حرابهم ، وأنهم يعيشون غرباء فى بلادهم !

ويجاهد « عثمان سيلا » نفسه وهو يتذكر نفسه عارياً ، وجائعاً ، وممزق الروح ، ثم يتذكر هذا اليوم السعيد الذى دخل فيه المدرسة الشعبية الفرنسية Outre-mer فقد أحسّ فيها بشيء من الراحة حينما وجد نفسه يستطيع أن يتناول طعامه ذلك لأن البحث عن الطعام

كان يقلقه دائماً ، ويصيب روحه بخدوش . ثم يتذكر كيف كان ذكياً ، ومتلهفاً على تلقى العلم ، ولكن الفرنسيين كانوا يقفون بالمواطنين إلى مدى لا يتجاوزونه من المعرفة ، ويدفعه كل هـذا إلى السفر إلى باريس ، وهناك يحس بمرارة الجوع مرة أخرى ، وتنمو فى ذهنه فكرة أن يعثر دائماً على طعام . بل أن يوفر هذا الطعام لكل الناس ، ومن هنا نراه يكدح فى هذا البلد الغريب حتى يكوّن لنفسه شيئاً من المال ، ثم يكون له أخيراً « ساموري » .

وساموري هـذا ليس سوى الامبراطور الإفريقي العظيم الذى كان يحكم امبراطورية الماندنجو Mandingues فى نهاية القرن التاسع عشر ، ولكنه أراد أن يكون فى باريس حروفاً من نور تتوهج على مطعم من أرقى المطاعم فى حى «سانت ميشيل» . على أن «عثمان سيلا » لم يقف عنـد حدود الاسم وإنما جعل من مطعمه صورة مصغرة من إفريقية ، فالجدران على هيئـة الغابات ، والأنوار على هيئة شموع متوهجة كأنها تستمد حدتها من المناطق الإستوائية ، والتحف رسوم تنقل إلى المشاهد سمات كثيرة من سمات إفريقية ، وكثيراً ما تستخدم الموسيقى لتساعد الزوار على الانتقال الطبيعى إلى المناطق الحية فى إفريقية بحيث تستطيع أن تجد نفسك متحولا إلى إنسان يشق طريقه بحذر بين أدغال الكونغو ، أو راقصاً حول نار فى داهومى ، أو شاعراً بغربة فى مدينة جوهانسبرج ، أو متوثباً فى فرحة على نهر النيجر :

وقد يقوم الطعام نفسه بهذه الرحلة المتوترة حيث تجـد أمامك سمكاً مصنوعاً على طريقة أهل مدغشقر ، أو لحماً مشوياً على الطريقة السنغالية ، أو عيشاً مصنوعاً من الموز على طريقة أهل غانة .

ويتذكر « عثمان سيلا » كل هذا فى طريقه ، وإذا بالطمأنينة تملأ نفسه فهو قد أعطى للناس إفريقية التى يحبها ، وأحاط نفسه بالذكريات العزيزة التى عاشها فى القارة .

وما يكاد يصل إلى باب بيته حتى يلح عليه هذا السؤال « هل يحاول بعمله هذا تأكيد روح بلاده ؟ أم يرد على الأجانب الذين يملأون إفريقية ؟ أم يرضى شيئاً أثيرا فى نفسه ؟ »

وعلى الرغم من أن هـذه الأسئلة تداعبه كل ليلة قبل أن ينام إلا أنه لا يشغل نفسه بالإجابة عنها ؛ فهو يخرج منها بابتسامة تملأ وجهه الأسود ثم يغوص من جديد فى عالمه الإفريقى حيث يحلم دائماً بطفولته العارية ، الجائعة ، الممزقة !



«عثمان سيلا»



« مشكلات جنوب إفريقية »

يعتبر الدكتور C. W. de Kiewiet الرئيس السابق لجامعة روشستر بنيويورك والعضو الحالى فى جمعية الدراسات الافريقية التابعة لمؤسسة فورد من أقوى المعارضين للتفرقة العنصرية . وقد أصدر كتابا يحتوى فى فصوله الثلاثة على عرض لمشكلات جنوب افريقيـــة ، صوّر فيـــه هـــذا البؤس المنتشر فى اتحاد جنوب افريقية كما أكّد أن المواد الخام الموجودة فى افريقية هى التى جلبت لها اهتمام العالم ، وأن طرق المواصلات والمحطات والقواعد العسكرية حققت لافريقية أهمية استراتيجية كأهمية مضيق جبل طارق ، وقناة السويس ورأس الرجاء الصالح . ومن هنا انتهى الاستقرار وحل مكانه الاضطراب لا فى جنوب إفريقية وحده وإنما فى كل القارة ، وأصبحت المشكلات العنصرية ، والسياسية فى افريقية عوامل رئيسية فى السياسة الدولية .

وقد بينت تلك المشكلات للعالم أن الرجال حين يفرض عليهم نوع خاص من المعيشة ، أو حين يخضعون لقيود تميز الجنس واللون فإن ذلك يدمر حيـــاتهم ، ويطبع وجودهم بطابع حزين فتلك التفرقة الإجبارية التى تفرض فى الاتحاد تخيب الآمال وتثير السخط .

ويمكن أن تعتبر حرب البوير مدخلا إلى معظم مشكلات جنوب إفريقية الحديثة ، فإن هذه الحرب وحدت البلاد سياسياً ولكنها قسمتها عنصرياً ، وكلمة التفرقة العنصرية كلمة هولندية معناها تجزئة ، أو عزل . وأسس التفرقة هى الفروق الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية وهى النتائج المنطقية للعلاقة الاستعمارية

بين السيد والمسود . تلك العلاقة التي سمحت كذلك لأعمال البيض أن تزدهر عن طريق الأيدى العاملة من الأهالي ، والملونين . والتي شجعت البيض على الاعتقاد بأن المدن من خلق الأوروبيين ولهذا فهي من ممتلكاتهم الخاصة ولا يسمح للإفريقيين بدخولها إلا بترخيص . وذلك للقيام بخدمة البيض ثم مغادرتها بعد انتهاء الخدمة . ولكن هؤلاء البيض سلالة كروجر ، والجنرال سمطس وأتباع سترايدون لا يعرفون ، ولا يريدون أن يعرفوا حتى الآن كيف يعتمد التقدم الاقتصادى على الجميع بغض النظر عن لون الجلد .

وعلى هذا نجد أن سياسة التفرقة العنصرية أصبحت غير ذات موضوع فإننا اليوم نجد أن عدد سكان المدن من الملونين يزيد على مليونين يقومون بأعمال مختلفة ، وإن كانوا في الحقيقة يسكنون الأحياء الفقيرة القذرة الموبوءة بالمرض ، والجريمة والتي تبنى منازلها من بقايا وفضلات المناجم والمعامل الصناعية ، وإن في احتمال الأهالي لتلك الحياة لدليل على قدرتهم على الكفاح والصبر من أجل الاحتفاظ بكرامتهم .

إن التفرقة العنصرية بلغة الاقتصاد هي نظام تستعمل فيه طاقة الدولة للحصول على السيادة الاقتصادية والسياسية لجماعة البيض . مع تناسي عشرة ملايين مواطن من أهل البلاد !

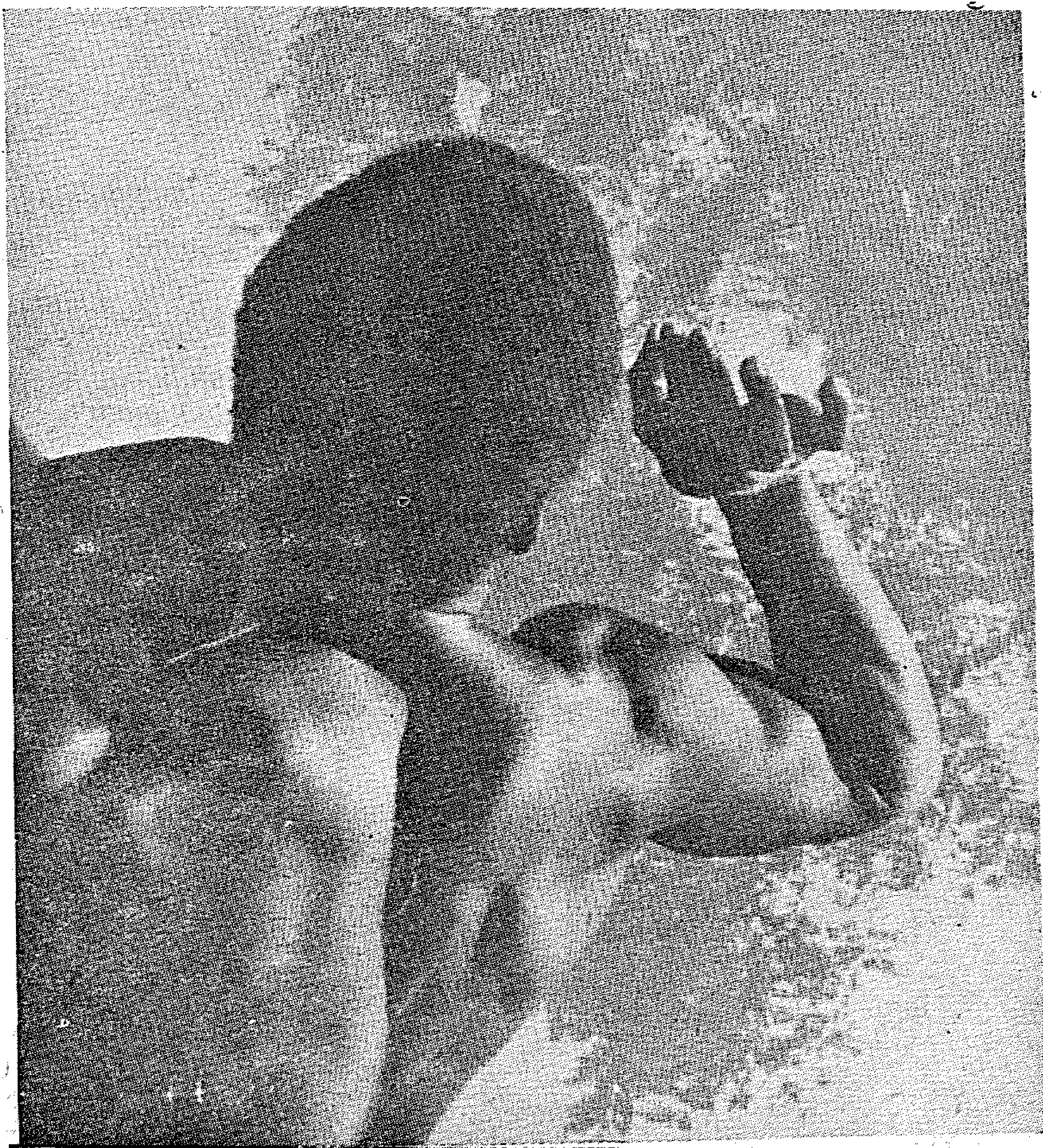
أما أنصار هذه السياسة في جنوب إفريقية فهم يزعمون أنه لما كان البيض متناقضين مع الأهالي عنصرياً ، وثقافياً فإنه من المنطق أن نكمل التفرقة فتشمل كل شيء . وهذا في الواقع زعم لا يعتمد على شيء من المنطق . وهم يدارون به جزعهم وخوفهم إذ أنهم أقلية (إذ يبلغون ٢ ½ مليون نسمة . أما الأهالي فيبلغون ١٠ ملايين) ويرون أن هذه التفرقة تضمن بقاء مدنهم . ومصانعهم ، ومدارسهم . بل وحكومتهم .

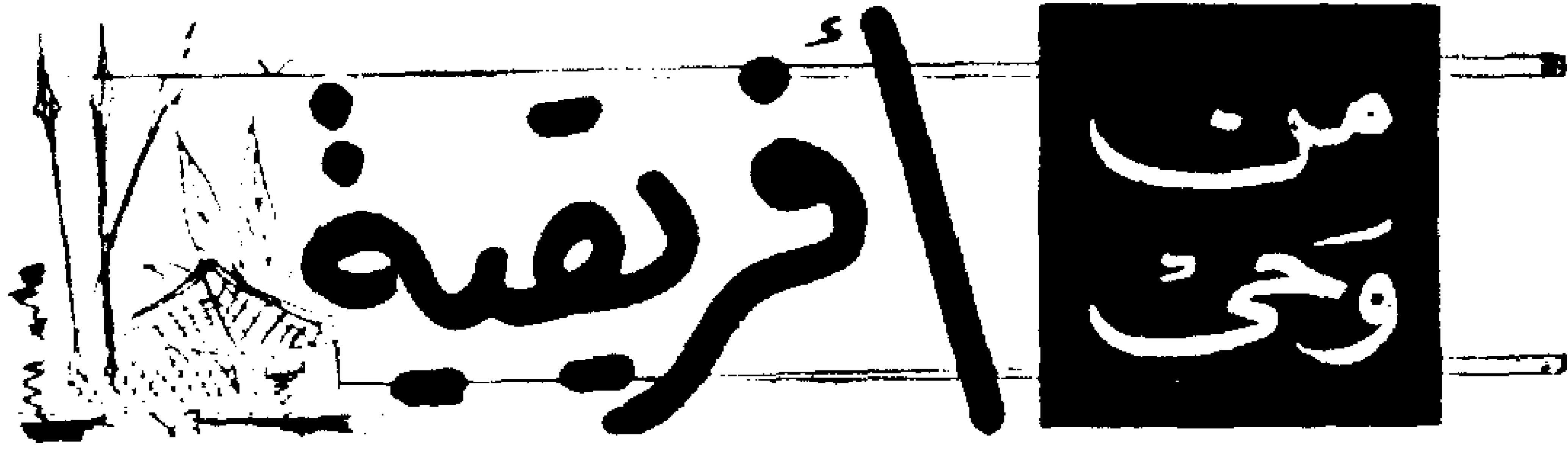
لقد حفرت سـياسة التفرقة العنصرية في قلوب الأهالي كراهية الرجل الأبيض وجعلتهم يستاءون لعدم قدرتهم على تعليم أولادهم كما يتعلم أولاد البيض ؛ وجعلتهم يشعرون بالفشل . والخيبة ، وهم يأتون ويذهبون من عملهم الحقير إلى منازلهم القذرة . ومن حولهم القصور التي يتمتع فيها الغرباء بخيرات بلادهم . بل إن هذه الخيرات لتذهب بعيداً إلى حيث يوجد للبيض أهل ، ووطن . وذكريات . وإنه لشديد على الإنسان أن يرى نفسه معتصراً لطائفة دخيلة من الأجانب فإذا ما عاد إلى كوخه وجد الظلام . والجوع . وأطفالاً لا تمسك حياتهم شيء ! أطفالا يدفع آباؤهم الضرائب ليتعلم غيرهم . ويتساقطون

من الكدح لينعم الذين يقفون فوق رؤوسهم بالسياط !

إن هذه المأساة التى تمثل فى جنوب افريقية ، لم تهز مشاعر الوطنيين فقط ولكنها هزت أعماق القارة ، وحركت الضمائر الطيبة فى العالم . ومن هنا وجدنا إجماعاً على مقاومة هذا الظلم وقورات تتخذ فى مؤتمر « أديس أبابا » الذى عقد أخيراً فى أثيوبيا لمقاطعة جنوب افريقية اقتصـــادياً ونفسياً .

وهكذا ينتصر الإنسان لكل القيم الطيبة فى العالم ، وتنحسر يوماً بعد يوم هذه الأمواج المتلاطمة من الكراهة والحقد فى نفوس الناس ! فالعالم كله مجمع على مقاومة أبشع جريمة فى تاريخه ، وهى جريمة « التفرقة العنصرية »





« أرض الجزائر »

للأستاذ سعد دعيس

بافريقيا اليوم لصٌ جديد أحال أناشيدها مأتما
وفجّرَ فى أرضها حقده وأجْرَى عليها اللظى والدما

* * *

بأرض الجزائر أوحى الدمار بموتٍ لأبنائها الثائرينْ
وشيَّدَ من جثث الأبرياء صليب الإله الجديد الحنون
ضحايا تأبّتْ على قيدها وأشعلت النار فى الظالمين
ضحايا تريد غداً مشرقا وفجرا يطل على الساهرين
وجلاّدها خدعته القيود فما عاد يبصر غير السجون
وما عاد يبصر غير الدماء ليروى بها ظمأ الحاقدين

* * *

سلامٌ عليكم ضحايا الظلامْ سلام عليكم بنى قومنا
لقد أشعلوا النار فى أرضنا لقد كمموا اليوم أفواهنا
لقد أطعمونا صقور الفلاة وتاهتْ على الدرب أشلاؤنا
هُمُ شنقونا ، هُمُ صلبونا هُمُ غيّبوا الفجر عن أفقنا
هُمُ غلّفونا بليل ودَمْ ونارٍ تحرِّق أجسامنا
ونحن سنشعل أحقادنا وبغضًا توارى بأعماقنا
وثأراً طوينا أعاصيره وحزناً كتمناه فى صدرنا
ولن يرهبونا بلصٍّ جديد تَسَلّلَ مُسْتَخْفِياً بيننا
رسالته مصنعٌ للسلاح يتاجر فيه بأرواحنا
ونحن رسالتنا أنْ نعيش ونبنى الحياة لأبنائنا
ولن يقهرونا على أن نموت ولن يغلبونا على أمرنا

tam, bâton rond et lourd = alerte, attention, méfiez-vous ou « écoutez nouvelle important » ;

Un coup ourd sprolongé à espace régulier, un tam-tam bton lourd et plat = apparition d'un fauve ou d'nun être dangereux ou agressif ;

Deux coups sourds à espaces régulier, un tam-tam, bâton lourd et plat = Nord ;

Deux coups sourds et deux coups secs bâton rond et léger coups secs bâton rond et léger + la main = Est ;

Quatre coups sourds bâton lourd et plat = Ouest.

Voilà quelques indications qui peut être vous donneront une idée du rôle et du fonctionnement de ce tambour primitif dans la société africaine avant l'arrivée des Arabes et des Européens en Afrique Noire.

En guise de conclusion, je me pose une question ; à savoir si dans la nuit des temps, ce rôle du tam-tam comme moyen de communication rapide n'a pas été utilisée dans une grande partie du continent noir à une échelle trs développée. Je n'en veux pour preuves que les quelques observations suivantes. Vous savez qu'il existe chez nous un nombre impressionnant de dialectes, de langues vernaculaires qui très souvent n'ont aucun lien apparent. A tel point que les autochtones d'un territore et même d'une région ne se comprennent pas du tout et sont obligés de parler soit l'arabe soit une langue européenne. Or, dans n'importe quelle région de l'Afrique Noire, par exemple en A.O.F., en Gambie anglaise au Togoland, en Nigéria comme au Ghana, pays très éloignés les uns des autres et où les habitants parlent des dialectes très différents, certains sons de tam-tam ont exactement la même significaton... Ainsi, les trois coups secs émis par un tam-tam veulent dire partout : alerte, danger, attention ; deux coups secs et brefs émis par deux ou plusieurs tam-tams signifient partout « guerriers armés ou soldats en arme », alors que deux coups sourds émis par deux ou plusieurs tam-tams annoncent toujours la mort du chef, celui qui incarne l'autorité traditionnelle suprême. Autre observation troublante : la forme et les dimensions des tam-tams, à quelques détails après, sont les mêmes dans ces pays. De même la conservation de certains arbres dont le bois sert à fabriquer le tam-tam mérite réflexion. Enfin, chose curieuse, des batteurs de tam-tam sénégalais et togolais jouent facilement en harmonie et peuvent se comprendre à distance par le tam-tam alors qu'ils sont incapables de se dire bonjour en ouolof et et en éwé...

exacte de tous les sons émis par tous les instruments en usage dans un pays (il y a environ 45 à 50 modèles de tam-tam), acquiert la faculté de calculer la distance approxicmative que peut couvrir chaque son ; il lui faut savoir déterminer l'emplacement d'un relais par rapport aux autres relais ; (le son du tam-tam peu atteindre 200 mètres au minimum et près de 10 km au maximum)· Durant ces années de séminaire, il fait beaucoup de travaux pratiques, de démonstration et passe des tests publics à la fin des cours. Lorsqu'il est jugé apte de travailler convenablement tout seul, on l'affecte dans une localité où à son tour il doit instruire ses proches et donner un enseignement plus sommaire aux habitants de son fief. Pendant tou le temps qu'il est au séminaire, les siens subviennent à ses besoins sous forme de vivivres et des vêtements, envoyés mensuellement au trimestriellement, rarement par semestre, jamais par an.

LE LANGAGE TAM-TAM

Ce langage est soumis à un code dans lequel figure déjà tout message transmis ou à transmettre, Le tam-tam exprime principalement le sens d'une phrase, d'un fait, d'une idée ou d'un symbole ; il ne faut pas lui demander de transmettre des lettres pour composer un mot ou des mots pour former des phrases. Ceci n'est pas absolument impossible et très malaisé, D'autre part une série de sons émis par un tam-tam change completèment de sens lorsque ces mêmes sons proviennent de deux ou plusieurs tam-tams. Il est par conséquent capital de faire ces distincions pour éviter des confusions. C'est pourquoi le griot peut être aveugle, unijambiste ou daltonien, mais jamais sourd ; il doit de même posséder une excellente mémoire et un sens très développé pour l'interprétation.

Cinq éléments déterminent le son du tam-tam comme moyen d'information : la qualité du bois, celle de la peau, les dimensions et la forme ; enfin l'instrument qui sert à le battre. Il peut être soit la main (ou les deux mains) soit un bâton ; dans ce dernier cas, distinguer le bâton lourd du bôton léger, le plat du rond,

Ces détails indispensables fournis, illsurons ce qui précède par une démonstration grâce à une règle, une table et mes deux mains. Voici donc quelques exemples :

Deux coups brefs par un tamtam, bâton rond et lourd = course, courir, vitesse, rapidité ;

Trois coups brefs par nn tam-

sion, l'émetteur annule la communication et recommence. Comme vous le voyez, beaucoup de précautions sont prises pour écarter tout risque de confusion ou d'inexactitude.

***

Jadis, lorsqu'un souverain voulait réunir son peuple, à telle date, à tel endroit, à tel moment du jour et de la nuit, il n'avait nullement besoin de déléguer des messagers allant de maison en maison ou de village en village; il lui suffisai simplement d'en faire part à scn chef des griots (l'équivalent du directeur des services d'information d'aujourd'hui) pour qu'en quelques minutes tout le monde fut averti aussi bien dans le village que dans les autres localités souvent assez éloignées. Ici il me faut faire deux remarkues importantes assez significatives. La première et que ce chef des griots du roi n'utilise que des instruments qui sont le monopole du roi ; fabriqués de façon spéciale, leur résonnance est très différente de celle que produisent les tam- tams réservés au peuple. Rien qu'à l'entendre, l'initié (ou le urofane) momprend tout de suite qu'il s'agit d'une source officielle. Personne d'autre que le roi ou les gens de sa maison n'a le droit d'en user ou de même de le détenir. Voilà pourquoi je l'ai appelé le porte-parole de l'autorité traditionnelle. Quant au peuple, ses représentants qualifiés (intermédiaires entre le souverain et le commun des mortels) on à leur dispositions des types de tam-tams qui leur sont propres. Eux seuls ont le droit de les utiliser et toujours pour des questions intéressant la communauté ; voilà pour la « voix du peule ».

***

La seconde remarque est celle-ci : les messages du roi ou eucx du peuple sont obligatoirement transmis de professionnel à professionnel ; aucun amateur n'est autorisé à envoyer ou à retransmettre une communication provenant de ces deux autorités. Le professionnel qui reçoit le message en code est chargé de chapitres de ce code nécessitent de longues années. Ceci d'amène à dire un mot sur la formation professionnelle des batteurs de tam-tams ou griots. Vous verrez que nous avons à faire à un véritable réseau d'information public et privé par une armée de personnel spécialisé avec des apprentis, des cadres, et des enseignants...

Dans chaque village, il existe un séminaire sous la direction d'un griot chargé d'enseigner le langage du tam-tam à des jeunes recrues de 15 à 20 ans environ. Le cycle d'études dure de 4 à 5 ans au cours desquels l'élève apprend la signification

au sein d'une localité des messages destinés texclusivemen aux habitants de cette localité, l'autre à usage externe, s'adressant à des éléments hors de cette localité (portée infiniment plus grande).

LES RELAIS

Dans l'un comme dans l'autre groupe, tout message émis est aussitôt repris et rediffusé par plusieurs autres tam-tam de même type installés à des endroits déterminés. Dans un village, le tam-tam émetteur se trouve généralement ou à la place du marché ou dans la maison du chef de village, tandis que, lui faisant l'écho, d'autres tam-tams mis en place dans tous les quartiers fonctionnent régulièrement selon un système de relais permanents. Ainsi, lorsqu'une 'nouvelle est annoncée par la place du marché ou la maison du chef, une ou deux minutes après (parfois bien moins), tous les relais le captent et les habitants sont immédiatement informés. Il faut qu'un village soit bien petit que l'on n'y utilise qu'un seul instrument, dans ce cas, celui-ci est assez puissant pour être entendu distinctement par toute la population.

En ce qui concerne le tam-tam à usage externe, la mise en place du système de relais est plus laborieuse et plus complexe parce qu'ici l'installation est rarement permanente. Voici comment se passe l'opération ou les diverses phases de la transmission du message. Le griot (batteur) se place soit à l'entrée, soit à la localité (cela dépend de la posiion du correspondant direct). Mais auparavant, il délègue en direction du village intéressé des collaborateurs (munis d'instruments de même type) qui s'installent à des intervalles réguliers suivant les directives du maître. Mentionnons en passant qu'habituellement, les batteurs possédent des moyens appropriés de déplacement ppur éviter toute perte de temps (cheval, âne, chameau ou pirogue, s'il a des cours d'eau), Une fois ces premiers relais assurés, la transmission commence. Il appartient au village appelé de faire la même opération pour atteindrre le correspondant suivant et ainsi de suite jusqu'au dernier destinataire. Là, il faut observer que si la transmission du premier message es lente à cause de la mise en place des relais, celle des messages suivants se fait presque automatiquement.

Dans cette opération décrite sommairemen, ajoutons que tout relais reçoit un messame doit en indiquer la source, le moment et la direction ; il est tenu également de le répéter extuellement. En cas d'erreur ou d'omis-

vous révèle les secrets du

TAM-TAM

Si curieux que cela puisse paraître, bien avant la pénétration européenne, avant même celle des Arabes en Afrique noire, les habitants de ce continent utilisaient couramment le tam-tam moyen d'information rapide à grande distance. Ce phénomène a déjà attiré l'attention de bon nombre de conquérants, d'explorateurs et de missionnaires qui, dans leurs mémoires en ont fait plusieurs mentions sans toutefois réussir à l'expliquer de manière précise. Ceci m'a incité, durant mes pérégrinations à travers l'A.O.F., la Gambie anglaise, la Nigéria, le Togoland et Ghana, à faire quelques recherches sur la question. C'est le résultat de ces recherches qui je crois utile de livrer aujourd'hui aux chercheurs, aux hommes de science et aussi à la curiosité de mes confrères.

L'évocation du sujet n'est point insolite ici, car il s'agit du tam-tam non plus comme un simple instrument de musique à caractère récréatif mais en tant que moyen de communication capable te toucher en quelques minutes, des distances allant de 500 mètres à 100 km et davantage.

Pour l'Européen, le tam-tam est un simple «tambour primitif en usage chez les nègres de l'Afrique Centrale». Mais pour nous autres Africains, cette définition est, bien entendu, insuffisante, du fait que, jadis, l'instrument récréatif se distnguait nettement d'une part, du porte-parole de l'autorité traditionnelle établie et d'autre part, de la « voix du peuple » ; sans parler du tam-tam interpréte des divinités dont il communique les interdits, les prédictions, les recommandations, etc.

En voulant m'initier au langage du tam-tam, j'ai pénétré dans le milieu si peu connu des fabricants et surtout des batteurs de cet instrument qui n'a de valeur réelle, de signification particulière qui lorsqu'il est fabriqué d'une certaine façon, avec des matériaux, joué par une société donné ; enfin selon un code et des règles dont quelques initiés seulement détiennent le secret. C'est dire que n'importe qui ne peut jouer n'importe quel tam-tam, n'importe comment n'importe quand.

Pour ce qui est du tam-tam réservé uniquement à l'information, il convient de noter deux groupes, l'un à usage interne (résonnance réduite) qui émet



« أسرة إفريقية »

Third Year No. 32 July 1960



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

PRICE : P.T. 3.

السنة الثالثه — العدد ٣٣ — أغسطس ١٩٦٠

نهضة افريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



« حرم الشهيد كمال الدين صلاح تحيي الصومال في يوم استقلاله »



العدد ٣٣ أغسطس ١٩٦٠

نهضة إفريقية
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ – تنمية الوعى القومى الافريقى .

٢ – التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ – نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ – الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ – الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
٥ شارع أحمد حشمت – الزمالك بالقاهرة
تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً :

لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه

فكرة ..

(١)

ثمان سنوات مرت على الثورة التحررية المصرية التى لم يقف أثرها عند مصر فقط ، وإنما تعدته إلى كثير من البلاد فى الشرق والغرب ، على أن أثرها الحاسم ، وصداها القوى كان فى القارة الإفريقية ، فقد أحدثت سلسلة من الانفجارات فى الطاقة الإفريقية ، ما كاد ينحسر عنها الضجيج حتى كانت « الجوهرة السوداء » قد لمعت ، وأصبحت تتوهج فى ضمير العالم حباً ، وسلاماً ، وحرية ! !

إننا ونحن نحيى هذه الثورة — بالجباه الشامخة التى رفعتها — لا نحس أننا نلوح لها بيدنا فقط فى الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما نحس أن القارة كلها يد تلوح ، وقلب يخفق ، وروح تغنى ! !

(٢)

زار السودان القاهرة فى هذه الأيام ممثلا فى البطل « ابراهيم عبود » الذى استطاع بثورته أن يسير بالبلاد إلى « عصر ذهبى » يمارس فيه الفرد حياته فينتج ، ويعيش ، ويحس أنه يضم إلى صدره كل الحياة ، ويتنفس من خلالها ، فقد حارب الانعزالية ، والرجعية ، وذوب الثلج الذى كان يحلو للناس أن يمدوه حتى يمس حدود الجمهورية العربية المتحدة !

... وهكذا تتعانق الثورتان ، وتلتقى الجمهوريتان — على حب ، وصدق — فى القارة !

« عبده بدوى »

محتويات العدد

الصهيونية والتبشير والاحتكار

في خدمة "الاستعمار الجديد"

بقلم: الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

كان موضوع « الاستعمار الجديد » من أهم نقاط جدول الأعمال فى مؤتمر « أديس أبابا » الأخير . فقد لاحظ القادة الوطنيون الإفريقيون ، بعد الهجمة الهائلة التى اقتلعت الاستعمار من وادى النيل ومن إفريقية الغربية — منذ أعوام قلائل — وبعد أن أوشك « القرن الشرقى » على التملص من براثن الطليان والإنجليز وبعد أن انتفض الكونغو انتفاضته المذهلة فى « ليوبولد ڤيل » و« ستانلى ڤيل » ، لاحظ القادة الإفريقيون الوطنيون أن الاستعمار المترنح يحاول أن يتظاهر بالانسحاب من أقطار إفريقية كافة ، فى الوقت الذى يدق فيه « مسامير » ويرمى « شباكه » فى تلك الأقطار .

وقد عالج مؤتمر « أديس أبابا » للدول الإفريقية المستقلة مشكلة هذه « المسامير » وتلك « الشباك » التى سميت فى جدول الأعمال « الاستعمار الجديد » وألقيت الأضواء على هذا النوع الجديد من الاستعمار . فى خطب الافتتاح كما نوقش خطره بالتفصيل فى مختلف اللجان ، ثم اتخذ المؤتمر من القرارات (المنشورة فى مكان آخر من هذا العدد) ما يمهد السبيل للوقوف فى وجه هذا الخطر الجديد .

وقد كان من أهم المظاهر التى تنذر بهذا الخطر ما أشار إليه رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة من تستر الاستعمار وراء إسرائيل، ومحاولة هذه الدولة المفتعلة أن تقدم « معونات اقتصادية إلى الدول الإفريقية الناشئة فى الوقت الذى تمد هى يدها للتسول من يهود العالم، ومن بعض الدول الكبرى التى تريد التسلل إلى تلك الأقطار الناشئة وراء العملاء الاسرائيليين .

وكان من تلك المظاهر المنكرة رحلة « بن جوريون » المريبة التى تمت منذ بضعة أسابيع — إلى بعض دول أوروبا الغربية ومن بينها بلجيكا ، والتى أعلن فى خلالها أنه ينوى تنسيق التعاون بين تلك الدول ، وبين إسرائيل فيما يتصل بتقديم « المعونة » للأقطار الإفريقية . وقد وصفنا هذه الرحلة بأنها « مريبة » لأن بلجيكا كانت تبدو

منهمكة فى ذلك الحين ، فى تسليم مقاليد الأمور فى الكونغو للزعماء الوطنيين ، ولم يكن الرأى العام العالمى قد اكتشف حينئذ أن وراء إسراع بلجيكا فى الاتفاق على استقلال الكونغو مؤامرات محبوكة لتمزيق تلك البلاد والقضاء على استقلالها ، ولم يكن أحد يعلم بالدور الذى لعبه « بن جوريون » فى الظلام حيناً ، ومستخفياً وراء ستار « المعونة » حيناً آخر ، إلا بعد قيام الفتنة فى فى « كاتنجا » على يد الخائن « تشومبى » وظهور أخ للخائن فى تل أبيب طالباً « معونة » إسرائيل .

ولم يكن دور إسرائيل فى «لعبة» كاتنجا مصدر دهشة للعارفين فى الشرق وفى أنحاء القارة الإفريقية ؛ فإن تاريخ إسرائيل فى مناصرة الدول الاستعمارية ووقوفها ضد الحركات الوطنية الإفريقية — وبخاصة فى الأمم المتحدة — واضح للجميع ، وقد أدرك الزعماء الإفريقيون ، من قبل أن الضربة الغادرة التى وجهتها اسرائيل إلى مصر عام ١٩٥٦ كانت فى الواقع موجهة لفتح ثغرة فى شمال القارة يستطيع أن ينفذ منها الاستعمار الفرنسى والاستعمار البريطانى للقضاء على جميع الحركات الوطنية الإفريقية ، ومع هذا فإن الدعاية الاسرائيلية ماتزال تدق الطبول معلنة استعداد هذه الدولة العاجزة المتسولة لتقدم مختلف المعونات ، وتعمل الدول الاستعمارية من جهة أخرى على ربط ما تبقى من مستعمرات بالعجلة الإسرائيلية قبل إعلان الاستقلال ، حتى تستقل « المستعمرة » عن بريطانيا أو فرنسا وهى فى الواقع مشدودة إليهما وإلى العم سام من وراء المحيط ..

.. ولا يقل دور التبشير فى تكبيل الحركات الوطنية الإفريقية وعرقلتها عن دور الصهيونية ، فإن الذين يلبسون مسوح الرهبان ممن بعثت بهم الجمعيات الدينية فى أنحاء أوروبا وأمريكا ، وممن بعث بهم الفاتيكان ، هم فى الواقع مبشرون باستعمار قبل أن يكونوا مبشرين برسالة السيد المسيح .

وقد مرت عشرات السنين على هؤلاء السادة وهم يتخللون القارة من أدناها الى أقصاها متظاهرين بهداية الضالين وتنوير الأميين وعلاج المرضى ، ولكن جهودهم فى كل ذلك كانت على أضيق نطاق ؛ أما جهدهم الرئيسى المستور ، فكان تمهيد العقول للانصراف عن شئون هذا العالم الحقير والاتجاه إلى التأمل فى « ملكوت السماء » وتهيئة النفوس للخضوع للسادة البيض ، رسل التقدم والحضارة والمدنية .. وقد ظل السادة المبشرون يخفون رسالتهم الحقيقية وراء مسوحهم الفضفاضة وظلوا على تعاون تام مع الحكام المستعمرين ، مغمضين أعينهم على المظالم والجرائم التى ترتكب وتنتهك بها حقوق الإنسان وكرامة

البشر ؛ إلى أن بدت فى الأفق بشائر الزحف الإفريقى ، وسجلت أنوفهم الحساسة هبوب ريح الحرية فى كل اتجاه ، وسرعان ما تظاهر بعضهم « بعدم الرضى » عن الإمعان فى جنون التفرقة العنصرية (وإن كان القسس البيض فى جنوب القارة مازالوا متعاونين مع حكومة اتحاد جنوب إفريقية ، فى القطاع الكنسى من التفرقة العنصرية) . واجتمع أساقفة تنجانيقا — منذ بضع سنين — وأصدروا بياناً ذكروا فيه أنهم لا يعارضون الأمانى المشروعة للوطنيين الإفريقيين ، ثم نصحوا هؤلاء الوطنيين « بالتريث » ...

وأخذت البعثات التبشيرية فى غانة ونيجيريا وفى مختلف المستعمرات الفرنسية والانجليزية فى التقرب إلى الزعماء الذين توافدوا على مسرح الحكم والسلطان ، وأفلحوا فى حالات كثيرة فى التظاهر بمسايرة الحكومات الوطنية ومنحها البركة والدعاء لها بالنجاح ، ولم يشذ عن ذلك إلا رسل التبشير فى جنوب السودان ، فإنه قد أغراهم بُعد الإقليم عن الحكومة المركزية ، ومتاخمته حينئذ لمستعمرات مكبلة بالأغلال (الكونغو وأوغندا) فأشعلوا نار الفتنة التى لم يعرف التاريخ الحديث لها مثيلا فى القسوة والتوحش ، ولكن الأقدار أفسدت تدبيرهم ونجى السودان من أن يتمزق أشلاء متناثرة ...

وقد عاد من الكونغو — منذ أيام — أحد المجاهدين الأفارقة فسألناه عما يجرى هناك ، ولم ندهش إذ علمنا أن وراء حركات الانقسام ، وأصحاب التردد وأنصار المساومة مع بلجيكا ، أن وراء هؤلاء جميعاً رسل الفاتيكان ، وعلى رأسهم الأسقف « مالولا »

وهذا الأسقف الإفريقى كان إلى عهد قريب قسيساً من العامة قانعاً بمركز متواضع فى الكنيسة ، ولكن اشتداد الحركة الوطنية فى الكونغو دفع المسئولين فى الفاتيكان إلى تنصيبه أسقفاً ، ولم ينس هو هذا الفضل بعد أن استقلت بلاده ، فقد عمل — وما يزال — على تحطيم الاستقلال وبث الفرقة فى الصفوف ، واذاعة الترهات عن نوايا « لومومبا » وجماعته من الوطنيين المخلصين ، وقد سقط القناع عن السادة « المبشرين » فى أماكن كثيرة من القارة ، وبلغ منهم الفزع من « ريح الحرية » أن دخلوا — علنا — معترك السياسة ، وقاموا بإنشاء أحزاب سياسية

وقد حدث ذلك فى أوغندا ، حيث قام المبشرون البروتستنت بتأليف الحزب التقدمى ، وقام المبشرون الكاثوليك بتأليف « الحزب الديموقراطى » . ومن الطريف أن الحزب الديمـــوقراطى يدعو إلى إبقاء سلطة « الملوك » وزعماء القبائل ويرفض الاستقلال قبل أن يحصل هؤلاء مقدماً ، على « ضمانات دستورية » من بريطانيا ...

ولكن الذى هو أكثر طرافة من ذلك

أن مرشحى هذين الحزبين قد سقطوا جميعاً فى انتخابات «المجلس التشريعى» التى جرت فى العام الماضى ، والتى أشرف على إجرائها الحاكم البريطانى...

* * *

وفى الوقت الذى تعانى فيه القارة من حبائل « معـاهدة روما » التى تمخضت عن « السوق الأوربية المشتركة » تلك السوق التى تنظم تصريف منتجات الدول الاستعمارية الحالية (فرنسا وبلجيكا وهولندا) والدول الاستعمارية السابقة (ألمانيـا وإيطاليا) فى القارة الإفريقية ، وتنظم الحصول من القارة على المواد الأولية بأرخص الأسعار ؛ فى هذا الوقت الذى تحاول فيه الدول الإفريقية المستقلة تخليص إفريقية من شراك هذه السوق بإقامة منظمات اقتصادية إفريقية يدخل الدولار الأمريكى إلى الميدان فى حقائب شركات البترول (كما هو الحال فى الشمال الإفريقى)وفى ركاب شركات التعدين (كما هو الحال فى موريتانيا وليبيريا ، وفى كاتنجا) .

ولم يكتف رسل الدولار بما حققوه من مغانم حتى اليوم ، وإنما تزايد نهمهم بتزايد الدول الإفريقية المستقلة ، فهم عاكفون بحماس على إرساء قواعد « الاستعمار الجديد » قبل أن ينزاح عن أرض القارة ظل الاستعمار القديم .

ومن ظواهر ذلك تنافس « مرشحى الرياسة » الأمريكيين فى إظهار اللهفة لبسط سيطرة الدولار على قارتنـا «المسكينة» وكان آخر ما وصلنا من ذلك تصريحات السيد « كنيدى » مرشح الحزب الديموقراطى الذى أعلن « أن الولايات المتحدة يجب أن توجه عناية أكبر إلى قضايا إفريقية وأن تساعد الدول التى استقلت حديثاً هناك من الناحيـة الاقتصادية والسياسية . وأن الولايات المتحدة ستجد نفسها مضطرة للاهتمام بتلك الدول أكثر من أى وقت مضى» .

وقد انتهز السيد كنيدى فرصة مقابلته لزعيم عمالى إفريقى يتردد الآن فى مهب الرياح هو السيد « توم مبويا » فأخذا يتبادلان الرأى حول «المساعدة» التى يمكن للولايات المتحدة أن تقدمها للمناطق التى استقلت حديثاً لتدريب شعوبها على حكم أنفسهم بأنفسهم وتوفير المعونة الفنية « لتدعيم اقتصادياتها»

وتوالت التصريحات من السيدين « المتفاهمين » فقال السيد « مبويا » إنه يأمل أن يتم الاتفاق حول قدوم ٢٥٠ طالباً من شرق ووسط إفريقية للولايات المتحدة للدراسة بجامعاتها .

وصرح السيد « كنيدى » أن «مبويا» قد تحدث عن التقدم الذى تحرزه روسيا فى منحها الفرص للطلبة الإفريقيين للدراسة فى موسكو ، وأنه « يشعر» بأن الروس قد يسمحون بدخول ألف طالب إفريقى أوما يزيد على هـذا

العدد فيما تسميه موسكو « جامعة صداقة الشعوب » .

ومن الطرف الشرقى « للحرب الباردة » جاءت التصريحات بأن أمريكا تتنافس مع المستعمرين القدامى (بريطانيا وفرنسا وبلجيكا) ، على احتكار ثروات إفريقية . وأن رؤوس الأموال الأمريكية زادت عما كانت عليه زيادة هائلة ، ويبدو من ذلك أن أمريكا تريد العودة فى إفريقية إلى « نظرية الفراغ » ، وأن أمريكا تعيد النظر « بشكل محموم » لاكتساب الأصدقاء فى إفريقية . وهكذا تتجمع نذر الحرب الباردة فوق إفريقية ولا يقتصر الأمر فى ذلك على أفعال الحكومات والشركات ، وإنما يظهر فى الأفق نفر من المغامرين الدوليين

وآخر من سلطت عليه الأضواء من هؤلاء ، ذلك السيد الأمريكى المدعو « ادجار دتوايلر » Edgar Detwiler وهو الذى اندفع إلى الكونغو غداة قيام الاضطرابات فيه ، ثم صحب « لومومبا » فى الطائرة التى حملته إلى نيويورك ، وهو أيضاً الذى أطلقت عليه مجلة « تايم » لقب « الآخذ بيد الكونغو "Congo Developer" وقد أعلن السيد « توايلر » وهو فى الطائرة مع الزعيم الإفريقى أنه قد جاء بنصر عظيم للعالم الغربى ، وزعم أنه وقّع اتفاقاً مع « لومومبا (مدته ٥٠ عاماً) لكى يعملى مستشاراً للكونغو فى شئون المعادن والبترول والقوى الكهربائية وأنه قد أسس منذ شهر واحد شركة تسمى « هيئة الأعمال الدولية الكونغولية » وأن شركته هذه تنوى — بعد تصديق برلمان الكونغو على اتفاقيته مع « لومومبا — أن تقوم ببناء المطارات ومد أنابيب البترول وشق الطرق وتشييد المستشفيات ، ثم هتف سيادته قائلا : لقد أنقذنا الكونغو ... !

وقد نسيت وكالات الأنباء وهى تدق الطبول لـ « منقذ الكونغو » أن تذكر شيئا من تجاربه السابقة فى إفريقية ، وأقربها إلى الذاكرة تجربتان :

الأولى فى ليبيريا حينما استطاع أن يحصل (فى عام ١٩٥٣) على امتياز لاستخراج الحديد الخام من منطقة « نيمبا » وقد فشل المشروع وخرج السيد « دتوايلر » مطروداً من ليبيريا .

والثانية فى غانة حينما تقـدم بمشروعات لبناء المطارات ومد أنابيب البترول ... الخ وعندما اطلعت حكومة غانة على إمكانيات سيادته أصدرت أمرها اليه بمغادرة البلاد فوراً وقال حينئذ وزير الاستعلامات « كويكو بواتنج » : لو عاد هذا الرجل فسوف نقذف به إلى البحر . . ومن هذا الاستعراض السريع للقوى التى تتكاتف ضد الوطنية الإفريقية يتجلى واجب القادة الافريقيين الوطنيين وأعبـاؤهم المنتظرة فى كفاح « الاستعمار الجديد » .

بعض الأسس الجغرافية للتعاون الإفريقي الآسيوي

للدكتور عبد العزيز كامل

الأرض والسكان هما العنصران الأساسيان فى أى دراسة جغرافية . والأرض الحالية قد تكون هامة من الناحية العلمية الخالصة . والصفات البشرية يدرسها علم السلالات البشرية دراسة موضوعية ، ولكن لا تبدو على وجه الأرض تعبيراته وشخصيتـــه الجغرافية إلا حيث يوجد الإنسان .

والدراسة الجغرافيـــة متطورة بطبيعتها ، وتحتاج دائماً إلى تقييم وإعادة تقييم . ففى عهد الطيران قل الإحساس بالعوائق الطبيعية . وتعدلت الأهمية النسبية للمواقع ، فأصبحت المنطقة القطبية الشمالية معبراً رئيسياً بين آسيا وأوروبا من ناحية وأمريكا الشمالية من ناحية أخرى . بينما كانت قليلة الأهمية فى عصر المواصلات البرية والبحرية . وتعدلت النظرة لمكونات البيئة الطبيعية وما فيها من ثروات ، فبرزت أهمية بعض العناصر فى الصناعات الجديدة . ونشط الانسان فى إحلال بدائل محل الخامات القديمة ، وتحولت مناطق كانت مراعى وغابات إلى مزارع ومناطق صناعية .

وفى المجال الدولى تغير ميزان القوى فى النصف قرن الأخير ، وأصبحت دراسته تحتاج إلى سلسلة متتابعة من الخرائط السياسية ، ومع سرعة تطور هذه العلاقات والتغيرات يمكن أن نميز فيها الآن بين اتجاهين رئيسيين :

١ – الاتجاه الأول المستند إلى سياسة القوة وتمثله المعسكرات الدولية الكبرى . ولا زال – فى بعض مظاهره – امتداداً لسياسة القرن التاسع عشر الاستعمارية التى ترمى إلى تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ تجمعت فى الوقت الحاضر فى معسكرين ، تقوم علاقاتهما على أساس الحرب والاستعداد لها ، وإنشاء شبكات الأحلاف باسم التطويق أو الإحاطة .

٢ – الاتجاه الثانى المستند إلى يقظة الضمير العالمى الذى تمثل فى مؤتمر باندونج (إبريل ١٩٥٥) وما تبعه من مؤتمرات ، ويعتمد اعتماداً رئيسياً على إبراز شخصية الدول والشعوب الآسيوية والإفريقية . وكان عدد كبير منها يعتبر – إلى وقت ليس ببعيد – سلعاً فى سوق السياسة . وتحاول هذه المجموعة من الدول أن تقيم علاقاتها الجديدة على أساس من التعاون على مستوى واحد . تعاون ليس فيه استغلال إقتصادى أو سيطرة سياسية ، وتؤمن بالتعايش السلمى . وتعمل على التحرر من السيطرة الاستعمارية القديمة على اختلاف صورها والقضاء على العلاقات الرأسية بين الدول التى كانت تحتل بها مجموعة من القوى الدولية رأس القائمة ، وتجعل بقية العالم أتباعاً – على أن تحل

محلها علاقات أفقية يسود بها التعاون الشريف بين البشر .

المحيط الهندى :

والترابط بين الشعوب والدول كانت له طبيعته الخاصة فى العصور القديمة والوسطى . وهى طبيعة حدّدتها المستويات الحضارية وظروف البيئة الطبيعية . وإذا نظرنا إلى العالم القديم وجدنا المحيط الهادى يمتدّ شرق آسيا باتساعه الهائل الذى يشمل نحو ٥٤ مليون ميل ، من مضيق بهرنج فى أقصى الشمال إلى أنتاركتيكا فى أقصى الجنوب على طول جبهة من المياه المتصلة يبلغ امتدادها نحو ١٠,٠٠٠ ميل وتقابلها آسيا ــ أضخم مساحة يابسة ، وفى الغرب تشرف إفريقية على المحيط الأطلسى وهو المحيط الثانى بعد الهادى ومساحته نحو ٣١,٥ مليون ميل ؟ وبين القارتين يمتد المحيط الهندى بمساحة تبلغ نحو ٢٨,٤ مليون ميل ؟ وهو المحيط الوحيد المقفل من الشمال .

فمن ناحية المساحة يقل المحيط الهندى عن الهادى والأطلسى اللذين يحددان آسيا من الشرق وإفريقية من الغرب . ولكنه مع هذا كان له دور كبير فى توثيق العلاقات بين القارتين من قديم ، وتتوغل مياهه بينهما نحو الشمال الغربى عن طريق البحر الأحمر والخليج العربى ويقترب البحر الأحمر فى نهايتيه الشماليتين من البحر المتوسط ويتصل هذا بدوره بالبحر الأسود . ولا يبتعد هذا كثيراً عن بحر قزوين مما دعا ماكينور الجغرافى البريطانى إلى أن يسمى هذه المنطقة « منطقة البحار الخمسة » ومن هنا تبدو أهمية الشرق العربى كإقليم اتصال بين قارات العالم القديم ، تنحدر فيه شرايين التجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وكانت طرق التجارة القديمة تبدأ من نقط متناثرة على شواطئ المحيط الهندى . وتسلك البحر الأحمر حتى أطرافه الشمالية ، ثم تتبع الطريق البرىّ إلى موانى مصر الشمالية ؛ أو تتبع الخليج العربى حتى مكان البصرة ، ثم الطريق النهرى إلى الشمال الغربى ، وتنتقل بعد هذا براً إلى موانى الشام . ولم يكن الملاحون يبتعدون كثيراً عن الشواطىء فى المحيط الهندى أول الأمر حتى استطاع هبالوس الملاح اليونانى فى القرن الثانى قبل الميلاد أن يتعلم فن الملاحة المباشرة فى المحيط الهندى من بلاد العرب إلى الهند بمساعدة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تهب فى الصيف . وسلك التجار طرقاً بريّة فكانت القوافل تتبع نهر السند وجيجون ، ثم بحر قزوين وتصعد فى نهر الفولجا ، ثم تنحدر فى الدون إلى بحر آزوف ، ومن ثم إلى مدينة ثيوروسيا القديمة . وكانت بضائع الهند ترد القسطنطينية عن طرق نهر الكنج

حتى أجرا ثم إلى سمرقند فى آسيا الوسطى حيث يلتقى تجار الشرق والغرب .

وتغيّرت الأهميـــة النسبية لهذه الطرق ، وإن تشابهت السلع التى كانت تحملها من آسيا وبعض أجزاء شرق إفريقية . وكانت التوابل تمثل الحمولة الرئيسية للسفن والقوافل مع العطور وبعض الصناعات الدقيقة ، وانعكس تذبذب هذه الأهمية على درجة ازدهار المدن .

ومن الناحية الجغرافية تستطيع أن ترى أن طبيعة الروابط فى هذه المرحلة كانت تجارية بحته . فالبيئة الطبيعية حددّت نوع السلع التى ينتجها الشرق كما حددت طرق التجارة البرية ويرتبط هذا إلى حد بعيد بشواطئ المحيط الهندى والبحار والطرق المتصلة به . فى هذه المرحلة لم يكن وجه آسيا ولا إفريقية متجها نحو قلب القارة . وبعبارة أخرى كانت نظرة كل من القارتين بحرية لا قارية . فالعقبات الكبيرة من الصحارى الواسعة والجبال الضخمة الممتدة والغابات الكثيفة . . لم تعط فرصاً كبيرة للترابط الداخلى بين القارتين ، وكانت السمة الرئيسية هى التوجيه الجغرافى نحو البحار .

المحيط الأطلسى :

ومع تطور العناية بالدراســات البحرية ، ونتيجة للوضع الاحتكارى فى تجارة التوابل ، بدأ البحث عن طرق جديدة للوصول إلى الشرق الأقصى . وأدّت هذه الجهود إلى كشف العالم الجديد والدوران حول إفريقية . واشتد الصراع بين القوى البحرية فى مياه المحيط الهندى وظل المحيط الهادى حاجزاً ضخماً بين آسيا وأمريكا واقتصرت أهمية إفريقية أول الأمر — إلى حد كبير — على بعض التجارة الساحلية وإنشاء محطات تصلح لتجميع التجارة أو لتموين السفن فى رحلتها الطويلة إلى الشرق الأقصى .

ووقفت العوامل الجغرافية فى سبيل سرعة وصول هذة المؤثرات الجديدة إلى قلب القارة . فإفريقية من ناحية الشكل العام قارة متجمعة ، ليست فيها خلجان كثيرة تساعد على التوغل إلى الداخل . وللساحل الغربى عيوبه ، فإلى الجنوب من إقليم البحر المتوسط يمتد نطاق صحراوى يليه نطاق مدارى، فاستوائى والمناخ هنا غير ملائم للاستيطان الأوروبى ، وكان لهذا أثر عميق على تطور الحركات التحررية . ويتكرر الترتيب المناخى والنباتى نفسه فى النصف الجنوبى . وصلاحية الأنهار للملاحة محدودة ، وتعترض مجاريها الجنادل والشلالات كما تعترض مصباتها الشطوط الرملية فى بعض الأحيان . أما الساحل الشرقى فصلاته قوية بآسيا وبالشرق الأوسط : وانتشر فيه الإسلام

وتكوّنت فيه دول عربية فى ساحل البنادر والزنج ، وتوغّل العرب فى شرق إفريقية كما حمل الملاحون العرب معهم الإسلام والثقافة العربية إلى جنوب وشرق آسيا . وتشابكت بذلك العلاقات الثقافية والإقتصادية فى عالم المحيط الهندى .

أما من الشمال فامتدت هـذه المؤثرات من بلاد العرب وعبرت العراق إلى آسيا الوسطى ودخلت إفريقية وامتدت على المحور النيلى إلى الجنوب ، وعلى الساحل الشمالى إلى الغرب ، ثم دارت مع الساحل الغربى ، وتتبعت الواحات المنتشرة فى الصحراء ، وتابعت تقدمها حتى التقت مع الموجة النيلية فى النطاق الرعوى الذى يمتد فى إفريقية من المحيط الأطلسى إلى هضبة الحبشة .

وساعد موقع الجزيرة العربية المتوسط واتصالاتها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية — ساعد هذا كله على سرعة توغل هذه المؤثرات ، وصبغ الإقليم كله بالثقافة العربية والإسلامية والتحكم فى التجارة ، مما مهد السبيل إلى حركة الكشف البحرى وبروز أهمية المحيط الأطلسى كعامل جغرافى مؤثر فى العلاقات الإفريقية والآسيوية .

من هذه الناحية نستطيع أن نرى أثر البيئة الجغرافية والعلاقات المكانية فى تحديد وظيفة الإقليم وكيف ساعدت هذه العوامل على أن تقوم الجزيرة العربية بدور خطير فى تطوّر العلاقات فى العالم القديم ، ويتّضح هذا إذا قارناها بالهند مثلا فالهند شبه جزيرة مقفلة من الجنوب وتوفّر لها البحار المحيطة بها — إلا من الشمال — نوعاً من الحماية الطبيعية . ومن ناحيـة أخرى ، إذا انتهت إليها المؤثرات تراكمت فيها ، ولا تستطيع الجماعات المهزومة سياسياً أو اجتماعياً أن تجد لها مخرجاً سهلا من شـبه الجزيرة . وبتكرر مجىء هذه المؤثرات يتكوّن المجتمع على أساس طبقى تحسّ فيه كل جماعة أنها أعلى ممن دونها . ويحتاج تعديل هذا الوضع الرأسى إلى تطور عقلى لابد أن تعطى له الفرصة الطويلة ليثمر ويستقر ويصبح أساساً جديداً للحياة .

مع كشف العالم الجديد والدوران حول إفريقية ، دخلت العلاقات الإفريقية الآسيوية فى طور جديد . فالقوى البحرية التى ساهمت فى التجارة والصراع عليها ، بدأت أول الأمر فى متابعـة الأسلوب القديم من التعامل التجارى . ثم ما لبثت أن أخـذت تتدخل فى الأوضاع السياسية وساعدها على ذلك تفوقها العلمى وإمكانياتها المادية ، وسرعان ما تحولت التجارة إلى استعمار سافر امتد من النقط التجارية

الساحلية إلى الداخل . وحدث هذا فى آسيا أسرع مما حدث فى إفريقية وتزاحمت القوات الاستعمارية فى بحار آسيا ، تغريها الثروات المعلومة وأطياف الثروات المجهولة . وظلت صلات إفريقية بالاستعمار — فى هذه الدورة — مقتصرة إلى حد كبير على النقط الساحلية حيث تتجمع التجـــارة والرقيق ، وتنقل إلى الأسواق الأوروبية أو الأمريكية .

كان استغلال إفريقية فى هـــذه المرحلة هدمياً ، يحاول أن يحصل من القارة على أقصى ما يستطيع الحصول عليه وكان الرقيق السلعة الأولى التى تصدرها إفريقية . وعرف المحيط الأطلسى المثلث التجارى :

١ — تبحر السفن من غرب أوروبا إلى غرب إفريقية تحمل بعض السلع الأوروبية .

٢ — تبيع هـــذه السلع فى غرب إفريقية وتحمل الرقيق فى رحلتها الثانية إلى أمريكا ، فتدفع الرقيق إلى الحقول والمناجم .

٣ — ثم تحمل خامات أمريكا ومصنوعاتها إلى غرب أوروبا فى رحلتها الثالثة .

واشتدت قبضة القوات الأوروبية على آسيا الموسمية جنوب شرق النطاق الجبلى وامتد النفوذ إلى الشرق العربى . وبقى قلب آسيا اليابس بعيداً عن سيطرة هذه النفوذ ، يحميه المحيط المتجمد من الشمال والجبال من الشرق والجنوب ، ويتمتع بميزة الدفاع العميق من الغرب . كانت آسيا فى هذه المرحلة حقلا لإنتاج المواد الخام ، وسوقاً لتصريف المصنوعات الغربية ، ومن الناحيـــة الجغرافية ظل التوجيه بحرياً نحو الخارج ، وإن توغل الاستعمار فى آسيا الموسمية والمتوسطية ، وعملت العوائق الطبيعية كقوة مركزية طاردة تتجه بها المؤثرات نحو المحيطات المجاورة .

المحيط الهادى :

وتأخرت تأثرات المحيط الهادى عن الأطلسى ويرجع ذلك إلى عدة أسباب ، فالنمط القارى للعالم الجديد يتجه نحو المحيط الأطلسى . الأرض والمعادن والسكان والتاريخ كلها تواجه العالم الأوروبى الإفريقى . وهناك حاجز جبلى ضخم يشرف على المحيط الهادى ، ويمتد فى أمريكا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وقد سكن المهاجرون الأول شرق أمريكا وتبلور نشاطهم فى اتجاهين :

١ — الاتجاه الأطلسى : فهم يحصلون من المناطق المدارية الإفريقية على حاجتهم من القوة البشرية وبعض الخامات ويدفعون بمنتجاتهم إلى المناطق المعتدلة والباردة .

٢ — نحو قلب القارة : وكفاحهم هنا يهدف إلى مد نفوذهم غرباً إلى أقصى مدى ممكن.

واستغرق من أول خط حديدى يعبر الولايات المتحدة نحو قرنين وتم فى العقد السابع من القرن الماضى بعد كشف الذهب فى كاليفورنيا واندفاع المهاجرين إليها . وكان شق قناة بنما وافتتاحها عام ١٩١٤ تعبيراً جديداً عن اهتمام الولايات المتحدة بعالم المحيط الهادى .

وشاهدت هذه الدورة تطوراً له خطره فى علاقات الغرب بالعالم الآسيوى الإفريقى . فبعد حرب الاستقلال الأمريكية حاولت بريطانيا —

تحت ستار محاربة الرق – أن تستعين بالقوة البشرية فى افريقة بدلا من تصديرها إلى أمريكا وتعاونت معها فى هذا القوات الاستعمارية الأوروبية . وزاد الإحساس بافريقية ونشطت عمليات التقسيم والتسابق فى الحصول على خامات الصناعة والمواد الغذائيــة اللازمة للسكان المتزايدين ، ثم فتح أسواق للانتاج المتضخم .

ومن ناحية أخرى زاد اهتمام الولايات المتحدة بالمحيط الهادى ، بعد أن تم ربط شرق أمريكا الشمالية بغربها . فأيدت اليابان للضغط على القوة البرية – روسيا – لتحول دون وصولها إلى المحيط . وحاولت فى الصين المحافظة على سياسة الباب المفتوح فى التجارة الخارجية . من أجل ذلك حاولت أن تحافظ على الوضع السياسى القائم فيها . ومع اعتبار الولايات المتحدة لصلات الصين بجيرانها ، إلا أنها كانت ترى أن سيطرة قوة واحدة أو مجموعة من القوى على الصين يعارض مصالح كل من الولايات المتحدة والصين .

فالمحيط الهادى الذى كان حاجزاً له خطره بين غرب أمريكا وشرق آسيا ، أصبح طريقاً رئيسياً من طرق التجارة . وتقدمت فيه المراكز الاستعمارية الأمامية حتى أصبح هذا المحيط مرقشاً بنقط عسكرية تمثل قوات الاستعمار الرئيسية فى العالم .

وعلى هذا شاهد العالم الإفريقى الأسيوى زحوفاً قوية من ثلاث جهات : من الشرق عن عن طريق المحيط الهادى ، ومن الغرب عن طريق المحيط الأطلسى ، ثم عن طريق البحر المتوسط .

المحيط القطبى الشمالى :

ومع تقدم الطيران برزت أهمية المحيط القطبى فى العلاقات الآسيوية ، فأصبح طريقاً رئيسياً من طرق الاتصال بين نصفى الكرة ، بل ليس من المغالاة فى شىء ، اعتبــاره محيطاً قطبياً متوسطاً بين العالمين القديم والجديد .

تعبره الطائرات فى رحلاتها التجارية والعسكرية . وجاءت التجارب العلمية الجديدة لتثبيت عملية الملاحة فى المياه الذاتية تحت الغطاء المتجمد وكان نجاح رحلة الغواصة ناوثيليوس دافعاً إلى التفكير فى إنشاء أسطول غواصات ذرية تقوم برحلاتها تحت الجليد .

وزادت بذلك أهمية هذا المحيط كمدخل شمالى لآسيا وفقدت القارة بهذا حمايتها الطبيعية من هذه الناحية وكانت آخر الأبواب التى تظن الخطر يأتى منها .

* * *

ومن هذا كيف دبت الحياة فى المحيطات التى يشرف عليها العــالم الآسيوى الافريقى ؟ وكيف أصبحت معابر رئيسية تربطه ببقية العالم بعد أن كانت حواجز مانعة ، وكيف أصبحت الآن تنتشر فيها النقط العسكرية وقواعد الصواريخ ؟ وكيف جاءت مؤثرات المحيط الهندى مبكرة فى قصة الحضارة ودخلت بعدها مؤثرات المحيط الأطلسى ثم الهادى ثم القطبى الشمالى أخيراً ؟

وكان للضغط الاستعمارى الخارجى أثره فى التماسك الداخلى ، ونستطيع أن نعتبر معظم الحركات التحررية فى آسيا كفاحاً بين قوى البر وقوى البحر ، كفاحاً بين الوحدات القومية المحلية والنفوذ الخارجى الذى كانت

ولا تزال تسانده الأساطيل والقواعد . ولهذا كانت المراكز الرئيسية لهذه الحركات فى الداخل بعيدة ما استطاعت عن مراكز السيطرة الاستعمارية ومستفيدة من عمق الدفاع . وأثبت القلب الآسيوى حيويته فى هذه المرحلة عن طريق التعاون بين أبناء القارة ، ولذا كان اتجاه الحركات التحررية من الداخل إلى الخارج واستطاعت أن تدفع بكثير من هذه القوات الغازية إلى المحيط الذى جاءت منه ، وإن بقيت بثور استعمارية محدودة الأهمية والمدى فى أطراف آسيا الخارجة .

والجبال الداخلية والغابات والأجزاء النائية التى كانت عقبات فى سبيل التجارة والاتصال الداخلى ، ظهرت قيمتها فى الحركات التحررية .. وجاء الطيران ليضعف من أهمية هذه العوائق وقويت الروابط العقلية بين أبناء القارة. ومهد هذا كله للتعاون الشامل الذى يستفيد من إمكانياتها الطبيعية والبشرية

أما عن إفريقية فكانت أول الأمر من نصيب البرتغال على أساس معاهدة كوربسلاس فى عام ١٤٩٣ التى اتخذت خط ٦٠ غرباً حداً يفصل بين ممتلكات البرتغال شرقاً وأسبانيا غرباً.

وجاء الهولنديون فى القرن السادس عشر وحاولوا منافسة البرتغـــاليين والأسبان فى الميدان الاستعمارى واستطاعوا أن يثبتوا أقدامهم فى جنوب القارة وأنشأوا لأنفسهم وطناً جديداً . وفى الحروب النابليونية احتل الأسطول البريطانى منطقة الرأس .وبدأ الصراع بين البربر والبريطانيين من أجل الثروة المعدنية ، حتى استطاعوا السيطرة على الجنوب : وشاهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر تسابقاً استعماريا بين البريطانيين والفرنسيين والألمان . ونشطت الكشوف الجغرافية لملء الفراغ العلمى فى قلب القارة — وحاولت الدول الاستعمارية تنظم خطوطها فى مؤتمر برلين ١٨٨٥. ودار الصراع فى شرق إفريقية بين الألمان والبريطانيين . واستطاعت بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى أن تصفى ممتلكات ألمانيا فى إفريقية . وأن تفرض وصايتها على تنجانيقا وتمد نفوذها على جنوب غرب إفريقية وأصبح تحت وصاية حكومة اتحاد جنوب أفريقيـــة وقسمت توجلاند وساحل غانة بين فرنسا وبريطانيا . وكذلك الكمرون أعطى جنوبه لفرنسا وشماله لبريطانيا فى نيجيريا .

وامتاز هذا الدور الذى استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى بتسلط واسع من القوى الاستعمارية على القارة استطاعت به أن تتحكم إلى مدى بعيد فى الحركات التحررية وأن تخضعها بشدة وعنف ، واستفاد الاستعمار من بعض الظروف الجغرافية فى القارة .

فمناطق الاستقرار البشرى بها تمثل جزائر متناثرة من المعمور تفصل بينها مساحات واسعة من الصحارى

والغابات والمستنقعات والمناطق الجبلية الجرداء . وهناك تباين واضح فى التضاريس والظروف المناخية جعل طبيعة الاستعمار فيها مختلفة من منطقة إلى أخرى . فمن جنوب القارة إلى شرقها يمتد نطاق من المرتفعات يعتدل فيه المناخ حتى يصبح مناسباً للاستيطان الأوربى . وحاول الإستعمار أن يجعل من هذا النطاق الجبلى محوراً أبيض ترتقى حوله القارة . وأخذ المستوطنون فى طرد الأهالى من أرضهم وابتدعوا سياسة المعازل التى ألجأوا اليها الإفريقيين فى ظروف بائسة ترتفع فيها كثافة السكان ، وينخفض مستوى المعيشة أو لا تتوافر فيها ظروف الحياة الملائمة. وأجورهم بعد هذا على العمل فى المزارع والمناجم .

شىء قريب من هذا حدث فى شمال إفريقية الذى شاهد امتداداً للنفوذ الأوروبى تمثله انجلترا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا . أما فى غرب إفريقية فطبيعة الاستعمار مختلفة لاختلاف ظروف البيئة الطبيعية ، فى هذا الجزء من القارة يسوء المناخ ، وترتفع درجة الرطوبة مع الحرارة وتنتشر، أمراض المناطق الحارة مما يجعل المنطقة غير مشجعة على الاستعمار الأوروبى . وفى هذا يذكر دكتور أزيكوى – « إن البعوضة أعظم أصدقاء الشعب النيجيرى » ولهذا كان الاستعمار فى غرب القارة استغلالياً بلا استيطان واقتصر على تسخير الأهالى فى المزارع والمناجم تحت إشراف إدارات أوروبية محدودة العدد . ولا مانع عند الدول الاستعمارية من أن تلين أمام ضغط الحركات التحررية فى غرب إفريقية وتحاول فى الوقت نفسه المحافظة على مصالحها الاقتصادية . بينما تتشدد كثيراً فى شرق القارة وجنوبها حيث يجمع الاستعمار بين الاستيطان والاستغلال الاقتصادى . ولعل هذه العوامل الجغرافية تفسر بعض المناهج الاستعمارية ورد الفعل الذى تحدثه الحركات التحررية فى أجزاء القارة المختلفة .

استطاع الاستعمار فى هذه الدورة أن يعزل الحركات القومية بعضها عن بعض . ولم تكن وسائل المواصلات ولا تطور الوعى يساعدان على إيجاد نوع من التعاون بين شعوب القارة فضلا عن تنسيق التعاون بينهم وبين الشعوب الآسيوية . ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية أدت إلى تغيرات خطيرة فى إفريقية تتصل بما حدث فى آسيا . فالقارة الأم شاهدت مولد وحدات سياسية مستقلة واستطاع مئات الملايين أن يطرحوا عن أعناقهم نير الاستعمار ، وأن يجروا جراحة ضخمة فى خريطة آسيا السياسية ، ووضعها العالمى . ولا شك فى أن ظروف آسيا ساعدتها على سرعة الأفاقة من التأثيرات الاستعمارية . والذى يهمنا منها الآن الظروف ذات

الطابع الجغرافى : القوى البشرية الكبيرة كالمستوى الحضارى، الاستفادة من عمق الدفاع فى القارة، إمكان التنسيق بين القوى البشرية الآسيوية عن طريق قلب القارة. وهى ظروف لم تتوافر بهذه الدرجة من القوة فى إفريقية حتى الآن

بل إن تصفية الاستعمار الغربى فى آسيا ألقت أعباء جديدة على إفريقية إذ شددت بريطانيا وفرنسا قبضتهما على ما بقى لهما من نفوذ إمبراطورى وتحولت رؤوس الأموال الأمريكية إليها وكثر حديث الاستعمار عن القارة العذراء التى ادخرها الله لمستقبل الإنسانية. ونشط البحث عن موارد القارة وتوسيع الاستعمار فى الاستغلال الزراعى والمعدنى والصناعى واشتد فى إرهاق العمال مما أدى إلى تصدع النظام القبلى القديم فى إفريقية المدارية إلى حد كبير .

وأدى هذا إلى احتكاك مباشر بالحضارة الغربية التى ساقت العمال إلى المزارع والمصانع والمناجم وميادين الحرب ، وقامت تجمعات بشرية جديدة فى مناطق الاستقلال الاقتصادى وتصارعت الأفكار واشتد الإحساس بالظلم وتوافرت قيادات إفريقية ، ومن كل هذه الخيوط بدأت إفريقية تنسج رداءات تحررها الجديد .

هذه الحركات التحررية الجديدة بعد تخلصها من النفوذ الغربى لابد لها من الاحتفاظ بموقف متزن فى المحيط الدولى لا تخضع فيه للقوى البرية الآسيوية التى ساعدت بعض هذه الدول فى حركاتها التحررية والتى تطمع فى مد نفوذها من قلب المعسكر الشرقى حتى تصل إلى مياه المحيطات المجاورة . ومما يعينها على هذا أن تدعم التعاون فيما بينها بعيد عن نفوذ المعسكرين الشرقى والغربى وقد اتخذ هذا التعاون خطين أساسين

(١) تعاون حكومى تمثله مجموعة المؤتمرات الآسيوية الافريقية ، باندونج اكرا ، منرفيا ، أديس أبابا ، القاهرة ، ولها آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية محلياً وعالمياً .

(٢) تعاون شعبى يرمى إلى مساندة الحركات التحررية فى الشعوب التى لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار ، وإن تعددت مصادرة مؤتمرات التضامن الآسيوى الإفريقى .

ومن الناحية العملية لا يمكن الفصل بين هذين الخطين المتكاملين .

وقد كان من نتائج التحرر السياسى فى القارتين اتساع فرص التعاون بين الدول الإفريقية الآسيوية وأصبح هناك جذب مركزى حلت محله القوة المركزية الطاردة القديمة التى وجهت آسيا وإفريقية نحو البحار واستطاعت التطورات الحديثة والتعاون الآسيوى الإفريقى وعمق الوعى وزيادة التحكم فى مكونات البيئة الطبيعية .. استطاع هذا كله أن يعطى ملامح القارتين تعبيرا فياضاً جديداً .

من تاريخ غانة

بقلم الأستاذ كمال نشأت

لم يكن ساحل الذهب منذ اكتشفه البرتغاليون عام ١٤٧١ إلى القرن التاسع عشر إلا شريطاً ساحلياً اشتهر بكثرة ذهبه ، وظلت أراضيه الداخلية مجهولة حتى بالنسبة للتجار الأوروبيين الذين بنوا الحصون على الساحل ليعيشوا فيها ، وكل ما كانوا يعرفونه عن الغابات المجهولة والأرض العذراء كانوا يسمعونه من التجار أبناء ساحل الذهب نفسه . فلم يكن أحد يعرف شيئاً عن التلال الخصبة والأرض المعشبة التي تمتد بعد غابات الساحل مئات الأميال شرقي نهر فولتا أهم طريق مائى إلى الساحل . إلا أن هؤلاء التجار استطاعوا التمييز بين أبناء الساحل عن طريق اختلاف اللغـــة والعادات واللهجات ، وكان (الاشانتى) قبل أن يطلق عليهم هذا الاسم يسمون (الأكانز) وكانت لغتهم تشبه لغة ساكنى الساحل. وكان المعروف أن الذهب يوجد بكثرة فى أراضيهم . أما الأراضى الشمالية التى يتكلم سكانها لغة خاصة فلم يعرف عنها الكثير إلا فى الثمانين سنة الأخيرة . والمعلومات التاريخية عن ساحل الذهب جد قليلة إبان اكتشاف البرتغاليين له ، إلا أن الكابتن (جون دى باروس) البرتغالى قد أرّخ لهذه الحقبة ، وإن كان تأريخه للحوادث قد كتب متأخراً عن زمن وقوعها ، ولعل مما جعل لكلامه قيمة تاريخية أنه كان قائداً الحصن (سان جورج) فى (إلمينا) منذ عام ١٥٢٢ إلى عام ١٥٢٥ وترجع قلة المصادر التى تتناول هذه الحقبة من تاريخ غانة إلى الرقابة الشديدة على كل ما يكتب حتى لا تستفيد من هذه الكتابات الدول المنافسة للبرتغال. وقد اعتمد الكابتن (باروس) على ما كتبه (دى بينا) الذى وصف وصول الأسطول البرتغالى إلى الساحل عام ١٤٨٢ ، ومقابلة الزعيم (كارامنكا) وأثر هذه المقابلة فى نفسية أبناء ساحل الذهب .

ولقد ظل البرتغاليون ما يقرب من الثلاثة قرون وهم يتوجسون خيفة من أبناء ساحل الذهب ، وإن كان بعض تجارهم قد صادف رواجاً فى معاملاته التجارية مع الوطنيين ، ومن هنا كانت هذه الحصون التى بنوها على الساحل لحماية أنفسهم .

وسنة بعد سنة زاد إقبـــال الأروبيين على غانة بعد أن مهد

الطريق لهم البرتغاليون وإن ظلت أقدامهم جميعاً لا تجد أرضاً ثابتة تطمئن إليها. ويتحدث التاجر الإنجليزى، (هنرى مريديث) عن هذه الحقبة ، فيقول : إن الأوروبيين لم يستطيعوا المعيشة فى ساحل الذهب إلا عن طريق الإرهاب ويقول مواطن له اسمه (وليام تورسن) قام بثلاث رحلات إلى غانة وسجل كثيراً مما رآه بالتفصيل: إن البرتغاليين كانوا لايحسون بقوتهم إلا على الساحل قرب حصونهم وإنهم كانوا يعاملون الأوروبيين الآخرين والأهالى معاملة سيئة إذا خرجوا على قوانينهم .

إلا أن كثيراً من هؤلاء التجار صادف رواجاً تجارياً ، ويصف (تورسن) مناظر لهؤلاء التجار وهم ينتظرون مجئ زوارق التجار الوطنيين وإن كان بعض هؤلاء الأوروبيين قد استطاع التجوال على الشاطئ لتبادل السلع فى حماية مدافع الحصون .

وقد تمّ خلال هـــذه العمليات التجارية تسرّب بعض الألفاظ الأوروبية إلى ألسنة التجار من الوطنيين . على أن البرتغاليين لم يتمكنوا من منافسة الهولنديين الذين استطاعوا أن يزاحموهم تجارياً ، وأن ينجحوا فى بناء حصون لهم على الساحل ، إلا أن نجاح الهولنديين لم يدم طويلا فقد نافسهم بعد ذلك الإنجليز والسويديون والدنماركيون ، ومنذ عام ١٦٣١ حين استطاع الانجليز تثبيت أقوامهم فى (كورمانتين) أخذ نفوذهم يمتد حتى (سكوندى) .

وفى عام ١٦٦٤ أى بعد مرور سنتين على تكوين شركة المغامرين الملكية للتجارة الإفريقية — نجحوا فى حصن ساحل (كيب) من الهولنديين بعد صراع يجرى بينهما . وحينما حلّت شركة الاحتكار الملكية الإفريقية عام ١٦٧٢ محل الشركة السابقة لم يستطع الانجليز الاستمرار فى منافسة الهولنديين ، وإن كانت شركتهم قد عاشت حتى عام ١٧٥٠ وهى السنة التى أعلنت فيهـــا حرية التجارة .

ويصوّر (جون باربوت) وكيل إحدى الشركات الفرنسية هذا الصراع بين القوتين المتنافستين فى الوقت الذى لم يكن لفرنسا فيه نفوذ على الساحل ويقرر أن الهولنديين كانوا غير محبوبين على طول الساحل ، وإن كثيراً من المتعطلين الذين سدت فى وجوههم أبواب العمل هاجروا إلى غانة ، وعلى الرغم من سلوكهم المعيب — كما يقرر باربوت — كانوا ينتقـــدون عادات الأهالى . إلا أن الأوروبيين — كما سلف القول — عاشوا داخل حصونهم ولم يشعروا بالاطمئنان وان كان هناك نفر قليل منهم استطاع الاتصال بالأهالى معتمداً على حسن نواياهم . ولقد ظلت للأهالى الكلمة العليا فى شئون التجارة ولذلك كان الأوروبيون جميعاً يخشون إغضابهم ، وقد حدث أن أغضب قائد قلعة (إلمينا) الأهالى وهى أقوى قلعة على الساحل فلم يجد مفراً من البقاء

داخل الحصن حوالى ١٠ شهور .

وفى هذه الفترة أخذ الصراع يشتد بين الهولنديين ومنافسيهم من الإنجليز . وحدث أن قام الأهالى من (الأكانز) بثورة عام ١٦٩٤ بعد أن تحالفوا مع عدد من القبائل وطلبوا من الإنجليز مساعدتهم فكان على الهولنديين أن يساعدوا القبائل الأخرى المعادية لهذا الحلف ، وحينما انتصر الإنجليز والأكانز خلعوا رئيس الحلف المهزوم ووضعوا مكانه دُمية وطلبوا منه الذهاب إلى ساحل (كيب) للاتفاق على شروط السلم بينهما وليكون (الصديق الحقيقى للانجليز) . ووقّع الطرفان على معاهدة السلام وكان شهودها تجار من الإنجليز ، وبعد توقيعها أقيمت حفلة حضرها رؤساء الأكانز وحلفاؤهم الانجليز .

إلا أن قوة جديدة ابتدأت تظهر فى الميدان هى قوة (الأشانتى) وكان كثير من أفرادها من الأكانز قديماً ، وكانوا قد حاربوا (الدنكيرس) وكانت لهذه الحروب آثار بعيدة ، أولها سوء حال التجارة . وقد انتهت هذه الحروب بانتصار الأشانتى فاستقر ميزان القوى وإن كان هذا الاستقرار على حساب السلم وحياة الاطمئنان فى الساحل كله . ويعلن (بوزمان) الذى أرّخ لهذه الفترة وكتب كتابه باللغة الهولندية عام ١٧٠٤ إن الذهب الذى جذب الأوروبيين إلى ساحل الذهب ظلّ بعيداً عن أيديهم فى أماكنه فلم يكن واحد من الأوروبيين يجرؤ على التوغّل داخل البلاد وأن التجار الأوروبيين كانوا يسمعون فقط بأسماء الأماكن التى يوجد بها الذهب من أفواه التجار الوطنيين .

وفى عـــام ١٨٠٧ كانت قوة الأشانتى قد وصلت إلى حدٍّ جعلهم يغيرون من داخل البلاد على الساحل فحـــاصروا الحصن الإنجليزى فى (أنومابو) وكادوا ينتصرون إلا أنهم أوقفوا القتال وقد سجّل التاجر الإنجليزى (هنرى مريديث) فى كتابه هذا الحصار وبيّن الأثر الذى تركه ملك الأشانتى وقواده فى نفوس الإنجليزى من احترام لسلوكهم القويم أثناء القتال وبعده ، كما اعترف أن هذه الهدنة التى عقدت بين الطرفين هى التى أبقت على الشرف الإنجليزى كما يقول . إلا أن الإنجيز ابتدأوا يدركون موقفهم ويعرفون قيمة وجودهم فى هذه الأرض الثرية ؛ فابتدأت سياستهم تتجه إلى عدم الاحتكاك وعقد أواصر الصداقة وإقامة العلاقات التجارية التى تمهد لنفوذهم . فقد أدركوا أن بقاءهم على الساحل يبعد عنهم ثروات هذه الأرض البكر فأبدوا استعدادهم لتوثيق عرى التبادل التجارى ولتكن البضائع بدلا من الأهالى الذين كانوا يساقون بالقوة إلى أسواق الرقيق . وتأييداً لهذه السياسة ابتدأ المبشرون يتصلون بالجماهير لتعليمهم

وتهذيبهم تهذيباً دينياً وثقافياً .

ويرجع اتصال غانة بالمبشرين إلى عام ١٧٥٢ حينما وصل إلى الساحل القسيس (توماس تومسون) الذى ابتدأ يقوم بشعائر الدين المسيحى للأوروبيين الذين انتقدهم (باربوت) لإهمالهم الصلاة وشعائر الدين ، كما ابتدأ يجمع الأهالى لينشر بينهم الدين المسيحى بعد أن عاش زمنا فى أمريكا الشمالية بين الرقيق من الإفريقيين . ولقد ظل هذا القسيس أربع سنوات فى غانة وحينما رجع إلى انجلترا لاعتلال صحته اصطحب معه ثلاثة من الغلمان من ساحل الذهب ليتعلموا هناك ، مات اثنان منهم أما الثالث وهو (فيليب كويك) ابن الزعيم (كوجو) من ساحل كيب فقد كرسته الكنيسة الإنجليزية قسيساً وقد عاد عام ١٧٦٥ إلى وطنه ليمارس التبشير والتعليم حتى مات عام ١٨١٦ . وفى الكتاب الذى سجل فيه القس توماس تومسون رحلته وعنوانه (رحلتان تبشريتان) بين فيه أهمية معرفة لغة الأهالى المحلية وعاب على الأوروبيين — وبينهم عدد من المتعلمين — انصرافهم عن تعلم اللغة الوطنية المحلية وقال إن التبشير « لاينجح إلا إذا تعلمنا لغة القوم ..».

وفى عام ١٨٢٧ كانت الإرسالية السويسرية قد بدأت عملها فى (أكرا) تدفعها العاطفة الدينية وفى الوقت نفسه انشئت كنيسة صغيرة فى (أنومابو) أشرف عليها القس (فريمان) الذى كان من أصل إفريقى وقد كرس فريمان وقته للتبشير خصوصاً بين الأشانتى . وقد ساعده على ذلك أنه مواطن لهم كما كان لعقده أواصر الود والصداقة بينه وبين الأشانتى أثر كبير ، ففى الوقت الذى كانت العربات فيه مجهولة خصوصاً فى إفريقية أهدى زعيم الأشانتى عربة صنعت فى انجلترا .

وقد انتشرت الإرساليات فى ساحل الذهب حتى إن الحاكم (وليام وينيت) فى رحلته إلى أرض الأشانتى كان ينزل فى الطريق ليستريح فى الإرساليات وأكواخ المبشرين . إلا أنه فى الوقت نفسه الذى كان عامل التبشير فيه يؤتى ثماره البطيئة دارت الموقعة الأولى بين الحليفين الإنجليز والاشانتى وإن كانت انتصارات الأشانتى ابتدأت تقل يوماً بعد يوم ويرجع ذلك إلى أن الأوروبيين تحالفوا مع بعض القبائل القريبة من الساحل وساعد الدانماركيون هذا الحلف الذى جرد حملة كانت بقيادة قواد من الإنجليز استطاعت الانتصار على الأشانتى فى معركة (دودوا) عام ١٨٢٦ ولم تذكر هذه الموقعة بالتفصيل إلا فى كتاب (تاريخ الأشانتى وساحل الذهب) للقس (كارل ريندورف) وهو من أهالى الساحل ويعتبر أول مؤرخ من الوطنيين تعرض لتسجيل الحوادث التى عاصرته . وكانت معركة (دودوا) نقطة انطلاق بالنسبة

للإنجليز فقد تحسّنت العلاقات بين كثير من القبائل وبينهم، بل إن بعض القبائل رضيت أن تعيش فى رعايتهم وبذلك استطاع الإنجليز الحصول على زيت البلح الذى كانت طلباته تزداد كل يوم من انجلترا .

وأكّد قوة الإنجليز بيع الدانماركيين حصونهم لهم ، تلك الحصون التى أنشأوها على الساحل وبذلك وقع الساحل كله تحت النفوذ البريطانى . واستطاع هذا النفوذ أن يمتد بعد أن وقفت فى طريقه صعوبات كثيرة ووصل هـذا الامتداد إلى عاصمة الأشانتى التى استطاع الإنجليز دخولها . وحينما وصلوا إلى (كماسى) وجدوها خاوية فأحرقوها إلا أنهم تلقوا ضربات قاسية من الأشـانتى الذين كانوا – كعادتهم – يقاتلون داخل الأحراش دون أن يخرجوا إلى الأراضى المكشوفة .

وفى عام ١٩٠٠ أحسّ الإنجليز أن الأشانتى قوة لا يؤمن جانبها وأن من الواجب إخضاعهم ، ولذلك ذهب الحاكم السير (فردريك هودجسون) إلى (كماسى) وبغباء منقطع النظير طلب تسليمه الكرسى الذهبى علامة لخضوعهم واستسلامهم وكان الأشانتى يتخذونه رمزاً وطنياً لهم . وكان السير فردريك يؤمن أنه ما دام هذا الرمز موجوداً لدى الأشانتى فمن الصعب إخضاعهم. وكان أن هبّ الأشانتى وحاصروا الحاكم فى حصن (كماسى) حصاراً شديداً ولم يتمكن الإنجليز من فك الحصار إلا بعد خسـائر فادحة فى الأرواح . وبعد سنة من هذه المعركة أى فى عام ١٩٠١ استطاع الأشانتى تحديد أراضيهم كما حددت الأراضى وتخومها بين الفرنسيين والألمان والإنجليز .

إلا أن جهود الألمان والفرنسيين فى مواطن النفوذ البريطانى جعلت الإنجليز يتوجّسون خيفة منهم ، وكان الطريق قد مهد مع الجنوب لقيام علاقات مودة وتحالف وذلك عن طريق الرحلات السرّية التى قام بها (جورج فرجسون) وهو أحد أبنـاء ساحل الذهب من (أنو مابو) ، وكان الإنجليز قد عيّنوه مساحاً للأرض . وكانت رحلات جورج هذه داخل البلاد حيث استطاع عقد صداقات ومحالفات مع القبائل بقصد محاربة نفوذ بقية الأوروبيين .

ومنذ ذلك الحين والكرسى الذهبى مبعث خلافات وقلاقل ، فقد اختفى بعد حرب عام ١٩٠٠ وقيل إنه دفن فى مكان سرى وكاد أن يعثر عليه بعض عمال الطرق إلا أنه اختفى مرة ثانية .

وأخيراً سرق بعض الذين يعرفون مكان دفنه بعض حليه الذهبية وحينما شاع هذا الأمر حزن الأشانتى وقامت عندهم المناحات .

ولقد أحس الإنجليز بالاتهام المعلق فوق رؤوسهم خصوصاً عند ما رأوا تحفّز الأشانتى للانتقام فحاولوا بمختلف الطرق إفهامهم أن الكرسى الذهبى لا يعنيهم وأنه لا علاقة بينهم وبين هذا الرمز الذهبى .

رسالة من ليبيريا

ترجمة الأستاذ لطفى المطيعى

إن فكرة اتحاد فيدرالى للدول الإفريقية ، أو ولايات متحدة لغرب إفريقية ... لهى فكرة غير واقعية وخيالية ...

قال هذه العبارة الرئيس توبمان فى خطابه السنوى عن حالة الجمهورية أمام دورة مشتركة للهيئة التشريعية الوطنية ، والتى تكوّنت من مجلس النواب والشيوخ . وقد حضر هذه الدورة قادة الحكومة ، وأعضاء الهيئات الدبلوماسية ، ورجال السلطة التنفيذية ، وزوار أجانب ، ومواطنون بارزون[1] .

وقال الرئيس : « هناك بعض دول إفريقية . يبدو أنها ترغب فى اتحاد فيدرالى إفريقى وتبحث شأنه ، وثمة دول أخرى تفضل مسألة الولايات المتحدة الإفريقية ، وما زالت هناك دول أخرى تدافع عن فكرة الولايات المتحدة لغرب إفريقية ، غير أننا نحبذ ذلك النمط من الوحدة الإفريقية والتضامن الإفريقى ، وبخاصة ما يقوم على معاهدات الصداقة ومواثيق المودّة ، ومحالفات بحرية وتجارية وغيرها على أساس من الاحترام المتبادل والاعتبار المتساوى بالنسبة للجميع .

« ولا يظهر لنا . أن ذلك هو الطريق الأسلم بالنسبة للدول الإفريقية التى تعيش معنا وبيننا فحسب . ولكنه الأسلم كذلك بالنسبة لأمم أخرى تحتاج الدول الإفريقية إلى أن تقيم معها معاملة وديةمتبادلة . لأنه ما من أمة ، أوروبية كانت أوآسيوية أو إفريقية ، يتسنى لها أن تعيش بمفردها تماماً ، أو أن تقتصر على صداقة مع مجموعة أمم داخل قارتها الخاصة . وليس هناك أيضاً اتحاد فيدرالى أو ولايات متحدة للآسيويين أو الأوروبيين أو الأمريكيين فإن مثل هذه القضية ، فى نظرنا ، غير واقعية وخيالية ... »

ولتنفيذ هدف تدعيم الروابط مع البلدان الإفريقية ، اقترح الرئيس توبمان رفع درجة التمثيل فى (فرى تون) و (سيراليون) من قنصلية إلى

(١) ألقى الرئيس توبمان خطابه هذا قبل إعلان اتفاق غانة وغينيا . وأيا ما كان ، فان الرئيس توبمان لم يدل بعد ذلك بتعليق سياسى عام .

قنصلية عامة ، وأن تقام قنصليات عامة فى داكار وساحل العاج وأقاليم أخرى فى إفريقية .

« وقد اتفق على تبادل البعثات الدبلوماسية بين كل من أثيوبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وتركيا وبين ليبيريا ، على مستوى السفارات . » وثمة توصيات قد اتخذت بشأن بعثات دبلوماسية جديدة فى جمهورية غينيا ، وبعثة فى شمال إفريقية ، وواحدة فى الشرق الأقصى وأخرى فى أمريكا الجنوبية .

وفى معرض بسط موضوع إفريقية ، أحاط الدكتور توبمان السلطة التشريعية علماً بأن غينيا وليبيريا تبادلتا رسائل تفيض بحسن النية ، وتعبران فيها عن رغبتهما بشأن علاقات ودية وثيقة بين الدولتين ، « وقد أشار كل منا فى هذه الرسائل إلى الحدود المشتركة . والأصل البشرى الواحد ، وصلة الدم بين شعبينا » .

« وإن حكومة ليبيريا لتعلن من جانبها ، أن لكل أمة الحق فى أن تباشر سياستها الخاصة بها داخل نطاق السيادة المعترف بها ، ودون ما تدخل فى الشئون الداخلية لدول أخرى . . . »

وأضاف الرئيس أيضاً ، فيما يتعلق بظهور أمة نيجيريا الجديدة ، قائلا بأن نيجيريا إذ تضم مساحات أوسع ، وعدداً أكبر من السكان من أى بلد آخر فى غرب إفريقية ، فهى فى سبيل أن تصبح دولة حرة مستقلة ذات سيادة .

وقال الرئيس « إن تناوله العام والخاص للقضايا المحلية والدولية ، يظهر على أنه يتسم بالعقلية ، الراجحة ، وبدرجة عالية من الدراية بشئون الدولة والتى نحن فى أمس الحاجة إليها فى عصرنا » .

إن الرئيس وقد أولى مالية ليبيريا انتباهه ، فقد أشار إلى أن دخل هذا العام يوازى مجموعات العام الماضى . فكان الدخل فى الفترة من أول أكتوبر عام ١٩٥٧ إلى ٣٠ سبتمبر ١٩٥٨ . يبلغ ١٩,٢٩٩,٩٧٧ جنيهاً استرلينياً ، وكانت المصروفات عن الفترة ذاتها ٢٢,٦٥٢,٠٤٧ جنيهاً استرلينياً .

وبغض النظر عن الحقيقة التى تقضى بأن تقلبات مجموع الدخل يعزى إلى الفراغ الذى تركه الأمريكيون ، فثمة دليل على أنه يمكن وضع عوامل أخرى فى الاعتبار . وقد قدم هذا الدليل دكتور توبمان عند ما قال : بأنه على الأجانب فى ليبيريا من الآن فصاعداً ، أن يقدموا شهادة بإخلاء الطرف من الضرائب قبل أن يغادروا البلاد ، وذلك إذا ما كانوا قد مكثوا فى ليبريا ستة أشهر أو أكثر .

ومن أجل حماية المصنوعات المحلية ، أوصى الرئيس بتعريفة ٢٥٪ إضافية على الأخشاب المستوردة ، ٢٥٪ على البيض والكتاكيت والآجر والقرميد .

وأعلن توبمان أيضاً ، أن آفة الموز قد أصابت بشدة مزارع الموز الألمانى فى (سينوى) . واضطرت الشركة إلى استبدال الموز بالمطاط والبن فى مزارعها .

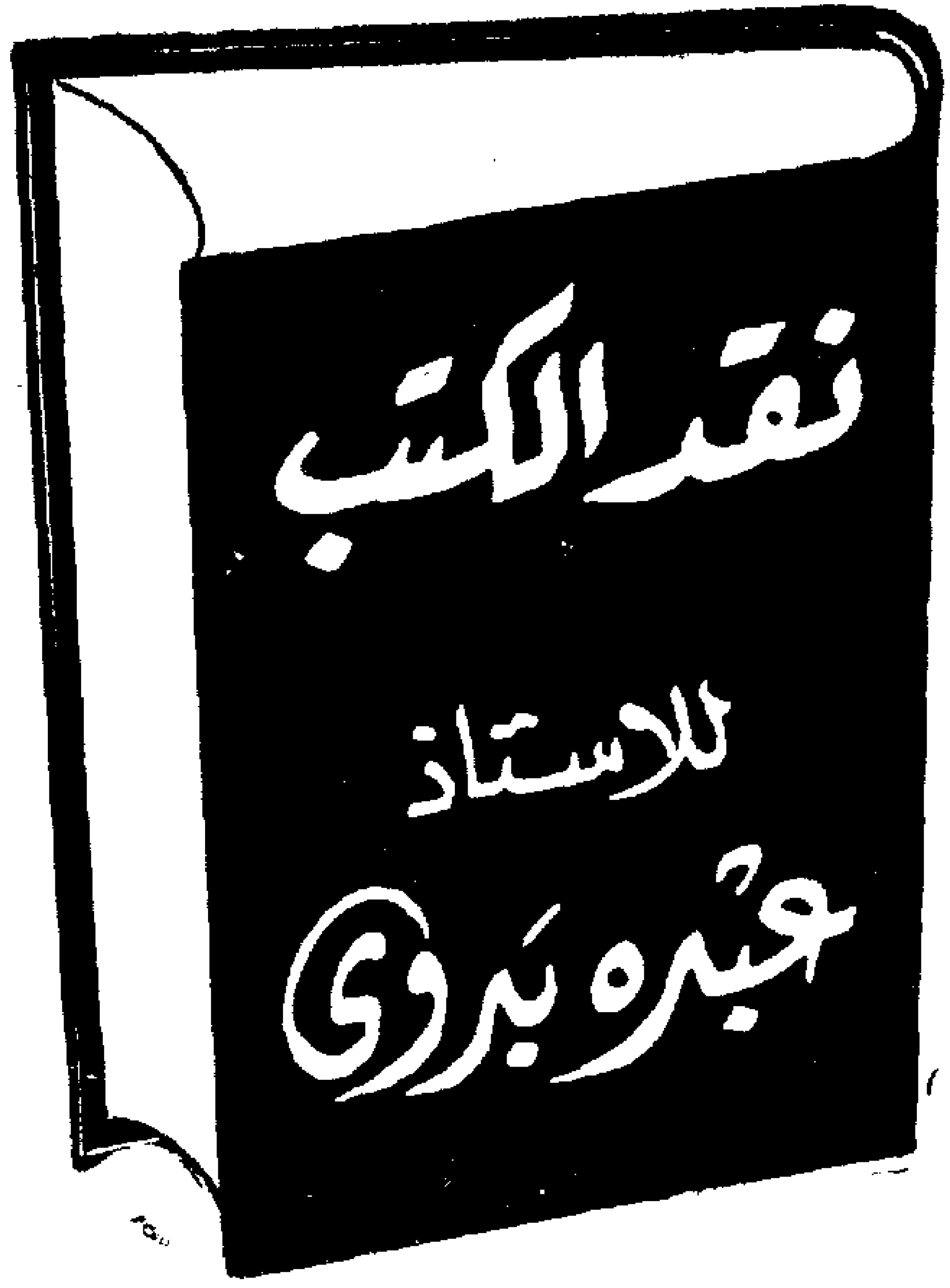
وقد قررت الحكومة فى الجانب الاقتصادى أيضاً . أنه ينبغى إعانة رجال الأعمال فى ليبيريا . وفى هذا الاتجاه ، فإن بنك المدينة الأول فى نيويورك قد قرر فتح باب ائتمان بنصف مليون دولار لأغراض الأعمال ، وذلك فى مقابل أن يتم اتفاق متبادل بين الحكومة والبنك على شرط أن تضع الحكومة احتياطياً معيناً ، وأن يصلح قانون الرهن الحالى بحيث يحقق للبنك ضمانات أكبر .

وينبغى أن تضم رؤوس أموال الخطوط الجوية الوطنيــة فى ليبيريا إلى الدخل العــام . وقد بقيت حتى الآن منفصلة بمثابة وكالة مستقلة عن الحكومة ، ومن المعتقد أن رؤوس الأموال هــذه تزيد على ربع مليون دولار . وبالإضافة إلى ذلك فإن حكومة ليبيريا مدينة للخطوط الجوية الليبيرية بمبلغ ١٢١،٧٣١ جنيهاً استرلينياً للتنقلات الرسمية على الطائرات .

هذا ، وقد أوصى بإجرائين آخرين ، يتعلقان بتصفية الحسابات المحلية المطلوبة من الحكومة (والتى يبلغ مجموعها ٥٣٧،١٠٩،٠ جنيهاً استرلينيا) وينبغى أن يدفع كل متأخر فردى يزيد على خمسة آلاف دولار ، وذلك على خمسة أعوام وبسندات على الخزينة بفائدة ١ ٪ سنوياً ، غير أن جميع المتأخرات الأقل من خمسة آلاف دولار ينبغى أن تدفع ، ومن ثم فإن الحكومة سوف تطلب حصتها فى عام ١٩٥٩ لهذا الفرض كى تزاد إلى نسبة ٢٠٪ ، وأيا ما كان ، فيجب أن يكون ملحوظاً ، أن جميع الضرائب غير المدفوعة الأخرى ، والمدين بها المدعون ، يجب أن تخصم قبل أن يتم الدفع .

وأعلن دكتور توبمان أنه قد وقعت اتفاقات مع شركة ڤيانينى وشركة سويسرية لبناء دار رئاسة جديدة ، ودور محاكم جديدة ، ومستشفى حديث ، وفندق عصرى .. الخ .

والحكومة أيضاً فى سبيل أن توسع هيئات استعلاماتها فإن هجمات الصحافة البريطانية على شحنات ليبيريا البحرية مسئولة عن ذلك . وقال الرئيس بأن الصحافة البريطانية قد أطلقت على علم ليبيريا « علم الوفاق » وأصحاب السفن الذين يستخدمون العلم يطلقون عليه « علم الضرورة » وعلى هذا يمكن أن يطلق عليه أيضاً « علم الاستمالة » وبالتالى يكون من الصواب أن يقال عن علم ليبيريا أنه « علم الاستمالة والضرورة والوفاق» .



تعتبر سلسلة « الفكر العالمى » من أقوى السلاسل الشهرية التى تُثْرى الوجدان العربى ، وتفتح على الحياة المعاصرة نوافذ من الضوء العقلى المثمر ، ونظرة واحدة على هذه المجموعة التى تصدر عن « جمعية الوعى القومى » تؤكد هذه الحقيقة ، فهى تتحدث فى صدق ، وفعالية عن الستار الحديدى حول أمريكا ، وعن مطامع بريطانيا فى الشرق الأوسط ، وعن سياسة الهند الخارجية ، وعن خمس أفكار تغير وجه العالم ، وعن أمريكا والشرق الأوسط ، وعن نزع السلاح ، وعن ثورة ناصر ، وعن مستقبل الديمقراطية فى آسيا ، وعن شخصية العم سام ، وعن الدبلوماسية فى عصر الذرة ، ثم أخيراً عن هذا الكتاب القيم الذى سنتحدث عنه فى هذا الباب وهو « القومية الإفريقية » .

ومع أن نظرة واحدة إلى هذا الرصيد العقلى تؤكد أن المجموعة تركز اهتمامها على الجوانب السياسية التى تشغل الحياة المعاصرة ، إلا أن القارئ العربى يؤمل أن تصدر عن هذه السلسلة الممتازة جوانب متعددة من الثقافة بمعناها الشامل ، ما دامت تضع نفسها داخل هذا الإطار الكبير المسمى «الفكر العالمى » ، والكتاب الذى سنتحدث عنه هذه المرة هو الكتاب الحادى عشر من المجموعة لمؤلفه « إندا بانتجى سيتهول » ، ومترجمه الأستاذ « عبد الواحد ابراهيم الامبابى » ومراجعه الأستاذ « عثمان نويه » .

وقد صدر الكتاب بمقدمة ضافية للأستاذ أمين شاكر جاء فيها « إن القومية الإفريقية ليست فى الواقع إلا تعبيراً عملياً عن الثورة العامة التى أخذت تجتاح اليوم كل شعوب إفريقية ، وهى حركة رد فعل قوية للاستبداد ، والظلم ، والاستغلال الذى فرضه الاستعمار خلال مئات السنين الماضية .

وإذا كان بعض الأوروبيين ، والأمريكيين يدعون أن الرجل الإفريقى لم يصل بعد إلى المستوى الذى يستطيع فيه أن يلى حكم نفسه بنفسه ، وأن الديمقراطية لا تزال لغزاً أمامه يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن لكى يفهمه ، فإن تقاليد الإفريقيين فيما

يتعلق بنظم الحكم ، والإدارة ، والقضاء قبل مجيء الرجل الأبيض إلى بلادهم تكذب هذا الزعم ، وتنفيه نفياً قاطعاً .

لقد عرف الرجل الإفريقي الديمقراطية منذ فجر تاريخه ، وكان عند قبيلة الأشانتي دستور يعيش في ضمائر الشعب ، يعتبر كما قال عنه « راتاري » من أرقى دساتير العالم ديمقراطية .

وتساءل عن سر هذا الإحساس القوى بالقومية الإفريقية ؟

* * *

وقد بدأ الكتاب بالتساؤل عن سر الإحساس الحاد بالقومية الإفريقية التي كانت إلى عهد قريب مضغوطاً عليها من القوى الاستعمارية ، وذكر أنه من العبث أن نقول إن هناك سبباً واحداً يوضح هذه القومية في تلك القارة المترامية الأطراف التي تضم ما يقرب من ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة من السود ، ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ من العرب ، ٥,٠٠٠,٠٠٠ من البيض ، ذلك لأن القومية الإفريقية ليست إلا ثمرة لشجرة كبيرة تضرب بجذورها العميقة في أعماق التاريخ البعيد .

ومن هنا نرى المؤلف يعبر سريعاً تحت ظلال هذا التشبيه الجميل إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية التي يعتبرها بحق البدء الحقيقي للقومية الإفريقية ، طاوياً تحت ضربات قلمه السريع صفحات مضيئة من صفحات تاريخ القومية الإفريقية ، حتى تلك الصفحات التي كانت قبل الحرب العالمية الأولى والتي أعتبرها — بحق — الجذر الحقيقي للقومية الإفريقية فقد قامت في هذه الفترة عدة حركات للتوازن ، والترابط في القارة كتلك الحركات التي قام بها « أحمد عرابى » ، و « مهدى السودان » و « الزبير » ، و « السلطان رابح » ، و « حميد بن جمعة » المشهور بتيبوتيب و « الامام القرين » ، و « منليك » ، و « ماء العينين » . . الخ . لأنى أخشى أن يكون المؤلف يهدف إلى أن القومية الإفريقية كانت ثمرة ناضجة من ثمار الاحتكاك بين الإفريقيين ، والأوروبيين في تلك الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى . بينما لم تكن هذه الحرب إلا عاملا من عوامل كثيرة حملت على أطرافها « القومية الإفريقية » .

فهو يذكر أن الحرب العالمية الثانية أعطت الإفريقيين الفرصة المواتية للاتصال بمختلف شعوب العالم حين دفعت بهم القوى الغربية في وجه أعدائها ، وجعلتهم يفكرون في أن الأوروبيين كانوا يذكرون لهم أن هذه الحرب من أجل دحر قوى السيطرة في العالم ، فلما عادوا إلى بلادهم بعد أن جلبوا النصر للحلفاء ، وطالبوا بهذه الحرية التي خاضوا من أجلها النار ، وجدوا أن هذه القوى التي دافعوا من أجلها استدارت ، وأخذت تدمر حياتهم ، وتضغط على مستقبلهم .

وقد ساق لنا المؤلف هذه المحاورة الطريفة التى تُلقى ضوءاً على موقف الشعوب الإفريقية من هذه الحرب .

الضابط البريطانى : الموت لهتلر . فليسقط هذا الدكتاتور .

الضابط الإفريقى : ما هو جانب الخطأ فى موقف هتلر ؟

الضابط البريطانى : إنه يريد أن يحكم العالم كله .

الضابط الإفريقى : وما الخطأ فى ذلك ؟

الضابط البريطانى : إنه رجل ألمانى يحاول فى خبث أن يستثير الضمير القبلى عند الرجل الإفريقى .

الضابط الإفريقى : وما هو العيب فى أن يكون ألمانياً .

الضابط البريطانى : استمع إلى ياصديقى : إنه ليس من العدل — كما تعرف — أن تفرض قبيلة سيطرتها على قبيلة أخرى ، فإن على كل قبيلة أن تحكم نفسها بنفسها ، لأن ذلك هو العدل بعينه ، فالألمانى يجب أن يحكم الألمان ، والإيطالى يجب أن يحكم الإيطاليين ، والفرنسى يجب أن يحكم الفرنسيين .

. . . ولقد نسى هذا الضابط البريطانى المتطرف جداً فى يقظته . وحماسه أن يذكر أيضاً أن من العدل كذلك ، أن يحكم البريطانى البريطانيين فقط .

وهكذا نرى المؤلف يؤكد أن الحرب العالمية الثانية هى التى خلقت القومية الإفريقية فهو يقول : « وهكذا ترى أن ظهور القومية الإفريقية ليس فى حقيقته إلا السهم الذى خلقه الحلفاء ليعود إلى نحورهم مرة ثانية ، لقد أطلقوا على النازية الألمانية قذيفة أسموها « السيطرة الأجنبية » ، وهذه القذيفة نفسها يطلقها اليوم عليهم غيرهم من الشعوب المضطهدة » .

ونحن بدورنا نسائله ترى ماذا نسمى هذه الحركات الإفريقية القوية التى قامت قبل الحرب العالمية الأولى ، وقبل الحرب العالمية الثانية ؟ أليس لها النصيب الأوفر كذلك فى خلق القومية الإفريقية ؟ وهل دورها يقل عن دور الحركات بعد الحرب العالمية الثانية ؟ فالذى نحب أن نؤكده أن هذه القومية الإفريقية موجودة بزمن طويل ، قبل الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت لم تجد التعبير عنها واضحاً إلا فى هذه الفترة الأخيرة ، ومن هنا نرانا نرتاح إلى قول المؤرخ الأمريكى الزنجى جورج جى الذى يقول :

« إن الحرب العالمية الأخيرة لم تعلم الشعوب المحتلة روح الاستقلال ، لأن هذه الروح كانت موجودة فعلا ، فقد أحست هذه الشعوب منذ زمن طويل بظلم التبعية المريرة ، والتمييز الشائن ، ولكن لم تكن لدى الإفريقيين وسائل الإعلان عما يحسون به ، ويعيشون فيه إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية ،

فأبرزت هذه الصورة القاتمة بشكل أكثر عنفاً ، وشدة ، ومنحتهم فرصة التعبير الفعال ، فالحرب العالمية الثانية إذن لم تخلق روح الاستقلال بداءة عند هذه الشعوب ، ولكنها أعطتهم وسيلة التعبير عن هذه الروح » .

* * *

ثم تحدث المؤلف عن « سيادة البيض » ، وترك هذا المفهوم يتحدد على أكثر من لسان إفريقى ، فهو فى نظر أحد الساسة الروديسيين « سياسة الرجل الأبيض فى جعل الإفريقيين فى المكان الدون دائماً » ، وهى فى نظر واحد من أبناء كينيا « الحكم عن طريق القوة » ، وهى كما قال عنها واحد من أبناء نيجيريا : « إن هناك عاملين خطيرين يهددان السلام العالمى هما : الشيوعية ، ونظرية سيادة البيض فكل منهما يقوم على الأسس نفسها ، ويستخدم الوسائل ذاتها ، ويهدف إلى الغاية التى تنحصر فى السيطرة على الآخرين .

ولعل خير من عبر عن هذا المفهوم هو هذا الروديسى الشمالى الذى قال : إننى لا أكره سيادة البيض لأنها بيضاء ، ولكننى أكرهها لأنها ترمى إلى فرض السيطرة على وتحقير إنسانيتى فسياسة البيض — كسياسة أوروبية — تفترض سلفاً ، خضوع الإفريقيين للبيض ، ولا شك فى أن وجو سيادة جنس أبيض ، أو أسود ، أو أصفر ... الخ . إنما تعنى استغلال هــذا الجنس الآخر ، وإذلاله .

إنك لا تسمع عن سيادة إنجليزية فى إنجلترا ، ولا عن سيادة فرنسية فى فرنسا ، ولا عن سيادة أمريكية فى الولايات المتحدة ، لأن الرجــل الانجليزى لا يريد أن يفرض سيادته على الإنجليز الآخرين ، ولأن الرجل الفرنسى لا يفكر فى أن يفرض سيادته على الفرنسيين الآخرين ، ولأن الرجل الأمريكى لا يرغب كذلك فى التحكم فى مواطنيه . ولكن منذ أن كان هدف الرجل الأبيض هو السيطرة على إفريقية ، فإنه يتحدث دائماً عن « سيطرة البيض » .

... فهذا النوع من السيطرة يذكرنا إلى حد كبير بأسطورة «الشعب المختار» التى يحلو لليهود أن يطلقوها على أنفسهم .

وقد خلق هذا النوع من السيطرة طائفتين من الناس فى إفريقية هما : الطائفة الحاكمة ، والطائفة المحكومة ، فالطائفة الأولى تتمثل فى المستعمرين الذين ينزلون بالبلاد الشرور تلو الشرور ، والطائفة الثانية تتمثل فى الإفريقيين الذين يقع عليهم العسف ، ويصممون فى الوقت نفسه على أن بلادهم لا بد أن تكون لهم ، فالقضية لا تنحصر فى السواد والبياض قدر انحصارها فى عمليتى تنازع البقاء على أرض القارة ، ومن هنا أصبحت

المشكلة الآن فى هذه البلاد تنحصر فى الإجابة عن هذين السؤالين وهما :

إلى أى حد يمكن أن نوفق بين المصالح الأوروبية ، ومصالح الإفريقيين فى إفريقية ؟

وإلى أى حد يمكن أن يتعايش البيض مع السود فى مكان واحد ؟

ولندرس المسألة على الطبيعة — كما يقولون — فنبدأ بالمنطقة التى يحتلها البرتغاليون وهى : موزمبيق ، وأنجولا فماذا نرى هناك ؟ إننا نرى نوعاً من عملية « التذويب الإفريقى » ذلك لأن الإفريقى لا يستطيع أن يكون مواطناً كاملا ما لم يصبح برتغالياً فى أول الأمر ، لأن السياسة هناك تقوم على أن يعتبر الإفريقى نفسه برتغالياً فى البرتغال ، وليس إفريقياً فى إفريقية . ومن هنا نرى هذه السياسة توجه ضربة قاصمة « للقومية الإفريقية » لأنها تعمل على قتل الرجل الإفريقى داخل الرجل الإفريقى ، واستبداله برجل برتغالى !

وقد عبر واحد من هؤلاء الإفريقيين عن هذه القضية بقوله : إن الإله قد ارتكب خطأ كبيراً عند ما جعل الإفريقى إفريقياً ، وليس نظام الذوبان الاجتماعى أو القومى الذى تقوم السياسة البرتغالية اليوم بتنفيذه فى إفريقية سوى جهد يبذل لتصحيح هذا الخطأ الإلهى ، ومع ذلك فإن هؤلاء الإفريقيين يريدون أن يظلوا كما هم ! » .

وهكذا نرى أن فكرة طلاء الرجل الأسود باللون الأبيض فكرة يقصد بها التدمير الإفريقى قبل أى شىء آخر ، فالبيض لا يعترفون إلا بأنفسهم ، ولعل من المضحك أن العمال من السلالات الإفريقية فى روديسيا يتقاضون أحط الأجور . فإذا جاء هؤلاء من امتزاج بين الأوروبيين ، والإفريقيين فإنهم يتقاضون أجوراً متوسطة ، أما الأجور العالية فتدفع لذوى البشرة البيضاء النقية !

وقريب من نظام الذوبان هذا ، نظام الفرنسة Assimilado ، أو الذوبان القومى Assimilation الذى تطبقه فرنسا فى مستعمراتها ، والذى يرمى إلى امتصاص الإفريقيين المثقفين بصورة تدريجية لصالح فرنسا ، بعد أن ادعت أنه لا يوجد فى الدنيا شىء أهم من أن يكون الإفريقى فرنسياً ، ولكن الرجل الإفريقى يفضل أن يكون مواطناً بسيطاً عن أن يكون « جنتلماناً فرنسياً » فقد مضى عهد الادعاء ، والتظاهر ، والخداع ، وأصبح من حق كل إنسان أن يمارس حياته هو ، مهما كانت تلك الحياة التى تعرض عليه براقة ، وزاهية !

وشبيه بهذين النظامين ، هذا النظام الذى كان قائماً فى الكونغو — قبل أن يتحرر — والذى كان يقضى بأن من حق المواطن الكونغى أن يتسلم تصديقاً يخول له التمتع ببعض الحقوق

القانونية التى يتمتع بها البلجيكيون ، وقد وصف هذا النظام واحد من أبناء الكونغو بقوله : « إن هذه السياسة تشبه قصة رجل جاء إلى قريتك وطلب منك أن يصبح عمدة عليها لكى يستطيع أن يخدمك » .

أما البيض فى جنوب إفريقيــة فتتلخص نظريتهم عن « سيادة البيض » فى قول « ستريجدوم » الذى كان رئيساً لوزراء الاتحاد وتوفى عام ١٩٥٨ « لا يستطيع الرجل الأبيض أن ينجح فى البقاء فى جنوب إفريقية ما لم تظل نظم التمييز العنصرى قائمة ، أو بمعنى آخر ما لم تظل السلطات فى أيدينا نحن البيض » .

أما بريطانيا فبرغم أنها تدعى أنها تعمل على تدريب الإفريقيين على الحكم الذاتى داخل الكومنولث البريطانى إلا أنهم يطبقون دائماً ، هذا المذهب الذى يقول : « فلنسيطر ما دمنا نستطيع » أما سياستها — ككل سياسة أوروبية أخرى فى إفريقية — فتؤمن بمبدأ سيادة البيض نظرياً ، وعملياً .

ومهما يكن من شىء فالدوافع الأساسية التى خلقت القومية الإفريقية المعاصرة يمكن تلخيصها فيما يأتى :

١ — رغبة الرجل الإفريقى فى إسهامه الكامل فى إدارة بلاده .

٢ — رغبته فى تحقيق العدالــة الإقتصادية التى تعترف اعترافاً كاملا بمبدأ « تساوى الأجر عند تساوى العمل » دون ما نظر أو اعتبار للون البشرة .

٣ — رغبته فى أن يتمتع بالحقوق السياسية الكاملة داخل بلاده .

٤ — كراهيته الشديدة لأن يعامل معاملة الرجل الأجنبى فى وطنه .

٥ — كراهيته كذلك لأن يستغل كوسيلة لتحقيق أطماع الرجل الأبيض ، ومآربه .

٦ — كراهيته للقوانين السائدة التى تفرض عليه البقاء فى الوضع الدون .

* * *

ثم تعرض المؤلف لدور «الكنيسة المسيحية » فى إفريقية ، فذكر أن هذه الإرساليات قد جاءت لتكون عوناً للحكم الاستعمارى ، ولتلعب دوراً آخر فى توطيد دعائم السيطرة البيضاء ، مستعينة على ذلك بنقل جوانب هزيلة من ثقافتها إلى اللغات الإفريقيــة ، وبفرض لغتها على أهل البلاد لإضعاف اللغات الأصلية ، ولكن الإفريقيين لم ينساقوا وراء هذا التيار فقد أخذوا من هذه الثقافات الوافدة ما يفيدهم ، وتمسكوا بكل ما هو إفريقى فى أعماقهم ، وهكذا نراهم يتدافعون للدخول فى مدارس هذه الإرساليات بعد أن حرمتهم السلطات الأوروبية من تلقى العلم فى مدارسها ، ليتزودوا من كافة ما يوجد فى هذه الإرساليات حتى إذا خرجوا منها فرقوا بين النافع والضار ، ونزعوا عن الثمرة الحقيقية

للعلم كافة القشور الضارة التي وضعت عن عمد !

ولعل خير ما يوضح لنا هذه الحقيقة هذا الحوار الذي حدث بين اثنين من الإفريقيين ، فقد قال الأول :

لقد رأيت كيف أتى المبشر إلى أرضنا ، وطلب منا أن نعبد الله معه ، وأمرنا أن نغمض أعيننا زيادة في الخشوع ففعلنا ، وعند ما قلنا في نهاية الصلاة آمين ، وفتحنا أعيننا ، وجدنا الإنجيل في أيدينا ، والأرض في أيديهم

أما الثاني فقد رد عليه قائلا :

عند ما حاول الأوروبيون الاستيلاء على بلادنا حاربناهم بسهامنا إلا أنهم هزمونا ، لأن أسلحتهم كانت أقوى منا ، وهكذا قام الاستعمار في إفريقية على الرغم منا ، ولكن لا إنجيل المسيح ، ولا كتب المبشرين هي التي ستكون البارود الذي يطيح بصروح الاستعمار ، فعلينا أن نفهم أن تعاليم المسيحية شيء ، وأن ما يفعله الاستعمار شيء آخر .

وهكذا عاش الإفريقيون يعتصرون من الظلام المحلق فوقهم قطرات نور يهتدون بها في طريق الآلام الطويل الذي عبدوه بدمائهم ، وإصرارهم على أن تكون لهم قوميتهم الإفريقية .

* * *

ثم تكلم المؤلف عن الشخصية الإفريقية مستفتحاً حديثه ببحث لغوى أكد فيه ، أن اللغات الإفريقية كافة عرفت كلمة « الحرية » ، وكلمة « رقيق » ، وكلمة « رق » . ومن هنا نرى أن مفهومها ليس شيئاً أجنبياً عن إفريقية ، بل هو أصيل فيها إصالة أرضها ، وشعبها ، ويظهر هذا كذلك من الممارسة العملية لمضمون كلمتي « الحرية » و « العبودية » في الصراع الذي كان يقوم بين القبائل لاغتصاب الحرية ، أو استردادها ، أو الاستعانة بالآخرين على استردادها ويظهر هذا واضحاً في الصراع الذي قام بين قبيلتي « الأشانتي » ، و « الفانتي » ، وقد نرى بعض القبائل تهرب بحريتها كما حدث في قبائل « البانتو » التي هاجرت من موطنها الأصلي في بلاد الزولو خوفاً من استبداد قبائل «شاكا» فكمون « الحرية » في نفسية الإفريقي شيء بعيد الغور فقد عرف هذه الحرية ومارسها بحب ، وانطلاق منذ فجر التاريخ ، ثم دافع عن هذه الحرية حينما اغتصبت بدمه ، وما أسرع ما كان ينسى من أجلها كل الحزازات ، ويقف جبهة موحدة للدفاع عن الحرية كما حدث حينما تناست قبائل «الزولو» و « الأكسهوسا » و « السوتو » ما بينهم من بغضاء ، ووقوفهم جميعاً كشعب إفريقي موحد ضد الحكم الأوروبي .

وكما لم يوف الكتاب الفصل السابق عن الكنيسة ، نراه في هـــذا الفصل الخاص بالشخصية الإفريقية يقف عند هذا الحد الذي ذكرناه ،

مما يؤكد أن المترجم قد بتر أجزاء كان لا بد من وجودها ، كما نراه ينقص من نهاية الكتاب فصلين كاملين .

* * *

ثم يتحدث المؤلف عن «الديمقراطية فى إفريقية » ، ويذكر أن كثيراً من الأوروبيين ، والأمريكيين يعتقدون أن الديمقراطية من « منتجاتهم » ، ولم توجد إلا بينهم ، ولكن الحقيقة تؤكد أن شعب إفريقية يمارس هذه الديمقراطية من وقت بعيد ، فالأمور لايمكن أن تهدأ إلا إذا سمع فيها صوت الفرد ، والمجالس الإفريقية تعطى الحق دائماً ، لكل الناس فى أن يتكلموا بحرية فى الأمور الخاصة ، والعامة ، والحاكم الإفريقى لا يبت فى أمر دون أن يستشير الرأى العام فى هذا الأمر ، فعبارة Batini ahantu عند قبيلة الإندبيلى فى روديسيا الجنوبية معناها «ماذا يقول الناس ؟» كما أن عبارة « Nxa ahantu Khanlungile » تعنى «إذا وافق الناس فإن كل الأمور على ما يرام » فالجمهور فى المجتمع الإفريقى يعتبر القاعدة الدستورية الصحيحة .

« وإذا كان صحيحاً أن الإفريقيين لم تكن لديهم سجلات يدوّنون فيها قوانينهم ، وحوادثهم ، فإن هذا لا يصح أن يعنى أن الإفريقيين لم تكن لديهم نظم قضائية محددة ، وواضحة ، وإذا كان الأوروبيون — نظراً للإمكانيات التى أتيحت لهم — قد استطاعوا أن يدونوا قوانينهم ، وأحداثهم فى سجلات يحتفظون بها ، فإن الرجل الإفريقى كان يعتمد على ذاكرته فى هذا الصدد : أى أن قوانين الشعب الإفريقى كانت تعيش فى ضمائره لا فى أوراق يحتمل أن تلعب بها يد الأقدار » .

فالدراسات الأنثروبولوجية (التاريخ الطبيعى وعلم الإنسان) ، التى قام بها العلماء الأوروبيون ، والأمريكيون قد أكدت أن نظم السلطة القضائية التى سادت القارة قبل الاحتلال بزمن طويل كانت على مستوى كبير من النضج ، والتطور يدعو إلى الإعجاب . ولنقرأ الآن واحدة من الخطب التقليدية التى كان يفتتح بها المجلس القضائى عند قبيلة « اليوروبا » فى نيجيريا فهى تقول : أيها الناس الزموا الهدوء والأدب ، واخفوا سعالكم ، واتركوا النساء مع أطفالهن كى يعتنين بهم فلا يسمع منهم صراخ أو بكاء ، وليقفل كل إنسان منكم فمه فالخيط الذى يربط الإنسانية قد انقطع ، ويقوم القضاة الآن بوصله ، وأى إنسان تحدثه نفسه بمضايقة هؤلاء القضاة سيعامل أقسى معاملة .

من هنا نرى أن المحاكم الوطنية تتميز بطابعين هما :

١ — الجدية فى كل ما يمت للقضاء بصلة من قريب أو بعيد .

٢ — اعتمادها على الشعب فى سلطتها ، وفى وجودها .

فمفاهيم العدالة ، والحكم والديمقراطية وممارستها شىء قديم جداً فى إفريقية ، تشهد به كذلك حفلات تولى الزعيم الحكم ، فالشعب يبلغ الشيخ الذى يقوم باجراء مراسم التنصيب أن يذكر الزعيم بهذه الوثيقة التقليدية . فهم يقولون :

بلغ الزعيم نيابة عنا أننا نكره الطمع .
وأننا لا نريد منه أن يسىء إلينا أو يشتمنا .
ولا نريد منه أن تكون أذناه صماء عن سماع كلامنا .
ولا نريد منه أن يتصرف فى الأمور من تلقاء نفسه .
ولا نريد أن تسير الأمور كما تسير فى كيومانزى .
ولا نحب أن نسمع منه عبارة « ليس لدى وقت ! »
ولا نريد منه أن ينادى أحداً من أفراد شعب بيا أحمق أو يا غبى »

فبقاء الزعيم فى منصبه متوقف على إرادة الشعب .

كما أنهم لا يفصلون أنفسهم عن الحاكم . فهم كما يقول الأنديبيليون « إن الملك هو الشعب ، والشخص الذى يحتقر ملكنا لا يحتقره ، وإنما يحتقرنا نحن ، والذى يحترم ملكنا إنما يحترمنا نحن ، فالملك ليس إلا نحن » ، ولقد كان هؤلاء الأنديبيليون حينما يموت الملك يقولون « لقد سقط الجبل » ذلك لأن الملك فى نظرهم جبل التقاليد ، والمثل الأعلى فى نظرهم ، فإذا كان الملك ظالما انصرفوا عنه إلى غيره كما حدث للملك « شاكا » وهكذا نرى أن مبدأ « الحكومة الشعبية » كان أصيلا فى إفريقية ، وأن فكرة الملك الدستورى ، والزعيم الدستورى فكرة إفريقية أصيلة فالقول بأن الرجل الأبيض هو الذى أدخل « الديمقراطية » فى القارة قول يخالف الحقيقة ، فالشىء الوحيد الذى أدخلوه إلى القارة هو « الديكتاتورية » لأنهم تجاهلوا دائماً صوت الأكثرية ، وجعلوا الصلات تقوم بينهم وبين الإفريقيين على العسف واغتصاب الحقوق ، زيادة على أنهم كانوا مفروضين على القارة بالقوة !

« إن الإفريقيين قد عاشوا حياة أسرية وقبلية وعشيرية فى جو من التآلف والتعاون ، وحينما توجد هذه الصورة فى أى مجتمع توجد الديمقراطية الحقة ، بل عند ما يعيش أفراد شعب حياة جماعية متآلفة — وهو ما حدث ويحدث فى إفريقية — تكون الديمقراطية أساساً لعلاقاتهم بعضهم مع بعض » .

* * *

ثم تحدث المؤلف عن « إفريقية والشيوعية » فذكر أن روسيا ليست لها مستعمرات فى القارة ، وأنها تعطف على قضاياها دائماً ، وتساندها ، ولكن الإفريقيين لن يستبدلوا سيطرة بسيطرة فستكون سياستهم نابعة من ضميرهم دائماً ، وهكذا تسيطر على الجميع

سياسة تقول « إننا نريد أن نكون سادة أنفسنا ، فإذا ما نجحنا فإن الفضل سيعود إلينا لا إلى روسيا أو أية دولة أوروبية ، وإذا ما فشلنا فإننا نريد أن نستفيد من أخطائنا »

ويقف المؤلف عند هذا الحد ليؤرخ لعدة دول إفريقية كالمغرب ، وأوغنده ، وروديسيا ، والكونغو دون أن يتعمق قضية القومية الإفريقية مع الشيوعية .

* * *

ثم حدثنا المؤلف عن القوى الخارقة التى أتى بها الرجل الأبيض إلى إفريقية ، وكيف أدخل ألواناً من التقدم المادى جعلت الناس هناك يذهلون عن أنفسهم ، حتى لقد استولت الدهشة على أفراد قبيلة « الميتابيلى » وهم يشاهدون الآلهـــة البيض تشيد منزلا يحتوى على عدة منازل ، فهذه المستحدثات كانت خارجة عن نطاق إدراك الرجل الأسود ، ولذا نراه ينظر إلى أصحابها « نظرة قداسة » أو كما يقول المؤلف « .. وهنا أحس الرجل الإفريقى بأنه قد بدأ يتصل فعلا بآلهة ذات ساقين اختارت أن تقيم بين الناس بدلا من أن تعيش فوق قمم الجبال البعيدة ، وللمرة الأولى رأى الرجل الإفريقى آلهة لها زوجات ، وأطفال ، وعندها كلاب ، وقطط »

ولا شك أن فى هذا مبالغة ، وأنه لا ينطبق على كل الإفريقيين ، حتى ولا على هؤلاء الذين يعيشون خلف خط الاستواء ، فالإفريقيون لم يعتبروا البيض آلهة ، وإنما اعتبروهم دائماً أعداء ، وظلمة ، وسفاحين ، وكثيراً ما يجد القارىء المؤلف يعمم نظراته الجزئية على كل القطاع الإفريقى . فليس الأنديبينديليون[1] — وهم الذين درسهم جيداً — هم كل إفريقية بحيث يطبق على القارة عاداتهم ، ونظراتهم إلى الحياة ، ثم هناك مغالطة كبيرة أكدها المؤلف أكثر من مرة ، وهى أن الرجل الإفريقى خضع لحكم الرجل الأبيض « دون أى اعتراض أو مجادلة ، وبذا أصبح الرجل الأبيض سيداً فى غير منزله ، يأمر الإفريقيين بما يشاء فلا يسع هؤلاء الإفريقيون إلا الاستجابة دائماً لأوامره ، حتى يحظوا برضاه فالتاريخ يؤكد أن الإفريقيين قد وقفوا أمام البيض دائماً منذ وطئت أقدامهم أرض إفريقية الطيبة ، وأن البيض كما دخلوا البلاد على أطراف الرماح ، فقد دخلوا كذلك على أطراف الخداع حينما خدعوا بعض رؤساء القبائل بعمليات التمليك ، وبإقامة الشركات ، وبتقديم بعض الهدايا المضحكة ، وبالأنجيل الذى جعلوه راية تخفق تحته أطماعهم السياسية ، ورغباتهم الدموية

(١) يسمون البيض « الآلهة الذين يأكلون القمح » ، ويحترمونهم أكثر من احترامهم لآلهتهم القدامى .

ولقد كان هذا هو السبب الرئيسى فى انفصال القاعدة الشعبية عن هؤلاء الزعماء القبليين الذين لم يشفع لهم أنهم خدعوا ، ومن هنا انهاروا لأن الشعب لا يصفح عن المخطىء أبداً ! !

ومن العجيب أن المؤلف يصف عملية التطور الإفريقي وصفاً غريباً ، ذلك لأنه وقد أكد ألوهيته فى نفوس الإفريقيين ، يرجع فيذكر أن عملية الصحو الإفريقى قد نشأت حينما أدرك الإفريقى أن الأبيض ليس آلها . فالأنثى البيضاء تحمل كما تحمل زوجته السوداء ، ويقوم الشجار بين الرجل الأبيض وزوجته ، ويتصارع البيض عادة على امرأة من جنسهم ، ويرفض الزوج الأبيض الذى أغضبته امرأته أن يتناول الطعام من يدها ، وأنه كان يخاف من إغضاب الرجل الأبيض حتى لا تحل اللعنة عليه فقط ، وإنما على كل من يحيطون حوله ، ولم يقف الأمر عند هذا فقط ، وإنما رأى الرجل الإفريقى الرجل الأبيض فى ميدان الحرب ضعيفاً كأنما لم يكفه ما رآه منه على يد زوجته البيضاء ، ضعيفاً ، ومنهاراً ، ومحارباً البيض مثله ، ومن هنا نراه يقول عن البيض فى سذاجة ، وسطحية فيسىء إلى القضية الافريقية : « . تعلم الرجل الإفريقى الذى عاش فى ميادين القتال أربع سنوات أن البيض يموتون من ضرب الرصاص كما يموت هو كذلك ، وأنهم ليسوا آلهة محصنين ! »

* * *

ونحن هنا نناقش المؤلف « اندابا ننجى سيتهول » الذى قد يعتقد البعض — ما دام المترجم لم يذكر عنه إلا لمحة فى ص ١٤١ — أنه لا يمت إلى إفريقية بسبب ، بينما هو إفريقى من أبناء روديسيا ظل يكافح حتى حصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ من إحدى جامعات أمريكا ، والظاهر أنه لطول إقامته فى أمريكا قد انفصل عن كثير من القضايا الإفريقية ، وجعل لا يحتفظ لها إلا بذكريات واهنة محدودة فى إحدى مناطق روديسيا المعروفة بكثرة البيض فيها ، وتسلطهم عليها ، فنحن نراه لا يتعمق الكثير من قضايا القارة ، ولا يحيط بكثير من تاريخها القديم ، ولا يعرف عنها خارج روديسيا إلا القليل ، ولذلك نراه يطبق ما حدث فى بلاده على كل القارة ، ويطلق فى التعميم ، ويحتفظ فى نفسه بسطوة الرجل الأبيض ويصدر ما يصدر بوحى هذه الألوهة التى رآها — لظروف خارجة عنه — فى وطنه .

فالقارة لها تاريخها وحضارتها ، ولم تقابل الرجل الأبيض بذراعين مفتوحين ، ولم تنظر للرجل الأبيض على أنه آله .

ثم تتكون « القومية الإفريقية » من عدة عناصر أهمها أن الرجل الإفريقى رأى الرصاص يؤثر فى الرجل الأبيض فى الحرب ، ورآه يغضب

من امرأته فيخاصمها ، وتخاصمه ! فهو لون من المنطق لا نقر المؤلف عليه ثم نراه يقع فى خطأ أفدح حينما يقرر أن الإفريقيين لم يحسوا بانسانيتهم إلا حينما ألغيت التفرقة العنصرية من كافة مدارس أمريكا ، ونحن بدورنا نسائله « ومن قال بأن التفرقة العنصرية ألغيت من كافة المدارس بأمريكا ؟ » و « ما مدى هذا التأثير الأمريكى فى القومية الإفريقية ؟ » ولنرجع إلى عبارة المؤلف التى يقول فيها « .. ثم أعلنت المحكمة الأمريكية العليا قرارها التاريخى بالغاء التفرقة العنصرية فى كافة مدارس الولايات المتحدة . فبدأ الإفريقيون يحسون بانسانيتهم كآدميين . وأنهم لا بد وأن يعملوا على فرض الشخصية الإفريقية فى المجتمع الدولى . فأخذت القومية الإفريقية توسع دائرتها وتحطمت الأسطورة أيضاً ! ! » .

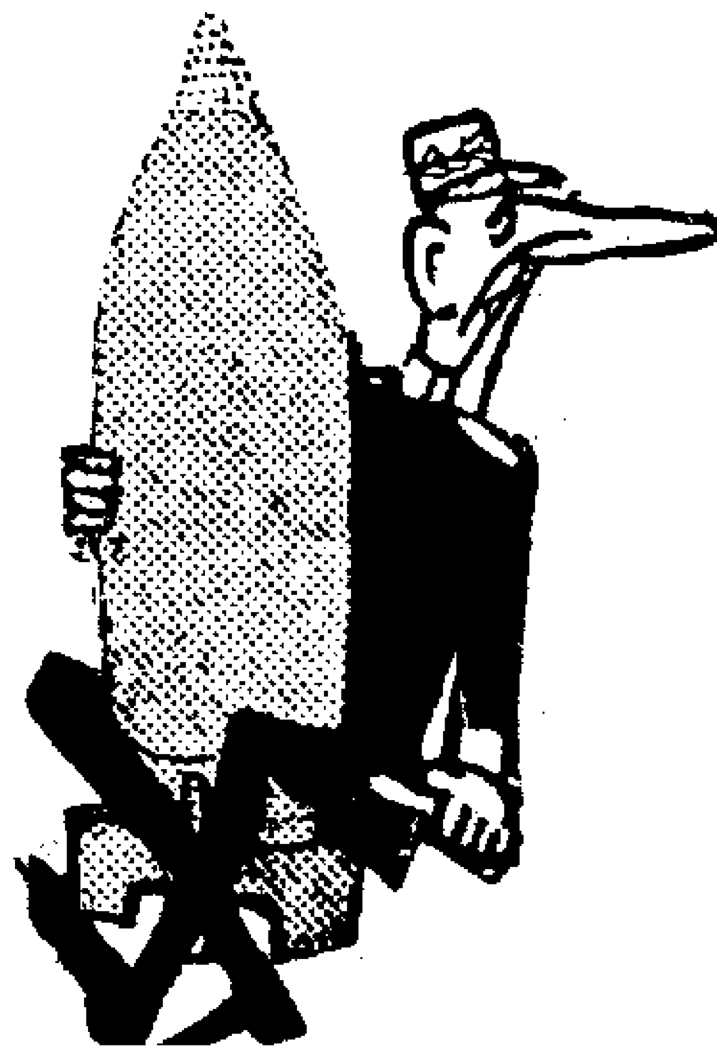
إنا نخشى أن نقول : إن المؤلف — برغم نواياه الطيبة — قد أساء نوعا ما إلى القضية الإفريقية بعدم تعمقها ، وبخاصة فى الفصلين اللذين لم يترجما فى الكتاب ، والذى تعرض فيهما إلى إفريقية فى نظر الكتاب الأجانب وإلى دور الاستعمار الانجابى فى إفريقية ، ولعل هذا هو الذى جعل المترجم يقف عندهما فلا يقدمهما للقارىء العربى ،

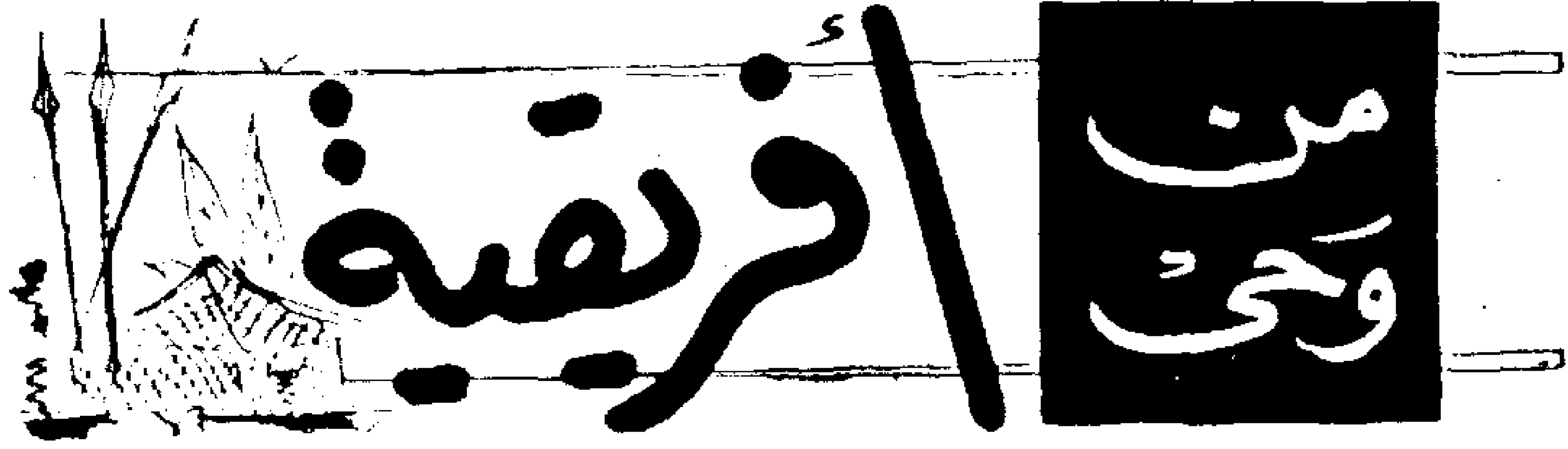
وأسلوب المترجم يرغم القارىء على ألا يترك الكتاب من يديه إلا بعد الانتهاء منه ففيه الشاعرية ، والنضارة ، والبعد عن القوالب المتوارثة ، لوقوفه على الأسرار الجمالية فى اللغتين : الانجليزية ، والعربية .

ولعل عامل السرعة هو الذى لم يعف الكتاب من بعض الأخطاء اللغوية ، والمطبعية .

وقد كنا نحب أن يكتب الكلمات التى وردت فى التراث العربى كما جاءت فيه لا بحسب النطق من اللغة المنقول منها . فقد كتب العرب كلمة إفريقية . وغانة بالتاء لا كما أوردها المؤلف ويوردها الكثيرون — أفريقيا ، وغانا .

ونحن هنا نطالب باسم القارئ العربى المتلهف على معرفة القارة الإفريقية ، أن تتبنى سلسلة الفكر العالمى ترجمة الكثير عن هذه القارة . قارة الغد .





افريقية تتكلم

للشاعر الافريقى : دى أُنانج

فى صفحات الماضى .. منذ وقت بعيد
وفى الأيام التى لم تعرف الإيمان
حينما كان الخيال ضحلا ، والمعرفة ضائعة
أطلق الناس علىَّ « إفريقية السوداء ! »

* * *

إفريقية السوداء ؟
أنا الذى رفعت أهرام الملوك
ووضعتُ قبضتى القوية
على ثروات القياصرة المهزومين

* * *

إفريقية السوداء ؟
التى ربَّت طفل الحضارة الكثير التساؤل
هناك على الشواطىء المتعرجة للنيل واهب الحياة
وكان لها الفضل على عالم الغرب المزدحم
بما وهبته من ثقافة لليونان !

* * *

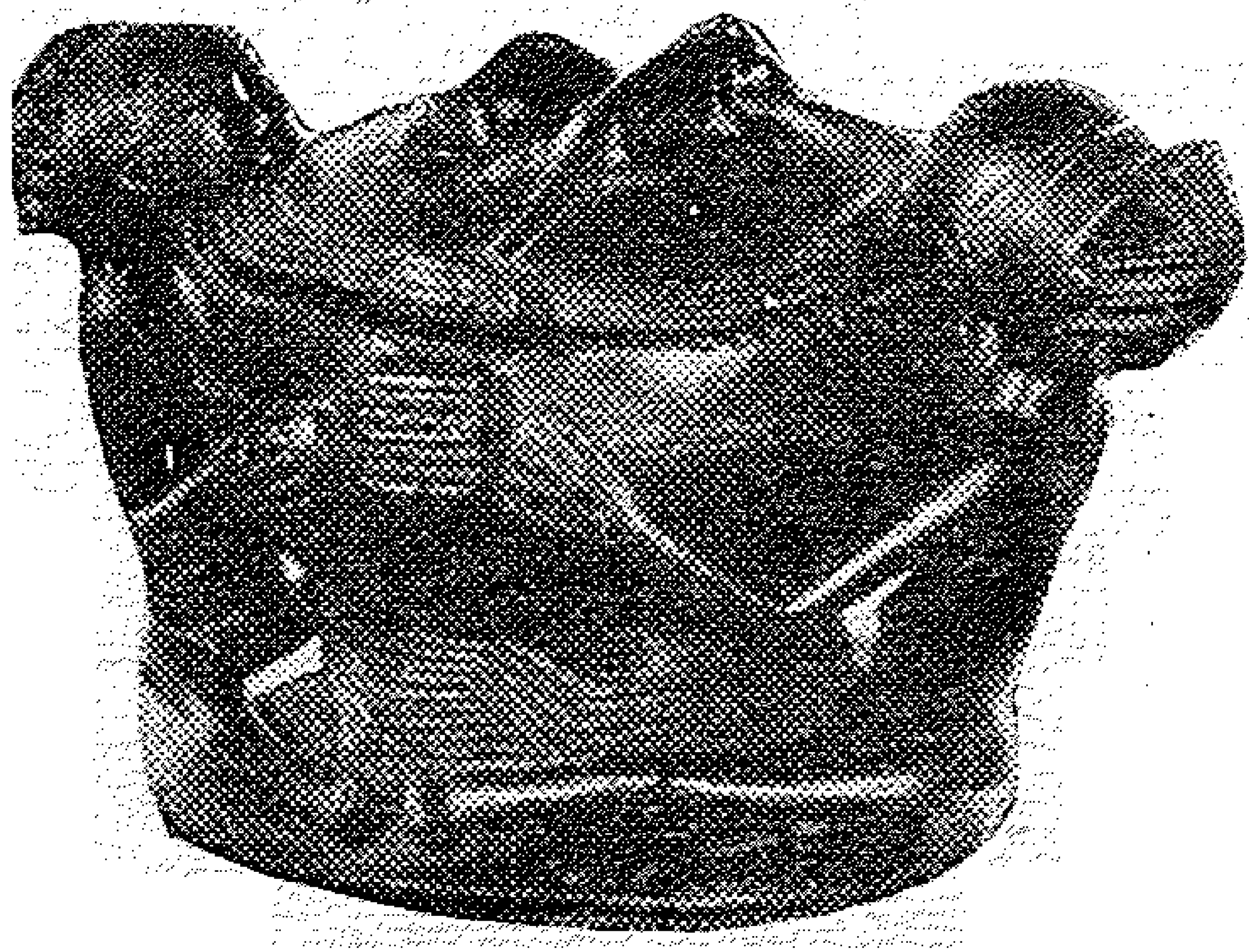
إن الوهج اللامع للحديد ، والصلب
كثيراً ما يطفئ القيمة الحقيقية لكل ما هو لامع غيرهما
ولذلك فعند ما ازدريت سهامى ، وأقواسى المقدسة
ولم أهتم كثيراً بالحديد ، والصلب
أطلقوا علىّ كلمة « السوداء ! » فى كل بلاد العالم
... ولكن الفنّ الهادئ
فن التفكير معاً . والحياة معاً
أغلى قيمة من الحديد ، والصلب الباردين !

* * *

إفريقية السوداء ؟
أنا حفظت الكنز الذى لم يستطع إنسان تقديره
فى الأعماق حيث الجذور المدفونة
لأشجار النخيل السامقة ذات الحفيف !

* * *

إفريقية السوداء ؟
الفجر هنا
انظر إننى أرى الشروق الدافئ فى الشرق
ويومى سيأتى قريباً ! !



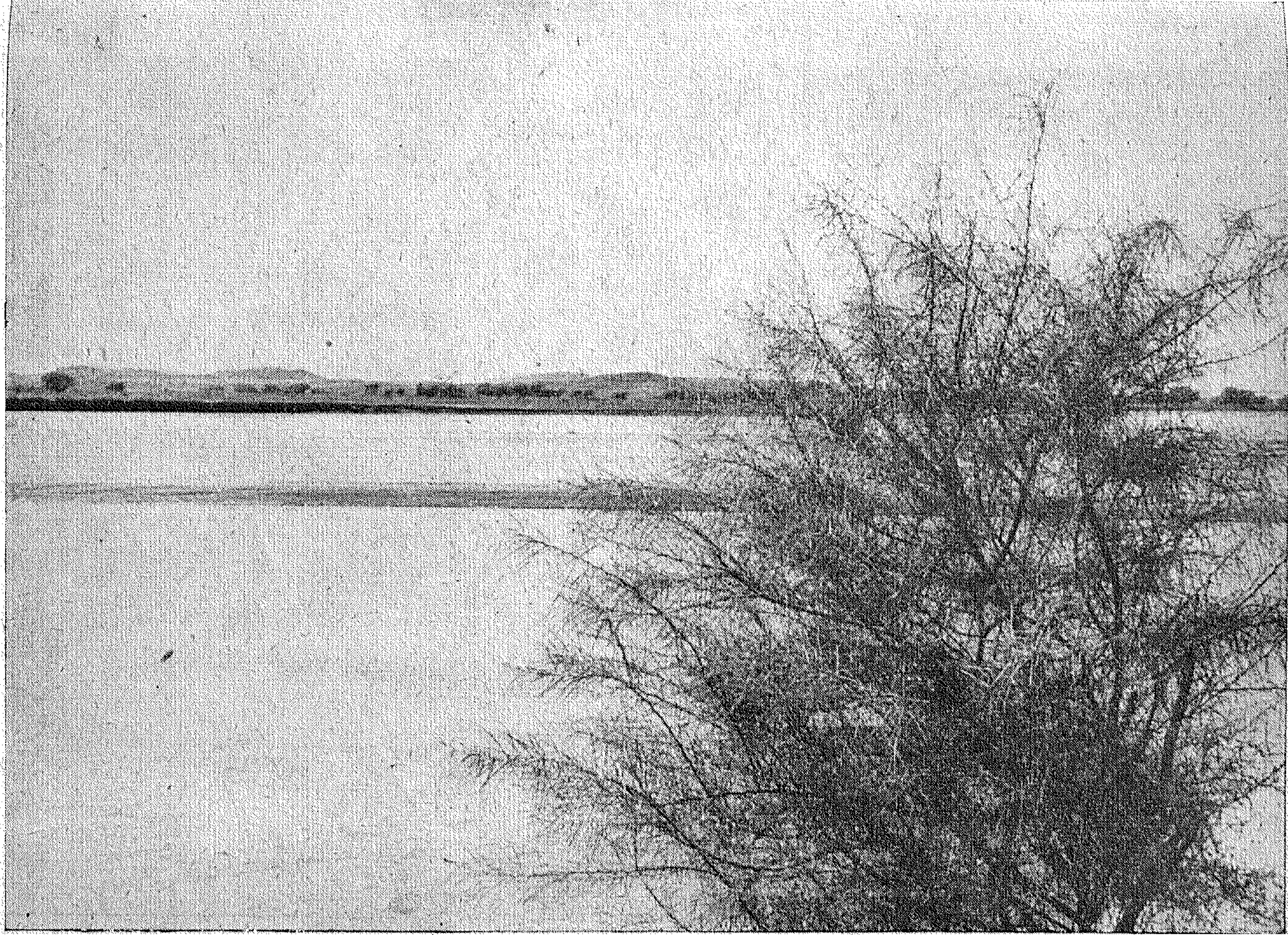
جولة مصورة حول



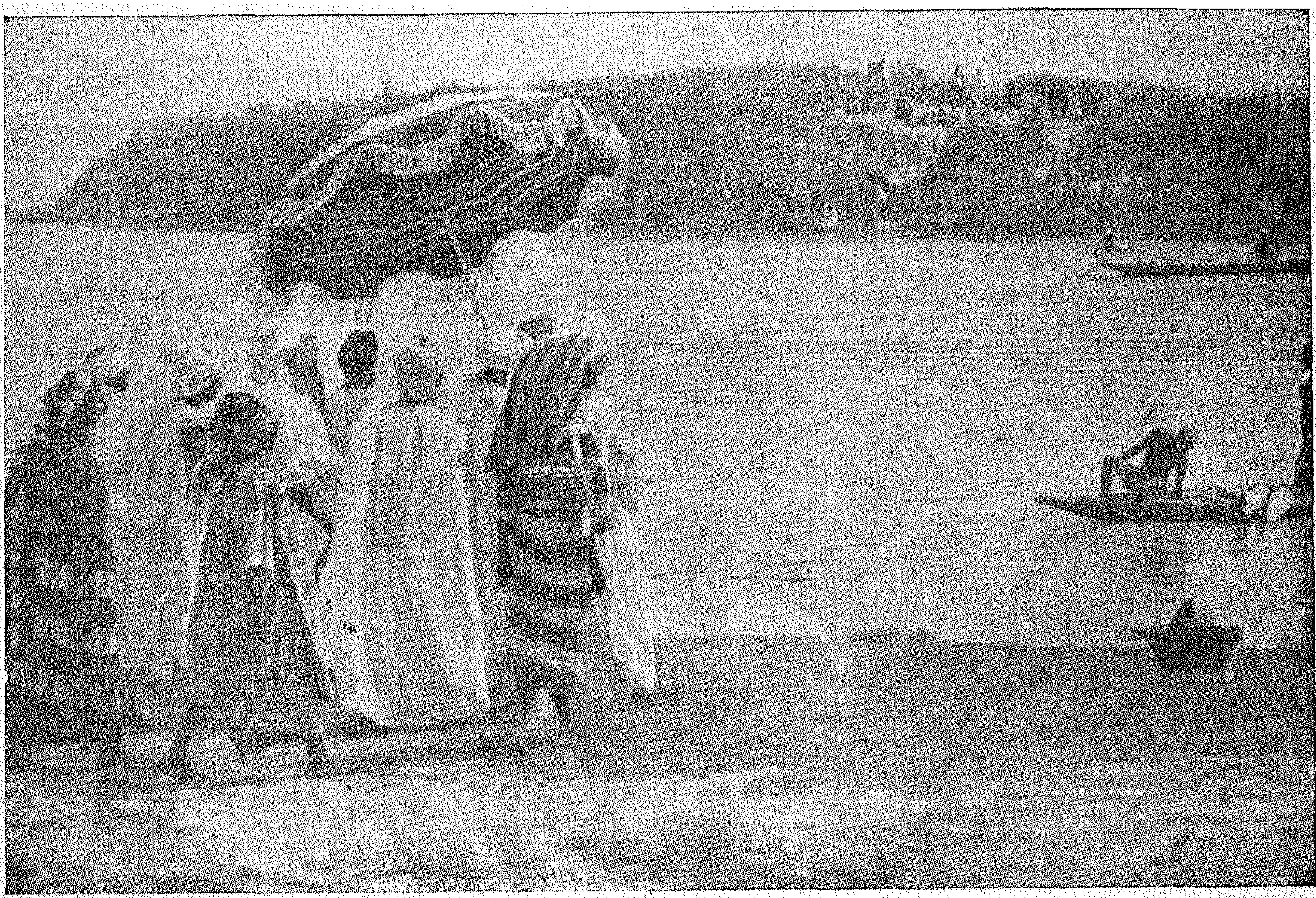
بيت إفريقى أعد إعداداً خاصاً ليكون فى استقبال زوجين جديدين



« من فن « المثالة » الافريقى »



« منظر من السودان »



« على نهر النيجر »

تطور الحركة القومية 

للأستاذة : سميرة محمود حسن

لقد تطور المجتمع الإفريقى بسبب دخول الأوروبيين وما قاموا به من أعمال استغلالية وما أدخلوه من آراء جديدة أدت إلى ظهور بوادر الوعى القومى فى صورة ثورات ضيقة النطاق فى بادئ الأمر ، كانت فى مجملها احتجاجا على النظم الإدارية الجديدة التى لا تستسيغها العقلية الإفريقية القبلية ، ومطالبة برد الأراضى التى اغتصبها المستعمر الألمانى أولاً ، ثم البريطانى فيما بعد .

ثم اتسعت تلك الثورات وشملت مناطق مختلفة من القارة الإفريقية الواسعة ، وتسربت دوافعها من الشرق الإفريقى إلى الوسط والغرب ، واستقلت معظم المناطق الإفريقية المحتلة فى السنوات الأخيرة ، وحصلت على الحكم الذاتى ، وأدار أبناؤها دفة الحكم فيها وأثبتوا للمستعمر الأوروبى أن الرحيل عن إفريقية هو نهاية نضال الزعماء الافريقيين والعرب فى الماضى والحاضر ؛ ففى القرن التاسع عشر . شعر زعماء القبائل الإفريقية والعربية التى كانت تعيش فى الساحل الشرقى لإفريقية أن السلطة لم تعد فى أيديهم ، وأثار هذا نفوسهم وتزعموا تلك الحركات الوطنية :—

(١) البوشيرى :

هذه الحركة قامت بها العناصر العربية والسواحلية التى كان لها يد قوية فى ذلك الوقت ، وتعمدت القيام بثورة على نطاق واسع بقيادة بوشيرى ابن سالم (وهو من أب عربى وأم إفريقية) وكان يشتغل بالتجارة وقد رأى فى السيد برغش ، عدواً للعرب ، لأنه سلم أراضى العرب إلى الألمان[١] أى الشريط الساحلى فى إفريقية الشرقية الألمانية »[٢] وأخذ يعد العدة للقيام بالحركة ويعمل على إثارة الأهالى ضد الحكم الألمانى ، وفى سبتمبر سنة ١٨٨٦ بدأت الثورة فى تانجا : وهى المدينة الثانية الكبرى فى تنجانيقا . وتدفق الإفريقيون من الجنوب وهاجموا المدن الساحلية ليندى ، وماكيندانى على

(1) Stillman, Africa in the Modern World, p. 202.

(2) Hamilton, G. 1954 Princess of Zinj. London.

الساحل ، ثم انتقل الثوار إلى كلوة . ووصلوا إلى دار السلام ، وازدادت الحركة اتساعاً فاستدعيت السفن الإنجليزية والألمانية لإخماد الثورة ، وقد طلبت الشركة الألمانية مساعدة سلطان زنجبار ، ولكنه لم يعمل عملا إيجابياً ، ويرجع هذا — كما يقول رويش Reusch [1]— إلى أن السلطان كان يرى أن هذه الحركة قد تؤدى إلى طرد الألمان من هذه المنطقة . ولكن الألمان عززوا قواتهم وحاصروا بوشيرى وتتالت الهجمات من الجانبين وانتهى الأمر بانضمام بعض القبائل الإفريقية إلى الجانب الألمانى ، لأنها كانت تكره سيطرة بوشيرى . واستمر القتال حتى سنة ١٨٨٩ حيث قبض على بوشيرى وشنق فى بانجانى فى ١٥ من ديسمبر من السنة نفسها .

حركة بوانا هيرى Buana Heri

لم تكن حركة بوشيرى نهاية الثورات ، فقد تبعتها بوانا هيرى ، والتى ترجع فى الواقع إلى عام ١٨٨٢ عندما قام زعيم قبيلة وسوجا Wasegua فى تنجانيقا بهزيمة قوة سلطان زنجبار ، واستقل عن السلطان برغش ، وذلك بسبب تنازله عن الشريط الساحلى للألمان ، لأن ذلك يحرمه من منافع مالية كثيرة مثل الضرائب والمكوس التى كان يحصل عليها من قوافل الرقيق التى تمر عبر المنطقة[1] .

وفى يناير سنة ١٨٨٩ هجم ابن الزعيم على القافلة وذبح المبشر الانجليزى Brooks ، فدبر الألمان هجوماً على بلدة سادانى ، واستطاع بوانا هيرى أن يهرب ، وبعد أن استمر القتال مدة طويلة طلب التسليم بشرط العفو ، وقد تم له ما أراد . ومعنى بوانا هيرى (لقب يدل على حسن الحظ) (Lord of good luck)

حركة الواهيهى : Wahehi

لقد اتخذ الألمان من الشريط الساحلى ، الذى تنازل عنه السلطان مقابل مبلغ مليون دولار فى سنة ١٨٩٠ ، مركزاً للزحف داخل البلاد التى تسكنها قبيلة الواهيهى ، التى اعتادت الهجوم على القوافل . وعلى سكان المناطق الساحلية ، فهى تعيش على السلب والنهب ، وتحب الحرب شأن كل القبائل . مثل مانجونى ومامنيتى . فأرسل لهم الحاكم الألمانى قوة لإخضاعهم وتأمين طرق القوافل من شر غزواتهم ، إلا أن قبيلة الواهيهى استطاعت أن تقضى على القوة الألمانية ، واستمرت الحرب إلى سنة ١٨٩٤ عندما دخلت القوة الألمانية عاصمة

(1) Reusch, 1954. History of East Africa, p. 191.

(1) Reusch, 1954. History of East Africa, p. 305, 306, Stuttgart.

القبيلة « أريجا » واشتبكت فى حرب بدائية أخذت شكل حرب العصابات لمدة أربع سنوات وانتهى الأمر باختفاء زعيم القبيلة فى الغابات حيث عثر عليه ميتاً فى ١٤ من يوليو سنة ١٨٩٨ .

حركة بيت المزروعى :— Mazroe

اختارت الشركة البريطانية التى تدير شركة إفريقية البريطانية (راشد بن سالم) خلفا لوالده حاكم منطقة تاكانا الذى توفى فبراير سنة ١٨٩٥ وكان ممالئاً للبريطانيين . غير أن كثيرين من كبار قبيلة المزروعى رفضوا الموافقة على هذا التعيين . لأنه يخالف تقاليد القبيلة فى شأن ولاية الحكم .

وكان من رأيهم اختيار مبارك بن راشد لماله من حق أكثر فى الولاية . فقد كان ذا نفوذ كبير ، ووافر الثراء وعدوا للشركات البريطانية ، ولذلك رفضت الشركة البريطانية أن تقر تعيينه والياً على تاكانساً Takansa واضطر مبارك بن راشد أن يستعد لأخذ حقة بالقوة فانضمت إليه بطون القبائل وبعض المتذمرين على سياسة الشركة البريطانية . ومعاملتها . وقاموا بحرق مزارع الشركة ، وهدم القرى فى ممبسة . واستولى الثوار على طول شاطئ كينيا . وبدأت الحركة الثورية تمتد داخل البلاد . فأسرعت الحكومة البريطانية بإرسال الجنود فى سنة ١٨٩٥ إلى قلعة الوالى . واستطاعت القوات البريطانية الاستيلاء على هذا الموقع وهرب مبارك بن راشد . واستمرت حرب العصابات حتى أغسطس سنة ١٨٩٦ . وفى هذه المدة أرهق كاهله بالنفقات الباهظة وأخذ ماله يتضائل فاضطر إلى تسليم نفسه إلى الحاكم الألمانى فى تنجانيقا .

وكانت هذه الحركة هى نهاية الحكم للبيت المزروعى ونهاية حكم العرب الذين حكموا هذه المنطقة لعدة قرون (١)

ثورة الماجى ماجى :

لم تتم للألمان السيطرة التامة فى تنجانيقا إلا فى سنة ١٩١٠ حيث أنهم صادفوا مقاومة بعض رؤساء القبائل . كما قامت ضدهم ثورة فى الفترة ما بين سنة ١٩٠٣ : ١٩٠٥ تعرف باسم (ماجى ماجى) أشعلتها قبيلة أنجونى فى جنوب تنجانيقا . وهذه القبيلة تنتمى إلى مجموعة الزولو . وتمتاز بالشجاعة وحب القتال . فقاوموا الألمان مقاومة عنيفة وقتل منهم حوالى ٢٠٠٠ نسمة . وقد قابل الألمان هذه الحركة بالكثير من العنف ، فدمروا قراهم وحرقوا محاصيلهم وشردوا الجماعات وجوعوها . ويقال : إن اقتصاديات هذا الجزء الجنوبى من تنجانيقا لم تعد إلى حالتها الطبيعية حتى

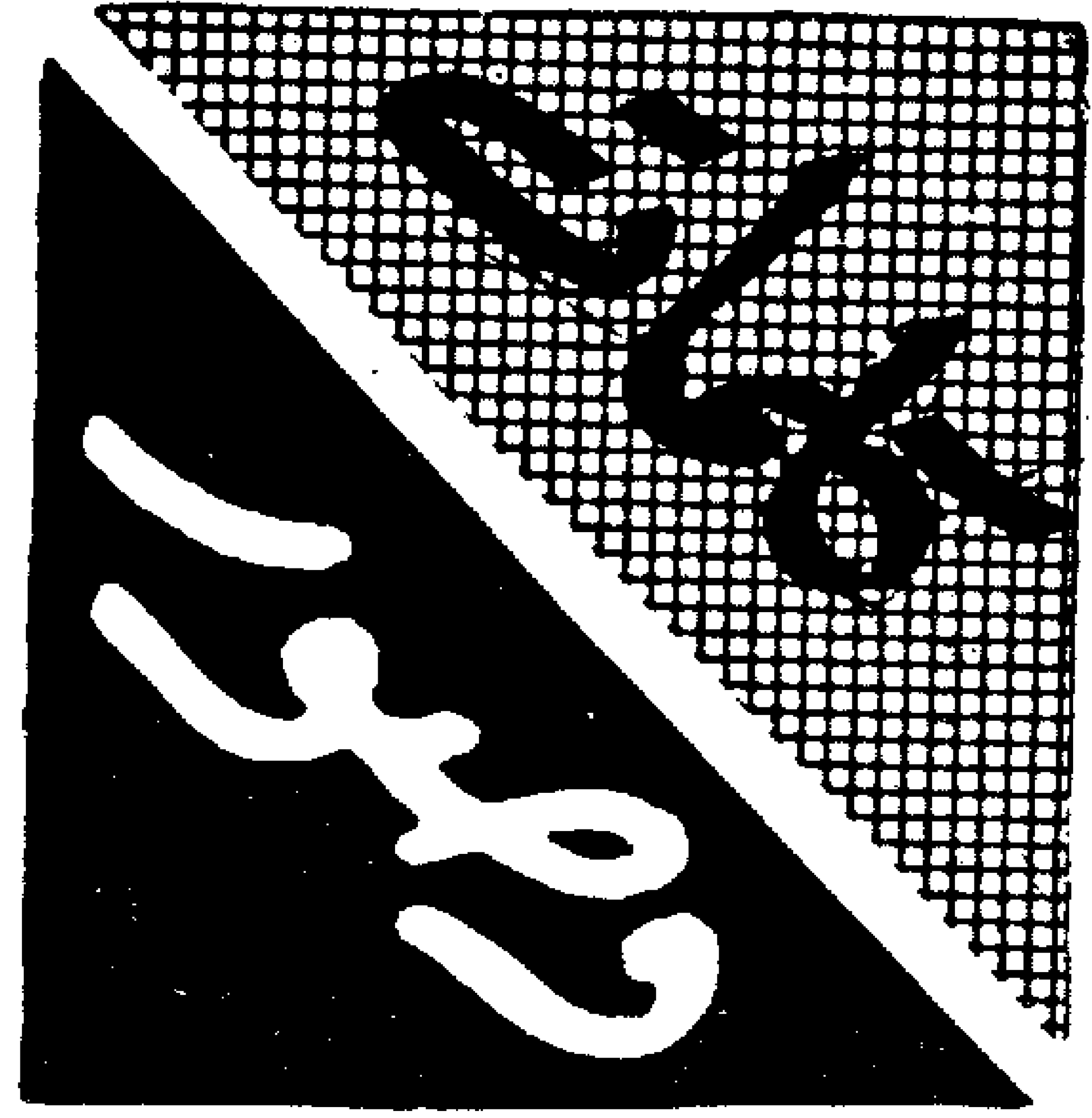
(١) Reusch, 1954. History of East Africa, p. 302, 303.

الآن ، بعد الدمار الذى سلّطه عليها الألمان منذ أكثر من نصف قرن ، وكان هدف هذه الثورة هو الاحتفاظ بالأراضى وطرد الألمان ،وكانت تعبر عن استياء الإفريقيين من الأنظمة الإدارية الاستعمارية التى لا تتفق ومصلحتهم الوطنية .

والخلاصة أن هذه الحركات كانت بصفة عامة تعبر عن دفاع زعماء القبائل عن زعاماتهم وهيبتهم حتى لا يفلت الزمام من أيديهم ويتحول إلى أيدى الأوروبيين كما هو الحال فى حركة البوشرى والبواناهيرى . أو هى ثورات قبلية تعمل للمحافظة على تقاليد القبيلة وعاداتها كالقيام بغزوات السلب والنهب التى كان يحاربها الأوروبيون مثل الواهيهى Wahehi وقد كان زعماء هذه الثورات عرباً أو سواحليين لهم نفوذ وسلطان قوى ، فقد كانوا يشتغلون بالتجارة فى عهد الإمبراطورية العربية التى امتدت من جنوب شبه جزيرة العرب حتى ساحل إفريقية الشرقى ، بل شملت أراضى الداخل

ولقد كانت هذه الحركات الضيقة النطاق نواة صالحة للحركات القومية الإفريقية التى ظهرت فيما بعد والتى كانت السبب المباشر فى تحرر معظم بلاد إفريقية الاستوائية وإعلان استقلال الدول الموجودة فى غرب إفريقية وفى شرقها وهناك مناطق أخرى فى سبيلها للتحرر والاستقلال فى هذه السنوات القليلة المقبلة .





الرئيس يتحدث عن الكونغو :

قال الرئيس « جمال عبدالناصر » فى مؤتمر الاتحاد القومى هذه الكلمة الطيبة التى ساند بها قضية الكونغو : « واليوم أيها الأخوة فى قراراتكم لقد لمستم مشكلة لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تعتبر مشكلة محلية فى إفريقية ؛ ولكنها مشكلة تهدد قضية الحرية والاستقلال فى العالم .

لمستم قضية الكونغو ، ولم تخدعكم الأنباء التى نشرتها الدوائر الاستعمارية ، والصهيونية عن الكونغو .

لقد كانت هناك حملة مسعورة من الأكاذيب تنقلها وكالات الأنباء تعبر عن رأى الاستعمار والصهيونية ، حتى تجعلنا نؤمن أو نعتقد أو نشعر أن الدول الحديثة الاستقلال فى إفريقية لا يمكن أن تتحمل مسئولياتها ، وحتى تجعل الرأى العام العالمى يشعر أن هناك عدواناً على البيض فى الكونغو .

ولكنى متأكد أن هذه الأخبار إنما هى حقائق زائفة ، وهناك ، كما نعلم جميعاً ، فى كينيا مثلا ، الحوادث الوحشية تقع ضد شعب كينيا ، القتل والتعذيب ، وأحكام الطوارئ ، والأحكام العرفية ، وانتهاك كل الحقوق السياسية ... ولكن وكالات الأنباء لاتذيع عن هذه الحوادث ، وعن هذه المآسى الوحشية شيئاً ، لأنها تريد أن تترك الحرية لمن يمارسون الوحشية فى كينيا ، ولمن يعتقلون زعماء الوطنيين فى كينيا أن يمارسوا هذه الوحشية .

أكاذيب الاستعمار والصهيونية :

أما فى الكونغو فعندما بدأت الحوادث بدأت الأكاذيب الاستعمارية والصهيونية حتى تجد المؤامرة فى الرأى العام العالمى من يؤيدها ، ولكن الرأى العالمى الحر كشف هذه المؤامرة وهبّ لنجدة الكونغو ، وتأييدها ، وهو يشعر أنه بهذا ينجد قضية الحرية والحق

أما نحن فى الجمهورية العربية المتحدة فإننا نشعر بقيمة نجدة قضية الحرية والحق ، لقد اعتدى علينا فى عام ١٩٥٦ ، وهُددت حريتنا ، وهدد استقلالنا . . . واعتدت علينا دول استعمارية ، دول كبرى ، وكنا ننظر إلى العالم من حولنا لنستمع إلى كلمة تؤيد قضية الحرية ، وقضية الحق برغم دعايات الاستعمار والصهيونية .

وبرغم هذا فإن الرأى العالمي الحر والدول الحرة ، والدول الآسيوية لإفريقية ، والدول الصديقة ، والرأى العام الحر فى كل بلد ، والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، كل هذه الدول وقفت تؤيدنا ، ولم نخدع أبداً بدعايات الاستعمار ، أو بدعايات الصهيونية .

العدوان علينا وعلى الكونغو :

وأنا حينما استمع اليوم إلى ما يحدث فى الكونغو أتذكر ما كان يحدث فى مصر عام ١٩٥٦ حينما تعرضنا للبغى الاستعمارى ، وللعدوان الاستعمارى وكنا ننظر إلى العالم ، لضمير العالم ، للرأى العام الحر ، للقوى المعنوية العالمية ننظر إليها لتساندنا ، وكانت كل كلمة تصدر فى أى بلد من أنحاء العالم تزيدنا قوة على قوتنا ، وتصمما على الكفاح من أجل الحرية والاستقلال ، ولهذا أيها الأخوة فإن مغزى قراركم اليوم من أجل تأييد الكونغو مغزاً كبيرا .

إننا نؤيد قضية الحرية فى الكونغو لأننا نعتبرها قضية تمسنا ، فإذا هزمت الحرية فى الكونغو فإن الحرية فى العالم أجمع تصبح مهددة دائما .

سلاحنا للكونغو :

إننا أيها الأخوة باعتبارنا دولة إفريقية آسيوية نعلن أننا على استعداد لأن نساعد جمهورية الكونغو المستقلة الحديثة الاستقلال بكل ما فى طاقتنا .

إننا على استعداد لأن نساعد جمهورية الكونغو لتدافع عن استقلالها فإذا طلبت منا حكومة الكونغو أن نمدها بالسلاح فإننا سنمدها بالسلاح

هذا أيها الاخوة هو ضمير هذا الشعب الطيب المكافح فى سبيل حريته وفى سبيل استقلاله برغم كفاحنا من أجل تثبيت حريتنا واستقلالنا . وبرغم حاجتنا من أجل بناء وطننا ، وأمتنا فإننا لا نتردد أبداً فى تأييد قضية الحرية ، التأييد التام .

الاتحاد القومى والكونغو :

هذا وقد وقفت لجنة الشئون الخارجية بالاتحاد القومى من هذه القضية موقفاً مشرفاً ، فقد أرسلت هذه اللجنة إلى « باتريس لومومبا » رئيس وزراء الكونغو البرقية التالية :

« تعرب لجنة الشئون الخارجية بالمؤتمر العام للاتحاد القومى للجمهورية العربية المتحدة المنعقد الآن فى القاهرة عن تأييدها لكم فى كفاحهم وكفاح شعب الكونغو فى سبيل المحافظة على استقلال الكونغو ، ووحدته ، وتعلن اللجنة احتجاجها الشديد على المؤامرات الاستعمارية التى تستهدف تقويض وحدة الكونغو واستقلاله .

وإن شعب الجمهورية العربية المتحدة على استعداد ليقدم لكم كل



الرئيس جمال عبدالناصر

مساعدة فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخكم » .

كما أرسلت اللجنة إلى « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة البرقية التالية :

« تطالب لجنة الشئون الخارجية بالمؤتمر العام للاتحاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة الأمم المتحدة باتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على وحدة شعب الكونغو واستقلاله ضد المؤامرات الاستعمارية ، وتلفت النظر إلى أنه ينبغى ألا يكون للقوات الموفدة إلى الكونغو أية صبغة استعمارية فى أية صورة مباشرة أو غير مباشرة ، وألا تعلق المساعدات على شروط من شأنها الافتئات بأى حال على استقلال شعب الكونغو ، أو وحدته الوطنية ، أو سيادته » .

الكونغو والأقلام النبيلة :

ومن الأصوات النبيلة التى ارتفعت فى حرارة لتدافع عن قضية الحرية فى الكونغو صوت الأستاذ « محمد زكى عبدالقادر » فى كلمته « الصوت الآخذ فى الارتفاع » فقد جاء فيها : هو صوت إفريقية ... لقد أكدت أكثر التعليقات ، والتنبؤات عن حوادث العالم فى السنوات المقبلة إن إفريقية ستكون القارة صاحبة الدور الأول وبالغ بعض المعلقين فقال : إن السنوات القادمة ستكون سنوات إفريقية ، أو عصر إفريقية ، وقد صحت كل هذه النبوءات ، والتعليقات حتى ما كان منها يبدو منذ سنوات كأنه مبالغ فيه ، إن الأمم المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ؛ وأمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والعالم كله يتحدث عن إفريقية ، عن الكونغو ، الدولة الجديدة التى لم ينقض على إعلانها دولة مستقلة سوى عدة أسابيع .

الكونغو يفكر فى إعلان الحرب على بلجيكا .. الأمم المتحدة ترسل قوات دولية إلى الكونغو .. الاتحاد السوفيتى يوجه إنذاراً إلى الغرب لكى يكف عن التدخل فى شئون إفريقية ، ويعد دولها بالمساعدة العسكرية إذا اقتضى الأمر .. ولاية كاتنجا تطالب بالانفصال عن الكونغو .. مؤامرة استعمارية وراء الانفصال .. دول إفريقية تقف كلها فى صف الكونغو .. الأمم المتحدة أيضاً فى صفها .. المعركة تزداد شدة .. الصراع بين البيض والسود يبلغ غايته .. القارة السوداء تضطرم بالسخط .. لأول مرة نسمع أسماء زعماء إفريقيين يقفون على قدم المساواة مع زعماء أكبر الدول الاستعمارية .. نسمع لومومبا يقول للأوروبيين : إننا نريد الاستقلال ولكننا لا نريد نهب أموالكم .. نحن نريد أن نتعاون معكم ولكن عليكم أن تعرفوا أن الزمن قد تغير .

هذا هو أخطرها فى الموقف .. إن الأوروبيين المقيمين فى الكونغو لا يسلمون بأن الزمن قد تغيّر ، والأوروبيين المقيمين فى بروكسل ، ولندن ، وباريس لا يسلمون أيضاً بأن هذا الزمن تغير ، وهذا هو سبب المعركة القائمة اليوم بين الكونغو ، وبلجيكا ، وهذا هو السبب فى كل ما ينتظر أن تعانيـــه إفريقية من متاعب !

ولكن صوت إفريقية آخذ فى الارتفاع بتأييد شامل من الرأى العام العالمى ، إن التطور والزمن معه !

ضباط الكونغو :

وهـــذا عنوان الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد بهاء الدين ، والتى جاء فيها :

جيش الكونغو ، الذى كان مركز الاضطرابات الحالية هناك . . تكون لأول مرة منذ ٧٠ سنة ، بأمر من الملك ليوبولد الثانى . كانت الكونغو فى ذلك الوقت تملكها شركة بلجيكية تجارية ، يرأسها الملك نفسه ! وأرادت الشركة أن تحكم الكونغو بأرخص الأسعار ، فبدأت بتكوين جيش جنوده من أهل البلاد وضباطه من بلجيكا .

وقد ثار الجنود على ضباطهم البلجيكيين خلال الاستعمار أكثر من مرة . ووقعت هذه الاصطدامات لأول مرة سنة ١٨٩٥ وآخرها ، قبل الاستقلال ، سنة ١٩٤٤ ، فالأزمة ليست الأولى وليس سببها الاستقلال كما تزعم المصادر الأوروبية . وعند ما تحولت الكونغو إلى مستعمرة تابعة لحكومة بلجيكا مباشرة سنة ١٩٠٨ ، اهتمّت بلجيكا بزيادة عدد ضباطها ، حتى وصل عددهم إلى حوالى الألف .

وفى خلال الثورة التى وقعت فى الكونغو فى السنة الماضية ، والتى أدت إلى اعتراف بلجيكا باستقلال الكونغو فى خلال تلك الثورة ، كان البلجيكيون يرغمون الجنود على أن يقمعوا الثورة ويقتلوا مواطنيهم وأبناء مدنهم وقراهم ، مما جعل الجنود فى حالة نفسية سيئة ، ناقمة إلى أقصى حد على الضباط البلجيكيين .

وقد طلب لومومبا رئيس وزراء الكونغو المستقلة المساعدة من الأمم المتحدة . وطلب من همرشولد أن يرسل إليه ضباطاً من الدول الإفريقية المستقلة ، يحلون محل الضباط البلجيكيين فى تنظيم الجيش ، ومثل هذا الطلب يجب أن يلبى فوراً . وهو سابقة لا بأس بها ، تسجل أن شعوب إفريقية ، رغم كل الصعاب ، تستطيع أن تقيم بناءها السياسى والإدارى . فالدول الإستعمارية فى الواقع تريد إفساد تجربة الكونغو ، حتى ترهب بها قلب إفريقية كله الذى ما زال رازحاً تحت الاستعمار !

أما مطالبة أحد زعماء مقاطعة كاتنجا بالانفصـــال وإعادة الحكم البلجيكى ، فهذا الزعيم ليس إلا من

طبقة رؤساء القبائل المرتشين الذى تعود الاستعمار أن يشتريهم ويستعين بهم على البقاء ، والكونغو قد استقلت كجمهورية واحدة لها كيان واحد ، ومثل هذا الطلب غير قانونى ، ولا يجوز لبلجيكا أن تتدخل ... لأن الحكومة الشرعية الوحيدة لم تطالبها بهذا التدخل .

معرض عن الثقافة والحياة لدول فريقية :

أقيم فى متحف « البوليتيكنيك » بموسكو معرض للثقافة والحياة لدول إفريقية ، وقد أشرفت على تنظيم هذا المعرض ودعت إليه جمعية الصداقة السوفيتية مع شعوب إفريقية ، وجمعية نشر المعارف العلمية والسياسية .

وقد وجهنا الدعوة إلى كافة الدول الإفريقية للاشتراك بالصور ، والتحف الشعبية ، والصناعات القومية ، والآلات التى تتسم بالطابع القومى .

وقد ألقى كلمة إفريقية الدكتور التهامى عبد الرحمن موسى المستشار الثقافى بسفارة الجمهورية العربية المتحدة بموسكو، فشكر فيها المسئولين الذى قاموا بهذه المهمة ، وتحدث عن الحضارة القديمة التى كانت إفريقية أفقا لفجرها ، والتى نقلها الغربيون إلى بلادهم ثم أعادوها إلى القارة مشوهة ، وذات اتجاهات ضارة .

ولكن إفريقية اليوم تسعى إلى تأكيد حاضرها ، وتتكىء على ماضيها وهى تسير إلى مستقبلها .

وقد صُدِّر المعرض بخريطتين كبيرتين للقارة الإفريقية تمثل .
الأولى منهما الوضع الراهن سياسياً مستخدمة الألوان فى الإشارة إلى الدول التى استقلت ، والدول التى ستستقل قريباً ، والدول التى تكافح من أجل حريتها ، وقد رسمت على الجزائر قنبلة تسيطر على مصائرها ، ووضعت جنوب إفريقية خلف صلبان حديدية
أما الثانية فتمثل دول القارة من حيث اللغة ، والجنس البشرى وقد كتبت كلمة « عربى » على الجمهورية العربية المتحد ، وجمهورية السودان ، وعلى ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب . كما زينت الجدران بصور كثيرة تلقى ضوءاً على الحياة فى إفريقية ، وفى الواجهة علقت صورة كبيرة تجمع بين الرئيس « جمال عبد الناصر » ، والرئيس « نيكيتا خروتشوف » .

تصور :

يتصور الميتابيليون الإله على صورة تتفق مع معتقداتهم ، وبيئتهم . فهو عندهم قوة خارقة لا تقاربها قوة ، ولا يدانيها إنسان مهما كان هذا الإنسان عظيماً ، وقوياً .

ثم إن له أجنحة سوداء كبيرة تزينها الأشواك ، وهو وراء الجذر فى

الشجرة ، والخضرة فى الورقة ، والنضج فى الثمرة !

ومن أغانيهم المؤثرة التى يرفعونها إليه أغنية متأملة تسمى أغنية « أعظم العظماء ! » ..

تدمير :

تعمل فرنسا على تدمير النفسية الإفريقية فى البلاد التى تضع يدها عليها بكافة الوسائل ، فهى لم تقف عند حد اغتصاب الأرض ، واستنزاف المناجم ، ومحاولة « فرنسة الأهالى » ، وإنما تعدت ذلك إلى الأطفال ، فأعدت لهم برنامجاً يجعلهم يتحاملون على ماضيهم ، ويشيحون بأوجههم عن تاريخهم . بينما ينطق لسانهم بالتمجيد لفرنسا ، والاعتراف — المر — بفضلها عليهم ! فهذا أحد الأناشيد التى قررت على التلاميذ .

« سلام عليك يا « داهومى » !
يأيتها الأرض التى ضمت أجدادنا
لقد تبنتك فرنسا كنفسها
لقد سعدنا منذ ذلك اليوم
ودب فينا الأمل !
لأنا نستحق ما فعلته لأجلنا
ونحن الآن من أعماق قلوبنا نقول :
يا فرنسا تستطيعين الاعتماد علينا
فلنتذكر فى الريف والمدينة
أننا دائماً فرنسيون
وسنبقى فرنسيين
فرنسيين إلى الأبد
لقد حاربنا تحت علمك
وإذا دعينا فسنضحى بابنائنا
وسننشد ونحن نسير إليك
يا فرنسا اعتمدى علينا !

والذى نستطيع أن نؤكده ، والذى أكده التاريخ نفسه أن الشخصية الإفريقية لم تهتز بهذه الكلمات الكاذبة ، فقد كان الأطفال يرددونها بشفاههم ، بينما قلبهم الصغير يغنى « لداهومى » ، ولكل بلد يضغط عليه الفرنسيون بالأسلحة ، فالوطن ليس نشيداً يعد فى باريس ، ويلحن . ويصدر بعقول وأيد فرنسية . ولكنه شىء عميق جداً يضم الماضى . والحاضر ، والمستقبل للبلد ، وقد يكون الوطن عارياً ، أو ممزقاً ، أو مجدباً . أو قاسياً ولكن له فى النفس القداسة . وفى القلب الصلاة ، وفى السلم الحب . وفى الحرب الدم !

إن فرنسا تنسحب من أكثر من مكان فى إفريقية ، وتتبعها هذه الأناشيد المسمومة لأنه لم يعد لها فى إفريقية مكان .. ولم تعد لهذه الأناشيد شفة فى ثغر ، أو رقعة فى أفق ! !

إحصائية :

جاءت فى كتاب « الإسلام فى القرن العشرين » للأستاذ عباس محمود العقاد الاحصائية الآتية عن المسلمين فى إفريقية « فالتقدير المعتدل لهم يقارب مائة مليون ، منهم خمسة وعشرون مليوناً فى مصر والسودان ، وعشرون مليوناً فى طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش ، وعشرون مليوناً فى الصحراء الغربية ، والسودان الفرنسى ، وبحيرة تشاد ، والشواطئ

الغربية، ونحو عشرة ملايين فى زنجبار، ومدغشقر، والسواحل الشرقية، والصومال، وسائرهم بين الحبشة، وأوغندة، وكينيا، وإفريقية الجنوبية.

فليس من المبالغة أن يقدر عدد المسلمين فى العالم بأربعمائة مليون أكثرهم فى آسيا، وإفريقية وأقلهم فى أوروبا، ما عدا ألوفاً معدودة فى العالم الجديد.

والإسلام فى القارة الإفريقية يشغل شواطئها على البحرين، الأبيض والأحمر، وعلى المحيطين، الأطلسى والهندى. فكل الشواطئ الإفريقية يقطنها مسلمون ما خلا الجانب الغربى إلى الجنوب، ويتخللها المسلمون فى جوف الصحراء الكبرى كما يتخللونها فى أواسطها من السودان إلى أعالى النيل. وتنصبّ قوة الاستعمار كلها على القارة الإفريقية فى الوقت الحاضر، فعلى الإسلام عبء كبير ينهض به فى وجه هذا الاستعمار. ومهما يكن من تفاوت القوى المتنازعة فى هذه القارة فليس السؤال هنا: من يقدر على الغلبة؛ بل هو من يقدر على البقاء بعد طول الصراع.

ونخال أن الجواب لا يقبل الخلاف. فلن يُقبل المستعمرون ويزول أبناء البلاد. ولن يستطيع المستعمرون مهما عملوا أن يخرجوا أبناء البلاد عن آجناسهم، وعقائدهم ليدمجوهم فى غمارهم إفريقيين «مغتربين».

نكرومة وغاندى:

لقد بذلت كثيراً من الجهد لدراسة الثورات، ومناهجها، ووجدت أن هناك كثيراً من القيم يمكن أن يستخلصها الإنسان، ويستفيد منها من هانيبال، وكرومويل، ونابليون، ولينين، ومازينى، وغاندى، وموسيلنى، وهتلر.

حقاً لقد كان لهؤلاء القادة أعمق الأثر فى نفسى، فقد كانوا معى حينما كافحتُ الاستعمار، وإن كنت لم أستطع أن أتفهم فى أول الأمر كيف تكون فلسفة غاندى – التى تقوم على عدم العنف – دافعاً من دوافع اليقظة فى الشعب، واغرائه بظالميه، والفتك بهم فقد كنتُ لا أومن إلاّ بالعنف مع هؤلاء الذين اغتصبوا منا أرضنا، وتاريخنا!

ولكنى ما كدت أتعمّق فى فلسفة «غاندى» السياسية، وألاحظ نتائجها حتى أدركت أنه متى أيدها تنظيم سياسى قوى كانت بمثابة القوى المسلحة، بل وأعنف منها. ففلسفة غاندى وإن كانت سلبية فى مظهرها إلا أنها إيجابية فى مخبرها.

توتى فى الصباح :

هذا عنوان القصيدة الجميلة للشاعر السودانى « التجانى يوسف بشير » الذى قدّم فيها عرْضا حياً لهذه الجزيرة الخصبة أمام النيل ، وقارئ القصيدة يحسُّ أن الشاعر وهو يتكلم عن «توتى» كأنه يتكلم عن الريف فى مصر فهناك مشاركة وجدانية بين البلدين حتّى فى الطبيعة ، ومن هنا نرى الشاعر يناديها قائلا « يا أخت مصر ! »

يا درة حفها النيل واحتواها البر
صحى الدجى وتغشاك فى الأسرة فجر
وصاح بين الربا الغر عبقرى أغر
وراح ينفض عينيه من بنى الأيك حر
فاج بالأيك عش وقام فى العش دير
كم ذا تمازج فن على يديك وسحر
يخور ثور وتثغو شاة وتنهق حمر
والبهم تمرح والزرع مونق مخضر
تجاوب اللحن والطحن والثغاء المر
وهب صوت النواعير وهو فى الشجو مر
إن الجرار وقد ضاق بالقليب الممر
تكسرت وهى تهوى فما تلاءم كسر
فتلك معصوبة الرأس كم تنى وتخر
وتلك مرضى وهاتيك للخواطر قبر !

* * *

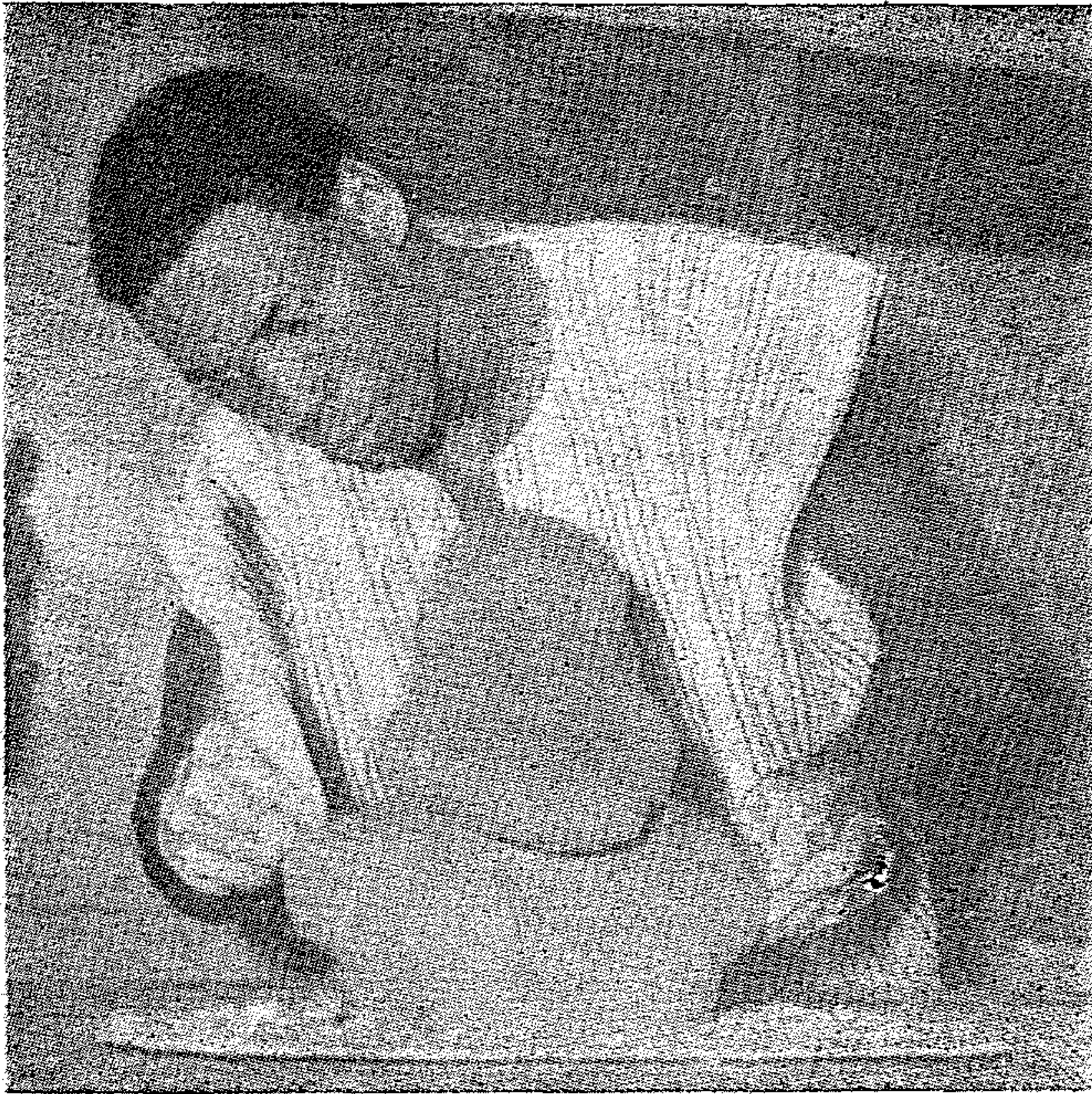
وظل قرنك يا شمس آنذاك يذر
فكل غصن مصابيح من ندى يستدر
ونور الطل واحمر فى الثرى المخضر
وذاب فى الرمل أو ماج فى الترائب تبر
ترجل الريح ما انهال من نقا أو تذر
والفلك فى جانبيها كالدهر ما تستقر
هذا شراع مكر ، وذا شراع مفر
يطوى وينشر والريح من هناك تمر
وزورق يتهادى وزورق يستحر
يرسى ويقلع والشط هادى مستقر
وفى الضفاف أوز دكن الجوانح كثر
ورب قنواء للعصم والأنوق مقر
أو فى على النيل فرع منها وأشرف جذر
والنيل يقدم مدمنه ويجفل جذر
وكم تقادم عهد وكم تصرم دهر
وتلك يأوى إليها فى الوقدة المستعر

* * *

يا أخت مصر وتفديك فى المكاره مصر
حيا شبابك فيض من الرخاء ويسر
كم فى المزارع قوم شم العرانين صفر
هبوا صراعاً إليها وليس منها مفر
ذياك يعزق فى العشب جاهداً ما يقر
وذاك يعنيه حرث وذاك يعنيه بذر
وماج فى الغيط نشء ملء النواظر حزر
هناك فول وهذاك فى السنابل بر
وما تعذر شىء ، ولا تعسر أمر
مشى الضحى وله بعد فى رباك مجر !

فنان من غانة

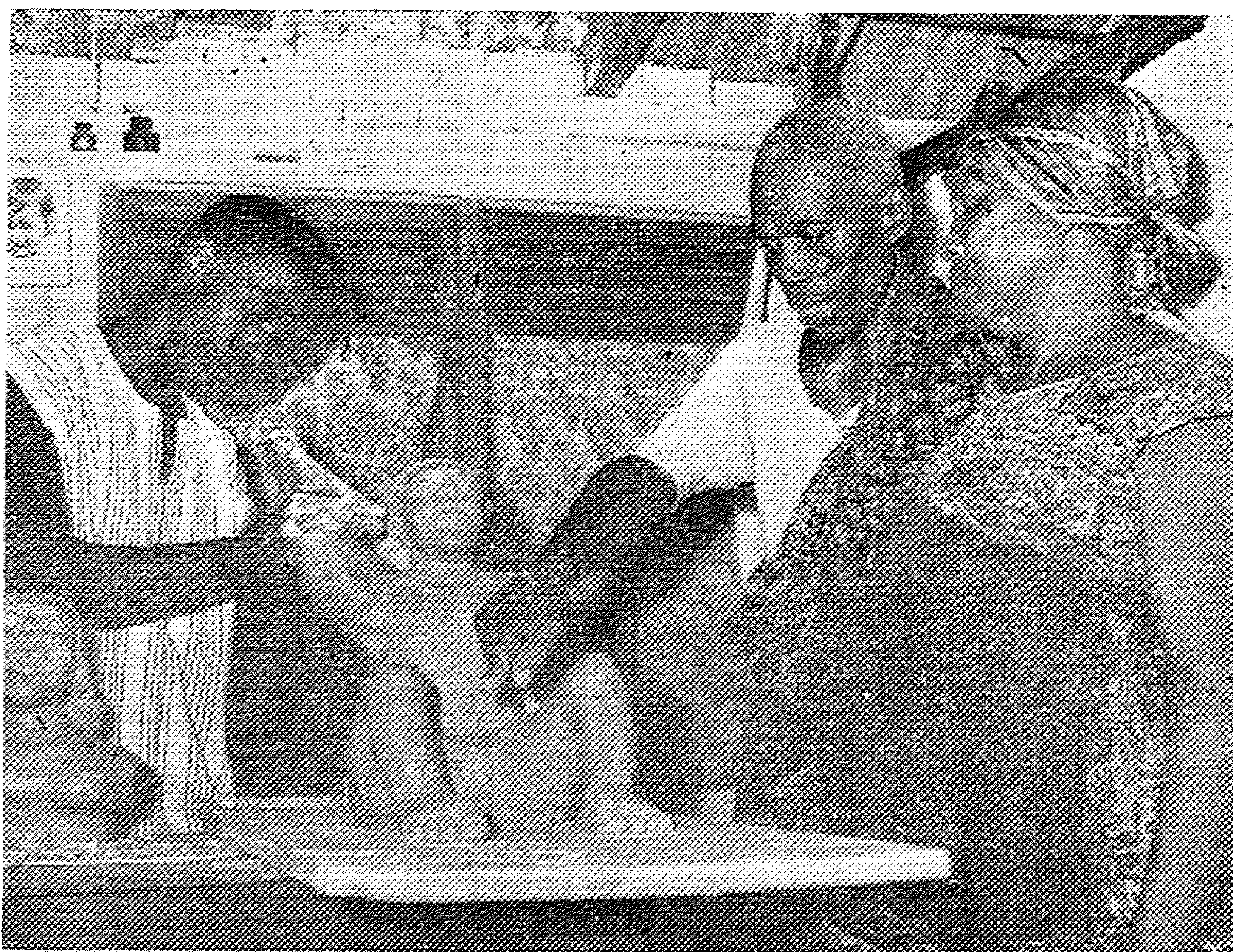
تنمو اليوم عمليات الخلق الفنى ، وتشق طريقها فى ثقة ، وإخلاص للمحلية الإفريقية التى تتسم بروح العالمية الإنسانية ، فما يكاد البلد الإفريقى ينال إستقلاله ، ويمارس حرياته حتى تلمع فى ضميره العبقريات ، وتزدهر الروح الخلاقة فى الفنان ، والذى يقارن بين الأعمال الفنية –كل الأعمال الفنية – قبل الاستقلال وبعده فى أى بلد إفريقى يجد فرقاً واضحاً ،فكل الأعمال الجديدة تتميز بحرية الخطوط ، وعمق الصورة ، وصدق التجربة ، ثم أخيراً بهذا الشيء الذى يضىء من داخل العمل الفنى وهو الحرية ! ذلك الفنان محتاج إلى الحرية قبل أى إنسان آخر ، وهو الذى نستطيع من خلال تمثاله ، ولوحته ، وموسيقاه ، وقلمه الحكم على ما يتميز به ضمير أمته ، ووجدان إقليمه . . وفى غانة اليوم مثال يسمى آمواروكوسى يتحدثون عن نضوجه الذى حدث فجأة بعد استقلال البلاد ، فهو يتمتع بأنامل بليغة – إن صح هذا التعبير– يستطيع بوساطتها تشكيل الحركة فى الوجه ، والاختلاجة فى الروح ، وبيته حتى حجرة نومه لا تتكون من جدران بقدرما تتكون من تماثيل ، وغاية ما يتمناه خلق مدرسة يوضح فيها الاتجاه الإفريقى فى فن «المثالة».



وغانة اليوم تقف باعجاب أمام تمثال للفنان للزعيم « كوامى نكرومة » لم يوضح فيها خطوط الزعيم قدر ما وضح فيها ملامح غانة الجديدة المتحررة ! فالفنان الإفريقى اليوم يمزج القائد بالشعب بحيث لا يمكن التفريق بينهما فيمكنك أن ترى القائد حين ترى الشعب ، وأن ترى الشعب حين ترى القائد ، وبهذا ينتقل الفن إلى مخاطبة الوجدان الجماعى ، وتتأكد خاصية أخرى من خصائص الفن الإفريقى ! !



« أموار وكوس بين تماثيله »



« الفنان بين والديه »



« الفنان وعملية الخلق الفنى »



السلطان .. صانع السجاد !

بقلم عباس خضر

كان السلطان حسن يسير متخفياً ومعه وزيره بدر الدين متخفياً مثله . وعطش السلطان ، ورأى على باب منزل فى الطريق فتاة رائعة الحسن ، فمال إليها وسألها أن تسقيه ، فدخلت إلى المنزل وخرجت له بالماء فشرب ، وشرب الوزير ، ثم استأنفا السير ، وقال السلطان :

– ابنة من هذه الفتاة ؟

– ابنة أحد رعاياك يا مولاى .

– إنها رائعة .

– أجل يا مولاى السلطان ..

ولم يتم السلطان حسن ليلته ، فقد وقع فى حب الفتاة وجعل يفكر فيها ، ولما أصبح الصباح استدعى الوزير وأمره أن يذهب إلى والد الفتاة ويخطبها له .

ونفذ الوزير أمر السلطان ، وأراد والد الفتاة أن يستطلع رأيها فقال لها :

– السلطان يريدك زوجة له ياست الحسن والجمال .

– ما صناعته ؟

– صناعته ..؟ إنه السلطان !

– لا ، لا أتزوج رجلا لا صناعة له ..

وأبلغ الوزير السلطان ما قالته ست الحسن والجمال ، فدهش ، وأمره أن يعيد عليها الطلب ويحمل إليها أنفس الهدايا لعلها تلين ..

وقال الوالد لابنته :

– يا ابنتى ، إن السلطان أرسل لك هدايا ثمينة جداً .

– لا ، لا أقبل . قلت إنى لا أتزوج رجلا لا صناعة له ..

– وما حاجة السلطان إلى الصناعة؟ إنه يملك كل شىء .

ولكن ست الحسن والجمال أصرت على أنها لا يمكن أن تتزوج إلا رجلا له صناعة .

وحاول السلطان حسن أن ينساها ويصرف حبها من قلبه ، ولكنه لم يستطع ، بل زاده إصرارها على موقفها شغفاً بها وحرصاً على الزواج منها .

وذات ليلة أرق السلطان لتفكيره

فى ست الحسن والجمال وحيرته فى أمرها ، فاستدعى وزيره ، وقال له :

– دبرنى يا وزير .

– التدابير لله يا ملك .

– ما الرأى فى ست الحسن والجمال؟

– الرأى عندى يا مولاى السلطان أن تتعلم صناعة ..

– وأية صناعة أتعلمها ؟

وفكر الوزير قليلا ثم قال :

– إن أليق صناعة بمقامك هى صناعة السجاد .. لأنها صناعة نظيفة وتنتج مصنوعات فاخرة .

وافق السلطان على اقتراح الوزير ، وتعلّم صناعة السجاد . فرضيت به ست الحسن والجمال زوجاً لها ، وزفت إليه ، وعاشت معه فى سعادة ، ولكن السعادة فى هذه الدنيا لا تدوم .. فقد وسوس الشيطان إلى نفس السلطان حسن قائلا : كيف ترضى لنفسك أن تكون صانع سجاد وأنت سلطان على هذا العرش ، تملك وتحكم كما تشاء ..؟ وكيف تخضع لحكم امرأة وأنت الحاكم على الجميع .. ؟ يجب أن تنبذ هذه المرأة التى أذلتك وجعلتك تنزل إلى مرتبة الصناع ! بل يجب أن تعاقبها وتنتقم منها ..

وغضب السلطان على زوجته ست الحسن والجمال . وأمر بحبسها حتى يبتّ فى أمرها .

وفى يوم من الأيام كان فى إحدى جولاته متخفياً وحده ، وأبعد فى السير حتى رآه بعض أعدائه وعرفوه ، فهجموا عليه وأسروه ، وأساءوا معاملته . فعرض عليهم أن يصنع لهم سجاداً يبيعونه ويكسبون منه على أن يحسنوا معاملته ، فقبلوا ، ومكث معهم مدة يصنع لهم السجاد ويبيعونه فى الأسواق القريبة . وخطرت له فكرة ... فقال لهم : إن الوزير بدرالدين يهوى السجاد الفاخر . وإنه سيصنع سجادة من النوع الذى يعجبه ، فيرسلونها إليه مع بائع يعرضها عليه لكى يشتريها بثمن كبير . فوافقوا ، فصنع سجادة ، وكتب رسالة إلى وزيره بدر الدين ضمنها وصف المعتقل الذى يعيش فيه . ووضع الرسالة فى ثنية بالسجادة ، ولفها وربطها ربطاً محكماً ، وأوصى أن تظل السجادة بربطها حتى تعرض على بدرالدين فيعلم أنها جديدة لم تستعمل . ووصلت السجادة إلى بدر الدين ، واطلع على الرسالة ، وعرف منها مكان السلطان ، فأسرع إليه بجيش كبير . وخلّصه من أعدائه .

وكان أول شيء فعله السلطان عقب عودته إلى القصر أن أمر بإحضار ست الحسن والجمال فى الحال ، واعتذر لها عما كان ، وشكرها ، لأنها كانت السبب فى تعلمه صناعة أنقذته من أعدائه . وعاشا فى التبات والنبات وخلّفا كثيراً من الصبيان والبنات .

شخصية العدد

جون لى هوكر

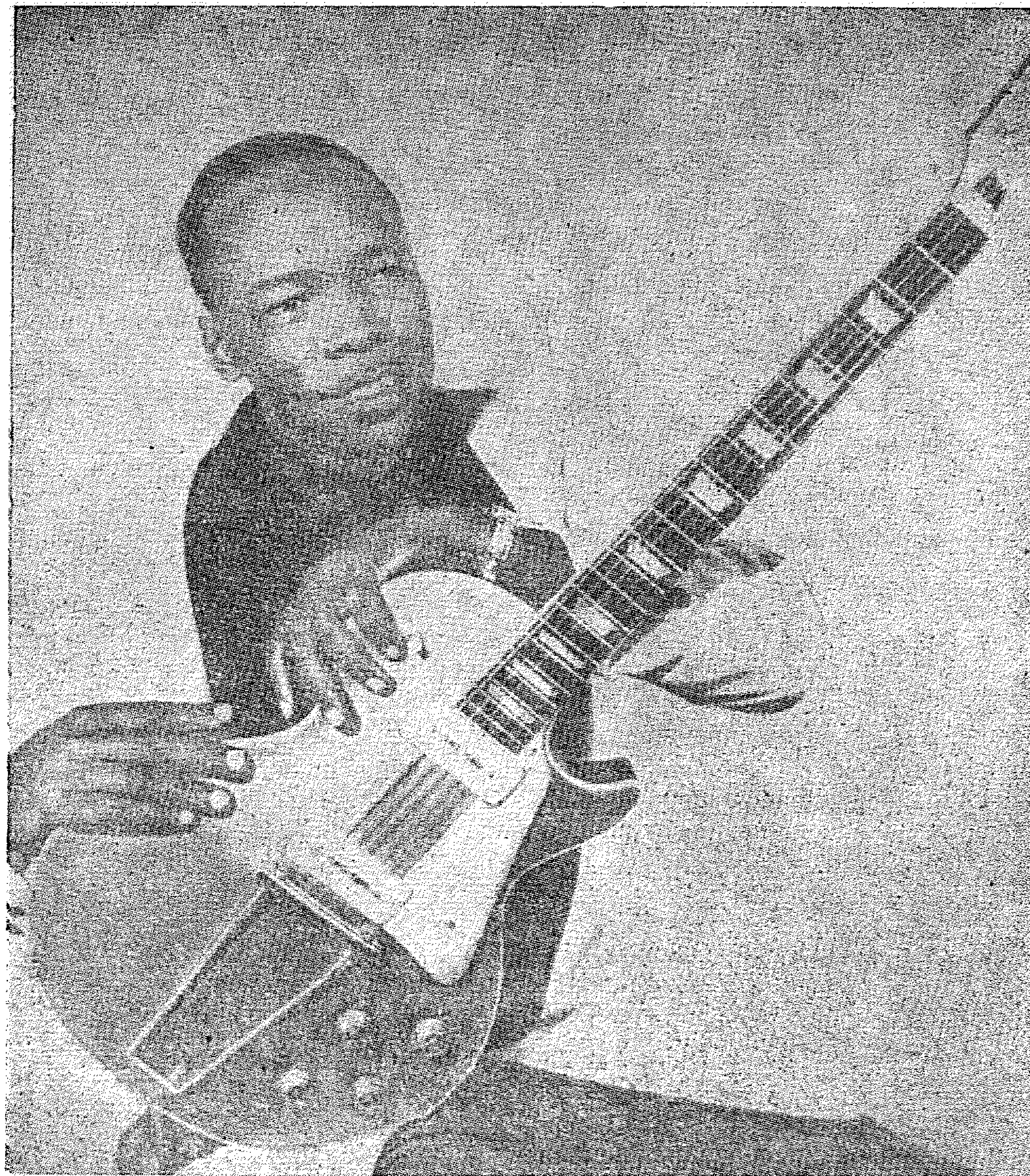
لم تكد تمضى عدة سنوات على يوم ٢٢ من أغسطس عام ١٩١٧ — وهو يوم ميلاد « جون لى هوكر Jon Lee Hoker » بمدينة كلاركس رال — حتى كان قد تشبّع بمأساة تعيش فى ضمير الزنوج .. كل الزنوج .

على أن المأساة فى أول الأمر لم ينقلها إليه صديق ، ولم يقرأها فى كتاب ، ولم يجهش بها والده الذى كان يرجع من عمله مكدوداً . فقد كان من عاداته أن يوشّى أحزانه بلون وردى حتى لا يضفى على البيت الفقير عبئاً فوق الأعباء الملقاة عليه . ذلك لأنه كان يتلقى هذه المأساة مكتومة فى الشارع الضيق ، أو متعبة فى الأفق الحزين ، أو منزوفة من الجراح التى يتلوى تحتها الزنوج وهم فى طريقهم إلى المعامل الجهمة ، أو الحقول الصامتة !

ذلك لأنها كانت ميراثاً حزيناً تلقوه عن آبائهم الذين قضوا نحبهم تحت الشمس ، والسياط ، والسخرية ، فقـد كانت السخرية هى الأخرى تعذّبهم . ثم تغرس فى إنسانيتهم أكثر من خنجر للموت !

وكثيراً ما ساءل « جون لى هوكر » والده عن سر هذا الشجن الدامع الذى ينطلق أنات . آهات ، وصرخات بدون كلمات ! أترى الحروف لا تستطيع حمل كل هذا العذاب المشحون فى النفس ؟ أترى الألفاظ قد احترقت داخلها حينما اندلعت المعانى تصرخ ، وتتألم ؟ لقد عذّب كل هذا الطفل الصغير ، ولكنه ما يكاد يرى سحابة الألم التى تكسو وجه والده حتى ينصرف سريعاً عنه ليبكى وحده !

ولكنه صمم أخيراً على أن يعرف سرّ هذا النوع من الغناء الصامت الذى لا يعرف شيئاً عنه سوى أن اسمه « Hollers » فقد عاد فى يوم من الأيام ، وفى يده ورقة تقول إنه نجح فى عامه الدراسى . وما كاد والده يقول له « تخير لنفسك هدية فى حدود ميزانية الأسرة الضئيلة » حتى اقترب



« جون لى هوكر »

منه ، ثم ابتسم فى وجهه ، وقال له :
« إن هديتى هى أن تقص على حكاية الحزن العميق الذى يغلف أغانى الـ « Hollers

وهنا دمعت عينا والده ، ثم أطلق صوتاً من هذه الأصوات التقليدية الحزينة ثم قال له :

« من زمن بعيد جداً يا ولدى ، حينما اغتصبنا من إفريقية ، ثم ركبنا البحر تحت وهج الشمس ، وضربات السياط امتلأت نفوسنا بالشجن ، فقد تركنا الآباء ، والأبناء ، والذكريات تركنا الوطن : وحين تقيأتنا المراكب على الشطوط الأمريكية كنا قد فقدنا إفريقية مرة أخرى ، لأن الكثير منا قد ألقى فى البحر أمامنا بعد أن أثخنته السياط ، والاحتقار ، والحنين إلى إفريقية !

وفى هذه البلاد الغريبة وجدنا ألواناً من التعذيب لم نكن نحلم بها ، كأن فقدنا لإفريقية لم يكن كافياً لتدمير نفوسنا ، فقد أرهقونا بالأعمال الشاقة فى الحقول طيلة النهار . فإذا ما عدنا قمنا على خدمتهم فى منازلهم طيلة المساء ، فإذا ما أخلدوا إلى الراحة كلفونا بالسهر على حيواناتهم التى كنا نحسدها على ما تلاقيه من راحة ، ونوم ، وطعام متوافر !

وقد كنا أمام هذا الضغط الذى يثقل نفوسنا ، نحاول أن ننال قسطاً من الراحة يمسك علينا الحياة ، فاخترعنا هذا النوع من الأصوات المسمى Hollers ، والذى يتكون من عدة همهمات معذبة تحتوى على عدة معان تتضمن : أن السيد قادم ، وخذ حذرك ، والحيوان فى غير موضعه ، وكيف حال ابنك المريض ؟ وهل تناولت العشاء الليلة ؟ وإلى متى سيظل هذا العذاب ؟ وما أكثر شوقى إلى إفريقية ؟

ومن كل هذه الحزمة من المتاعب تكوّن هذا النوع من الغناء ، أو هذا الفولكلور الشعبى الذى تختزن الكثير من متاعبنا ، ودموعنا ، وهواننا ، ثم أخيراً هذا الحنين المكتوم للجوهرة السوداء التى اغتصبت منا ! » .

تلقى « جون لى هوكر » كل هذا العذاب فى نفسه ، وانطوى عليه كلؤلؤة ثمينة ، وحمله معه إلى فرنسا حينما واتته الفرصة فأكمل تعليمه هناك ، ثم عاد به أخيراً إلى أمريكا وفى نفسه رغبة لأن يُسمع هذا الصوت المظلوم إلى كل العالم ، وسرعان ما حوّله إلى ألحان ناجحة كان يعزفها بنفسه على الجيتار وما يكاد يستغرق فى غنائه حتى يرى نفسه يدق الأرض بقدميه — وهذه عادته — ويحس أنه يعبر عن كل الافريقيين فى أمريكا ، فهو يتصورهم والسياط تنزعهم من ذكرياتهم ، ثم تلقى بهم إلى البحر ثم تطرحهم على أرض غريبة ، وهم فى كل هذا ينطوون على كل شئ

فى إفريقية وقد يكون هذا الشئ غابة أو نهراً ، أو حقلا ، أو خوفاً من المجهول !

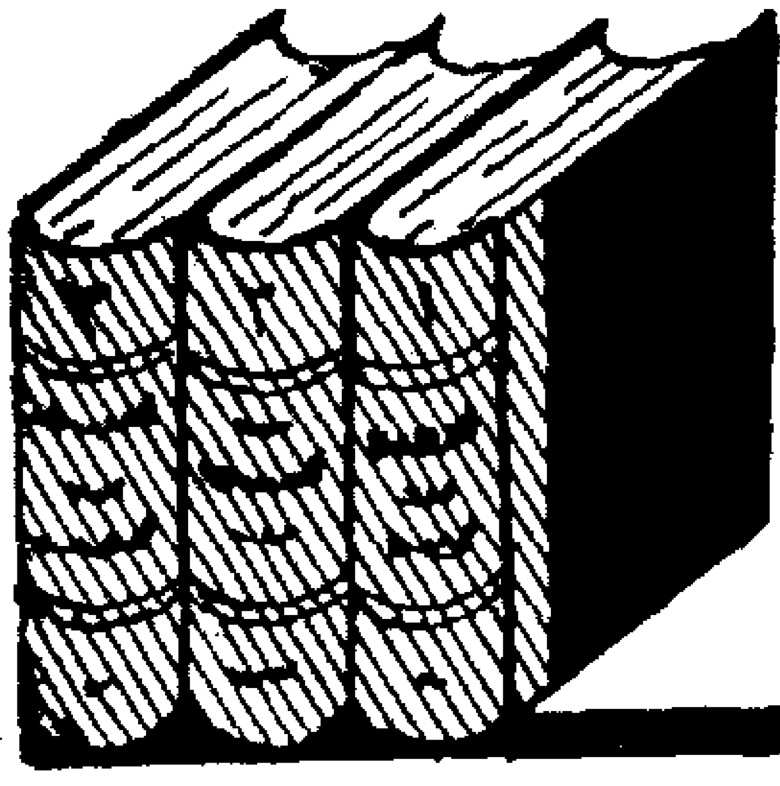
وما يكاد ينتهى من أغانيه حتى يرى نفسه سعيداً بالوجوه السود التى تحف به وعلى كل خد منها خيطان غليظان من الدموع . ويقولون إن الخيط الأول حزن على إفريقية . الخيط الثانى حزن على مصيرهم فى أمريكا ، وما أكثر ما تتدفق هذه الدموع حينما يرفع صوته بهذه الأغنية الفلكلورية التى تقول :

« . . لما اضطرت إلى التشرد
وركبت مع صديقى قطار البضائع
أصبحت أمى وحيدة
تجلس على ركبتها ، وتبكى
تبكى علىّ ! ! »

(ع . ب)



كتاب الشهر



شرق افريقية فيما قبل التاريخ

بقلم سنيا كول : عرض وتقديم عميد ا . ح محمد عبد الفتاح ابراهيم .

لماذا أفضل الأصول المعرقة فى القدم

عند ما كنت أدرس السلالات الجنسية ضمن برنامج علم « الانثروبولوجى » علم الإنسان وأعماله فى معهد العلوم الافريقية . كان أهم ما عنيت به دراسات سلبچمان عن « الحاميين الشرقيين » الأصل الذى جاء منه المصريون الأولون ، وذلك للتعرف على الطابع المصرى البدائى فيما قبل عهد الأسرات .

وبالرغم من أننى قرأت كل كتابات موراى وسيرچى واليوت سمث وما برز فى الكتب والدوريات التى أوقفت على دراسات الأنثروبولوجى ، وما جاء فى المجلات الثلاثة والثلاثين الأولى من « السودان فى رسائل ومدونات » عن الحاميين الشرقيين والقبائل التى انحدرت عن هذا الأصل الجنسى العريق فى التاريخ المسطور ، فان الصورة البارزة كانت هى الدراسة التى قدمها سلبچمان موجزة مجملة فى الفصل الخامس من كتابه « الأجناس فى إفريقية »

وقد يبدو غريباً أن أترك كتاباً ككتاب لين « أخلاق وعادات المصريين المحدثين » فأرجع منهم إلى ما بقى من طباع القدامى ، أترك هذا لأكتب عن دراسة كتاب « اليوت سمث » « المصريون القدامى وأصل الحضارة » .

والفكرة عندى أن دراسة الناس أصلح فى أصولها القديمة ، بل وفى أصولها المعرقة فى القدم لأنها تقدم للباحث الأصل الصحيح الخالى من المؤثرات الجنسية التى تختلط بالأصل فتعدل من صورته ولا تبديه فى جلوته وجلائه ، وفى اكتماله ونقائه .

الكتاب والكاتبة

ربما كان الواقع أننا نعرف عن المراحل الأولى من حياة الإنسان فى شرق إفريقية أكثر مما نعرف عنه فى هـذا العصر المبكر — قبل التاريخ بمئـات الألوف من السنين — فى أى مكان آخر من العالم ، فإن الدراسات الچيولوجية بما فيها الدراسات الخاصة بالجو والبيئة الاجتماعية ، تمكننا من أن نصحب الإنسان فى هذا الركن من العالم لمليون سنة متتابعة متصلة حتى نصل به إلى عصر استبدال الآلات الحجرية بآلات من الحديد ، الأمر الذى ربما لم يتم قبل ألف سنة من هذا العصر الذى نعيش فيه .

صحيح أن الحفريات فى وادى النيل وفى وادى الفرات قد مكنتنا من معرفة حياة الناس ، هنا وهناك ، إلى ما يقرب من ستين قرناً قبل القرن العشرين ، ولكن هذه الحفريات التى اتجهت لتعقب تاريخاً مسطوراً على الأحجار قد شغلت الباحثين عن الانصراف لمتابعة الأبحاث إلى عصور

معرقة فى القدم لأبعد من هذا بكثير

إن كتاب « سونيا كول » فى تقديرى أول كتاب يعالج شرق إفريقية فيما قبل التاريخ ككل ، صحيح أنها قد ركزت كل جهدها على منطقة « كينيا » ولكن الواقع أن كل المناطق المحاورة فى تنجانيقا وأوغنده والصومال والحبشة ، بل والسودان قد تشابكت مع الطابع الثقافى الذى أبرزته لشرق إفريقية ، ففى شرق إفريقية تشابك نفوذ الشمال والجنوب من إفريقية ، بل وتشابك معهما فيها نفوذ منطقة الغابات فى قلب القارة .

والدراسة العامة التى تقدمها المؤلفة للمراحل المبكرة من تاريخ شرق إفريقية تجمع الدلائل الحديثة التى تلقى الكثير من الضوء على بدء حياة الإنسان فى كل مكان من العالم .

على أن سونيا كول لم تعد أصلا لهذا النوع من الدراسات ، فهى قد درست الجيولوجيا فى جامعة لندن لسنتين ، ثم لم تكمل دراستها بسبب انصرافها للخدمة فى القوات المسلحة عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية ، فلما أن قاربت الحرب نهايتها كانت زوجة وأماً ، وصحبت زوجها إلى كينيا سنة ١٩٤٥ ، وفى كينيا صحبت الدكتور ليكيي أمين متحف كرندون فى نيروبى ، وعملت معه وزوجته فى كل الحفريات ، التى قاما بها للبحث عن الآثار ، وليكتبا دراسة عن التيارات الثقافية فى قرن إفريقية وفى كينيا ، وقد حضرت المؤتمرين اللذين عقدا لدراسات ما قبل التاريخ فى نيروبى سنة ١٩٤٧ وفى الجزائر سنة ١٩٥٢ ، ولها كتاب دسم بعنوان « مجمل جيولوجية كينيا » طبع شركة بتمان سنة ١٩٥٠ .

منطقة البحث فى تقدير المؤلفة :

وقد أوضحت الكاتبة فى تقدمها لكتابها أن منطقة البحث التى غطتها بكتابها تتطلب بعض الإيضاح ، وذلك بسبب أنها لا تتمشى مع التعريف الجغرافى ، ولا مع التعريف السياسى لشرق إفريقية ، فالمنطقة من الناحية السياسية تتكون من كينيا وتنجانيقا وأوغندة ، ولما كان هذا التقسيم السياسى لا يعنى شيئاً بالنسبة لعصر ما قبل التاريخ ، فما من سبب لتقف المؤلفة فى استخدامها لهذا التعريف عند حد هذه الثلاث البلاد .. ، والمنطقة من الناحية الجغرافية تعنى بالإضافة إلى (كينيا .. و .. أوغندة) أرض الصومال وزنزبار ونياسالاند وروديسيا الشمالية ، وتضم أرض الصومال والحبشة فى الاصطلاح « قرن إفريقية » ، فالتعريف الجغرافى إذن أفضل لمنطقة البحث ، على أنه من الضرورى أن نلاحظ بأن زنزبار لم تكن مسكونة فى ذلك العصر المعرق

فى القدم ، كما أن نياسالاند وروديسيا الشمالية لم تعرفا للناس حتى بداية ثقافة العصر الحجرى .. والواقع أنه كان من الضرورى أن تكون شرق إفريقية أرض المتناقضات، ويرجع هذا بدرجة كبيرة إلى التباين فى الارتفاعات نتيجة للحوادث الجيولوجية، ويؤثر هذا التباين فى توزيع سقوط الأمطار ، وأنواع التربة والنبات والحيوان ، وعلى سبيل المثال فإن الرحلة للغرب فى جوار خط الاستواء من كينيا إلى أوغندة تسير بنا من حياة المحيط الهندى الدافئة عبر السهل الساحلى الضيق حيث تتزاحم أشجار الصنوبر والأناناس وغيرها إلى منطقة الأحراش ، فإلى المنطقة البركانية المرتفعة حيث يعيش الناس على ارتفاع خمسة آلاف قدم وتنبت الأشجار على المنحدرات الجبلية وترعى الماشية الكلأ فى كل مكان ، وتصل إذ ذاك إلى الخط الفاصل ، الخط الممتد من جبل الجون إلى بحيرة فيكتوريا نيانزا لنرقب صورة جديدة فى هضبة البحيرات التى تنبع منها الفروع التى تغذى النيل الأعظم بالمياه الدائمة ، وهنا نجد الأرض الخصبة الكثيرة النباتات تتبعثر وسطها هنا وهناك الهضاب العارية حتى تصل إلى وادى الأخدود الغربى وسلسلة رووايتزورى موطن الشمبانزى والغوريلا ، والتى تمتد لداخل الكونغو البلجيكى ، صورة تتباين مع المنطقة نصف الصحراوية ، كانت وليدة عوامل طبعية فلقد تعرضت أرض شرق إفريقية فى العصر البليستوسينى التى بدأت منذ مليون سنة — وكان الإنسان قد بدأ يقيم فى الأرض — لعدة اضطرابات بركانية وتحركات أرضية ترجع إليها ، ولا شك ، هذه الصورة الجغرافية للأرض .

على أن كل هذه الظواهر الأرضية حدثت فى الخط الذى يصل النقاط الضعيفة بين نهرى الأردن والزمبيزى بما فى هذا البحر الأحمر وخليج العقبة وخليج عدن ، ويتضح سر هذا الخط بسلسلة من البحيرات تكوّنت نتيجة للأمطار الغزيرة فى العصر البليستوسينى ، ويتصل الفرعان ، الشرقى والغربى لوادى الأخدود فى شمال بحيرة نياسا ، وهنا نجد بحيرات البرت وادورد وكيفور تنجانيقا ، وتصل سعة وادى الأخدود إلى أربعين ميلا فى المتوسط ، وتنخفض قاعدته إلى مستوى ١٥٠٠ قدم أسفل المستوى العادى للمنطقة كلها ، وتنفصل أحواض البحيرات عن بعضها البعض بمرتفعات بركانية تدلّ على أن النشاط البركانى لم يتوقف بعد ، فمن جوانب هذه الجبال يتصاعد البخار وتنبعث الينابيع الساخنة .

النـاس :

والناس فى شرق إفريقيـــة من

المجموعات الثــلاث الرئيسية ، من النيلوتين والحامين والبانتو ، ومع أنه قد لا يكون محلاً للتحدث هنا عن التقسيم الجنسى للناس إلا أننا نستطيع أن نقول فى إيجاز بأن نيلوتيى جنوب السودان وأوغنده وغرب كينيا من الدنكا والنوير والليو قد امتزجوا إلى حدٍّ ما بالدماء الحامية وأنه على حين يعيش الدنكا والنوير فى السهل ذى المستنقعات فى جنوب السودان ، فإن قبائل الليو تتبعثر فى منطقة واسعة حتى أنها تشتمل على الشيلوك فى الشمال وتنحدر للجنوب حتى تصل إلى سواحل ڤيكتوريا نيانزا فى كينيا وأوغندة .

وتعيش بين النيلوتيين للغرب وبين الحامين للشرق قبائل النيلوحامين من البارى والسوك والناندى والمازاى

ويتكوّن الحاميون الشرقيون الذين يرجعون إلى الفرع الحبشى فى الجنس القوقازى من الصومال والبوران والجلا وقد هاجر الأمهرة إلى إقليم بحيرة تانا من آسيا الصغرى سنة ألف قبل الميلاد

على أن أكبر المجموعات القبلية فى شرق إفريقية هى قبائل البانتو ، الذين تمتد أراضيهم من أوغنــده وشمال كينيا حتى جنوب قارة إفريقية وكلمة « بانتو » تعنى مجرد « الناس » ولم ينتظم الناس فى قبائل إلى أبعد من ألفى عام ، وأشهر هذه التنظيمات القبلية « الباجندا » و « الإكيكويو » .

* * *

وفيما عدا العزلة الجغرافية التى سببتها الصحراء ومستنقعات النيل العلوى ، فإن « الجمود العقلى » لإفريقية السوداء يرجع إلى الأسباب الجوية والبيولوجية لأن الجو الحار يتجه إلى عدم تشجيع الناس على بذل أى جهد وهكذا ينصرف الناس عندما لا يصطلون فى الشمس إلى القتال ، أو أن يشغلوا بالسحر والشعوذة والإيمان بالخرافات ، فلما جدّت بهم الحيــاة انصرفوا للصيد ، وهكذا حالت العزلة دون أن تخترق الآراء الجديدة حدود المنطقة .

أهمية شرق إفريقية فيما قبل التاريخ:

لم تكن شرق إفريقية فى العصور المعرقة فى القدم كما كانت فيما بعد فى عصر التطور الثقافى ؛ بل يبدو من جانب آخر أنها كانت منطقة تحركات ، بل ربما كانت مهد الجنس البشرى كما كانت منطقة العبور للهجرة إلى أوروبا مع انحسار الجليد عن وجه الأرض على أوقات مختلفة فى العصر البليستوسينى ، وربما يكون أناس من أصل إفريقى قد ساروا إلى إفريقية ثم عادوا بالتالى إلى المناطق الاستوائية المضيافة عندما بدأ الجوّ يتغير .

ودراسة الثقافة الأولى للإنسان فى شرق إفريقية ، تقدِّم لنا صورة واضحة لتطوره لا نجد مثيلاً لها فى

أوروبا ولا فى أى قارة أخرى ، فأثار حضارة العصر البلستوسينى الأسفل التى وجدت أول ما وجدت فى أوغنده قد تكون هى أول حقائق لثقافة الإنسان فى العالم ، وقد وجد الكثير من هذه الآثار الحضارية فى شرفات الأرض فوق الأنهار التى تجرى حالياً فى أوغندة ، وكذلك فى ممرات أولدوفاى فى تنجانيقا .

وتبعت هذا ثقافة « البلطة » التى استمرت مع بعض التطور فى صورها لما يقرب من نصف مليون سنة والتى يعتبر غرب أوروبا اليوم أبعد نقاطها الخارجية للغرب ، والتى امتد نشاطها إلى جنوب إفريقية وشمالها ، وجنوب غربى آسيا وبعض مناطق الهند ، وقد وجد الكثير من بقايا هذه الحضارة ، حضارة « البلطة » « فأس اليد » فى مناطق من شمال تنجانيقا وجنوب غرب أوغنده وكينيا ، وقد وجدت بقايا الإنسان فى الحفريات مختلطة ببقايا حيوانات أخرى ، ولهذه الحفريات أهميتها فى دراسة ما قبل التاريخ ، ذلك لأنها توضح مراحل التطور لهذه الثقافة .

وتشبه ثقافات أناس العصر الحجرى الأول فى شرق إفريقية إلى حد بعيد الثقافات المعاصرة لها فى أجزاء أخرى من أوروبا وإفريقية ، ومع هذا فإننا نجد بعض أوجه الخلاف المحلية فى العصر البليسوليسى العلوى ، والناس الذين عاشوا فى المنطقة التى يشغلها الآن نطاق الغابات المطيرة قد صنعوا الآلات التى احتاجوها تبعاً للبيئة التى تحيط بهم .

وفى الزمن الأخير من العصر البليسوليسى العلوى وارى أهل كينيا موتاهم فى وضع مفرط التقلص وغطوهم بصباغ أحمر ، وتزينوا هم بالغلاف الخارجى لبيض النعام ، وربما يكونون قد صنعوا الآنية الفخارية ، وتشبه الآلات التى استخدموها ، إلى حد بعيد ، ما صنعه فى تاريخ مقارب أولئك الذين عاشوا فى غرب أوروبا وفى شمال إفريقية ممن تفصلهم عنهم آلاف الأميال .

وفى العصر الميسوليسى Mesolithic أى منذ عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف سنة عاش الناس فى جماعات مستقرة ، وواروا موتاهم التراب بدلاً من تركهم للحيوانات الضارية وصنعوا الآنية الفخارية وقد ظهر جنس جديد ، أفراده مستديروا الرؤوس على خلاف طوال الرؤوس الذين عاشوا فى العصر البليوليسى العلوى ، وكان هؤلاء الناس أقصر قامة ولكننا حتى ذلك التاريخ لا نجد أى أثر للمظاهر الزنجية التى لم تظهر حتى العصر النيوليسى فى كينيا .

وقد بدأ العصر النيوليسى فى كينيا

سنة ٣٠٠٠ قبل ميلاد عيسى عليه السلام ، ولكنه بدأ قبل هذا بألف سنة فى السودان ، وفى مناطق أخرى من العالم ، وذلك تبعاً لوجود عظام حيوانات مستأنسة فى مناطق إقامة ثابتة للناس ، وإن كان لم يوجد إلا القليل من آثار الزراعة فيما بعد ذلك التاريخ بكثير ، وقد وجدت (قصاع) من الأحجار ووجدت آنية فخارية مزخرفة ، ولم يكن الإنسان مشغولاً بالصيد وحده ، بل نجد الإنسان الزارع أيضاً ، ولكن لا شك أن الزراعة لم تسد كل مطالبه ، ولهذا لم يقلع عن مطاردة الصيد ، ذلك لأننا نجد السهام وإن كانت الأسلحة لم توجد إلا نادراً فى حفريات ذلك العصر .

وفيما عدا ما ظهر فى حفريات مصر القديمة ، فلم يوجد عصر للنحاس ولا للبرونز فى مكان آخر من إفريقية غير ما وجد فى مصر ، وقد عرفت إفريقية السوداء صناعة الحديد قبل أن تصل هذه الصناعة إلى منطقة البحر المتوسط ، وتقول الأقاصيص إن الحديد لم يصل إلى البانتوسكان أوغنده حتى سنة ألف بعد الميلاد ، بالرغم من أن مملكة مروى القديمة كانت تطرق الحديد فى القرن الرابع قبل الميلاد ، ويبدو أن الآلات الحديدية قد حلت مكان الآلات الحجرية ببطء فى مدى بضعة مئات من السنين .

على أنه من الحقائق المسلَّم بها أن الانسان يعتمد على البيئة ولهذا فإننا لانستطيع أن نبدأ تفهمنا لعاداته (الانسان) وأسلوبه فى الحياة مالم ندرس العوامل الأساسية التى أثرت ، بل وأوجدت هذه البيئة ، والبيئة بدورها تستند أساسياً على الجو وچيولوچية الأرض ، أى على الأمرين اللذين يقرران طبيعة التربة وصورة النباتات وثمارها ، ومن ثم فإنهما يقرران طبيعة الكائن الحيوانى الذى يعيش فى منطقة بالذات .

ومن المتفق عليه أيضاً ، بصفة عامة أن كل التغييرات التى حدثت فى المناطق الاستوائية طوال العصر البليستوسينى لها علاقتها بالأزمنة الثلجية ونصف الثلجية التى كانت فى أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا ، بل وإلى حد محدود من المناطق الجنوبية لها .

الدلائل الجوية فى شرق إفريقية :

وتفسير التغييرات القديمة فى جو شرق إفريقية يقوم أساسياً على الدلائل التالية :

١ — الشرفات المرتفعة للبحيرات والأنهار تدل على أن سقوط الأمطار كان أكثر مما هو عليه فى الوقت الحاضر .

٢ — اتساع نطاق المناطق التى كانت مغطاة بالثلج فى قنن الجبال

فى الماضى تدل على أحوال أكثر برودة ورطوبة مما نجده فى العصر الحالى .

٣ — دراسة الحفريات والتغيرات الكيميائية التى حدثت لها تثبت تطور الأحوال الجوية فى عصر تكوينها ، كما أن وجود آكام الرمال يدل على وجود مناطق مجدبة قديمة ، ولكن مع أن هذا أكثر وضوحاً فى داخل القارة إلا أننا نستطيع أن نقارن هذا فى المناطق المرتفعة عند ساحل البحر.

٤ — وهذه إما أن تحدث نتيجة تغير جوى واسع النطاق أو نتيجة لتحركات نسبية فى الأرض وليس لهذه صلة ما بالجو :

خط الثلج

وقد دلت الأبحاث التى قام بها الدكتور « ا . نلسون » على أن خط الثلج على جبلى كيليمنجارو وكينيا كان أقل ارتفاعاً مما هو الآن ، بل دلت على أنه فى فترات محدودة من العصر البليستوسينى كانت جبال مثل الجون وسلسلة جبال ابرادار ومرتفعات سيمين فى الحبشة مغطاة بالجليد أيضاً ويقدر نلسون أن خط الثلج كان يصل إلى ارتفاع عشرة آلاف قدم على حين أنه لا يهبط الآن عند جبلى كليمنجارو وكينيا ، أسفل من ارتفاع خمسة عشر ألف قدم بحال ما ، ولما كان خط الثلج يتوقف على درجة حرارة الصيف فقد ثبت أن جو شرق إفريقية كان أبرد مما هو اليوم بمعدل يدور بين ١٠ و١٢ درجة فهرنهيت ، وإن كانت قلة ارتفاع خط الثلج تعنى توافر الرطوبة وهذه قد تكون محلية أى أنها لا تكون فى المستوى الذى يفيد من طبيعة جو المنطقة كلها .

التربة والتغيرات الكيميائية :

دراسة مخلفات التربة ميدان مثمر من ميادين البحث وبخاصة ما يتصل منه بالجو فى الماضى البعيد ، وتكون التربة لا تعتمد على القاعدة الصخرية فى باطن الأرض فحسب ، بل إلى حد بعيد على درجة الحرارة وسقوط الأمطار ، ويتصل هذان العاملان اتصالا وثيقاً فى المناطق الاستوائية حيث تسبب الحرارة تبخراً كبير المدى ، ومستوى حياة المطر المعتدل يكفى فى المناطق المعتدلة لإنبات زراعة ما يعتبر غير كاف بدرجة كبيرة فى المناطق الاستوائية لما يتبخر منه حال سقوطه على الأرض ، وقبل أن ينغمر فى باطنها ليصل إلى جذور النباتات .

وتثبت مخلفات الأهوية والرياح من الرمال فى وديان الزمبيزى وڤال وفى بعض أجزاء قرن إفريقية مظاهر الجدب الكامل فى بعض المناطق الداخلية فى تاريخ قديم .

وقد كان مستوى سطح البحر

فى العصر الثلجى دون مستواه الحالى ، ومع أن « انتعش » Anteus قدّر أن مستوى سطح البحر كان متماثلاً فى العصر الثلجى فى كل المناطق الجليدية وأنه كان دون مستواه الحالى بثلثمائة وخمسة أقدام ، إلا أنه ، من سوء الحظ ، ليس من الممكن دائماً ، أن نميز بين التغيرات فى مستوى سطح البحر وبين مؤثرات حركة الأرض ، ولو كانت الأرض مستقرة ثابتة دائماً، لكان من الضرورى القول بأن مستوى سطح البحر قد ارتفع عند ذوبان الثلج واندفاع المياه إلى المحيطات فى عصر واحد متماثل ، ولكن إفريقيــة — بخاصة — قد تأثرت بحركات أرضية عنيفة فى العصر البليستوسينى ، ولهذا قد لا يكون من السهل التفرقة بين الشرفات الساحلية المرتفعة فى مناطق مختلفة حول إفريقية من البحر المتوسط إلى الكاب .

وقد درس كلارك الساحل الشرقى عند الصومال ، وفى سنة ١٩٠٨ أثبت « ميوف » Maufe أن الخيران على طول ساحل كينيا أصلها وديان برية غمرتها المياه مع الزمن ، ويقول : إن الشواطىء المرجانية كانت تمتد لمسافة ثلاثة أو أربعة أميال للداخل من الخط الساحلى اليوم ، وأنها كانت ، على الأقل ، على ارتفاع ٧٥ قدماً من مستوى سطح الماء الحالى وينسب جريجورى الاختلاف والتباين الكبيرين فى ارتفاع الشواطىء المرجانية إلى حركة الأرض أكثر مما ينسبها إلى التغير فى مستوى سطح البحر

التغيرات الجوية والإنسان :

قد لا يكون من مكان هنا لتتبع دراسات مخلفات التغييرات الجوية التى قام بها كلارك فى مساقط بحيرة فيكتوريا ، وفى وادى الزمبيزى وفى شمال كينيا ، والتى قام بها غيره وغيره فى أرض الدناقل وفى وديان نوجال فى العصر البليسقوسينى الأسفل وما بعده ، لا محل هنا ، لأن أهم ما يعنينا هو أن ننتفع بكل ما قدمناه فى الصفحات السابقة لإيجاد إطار جوى عام نستطيع به أن نقدر تاريخاً للبقايا والحفريات البشرية ، والثقافة البشرية أيضاً التى نجد كل آثارها ومظاهرها فيما نكشف عنه من باطن الأرض .

ولهذا فانه من الضرورى أن ندرك التأثير المباشر لكل هذه الحوادث على الإنسان نفسه ، وما عاش فى صحبته من حيوان ونبات ، والشىء الذى هو أول ما تحقق أن الإنسان قد تحرك إلى الأراضى المنخفضة فى الأزمان الباردة والرطبة ، وأنه ارتفع إلى الأراضى العالية فى الأزمنة الحارة ، ولا نقول هنا الفصول الباردة على مثال ما نطلق على الشتاء ، ولا الفصول الحارة على مثال ما نطلق على الصيف ، لأن هذه التغييرات الجوية على ما شاهدنا كانت تمتد لأجيال وأجيال ، ولا شك أن الأراضى المرتفعة اليوم فى كينيا والحبشة كانت أبرد من أن يستطيع الإنسان الحياة فيها ، ولا شك أيضاً ، أن الإنسان عاش فى جوار البحيرات الكبيرة وبخاصة بحيرة فيكتوريا التى كانت أعلى بثلثمائة قدم عما هى عليه اليوم ؛ وإقامة الإنسان فى جوار البحيرات لم تكن بسبب استهدافه الحصول على حاجته من المياه فحسب ، بل لأن الحيوانات أيضا تتجمع حول البحيرات ومجارى المياه ، والإنسان يحتاج الحيوان لغذائه .

وقد انتقل الإنسان فى أزمان الجفاف إلى المرتفعات ، وقد وجدت صناعات الإنسان فى هذه الفترات إلى جوار الأنهار التى تكتسب

يضانها من ذوبان الثلج فى قنن الجبال العالية ، وعلة انتقال الإنسان إلى المرتفعات جفاف البحيرات ، على أن انتقاله فى أزمان جفاف أخرى قادته إلى التجمع حول ينابيع المياه التى تخرج من بين الصخور .

وقد وجد كلارك أنه كان للجو تأثير كبير فى توزيع الصناعات طوال أزمان الجفاف كما وجد أن الإقامة فى هذه الأوقات من الجفاف كانت وقفاً على الوديان الكبيرة ، أو حول الينابيع التى تخرج من حافة الهضبة .

الإنسان والوحوش Extint

وتتأثر الحيوانات بالتغيرات الجوية أكثر من تأثر الإنسان بها والذى هو فى العادة أكثر تكيفاً مع الجو ، وقد أمكن الحصول على معلومات قيمة من الحفريات بسبب إمكان الفصل بين بقايا الحيوانات التى ألفت الحياة فى الصحارى وبين الحيوانات التى تعيش فى أرض الأحراش ، وفى الغابات الرطبة .

وقد قدمت الأبحاث التى أجريت فى الحفريات بمناطق الأخدودين الشرقى والغربى على جانبى بحيرة فيكتوريا ، بين بحيرتى البرت وتنجانيقا فى الأخدود الغربى ، وبحيرتى نياساوإياسى فى الأخدود الشرقى ، والأبحاث التى قام بها الاخصائيون بين سنة ١٩١١ و١٩٥١ دلت على أن شرق إفريقية شهدت — مثل أوروبا — ثلاث مراحل تتفق مع الأقسام الثلاثة الرئيسية فى العصر النليستوسينى ، على أن الذى يعنينا من النتائج التى كشفت عنها هذه الحفريات التشابه بين طابعى الحياة فى إفريقية وآسيا مما يبعث على التأكد من من وجود معابر برية بين آسيا وإفريقية قبل تكون الفاصل المائى الحالى فى البحر الأحمر ، وفى العصر البليستوسينى الأسفل كانت الصحراء سهلة الاجتياز وكانت كل ألوان الحيوانات من الفيلة إلى الزرافة تنتشر من رأس الرجاء الصالح إلى ساحل البحر المتوسط .

وحتى نهاية منتصف العصر البليستوسينى كانت fauna متماثلة فى كل قارة إفريقية وأقرب إلى الشبه مما فى آسيا عنها بالنسبة لأوروبا ، وما وجد فى شرق إفريقية يشبه ماوجد فى جنوب القارة وفى منطقة كارار بالجزائر وفى الرمال حول الرباط .

فإذا ما قلنا بأن Beers deers قد هاجرت من أوروبا إلى شمال إفريقية ، وجب أن نقول بأن الفيلة والأسود antelopes قامت بدورها بهجرات مضادة من إفريقية إلى أوروبا عن طريق فلسطين ، أو عبر المعابر البرية بين صقلية وتونس فى الأزمنة التى كان فيها مستوى سطح البحر منخفضاً ، ولكن الذى لا شك فيه أن هجرات الحيوانات الأوروبية لم تنحدر للجنوب من جبال الأطلس ، وهكذا لأول مرة فى العصر البليسنوسينى العلوى كانت الصحراء تفصل بين

fauna الإفريقية الحقيقية وبين تلك التى لإقليم البحر المتوسط .

الإنسان وهجراته من إفريقية وإليها :

إذا كانت مثل هذه التحركات مستطاعةً ممكنةً بالنسبة للحيوانات ، فإنها أكثر استطاعة بالنسبة للإنسان فى انتقاله من قارة إلى أخرى وربما يكون الإنسان قد استخدم قوارب من جلود الحيوانات أو rafts من الأغصان المجدولة ، الأمر الذى فعله فى البحار الضحلة منذ أبعد العصور قبل التاريخ .

ويبدو أكثر احتمالاً أن حضارة « فأس اليد » قد انتقلت من مهدها فى وسط وشرق إفريقية إلى غرب أوروبا ، وأن أصحابها قد عادوا إلى إفريقية مع تقدم المناطق الثلجية .

ومن المحتمل أن إفريقية كانت متصلة أيضاً بآسيا فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر فى العصر البليستوسينى ، ولربما تكون المعابر البرية التى تصل بين آسيا وإفريقية عبر البحر المتوسط قد بقيت حتى العصر البليستوسينى الأوسط ، وبذلك مكنت من نشر حضارة وثقافة « فأس اليد » من إفريقية عبر بلاد العرب إلى فارس والهند ، وعلى مثال ما كانت الصحراء الإفريقية فإن صحراء العرب لم تكن مانعاً قوياً كما هى اليوم ، وكانت تحركات الإنسان والحيوان عبرها ممكنة مستطاعة .

إنسان الحفريات

على أن أهم ما كشفت عنه الحفريات أن ما وجده الأستاذ ليكي فى « كانام » على الشواطئ الجنوبية لخليج كافرندو فى كينيا ، فقد وجد فك إنسان بشرى يرجع إلى العصر البليستوسينى الأسفل ، كما وجد فى « كانجيرا » بقايا جمجمة بشرية ترجع إلى العصر البليستوسينى الأوسط .

وقد أدى هذا إلى احتمال أن تكون قارة إفريقية مهد الجنس البشرى ، بل إلى الوصول إلى الكثير من المعلومات الدقيقة عن أصل الإنسان الحديث ، والخط الذى سار فيه تطوره الجسمانى تبعاً لضغط البيئات التى يتنقل فيها .

وقد لا يكون من محل هنا لدراسة الفوارق الجوية التى مكنت من بقاء بقايا إنسان الحفريات فى إفريقية فى حال أكثر تماسكاً منها بالنسبة لبقايا إنسان الحفريات فى أوروبا على أن الذى يعنينا هو أن شرق إفريقية كان من المناطق الأكثر احتمالاً لظهور الجنس البشرى فيها . . وأن حضارة هذا الإنسان قد تدرجت حتى كان بدء التاريخ فى إفريقية .

lui bon et humain, et tout sera dans l'ordre. Une race de maîtres et de soldats, c'est la race européenne. Reduisez cette noble race à travailler dans l'ergastule comme des nègres et des chinois — elle se révolte.

Tout révolté est chez nous, plus au moins un soldats qui a manqué sa vocation, un être fait pour la vie héroïque, et qui vois appliquez à un besogne contraire à sa race, mauvais ouvriers, trop bons soldat. Or la vie qui revolte nos travailleurs rendrait heureux un chinois, un fellah, être qui ne sont nullement militaire — que chacun fasse ce pourquoi il est fait et tout ira bien.

Les économistes se trompent en considérant le travail comme l'origine de la propriété. L'origine de la propriété c'est la conquête et la garantie donné par le conquerant ou fruit du travail au tour de lui.

La colonisation considérée comme une tutelle, ne peut être que provisoire et, tout comme c'est un de principaux devoirs du tuteur que d'aider le pupille à accéder à sa majorité, c'est aussi le devoir de la nation colonisatrice que d'amener progressivement le peuple colonisé à son émancipation. Tout comme l'éducation, la colonisation doit viser à se rendre superflue.

Alexandre Rutera

térêt du pupille et non d'abord son intérêt propre que doit rechercher le tuteur. Il doit veiller à son éducation et le préparer à gèrer lui même ses propres biens dès qu'aura sonné l'heure de sa majorité. Il est évident que l'homme étant ce qu'il est, si le législateur civil n'avait pas pris la sage précaution de fixer l'âge de l'émancipation du pupille, il arriverait souvent que le tuteur, trouvant son intérêt dans l'exercice de son mandat, retarderait indifiniment et injustement cette émancipation. Il ne manquerait pas de prétendre que la prolongation de la tutelle serait postulée par l'intérêt même du pupille trop inexperimenté pour prendre en main sans contrôle la gérence de ses biens. Il arriverait même souvent que, pour être plus sûr de garder l'administration de la fortune de son pupille le tuteur négligerait l'éducation de ce dernier et le tiendrait le plus longtemps à l'écart de cette administration.

Qu'à l'exemple du tuteur, le colonisateur doit faire preuve de désintéressement et songer à l'intérêt du peuple qu'il a pris en charge avant de penser au sien c'est ce que je voudrais mettre en relief (citation d'Ernest Renan) pr. p. 7.

La colonisation en grand est une necessité politique tout à fait de premier ordre. Une nation qui ne colonise pas est irrevocablement vouée au socialisme, à la guerre du riche et du pauvre. La conquête d'un pays de race inférieure par une race supérieure qui s'y établit pour la gouverner, n'a rien de choquant. Autant les conquêtes entre races égales doivent être blamées, autant la régeneration des races inférieures ou abatardies par les races supérieurs est dans l'ordre providentiel de l'humanité. L'homme du peuple est presque toujours chez nous un noble declassé. La lourde main est bien mieux faite pour manier l'épée que l'outil servile. Plutôt que de travailler, il choisit de se battre, c'est à dire qu'il revient à son premier état.

Regere imperio populos, voilà notre vocation. Verser cette dévorante activité sur des pays qui, comme la Chine, appellent la conquête étrangère. Des aventuriers qui troublent la société européenne, faites un « ver sacrum » un essaim comme ceux des Francs, des Lombards, des Normands, chacun sera dans son rôle. La nature a fait une race d'ouvriers, c'est la race chinoise, d'une dextérité de main merveilleuse sans presque aucun sentiment d'honneur; gouvernez-le avec justice, en prélevant d'elle, pour le bienfait d'un tel gouvernement, un ample domaine au profit de la race conquérante, elle sera satisfaite.

Une race de travailleurs de la terre, c'est le nègre, soyez pour

dans le cas qui nous occupe. Les apparences de l'égalité cachent une injustice. On a l'apparence de ne pas porter atteinte aux droits des populations locales qui semble être lié par un acte de leur propre volonté. Chacun sait qu'il est loin d'en être ainsi sans parler des traités par des explorateurs habiles à circonvenir les convoitisés élémentaires d'un roitelet souvent le chef indigène cède à la menace où à la force même des armes ; plus souvent il ne se rend pas compte de ce qu'on lui demande et de ce qu'il concède.

La crainte.

A titre d'exemple, voici le texte de traités que Stanley fit signer à des chefs indigènes du Congo: « Nous sous signés, chefs de Nzungi, consentons à reconnaître la souveraineté de l'association internationale Africaine, en foi de quoi nous adoptons son drapeau. Les chefs de Ngombi cèdent à la dite Association librement, de leur propre mouvement, pour toujours en leur nom et au nom de leur heritiers et successeurs, la souveraineté et tout droit de souveraineté sur tous les domaines.

J'us Communicationis.
• Le droit de la société et de communication.

Invoquer le jus communicationis, ce droit à la libre communication et au libre échange, comme titre principal - légitime d'un droit de colonisation c'est trahir sa pensée. Le droit de voyager de circuler dans un pays et même de s'y installer ne légitime pas en effet la colonisation qui est une domination politique et l'exploitation économique d'un état par un autre état.

Droit de Tutelle.

Il est considéré comme légitime par certain, je ne peu ni le légitimer ni le condamner.

Les Africains (Banyarwanda) n'ont ni lois convenables ni magistrats, ne connaissent ni lettres ni art. Ne sont pas aptes à gouverner... pour leur bien...

Ce titre qui parait si discutable, c'est le droit de tutelle, celui sur lequel s'appuient de préférence les théoriciens actuels de la colonisation, celui qui au lendemain de la grande guerre, inspiré la doctrine wilsonienne du mandat. On ne peut le liquider totalement pour ce qui concerne les peuplades vraiment sauvage. Malgré ce qu'il y a de discutable, c'est à ce titre que peut se ramener en définitive presque tout ce qu'il y a de plus valable dans les autres motifs mis en avant pour justifier la colonisation.

Les devoirs de la nation colonisatrice à l'égard du peuple colonisé s'ont assimilé à ceux du tuteur envers le pupille qui en est confié. C'est avant tout l'in-

colonisés doit se traduire sur le plan économique :

Il est normal qu'on leur reserve les travaux les plus dures et les plus ingrats, que leur promotions individuelles ne puissent dépasser les cadres inférieurs, qu'à travail égal leur salaire soit moindre que celui d'un colonisateur. Ils abusent si facilement de leur autorité, ils n'ont pas autant de besoin que nous.

Au point de vue administratif : On ne peut leur faire confiance sur le plan politique, on tolère des assemblés purement consultatives dont les membres sont recrutés après un tri soigneux. Si par misère des temps l'on a du se résigné au suffrage universel des autoctones, les colonialistes s'arrangent par un savant dosage de pression et de corruption pour que les résultats en soient insignifiant. Mais le suffrage universel comme le régime des protectorats, ou, pas encore celui des mandats internationaux, ne sont en définitive, que des concessions effets de la nécessités politique, ou plus souvent d'une faiblesse regrettable.

Naturellement il n'est pas question de supporter les ingerences d'un contrôle extérieur, emanat-il d'une autorité nationale dont l'on tache, par ailleurs, de se servir au mieux « charbonier est maître chez soi ». C'est l'occasion de recourriaux fameux principe de non intervention, en oubliant que le phénomène colonial à tort ou à raison, à commencé par le violer. Toutefois, s'il arrive que la situation internationale oblige à tolerer un contrôle du dehors, on tachera de le rendre inefficace.

Tout colonisateur qui prend la défense des colonisés, les fréquente, les aime, s'expose à une disqualification « negrophile, negrifié, arabisé. »

Le colonialisme se montre particulièrement dure et méprisant, haineux pour les indigènes évolués, ce sont tous des déclassés, de la graine d'agitateurs et des révolutionnaires.

Valeurs des traités :

D'aucun pourraient penser que certaines colonies ou protecrats sont ratachés définitivement à la métropole en vertu des traité dûment signés et parafés, par lesquels les souverains indigènes ont fait abandon de leur sauveraineté. Si l'on s'entiens au principe de droit, il faudrait dire que non seulement ces traités ne peuvent servir de titre de légitimité de la colonisation, mais qu'ils sont nuls et non avenu : la crainte...

Colonisation au point de vue droit :

La crainte et l'ignorance doivent être absente de tout ce qui concourt à une election, or ces vices interviennent grandement

Malheureux résultats sociaux et spirituels de colonialisme :

La colonisation a porté d'énormes abus, des injustices colossales, des atrocités sans nom, et comme à l'origine de toutes les grandes fortunes, des choses qui font trembler. Il suffit de rappeler à titre d'exemple, les exactions de Warren Hastings, pour l'Angleterre, la tyrannie de Daendels, le « marechal de fer » pour la Hollande, la destruction des peuples Caraïbes par les Espagnols.

La mission Voulet Charroine pour la France et la traite des noirs pour tous.

Obstacles à la décolonisation :

Le colonialisme n'est point tout une doctrine arrêtée et systématique, aux formules claires, qu'un état d'esprit, une turnure de pensée, une attitude d'action qui provienne à la fois de la conscience et de la subconscience. Cela ne signifie pas qu'il ne repose point sur quelques principes empruntés à des doctrines plus cohérentes.

Intellectuellement il constitue un pot-pourri où entrent des éléments pris aux théories racistes : Inégalités naturelles et définitives des races, distinction providentielle des races supérieures et des races inférieures, droits sacrés des races supérieures, nécessité de maintenir un minimum de ségrégation entre les races.

Doctrine de force :

A ces considérations « réalistes » s'ajoutant des considérations « humanitaires. » La mission civilisatrice de telle ou telle nation, leur devoir civilisateur, le fardeau de l'homme blanc, la glorification des résultats obtenus, la nécessaire reconnaissance des peuples colonisés. Le colonialisme est essentiellement une « justification » au sens que les psychiatres donnent a ce mot ! Il « rationalise » une situation, une inégalité de fait par recours à des arguments économiques, sociologiques, psychologiques, politiques, qui valent ce qu'ils valent, peu de chose !

Mais qui deviennent monnaie courante, la même monnaie des lieux communs.

Voici quelques uns de ces lieux communs : La colonisation est affaire de force. Il faut donc être fort et régner par la force. Ou plus habilement « manifester sa force pour éviter de s'en servir » selon une parole de Lyoutey. Les peuples, les races, les civilisations sont éternellement distincts et imperméables. « L'est est l'ouest. Il faut maintenir cette séparation, dût-on la transformer en ségrégation. Il faut par politique, admettre quelques exceptions — celle des chefs indigènes rentés et dociles, les fameux Beni-oui-oui qui existent en chaque territoire colonial.

L'inferiorité naturelle des

LA COLONISATION EST-ELLE JUSTICIABLE ?

La Colonisation est une Domination

Par
Alexandre RUTERA
du Rwanda Urundi

Inutile de le cacher sous des pudeurs verbales. Cette domination peut être, soit repoussée par le peuple envahi ; soit acceptée involontairement contre cœur, au moins pour une durée provisoire. Elle suit toujours une conquête, qui peut s'opérer de manière violente et sanglante, comme celle de l'Algérie entre 1830 et 1848 ou de façon pacifique mieux contrainte, par le simple rayonnement de force, d'un prestige comme celle du Congo par Savorgnau de Brazza, celle du Rwanda Urundi par vou Gotsen.

La domination et la conquête coloniales sont d'un type particulier, méprisant evoqué par le mot et les souvenirs romains que comporte son étymologie. On ne parlera pas de la « colonisation » de la Gaule romaine par les barbares. ou de la France par l'Angleterre pendant la guerre de cent ans. Le phénomène de la colonisation suppose, entre le peuple colonisateur et le peuple colonisé une situation d'inégalité plus profonde que la simple inégalité politique. Une inégalité d'efficience technique, au sens le plus général de ce terme et par conséquent, dans la mesure où la civilisation est liée à la technique, une certaine inégalité d'ordre culturel. Et encore une sorte d'inégalité historique, les peuples colonisateurs se trouvant à un moment donné, en flèche, dans le mouvement de l'histoire, par rapport au peuple colonisé. De ces inégalités profondes naissent les inégalités militaires qui préludent à la colonisation et les inégalités politiques qui l'accompagnent.

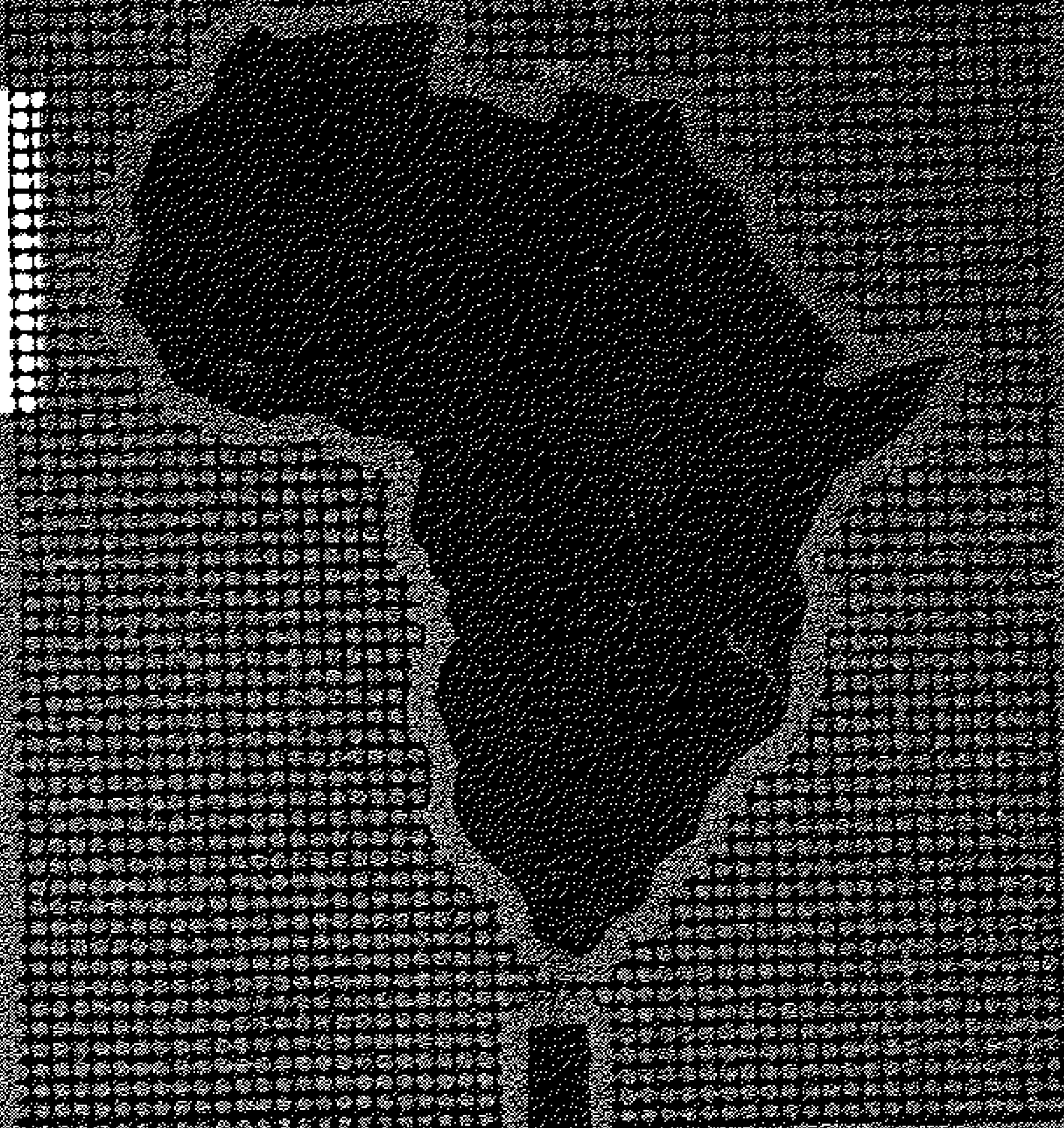
La domination coloniale peut s'exercer de bien de manière avec une variété presque infinie de degrés. Elle peut être surtout économique, comme dans les colonisation de type commercial, au comptoirs multiples et disseminés, ou dans les pays semi-coloniaux, qui garde endroit leur dépendance politique mais de fait, se trouvent dans une dépendance étroite par rapport à des peuples mieux outillés ou plus riches. Elle peut être totale, économique, politique, culturelle. Elle peut être indirecte et médiate, comme dans les protectorats et dans nompre de colonies britannique ; directe, immédiate et visant à l'assimilation de la colonie à la métropole, selon la formule classique de la colonisation française : Association dans l'inégalité.



« الفريق ابراهيم عبود ضيف الإقليم الجنوبى »

Third Year

No. 33. August 1960



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- Zionism, Evangelism and Monopolism.
- The geographical principles of Afro-Asian Co-operation.
- About the history of Ghana.
- Book Review.
- The Book of the Month.

PRICE : P.T. 3.

السنة الثالثه العدد ٣٤ سبتمبر ١٩٦٠



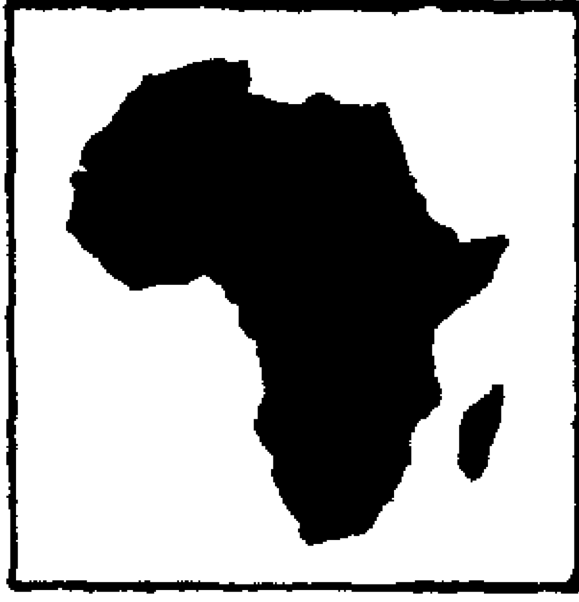
نهضة إفريقية

فى هذا العدد

الثمن ٣ قروش



« جنديان من الإقليم المصرى بالكونغو »



العدد ٣٤ سبتمبر ١٩٦٠

نهضة إفريقية
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ – تنمية الوعى القومى الافريقى .

٢ – التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ – نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ – الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ – الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت – الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً :

لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه

فكرة ..

لقد وقف العالم كله مستشرفاً ما يدور فى « الكونغو » بعد هذه الأحداث المريرة التى أطلقت من أكثر من مكان مظلم لتعصف بالضوء الجديد الذى أشرق فى أعماق الكونغو ، ولف صباحه وسماءه ، وأصبح فرصة جديدة للحرية فى قلب القارة !

فلقد سعدت القارة بتحرر هذه البلاد ، وأحست أن عبئاً كبيراً قد أزيح عن كاهلها ، وأن هذا العضو الذى أصيب بالشلل البلجيكى قد بدأ يتحرك ، ويتدفق فيه الاصرار ، ثم يرتفع أخيراً كعلم كبير فى سماء إفريقية .

ولكن ما كادت الفرحة تعم هذه المنطقة حتى دبرت الفتن ، وأظلمت الحوادث ، وادلهم الجو هناك بعد أن كان صحواً ، ودفئاً ، وفرحة ، وقد أشفق الناس على هذه الحرية الوليدة ، وعلى هذا الوطن الجديد من أن يصاب بنكسة ترجع به إلى الوراء ، ولكن الظلام أخذ ينحسر رويداً رويداً ، أمام نجم «لومومبا» الثابت الضوء ، فى الوقت الذى أخذ فيه « تشومبى » يتضاءل كنقطة حقد صغيرة !

فحركات التحرر لا ترجع خطوة واحدة إلى الوراء ، بينما تموت الطفيليات الرجعية ، والمتسلقات الخبيثة ، وتأخذ لها مكاناً ذليلا عند الاقدام ، ذلك لأن الظلام كله يعجز تماماً عن الوقوف أمام الفجر !

وقد ظهر الفجر ! !

« عبده بدوى »

محتويات العـدد

صفحة

قضية المؤامرات فى الكونغو

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

« سافر رئيس تحرير هذه المجلة إلى مسرح الحوادث فى الكونغو ، وهذه أولى رسائله من هناك »

* * *

فى ذات يوم من أواخر شهر يناير الماضى ، وفى مدينة تونس ، حيث كان مؤتمر الشعوب الإفريقية ، كنا ننصرف من قاعة الاجتماع مثقلين بالمشكلات والهموم ، حينما نادى البشير باستقلال الكونغو .

وكان دوىُّ الخبر كافياً لطرد المشكلات والهموم ، فقد تمثلنا هذا العملاق الإفريقى العظيم منتصباً على قدميه ، ماداً يد المعونة والنجدة إلى المكبلين بالأغلال من جيرانه فى أنجولا وإلى المودعين ظلام السجون من هؤلاء الجيران فى الروديسيات ، باعثاً الأملَ والنشاط إلى المترددين فى تنجانيقا والمنفيين من رواندا ، جامعاً شمل المتفرقين والمتنابذين فى أوغندا .

وكنا نرى الكونغو — وقد انتزع استقلالاً ناجزاً نظيفاً — مظهر قدوة يحتذيها — فيما بعد — جيرانه فى الشمال من شعوب إفريقية الاستوائية التى استطاعت أن تزحزح فرنسا عن كواهلها خطوة ، ولكن فرنسا ما تزال تتشبث هناك بالقواعد العسكرية والامتيازات الإقتصادية والاحتكار الثقافى ، برغم ما أعلنته من منح تلك الشعوب نظماً « جمهورية » عليها مسحة من استقلال . . .

وانفض مؤتمر تونس على ذلك الفتح المبين ، وانهمك زعماء الكونغو فى « ترتيب البيت » استعداداً للاستقلال الذى حدد له آخر يونيو عام ١٩٦٠ . وقامت الاستعدادات للانتخابات على قدم وساق ، وكانت الاتفاقية البلجيكية الكونغولية تنص على وحدة الإقليم الكبير ، فانبعث النشاط فى أرجائه جميعاً ، وكان « باتريش لومومبا » هو رمز الوحدة فى نظر مواطنيه ، كما كان حزبه يتوقع الأغلبية الساحقة بعد ما حققه فى « مؤتمر المائدة المستديرة » من جمع أطراف البلاد وتجنب « القبائلية » ، والانقسام .

واقترب موعد الانتخابات ، وكان يشرف عليها رجال الإدارة

البلجيكيون وكثير من أعوانهم المحليين المخلصين ، وإذا روح الغدر تتبدى أمام « لومومبا » وحزبه لأول مرة بعد عودته – متشبعاً بروح الوفاق – من بروكسل ، وظهرت النتيجة فخيبت ظنه وظن حزبه ، وتأكد لهم أن المستعمر البلجيكي باق على روحه الأثيم القديم ، وأن المستقبل في طياته حلقات جديدة من الصراع والكفاح ، ومع ذلك فقد رضي « لومومبا » بنتيجة الانتخابات وانصاع لنداء مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذي كان منعقداً حينذاك في « أديس أبابا » ، وارتضى حلولا وسطاً ، يحفظ بها الجبهة الداخلية من التفكك والانهيار ، وكان من نتيجة ذلك أن ترك رئاسة الجمهورية للسيد « كازافوبو » وألف هو وزارة اتحادية ، وبلغ من حرص « لومومبا » على جمع الشمل أن اختار زعيما من صفوف معارضيه وهو « كانزا » لتمثل الكونغو في الأمم المتحدة

ولم ينس « لومومبا » هذه الخيانة لبلجيكا فحرص على تسجيلها في حفل إعلان الاستقلال الذي حضره الملك « بودوان » في « ليوبولد فيل » إذ قال إن بلاده لن تنسى أبداً، أفاعيل المستعمر البلجيكي . . وسارت السفينة تحوطها الأنواء . . . فهناك حكومة وطنية تستند إلى برلمان ، وهناك في الوقت نفسه جيش بلجيكي يستند إلى قاعدتين هائلتين أنفق على إنشائهما ملايين الجنيهات (في كيتونا وكامينا) ، وهناك الإداريون والفنيون البلجيكيون الذين أعماهم الغيظ والحقد ، وهناك شركات الاحتكار العملاقة وأذنابها من الخونة والانتهازيين وهناك – أخيرا – الكنيسة الكاثوليكية ، التي ناصبت « لومومبا » العداء منذ البداية ، واتهمت أكثر وزرائه بالشيوعية ، وحاولت ، وما تزال تحاول ، أن توقع بين « لومومبا » والرئيس « كازافوبو » الذي هو قسيس سابق ، ومن أبنائها المخلصين .

وقد بلغ من توجس الكنيسة الكاثوليكية واستعدادها السابق لمجابهة التيار الوطني وكسر شوكته أن أخذت منذ أعوام قليلة تكثر من تعيين القسس الإفريقيين ، بل إنها اختارت للكونغو – منذ عامين – أسقفاً من أبناء البلاد اسمه « مالولا » وهو الآن من أنشط الدعاة مناصرة لبلجيكا ومقاومة لدعاة الوحدة والاستقلال .

ولم يكد يمضي على إعلان الاستقلال أيام معدودة حتى حدث الاعتصاب المشهور في صفوف القوات المسلحة الكونغولية ، فإن ضباطهم – وكلهم من البلجيك – لم يظهروا أي تفهم للأوضاع الجديدة ، ومضوا في أسلوب الغطرسة والاستعلاء الذي كان من نتيجته أن لم يرتق أحد من الوطنيين في تاريخ الكونغو إلى مرتبة «ضابط» ، وإنما كان الجميع « أنفاراً » و « صف

ضباط » . وعند ما حدث الاعتصاب لم يبد شعب الكونغو أى بادرة تدل على الفوضى والاخلال بالنظام ، بل إن الزعيم « لومومبا » قد استطاع بعد ساعات قليلة أن يعيد الأمر إلى نصابه إذ عزل القائد البلجيكى وأمر بترقية جميع أفراد القوات المسلحة وعين لها قائداً عاماً من بين صفوفها (بعد ترقيته إلى رتبة جنرال) واسمـــه « لوندولا » . . .

ولكن البلجيكين لم تعجبهم أن تخمد نار الفتنة فأوقدوها من طرفين متباعدين .

فقد كان الجنرال « لوندولا » فى كاتنجا فى ذلك الحين ، فاعتقله البلجيكيون وأودعوه السجن .

ولو أنهم تركوه يذهب إلىليوبولد فيل لاستطاع بشخصيته القوية وتجاربه الطويلة أن يعيد القوات المسلحة إلى ثكناتها ، وأن يجعل منها (وعددها يزيد على خمسة وعشرين ألفاً) درعاً قوياً للجمهوريـــة الوليدة . . .

و فى « ماتادى » وهى ميناءالكونغو الوحيد على المحيط الأطلنطى ، حدثت الحلقة الثانية من المؤامرة الخبيثة ، ففى اليوم التاسع من يوليو — أى بعد يوم واحد من اغتصاب القوات المسلحة — أصدر القنصل البلجيكى فى «ماتادى» أمراً إلى الرعايا البلجيكيين بالجلاء عن المدينة ، وتجمع النساء والأطفال بالفعل على سفينة كبيرة كانت راسية هناك ، وقبل أن يصعد إليها الرجال من أفراد الجالية ، جاء الرئيس « كازافوبو » بنفسه إلى « ماتادى » ومعه الزعيم « لومومبا » وألقى كل منهما خطاباً يبدى فيه أسفه لذهاب المدنيين البلجيكيين ، ويرجوهم البقاء

ولكن السفينة أقلعت بركابها ولم يبق فى « ماتادى » بلجيكى واحد .

وفى اليوم التالى ، وفى الساعة التاسعة والنصف مساء تعرضت « ماتادى » لغارة جوية وحشية ، وكان أهل « نوكى » (وهى ميناء مجاور فى أنجولا) يشهدون القنابل والصواريخ وهى تمزق الجو وتنفجر فى « ماتادى » وانجلت الغارة عن مئات القتلى وألوف الجرحى وطارت أنباؤها المشئومة إلى كل ركن من أركان الكونغو . .

وقد ذكر لى صحفى بريطانى (لا يمكن اتهامه بالتحيز للكونغوليين) زار « ماتادى » بعد تلك الغـــارة الاستفزازية ، أنه شهد على رصيف الميناء غرفة منهارة ، ورأى أنقاضها مختلطة بجثث أربعة من رجال الشرطة الوطنيين ، ووصف الثقوب التى أحدثتها المدافع الرشاشة فى السيارات والمبانى ، وأشلاء القتلى فى الشوارع والدماء التى جفت على الجدران . . .

وبعد هذا كله انفلت عيار القوات المسلحة الكونغولية وتحول اعتصابها السلبى إلى أعمال إنتقامية ، وفى الوقت الذى حبس فيه البلجيكيون القائــد

الوطنى لهذه القوات فى أحد سجون كاتنجا ، خرقت بلجيكا نصوص « معاهدة الصداقة » التى لم يكن مدادها قد جف ، وزحفوا بقواتهم من « كيتونا » و « كامينا » وأعملوا القتل والسلب والنهب ، وعادوا إلى احتلال المدن الكبرى « ليوبولد فيل » ، و « ستانلى فيل » و « اليزابيث فيل » وانطلقت وكالات الأنباء الفرنسية والأمريكية والإنجليزية والبلجيكية ، تولول فى أنحاء العالم ، وتصف « وحشية » الكونغوليين ، وكيف أنهم كانوا يصفعون الرجال من البلجيكيين ويغتصبون النساء (ما عدا الحوامل منهن . . . !) وأن هؤلاء المتوحشين لم يستثنوا الراهبات فاقتحموا عليهن الأديرة وتصيدوهن وهن يعبرن نهر الكونغو فراراً إلى الأقاليم المجاورة التى تسيطر عليها فرنسا . . .

وفى الوقت نفسه تحرك الأسقف « مالولا » وأعوانه فأخذوا يذيعون فى الشعب أن « لومومبا » استنجد بالاتحاد السوفيتى لكى يبلشف الكونغو وأن وأن واجب (المؤمنين) هو القضاء على « لومومبا » وأنصاره . وقد بلغت هذه الدعاية ذروتها حينما غادر « لومومبا » الكونغوإلى نيويورك إذ تمكن «مالولا » من إقناع حزب « الأباكو » (وهو حزب الرئيس كازافوبو) من سحب الثقة من « لومومبا » وتقديم شكوى ضده إلى الأمم المتحدة ، ولكن عودة « لومومبا » بعد ذلك إلى «ليوبولدفيل » وتهديده الخونة والمتآمرين على الوحدة والاستقلال أدخل هؤلاء جميعاً فى جحورهم ، إلى حين .

وعند ما استنجد « لومومبا » بالدول الصديقة ، وكادت هذه الدول تهرع ، دون انتظار ، لنجدته ، واضطرت هيئة الأمم المتحدة أن ترسل قوات دولية إلى الكونغو تبين للعالم أجمع تآمر بلجيكا وأعوانها من الخونة على الاستقلال الذى تظاهرت بالموافقة على منحه للكونغو ، فقد رأى المراقبون الدوليون آثار التدمير فى « ماتادى » التى لم يكن بها بلجيكى واحد يمكن التمحك بادعاء اعتداء الكونغوليين عليه ورأوا كيف سجن قائد قوات الكونغو الوطنى فى « كاتانجا » .

وقدم قائد قوات غانة تقريراً إلى حكومته جاء فيه :

« إن حكومة جمهورية الكونغو لم تصرح قط للقوات البلجيكية بمغادرة قواعدها التى نصت عليها « معاهدة الصداقة » بين البلدين ، وقد حدث أن تلك القوات زحفت على ستانلى فيل (فى أقصى الشرق) واحتلتها محتجة بأن كثيراً من المدنيين البلجيكيين قد قتلوا هناك ، وأنه كان من الضرورى — تبعاً لذلك — أن تحتل المدينة فرقة من جنود المظلات ، وقد زرت (أى القائد) مدينة ستانلى فيل فلم أكتشف أن بلجيكياً واحداً قد

قتل أو وقع عليه أدنى اعتداء . . .

أما عن « كاتانجا » التى تعلل البلجيكيون بالاضطرابات لاحتلالها وعزلها عن الكونغو وتنصيب «تشومبى» فيها على رأس حكومة صورية فقد أفلت لسان قائد حاميتها البلجيكى « الميجر ويبر » إذ صرح بأن الأوامر التى لديه تقتضى « أن يسلم كاتانجا إلى المسيو تشومبى على صحن من الفضة »

وقد شهد زوار كاتانجا من المراسلين الأجانب ورجال الأمم المتحدة أن تشومبى هذا قد أصبح أكثر خضوعاً للبلجيكيين (وهو رئيس حكومة) مما كان وهو موظف صغير أيام الإدارة البلجيكية ، وإلى جانب تشومبى وأعوانه ظهرت رؤوس الخيانة الأخرى حينما بعثت مجموعة الشركات التى تستغل مناجم كاتانجا إلى الأمم المتحدة تحذر « العالم الحر » من وقوع هذا الإقليم تحت « سيطرة » «لومومبا » .

ولقد كانت هذه العناصر — مجتمعة — كافية — فيما مضى — للقضاء على دولة وليدة مثل الكونغو ولكن تيار الوطنية الإفريقية الدافق ، والقوات المسلحة الإفريقية المناضلة ، وزعماء إفريقية الكبار : من القاهرة وكوناكرى وأكرا ومن الشرق ، هؤلاء الذين غيروا وجه التاريخ ، قد استطاعوا أن يأخذوا بيد الكونغو الشقيق فى محنته المظلمة ، وفى رعايتهم سوف ينمو ويحمل معهم المسئولية الكبرى : تحرير القارة والسير بها فى طريق المجد والحضارة .



داكار

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمة :

فى ذلك الطرف الغربى الأقصى من إفريقية ، وإلى الجنوب قريباً من خط العرض الخامس عشر شمالا يمتد لسان من الأرض إلى المحيط الأطلسى ويحتضن خليجاً محمياً من الأمواج والتيارات البحرية ، وتقع فى هذا الخليج جزيرة صغيرة تسمى جورى ويسمى الخليج باسمها ، أما الرأس فيعرف باسم الرأس الأخضر تلك التسمية التى أطلقها البرتغاليون لأنه يمثل نهاية الصحراء وبداية المناطق المدارية المطيرة المزدهرة بالنبات .

ولقد ساعدت الخواص الجغرافية لهذا الموقع على نشأة ميناء « داكار » الذى يعد من أكبر الموانى الافريقية بعامة ، ويعتبر أكبر ميناء فى الساحل الغربى للقارة ، سواء من حيث أهميته التجارية أو عدد سكانه أو موقعه بالنسبة للخطوط البحرية العالمية أو مركزه فى الاستراتيجية الحديثة. وفضلاً عن ذلك فإن ميناء « داكار » يحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ استعمار افريقية وتاريخ الحركات التحررية فى القارة وبخاصة مناطق المستعمرات الفرنسية ، وذلك لأنه كان رأس الجسر للاستعمار الفرنسى فى غرب افريقية ، ثم أصبح هذا الميناء يحتل المركز القيادى الذى أخذت تشعُّ منه مبادئ الحرية التى سرت فى كل أنحاء إفريقية الفرنسية .

مميزات الموقع الجغرافى

ويعتبر الرأس الأخضر الذى تقع عليه « داكار » أبرز نقطة فى ساحل القارة المطل على المحيط الأطلسى ، ولذا كان أقرب موقع على طول الطرق البحرية من أوروبا إلى أمريكا الجنوبية وجنوب إفريقية ، وكذلك من أمريكا الشمالية وعبر الأطلسى فى الطريق إلى الشرق الأقصى .

ويقع الرأس الأخضر عند أطراف الصحراء وبداية السفانا ، ويمثل النقطة التى تنتهى عندها منطقة انتشار

ذبابة التسى تسى التى تعد من أكبر عوائق التقدم الاقتصادى فى المناطق المدارية المطيرة وتتميز المنطقة ، بالاعتدال النسبى فى مناخها ، إذ لا تزيد الحرارة فيها عن ٣١°م فى الفترة بين شهرى يونيه واكتوبر ، ولا تنخفض حرارة الشتاء فيها فى الفترة من يناير إلى ابريل عن ١٨° . وقد ساعد موقع داكار وسط المياه وضيق مساحة اليابس الممتد بين خليج جورى والمحيط الأطلسى إلى تأثرها بنسيم البر والبحر الملطف .

أما الرياح فإنها تهب من جهة البحر ، ولذلك كانت داكار بعيدة عن التأثر برياح « الهرمتان » السيئة التى تهب من الشمال وتحمل رمال الصحراء إلى المناطق الداخلية الأخرى من السنغال ، وكمية المطر التى تسقط مناسبة أيضاً ولا تزيد عن ٦٠٠ مم فى السنة ، وموسم سقوطها فى أشهر الصيف الأربعة من يوليو إلى أكتوبر .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن ظهير الميناء منطقة خصبة يزرع بها الفول السودانى الذى يعتبر من أهم الغلات المدارية التى تحتاجها السوق الأوروبية فضلاً عن وجود خليج جورى الذى يساعد على تكوين الميناء فى منطقة محمية من المحيط الهادى لأدركنا أن الموقع والخواص الجغرافية معاً ، قد لعبا دوراً عظيماً فى تهيئة المكان لنشأة ميناء « داكار » العظيم ونموه بحيث أصبح من أكبر موانى القارة الإفريقية ، وأكبر موانى غرب إفريقية جميعاً ، وأهمها .

اكتشاف الموقع :

كان هذا الموقع معروفاً لدى عرب المغرب الذين أطلق عليهم اسم « المور » Moors وقد وصلوا إليه منذ فجر التاريخ الإسلامى بغرب إفريقية ، وامتدت أراضى مملكة المرابطين بحيث شملت المنطقة كلها ، ولما علم الأمير هنرى الملاح نقلا عن روايات هؤلاء « المور » بغنى هذه المناطق وثرواتها الطائلة ، شجعه ذلك — فضلا عن حبه لركوب البحر — على مواصلة السير بسفنه إلى ما وراء مصب السغال حيث وصل إلى ذلك الرأس البارز بعد رحلة طويلة بجوار الساحل الصحراوى الرملى الذى كان قد أطلق عليه اسم ساحل الذهب Rio d'Oro لما لبريق الرمال الصفراء من شبه بالذهب ، وحينما رأى هنرى الملاح سنة ١٤٤٥ ذلك الرأس وتلك الجزر المواجهة له مخضرة مزدهرة بالحشائش النامية أطلق عليه اسم الرأس الأخضر هو والجزر العديدة المقابلة له ، وقد كان الرأس الأخضر هو أول نقطة ترسو بها السفن البرتغالية فيما وراء مصب السنغال ، وقد أقيم به بعد ذلك ببضع سنين ، أول مركز تجارى برتغالى

دواء الجذام والاستعمار الفرنسي :

حدث بعد أن اكتشف البرتغاليون الرأس الأخضر بمدة من الزمن أن أصيب الملك لويس التاسع ملك فرنسا بمرض الجذام ، وسمع هذا الملك — الذي حار في علاجه الأطباء — أن بإفريقية أعشاباً تعالجه . فصدق الخبر وأرسل عام ١٤٨٣ بعثة للبحث عن العلاج الشافي لمرضه ووصلت سفن البعثة إلى موقع الرأس الأخضر ، ثم عادت بعد تلك الرحلة الشاقة إلى فرنسا حيث كان الملك لويس التاسع قد مات متأثراً بالمرض ، ولم تأت البعثة بالدواء الشافي ولكنها حملت أخباراً عن ثروات تلك البلاد وخيراتها جعلت الفرنسيين يتطلعون إلى السفر إليها لاستيراد ما هي غنية به من سلع ثمينة ، وأخذت السفن التجارية الفرنسية تقطع المسافات الطويلة إلى ساحل غرب إفريقية لتحمل إلى فرنسا العاج والأبنوس وريش النعام والفول السوداني ، تلك السلع التي كان مصدرها الوحيد موانى إفريقية البحرسطية (أي المطلة على البحر المتوسط)

أنشأ الفرنسيون أول مركز دائم لهم سنة ١٥٥٨ عند مصب نهر السنغال حيث تطور هذا المركز وأصبح فيما بعد ميناء سنت لويس . وظل نشاط التجار الفرنسيين قاصراً على منطقة الساحل التي تنتهي عند سنت لويس حتى سنة ١٦٤٢ حينما استطاعت أول شركة فرنسية — وهي الشركة النورماندية — الحصول على تصريح بالتجارة في منطقة السنغال وغمبيا ، ثم حصلت شركات أخرى على تصريح بالتجارة في المنطقة الممتدة فيما وراء الرأس الأخضر حتى مصب الكنغو وظهرت الحاجة عند ذلك إلى إنشاء مركز متوسط بين فرنسا ومصب الكنغو ترسو فيه السفن للتزود في منتصف الطريق ، فتم انشاء سنت لويس عند مصب السنغال وجوري على تلك الجزيرة الواقعة في الخليج الذي يحتضنه الرأس الأخضر وذلك في سنتي ١٦٥٨ و١٦٥٩ .

ولقد شجع التوسع في تجارة الرقيق على اشتداد المنافسة بين الانجليز والفرنسيين في هذه المناطق ونجحت الشركة النورماندية وشركة السنغال التي خلفتها في إقامة مراكز تجارية كثيرة كما أن أندريه بروى André Brue الذي عين حاكما على المنطقة أنشأ موقعا حربيا في الداخل على نهر السنغال ، وكانت جزيرة جوري هي المرسى الرئيسي والقاعدة الفرنسية الثانية بعد سنت لويس ، وظل الرأس الأخضر يمثل ظهير الجوري فقط حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت روفسك (Rufisque) هي الميناء

الرئيسى الذى يصدر منه الفول السودانى إلى فرنسا .

نشأة داكار ونموها :

فى سنة ١٨٤٥ قسمت الممتلكات الفرنسية إلى حكومتين :

١ – السنغال وعاصمتها سنت لويس .

٢ – ساحل الجنوب (Revières du Sud) ومركزها جورى

وأصبح على كل منهما حاكم عام ، واستطاع حاكم ساحل الجنوب فى سنة ١٨٤٧ تكوين فرقة فرسان إفريقية عرفت باسم (Spahis) ، ولما ألغت فرنسا تجارة الرقيق سنة ١٨٤٨ تكونت أول فرقة حربية من العبيد المحررين وأقيمت لهم ثكنات فى الرأس الأخضر .

فى سنة ١٨٥٤ عين الجنرال فايدهرب (Faidherbe) حاكماً على ساحل الجنوب وأخذ يتوسع فى المناطق الداخلية ، واصطدم مع الحاج عمر الذى كان قد أقام مملكة اسلامية متسعة الأرجاء جنوب غرب تمبكتو ، وأخذ يقاوم التوسع الفرنسى ، وقد كان من نتيجة هذا الاصطدام أن ظهرت الحاجة إلى ميناء حربى ترسو فيه سفن الأسطول الفرنسى ، فأنشأ «فايدهرب» الميناء الذى عرف باسم « داكار» سنة ١٨٥٧ ، وفى سنة ١٨٦١ بدأ العمل فى إقامة أول رصيف بحرى طوله ١٥٠ قدما استغرق العمل فيه ثلاث سنوات وأصبح يكوّن نواة الميناء الجنوبى ، وفى سنة ١٨٦٦ أنشىء رصيف آخر وأصبحت « داكار » مركزاً لتموين السفن الذاهبة إلى أمريكا الجنوبية .

وهكذا نشأ الميناء الذى ظل صغيراً حتى سنة ١٨٥٨ حينما أنشئت أول سكة حديدية فى غرب إفريقية من سنت لويس إلى داكار ، وكان من نتائج انشاء هذه السكة الحديدية أن أصبحت «داكار» مركزاً يجذب البضائع من وادى السنغال مباشرة كما أخذت سنت لويس تفقد قيمتها كميناء لتحول التجارة عن طريق السكة الحديد إلى داكار .

جاءت بعد ذلك مرحلة أخرى من مراحل نمو الميناء ، فحينما اشتد الخلاف بين انجلترا وفرنسا حول المستعمرات الإفريقية فى سنة ١٨٩٨ ظهرت لدى فرنسا الحاجة إلى إيجاد مركز لأسطولها ، فأقيم كاسر الأمواج الذى أدى إلى تكوين خليج صناعى كبير فى الميناء يبلغ متوسط عمقه ٣٠ قدماً ، كما زيد طول الرصيف الجنوبى وأقيم حوض جاف لإصلاح السفن . وبعد ذلك بقليل فى الفترة الثانية ما بين سنتى ١٩٠٤ و ١٩١٠ أدخلت تعديلات على الجزء الجنوبى بإنشاء رصيفين

جديدين يستوعبان حمولة أكبر من البضائع .

ولقد ظهرت أهمية داكار فى فترة الحرب الأولى ، إذ أدت الحرب إلى زيادة واضحة فى كمية البضائع المنقولة عن طريقها وبخاصة الفول السودانى الذى ازدادت الحاجة إليه فى خلال الحرب ، ولما كان الفول السودانى الذى ينتج فى السنغال والسودان الغربى ينقل إلى الميناء بالطرق التقليدية القديمة ظهرت الحاجة إلى إنشاء سكة حديدية تمر بمناطق الإنتاج ، وفعلا تمت السكة الحديدية من باماكو فى السودان الغربى إلى داكار عام ١٩٢٣ وكان من نتيجتها أن أصبحت « داكار » ميناء لا للسنغال وموريتانيا فحسب ولكن للسودان الغربى أيضاً ، ونتيجة للضغط على ميناء داكار ، بعد إنشاء هذه السكة الحديدية ، ظهرت أهمية رفع مقدرة الميناء على استيعاب البضائع ، ولذلك نشطت فى الفترة بين سنتى ١٩٢٦ و ١٩٣٣ عملية الإنشاءات الجديدة ، وأقيم رصيف خاص لتموين السفن بالوقود ، كما أقيمت مخازن للفول السودانى ، ورصيفان جديدان لتصديره ، ثم نظمت عملية شحن السفن بزيت الفول السودانى بوساطة أنابيب أنشئت خصيصاً لهذا الغرض . وقد أدى هذا التطور فى ميناء داكار إلى القضاء على ميناء روفسك الذى كان يعتبر المركز الرئيسى لتصدير الفول السودانى .

وقبيل الحرب العالمية الثانية كان قد تم إنشاء أرصفة الميناء ، كما أدخلت إصلاحات على المخازن وعمقت المراسى فى الميناء ، وأنشئت كذلك ثلاجة كبيرة لتساعد على تنمية صيد الأسماك وحفظها لإمداد المدن الأوروبية بالأسماك والمأكولات الطازجة ، وقد بدأت بعد الحرب أيضاً مرحلة جديدة من الإصلاحات فى الميناء والإنشاءات الصناعية الجديدة وطريقة التخزين وأرصفة تموين السفن .

تطور سكان الميناء :

بدأت داكار كمدينة سكنية تنمو منذ أنشئ أول الأرصفة سنة ١٨٥٧ ، وتكوّن أول حى سكنى فيها بجوار الميناء الجنوبى كسوق ، ومساكن للموظفين الفرنسيين ، كما نشأت المدينة (Medina) وهو الحى الوطنى الذى يعرف بهذا الاسم العربى فى معظم مدن غرب إفريقية ، وسكن الإفريقيون الذين هاجروا للعمل فى الميناء فى هذا الحى الذى يقع إلى الشمال من حى الميناء .

وأخذ هذان الحيان ينموان باضطراد مع نموّ النشاط التجارى فى الميناء ، فكان عدد سكان داكار حتى سنة ١٨٧٨ — أى بعد إنشائها بعشرين عاما — ١٥٥٦ فقط ، وبعد ذلك بخمسة عشر عاما بلغ العدد ٨٧٣٧

أى نحو ستة أمثال ما كان عليه السكان سنة ١٨٧٨ . وفى مستهل القرن العشرين سنة ١٩٠٤ قدر عدد السكان بنحو ١٨,٤٧٧ . ثم تطور سكان داكار على النحو التالى :

السنة	تقدير السكان
١٩١٤	٢٣,٨٣٣
١٩٢٦	٤٥,٠٠٠
١٩٣١	٥٣,٠٠٠
١٩٣٦	٩٢,٦٣٤
١٩٤٦	٢٠٠,٠٠٠
١٩٥١	٢٥٠,٠٠٠
١٩٥٧	٢٧٠,٥٠٠

ويلاحظ بوضوح فى هذا الجدول التزايد المستمر فى سكان داكار . ولقد ارتبط هذا التطور بالتطورات التى مرت بها حركة الانشاءات فى الميناء ، كما ارتبط بنمو المدينة وامتدادها نحو الشمال والجنوب . فإن كل توسعات فى الميناء ، أو تعديلات أو إنشاءات جديدة فيها أدت إلى ازدياد المهاجرين إليها للعمل فيما يجد من أعمال نتيجة لهذه الانشاءات ، فيرتبط تضاعف عدد السكان سنة ١٨٩١ إلى ستة أمثال ما كانوا عليه سنة ١٨٧١ بإتمام السكة الحديدية من « سنت لويس » إلى داكار ، كما أن الزيادة الواضحة سنة ١٩١٤ ترجع إلى زيادة نشاط الميناء نتيجة للتعديلات التى أدخلت على أرصفة الميناء الجنوبى إلى جانب الأرصفة الجديدة التى أنشئت فى أوائل هذا القرن .

أما الزيادة الكبيرة التى تظهر سنة ١٩٢٦ فإنها ترجع إلى أن الخط الحديدى من باماكو إلى داكار – الذى تم انشاؤه سنة ١٩٢٣ – قد زادمن نشاط داكار وأدى إلى اتساع المنطقة التى يخدمها الميناء . ويرجع تضاعف السكان فى العشر سنين التالية من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٦ إلى أن هذه الفترة كانت فترة إنشاءات جديدة تم فيها إقامة الميناء الشمالى كما أقيم رصيف تموين السفن ، وكانت فترة تطوير صناعى للمدينة أنشئت خلالها معاصر زيت الفول السودانى ونظمت عمليات شحن السفن بالزيت عن طريق الأنابيب مباشرة .

أما التضاعف الذى يظهر فى رقم السكان سنة ١٩٤٦ فيمكننا أن نرجعه إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

١ – الإنشاءات الصناعية الكثيرة التى تمت قبل الحرب حتى سنة ١٩٣٩

٢ – الإنشاءات الحربية التى تمت خلال الحرب سواء فى فترة حكم حكومة فيشى حتى سنة ١٩٤٣ أو فترة سيطرة الحلفاء على داكار بعد ذلك

٣ – هجرة الكثير من الفرنسيين إلى داكار بأموالهم هرباً من الحكم النازى المباشر فى فرنسا أثناء الحرب .

وفى سنة ١٩٤٦ أعلنت فرنسا برنامج السنوات الأربع للتنمية فى المستعمرات فساعد ذلك على اجتذاب الكثير من المهاجرين سواء من الأوروبيين أو الوطنيين الى مركز الحكومة فى داكار .

تكوين السكان

ويتكون سكان داكار – كغيرها من الموانى الحديثة الانشاء – من عناصر هاجرت إليها للاشتغال فى مختلف الأعمال ، بعضهم من سكان المنطقة ذاتها مثل جماعة الليبو ، الذين ترك بعضهم الزراعة للاشتغال فى الأعمال المضمونة الأجر التى تهيأت منذ أنشئت الميناء ، وبعضهم من المناطق المجاورة فى السنغال ممن ينتمون إلى قبائل الوولوف ، والتوكولور ، والسيرير وغيرها من قبائل السنغال الأخرى ، كما أن نسبة لا بأس بها من السكان وفدت من جهات أخرى من إفريقية وبخاصة المناطق الفرنسية المجاورة . هذا فضلا عن العناصر الفرنسية التى أتت للعمل فى الجيش والوظائف الحكومية ، ثم تتابعت هجراتها مع المشروعات المختلفة فى الميناء ، وكذلك العرب من اللبنانيين وأبناء الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة والمغاربة ، وجميعهم وفدوا للعمل فى التجارة .

وتمثل العناصر الإفريقية الوطنية غالبية السكان ، إذ يبلغ عددهم نحو ٢٣٤,٠٠٠ يمثلون نسبة ٨٦,٧ ٪ من السكان بينما يبلغ مجموع الأجانب ٣٦,٠٠٠ بنسبة ١٣,٣ ٪ ومن هؤلاء نحو ٢١,٠٠٠ فرنسى أى بنسبة ٨,٧٪ من السكان ، والباقى ونسبتهم ٥,٥ ٪ يمثلون العرب أو العناصر الأجنبية الأخرى من التجار أو موظفى الهيئات القنصلية والشركات وغيرها ، ويجدر بنا هنا أن نذكر حقيقة هامة وهى : أن عدد الأوروبيين فى داكار يقرب من عدد المستوطنين البيض فى كينيا مما يجعل داكار إحدى المجتمعات الافريقية التى تتصف بتعدد الأجناس .

وتحتكر العناصر الفرنسية المستوطنة فى داكار المناصب الرئيسية فى الحكومة والشركات والمصانع وكذلك تسيطر على معظم رأس المال وتمتلك معظم المشاريع الصناعية الكبرى فى المدينة ، هذا بينما نجد أن تجارة التجزئة والمشاريع الصغرى يتولاها العرب وبعض الوطنيين الافريقيين ، أما الغالبية العظمى من الافريقيين فإنها تكون القوة العاملة فى المصانع والميناء فضلا عن قيام بعضهم بأعمال الخدمة المنزلية عند الأوروبيين المستوطنين .

ويتركز الأوروبيون فى أحياء خاصة بهم ، بينما يعيش الافريقيون والعرب المستوطنون جنباً إلى جنب فى الحى

المعروف باسم المدينة ، والحى التجارى الوطنى .

الخواص الاجتماعية للسكان :

من أهم ما يلاحظ فى داكار الاختلاف الواضح فى مستوى المعيشة بين الإفريقيين الوطنيين من جهة وبين الفرنسيين المستوطنين من جهة أخرى ، وليس أدل على هذه الحقيقة من مقارنة أحياء الأوروبيين والأحياء الوطنية إذ نجد الأوروبيين يعيشون فى الحى الجنوبى وفى ضاحية ڤان الواقعة على ربوة عالية شمالى المدينة ، وفى هذا الحى وتلك الضاحية قصور وڤيلات وعمائر أقيمت على مساحات شاسعة من الأرض ، ولا يقل تخطيط هاتين المنطقتين والفن الهندسى بهما جمالا عن كثير من مدن أوروبا الحديثة .

ويحتل الحى الأوروبى فى الجنوب وضاحية ڤان معاً أكثر من نصف المساحة الكلية لداكار ، بينما لا يزيد سكانهما عن ١٠٪ من سكان المدينة ، وفى الوقت نفسه نجد أن بقية السكان يتركزون فى النصف الباقى الذى يحتل السوق جزءاً منه ، ويؤدى هذا التركيز إلى ارتفاع كثافة السكان وبخاصة فى حى المدينة لدرجة تجعل المساكن عبارة عن عشش وأكواخ غير صحية مزدحمة بالأفراد ، إن دلت على شىء فإنما تدل على أنانية المستعمر وحرمانه للوطنيين من التمتع بأرضهم ، ثم نسمع بعد ذلك من الكتاب الاستعماريين أن وجود حى المدينة والسوق الوطنى يعتبر من العوائق التى تقف فى سبيل توسع داكار وتحسينها . ونضيف إلى ظاهرة الازدحام فى الأحياء الوطنية حقيقة أخرى هامة : هى أن هذه الأحياء محرومة من المرافق العامة إلا القليل ، بينما نجد كل الاهتمام موجهاً إلى توفير مختلف وسائل الراحة والعناية الصحية لضاحية «ڤان» والحى الجنوبى ، وكذلك المناطق العسكرية التى تقع فى رأس مانويل فى أقصى جنوب الميناء وفى شرق المنطقة الصناعية الواقعة شمال الميناء . وتدل هذه الحقيقة على عنصر من عناصر السياسة الفرنسية التى تتبعها فى المناطق الخاضعة لنفوذها والتى تتمثل فى إيجاد نوع من التفرقة بين الصفوة التى تعلمت فى المدارس وشغلت الوظائف الحكومية ، وتعيش وسط المجتمع الفرنسى ، وبين بقية الشعب الذى يعيش فى أحيائه الخاصة .

ولقد اختيرت عينة من السكان الوطنيين الذين يرجعون إلى أصل إفريقى ، وقام الأستاذان مرسييه P. Mercier وماسى L. Massé بدراسة الأحوال المهنية والاجتماعية للميناء عن طريقها بوساطة الاستغناء ، وقدمت نتائج هذه الدراسة إلى المؤتمر

الذى عقدته لجنة التعاون الفنى لإفريقية بالإشتراك مع اليونسكو سنة ١٩٥٤ فى أبيرچان لبحث النواحى الاجتماعية المرتبطة بالتوطن الحضرى فى إفريقية، جنوب الصحراء

وقد دلت هذه العينة على أن الوطنيين يتكونون من عناصر ، السنغال وبعض الجهات الإفريقية الأخرى ، وينقسمون حسب أصولهم على النحو التالى : —

٧٨,٧ ٪ من السنغال
١٤,٣ ٪ من السودان الغربى
٤,٣ ٪ من المستعمرات الفرنسية
٢,٧ ٪ من جهات أخرى فى إفريقية .

ويلاحظ أن نسبة السكان الذين ترجع أصولهم إلى السودان الغربى نحو ثلاثة أمثال المهاجرين من الجهات الأخرى من إفريقية مجتمعة . والسبب فى ذلك هو الصلة المباشرة بين داكار والسودان الغربى ، الأمر الذى شجع على هجرة الكثير من أبناء السودان الغربى للعمل فى الميناء .

وينقسم هؤلاء الوطنيون (وفقا للعينة) حسب دياناتهم على النحوالتالى: ٨٧,٣٪ مسلمون ، ١٢,٠٪ مسيحيون، ٠٠,٤٪ أديان إفريقية٠٠,٣٪ غير مبين

أما المسلمون فأكثر من نصفهم ينتمون إلى الطريقة التيجانية ، والباقون ينتمون إلى القادرية والمريدية وغيرها من الطرق الدينية ، وتنتمى الغالبية العظمى من المسيحيين إلى المذهب الكاثوليكى، وأكثرهم مهاجرون من المناطق الإفريقية وليسو من أبناء السنغال ذاتها .

ولقد أثبتت دراسة هـــذه العينة أيضـــاً أن ٧٠٪ من السكان عمـــال يشتغلون فى المصانع والبناء ومنازل الأوروبين ، كما بينت بعض الحقائق الهامة التى تتعلق بمستوى التعليم وتتلخص فيما يلى :

١ — إن ٧٤٪ من العمال غير الفنيين أميون وإن الباقى تعلم فى المدارس الأولية وليس بينهم سوى ١ ٪ فقط زاد تعليمهم عن المرحلة الأولية

٢ — إن ٥٤ ٪ من العمال الفنيين قد تعلموا فى المدارس ومن هؤلاء نسبة ٢٠٪ فقط تعدى تعليمهم المرحلة الأولية .

٣ — إن ٩٢٪ من عمال الميناء أميون والباقون تلقوا قسطا من التعليم الأولى فقط .

٤ — إن ٤٧ ٪ فقط ممن يشتغلون بالتجارة من الإفريقيين قد حصل على قسط من التعليم الأولى .

وتدلنا هذه الحقائق بوضوح على الانخفاض الكبير فى مستوى التعليم على الرغم من وجود ليسيه من أكبر الليسيهات فى إفريقية وهى ليسيه ڤان فولنهوڤن ، وكذلك معهد الدراسات العليا يضم مدرسة للآداب ومدرسة للطب والصيدلية وكلية التجارة .

وليس هذا الوضع بغريب فى المناطق الفرنسية ، فإن السياسة التعليمية فيها تسير وفقاً للقاعدة الفرنسية المعروفة ثقّف المجموع تثقيفاً بسيطا وانتخب منهم الصفوة Instruire la masse et degager l'Elite » ولذلك نجد أن نسبة الذين تعدى تعليمهم المرحلة الأولية نسبة بسيطة للغاية فى كل الفئات ، ويقتصر هؤلاء على من يشغلون الوظائف فى الحكومة والشركات.

الأهمية الاقتصادية لداكار :

ويمكننا تقدير الأهمية الاقتصادية لداكار من النواحى التالية :

أولا — من حيث قيمتها كميناء :

نجد أن بها نحو ٥٦٠ فدانا من المياه المحمية من أمواج المحيط منها نحو ١٠٠ فدان يزيد عمقها عن ٣٢ قدما وهو عمق يسمح برسو السفن الكبيرة فيها على أرصفة يبلغ طولها نحو ١٢٠٠ ياردة ، ويبلغ مجموع أطوال الأرصفة نحو ٣ أميال يمكن أن ترسو عليها ٣٣ سفينة ، ويدخل الميناء سنويا نحو ٧٠٠٠ سفينة .

ثانيا — من حيث قيمتها الصناعية :

نجد أن بها منطقة كبيرة تقع إلى شمال الميناء على طول امتداد السكة الحديدية من محطة البداية « هان » إلى أقصى الشمال حيث تأخذ السكة الحديدية اتجاهها نحو الشرق لتخرج من الرأس الأخضر عند محطة « تياردى » وتوجد فى هذه المنطقة ثلاث معاصر لزيت الفول السودانى ، منها اثنتان تنتج كل منهما نحو ٣٠ ألف طن سنوياً ، ومصنع للصابون وآخر للجلود ، كما يوجد بها محلج للقطن ، هذا فضلا عن مصنع حفظ وتعليب الأسماك والفواكه ، ومحارق الطوب ، وكل هذه المصانع تعتمد على الخامات المحلية . وتوجد إلى جانبها مصانع تعتمد على الخامات المستوردة مثل صناعة إصلاح السفن بالميناء ، ومصانع البيرة والكبريت والسجائر ويوجد بها مطحن كبير للدقيق تبلغ قدرة إنتاجه اليومى نحو ٤٠ طنا من القمح والحبوب الأخرى ، وكذلك مصنع للورق ، هذا إلى جانب الصناعات المعدنية وصناعة الأثاث والملابس وغيرها مما تنتشر ومصانعها الصغيرة فى الأحياء الوطنية بالمدينة

ثالثا — من حيث مركزها بين الموانى الأخرى : نجد أن كمية الشحنات التى تحمل منها وتفرغ إليها تجعلها ثالثة الموانى أهمية فى كل المناطق الفرنسية ، وتلى فى ذلك مرسيليا والهافر ، كما أنها تعتبر أولى الموانى فى غرب إفريقية وتأتى بعدها ميناء لاهوس فى نيجيريا ، وقد احتلت داكار المركز الذى كانت تحتله سانت فانسانت بجزر الرأس الأخضر سابقاً ، ولكن ما زالت

«لاس بالحاس» فى جزر كنارى تجتذب الكثير من السفن البريطانية التى تجد فيها ما لا تجده فى داكار من وقود بسعر أرخص ، وفواكه متنوعة تتزود بها ، فضلا عن أن لاس بالحاس تجتذب إليها السياح من جهات كثيرة فى العالم ؛ وإذا ما أمكن توفير البترول فى داكار بسعر أرخص فإنها لا شك ستحتل مركز لاس بالحاس لما تتميز به داكار من خصائص لا تتوافر فى ذلك الميناء الأسبانى وبخاصة من حيث إمكانيات رسو السفن .

الأهمية الاستراتيجية للموقع :

أما أهمية داكار الاستراتيجية فترجع أساساً ، إلى كونها واقعة فى أبرز نقطة من غرب إفريقية على المحيط الأطلسى مما يقربها من الخطوط البحرية المتجهة إلى أمريكا الجنوبية والشمالية وجنوب إفريقية . فضلا عن أنها تعتبر المدخل البحرى إلى إفريقية ، مما جعل الفرنسين منذ بداية عهدهم بالاستعمار فى إفريقية يعنون بها ويتخذونها نقطة ارتكاز لهجماتهم ضد القوى الوطنية التى كانت تقاوم الزحف الفرنسى إلى داخل القارة ، ومركزا لأسطولهم ، وجيشهم الذى كانوا يستخدمونه فى التسابق الاستعمارى الذى قام بينهم وبين الإنجليز للسيطرة على أراضى إفريقية الداخلية .

ولقد كان لداكار أهميتها العسكرية بالنسبة لفرنسا كمركز لتجنيد وإعداد أبناء المستعمرات للحرب ، كانت فرقة العبيد المحررين التى دربت عام ١٨٤٨ بعد أن ألغت فرنسا تجارة الرقيق ، هى الأساس التى بنت عليه فرنسا استغلال القوى البشرية من مستعمراتها فى الحرب لكى توفر على الفرنسين عناء الوقوف وجهاً لوجه مع الألمان فى المعارك الحربية وميادين القتال بأن تضع فى الخطوط الأمامية المجندين من السنغاليين وأبناء المستعمرات الأخرى الذين دربوا فى معسكرات داكار طبقاً لقانون التجنيد الإجبارى المطبق فى جميع المستعمرات .

وازدادت أهمية داكار فى عصر الطيران ، إذ قامت شركة ليتكير الجوية Letecoere Airways بإنشاء أول مطار فيها لتصل إليه الطائرات من تولوز عن طريق الدار البيضاء وذلك سنة ١٩٢٥ ، وفى سنة ١٩٣٠ بدأ تشغيل الخط من داكار إلى أمريكا الجنوبية ثم أدخلت على المطار إصلاحات جديدة سنة ١٩٣٦ حينما انتظم هذا الخط بعد أن ضمت شركة ليتكير إلى الخطوط الجوية الفرنسية (Air France) . وبعد ذلك بسنة واحدة بدأت شركة أخرى هى شركة الخطوط الجوية البحرية Campagnie Aéro-Maritime عملها فى داكار بالخط الذى يصل إلى الكنغو .

ومما يدلنا على أهمية داكار كمركز للطيران : أن «مطار» يوف تهبط به يومياً نحو ١٥ طائرة ، فضلاً عن طائرات الخطوط المحلية فى غرب إفريقية الفرنسية ، كما يمر به فى العام نحو ١٧٠,٠٠٠ راكب .

ولقد عنى الحلفاء بداكار أثناء الحرب العالمية الثانية واستماتوا حتى انتزعوها من قبضة حكومة فيشى نظراً لأهميتها كمدخل للقارة الإفريقية إذا ما قدر لهم فقدان الشرق الأوسط الذى يعتبر المدخل البرى للقـــارة الافريقية .

وتعتبر داكار فى الوقت الحاضر إلى جانب أهميتها فى خطوط الطيران والملاحة العالمية من أهم الموانى التى ترتكز عليها أساطيل حلف شمال الأطلسى .

داكار وقيادة الحركات السياسية :

كان لوضع داكار كقاعدة للاستعمار ، وكمركز للحكم الفرنسى فى غرب إفريقية أثره فى إعطاء المدينة مركزها المرموق فى الحياة السياسية ، وقد ساعد على ذلك عوامل متعددة أهمها :

١ ـ اطلاع أهل المدينة على العالم الخارجى وتطورات الحياة فى الدول المستقلة نتيجة لاحتكاكهم بالأجانب من مختلف الجنسيات

٢ ـ وجود جاليات فرنسية كبيرة تتعدد فيها وجهات النظر للسياسية والميول الحزبية ، ساعد على امتداد أثر الحياة السياسية فى فرنسا إلى الإفريقيين بداكار .

٣ ـ الاتصال المباشر بين داكار وفرنسا ساعد على تكوين بعض العناصر التى اكتسبت الثقافة الفرنسية وأصبحت لها شخصية اعتبارية فى الأوساط الفرنسية والإفريقية على حد سواء

٤ ـ كانت داكار من أوائل المدن الإفريقية التى دخل فيها نظام التعليم الغربى ، وعمل الفرنسيون فيها على تكوين طبقة من المثقفين الإفريقيين لشغل الوظائف الحكومية ، وأصبح هؤلاء بالتالى نواة الوعى القومى الإفريقى فى المستعمرات الفرنسية .

٥ ـ تجمعت فى داكار أعداد كبيرة من العمال ، وأصبحت نقاباتهم التى كونوها من أهم الهيئات التى أخذت توجه الحركة التحررية إفريقية وتدفعها إلى الأمام .

٦ ـ يعتبر تطلع أهل السنغال الذين استوطنوا داكار ، إلى استعادة مجدهم الاسلامى القديم من العوامل الهامة التى ساعدت على نمو الفكرة القومية فى المدينة وانتشارها فى جهات كثيرة من إفريقية الفرنسية .

وقد ساعدت كل هذه العوامل على أن داكار أصبحت المركز القيادى لكل الحركات السياسية والدعوات

التحررية فى إفريقية الفرنسية ، فانتقل إليها نشاط التجمع الديمقراطى الافريقى (Ressemblement Democratique Africain) وذلك بعد تشكيله فى باماكو عاصمة السودان الغربى ، كما أصبحت مركزاً لنشاط جماعة أحرار ما وراء البحـــار (Groups de l'Indépendents d'Outre-Mer) التى أنشأها الزعيم والكاتب والشـــاعر السنغالى المعروف سنغور (Senghor) بمساعدة الدكتور أجولات من الكمرون وشمل نشاط هذه الجماعة كل إفريقية الفرنسية .

ونشأت فى داكار أيضاً أحزاب محلية أهمها الاتحاد السنغالى : وهو حزب اشتراكى كوّنه الأمين جوبى (L'Amine Gueye) المحامى بداكار واستطاع أن يمتد بنشاطه إلى أنحاء كثيرة من إفريقية الغربية الفرنسية . كما كوّن سنغور الكتلة الديمقراطية السنغاليـــة (Bloc Democratique Senegalais) فى سنة ١٩٤٨

وأخيراً ظهرت حركة جديدة فى السنغال ممثلة فى حزب التجمع الإفريقى الجديد Parti du Regroupment Af-cain) وامتـــد نشاطه إلى الافريقين المقيمين فى باريس كما شمل السودان الغربى وكل أنحاء إفريقية الفرنسية ، ويعدُّ الآن أهم الهيئات السياسية التى تنادى بالاتحاد الإفريقى وتدعو له .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك سبع صحف تصدر فى داكار وتوزع فى كل أنحاء إفريقية الغربية الفرنسية ويتراوح مجموع ما يوزع منها أسبوعياً بين ٤٠ ألف نسخة و٥٠ ألف نسخة ، ويحررها كتاب من السنغاليين أو الإفريقين المقيمين فى داكار ، لأدركنا أهمية داكار فى توجيه الحركات التحررية فى إفريقيـــة الفرنسية .

يوم داكار وغدها :

وهكذا نرى كيف تكوّنت داكار ، وأصبحت تحتل اليوم مركزاً اقتصادياً بالغ الأهمية وموقعا استراتيجيا عالميًّا ، فضلا عمَّا لها من مركز قيادى فى الحركات التحررية وإيقاظ الشعور القومى الإفريقى .

وداكار اليوم عاصمة اتحاد مالى يتكون من السنغال والسودان الغربى والذى يعانى اليوم تفككا ، فقد أعلن السنغال انفصاله عن السودان الغربى بسبب حالة التفكك التى وضع الفرنسيون بذورها فى هذا الاتحاد

شخصية العدد

جيمس لوسون

والحركة القومية الإفريقية فى أمريكا

بقلم : فوزى سليمان

.. واحد من عشرين مليون مواطن — ينحدرون من أصل إفريقى يعيشون فى الولايات المتحدة . ينظر — كما ينظر عُشرون مليون زنجى معه — إلى إفريقية .. الأم .. وهى تنطلق بحطم أغلال العبودية والاستقلال ، نظرة الأمل والإعجاب .. والحنين . فالديمقراطية الأمريكية ما زالت تشعرهم أنهم — للونهم الأسود — أقل من البيض شأناً .. والطريق أمام البيض مفتوح حتى رئاسة الجمهورية .. أما هم — الملونون — فطريقهم وعر ضيِّق . كأنهم بحاجة إلى « ابراهام لنكولن » جديد ، يحقق المساواة بين جميع المواطنين ! .

وإذا كان جيمس لوسون قد برز على مسرح الحوادث .. وفى صدر الصفحات الأولى ، لموقفه الشجاع من الباخرة « كليوبترا » .. حينما أخذ يهدد نقابة العمال الدولية بأن العمال الزنوج سيقومون بتفريغ الباخرة العربية بالقوة .. فلم يكن هذا الموقف إلا تعبيراً عن انتفاضة ملايين الزنوج ضد سنوات العبودية الطويلة تحت الشمس الحارقة ، والأمطار الغزيرة ، وضد التفرقة ، وضد الصهيونية المتعاونة مع المستغلين وأصحاب الاحتكارات ..

وإذا قدمناه كشخصية فإننا نقدم فيه ملايين الزنوج الذين حملتهم ذات يوم سفن النخاسة من الشاطىء الإفريقى إلى مزارع القطن فى الجنوب ، فجده الأكبر اصطادوه — مع آلاف غيره — من بلاد تشاد عام ١٧٥٠ .. وعمل فى مزارع القطن فى جورجيا ، حيث بيع كعبد ، وهناك تزوج من إحدى فتيات قبيلة شيركى — من الهنود الحمر — التى كانت تقيم فى جورجيا قبل أن يطاردها المستعمرون الأوروبيون وظلت الأسرة الصغيرة تحمل سلاسل العبودية ، فورث الأبناء العبودية عن الآباء ، فأبوه — لم تمنح له حريته — إلا بعد ثورة أهلية دامية — على يد

المحرر « ابراهام لنكولن » وبالعرق والإصرار ، والكدح تمكن والده أن يقتنى مزرعة صغيرة فى « ماكون » . . وفى وسط المزرعة أقيمت مدرسة . . لأبناء الزنوج . . ولو أن صاحب المزرعة لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة ، وفى هذه المدرسة تعلم « جيمس لوسون » دروسه الأولى . . وكانت معلمته الأولى هى . . أمه . .

وحينما شب الفتى أرسله أبوه إلى بلدة « هوكنز فيل » . . فى مدرستها الصناعية . . كان الطلبة هنا أيضاً كلهم من الزنوج .

وجاء والده لزيارته ذات يوم ، إنه ما زال يذكر هذه الزيارة ، كان هذا اليوم مفترق طريق فى حياته وتفكيره ومستقبله . . فقد رأى والده محمولاً . . جريحاً . . والدماء تسيل من جسمه . . فقد كان يمر بسيارته بجوار مزرعة يملكها بعض البيض ، وأثار الغبار بسيارته الصغيرة العتيقة ، لم يرق هذا للبيض ، فانهالوا على الرجل الأسود ضرباً . . واعتدى عليه أحدهم بفأسه حتى أغمى عليه . . وأغرق فى دمائه . .

حينما حمل إليه والده الجريح . . بدأ الفتى الصغير ابن العشر سنوات — يتساءل . . لماذا ضرب البيض أباه . . ماذا فعل ليعتدى عليه هكذا . لماذا لم يتدخل البوليس لحمايته . . البوليس الذى يحمى البيض . . لماذا لم تفعل الحكومة المحلية شيئاً من أجله . . لماذا تقوم الحكومة إذن ! ! أخذت لماذا تتضخم وتتضخم فى نفس الفتى ، وهو ينمو ويكتشف ذاته . . وتحول التساؤل الحائر إلى سؤال آخر . . إيجابى . . كيف يمكن أن يحصل السود على حقوقهم ؟ حتى لا يعتدى عليهم هكذا كيف ينالون حقوقهم من بين أنياب البيض ؟ . ماذا يجب أن يفعلوا ليحققوا المساواة التى كفلتها لهم بنود الدستور . ليحولو بنوده هذه من الورق إلى الواقع ؟

وأضاءت قراءاته طريق الحل أمام علامات الاستفهام التى ضج بها رأسه . . أول ما وقع بين يديه . . كتب ماركس جارفى . . المفكر الملون الذى ولد فى جامايكا بجزر الهند الغربية . . والذى هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٧ . . والذى تتبلور دعواه فى المناداة بإفريقية للإفريقيين . الإفريقيين المقيمين . . والإفريقيين البعدين . . إفريقية للإفريقيين كما أن أمريكا للأمريكيين . . وأوروبا للأوروبيين . . طالب الفيلسوف الأسمر بالعدالة والمساواة للإفريقيين . . بالحياة الكريمة . . والقوة !

قرأ . . . وقرأ . . . لفلاسفة الاشتراكيين . . من ألمان وإنجليز وفرنسيين . . لعل طريقه الفكرى . . هو الطريق الذى سار فيه الشبان السود الذين أنيط بهم أن يحققوا حلم الحرية الإفريقى . . كوامى نكرومه . . وجومو



[« جيمس لوسون »]

كنياتا . . زيكومى وغيرهم من الشبان الزنوج الذين تلقوا العلم فى أوروبا وفى أمريكا . . وفكروا فى إيجاد الحلول لمشكلتهم . .

وكان الحل أمام الزنجى هو أن تجمع الزنوج فى « حركة قومية إفريقية » تضم شمل ملايين الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل إفريقى . . وترك دراسته فى كلية « نورث بالى » فما الفائدة من الدراسة ! ! . إن آلافاً من الخريجين الزنوج بعد الدراسة الطويلة توصد أمامهم أبواب الوظائف الهامة . قد تكون هناك — فى كثير من الولايات — فرص متساوية فى التعليم ولكن الفرص غير متساوية بعد التخرج ، فالزميلان المتخرجان فى كلية واحدة الأبيض يعمل محام ، ثم يصعد الطريق ، قد يدير بنكا ، أو يرأس مجلس إدارة شركة . . أما الزنجى فالطريق مغلق أمامه . . الوظائف الصغيرة فقط هى المتاحة . وهناك أعمال المناجم ، والموانى ، والمزارع . والخدمة فى المطاعم .

ونزح الشاب إلى نيويورك حيث يمكن أن يتنفس بحرية أكثر فى ولايات الشمال . . وبدأت فلسفة « ماركس جارتى » تتبلور فى أعمال الجماعة التى انضم إليها . فبدأ بتعليم أولاد الزنوج أحدث الطرق العصرية فى الزراعة والصناعة ، ثم قادوا حملة لإتاحة فرص العمل للذين هم من أصل إفريقى . فقدكان عددضخم منهم تهدده البطالة ، والجوع ، وكان شعار الحملة « لا تشترى بيتاً إذا استطعت أن تعمله » قاطعوا المحلات اليهودية . . وبدأوا ينشئون جمعيات تعاونية زنجية . . ومحلات يشتغل بها الزنوج .

جمعت — الأم — إفريقية الملايين من أبنائها فى حضن هذه الدعوة الإفريقية الجديدة . . أخذ هؤلاء الإفريقيون يحاربون ضد التفرقة وضد دعاتها . . ووقفت الحركة القومية الإفريقية مع نضال الشعوب الإفريقية ، ساندت عام ١٩٣٦ — الحبشة ضد العدوان الإيطالى . . ساندت الحركات الوطنية التحررية فى مصر ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر . .

ويقابل لوسون نكرومه عام ١٩٤٠ فى لندن . . كان نكرومه ما زال طالباً يدرس . . ويعد نفسه للجهاد الكبير . . وتلتقى أفكار الشاب الإفريقى بأفكار الزنجى الأمريكى . . وآمن الشاب الأمريكى الزنجى أن الشمس ستشرق على إفريقية الأم . .

. . ومن هنا كانت أهمية هذه الحركة الإفريقية فى إفريقية . .

إن عشرين مليوناً من المواطنين المنحدرين من أصل إفريقى ، يكونون جبهة متحدة داخل أمريكا ، تدافع عن الحرية الإفريقية . . إن لهم ستة ملايين من الأصوات فى الانتخابات . إنهم قوة إقتصادية ولو أن أموالهم تذهب حالياً إلى جيوب الاحتكاريين والصهيونيين ، ولكن من الممكن أن يبنى من أموالهم اقتصاد خاص منفصل عن الجهاز الصهيونى الذى يستخدمها لإثارة القلق فى الشرق العربى . فقد تأكد لهم أن الصهيونية تساعد على التفرقة . . وتعمل على استغلال طاقات القارة المتحررة . . تحاول أن تحل محل الاستعمار الراحل . .

ومن هنا كان إيمان لوسون وغيره من قادة الحركة القومية الإفريقية فى أمريكا . . بوحدة إفريقية . . تبدأ بالوحدة الاقتصادية . . وتبادل المعونات والخبرات . . والتبادل الثقافى الواسع وتنتهى بالولايات الإفريقية المتحدة !

المد الإفريقي الجديد

فى أول هذا القرن لم تكن القارة الإفريقية تتنفس بعبير الحرية ، وإنما كانت تقف مجهدة ، مطأطئة الجبين ، مشدوهة لا تملك حتى التفكير فى هذا الوافد الجديد الذى أوقف نبضها ، وأرعش حماسها ، وضيق عليها الخناق فأصبحت شيئاً يمارس لوناً من الحياة يشبه الموت ، وهكذا كانت القارة الإفريقية كالصدفة الخشنة الملقاة فى إهمال على شواطىء الحياة !

فقــد كانت القارة الوحيــدة « المتنحية » عن سر الحياة القوى ، فبينما كانت الحياة تعدو بجوارها ، وتلهث فى القارات الأخرى إلا أنها كانت القارة الوحيدة التى تمتد فوق مياه راكدة ، وتنام تحت شمس ملتهبة ، فإذا صحت مارست هذا الشىء الذى لا هو بالحياة ولا هو بالموت ، وإنما هو شىء بين هذا وذاك يتحرك مرة فيهز شجرة فى غابة ، ويهدأ أخرى فيتكور محدقاً فى شىء مجهول على قمة جبل ، أو سفح مرعى ، أو شاطىء نهر غامض حزين لا يقوى على جمع أطرافه لكى يصبح دوياً ، وتدفقاً ، واندفاعاً ، وإنما هو شىء تائه عن نفسه ، وتائه عن الحياة من حوله . ولذلك فقد كانت الأشياء بها تحتاج إلى « لغة جديدة » تعبر عن هذا النوع من الحياة ، فإذا كانت اللغة تعرف أن النهر هو الذى يتدفق ، ويجرى فإن النهر بإفريقية لم يكن يملك تدفقاً أو جرياناً ! وإذا كانت السماء هى الامتداد الأزرق الذى يوحى بالانطلاق والحرية ، والعمق ، فإن السماء بها لم تكن تملك انطلاقاً ، أو حرية ، أو تعمقاً ! وإذا كان المتعارف عن الحياة أنها هذا التحرك النامى المتطور الذى يضيف دائماً شيئاً جديداً فإن الحياة بها كانت جامدة ، مظلمة ، كئيبة ! ومن هنا نستطيع أن نقول إن القارة كانت قد فقدت نفسها تماماً . !

. . ولكن الشىء الذى يريح حقاً هو ما كان يحس به كل إنسان من أن فى القارة شيئاً يتكون ببطء ، وينضج

على مهل ، ثم يلمع فجأة ، ويضىء فإذا القارة فجر ، وخصب ، وحياة !

وقد أحست القارة بهذا الشىء أكثر من مرة فى تاريخها الطويل ، كما أحست كذلك أن فترة الظلام كلما لفتها بقسوة ، وعنف ، وإصرار كلما كانت قوى النور أكثر غزارة ، وانتشاراً ، وفرحة ! فتاريخها كله يشهد ، بثوراتها التى كانت تنجم فجأة ، وبانفعال ، وحدة ، وكثيراً ما ذكر المؤرخون عن هذه الثورات أنها وليدة التوتر الطبيعى الذى تعيش فيه القارة ، والانفعال الذى يتميز به الرجل الأسود ، ومن هنا كانوا يعملون على إخمادها بقوة ، وفى سرعة لتلافى « الجذر القريب » الذى امتد فجأة ، ولكن الحوادث كانت تخيب أملهم ، وكانت تذكرهم دائماً أنه ليس هنـــاك من شىء سطحى فوق القارة السوداء سوى هذه « الحفنة البيضاء » التى تأخذ الأشياء أخذاً مادياً وسريعاً ، وحاقداً . !

وقد كان يمكن دراسة طبيعة هذه القارة من وقت بعيد يمتد إلى أول هذا القرن ، بل وإلى أبعد من ذلك ، لتعرف فى ضوء هذه الحقيقة أن القارة لن تتراجع عن استخلاص نفسها من الأيدى الغريبة ، ولن تتوان عن ضم أجزائها المتفرقة ، ولن تأل وسعاً فى قيام وحدة إفريقية شاملة فى الفكر ، والسياسة ، وأساليب الحياة .

فبهذا وحده كان يمكن حقن الدماء التى لو جمعت لكانت « بحراً أحمر » يظل طيلة الحياة شاهداً على بشاعة الرجل الأبيض ، وفقدان ضميره ، ولكان يمكن أن تكون إفريقية الآن من أغنى القارات بعد أن أصبحت مشعَّة فى الـــدول الاستعمارية فهى وراء نضارة الناس فى إنجلترا ، وبذخهم فى فرنسا ، وترفهم فى بلجيكا ، وسعادتهم فى البرتغال ، وحماسهم فى أسبانيا ، ثم أخيراً مرحهم فى أمريكا . فقد سلبت هذه الدول وغيرها النور من عيون الإفريقيين ، والسموق من جباههم ، والنبضات من قلوبهم ، والزهو من أطفالهم ، ومن أجل هذا نرى إفريقية اليوم مجهدة ، ومعروقة ، ومحزونة ، ولكن إلى جانب ذلك كله نراها سعيدة بما تخطط من أساليب شريفة للحياة ، وتشرع من قيم للسلام ، وتطرز من علاقات طيبة بين الناس .. كل الناس !

فإفريقية إذا كانت قد عانت كثيراً فى ماضيها ، فإنها بهذا الحزن الذى غمر روحها ، وهذا الدمع الذى تعلق فى أهدابها ، وهذه الرغبة فى الحرية التى انطوت عليها كالجوهرة الثمينة . . إفريقية بكل هذا قوية ، وخالدة ، وراغبة فى تحقيق عالم يسوده السلام ، والطمأنينة ، فهى لا تريد

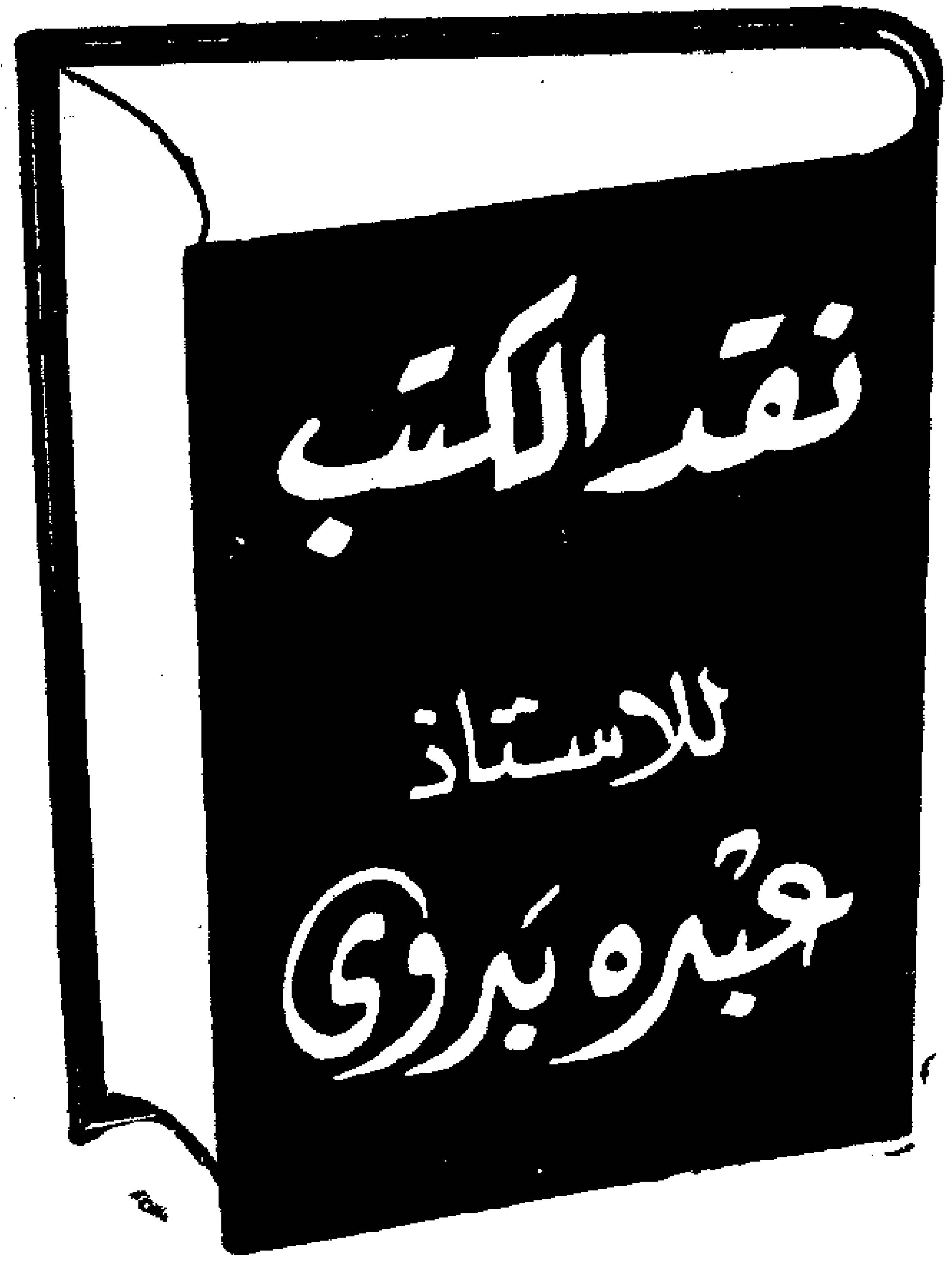
لأرض أن تتألم كما تألمت ، ولا تريد لبلد أن يستنزف كما استنزفت ، ولا تريد لقارة أن تضيع فترة عن نفسها كما ضاعت هي في الماضي ، ومن هنا نستطيع أن نقول إن إفريقية هي التي ستحدد مصير الإنسان في المستقبل ، وستجعله مضيئاً ، وخصباً ، ومثمراً !

لقد حمل إليها عام ١٩٦٠ ما لم يحمله عام من قبل ، فقد انحسر الاستعمار فيه عن توجولاند ، واتحاد مالي ، ومدغشقر ، والكونغو ، والصومال ، وداهومي ، والنيجر ، وفولتا العليا ، والكمرون ، وساحل العاج ، وتشاد ، وستتحرر نيجيريا في أول أكتوبر ، وكل هذا يدعو دولا كثيرة إلى أن تستيقظ وتتحرر ، فعلى الدول الباقية التي لم تتحرر بعد أن تستعد هي الأخرى للجولة الأخيرة ، إننا من هنا نصرخ بكينيا ، وأوغنده ، وزنجبار ، وأنجولا ، وموزمبيق ، وبسترلاند ، وغيرها إلى أن تكسر القيم ، وتبذل الفداء .

فنحن لا نريد أن يبدأ عام ١٩٦١ وهناك علم غريب في إفريقية ، إننا نريد علما واحداً كبيراً يظلل كل القارة يسمى « علم إفريقية » .

« ع . ب »





لم يعد التأليف عن إفريقية قاصراً على الكتاب الإنجليز ، والأمريكيين ، والفرنسيين ، وإنما نرى الكتاب الإفريقيين قد بدأوا يحسون أن عليهم أن ينقلوا إلى الجيل الحاضر ماضى بلادهم ، وحاضرها ، ومستقبلها ، وبخاصة بعد أن رأوا قيمهم تتمزق على الأقلام الدخيلة ، والأفكار الوافدة . وأن الكلمة الأجنبية يحركها خيط سرى هو خيط السياسة ، والمصالح ، والعمل على اندحار القوى المضيئة فى هذه القارة

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكتاب فى القارة بدأوا يحسون « بالثقل الموجه » فى قارتهم ، وأن عليهم إلى جانب تأكيد حضارتهم ، تأكيد السلام ، والحرية ، والرفاهية فى كل بلاد العالم ، إذا أدركنا ذلك عرفنا كيف بدأ الكتاب الإفريقيون يسهمون فى وضع نقاط ضوئية على القارة ، وفى إجلاء الحقيقة أمام كل الناس فى العالم ، ومن هذه الكتب التى كتبت مؤخراً عن القارة الإفريقية كتاب « القومية الإفريقية » للكاتب الروديسى « إندا بانجى سيتهول » الذى قدمناه فى العدد الماضى من مجلة نهضة إفريقية ، ثم أخيراً هذا الكتاب الذى نقدمه فى هذا العدد بعنوان « إفريقية الثائرة » للكاتب الإفريقى « البير تيفود جرى » الذى ولد فى « يوروتو نوفو » وأكمل تعليمه فى داهومى ، وداكار ، وتولوز .

وقد صدر هذا الكتاب عن منشورات المكتب التجارى ببيروت ، وقام بتعريبه الأستاذان سعيد الغز ونجدة هاجر . وجاء فى مطلعه الكلمات الآتية :

« باسم النســاء اللواتى يقطعن المسافات الطويلة منهوكات القوى لتأمين النزر اليسير من الغذاء لأطفالهن .

باسم العمال البائسين الذين يتصبب العرق من جباههم دون انقطاع تحت الشمس الاستوائية .

باسم الأحداث الذين فرض عليهم أن يتشردوا ، ويحيوا حياة التسول وهم فى العاشرة من عمرهم .

باسم الشبان الذين حُملوا إلى ساحات الحرب حملا فى إفريقيــة الشمالية ، والشرق الأوسط للحيلولة دون وصول الشعوب الضعيفة إلى ما

تصبوا إليه من حرية ، واستقلال .

باسم هؤلاء جميعاً أنقل إلى ضمائركم جميعاً رسالة أخوية هى رسالة إفريقية أرض الألم ، والأمل ! »

وقد جاء فى مقدمة الكتاب للأستاذ « أليون ديوب » ما يأتى :

« إن موقف الجيل الجديد من مستقبل إفريقية يختلف كثيراً عن موقف الجيل القديم لقد كان عمل الجيل القديم يقتصر على مناهضة العنصرية ، والظلم الاجتماعى اللذين كانت تلجأ إليهما السلطات الاستعمارية ، أما الشباب فانهم يناهضون الاستعمار بمختلف أشكاله ، ويعتبرون أن كرامتهم لا تتلاءم مع هذا الحرمان من السيادة السياسية التى ذهبت ضحيتها الشعوب الإفريقية .

ولا نستطيع أن نلوم هؤلاء الشباب حتى ولو اتسمت دعوتهم بطابع العنف ، وذلك لأنهم ما زالوا بدون مسئوليات فى بلادهم ، وتجيش فى نفوسهم أحلام ، وآمال كبار ، وهم يوجسون خيفة ،عن حق، من الخطر المتزايد الذى يسببه استمرار النظام الاستعمارى على العقول ، والعواطف ، والصحة ، والنسل ، والثقافة ، والاقتصاد ، والأمن . . .

إن هذه القارة على الرغم من ضآلة السكان فيها لا تملك أية قدرة على الدفاع عن نفسها فى الوقت الذى يتسابق فيه العالم إلى التسليح بسرعة جنونية ، فكيف لا يشعر الإفريقيون بالقلق ؟

إن أخشى ما يخشونه أن يأتى يوم يصبح فيه تخلف إفريقية ضرورياً لسلامة الكبار .

إن الكاتب « تيفود جرى » إفريقى مؤمن يدين بالدين المسيحى ، ولهذه الصفة فى نظرنا أهمية كبرى ، فهى تنبه المسئولين عن الكنيسة ورسالتها إلى التقصير المرتكب بالتخلى عن الحركات التحررية فى أنحاء العالم ، فهل يفطن هؤلاء إلى خطورة الرسالة الروحية التى يحملونها فيحافظون على جوهرها كما يحافظون على الشكل ؟ أم يبقون على نهجهم سائرين .

إن سلامة الشعوب الضعيفة المتخلفة تفتقر إلى مسيحيين علمانيين ينذرون أنفسهم خدمة الحق ، والعدالة ، والسلام دون تمييز بين الألوان ، والعناصر ، والأديان ، والكنيسة قادرة على تزويدها بهم »

وهذا الكلام يقبل المناقشة ، فقول المقدم أن دعوة الشباب التى تدعو إلى وضع المقاليد السياسية فى أيديهم تتسم بالعنف لأنها جاءت من أناس لا يباشرون مسئوليات فى بلادهم قول فيه مغالطة لأن من أبسط الأشياء أن يطالب الإفريقيون بإدارة شئون بلادهم وأن هؤلاء الذين مارسوا هذه الدعوة ، وبذلوا أيامهم من أجلهم ؛ من الشباب الذين لم يصبحوا على هامش الأحداث فى القارة كما يعتقد الأستاذ المقدم ، ويكفى أن نذكر له أسماء لومومبا ، وتوم مبويا ، وعلى محسن . . الخ ليعتقد أن الشباب هو الذى يشكل الآن وجه القارة ، وأن الدعوة إلى استرداد الحقوق السياسية قد أصبحت شيئاً قديماً فقد طوّر كثير من الزعماء هذه السياسة وأصبحت دعوات إلى إفريقية موحدة تضم الدول جميعها فى شكل ولايات ، وإلى وجود تكامل سياسى ، واقتصادى ، وفنى بين كافة أجزاء القارة !

ثم إن قوله إن القارة لا تملك أية قدرة على الدفاع عن نفسها قول غير مقبول لأن بالقارة بعض الدول التى تملك أعظم قوى ضاربة فى الشرق ، وأن كل دول القارة تكوّن الآن تكاملا عسكرياً ضخماً ، وجدنا أثره أخيراً فى هذا السد الإفريقى الذى وقف على

الكونغو ليحل محل القوات البلجيكية ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه قد أصبح للرأى العام العالمى وزنه فى الأحداث أدركنا أن الاعتماد على القوة فى استذلال الشعوب لم يصبح شيئاً مقبولا ، وقد أكدت هذه الأحداث الجارية فى العالم .

أما القول بأن سلامة الشعوب الضعيفة المتخلفة تفتقر إلى « مسيحيين علمانيين » ، وأن الكنيسة قادرة على تزويد هذه الشعوب بهم فشىء قد يستند على الحماس الدينى فقط ، أما الحقيقة فتؤكد أن المبشرين كانوا فى خدمة الاستعمار فى إفريقية ، وأنهم طلبوا من الإفريقيين أن يغمضوا أعينهم زيادة فى الخشوع ، ولكن حينما فتح الإفريقيون أعينهم ، وقالوا فى نهاية الصلاة « آمين » وجدوا أن أرضهم ، ووجودهم قد سلب منهم ، وأنه لم يعد فى أيديهم إلا نسخ من الإنجيل ، وأعتقد أن القارة ليست مهيأة لاستعادة هذا الدرس مرة أخرى . ثم أخيراً لماذا تفتقر القارة إلى مسيحيين علمانيين فقط ؟ ولماذا قيد صاحب المقدمة المسيحيين بالعلمانيين ؟

* * *

وقد ذكر المؤلف فى الفصل الأول الذى سماه « هل قضى على الاستعمار . أن القارة ما زالت تعانى ضغطاً خارجياً ، وأن ما يعانيه « إتحاد جنوب إفريقية » يمكن أن يقال إن القارة ما زالت تعانى منه ، فهذه الأبيات من الشعر التى تصور الحالة فى جنوب إفريقية يمكن أن تعبر عن القارة جميعها وهى :

« إذا كنت أبيض فأنت على حق
وإذا كنت أسمر فيمكن تحملك
ولكن إذا كنت زنجياً فاذهب إلى حيث . . . »

ومن هنا يجب أن لاننخدع بهذا الشعار الذى أصبح يقول : « لقد انتهى عهد الاستعمار » ذلك لأن الحقيقة تؤكد أن القارة من الجزائر إلى ليوبولد فيل ، ومن مانهاجو إلى دار السلام تعانى من الاستعمار ، ولا تعرف كيف تتخلص منه . والمؤلف هنا معذور لأن الأحداث أقوى من قلمه ، والمد التحررى أسبق من حروف المطبعة فقد سجل فى هذه الأيام تحرر عدد من الدول داخل هذه الحدود التى رسمها بقلمه ، ومن هنا أصبح شعار « لقد انتهى عهد الاستعمار » شعاراً حقيقياً يعبر عن حقيقة كبيرة موجودة فى إفريقية

على أنه إذا كان يحمد للمؤلف قوله بأن على الإفريقيين أن يعملوا بجد ، ودأب حتى يصبحوا قوة فى الوجود عن طريق « الإتحاد الإفريقى العام الشامل » بعيداً عن مصالح ، وحضارة شعوب كان الإفريقيون ضحاياها ، إذا كنا نحمد له ذلك فإنا نأخذ عليه قوله ساخراً بأن الإفريقيين لو تساووا فى التمثيل مع الفرنسيين فى البرلمان الفرنسى لكان من حق هؤلاء

الإفريقيين أن يصدروا قانوناً مدنياً يجيز تعدد الزوجات ، أو قانوناً جزائياً يسمح بأكل لحم البشر فتعدد الزوجات قائم على فلسفة تبررها بعض الضرورات فى الحياة ، أما القول بأن القارة تأكل لحوم البشر فنحن لا نعتقد أن هذا المؤلف قد ذاق هذا اللحم فى يوم ما ، وأن هذا القول قد بالغ فيه الكتاب الأوروبيون لتشويه القارة فى نظر الإنسانية ، وأنه إذا كانت قد حدثت حادثة فردية فيجب ألا تؤخذ كسمة من سمات القارة ، ومن واحد من أبنائها المثقفين !

* * *

ثم ذكر المؤلف أن إفريقية ليست منعزلة عن العـــالم ، وأنها بفضــــل الأحداث الأخيرة قد استيقظت ، حتى أن كثيراً منهم يذكرون أن على القارة حين تتحرر تماماً أن تقيم تمثالا تخلد فيه ذكرى « هتلر » لأنه قد فتح أعين القارة على أشياء كثيرة ، فقد أحيت الحرب الأخيرة الضمير الاجتماعى للإفريقيين فأحسوا بوجودهم ، وأحسوا أنهم يطلُّون على العالم ، وأنهم قد ظلموا ، ونهبوا .

ونحن نأخذ على المؤلف هــــذه النظرة المحدودة التى تتجاهل ماضى إفريقية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، وأن هذا الضمير كان مستيقظاً بفضل رجال ثوريين كعرابى ، والمهدى ، والزبير ، ورابح ، وتيبوتيب ، ومهدى الصومال ، ومنليك ، والإمام القرين ، وماء العينين ، وعمر المختار ، وغيرهم وقد وقع فى هذا الخطأ كذلك المؤلف الروديسى « اندا بانتجى سيتهول » فى كتابه القومية الإفريقية ، ولعل لهؤلاء المؤلفين الإفريقيين بعض العذر فقد ضربت بينهم وبين الثقافة المجاورة جدران سميكة ، وأصبحوا لا يطلون على كل من حولهم إلا من خلال وجهة نظر غريبة عنهم !

والمؤلف وإن كان يقف بنا عند الحرب العالمية الثانية إلا أنه يعرض علينا قطاعاً دامياً مما دار فى هـــذه الفترة، فقد رأى فى يوم ما فى قريته الإفريقية « اتشوكيا » — التى لا تدخلها السلطات الأجنبية إلا لجمع الضرائب — النساء يبكين ، والأطفال مشدوهين ، والرجال منقبضين ، وطوابير طويلة من الشبان يساقون إلى المرافىء دون أن يمكنوا حتى من نظرة وداع إلى أهلهم ، وقريتهم ، أما هؤلاء الذين بقوا فقد أجبروا كذلك على خدمة قضية الحرب ، ومن هنا لم يتمكن الفلاحون من رفع ظهورهم لرؤية السماء لأنه كان عليهم أن يحصدوا دائماً فى حقولهم للمحاربين ، كما لم تتمكن الفتيات من الأحاديث لأنه كان عليهن أن يعملن دائماً فى نقل المواد الغذائية من القرى إلى مراكز الامدادات ، وكأن هذا العرق الإفريقى لم يكن كافياً لخدمة الحلفاء ، لأنه كان

على الجميع أن ينشدوا دائماً هذه الكلمات التى كانت تعذبهم أكثر مما يعذبهم الكدح المتواصل ، فقد كان عليهم أن يقولوا :

« أيها المارشال بيتان نحن طلاب دا هوى
إننا نحييك ، ونحييك مراراً
للعمل الجبار الذى حققته
لصالحنا فى هذا العالم
إننا نشكر ، فتعالوا وساعدونا
فى تقديم الشكر للأب « بيتان »
فالعمل العظيم الذى فعله من أجلنا
لا ينسى ! ! »

أما الحصاد الأخير لهذه الحرب فقد كان القتل لهؤلاء الذين لم يصبهم رصاص الألمان وهم يدافعون عن الحلفاء ، فالذين قد بكى الأهل عليهم وهم يحشدون إلى الموانى ، بكى الأهل عليهم مرة ثانية وهم يصرعون برصاص الذين كانوا يدافعون عنهم ، وهكذا لم يرحمهم رصاص الألمان ، ولارصاص الغربيين .

ويسترسل المؤلف فى بعض ذكرياته فيقول : ولا تمكن مطلقاً أن ننسى صورة ذلك الصبى الصغير المسكين الذى كان على ذراع والدته الحنون فإذا برصاصة قاتلة تقضى عليه ، ويهوى كالثمرة الناضجة عن يدها ، ويتلاشى فى اليوم المخجل الذى ضربت فيه مدينتا « بالاكا » و « أورادو » . ثم يورد هذه الكلمة التى قالها نائب إفريقى فى البرلمان الفرنسى وهى « بمعونتنا لكم أيها الفرنسيون للتخلص من حذاء هتلر تذوقنا طعم الحرية ، فلا تعتقدوا أنه فى إمكانكم بعد اليوم أن تحرمونا من هذا الطعم اللذيذ » .

* * *

ثم ذكر المؤلف أن « مؤتمر باندونج » كان نفحة الأمل بالنسبة للإفريقيين ، ولم يكن كما اعتقد « ريمون كارتيه » الفرنسى تكتلا للملونين ضد الرجل الأبيض ، ذلك لأنه كان فى الحقيقة رفضاً لاستمرار الظلم ، وانتشار البؤس ، فهو كما قال « جون كوتيلاده » السيلانى « نحن شعوب قارتى آسيا وإفريقية الحديثتين — أية كانت الفوارق بين ألواننا ، وعناصرنا ، ولغاتنا ، وأدياننا ، وحكوماتنا — نعلن أن هناك شيئاً مشتركاً يجمعنا ! »

وهكذا كان هذا المؤتمر ناقوساً يدعو إلى الحرية ، ويساند كل المستعمرين وبخاصة الجزائر التى يرى المؤلف أن مصير المستعمرات كلها منوط ، نوعاً ما ، بمصير الجزائر .

ثم يتحدث المؤلف عن « غانة » ، والدور الواقعى الذى يقوم به « كوامى نكرومة » ، ويعتبرها — كما تبصر الأحداث — النجمة الأولى للولايات الإفريقية المتحدة ، أو كما يقول الدكتور نكرومة :

« إن نجاحنا أو فشلنا فى جعل غانة دولة سعيدة مزدهرة سيكون له صداه البعيد وراء الحدود ، إن فشلا نسجله هنا — لا سمح الله — سيكون له أوخم العواقب ، وأردأ النتائج فى

الأقطار الإفريقية الأخرى الشقيقة التى تكافح من أجل حريتها ، وتناضل لطرد الأجنبى الدخيل من ربوعها الطاهرة .

يجب ألا نفشل مهما كانت المصاعب ، والتضحيات ، ولن نفشل باذن الله: بل سننقذ إفريقية بأثرها من الاستعمار بإعطائنا لشعوبها المثل الصالح ، والطريق التى يجب أن تسلكها »

* * *

ثم تحدث المؤلف عن « توجو » . و « الكمرون » وكيف أن كلا منهما كان مجزءاً بين الفرنسيين . والانجليز باعتبارهما كانا تحت السيطرة الألمانية . وقد تعرض فى هذا الفصل لكثير من الأحداث التى جرت بين البلدين . وخوفه على مصير هذين القطرين ، ولعله الآن سعيد بعد أن استقل هذان البلدان . فليس المهم أن يسجل هذا الحدث فى كتابه . ولكن المهم حقاً أن هذا الحدث قد حدث فعلا فى هذا العام عام ١٩٦٠ .

* * *

وفى فصل ممتع عن « التعليم فى المستعمرات » نرى المؤلف يذكر أن الأوروبيين يتشدقون بأنهم أقاموا مدارس وجامعات فى إفريقية ، ولكن لأية غاية كان هذا التعليم المحدود ، يمكن أن نقرأ هذه الغاية فى التعليمات التى صدرت إلى حاكم « المارتينيك » والتى تتضمن أن جميع المستعمرات يجب أن تكون فى خدمة الدول المستعمرة . وأن التعلم يجب أن يهدف فقط إلى إعداد هذا الإنسان المغلوب على أمره ليصبح أداة لبناء المستعمر ، وهدم بلاده بحيث لا يخرج عن دائرة الترجمة ، أو الوساطة فى إدارة شئون البلاد ، وهكذا سار العلم فى خدمة الاستعمار ، وأصبح لا يصل إلى التعليم الجامعى إلا فى حدود ضيقة ، وكل الجامعات التى من هذا النوع تفتقر إلى كثير من المقومات ، فإذا أضفنا إلى ذلك تحديد المبعوثين إلى الخارج أمكننا أن نعرف إلى أية وجهة يسير التعليم هناك ، وأن المقصود بذلك هو عدم حصول الإفريقيين على مناصب فنية فى بلادهم ، وقد تنبه إلى هذا بعض المنصفين فذكر الأستاذ الفرنسى « ميشيال ديفى » أن من الظلم تقييد التعليم فى وجه الإفريقيين ، وأن من الإجرام كذلك فرض شروط على طالبى المنحة الجامعية منهم بعكس زملائهم الفرنسيين .

« . . . إننا نعلم أنه إذ نعمد نحن إلى إعداد نخبة من الإفريقيين تستطيع أن تتولى الأمور مكاننا فى الأقطار الإفريقية لتطويرها فانهم سيعمدون بأنفسهم حتما إلى التمرس القاسى بفنون الثورة . فهل نستمر فى اعتقاد أن البلدان التى تتولى شئونها لم تصل بعد إلى النضج الكافى الذى يخولها إدارة شئونها حتى ذلك اليوم الذى نشعر فيه بأنها أجادت الحرب ، والثورة الاستراتيجية ، والتنظيم كالغربيين أنفسهم ! »

وقد ذكر البعض أن الإفريقيين ميالون إلى الدراسة الكلاسيكية ، وأنهم يهملون تماماً الدراسة التكنيكية ، ولكن الحقيقة التى كانت وراء ذلك هى أن الفرنسيين يهملون استخدام المهندسين الإفريقيين ، ولا يعطونهم

الأعمال التى تتفق ومؤهلاتهم . ثم هناك مسألة التعليم التى يقوم بهـا المبشرون والتى لا يرتاح إليها المؤلف فنراه يدعو إلى التعليم الذى لا يقصد به سوى التعليم فقط بعيداً عن أى مؤثر آخر مهما كان هذا المؤثر ، ثم نراه يتساءل لماذا يرحبون بهذا النوع الدينى من التعليم ولا يرحبون بالمدارس التى يفتحها المسلمون فى إفريقية ؟ ولمصلحة من الضغط عـلى الدين الإسلامى الذى يعتبر دين الأكثرية فى إفريقية السوداء ؟ إنه إذا كان لمصلحة أحد فلن يكون — كما يقول المؤلف — فى مصلحة إفريقية والسلام .

ثم تأتى بعد ذلك مسألة تجاهـل اللغات الإفريقية التى عبر عنها الإفريقى « جوزوف كى زويولا » بقوله :

« عند ما كنت واعظاً مكلفاً بالتدريس فى أحد صفوف الحضانة فى إفريقية كانت الأوامر تقضى بمنع التلاميذ منعاً باتاً من استعمال لغتهم الأم ، وذلك لتلقين اللغة الفرنسية التى كان التلاميذ فى ذلك الحين لا يفهمون منها كلمة واحدة ، وكانت تفرض عقوبات صارمة شديدة جداً على المتمردين ، أو الذين لا يستطيعون أن ينصهروا فى البوتقة التى صنعت خصيصاً من أجلهم على ضفاف السين .

وفى إحدى الأمسيات التى كنا نصرفها فى التفتيش عن كلمات كلها غريبة عن عالم الأطفال والأولاد بسبب المتاعب التى كنا نلقاها بدأت أغبط البلدان المتحررة التى لا يدفع أولادها الضريبة للعالم المتحضر على حساب لغتهم ! »

فإذا تعدينا ذلك وجدنا سموماً أخرى تفرض على الناشئة الإفريقيين فالمقرر عليهم تاريخ ، وجغرافية ، وأنظمة فرنسا ، وفلسفة ديكارت ، وبرجسون ، ومسرحيات راسين ، وموليير ، ومعنى الحب عندهم هو المعنى نفسه الذى يعطيه للحب لامارتين وموسيه !

* * *

ثم ذكر المؤلف تحت عنوان « إفريقية قارة تجوع » أن التفرقـة العنصرية تجد مجالا فسيحاً فى الحقل الإقتصادى فالعامل الإفريقى يتناول أجراً أقل من زميله الأبيض الذى يؤدى العمـل نفسه ، والموظف الأوروبى الذى يتعـين مع زميـله الإفريقى يسبقه بعدة درجات بدعوة أن الأوروبى يجب أن يعيش فى مستوى ممتاز ، ولكن لماذا لا يعيش الإفريقى فى هذا المستوى كذلك ؟ لقد وجد أن الإفريقى لا يتعاطى سوى ١٨٠٠ وحدة حرارية بينما يحتاج جسمه إلى ٤٠٠٠ ، وقد ترتب على هذا سقوط الكثيرين مرضى ، وأكثرهم يفاجأ بالموت لعدم وجود الأطباء ، ثم هنالك عملية الاستنزاف الإقتصادى فى كثير من المجالات فالإفريقى يشترى القمح الفرنسى مثلا بزيادة نسبتها ٨٠٪ على سعر القمح فى السوق العالمية ، والسكر بزيادة ١٠٠٪ ، والقطنيات بنسبة ٣٥٪ . فالإفريقى لكى يحصل على قطعة قماش من القطن تزن ٣٠٠ جرام نراه مضطراً إلى أن يدفع فى مقابلها مائة كيلو من القطن ، فإذا أضفنا إلى

ذلك أن الإفريقى لا يمكن أن يتعامل إلا مع المستعمرين ، وأن أرضه تسلب منه بدون مقابل ، ومناجمه تغتصب لصالح الشركات الأجنبية ، وغاباته يقضى على بعض أشجارها تماماً كما حدث لشجرة « الأكومبة » التى يحصل منها على خشب ممتاز ، والتى أصبحت الآن نادرة الوجود فى منطقة الجابون ، إذا أضفنا ذلك إلى جانب الضرائب التى لا ترحم عرفنا أى ثقل تطحن تحته إفريقية .

* * *

والمؤلف يصرح أن هناك عيوباً وانحطاطاً أخلاقياً قد وفد بعضها على القارة من الخارج كالانغماس فى الشراب والانهماك فى الجنس ، وموالاة البعض لهؤلاء المستعمرين ، والنزعة الإقليمية القبلية ، ولكن الغد كفيل بالقضاء على هذه المفاسد .

* * *

ثم ذكر المؤلف أن من مصلحة الكنيسة أن تنفصل عن رسالة الاستعمار ، ومع أن هناك من نادى بذلك كالكاردينال « جيرليه » إلا أن الحقيقة تؤكد أن الاستعمار قد ارتبط بالكنيسة فى القارة ، ونحن نرى « لامينيه » يقول :

« لقد كان من المقدر أن يخرج العنصر الأبيض شيئاً فشيئاً من قيوده بينما نزلت اللعنة على نسل حام كما يقول الكتاب ، ووعدته بعبودية دائمة »

ثم إن هناك وقائع لا تزال مرتبطة بمفهوم

« فرنسا الرسول فى الإمبراطورية الفرنسية »

وما زال يسمع فى بعض الكنائس بإفريقية هذا النشيد الذى يتحدث عن جان دارك فيقول :

« يا ربة الخلاص التى قادت أجدادنا إلى النصر ، والتى تبعث فى أولادهم الأمل . يا أبناء هؤلاء انشدوا مثلى لتحيا جان دارك ، لتحيا فرنسا »

وهناك عبارات أخرى تتردد فى الكنائس مثل :

« يا ملكة فرنسا تضرعى لأجلنا ، خلصوا فرنسا خلصوها باسم القلب الأقدس ، أنقذوا ألمانيا انقذوها باسم القلب الأقدس »

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مذابح كنائس إفريقية الفرنسية تزين بالأعلام الفرنسية فى الأعياد الدينية ، وأن على طلاب المدارس المسيحية تحية العلم الفرنسى على أنغام « المارسيليز » قبل التضرع إلى الله ، وأنه يطلب فى بعض الأبرشيات الإفريقية الصلاة من أجل فرنسا بعد تلاوة الإنجيل ، وجدنا أن إفريقية عانت من التبشير ما عانته من الاستعمار ، وإن لم يمنع هذا من وجود بعض المبشرين المخلصين الذين نذروا أنفسهم لاكتشاف وجه إفريقية الصحيح ، ولكن هذه الأشجار المحدودة يجب ألا تحجب عن أنظارنا الغابة الرهيبة !

* * *

ثم نرى المؤلف يؤكد أن الإفريقيين قد اقتنعوا بأنه يجب القضاء

على نظام تهدر فيه كرامتهم لحساب الأوروبيين ، فلم تعد تخيفهم الافتراءات التي تقول إنه بمجرد انحسار الاستعمار سيظهر الطغيان الاقطاعي ، والوقوع في قبضة الرأسمالية الأمريكية أو الديكتاتورية الشيوعية ، فالكل يدرك بما ستقابل به الدول المستقلة من صعوبة ، وعقبات ، ومن هنا نراه يقول إن فكرة إقامة اتحاد يضم كل الدول الافريقية قد يكون خطوة ثانية أما الخطوة الأولى فيراها في إقامة الاتحادات الآتية :

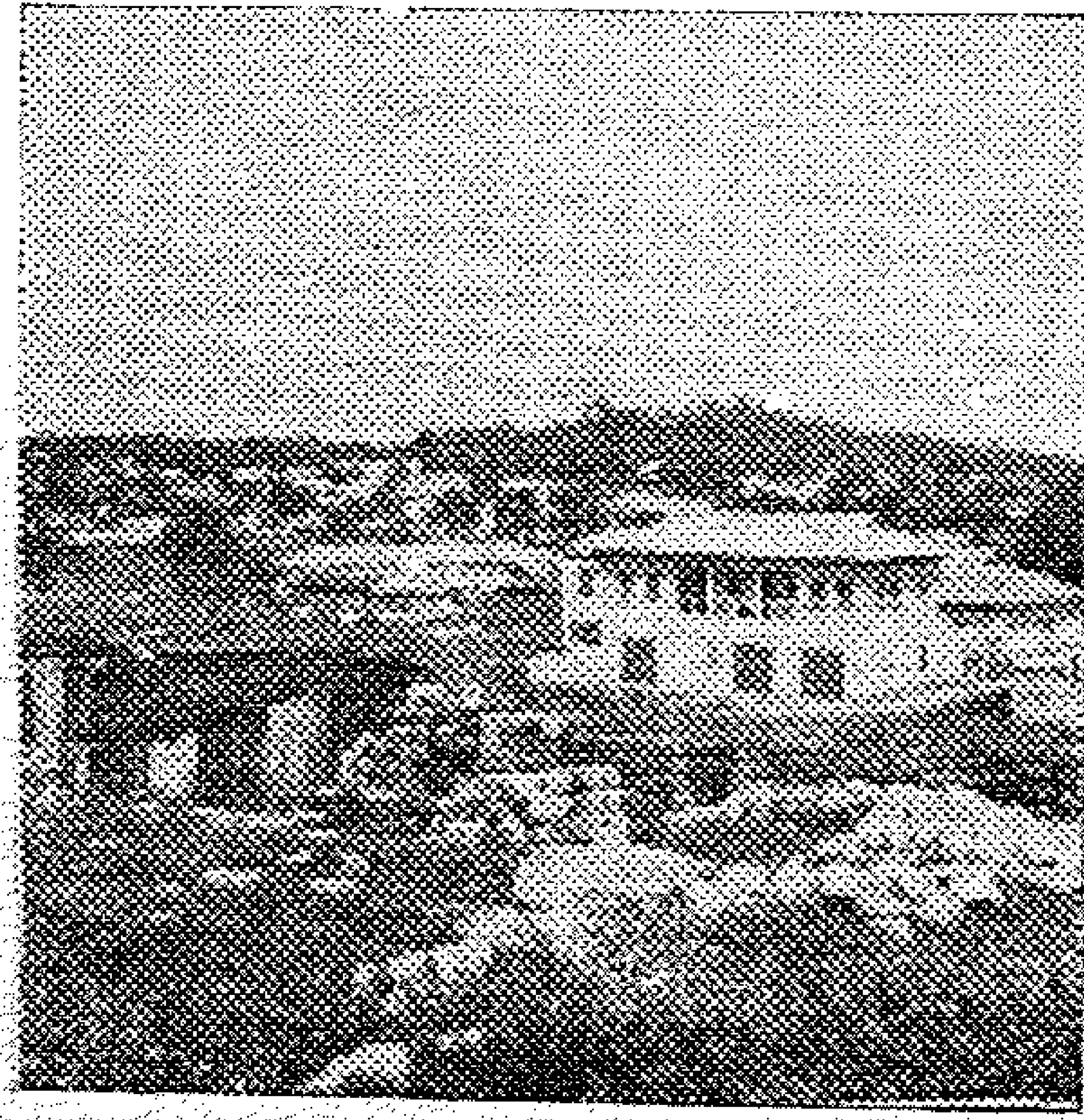
١ – الولايات المتحدة لغربي إفريقية وغانة
٢ – اتحاد إفريقية الوسطى ، والشرقية
٣ – اتحاد دول جنوبي إفريقية .

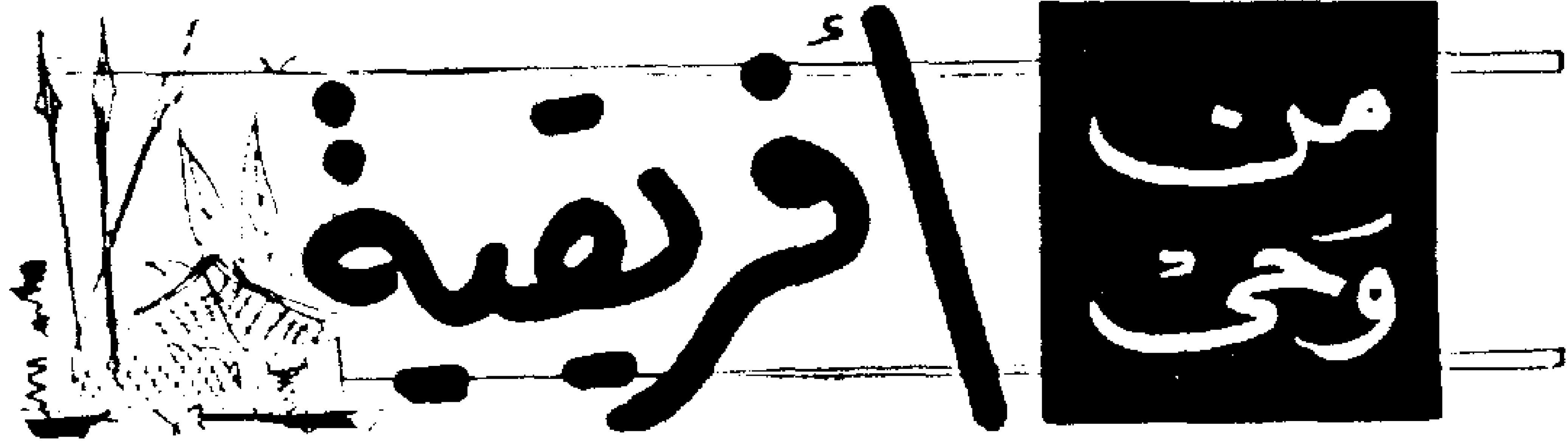
والملاحظ هنا أن المؤلف يجري – كعادة الغربيين – من تقسيم القارة إلى إفريقية قبل الصحراء ، وإفريقية بعد الصحراء .

وأخيراً يرسم لنا المؤلف صورة جديدة لهذا المجتمع الإفريقي الجديد الذي يحس بتكامل نفسي واقتصادي ، ويتكيء على لغات آبائه وثقافتهم فالهدف الأساسي لهذه الحملة المقدسة كما يقول هو « إرغام الآخرين على أن ينظروا إلينا كبشر مثلهم ! »

ومن أجل هذا يشيد المؤلف بمؤتمر باندونج ، ومؤتمر التضامن الافرسيوي بالقاهرة ، ومؤتمر تجمع الأحزاب السياسية الإفريقية في باريس وبكل شيء يضم أجزاء القارة إلى « الكل الإفريقي »

.... وهكذا يضيف كتاب « إفريقية الثائرة » – وإن كان قد اعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على البلاد الواقعة تحت السيطرة الفرنسية – إلى القاريء العربي جديداً ، بل شحنة تجعله يساند هذه القارة ، ويقف معها بحب وحماس ، وهذا ما أراده « البير تيود جري » .





بين ذكريات الماضي !

للشاعر ميشيل دى أنانج

أنا أحب أن أعيش فى الماضى
فى بقايا ذكريات الماضى البعيد
ففيه أكون مهوراً . ومحباً للعالم
ومصححاً للأخطاء . بل وبانيا كذلك .

* * *

ما أجمل التفكير فى الماضى
الذى لك ولى فيه نصيب
أما إفريقية الغارقة فى القدم
والتى لم يسجلها لى الزمن
فإنى آسف لأنى لن أستطيع ضمها إلى قلبى !

* * *

ففوق وديان غابات نهر النيجر
وعلى السهول المتعرجة لنهر الفولتا
وعلى أكتاف جبل « كليمنجارو »
يوجد رباط من الثلج المشع المضىء
وتوجد كذلك نسمات رفرافة تهب على إفريقية الجديدة
من إفريقية القديمة !

* * *

إن الأطلال السحرية « لزمبابى »

والمناجم الصبورة لكمبرلى
مليئة بمخزن سرى كبير
من الذهب الأصفر البراق ، والماس
كما تغص بحكايات أعمق مما يتصور الإنسان

* * *

أنا أحب الأيام الماضية
الأيام العظيمة ذات الطهارة الفاضلة
حينما كان رجل الغابة البدائى
وحيثما كان حيوان الغابة المتوحش
يعيشان معاً جنباً إلى جنب فى صداقة ، ووئام :

* * *

أنا أحب إفريقية كما هى
إفريقية الملكة كما هى بلا مزوّقات
ذلك لأنها لؤلؤة الماضى الثمينة
إن جمالها ليس أروع جمال فى العالم
ومفاتنها قد تقصر عن المفاتن الأخرى
ولكنى أحبها كما هى ! أحب إفريقية !

* * *

ردّ إلىّ إفريقية هذه مرة ثانية
بكل محاسنها . . بكل مساوئها
ثم اتركنى حراً أخطط لها مستقبلها من جديد !
معتمداً على تراث الماضى العريق ، وأضواء العلم الحديث

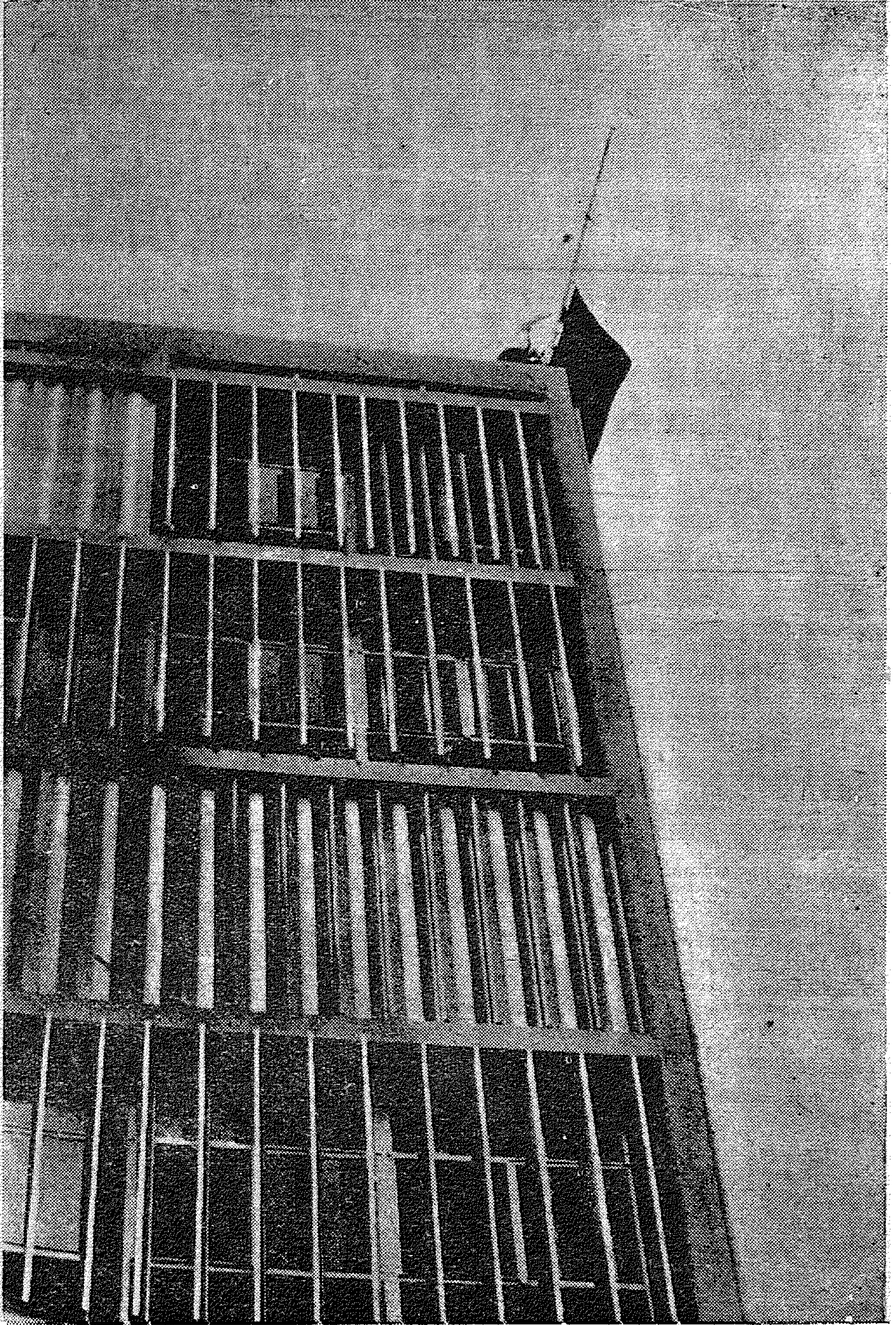
* * *

اعطينى هذه الأشياء
ومن إفريقية التى ضاعت من فترة طويلة
ستنبثق إفريقية ضخمة كالطائر الوهمى الكبير
إفريقية العالم الجديد ! !

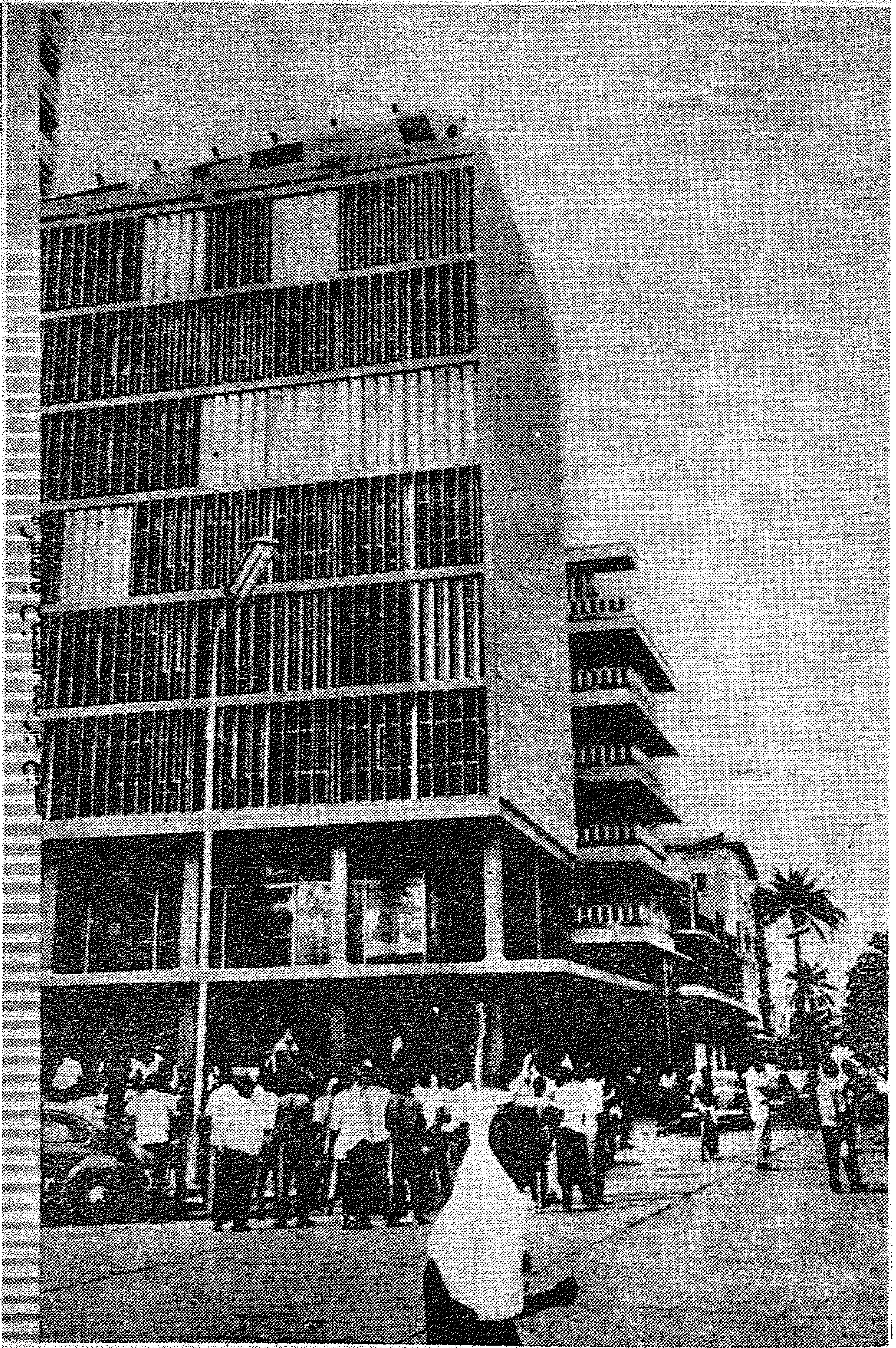
جولة مصورة حول



« فى انتظار سقوط العلم البلجيكى فى الكونغو »



« العلم البلچيكي يسقط رويداً رويداً »



« العلم البلچيكى يسقط تماماً »



« تمثال إفريقي »

أمريكا والقضية الجزائرية

لا يمكننا أن نتحدث عن السياسة الفرنسية في الجزائر دون أن نشير إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه هذه المشكلة ، خصوصاً في المرحلة النهائية منها ، تلك المرحلة المعاصرة بما فيها من ثورة الشعب الجزائرى ، والوسائل والإمكانيات التى وضعتها فرنسا فى الميدان للقضاء على هذه الثورة . ويجرنا هذا إلى التحدث عن العلاقات الفرنسية الأمريكية من ناحية ، والأمريكية الجزائرية من ناحية أخرى .

ذكرنا أن فرنسا خرجت من الحرب العالمية الثانية وقد فقدت مرتبتها الفعلية كدولة عظمى ، وإن كانت قد احتفظت بهذا الاسم ، محاولة لاستمرار التوازن الدولى فى الأمم المتحدة وعدم فتح الباب لتسوية المشكلات التى ستنتج من استقلال مستعمراتها دفعة واحدة .

ولقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على مساعدة فرنسا من الناحية الدولية على السيطرة على إمبراطوريتها السابقة فاتخذت الولايات المتحدة هذا القرار الرسمى وهى غير مخلصة فيه لفرنسا إذ أنها لم تكن تسعى إلا لترك الأمور تزيد نضجاً قبل أن ترث الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة . سادت هذه الروح الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٤٤ وشعرت أنها ستصل يوماً إلى السيطرة على معظم ممتلكات إنجلترا وفرنسا ، ولكنها شعرت بعدم قدرتها على تنفيذ ذلك فى التو ، فانتظرت حتى تنضج الثمرة ويزداد بعد الشقة بين المستعمرات السابقة والدول العظمى التى خرجت من الحرب . وكان الاتجاه الأمريكى المعادى للاستعمار أكبر مشجع لشعوب المستعمرات القديمة على الثورة على المستعمرات البائدة . وهكذا التقت السياسة الأمريكية مع الأمانى القومية لشعوب المستعمرات القديمة فى هذه النقطة بالذات ، وهى العداء للنظام الاستعمارى القديم . ولكن نقطاً أخرى كثيرة ستفصل بين اتجاهات الشعوب المتحررة وبين الاتجاه الأمريكى الذى يسعى لمحاربة الاستعمار القديم تمهيداً لكى يحل محله فى شكل جديد .

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تقديم المعونة الاقتصادية للدول

الأوروبية ، وساعد ذلك على ارتفاع مستوى المعيشة فى هذه الدول وزيادة طلبات واستهلاك الأهالى فيها . وعمل ذلك على رواج المصنوعات الأمريكية فى الأسواق الأوروبية ، وبالتالى على زيادة الإنتاج الأمريكى ، كما ساعد على زيادة تداخل حركات رؤوس الأموال الدولية بين كل من نيويورك ولندن وباريس. ودخل رجال الأعمال الأوروبيون فى منظمات اقتصادية مع زملائهم الأمريكيين ، وكان التفوق فى هذه المنظمات ، بطبيعة الحال ، لأصحاب رؤوس الأموال الأمريكيين .

وهكذا ازداد الإنتاج الأمريكى والانتعاش الاقتصادى فيها نتيجة لتقديم المعونة الاقتصادية لدول أوروبا ، وسيكون من الطبيعى أن يعمل رجال الأعمال الأمريكيون على ترك زملائهم الأوروبيين يواصلون استغلال مستعمراتهم فى إفريقية وآسيا ، إذ أن ذلك لن يكون إلا زيادة لانتعاش هؤلاء الأتباع الأوروبيين ، ويعود بالتالى بالفائدة على الأمريكيين. وحتى فى هذا الاتجاه الاقتصادى لم يكن الأمريكيون مخلصين لزملائهم الأوروبيين ، بل إنهم قد أخذوا يتحينون الفرص لكى يحلوا محلهم ، من الناحية الاقتصادية ، على الأقل فى السيطرة على هذه المستعمرات القديمة ، ويتخلصون بذلك من أحد الوسطاء الذين قد لا يكون هناك داع لوجودهم .

عملت السياسة الأمريكية إذن بعد الحرب العالمية الثانية على محاولة استمرار إدارة الدول الأوروبية لمستعمراتها القديمة من الناحية السياسية ، واستغلالها لها من الناحية الاقتصادية . ولم تكن مخلصة فى هذه العملية إذ أنها ستتحين الفرص لكى تسيطر على هذه المستعمرات من الناحية السياسية، إن أمكن، وإلا فمن الناحية الاقتصادية . ولم تتسرع أمريكا فى تنفيذ مشروعاتها . إذ أنها كانت واثقة من أنها تسيطر سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على عواصم الدول الاستعمارية فى أوروبا نفسها وأن الثمرة ستنضج فى يوم من الأيام .

ولكن عاملا آخر اضطر أمريكا إلى زيادة تأييدها السياسى والاقتصادى والعسكرى لدول غرب أوروبا وهى الدول الاستعمارية الموجودة الآن . ونتج هذا العامل بدوره عن الحرب العالمية الثانية نتيجة لتبلور الموقف بين معسكرين يقوم أحدهما على أساس العمل ، ويقوم الثانى على أساس رأس المال . وتطور الموقف بين كل من الكتلتين الرأسمالية والشيوعية بمجرد إنهاء الحرب العالمية الثانية ، وشعر الغرب بزيادة الأهمية التى حصلت عليها روسيا نتيجة لانهزام ألمانيا وقيام ديموقراطيات شعبية فى شرق أوروبا . وزادت الحالة سوءاً على الغرب بالتطور السريع الذى حدث فى الشرق الأقصى

والانتصارات التى حصل عليها الشعب الصينى لتحرير بلاده من الاستغلال الغربى . واضطرت الدول الغربية إلى التكتل خصوصاً وأن جزءاً له قيمته من الرأى العام فيها كان يميل إلى الاتجاهات اليسارية . وتبلورت هذه المشكلات فى الصراع بين الشرق والغرب فى مشكلة برلين وشعر كل من المعسكرين أنه يضطر إلى الحرب للمحافظة على نظامه القائم . ونتج عن هذا إنشاء حلف شمال الأطلنطى الذى حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستخدمه لأغراضها الشخصية كخط دفاع أمامى لها . وستوافق الدول الغربية الاستعمارية بطبيعة الحال على الدخول فى هذه المنظمة العسكرية إذ أنها كانت قد دخلت فى تلك الحلقة المفرغة التى تضطرها إلى طلب المعونة الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية لكى تحافظ على مستوى معيشتها وعلى نظمها القائمة من ناحية ، وستضطر نتيجة لذلك إلى تنفيذ السياسة الأمريكية فى مستعمراتها من ناحية أخرى . وهذه هى الصلة بين أمريكا والمستعمرات بشكل عام ويهمنا منها الجزائر بنوع خاص .

وشعرت فرنسا بمركب نقص واضح وأخذت — فى المحافل الدولية وفى مفاوضاتها مع غيرها من الدول — تتصرف باعتبار الجزائر أرضاً فرنسية . واتخذت هذا الموقف أيضاً فى سنة ١٩٤٧ كما اتخذته عند ما أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية حلف شمال الأطلنطى

ووافقت أمريكا على هذا الاتجاه رغبة منها فى عدم إغضاب حليفتها الأوروبية الرقيقة المشاعر ، ومحاولة منها الاستفادة من اعتبار أراضى الجزائر داخلة فى نطاق هذا الحلف العسكرى .

اتسع نطاق حلف شمال الأطلنطى إذن باعتبار الجزائر جزءاً منه ، وسمح هذا للغرب بالسيطرة على إقليم يعتبر خطاً ثانياً له ويمكنه أن يزوده بالمواد الخام وبالقوى البشرية اللازمة لاستمرار حرب دولية .

أما من الناحية الاستراتيجية فلا يمكن لأحد أن ينكر أهمية موانئ الجزائر والقواعد البرية والجوية فيها فى تأييد أقاليم غرب أوروبا ، وخصوصاً إذا اشتبكت فى حرب عامة إذ أنه سيسهل على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتخذ من القواعد العسكرية فى هذا الإقليم محطات لتزويد غرب أوروبا بكل ما تحتاج إليه ، هذا علاوة على مساعدتها على السيطرة على الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط بين موانئ جنوب فرنسا وشمال إفريقية وبالتعاون مع الموانئ الإيطالية .

وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار الجزائر أرضاً فرنسية وستكون هذه نقطة جديدة تؤثر فى سير الحوادث وتطورها فى هذا

الإقليم خصوصاً بعد أن نشبت الثورة فيه .

ساعدت الحرب العالمية الثانية فى قيام الحركات الثورية فى جميع اتجاه العالم ، ورأينا كيف أن ثورة الهند الصينية قد أجبرت فرنسا على استغلال موارد الجزائر الاقتصادية والبشرية فى هذه الحرب . حقيقة أن اشتراك الجزائريين فى حرب الهند الصينية قد ساعد على تهيئة الجو للثورة فى الجزائر نفسها . ولكن ما يهمنا هنا هو أن الولايات المتحدة الأمريكية ، قد أيدت فرنسا فى حرب الهند الصينية ، وستعمل بعد ذلك على تأييدها فى حربها ضد الشعب الجزائرى الثائر .

أمدت الولايات المتحدة الأمريكية فرنسا بالأسلحة والأموال اللازمة لمواصلة الحرب فى الشرق الأقصى ولم تكن هذه المساعدة الأمريكية إلا تخفيفاً من الأعباء التى كان على أمريكا نفسها أن تقوم بها ، إذ أن هذه الدولة كانت ولا تزال تهدف إلى وقف تقـــدم الحركات الشعبية والثورات الشيوعية فى جميع أنحاء العالم . وساعدها الحظ على أن تجد من الفرنسيين ورجال مستعمراتهم من يقبلون حمل السلاح ومواصلة هذه الحرب . وهكذا اقتصر اشتراك أمريكا فيها على المجهودات الاقتصـــادية والمنتجات الحربية وادخرت بذلك قواها البشرية . واتبعت الولايات المتحدة هذه السياسة نفسها بخصوص الجزائر بعد أن نشبت فيها الثورة برغم أن هذه الثورة هى حركة قومية عربية لا تمت بأى صلة إلى الشيوعية الدولية . ساعدت الولايات المتحدة الأمريكية الحكومة الفرنسية بكل ما يلزمها من أسلحة وذخائر وعتاد بدعوى إرساله لها داخل نطاق حلف شمال الأطلنطى وسلَّحت لها الفرق العسكرية بأكملها مدعيـــة استخدامها لوقف أى هجوم شيوعى على غرب أوروبا . واستخدمت فرنسا هذه الأسلحة والمهمات والذخائر فى حرب الإبادة التى تواصلها فى الجزائر . استخدمت فيها الطائرات والمدفعية والمدرعات وأجهزة الرادار التى ادعت ضرورتها للدفاع عن غرب أوروبا . ولم تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على لفت نظر فرنسا إلى خطورة هذا الأمر خصوصاً بعد أن نقلت هذه الدولة الأخيرة فرقاً عسكرية بأكملها من جبهتها الغربية إلى الجزائر وأصبحت دول غرب أوروبا بغير قوات «دفاعية» كافية . واستخدمت «الأسلحة الدفاعية» فى حرب ضد شعب ليست له أية علاقة بالشيوعية وأن سحب الفرقتين المدرعتين الفرنسيتين الثانية والثالثة من ألمانيا ، وإرسالهما بمعداتهما الأمريكية إلى منطقة سبدو وتلمسان فى غرب الجزائر لإقفال الحدود الغربية ووقف معونة المغرب للقطر الجزائرى ،

وموافقة الولايات المتحدة الأمريكية على هذا الإجراء أو عدم مراجعتها لفرنسا فيه ، برغم تعريضه الجبهة الأوروبية للأخطار ، لأكبر دليل على اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه الحرب ولو بطريق غير مباشر . إذ أن الصمت لا يدل إلا على الرضا والقبول .

ولم تقتصر المعونة الأمريكية لفرنسا فى حرب الجزائر على تزويدها بالمهمات الحربية ، والصمت على نقل هذه المعدات لجبهة شمال إفريقية فحسب ، بل لقد أمدت أمريكا فرنسا بمعونات اقتصادية لم يكن فى وسع فرنسا أن تواصل حربها دون حصولها عليها . ويعرف الجميع سوء الحالة الاقتصادية التى تعرضت لها فرنسا نتيجة لإصرار حكومتها على الاحتفاظ بسبعمائة ألف مقاتل فى الجزائر ونتيجة لإنفاقها ٧٠٠ مليار فرنك سنوياً على هذه الحرب ، خلت الخزانة الفرنسية والتجأت الحكومة إلى القروض الدولية وكانت ألمانيا الغربية من أولى الدول التى أقرضت فرنسا ، وليست رؤوس الأموال بها إلا رؤوس أموال أمريكية بصورة غير مباشرة . ثم جاءت أمريكا نفسها لكى تقرض فرنسا علاوة على استمرار إمدادها لها بالمعونة الاقتصادية . وكان هذا أكبر مساعد لفرنسا على مواصلة حربها ضد الشعب الجزائرى .

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك موقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى المحافل الدولية وفى هيئة الأمم عند عرض قضية الجزائر عليها . ولا يمكننا أن نقول إن موقفها يؤيد حقوق الشعوب التى تناضل من أجل حريتها وكم من مرة أثر فيها موقف الولايات المتحدة فى المسألة ، وسمح لفرنسا بالوقت اللازم لتنفيذ مآربها وإضعاف المقاومة الوطنية فى الجزائر .

ادعت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تؤيد الشعوب فى التحرر من السيطرة الأجنبية ، ولكنها اشترطت أن يكون هذا التحرر بطريق سلمى فى الوقت الذى تعمل فيه على تسليح الدول الاستعمارية بدعوى ضرورة ذلك لوقف الخطر الشيوعى عن غرب أوروبا . وكانت فى هذا تؤيد الاستعمار الغربى وتحاول عدم فقد صداقة الشعوب المتحررة إذ أنها لا تثق ، برغم ذكائها ، فى الجانب الذى سينتصر حتماً .

إن كلمة واحدة من الحكومة الأمريكية لفرنسا كانت تكفى لوقف حرب الجزائر . ولكن الحكومة الأمريكية لم تتفوه بها مما يعطينا حق إدانتها .

وهناك نقطة أخرى تسمح لنا ، كمؤرخين ، بالحكم على الولايات المتحدة الأمريكية : هى أنها تسعى للمفاوضة مع جبهة التحرير الجزائرية ومع الحكومة الجزائرية المؤقتة وتساوم على استغلال بترول الصحراء . إنها

سياسة ذات وجهين تسعى بها أمريكا إلى تأكيد الحصول على الربح من كل جانب وقبل أن تظهر النتيجة النهائية . إن الولايات المتحدة لا تظهر اهتمامها بحل القضية الجزائرية فى أقرب وقت ممكن إذ أن استمرارها سيضعف الجانبين الجزائرى والفرنسى على السواء وسيخرج المنتصر منها وهو محتاج إلى معونة أجنبية فيجد أمريكا فى الانتظار بشروطها الاقتصادية وشروطها العسكرية .

وتواصل الولايات المتحدة الأمريكية سياسة القواعد العسكرية، والأحلاف دون أن تستفيد من أخطائها السابقة ومن الفشل الذى منيت به هذه السياسة نتيجة لنمو الشعور التحررى والرغبة فى السلام . وما زالت أمريكا تساوم لخلق أحلاف والحصول على قواعد فى شمال إفريقية تُدخل الجزائر فى نطاقها . إنها محاولات لإنشاء خط ثان مواز للخطوط الأوروبية يسير فى شمال إفريقية من الغرب صوب طرابلس والشرق الأدنى، ويؤيد خطوطها فى أوروبا ويدعم سيطرتها على الجزء الغربى للبحر الأبيض المتوسط ويسمح لها عند الحاجة بالتدخل من قواعده جنوباً صوب الصحراء وإفريقية السوداء . قواعد متناثرة على خطوط ويمكن منها السيطرة على الأقاليم المجاورة وفى كل الاتجاهات . وتذكر الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه السياسة هى سياسة دفاعية ، ولكن الشعوب المتحررة لا تؤمن بذلك ولا ترغب فى أن تتخذ أمريكا من قوتها وثروتها وسيلة للسيطرة على غيرها . ويعرف الجميع أن قيمة الرجل الحر فى الدفاع عن نفسه وبلاده تفوق بكثير قيمة التابع ، خصوصاً إذا كان لا يؤمن بالقضية التى أجبره الزمن على الدفاع عنها . وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية بطرق مباشرة وغير مباشرة جس نبض الجزائريين والتحدث معهم وتقـــديم العروض والمقترحات فى نطاق أحلاف شمال إفريقية أو غرب البحر الأبيض المتوسط أو حلف الأطلنطى تمهيداً لتكتيل كلٍّ من تونس والمغرب مع الجزائر داخل نطاق الأحلاف الغربية . وتسعى أمريكا إلى الاتصال فى لحظة إنهاك أو بأس لكى يقبل الجزائريون وإخوانهم سكان المغرب مثل هذه العروض . ولكن مجاهدى الجزائر أبعد ما يكونون عن مثل هذه اللحظات .

وأخيراً يمكننا أن نشير إلى تلك السياسة التى تسعى بها الولايات المتحدة الأمريكيـــة إلى فرض القيود على الشعوب قبل إمدادها لها بما يلزمها من أسلحة ومعدات . وإرسالها لمعدات لا تصلح لوقف أخطار الاعتداءات الأجنبية الخارجية بقدر ما تصلح لكبت الشعوب وإرغامها على الخضوع لحكوماتها التى وافقت على الشروط الأمريكيـــة ، عسكرية كانت أو

اقتصادية أو سياسية . إن عدم اعتراف أمريكا بالثورة الجزائرية وبالحكومة الجزائرية يمنع الغرب ومصانعه كلها من إمداد الشعب الجزائرى بما يلزمه فى حربه مع المستعمر حتى ولو كان ذلك عن طريق الدفع نقداً .

كل هذه النقط هى بعض الأسس التى نبنى عليها نقدنا للسياسة الأمريكية فى هذه القضية العربية وبشكل يسمح لنا بوضع السياسة الفرنسية فى إطارها العام خصوصاً فى هذه المرحلة الثانية من مراحلها السوداء فى شمال إفريقية .

وليس معنى ذلك أن الأبواب قد أقفلت أمام الشعب الجزائرى المجاهد إنه يستطيع استخلاص ما يلزمه من أسلحة من أيدى العدو وهو لا يحتاج إلى أسلحة الغرب ما دامت تصل اليه فى أيدى الفرنسيين .

ولن تتم سياسة فرنسا فى الجزائر إلا باستقلال هذا القطر العربى المجاهد وستطوى بذلك صفحة سوداء من صفحات التاريخ ارتكبت باسم إدخال المدنية فى أحد الأقطار المسالمة . ولم ترتكب فى حقيقة الأمر إلا لإخفاء الحكم والاستغلال . وستبدأ بعدها صفحة جديدة هى سياسة فرنسا تجاه الجمهورية الجزائرية ، بل تجاه القطر الجزائرى العربى الذى سيقف صفاً واحداً مع إخوانه أمام الأخطار الأجنبية وسيكون أشد العرب بأساً على الغاصبين نتيجة لما لاقاه على أيدى دعاة المدنية الغربية .





نحن والكونغو :

لقد مضى الوقت الذى كانت فيه كل دولة فى القارة الإفريقية منعزلة عن الأخرى ، لا تحس بمشكلاتها ، ولا تدفع عنها الأيدى المغتصبة الغريبة التى تمتد إلى كل شىء هناك بالسلب ، والاعتداء .

فإلى جانب مكاسب الحرية التى تتردد أصداؤها الآن فى القارة الإفريقية توجد مكاسب أخرى لا تقل عن هذه المكاسب كهذا « الإحساس المشترك » الذى يلف القارة ، ويعيش فى ضميرها ويجعلها تحس بإحساس واحد ، وتفكر بتفكير واحد ، حتى ليخيل لراصد الأحداث أن كل جزء فى القارة متصل تمام الاتصال بالكيان الإفريقى العام ، فما يحدث الآن فى جنوب إفريقية يتأثر له المواطن فى الجمهورية العربية المتحدة ، ومن يسعد فى الصومال بالشرق نجد أثره المبتسم فى الغرب حيث غانة ، فالقارة اليوم قلب واحد يخفق بخفقة واحدة هى خفقة الحرية ، والقارة اليوم إرادة واحدة تلتقى فى « مجموعة الأيدى » التى تظلل الأرض ، وتضع عزمها على قسم واحد هو أنه لا بد من عودة إفريقية ، كل إفريقية للإفريقيين ، ولا بد من وحدة إيجابية تضم هذا الكيان الإفريقى الكبير فى كل ما يعود على القارة بالخير ، والسلام ، والرفاهية ، والسعادة .

وقد رأينا هذا واضحاً فى تلك المشاركة الوجدانية التى تمت بين الجمهورية العربية المتحدة ، وجمهورية الغونية ، فقد ساند الرئيس هذه الجمهورية الناشئة ، ووقف بجوارها كل الشعب العربى ، وكان من أروع عمليات المساندة هذه هذا البيان الذى أذاعه الدكتور حاتم بشأن الكونغو :

« إن موقفاً خطيراً قد نشأ نتيجة لتحدى القوات البلجيكية الموجودة فى أراضى جمهورية الكونغو لقرارات مجلس الأمن التى نصت على جلاء القوات البلجيكية من الكونغو .

وإن الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لهذا الموقف الخطر تحث مجلس الأمن بالأمم المتحدة على أن يعمل على انسحاب القوات البلجيكية من جمهورية الكونغو بأكملها انسحاباً كاملا غير مشروط إذ أنه من الواضح أن وجود القوات البلجيكية بالكونغو هو السبب الرئيسى فى خلق الأزمة الراهنة ، وأن محـاولات تقطيع أوصال جمهورية الكونغو المستقلة



الرئيس جمال عبد الناصر

تستند إلى وجود القوات البلجيكية .

إن الجمهورية العربية المتحدة تستنكر هذه المحاولات الاستعمارية التى تستهدف فصل إقليم كاتنجا عن جمهورية الكونغو ، وإلقاءه تحت السيطرة البلجيكية .

وإن الجمهورية العربية المتحدة فى انتظار ما سيسفر عنه اجتماع مجلس الأمن تعلن أنها على استعداد لتزويد جمهورية الكونغو المستقلة بالعون العسكرى الذى تطلبه للمحافظة على استقلالها .

همرشولد والكونغو :

قد هزت هذه القضية الرأى العام العالمى . وقد عبر عن هذا «همرشولد» بقوله إن جهود الأمم المتحدة لتحقيق السلام فى الكونغو لم تلق تأييداً من بلجيكا . وحكومة الكونغو ، وبعض الزعماء المحليين ، وجهات أخرى ، وقد اشتركت معهم بعض الدول فى حملة تشكيك ، وعدم ثقة فى جهود الأمم المتحدة فى الكونغو .

فمعارضة حكومة « كاتنجا » فى دخول قوات الأمم المتحدة إلى أراضيها نشأ عنه موقف غير متوقع ، ويتطلب استخدام القوة العسكرية التى لايستطيع أن يلجأ إليها دون أن يخوله المجلس هذه السلطة ، وحتى إذا خوله المجلس هذه السلطة فإنه سيضطر إلى استخدام القوات التى تتبع الحكومات التى تقبل هذا الموقف الجديد للمجلس .

إن بقاء القوات البلجيكية فى الكونغو هو السبب الرئيسى فى استمرار الخطر هناك ، ومن هنا يجب أن تنسحب هذه القوات تماماً ، وبدون أى شرط ، وبخاصة من إقليم «كاتنجا» لأن هذه القضية يتوقف عليها مصير العالم فى الحرب أو السلام ، فعلى المجلس أن يؤكد أغراضه ، ومطالبه المرة بعد الأخرى بهذا الحق للإفريقيين فى هذه البلاد . بحيث تنطبق هذه الأغراض ، وهذه المطالب على جميع أجزاء الكونغو . فبقاء القوات البلجيكية هناك وبخاصة فى « كاتنجا » يعتبر حلقة خبيثة يجب أن تحطم .

وقد تقدمت تونس ، وسيلان بهذه المطالب :

١ — تأييد قرارات مجلس الأمن فى ١٤ من يوليو عام ١٩٦٠ ، ومطالبة « همرشولد » بمواصلة القيام بمساعيه ، ومسئولياته التى يرتبها هذا القرار .

٢ — مطالبة الحكومة البلجيكية بتنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وسحب قواتها فوراً من إقليم كاتنجا .

٣ — إعلان أن دخول قوات الأمم المتحدة كاتنجا يعتبر ضرورياً لتنفيذ هذا القرار على النحو الكامل .

٤ — تأكيد أن قوات الأمم المتحدة الموجودة فى الكونغو لن تتدخل أو تؤثر على الصراع الداخلى .

٥ — مطالبة جميع الدول الأعضاء

بقبول ، وتنفيذ قرارات مجلس الأمن فى هذا الشأن

٦ – تكليف « داج همرشولد » بتنفيذ هذا القرار ، وتقديم تقرير إلى مجلس الأمن فى الوقت المناسب .

طرد السفير :

وقد ترتب على هذا أن أعلن « لومومبا » أنه لا بد من طرد السفير البلجيكى ، ومن كل مكان تجمع الناس حول السفارة ، وأرغموه على الخروج من البلاد التى اشترك فى إذلالها ، وإرهابها ، وبرأس صاغرة ، ونظرات زائغة خرج السفير بخطوات سريعة ، ثم استقل سيارة حملته إلى الكونغو الفرنسية ، ورغم أنه لم يحول عينيه إلى الوراء فقد كان يحس بأعماقه أن مجد بلاده قد ضاع فى هذه البلاد ، وأن العلم البلجيكى يسقط فى ذل ، واحتقار إلى الأرض بعد أن زاحم سماء الكونغو بوجوده ، وهكذا لم يعد فى السماء الإفريقية مكان، ولو صغير جداً ، « لعلم أجنبى ! » .

تراجع تشومبى :

وقد رأينا تشومبى يتراجع عن موقفه ، ويعلن أنه لن يقاوم دخول قوات الأمم المتحدة إلى كاتنجا لأنه لا يريد أن يكون سبباً فى حدوث صراع مسلح ، ثم يضع شروطاً لعملية الدخول هذه .

عمليات المساندة :

إلى جانب الدعوات القوية التى ساند بها الرئيس جمال عبد الناصر قضية الحرية فى الكونغو ، نرى « كوامى نكرومة » يحذر من محاولات جعل إفريقية « بلقاناً » جديداً يشكل خطر نشوب حرب عالمية ثانية ، ثم يدعو إلى عمليات التحالف الجماعى بين دول القارة . فذكر أن مجموعة من الدول الصغيرة الإفريقية قد جعلت مثل هذا التحالف أمراً لا مفر منه ، لأن بعضها ليست لديه مصادر الثروة الكافية لاستقلالها إقتصادياً ، ومن هنا فالطريق الوحيد للخروج من هـــذا المأزق هو تشكيل اتحاد سياسى ، ذلك لأن الاتحاد الإقتصادى وحـــده لا يكفى ، فالإتحاد السياسى سيضمن تكييف السياسة الخارجية التى تجعل لإفريقية شخصية متميزة عن شخصيات بقية القارات .

كما رأينا الرئيس « وليم توبمان » رئيس جمهورية ليبيريا يتفق مع « لومومبا » على إلغاء الحواجز اللغوية ، وعلى تبادل المنح الدراسية بين البلدين ، وعلى تبادل التمثيل السياسى فى أعلى مستوياته ، وعلى دعوة الدول الإفريقية إلى الإجتماع للعمل على إقامة جهاز دائم لضمان أكبر قدر من التضامن ، والتعاون بين جميع الدول الإفريقية .

وقد ألقى الأستاذ « محمد فؤاد جلال » وكيل مجلس الأمـــة فى

الجمهورية العربية المتحدة ضوءاً على الوضع فى الكونغو، فذكر أن الهدف من المؤامرة الاستعمارية هناك هو إيجاد حالة من الفوضى ، والاضطراب وعدم الاستقرار فى هذا البلد المستقل حديثاً ، حتى يستطيع الاستعمار المناداة بعدم التسرع فى منح الاستقلال للبلدان الإفريقية الأخرى التى ما زالت تعانى من قيـوده ، حتى لقـد ذهب الاستعماريون يؤكدون أن هناك خلافاً بين كازايوفو رئيس الجمهورية ، ولومومبا رئيس الوزراء ، ولكن الحقيقة تصفعهم بين الحين والآخر فى قسوة وعنف .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل رأينا الحزب المعارض « لتشومبى » فى كاتنجا يقف إلى جانب الوحدة العامة للكونغو ويرفع لافتات ، وشعارات بهذا المعنى وقد رأى هذا « همرشولد » بعينه ، كما رأى فى الجانب الآخر حزب « تشومبى » ، والمواطنين البلجيكيين يعارضون فى هذه الوحدة ، ويقفون فى حقد دونها حتى لقد أغلقوا المطار فى وجه قوات الأمم المتحدة القادمة لتأخذ مكان الجنود البلجيكيـين المنسحبين .

ولكن قـوات الأمم المتحـدة استطاعت أن تكسر هذا الحاجز وأن تقف لمساندة الكونغو ، وكان أن انسحب البلجيكيون بعد أن تنكر عدد منهم فى زى جنود الأمم المتحدة .

ولكنهم ما لبثوا أن كشفوا ، وطردوا ، ولقـد كان من أقوى عمليات المساندة هذه تلك البرقية التى بعث بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى تشومبى يحذره فيها من فصل الكونغو ، ويطلب منه ألا يكون أداة فى يد أعداء بلاده .

ولقد علق الأستاذ مصطفى أمين على هذه البرقية بقوله :

« هذه البرقية ليست مرسلة إلى تشومبى وحده ، إنها برقية واحدة مرسلة إلى عدة عناوين ، إنها مرسلة إلى كل حاكم يتآمر ضد وحدة أمته ، ويقبل أن يكون خنجراً فى ظهرها ، ويفضل أن يكون حاكماً فى أمة من العبيد على أن يكون فرداً عادياً فى شعب من الأحرار !

إن فى منطقة الشرق الأوسط أكثر من تشومبى واحد ! إنهم هؤلاء الحكام الذين يلعبون لعبة الاستعمار ، الذين يقبلون أن يكونوا القناع الذى يختفى وراءه الاحتلال الأجنبى ، الذين يقاومون حركات التحرير ، والوحدة ، والاستقلال ، الذين يتصورون أن فى إمكانهم أن يؤخروا شروق الفجر الجديد .

هؤلاء الحكام يفرضون على شعوبهم الذل والهوان ، ويحاولون أن ينكسوا رؤوسها ، ويكمموا أفواهها ، ويقيدوا خطواتها ، يضربها الأجنبى بأيديهم ، ويعاقبها بأسمائهم ، ويبطش بها فى ظل حكمهم ، وسلطانهم .

هؤلاء الحكام الذين يعيشون فى أزمان أخرى ليست أزماننا ، يتصورون أن بقاءهم على كراسيهم مرهون بمشيئة الأجنبى ، ويتوهمون أن الطريقة الوحيدة لاستعباد شعوبهم أن يكونوا هم عبيد الأجانب الأقوياء ، هؤلاء الحكام يتناقصون يوماً بعد يوم . فالأشخاص الذين يلعبون دور « تشومبى » فى البلاد العربية هم قواعد الاستعمار فى بلادنا ، هم الخناجر التى يغمدها الأجنبى فى ظهورنا ، هم الأسلاك الشائكة التى يضعها أعداؤنا فى طريق تقدمنا ، وخلاصنا ، ومجدنا .

إننا نعلم أن الأجنبى لا يعتمد فى نفوذه إلا

على حفنة من الحكام الذين نسوا بلادهم ، ولم يذكروا إلا أشخاصهم ، ونعلم أيضاً أن مصير هؤلاء سيكون مصير « تشومبي » ، وهو مصير كل رجل يخرج على أمته ، ويحارب فى صفوف أعدائها » .

كما ناشد الدكتور كوامى نكرومه « تشومبي » على أن يعيد النظر فى موقفه ، وأن يعمل متضامناً مع حكومة « لومومبا » من ، أجل صالح الكونغو ، بل من أجل صالح إفريقية كلها .

لومومبا وهمرشولد :

وقد عقد « لومومبا » مؤتمراً حمل فيه على « همرشولد » والوحدات السويدية التى تعمل مع قوات الأمم المتحدة فى الكونغو ، وذكر أنه يحول دون إيجاد حل لمشكلة « كاتنجا » إرضاء لأصدقائه البلجيكيين ، وأنه يتجاهل حكومته تجاهلا تاماً ، ويمتنع عن تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وأنه لا يحق له الاتصال بتشومبي ، والتداول معه .

نحن والأحداث فى الكونغو :

اهتم الرأى العام فى الجمهورية العربية المتحدة بالأحداث التى تدور فى الكونغو ، وأحس كل المواطنين أنهم يعيشون قضيتهم ، فأخذوا يتابعونها فى حماس ، وحب ، وإصرار ، وكأن هذه الحوادث تدور فى قلوبهم ، وتوشك أن تعرقل مستقبلهم . ذلك لأن الإحساس بالقارة الإفريقية ، ومشكلاتها أصبح جزءاً هاماً من حياة المواطن العربى .

فالقارة اليوم قد أصبحت لكل أبنائها ، ومن حق كل واحد أن يحمل سلاحه من أجل أى جزء من أجزاء القارة ، لأن وجود الاستعمار فى شبر واحد من أرضها يهدد كل المقيمين بها .

ومن هنا كان الحماس حول هذه القضية العادلة ، وكانت حملة الأقلام النبيلة التى أحاطت القارة ، ووقفت من دونها فى وجوه كل ألوان



« لومومبا »

الاستعمار ، وكانت هذه المكاسب التى تنجلى عنها المعركة يوماً بعد يوم فى صالح الكونغو نفسه .

وقد توّج كل هذا سفر فرقة من الجمهورية العربية المتحدة إلى الكونغو

ففى يوم ١٦ من أغسطس سنة ١٩٦٠ استعدت الفرقة العربية التى ستسافر من الإقليم الجنوبى إلى الكونغو وقد ألقى فيها اللواء فريد سلامه هذه الكلمة قبل الرحيل :

« إنه ليسعدنى اليوم أن أحييكم لقيامكم بهذه المهمة الجديدة ضمن قوات الأمم المتحدة لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الأخيرة .

وإن هذه المهمة لتعتبر واجباً جديداً تسهم فيه القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتحقيق أسمى أهداف الإنسانية ، وتثبيت دعائم الحرية ، واحترام استقلال الشعوب ، وإن الأسس التى بنى عليها تكوين هذه القوات لها طابعها الخاص الذى يتمشى وطبيعة الأدغال التى ستعيش فيها هذه الكتيبة ، فإن عملكم فى هذه المهمة السامية لتحقيق أهداف عليا بلغها السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، ويلقيها على العالم جميعاً بين الحين والآخر .

فقد ألقى ذلك عليكم بالتزامات ، وتبعات جديدة نوصيكم بالحرص عليها وإن هذه القوة ستلتقى هناك بشعوب مختلفة لها تقاليدها ، وعاداتها ، فأوصيكم بالحرص على عدم المساس بها ، وليعلم كل منكم أنه مرآة لوطنه تنعكس عليها أفعاله إن شراً ، وإن خيراً ، وستعملون متكاتفين لتكون خيراً على الدوام بإذن الله .

وأوصيكم بالتزام الضبط ، والربط وإنكار الذات ، والصبر ، والتفانى فى أداء الواجب ، والحرص على التعاون .

والله أكبر والعزة للجمهورية العربية المتحدة » .

وهكذا توالت الأحداث فى الكونغو ، وتحطمت المؤامرة فى كاساى ، وهى فى طريقها إلى التحطيم فى « كاتنجا » وسيبقى دائماً الكونغو وحدة فى ظل إفريقية الكبير .

أسبوع لإفريقية فى ألمانيا :

أخذت كل الدول تهتم بإفريقية اهتماماً خاصاً ، فإلى جانب المعرض الذى أقيم فى متحف « البولينكينك » بموسكو الذى نشرنا عنه فى المرة السابقة ، نجد أن جمعية الصداقة الإفريقية الألمانية ستنظم أسبوعاً لإفريقية فى ألمانيا ، وسيقام فى قاعة « بيتهوفن » فى « بون » فى شهر أكتوبر القادم حيث ستنظم فيه دراسات شاملة عن المشكلات التى تعرضت لها القارة ، والمشكلات التى تدور فيها الآن ، ورسم مستقبل لها .

الأسلحة الأخرى :

لقد حارب المستعمرون القارة بأنواع الأسلحة كافة ، ولقد كان من أمضى هذه الأسلحة التى حوربت بها إفريقية سلاح التدمير المعنوى الذى كان يصوّب نحو القمم المتوارثة ، ويتسلل إلى قلوب التلاميذ ، ويدق دائماً فوق رؤوس الناس كالمطرقة الخفية . فقد فرض الفرنسيون على التلاميذ فى مستعمراتهم أن ينشدوا هذا النشيد الذى يقول :

« . . يا فرنسا إن يدك القوية قد حطمت قيودنا .
كان الطغاة يبيعوننا كالحيوانات
وكانوا يقتلون أولادنا ، ويضعون أيديهم على أرضنا .
حتى جئت أنت فعتقتنا ، وجعلت منا بشرا
فالسلام عليك فرنسا ، وتمجد اسمك .
إننا – نحن الافريقيين – نحبك كما نحب أمهاتنا
لأنه يعود لك الفضل كل الفضل
فى القضاء التام على بؤسنا
. . يا فرنسا إن يدك القوية ممتلئة بالخير
فلقد أخرجت الذهب من باطن الأرض
وأنت شفيت المرضى ، وأنت التى أحققت الحق
ونشرت بيننا ثقافتك الزاهرة
. . كالشجرة الباسقة التى تشرف على الغابات والحقول
ينتصب ماضيك العظيم فوق قمة التاريخ
ونحن أبناءك الفخورين جداً بحمل اسمك الغالى
نريد أن نستحق شيئاً من مجدك !

السواد الجميل :

جاء فى نشيد الأناشيد هذا التعليل الجميل للسواد ، فهو يقول على لسان إفريقية سوداء :

« إننى زنجية ، ولكننى جميلة يا بنات أورشليم
فلا يغرنكم لونى القاتم ! !
فالشمس الساطعة هى التى لونتنى »

جون كاليه

روعت إفريقية بالحادث الذى ذهب ضحيته هذا المكافح العظيم الذى عاش أفراح القارة وآلامها حين حمل فى نفسه أمانة الدفاع عن « أوغنده » فقد حملها فى نفسه وهو يكافح الإنجليز ، وحملها وهو يغادر البلاد إلى خارج الوطن ، ثم أخيراً وهو يموت والقارة كلها هتاف على شفتيه ، ودمعة فى عينيه ، وعلَم كبير يحس أنه قد بدأ يرتفع فعلا على روابى بلاده التى تستقبل الحرية من « جون كاليه » حياً ، وميتاً . !



« حيرة على وجه همرشلد » فى الكونغو

تطور الحركة السياسية في غرب افريقية

للأستاذ حلمى شعراوى

مقدمة :

قد اخترنا اتحاد مالى بمناسبة استقلاله ليكون بؤرة تتجمع حولها خيوط عدة تطورات دستورية وسياسية عرفتها معظم بلاد المنطقة (الفرنسية) فى غرب ووسط القارة ، كما أنه وهو على عتبة الكيان الدولى المستقل يواجه الدعوات المختلفة من جيرانه المتعددين المختلفى الاتجاهات ، مما يجعله نقطة شيقة ينطلق البحث من عندها .

تطورات قبل دستور ١٩٤٦ :

عرفت فرنسا أرض السنغال منذ أكثر من ثلثمائة سنة ، ثم أخذت تبسط نفوذها فى المنطقة شيئاً فشيئاً منذ ذلك الحين . لذلك كان للسنغال عندها مكانة خاصة دائماً ففى سنة ١٨٤٨ منحت فرنسا الجنسية الفرنسية وحق التصويت للسنغاليين فى المدن الساحلية بوجه خاص ، وبصفة فردية اعتقاداً منها أنهم يشكلون الصفوة التى خلقتها فرنسا لتتمسك بأساليب الحياة الغربية المتمدينة . وكانت خطة فرنسا دائماً ، أن « المدنيــة » هى المحك الرئيسى لاستحقاق الفرد للجنسية الفرنسية ، ولما كانت تأخذ مستعمراتها بسياسة الاندمـــاج فى « الامبراطورية » ثم « الجمهورية » الفرنسية فإن الفرنسيين الموجودين فى هذه الأقاليم الإفريقية — وهم أكثر مدنية — يستطيعون تمثيل الإفريقيين ما دام ليس هناك فارق إلا المدنية ! وكانت مطالب الإفريقيين دائماً هى فى التمييز بين سياسة الادماج التى تتبعها فرنسا وسياسة الاتحاد Association التى تحفظ للأقاليم الإفريقية استقلالها الذاتى — على الأقل — متعاونة مع فرنسا ولا تذيب الشخصية الإفريقية ، ولكن فرنسا كانت تصرُّ دائماً على اعتبار هذه الأقاليم أجزاء « متخلفة » من فرنسا تفرض عليها السياسة التى تراها بما يوحى أنها منــدمجة مع الامبراطورية . فاختارت من كل هذه المستعمرات ، مثلا ، ١٢ عضوا يمثلونها فى البرلمان الفرنسى (فى دستور ١٨٤٨) وضم دستور ١٨٧٥ بعض الشيوخ من أقاليم معينة .

وفى سنة ١٩٢٢ وضعت خطة

اقتصادية لفرنسا ومستعمراتها نظمت المستعمرات اقتصادياً كلاً على حدة بحيث تقدم كل مستعمرة نصيبها من واردات فرنسا من الإنتاج الزراعي .

وظل الصراع بين فكرتي الادماج والاتحاد قائماً حتى دستور ١٩٤٦ .

الدستور الفرنسي ١٩٤٦ :

كان الجزء الخاص بالعلاقة بين فرنسا ومستعمراتها فى دستور ١٩٤٦ قد تقرر فى اجتماع فرنسي — إفريقي عقد من ٣٠ يناير إلى ٨ من فبراير سنة ١٩٤٤ وعرف بمؤتمر برازافيل بالكنغو ، وأشرفت عليه حكومة فرنسا المؤقتة . ولم تستطع فرنسا — حتى وهى تستميل مستعمراتها خلال أزمتها — أن تتخلى عن مفهوم الاندماج تماماً مع أنها اتفقت على « مراعاة تقاليد المجتمع الإفريقى » والتخلى عن « المركزية الشديدة » وإتاحة الحرية الإدارية فى الأقاليم » . ولكن ذلك داخل وحدة سياسية فى ظل دستور فيدرالى حتى إن الدستور نص صراحة على « الحكم الذاتى داخل الكتلة الفرنسية » .

وأوصى المؤتمر بتشكيل مجالس نيابية إقليمية تمثل الأوروبيين والإفريقيين فى الوقت التى تمثل الأقاليم فى البرلمان الفرنسى . وصيغ دستور « الاتحاد الفرنسى » لا « الامبراطورية » بشكل يجمع بين « الفيدرالية » والاندماج . فشكل الدستور الجديد : مجلساً أعلى للاتحاد الفرنسى (نصفه فرنسى والنصف الآخر من كل ما دون ذلك) كما زاد عدد الأعضاء فى الجمعية الوطنية من ١٢ إلى ٤١ . وجعل فى كل إقليم مجلسا نيابيا إقليمياً ينفذ أغراض المجلس العام أو الكبير . وقد كان السنغال هنا أيضاً محظوظا فقد ضمن له الدستور أن تجرى الانتخابات فيه بالاقتراع العام لجميع من يقيمون فيه .

أما بقية أقاليم غرب إفريقية الفرنسية فقد ضمن للأوروبيين نصيباً معيناً من عدد المقاعد فى المجلس الاقليمى ، على حين جعل للأوروبيين فى أقاليم إفريقية الاستوائية تمثيلاً سياسياً نيابياً مستقلا .

وقد صدرت فى سنة ١٩٥١ ، سنة ١٩٥٢ عدة قوانين فرعية كان هدفها زيادة عمومية الانتخابات بحيث تزيد الأغلبية — تدريجياً — للإفريقيين فى المجالس التشريعية ، كما أعطتها سلطات فى رسم السياسة الإقتصادية والمالية على أن يوافق وزير المستعمرات (ما وراء البحار) .

الحركة السياسية (الحزبية) :

لم تعرف منطقة غرب إفريقية (الفرنسية) النظم الحزبية قبل سنة ١٩٤٦ اللهم إلا الحركة الاشتراكية الإفريقية التى قامت سنة ١٩٣٩ فى السنغال باعتبار أنه أكثر الأقاليم تقدماً ، وعايش مثقفوه الأفكار الفرنسية أكبر مدة من الوقت ، وبرغم علاقتهم بالأحزاب الشيوعية الفرنسية إلا أنهم

كانوا مترددين بينهم وبين الاتجاهات الاشتراكية الأخرى فى فرنسا فهادنوا الاستعمار مؤمنين بالتقدم فى ظله .

وكان المثقفــون الإفريقيون فى باريس والوطنيون الذين يزورونها ، أو تشأ الظروف أن يمثلوا أقاليمهم فى الجمعية الوطنية أو مجلس الاتحاد ، كانوا جميعاً يباشرون النشاط الحزبى فى الأحزاب الفرنسية وعلى رأس هؤلاء هوفى بونى (ساحل العاج) وموديبو كيتا (السودان) .

وفى الوقت نفسه كانت الطبقة المتوسطة الإفريقية آخذة فى النمو فى المدن الافريقية وبخاصة خلال الحرب لشدة احتياج الدول الكبرى لنشاطها ، وازداد عددهم من المثقفين ، حتى لقد حصلوا فى مؤتمر برازفيل على صفة « مواطن المستعمرة » أى « فرنسى — سنغالى » مثلا تأكيداً لشخصيتهم القومية

وقد قادت هذه الطبقة من المثقفين الشعب فى إفريقية الغربية قيادة ترددت بين الصواب والخطأ منذ أقر دستور الجمهورية الرابعة (١٩٤٦) لهذه الشعوب حق تكوين الأحزاب السياسية

وقد بدأ النشاط الحزبى بحملة ضد سياسة الاندماج الفرنسية ، برغم أن التشكيل الحزبى نفسه كان صورة لهذا الاندماج على نحو أو آخر ، فقد كان كل حزب فى غرب إفريقية ينشأ فى أحضان حزب كبير فى فرنسا نفسها : من تلك الأحزاب الحركة الديمقراطية بالفولتا العليا ، والحزب الجمهورى بداهومى ، وحزب المؤتمر الإفريقى إلى آخر هذه الأحزاب الصغيرة التى تمثل الرغبة فى عدم الاندماج ، ثم الذوبان فى فرنسا ولكن الحزب الذى شكّل حركة كبرى ولعب دوراً هاماً فى غرب إفريقية بالفعل ، هو حزب التجمع الديمقراطى الافريقى R.D.A.

وقد زعم هذا الحزب أول الأمر أنه يقود كل قطاعات الشعب فى غرب إفريقية (الفرنسية) وبدأ بنفوذ كبير فى ساحل العاج وغينيــا والسودان والفولتا العليا . وكان يرأسه مسيو هوفى بونى (رئيس ساحل العاج الحالى) . وقام الحزب بنشاط واسع منذ سنة ١٩٤٦ فى إفريقية وفرنسا وواصل دعوة الاستقلال بمبدئيه :

١ — الاستقلال الداخلى الذاتى .

٢ — تقوم العلاقــة بين فرنسا ومستعمراتها ؛ كل على حدة .

وكان ذلك استمراراً للحملــة المعادية لسياسة الاندماج الفرنسى ، وحاول الحزب فى باريس أن يحظى بتأييد الحزب الشيوعى الفرنسى . وقد احتضنه هذا الحزب حتى لقد استقال منه الدكتور زنوا — وهو من كبار شخصياته — بسبب هذا الاتجاه .

وكان هذا الحزب يسيطر على الحركة العمالية فى الوقت نفسه إذ كان يضم زعماء العمال أمثال سيكوتورى وهوفى بونى نفسه ، وكان ذلك أدعى إلى

نجاحه وخاصة وأن الحركة العمالية بدورها كانت مرتبطة بالاتحاد الدولى العام للعمال . وكان الحزب الشيوعى يناصرها .

وبقدر ما بدأ هذا الحزب قوياً وفعّالا وإيجابياً فى هذه المنطقة بقدر ما غير اتجاهه شيئاً فشيئاً حتى صار الآن من أكثر القوى الرجعية . ففى سنة ١٩٥٠ حدث اصطدام بالحكومة الإقليمية الفرنسية فى تمبوكتو جرح فيه وقتل عشرات الأشخاص مما جعل الحزب ينسحب عن الإيمان بسياسة العنف فى المطالبة بالاستقلال ، ومن ثم اصطدم هوفى بونى فى مناقشة حادة مع الحزب الشيوعى فى فرنسا قطع على إثرها صلته بمسيو داربوسييه سكرتيره العام سنة ١٩٥١ .

تطورات ١٩٥٦ :

منذ سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٦ كانت القارة تواجه تقدماً ملحوظاً فى الحركة التحررية ، وبدأت فرنسا تواجه ضغطاً من هنا وهناك إزاء سياستها فى مستعمراتها . وفى الوقت نفسه كان الحزب الذى تعقد عليه المنطقة آمالها .R.D.A يتبع سياسة مهادنة للحكومة الفرنسية ، ويطالب بالخطوات التدريجية التى لا تعنى الكثير بالنسبة لفرنسا من ناحية ، ولا تضطره لإثارة القلاقل من ناحية أخرى . ومنذ سنة ١٩٥٥ أصبح هوفى بونى عضواً فى الوزارة الفرنسية ! وبذا أصبح الحزب أداة حكومية بطريقة شبه رسمية ، وكادت الحركة العمالية بزعامة سيكوتورى تنفصل عنه وتصطدم به ، وبدأت الشعوب تتيقظ لما يدور حولها ، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن تواجه هذه الحركة بقانون شكلى يحفظ ماء وجه أنصارها ، فأصدرت قانون « Loi Cadre » بموافقة البرلمان الفرنسى فى يونيو سنة ١٩٥٦ .

وقد أعطى هذا القانون للمجالس النيابية الإقليمية بعض السلطات التشريعية وجعلت المجلس التنفيذى مسئولا أمامه ، كما جعلت الانتخابات بالاقتراع العام الفردى .

ولو أن هناك حزباً متحرراً لكان معنى ذلك أن هذا القانون كسب كبير للشعب ، ولكن فرنسا أصدرته وهى تعرف من الذى سينفذه !

تطورات ١٩٥٨ :

يعتبر عام ١٩٥٨ بالنسبة لمنطقة غرب إفريقية عام الأحداث الكبرى دون شك . إذ كان دستور دى جول قد صدر محاولا التلويح لشعوب المستعمرات بالاستقلال الشكلى داخل المجموعة الفرنسية (المادة ٧٦ و ٧٨) تاركا لها حرية اختيار الانفصال عن الاتحاد الفرنسى لو شاءت (واثقاً أن شيئاً من ذلك لن يحدث) ولكنها كانت مفاجأة كبرى أن استقلت غينيا بضربة منظمة من الزعيم العمالى الشاب سيكوتورى وكان استقلال غينيا يعنى أشياء كثيرة فى المنطقة ، كان يعنى

أن القوى التحررية بزعامة تورى قد انطلقت من عقالها . وأنها تستطيع التعاون مع القوى التحررية الأخرى فى الأقاليم السبعة الأخرى (الفرنسية) . ويعنى تحرير الحركة العمالية (بزعامة تورى أيضاً) من خيانة حزب التجمع الدمقراطى وانطلاقها مع الحركة العمالية الدولية ، كما حدث بالفعل ، ثم إن استقلال غينيا قد تبعه حركة أخرى كان لها أثرها فى ذلك الحين وهى اتحادها مع غانة وحصولها على عشرة ملايين دولار منها ، فكان معنى ذلك أن القوى التحررية لا بد أن تتوحد وتتساند وتتعاون .

ولم يكن هناك بد من أن نجد مظاهر جديدة لهذا الانطلاق فى المنطقة فما كاد عام ١٩٥٩ يهل حتى أعلن تشكيل اتحاد مالى من السنغال والسودان الفرنسى فى ١٧ من يناير سنة ١٩٥٩ .

وتضاربت وجهات نظر كثيرة فى ذلك ، بعضها ضد هذا الاتحاد وبعضها لصالحه . قيل إن فرنسا هى التى خلقته لتضلل الشعوب بسماحتها إزاء مطالب الاستقلال ، أوإنها تؤيده ليقف أمام غينيا المنطلقة التى قد تسبب لها المتاعب ، كما قيل إن فرنسا تدرك مدى قوة شخصية مسيو سنفور (زعيم السنغال) وموريبو كيتا (السودان) وأنهما لن يستريحا مع هوفى بونى (ساحل العاج) فتركت لهما فرصة هذا الاتحاد ليقفا وحدهما وإن كانا فى الاتجاه نفسه .

والذين قالوا كل ذلك أغفلوا شيئاً هاماً كان يجرى داخل المنطقة وبخاصة فى السودان والسنغال وهو الذى تظهر نتائجه حتى الآن وتدعو إلى التفاؤل دائماً : ذلك هو تكوين حزب الاتحاد الإفريقى P.R.A. فى مارس سنة ١٩٥٨ .

وترجع أهمية هذا الحزب إلى عدة نقاط

أولا : أنه خروج صريح على حزب التجمع الدمقراطى ومهادنته المكشوفة وزعامة هوفى بونى .

ثانياً : جمع القوى السياسية الصغيرة فى المنطقة وشكل منها قوة تحررية جديدة يحركها الشباب .

ثالثا : أصبح يمثل لقاء جديداً بين القوى العمالية والمثقفين والقوى السياسية الأخرى.

وقد عقد الحزب اجتماعاً عاماً فى كوتونو فى ٢٥ - ٧ - ١٩٥٨ واتخذ عدة قرارات بدت فيها مبادئه الجديدة واضحة منها :

١ — الاستقلال لأقاليم إفريقية الفرنسية الثمانية .

٢ — إجراء مشاورات خلال ثلاثة شهور لانتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور فيدرالى دمقراطى .

٣ — إلغاء الحدود الصناعية ووضع حدود جديدة للدول الموحدة .

٤ — مطالبة الشعب الفرنسى بالاعتراف بالقومية الإفريقية .

٥ — الاحتفاظ بحق إفريقية (الفرنسية) فى الارتباط مع دول

إفريقية أخرى فى إتحاد يطلق عليه الولايات المتحدة الإفريقية .

ولو قارنا ذلك بقرارات حزب التجمع الديمقراطى فى مارس وأغسطس سنة ١٩٥٩ بابيدجان (ساحل العاج) لظهر الفارق الكبير إذ أكد المجتمعون فى إبيدجان « رغبتهم فى البقاء فى الاتحاد الفرنسي ، وثقتهم فى دى جول » ولم تتضمن قراراتهم أى إشارة إلى كلمة « إتحاد فيدرالى » وكانت مؤتمرات العمال ومؤتمر كوتونو قد قرروا مقاطعة استفتاء دى جول فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، ونجحت هذه المقاطعة فى غينيا حيث فشلت فى السنغال والسودان . وعلى ما أرى ، إن تكوين إتحاد مالى بهذه السرعة بعد استقلال غينيا وفشل مقاطعة الاستفتاء ، كان تعويضا عن هذا الفشل ، وأخذاً بمبدأ التطور الهادى الذى يؤمن به أيضاً زعماء مالى الشيوخ .

وتطوّرت الأحداث حول اتحاد مالى ، ففى الوقت الذى اتحدت فيه غينيا مع غانة لإنقاذ نفسها وبدأت نشاطاً دولياً ملحوظاً وبخاصة مع الدول الاشتراكية حتى حصلت على ١٤ مليون روبل من الاتحاد السوفيتى وبدأت جهوداً طيبة لصالح التقـــدم الاجتماعى فى الداخل ، فى هذا الوقت ، سارع هوفى بونى بتكوين مجلس الاتفاق ، أو مجلس بينان من ساحل العاج والنيجر وداهومى والفولتا رداً على إتحاد مالى ، ووقفت موريتانيا على الحياد مع ميلها لاتحاد مالى (عقدت معه اتفاقية جمركية) .

وإن بعض زعماء مالى قد صرّحوا بادئ الأمر أنهم باقون فى المجموعة الفرنسية وأنهم لا يميلون إلى العنف ولا يريدون إحراج فرنسا بإجراء استفتاء آخر . . . الخ . فإن الموقف قد تطور فى الاتحاد بسرعة فائقة نتيجة دفع الشباب ومشاركته للحركة التحررية العامة ، واستغلالا لسوء موقف فرنسا فى الجزائر مما جعلها تهادن مالى .

وشكلت لجان لتسافر إلى باريس لمفاوضة فرنسا بشأن الاستقلال ، وكان أعضاؤها الشبان يدفعون بالمباحثات دفعاً حتى انتزعت من دى جول الموافقة على الاستقلال وإعلان ذلك فى اجتماع المجموعة الفرنسية (الكومونيتيه) فى نتاناريف بمدغشقر (سبتمبر سنة ٩٥٩)

ومع ذلك فإن فرنسا مطمئنة إلى حد ما ، لاتزان الشخصيات الكبرى التى توجه السياسة والشباب فى جمهورية مالى . ولذلك يطلبون هذا الاستقرار أولا قبل أن يندفعوا وراء استقلال لا سند له ، أو استقلال يورّطهم ، كما يعتقدون أن ذلك حدث مع تورى والمسائل الإقتصادية تجد عند مامادوديا (اسمه هناك دجا) رئيس وزراء السنغال اهتماماً أكبر من الاستقلال السياسى مدفوعاً بدراساته عن « اقتصاد إفريقية السوداء » و « دراسة الحركة التعاونية فى إفريقية » و « مشكلات

الإقتصاد الإفريقى » وهى الكتب التى أصدرها فى هذا المجال .

أما مسيو سنغور فمدفوع بثقافته الفرنسية الواسعة ، فهو أستاذ بجامعة السربون وشاعر كبير بالفرنسية ، ويقود استقلال السنغال التدريجى منذ سنة ١٩٣٩ . ومع ذلك فقد وصل اتحاد مالى إلى الاستقلال (ترجع سرعة المفاوضات وحزمهـا إلى قوة مادريا كيتا وزير داخلية السودان الوطنى المتطرف) وأصبح عـلى الجمهورية الجديدة أن تواجه مع شعوب بقية المنطقة مصيرها ومشكلاتها

ماذا تواجه جمهورية مالى فى المنطقة :

هناك عدة مسائل تحتاج إلى الحديث بإسهاب ، أدى إليها التطور السياسى الذى يتضح شيئاً فشيئاً فى هذه المنطقة وستكون نتائجه فى غاية الأهمية ، إذ أن غرب إفريقية مشهود له بالتطور الدستورى المتعقل (غانة — نيجيريا — ليبريا — سيراليون — الأقاليم الفرنسية) بعكس التطورات الثورية فى شرق إفريقية (كينيا — أوغندا — روديسيا . . . الخ) .

يواجه غرب إفريقية دعوة قوية لتكوين وحدة إفريقية فى صورة « الولايات الافريقية المتحدة » ولن يتعرض إلا بإيجاز للاتجاهات العامة تاركا للأيام القادمة إظهار موقف اتحاد مالى منها :

فهناك موقف غانة وغينيا المتحمس من أجل الوحدة الإفريقية بأقصى معانيها . والحق أن الرئيس نكرومه كان جزءاً كبيراً — هو وبادمور فى حركة الوحدة الإفريقية Pan Africanism التى بدأت من لندن وضمت كل الإفريقيين هناك ، واليوم يتحمس لها تورى أيضاً بسبب موقعه الجغرافى والإقتصادى والسياسى فى هذه المجموعة

وهناك اتجاه ليبريا ونيجيريا ، الذى يدعو إلى الارتباط الإقتصادى والثقافى فقط ، الأولى معتزة باستقلالها الطويل والثانية تريد التفرغ لمشكلاتها الداخلية والانقسام السياسى والاجتماعى الذى تعانيه . ثم إن زعماء نيجيريا يقللون دائماً من شأن الزعماء الآخرين شاعرين بضخامة بلادهم ومركزهم بعد الاستقلال .

أما الاتجاه الثالث الذى تواجهه جمهورية مالى فهو اتجاه هوفى بونى الذى لم يفكر فى وحدة على هذا النحو ، بل قد انسحب من وحدة الأقاليم الفرنسية نفسها ليعلن ضرورة ارتباطه بالمجموعة الفرنسية أو بقائه على الأقل فى علاقة وثيقة مع فرنسا توفر عليه مشكلات الجيش والعملة . . الخ ، على ما يرى وبخاصة وقد عين وزيراً غير قابل للعزل منذ سنة ١٩٥٧ ، كما كان عضو الوفـد الفرنسى بالأمم المتحدة فى دورتها الحالية .

والأمل معقود الآن على شباب اتحاد مالى ومنظماته العمالية

ولا يسعنا إلا أن نهنئ شعب جمهورية مالى وأصدقاءنا الشبان هناك ، آملا أن يساهم فى الحركة الإفريقيـة والمؤتمرات العامة والخاصة بما يثبت للقوى الاستعمارية أن الاستقلال لا يمكن أن يكون حقيقة شكلية بأى حال .



الطعام للجميع والعصا لمن عصا

بقلم : عباس خضر

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان كان يعيش أب وأبناؤه الثلاثة أحمد الأكبر ، وعلى المتوسط ، ومحمود الأصغر ، في كوخ على مقربة من مزرعة صغيرة يزرعونها برسيما للبقرة التي يملكونها والتي تنتج لهم اللبن فيبيعونه ويشترون بثمنه ما يحتاجون إليه من طعام وكساء .

خرج أحمد كالعادة بالبقرة إلى حقل البرسيم ، وربطها لتأكل ، فإذا ما نفذ ما أمامها نقل لها الوتد حتى تبلغ غيره فتأكل وتشبع ، وظل هكذا يفعل طول النهار ، حتى إذا غربت الشمس أخذ البقرة عائداً إلى الكوخ ، وهو يشعر بالسعادة والسرور لأنه يشارك أباه في كدّه لتحصيل الرزق وتوفير أسباب المعيشة . وسأل أحمد البقرة قبل أن يعودها :

– هل أكلت جيداً وشبعت ؟

– فقالت البقرة :

– لقد امتلأ بطني حتى إني أشعر بثقل المشي من كثرة الأكل .

ولما عاد سأله أبوه :

– هل أكلت البقرة حتى شبعت؟

– نعم وامتلأ بطنها ، واسألها إن شئت ، ولما سألها الرجل قالت وهي تتظاهر بالجوع والإعياء :

– أتصدق كلام ابنك الذي قاسيت منه العذاب . . ؟ لقد ربطني بحبل متين إلى جزع النخلة وجعل يضربني بالعصا ويمنعني من أكل البرسيم ، وكنت أشد الحبل لأتخلص من الضرب حتى كدت أختنق ، ثم عدت معه وأنا أترنح من التعب والألم .

فاغتاظ الفلاح من ولده واشتد غضبه ، وكاد يقتله وهو يضربه ، ثم طرده من البيت وهو يصيح به :

– اخرج من بيتي ، ومن الآن لن تكون ابني ولن أعرفك ما دمت حياً . وحاول أحمد أن يدافع عن نفسه ويوضح الأمر لأبيه ، ولكن أباه كان قد ملكه الغضب فلم يستمع لقوله ، فلم يسعه إلا أن يخرج من البيت قائلا في نفسه : أرض الله لخلق الله .

وفي اليوم التـالي أرسل الفلاح ابنه الثاني (على) بالبقرة إلى الحقل ليطعمها وأوصاه بأن يهتم بها كي يعوضها ما فقدته أمس . . فذهب على بالبقرة ، وصنع لها ما صنع أحمد ، وسألها في أخر النهار كما سألها أخوه ، فأكدت له أن بطنها قد امتلأ حتى لم يبق به فراغ

لمزيد من البرسيم أو غيره . ولكن لما سألها أبوه جعلت تولول وتقول :

— أين الرفق ؟ أين العطف ؟ يا ليتني لم أذهب مع أحد من أولادك ، إن نهايتي قد قربت ، لقد ربطني ابنك وضربني ولم ينقذني منه إلا عابر سبيل رق لي قلبه فغضب الفلاح وثاروركل ابنهبقدمه وطرده كما طرد أخاه أمس .

ثم جاء دور محمود ، فذهب بالبقرة إلى الحقل وصنع لها ما صنع أخواه . وأكدت له آخر النهار أنها شبعت شبعاً لم تشبعه في يوم من الأيام . وعاد بها فرحاً مطمئناً إلى أن والده سيرضى عنه ويحبه ، متخيلا أسارير وجهه المنفرجة عند ما تقول له البقرة إنها شبعت ، ولكن خياله تبخر واعترته الدهشة لما سمعها تجيب أباه وهي تتأوه :

— إنني تعسه معكم . . لقد أذاقني هذا الولد ألوان العذاب ، لقد ربطني

ولم ينتظر الفلاح ليسمع بقية كلامها ، بل قال لها :

— نعم ، نعم ، إنهمثل أخويه وطبعهما واحد . وهم محمود بالكلام قائلا :

— يا أبي . .

— اخرس يا كلب . . إنكم لا تستحقون الحنان والإكرام ، اخرج من بيتي فلا أريد أن أراك بعد اليوم .

وفي اليوم التالي وجد الفلاح نفسه وحيداً ، ليس له إلا أن يرعى بقرته بنفسه ، فذهب بها إلى الحقل ، واعتنى بها وبإطعامها كل الاعتناء ، وقالت له إنها شبعت ولا تستطيع أن تأكل أكثر مما أكلت . فلما عاد بها إلى البيت ظن أنها قد تكون جاعت فقال لها : هل جعت أو ما زلت شبعى ؟

فقالت في استنكار :

— ما زلت شبعى ! ؟ وهل أكلت حتى أشبع ؟ إنكم — بني آدم — تصدقون أنفسكم وأنتم واهمون . . !

دهش الرجل ، وأدرك أنه تسرع في الحكم على أولاده المساكين وأنه ظلمهم دون أن يتبين حقيقة الأمر ، وقال للبقرة في حرارة وسخرية :

— أظن أني واهم أيضاً فلا أدري أنني ربطتك بحبل إلى النخلة وضربتك بالعصا حتى كدت تموتين من الضرب أليس هذا ما كنت تقولينه عن أبنائي الثلاثة الذين حملتني على طردهم وتشريدهم أيتها الجاحدة المنكرة للجميل

وأسرع فأحضر سكيناً وذبحها . وجعل يفكر في أولاده نادماً على تسرعه معهم وقسوته عليهم ، مشتاقاً إلى رؤيتهم ، متمنياً أن يرجعوا إليه فيكفر عن ذنبه بحسن معاملتهم وإغداق الحنان عليهم .

أما الأولاد أنفسهم فقد ذهب كل منهم في طريق . سار أحمد أياماً وليالي بدون طعام ، لا يعرف إلى أين يتجه ، يشرب من ماء الترع وينام حتى يدركه النعاس . وظل هكذا حتى رآه رجل كوّاء وشاهد سوء حاله فأشفق عليه وعرض عليه أن يعمل عنده في كي

الملابس للناس ، فقبل شاكراً . وألبسه الكواء ثياباً نظيفة بدلا من ثوبه البالى .

عمل أحمد مع الكواء بجد وإخلاص ، فكان ينظف الثياب ويكويها ولا يؤخر ثياب أحد ، مما جعل الناس يقبلون على المحل ، واشتهر الكواء وكثرت أرباحه حتى صار من الأغنياء . وظل أحمد يعمل مع الكواء سنتين وهو سعيد ، ثم اشتاق إلى رؤية والده وقال فى نفسه إنه لا بد قد عفا عنه وندم على ما فرط منه ، ثم عزم أن يسافر إلى بلده ليرى والده وأهله ، وأخبر الكواء بذلك ، فقال له :

— إنى وإن كنت آسفاً لفراقك لا أعارضك فى الذهاب إلى والدك ما دمت تريد أن تراه وإنى أشكرك على إخلاصك لى وجدك فى العمل الذى كسبت منه ما لا يكسبه التجار .

ورأى الكواء أن يكافأ أحمد بهدية عجيبة . هى « طبلية » ومفرش ، وقال له :

— هذه مكافأة يسيرة على خدمتك لى ولن تحتاج إلى شراء طعام مادامت هذه الطبلية وهذا المفرش معك :

— وكيف ذلك ؟

— ما عليك إلا أن تضع الطبلية أمامك وتطلب ما تشاء من أصناف الطعام ، ثم تبسط عليها المفرش ، فتجد ما طلبت فوقه .

عجب أحمد غاية العجب ، ولحظ الكواء تعجبه فقال له :

— فلنجرب . . هذه الطبلية فقل لها ما تشتهى .

— لا أريد سوى سمك وأرز ، فإنى لم أذقهما منذ زمن وأشتهيهما ، ثم وضع المفرش على الطبلية ، فوجد أمامه ما طلبه . . ! وقال أحمد للكواء :

— ولكن لماذا لا تستبقى أنت هذه الطبلية العجيبة وتستعملها ولا تتعب نفسك بالعمل فى كى الملابس وتنظيفها ؟ !

— يا بنى ، إنى أصبحت من الأغنياء بفضل اجتهادك وإخلاصك فى العمل ، ولست محتاجاً إليها فأنت أحق بها ، وأنا لا أستطيع أن أعيش بدون عمل مهما بلغت ثروتى ، فالعمل هو لذتى وسعادتى . وقد يذهب المال أو أفقد الطبلية فلا أحزن ما دمت قادراً على العمل .

وشكر أحمد الكواء وسافر إلى بلده حاملا طبليته ومفرشه ، وأدركه الليل قبل أن يصل إلى قريته ، ورأى فندقاً صغيراً فعرج عليه لينام فيه ليلته . ورحب به صاحب الفندق ولما شعر أحمد بالجوع تذكر الطبلية والمفرش ، ثم فكر فى أن يكرم صاحب الفندق فدعاه إلى العشاء معه بعد أن طلب من الطبلية أصنافاً من الطعام ، وفرش المفرش .

أكل صاحب الفندق مع أحمد ، ثم قال فى نفسه : « من أين أتى هذا الشاب بهذه الأصناف . . دجاج وحمام وخضر وفاكهة . . ولم أر معه غير هذه

الطبلية وهذا المفرش ، والأعجب من ذلك أن الطعام ساخن طازج ! !

ولم ينم صاحب الفندق فى تلك الليلة ، فقد انتظر حتى نام أحمد فتسلل إلى حجرته وأخذ الطبلية والمفرش دون أن يشعر به ، وجعل يقلب الطبلية ويفحصها .. لم يجد فيها شيئاً غير أرجلها وخشبها ومساميرها .. ثم وضعها أمامه ومسح عليها بخرقة ، كما فعل علاء الدين بمصباحه ، لعل يخرج له جنى يقول له اطلب ما تريد .. ولكن هذا لم يحدث ، فيئس ، ثم قال يحدث نفسه . لو كنت أعلم سرها لطلبت ما أشتهى .. وسكت قليلا ثم قال : إنى أشتهى سمكاً مقلياً .. وجعل يبسط المفرش على الطبلية يائساً وهو يقول : ولكن أنى لى ! ثم نظر فرأى السمك المقلى أمامه على الطبلية ! فكاد يطير من الفرح والسرور . ثم ذهب إلى السوق فاشترى طبلية ومفرشاً آخرين مماثلين ، وذهب بهما فى خفة وحذر إلى حجرة أحمد ووضعهما مكان طبليته ومفرشه . وفى الصباح استيقظ أحمد ، فأخذ الطبلية والمفرش ، ونقد الرجل أجرة نومه فى الفندق ، ورحل إلى قريته ، فاستقبله أبوه بين ذراعيه وقبله وفرح بعودته . ثم حكى أحمد لأبيه قصته وقال له :

— أرى يا أبى أن تدعو كل أصدقائك ليأكلوا عندنا .

فدعا الوالد أصدقاءه ومعارفه ، وازدحم البيت بالمدعوين . فلما جاء موعد الأكل قال لهم أحمد بصوت عال :

— ماذا تطلبــون من أصناف الطعام؟

فطلب كل واحد ما يشتهى ، وأحمد يردد ما يقوله ، ثم بسط المفرش على الطبلية .. ولكنه لم ير عليها شيئاً ، فأعاد الطلب دون جدوى ..

وسخر المدعوون من أحمد وأبيه وقالوا إنهما مخبولان .. وخرجوا يسبونهما ويلعنونهما . وقدر الأب أن ابنه متعب مجهد وأن التعب والإجهاد وما لاقاه من آلام فى غربته قد أثرت فى عقله ، فأشفق عليه وقال له : اذهب يا بنى إلى فراشك واسترح فإنك متعب . وذهب أحمد إلى فراشه وهو يذرف الدموع ويشعر بالخجل والخزى .

وأما « على » الابن المتوسط فقد خرج هائماً على وجهه ، بعد أن ضربه أبوه وطرده ، ثم جعل يبحث عن عمل يرتزق منه ، فكان يتلقى مثل هذه الردود : « لا ، مع الأسف » — « هذا العمل لا يصلح لصغير » هل تجيد حياكة الثياب ؟ هذا من المستحيل لأنك « صغير » . ولكنه لا ييأس ، بل ظل يبحث حتى رأف به فلاح فقبل أن يؤويه فى مقابل أن يساعده فى عمله . وصار على يعمل نهاراً وليلا ، فسر الفلاح به وزاد عطفه عليه وتمسكه به وبخاصة بعد أن جنى محصولا كبيراً بسبب ما بذله على من جهد كبير فى خدمة الأرض والزرع . ثم اشتاق على إلى رؤية والده

وأهله ، وفاتح الفلاح برغبته فى السفر إلى بلده ، فوافق الفلاح مبدياً أسفه لفراقه ، وكأفأه على جهده وإخلاصه بأن أعطاه حماراً وصندوقاً خشبياً وقال له : إذا أردت نقوداً فاضرب الحمار بعد أن تضع الصندوق تحت فمه . . فإنك تجد بالصندوق ما تريد من المال .

فشكره على وأخذ الحمار والصندوق ورحل إلى بلده ، وقرب وصوله إلى قريته أقبل عليه الليل عند الفندق الذى كان أخوه أحمد قد نزل به وفقد فيه الطبلية والمفرش ، ودق باب الفندق ، واستقبله صاحبه ، وأنزله باحدى الحجرات ، فأعطاه على مبلغاً كبيراً من المال مقابل نزوله بالفندق ، فتعجب الرجل من أمر على . . شاب فلاح يملك مالا يعطى منه هذا القدر الكبير مقابل نومه ليلة فى فندق ؟ وهو لا بد فلاح ، والدليل على ذلك أنه يملك حماراً . . هذا أمر عجيب أيكون السر فى الصندوق ؟ لا ، إنه فارغ . . أيكون فى الحمار ؟ وكيف ذلك ؟

ظل صاحب الفندق ساهراً يبحث عن سر النقود الكثيرة التى يملكها على ، أخذ الصندوق وقلبه ، ثم وضعه أمام الحمار ووقف يتأمل ويفكر عسى أن يجد فى الحمار شيئاً غير عادى ، فلم يعثر على شىء ، فركل الحمار من شدة غيظه وقال : هل من المعقول يا وجه النحس أن أجد فيك ذهباً ! فنهق الحمار ، فنزلت النقود من فمه إلى الصندوق . . فدهش الرجل وكاد يطير من الفرح . ثم خبأ الحمار والصندوق ، وذهب إلى السوق واشترى حماراً وصندوقاً آخرين مماثلين ووضع كلا مكانه . وفى الصباح استيقظ على ، وأخذ الحمار والصندوق الزائفين وسار حتى وصل إلى قريته ، واستقبله أبوه وأخوه أحمد مسرورين به كل السرور . وأخبر على أباه بسر الحمار والصندوق ، واقترح عليه أن يدعو أصدقاءه إلى مشاهدة الحمار وهو يسقط المال من فمه . ولكن الأب قال وقد ظن بابنه الظنون :

— كفانا تعرضاً للهزء والسخرية ، وحسبى ما لقيت بسبب التسرع وعدم التثبت والتروى . . قم يا بنى إلى فراشك واسترح فإنك متعب ، ثم نفكر بعد ذلك فيما تقول .

ولما أصبح الصباح نهض علىٌّ وأسر على أن يقنع والده بصحة ما قاله ، فأتى بالحمار والصندوق وجعل يضرب الحمار ويأمره أن ينزل نقوداً ، فلم يفعل . .

فابتسم الأب فى مرارة ، وحمد الله على أن وفقه إلى التمهل والتروى فى هذه المرة ، ولزم علىٌّ الصمت وهو كئيب حزين .

وأما « محمود » الصغير فقد خرج هو كذلك مثل أخويه ، بعد أن طرده أبوه ، وظل يبحث عن عمل حتى اشتغل فى مخبز ، وأخلص فى خدمة صاحبه . ثم اشتاق إلى والده فاعتزم

أن يعود إلى بلده ، وكافأه صاحب المخبز على إخلاصه فى العمل بأن أعطاه عصا غليظة وقال له : عند ما تريد أن تجازى أحداً أساء إليك فقل لهذه العصا إضربى يا عصاى فلانا الذى فعل كذا وكذا . فإنها تضربه ولا تكف عن الضرب حتى تقول لها : كفى فان المضروب قد اكتفى. فشكر محمود صاحب المخبز وأخذ العصا وسافر إلى بلده ، وفى الطريق

مر ليلا بالفندق الذى نزل به أخواه من قبل ، ونزل به ليبيت فيــه . وجعل صاحب الفندق يتأمل محمود فقد استرعى انتباهه شبهه لأخويه وقال فى نفسه : إنه لا بد أخوهما ولا بد أنه محظوظ مثلهما . وتسلل إلى حجرته وكان محمود لم ينم بعد ، ولكنه تظاهر بالنوم . أخذ الرجل العصا وهو يحدث

نفسه قائلا : أيكون فى هذه العصا سر مثل سر الطبلية والحمار اللذين أخذتهما من أخوى هذا الولد .. ؟ وسمع محمود كلام صاحب الفندق ، ففهم أن أخويه أحمد وعلى نزلا بهذا الفندق ، وأن صاحبه سرق منهما طبلية وحماراً لابد أن لها شأناً .. فقام ونظر إلى العصا وقال لها :

— إضربى يا عصاى صاحب الفندق الذى سرق الطبلية والحمار . .

فجعلت العصا تضرب صاحب الفندق وهو يصرخ ويرجو أن يأمرها محمود بالكف عنه ، ولكن محمود قال :

— لن أفعل حتى تعيد إلى ما أخذته من أخوى .

— طيب ، مرها لتكف حتى أتمكن من إحضار الأشياء التى أخذتها

— كفى ، فإن المضروب قد اكتفى . وإن لم يحضر الأشياء فعودى إليه بالضرب والإيذاء .

وذهب صاحبه وأتى بالطبليــة والمفرش والحمار والصندوق . وأخذها محمود وأخذ العصا ، واتجه إلى قريته ، فاستقبله أبوه وأخواه أحسن استقبال . وقص عليهم قصته ، وفرح أحمد بطبليته ومفرشه ، وفرح على بحماره وصندوقه . ولكن أباهم ظل فى شكه وتخوفه من أن يكون أولاده الثلاثة قد أصابهم الخبل ، ولكنه لم يتسرع فى مواجهتهم بشكوكه ومخاوفه ، فقد تعلم مما مضى أن يتأنى فى الحكم على الأشياء ويصغى إلى ما يقال حتى يتبين الحقيقة ، وطلب إلى كل منهم أن يقوم بالتجربة أمامه قبل أن يجاذف ويدعو الناس إلى الطعام على الطبلية ، ومشاهدة النقود تخرج من فم الحمار إلى الصندوق ، والعصا تضرب من يسىء الأدب .

وسر الأب سروراً عظيما عند ما تحقق من صدق أولاده الثلاثة ودعا أصدقاءه وأقاربه إلى حفل كبير أكلوا فيه ما لذّ وطاب ، وأخذ كل منهم كمية من النقود ، ثم أخذ الأب وأولاده يوزعون الطعام والنقود على أهل القرية .

done all that we could according to our potentialities.

It is because we have had to spend time, money and thought against the dangers of military incursion into our lands.

Israel has always proclaimed that it must expand from the Euphrates to the Nile. The territorial integrity of our Country is under constant danger.

The greater part of it is African soil, and the matter should be of cencern to you all.

It is perhaps because of the very fact that we are embarked on a policy of cooperation with our African brethern that colonialism is maintaining and sustaining Israel.

The initial reason for the tripartite aggression on our country was the French belief that they could win the war in Algeria by crushing Cairo.

We have made no secret of our support, moral and material, to our Algerian brothers. We are proud of the fact.

There was something basically wrong, however, in the reasoning of the French. Help to Algeria would have been immaterial, had they not kindled the love of liberty and the will to fight in the heart of every Algerian !

The will to fight, the will to attain freedom and independence is alive, thank God, in the heart of every African.

Africa will be free, all of it, there can be no doubt. Our task, in this Conference, is to speed up this liberation of the whole continent.

Mr. Chairman,
Excellencies,
I thank You.



stake. Israel is the go-between, the mask behind which colonialism hopes to ingress again — not only the colonialism we have known and fought against before, but a new and much more dangerous one, the imperialism of International Zionism.

Colonial powers, the word over, are pressing for recognition of Israel by those States who thus far have been chary of doing so.

We must not forget that they are the same colonial powers at whose hands Africa has suffered so much before.

The United Arab Republic has been and is still being refused mere consular representation in sister African Countries on the verge of independence, by the Colonial authorities, while red carpets are unrolled before Israel representatives and Zionist concerns.

The underlying motive is obvious. Israel is being used as a tool.

The Tool of Imperialism.

Two years ago, in Accra, a resolution was passed for the implementation of economic, technical and scientific cooperation between the African States.

I believe this to be a pressing matter that ways and means should be devised to put this resolution into effect.

Cooperation in the economic field can help us attain economic independence. This is most essential for the attainment of full political freedom.

We must not forget that colonialism came into Africa in the wake of the Chartered Companies and to protect the trade routes of the exploiting countries.

The selfish economic interests of the European Countries are the very reasons which turned them into colonialistic Powers.

Mere political independence cannot remove the root of evil.

I would also say that the achievement of both political and economic independence is not good enough to help us preserve our freedom and independence in this highly technological age.

Cooperation in the educational and scientific fields are of prime importance if we are to catch up with the rest of the world.

The U. A. R. Delegation wishes to express its appreciation of the constructive suggestions put forward both by the Ghanaian and the Guinean Delegations.

We are ready and willing, indeed it is our duty to intensify all help we have hitherto been able to extend in these fields. Our fate is tied up with the fate of the rest of Africa.

I confess that we have not

people to be free and truly independent.

We, African nations, must not lull ourselves into believing that economic development and advance can be ours if outside help, financial or technical, is forthcoming. We must have the will to work, the will to achieve. Otherwise assistance from outside can only serve as additional strings, additional fetters.

The fact was made clear to all of us when His Imperial Majesty the Emperor of Ethiopia, having graciously concented to open this Conference, delivered an inaugural address full of wisdom and foresight. I beg of His Imperial Majesty to grant permission to quoting these meaningful words : «...those who seek independence must be prepared to struggle for it rather than accept it, and, having won it, to stand on their own without **dependence and** without favours. They must be prepared to assert their ability to maintain independence without exchanging it for financial support or for subsidies ».

We must be wary of financial or technical assistance which insists on retaining its administration in the hands of the foreigner. We must be on our guard against foreign investments which as they try to monopolize a certain product, are chary of training or employing the Africans in the key and responsible administrative or technical posts.

We must keep a vigilant eye on the collective measures of the Great Powers and colonial countries who combine in an effort to bring the prices of raw materials down. We must warn those highly industrialized countries who pour effort and money into concerns belonging to colonial powers, whose finances are crumbling, thus helping them retain their stranglehold on African occupied territories.

I will also add that we must be doubly vigilant against infiltrators, against Agents of the colonial powers, who would pose as small countries ready and eager to offer help and assistance, for nothing or almost nothing.

Nobody offers anything for nothing.

Israel is doing it. How can she afford to, when she herself, is dependent on outside help — financial, technical and political —, from the colonial and imperialist countries ? Were this help — flowing in for more than 12 years at the fantastic rate of one million dollars per day — to substantually decrease, Israel would simply disintegrate since it is a non-viable and artificial creaton.

The matter must be raised because the economic and political integrity of Africa is at

If we, African nations were now to press for the implementation of Artice 41 of UN Charter against the inhuman practices of the Union of South Africa and its breaches of UN principles, if we were to press in the Security Council for the total or even partial interruption of economic relations and other means of communication, shall we be heeded ? When we all know that the mass rape of Palestine had been condoned, when we know that the flouting of Security Council decisions and resolutions by Israel has been rewarded and is still being rewarded by the pumping in of one million dollars a day ?

The U.A.R. is ready to take concerted action against South Africa as this Conference may decide. But we also want to press the matter further in the United Nations.

Excellencies,

If we are to have the international concert of nations respect the principles embodied in the Charter of the UN as regards African problems we must press for the enforcement of those principles in all other problems and steadfastly refuse to accept prior and wayward solutions as accomplished facts. Principles must be indivisible and universal in their application or they shall never be respected.

One of our most important tasks deals with studying the means of preventing new forms of colonialism in Africa. The colonial powers bowing in some cases before the nationalist forces unleashed in emergent — pardon me in re-emergent Africa, profess going out through the front door while busy concocting means and ways of a return through the kitchen window, in some cases they just leave a time — bomb in the house so as to be called in as rescuers or firemen when the explosion or conflagration occurs.

Independence is never complete as long as it is only political. It must also be economical and social. No country is really free and independent if its economy is still teleguided by the colonialists, if the large majority of its inhabitants live in a state of economic want.

The time-bomb which the French left in Guinea and with which they hoped to bring this proud country to its knees through economic collapse, has misfired thanks to the farsightedness, vigilance and untiring efforts of its great leaders.

It is a lesson which shows that independence, economic or otherwise, cannot be accepted as a present. It must be wrested from the colonialists, an action which must be backed to the hilt by the unbending will of a

country is really free to express an honest opinion on international matters unless it is tied to no military bloc, or to no defence agreements with Big Powers. The free will of the people was neither respected when Nysaland was forced to federate with the apartheid infested territories of the Rhodesias.

And what of Rhodesia itself ? Was it not originally a British protectorate ? Why did Great Britain choose to hand over the fate of those territories to the small minority of entrenched Europeans rather than accede to the right of self determination of its peoples ?

The French Government is also contemplating the dismembering of Algeria. Already it has delimited the Sahara into a distinct area. But that is not enough — it has already been hinted that the fertile coastline usurped by European settlers might be separated from the rest of the country.

And if we were to go down to Article 76 of the Charter of UN, we find that it is concerned with the progressive development of trust territories towards self-government or independence. The Government of the Union of South Africa simply ignores this vital principle as regards the unhappy territory of South-West Africa.

It is but a simple step from transgression on individual human rights, as now prevailing in South Africa, to trespass upon the integrity of a whole nation.

In this connection we must not forget that originally the mandate over South-West Africa had been conferred upon Britain to be exercised by the Union of South Africa on her behalf.

Britain cannot exonerate herself from all blame or responsibility.

The Big Powers have been encouraged to ignore all of those basic and vital principles embodied in the Charter of the United Nations, because when they were first violated, at their instigation, many smaller countries either under political or more often under economic pressure or simply because of misguidance or misinformation, those smaller countries chose to accept the monstrous and artificial solutions laid down before them in United Nations debates as « accomplished facts" — thus — paving the way to the very dangerous possibility of creating established precedents.

Have the principles of self-determination and of territorial integrity been respected as regards Palestine ?

Have they been able, or shall I say willing, to put stop to the flagrant act of aggression which is implied in the mass immigration of aliens into this unhappy land ?

attention to one sentence used by de Gaulle himself, when he said that it was not easy to solve in one day, a problem which existed for 130 years.

That one sentence clearly shows that de Gaulle himself is aware that the Algerian problem started 130 years ago with the occupation of Algerian soil by French troops. De Gaulle himself acknowledges that the occupation was the cause of all that is now happening in Algeria.

If he is really seeking a just solution, let him attack the problem at the root, and withdraw all his troops across the Mediterranean, to France, where they rightfully belong.

And it behooves all those countries which supported France last year to reconsider their position again, or the onus of the large scale slaughter, still going on, will be their's to hound their conscience till the end of time.

The Charter of the United Nations speaks in its preamble of fundamental human rights. Where are those human rights ? Are they to be found between the lines of the report of the International Committee of the Red Cross recently published in the French newspaper « Le Monde » ? Are they to be found in the terrorized districts of the Union of South Africa ? In the arbitrary jails set up by the big plantation owners over there ? Are they to be found in the Bantu Act for education ?

You will excuse me, you all know of course that the word «education» here is a misnomer. Are they to be found in the restrictive laws now prevailing in Uganda ? In the state of emergency which again has been clamped down on the Nyeri district, in Kenya ? What are the specific actions which the United Nations could have initiated and which were blocked either by Big Power pressure or through Military bloc companionship ?

Some representative of one Big Power or another would privately concede that « yes, we do agree that the Algerians have the right of self-determination ; but what can we do ? France is our ally. Without her, the NATO would be greatly weakened... »

And then they proceed to feed her with still more guns, pump her crumbling economy with still more money to help her kill still more Algerians.

Those words were personally mentioned to me by the representative of a country much more powerful than France is or ever hopes to be.

You have only to witness the inability of such a Big Power to vote in accordance with its conscience, at least as had been professed, to know the true value of neutrality. No

Last but not least, we also have as a direct danger to world peace and security, racial discrimination, apartheid, that ugly word... born and bred in South Africa ; ... the war in Algeria now in its sixth year ; ... and the nuclear and thermonuclear tests polluting our continent from end to end only to serve the hallucinatory vision of glory reborn and perhaps to help have the memories of Dienphu forever erased. How sadly misguided are the French! The true glory of France, I contend, resides into the revival of its revolutionary spirit of liberty, equality and fraternity, so that it may be sincerely projected into its international relations. Atom bombs stopgap were they even to be of the most modern types, are but a sorry or rather a misguided deviation.

The problem of how to put stop to the persistant policy of encroachment as practiced by the Big Powers upon the sovereignty and integrity of smaller nations is of prime importance if we are to fulfill our obligations towards the preservation of international peace and security in conformity with the Charter of the U.N., with the Declaration of Bandung and the resolutions at Accra.

The United Nations is an admirable organization whose carefully laid down principles can serve international cooperation and preserve world peace and security, if only the Big Powers should abide by them ; and if only the Big Powers should not bring pressure to bear — political, economic, or otherwise — so as to compel smaller countries to cast their votes in blatant contradiction to those very principles which the Big Powers, themselves, proclaim and estrol at every turn of the tongue, because they are themselves held in the grip of a force very much stronger than belief in principles — military blocs companionship !

Last year every single item of the Pakistani resolution on Algeria passed the test of the 2/3 majority, only to fail a few minutes later, when passed to the vote in its entirety. I shudder to think of the various and concentrated forms of pressure to which some countries have been subjected during those few short minutes. But I would shudder still more any man with still a shred of humanity in his heart, would realize that since that ill-fated vote, lives, brave lives have been lost every minute of the day, every minute of the night, and that blood, human blood has not for one minute ceased to flow on the glorious Algerian soil.

It is now clear that de Gaulle's offer had never been sincere. Neither was the one which he televised two days ago. But I would like to draw your

Those five countries, whose independence is due this very year, may not be the only ones who would achieve it, since eight more countries, the countries of both the Equatorial Union and the Council of the Entente, are straining towards political independence. Hail and Godspeed to them all.

Since Accra, our inter-relations have progressed normally and healthely, because, thank God, we have no big Power among us.

The world is in the frightful grip of the death struggle between East and West; which struggle threatens to ungulf us — all of humanity — in an un holy holocaust. In Power politics, no hold is barred; everything is permissible. Either side is put to get as many countries as props to their own military bloc. Materialism is reigning again in this era which Power blocs want to turn into the era of State feudalism.

But the African fight for independence, the African fight against racial discrimination and all of its evil practices help remind the world every minute of the day, that the individual is still the symbol of humanity, that States are institutions which came into being to serve the individuals, and not to become instruments through which the smaller nations are subjugated into a serfdom more vile than that of the darkest Middle Ages since it is serfdom on a mass scales, the serfdom of nations, nay of whole continents. A serfdom in which the whole resources of the small nations are geared to the selfish war effort of the Big Powers, and their lust for still more power.

If I am bringing the matter up, it is because my delegation feels that it is the root of all the evils from which emergent Africa is now suffering. But I beg of your pardon. Those of you who are well acquainted with African history and its ancient and flourishing civilizations would have me speak not of « emergent » but rather of « re-emergent » Africa.

My delegation feels that a radical solution of this one problem — the problem of the lust for power — by Big Power will help solve all our problems ; whether they are of a general character such as the promotion of African unity and solidarity, the promotion of our economic progress, the preservation of our cultural heritage, and the eradication of colonial rule, whether they are of a more specific but no less urgent character such as the lamentable situations prevailing in South Africa, South-West Africa, in the Central African Federation and many other territories still under colonial rule.

ADDRESS MADE BY DEPUTY FOREIGN MINISTER EL SAYED HUSSEIN ZULFAKAR SABRY, LEADER OF U.A.R. DELEGATION TO THE INDEPENDENT AFRICAN STATES CONFERENCE RECENTLY HELD AT ADDIS ABABA.

Mr. President

Excellencies

I am deeply honoured to have the opportunity to stand before Your Excellencies as the representative of the United Arab Republic.

As the seat of this Conference, Addis Ababa is a most fitting place. It is the capital of a great and beautiful, Country both ancient and new - rich in the traditions of older and flourishing civilizations, vigorous in the pursuit of a progressive present and promising, thanks to the foresightedness of its August Monarch, in the certion blossoming of a future, no less glorious than the splendour of its past.

It is a country which has been able to maintain through thousands of years the tradition of freedom and independence, never wavering, never hesitating in sacrificing lives & whatever else human beings hold as most dear so that no outsider could infringe on its freedom and liberty.

As the representative of the United Arab Republic, it is a matter of special pride to me, to point out the numerous, historical and unbreakable ties which have bound and are still binding our two countries together.

To His Imperial Majesty, to the Imperial Government and the people of Ethiopia, I bring a message of sincere greetings from President Gamal Abdel Nasser, the Government and people of the United Arab Republic.

As head of the delegation, I also bring a message of goodwill from my country and my President to all the sister countries here represented, especially those which we have the honour to welcome for the first time, and to all those other countries, still under foreign control but whose freedom will be ultimately gained, much sooner than the colonialists would ever think it possible.

Ours is a fast-growing community. Two years ago at Accra we were only eight in number. Last year, at Monrovia, we were ten. Today, in this Conference room, with the eyes of the world focussed upon us, we ought to have been seventeen were it not for circumstances which prevented some of the invited nations to join us.



« جندى من الكتيبة المصرية بالكونغو »

Third Year

No. 34. September 1960

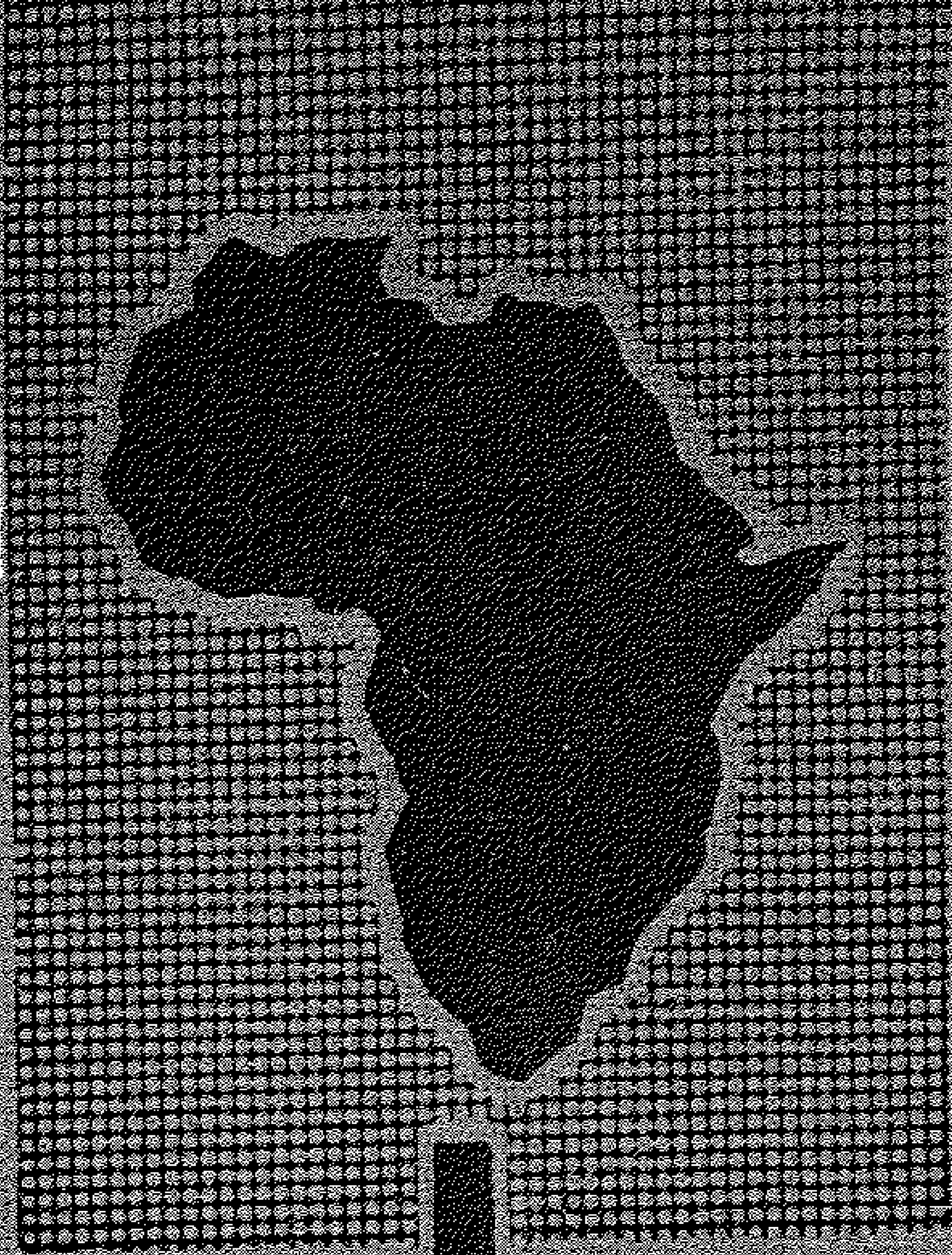


Nahdatu IFRIQUIAH

PRICE : P.T. 3.

IN THIS ISSUE

السنة الثالثة العدد ٣٥ أكتوبر ١٩٦٠



نهضة إفريقية

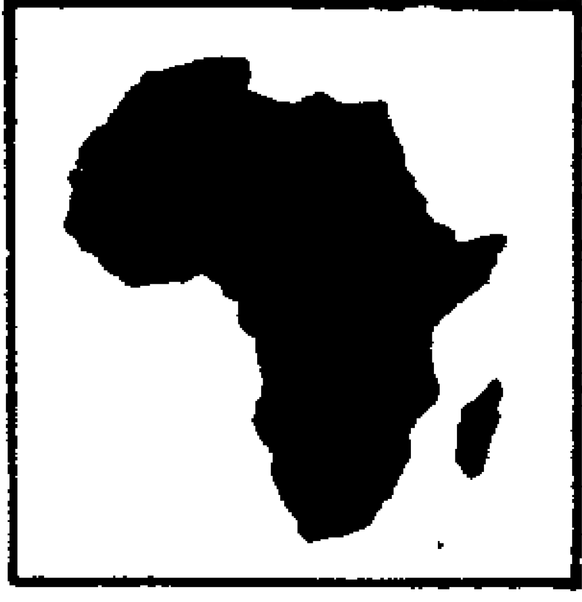
فى هذا العدد

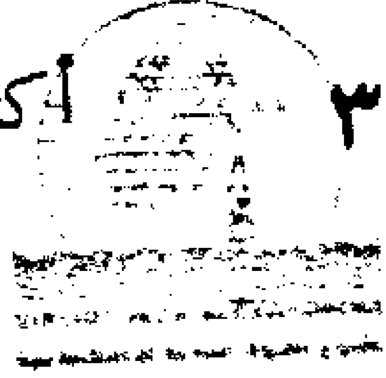
٩٦ صفحة

الثمن ٣ قروش



« دقات على الطبول »



العدد ٣  أكتوبر ١٩٦٠

نهضة إفريقيه

مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ – تنمية الوعي القومي الافريقي .

٢ – التعارف بين الافريقيين في مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ – نشر البحوث الخاصة والعامة التي تهم كل إفريقي في مجاله الحيوي .

وللمشتركين الحق في :

١ – الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التي تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ – الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضروري أن تكون المقالات التي تنشر في هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
٥ شارع أحمد حشمت – الزمالك بالقاهرة
تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨
الاقليم المصري
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك في المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً :

لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
[illegible]

فكرة ..

(١)

لم يعد للعالم كله من حديث سوى « الكونغو » والأحداث الرهيبة التى تدور فيه ، فقد أصبحت البلاد كرة تتقاذفها أيدى لومومبا ، وكازافوبو ، وتشومبى ، وكالونجى ، وموبوتو ، وأصبحت الأعين لا تستطيع ملاحقة هذه البلاد المنكوبة وهى تصرخ ، وتستغيث ، وتستنجد .. وخطورة هذه « اللعبة » أن هناك أيد حاقدة قد تدخلت فيها ، فقد رأينا الأمم المتحدة تخاتل ، وتميل إلى بعض اللاعبين ، ورأينا بلجيكا تقوى قبضة الذين ينادون بالانفصال ، كما رأينا الدول الأوروبية ، والأمريكية تقوم بدور « الجمهور المشجع » للفريق المعتدى ، وتقف من ورائه بالدولار ، وأجهزة الدعاية ، والممثلين الرسميين .

.. إن القارة كلها تحذر الزعماء المتناحرين من عاقبة هذا « اللعب » ، وهى الوحيدة التى تستطيع – إن لم يكفوا – انتزاع البلاد من أيديهم وتسليمها للشعب

(٢)

من أجلك أيها القارىء تزيد هذه المجلة صفحاتها من ٨٠ إلى ٩٦ صفحة فبمقدار ما تقدمه لها من حب ستقدم لك كل ما تملك من جهد ، وطاقة ..

« عبده بدوى »

محتويات العـدد

الكونغو يدخل الحرب الباردة

بقلم: الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

بدأت المؤامرة البلچيكية للعودة لاحتلال الكونغو بالغـارة الجوية الانتقامية على « ماتادى » بعد مضى أسبوع واحد تقريباً، على إعلان استقلال البلاد وما إن حدث رد الفعل المنتظر من جانب بعض قطاعات الجيش والشعب الكونغولى إزاء العسكريين والمدنيين البلچيكيين حتى سارعت بلچيكا بإرسال جنود المظلات من بروكسل وحتى أصدرت الأوامر لجنودها المقيمين بالكونغو للعودة إلى احتلال العاصمة والمدن الكبرى متعللة بضرورة حماية أرواح « البيض » وممتلكاتهم التى تعرضت للضياع .

وكان الافتعال البلچيكى قد وجد صداه لدى وكالات الأنباء العالمية (الاستعمارية) فراحت تدق الطبول وتنفخ فى الأبواق وتصف « وحشية الكونغوليين فى اعتدائهم على الأوروبيين هذا مع أننا وصلنا إلى ليوبولدفيل بعد أيام قليلة من تلك الحوادث فوجدناها مدينة مهجورة ، ولكنها سليمة لم تتناولها يد بالاعتداء والتخريب ، ووجدنا آثار البلچيكيين الخائفين المذعورين من أخطار موهومة متمثلة فى السيارات التى تركوها فى الشوارع وإلى جانب المطارات ، تلك السيارات التى لم تنقص منها « طاسة » عجلة واحدة .

ووجدنا المخازن والحوانيت مفعمة بالبضائع ، بعضها بقى فيه أصحابه يمارسون نشاطهم التجارى والبعض الآخر مغلق ولكنه سليم لم تمسسه يد بالسلب والنهب ، وليس له حماية سوى الأبواب الزجاجية .

وكانت المدينة — كعهدها أيام البلچيك — أنيقة ، ترتفع مبانيها الشاهقة — فى الأحياء التجارية — وتتسلسل « ڤيلاتها » الجميلة على شاطىء النهر وفى الضواحى البعيدة . وقد تأكدنا أن العاصمة لم يحدث بها حادث اعتداء يبرر هجرة المستعمرين الجبناء ، وإنما حدثت حوادث فردية فى الأقاليم كانت فى الواقع تعبيرا عن كبت وضغط طويلين .

ولقد سارعت حكومة الكونغو فاستنجدت بالدول الشقيقة وهيئة الأمم المتحدة واتخذ مجلس الأمن قراره المشهور (فى ١٤ يوليو الماضى) بإرسال قوات دولية إلى الكونغو لحفظ الأمن

والنظام وبجلاء القوات البلچيكية عن قواعدها جلاء ناجزاً نهائياً .

وفى هذا الوقت بالذات كان طرف آخر من أطراف المؤامرة يتحرك فى الجنوب فقد أعلن « تشومبى » (استقلال كاتانجا) عن الكونغو وأرسل إلى العالم يطلب اعترافها بالدولة الجديدة ، وأخذ يبرر إقدامه على تمزيق بلاده بأنه يخشى أن تمتد « الفوضى » التى سادت الكونغو إلى إقليم كاتانجا ...

وكانت هذه الحجة ساقطة منذ ولادتها ، فإن « تشومبى » نفسه قد وقع — فى مؤتمر المائدة المستديرة — على وثيقة تقرر « وحدة الكونغو » ، ثم إن « الفوضى » التى زعم أنه يخشاها ، لم تأت من الكونغوليين أنفسهم وإنما تسببت عن افتعال المستعمر البلچيكى لحوادث « ماتادى » ، وأخيراً لأن قوات الأمم المتحدة كانت قد بدأت تتوافد إلى الكونغو بالفعل ، وتعمل على إقرار النظام وإجلاء من تسببوا فى الفوضى ...

ومع هذا ، فلو أن هناك مبررات لانفصال « كاتانجا » عن الوطن لما كان من حق السيد تشومبى أن يقرر ذلك ، فإنه لا يملك الأغلبية البرلمانية فى إقليمه وقد كان حزبه — فى الانتخابات السابقة — حزب الأقلية فى كاتانجا ، وما زالت أغلبيـــة نواب كاتانجا تؤيد الحكومة المركزية ورئيسها « لومومبا» ...

كان من الواضح إذن أن الذى يتكلم عن فصل كاتانجا ليس هو السيد تشومبى وإنما هو « اتحـــاد التعدين » الذى يملك حق استغلال جناحى النحاس واليورانيوم فى تلك المقاطعة الغنية والذى يضم شركات قوية (رهيبة) تمثل مصالح أمريكية وبلچيكية ، وفرنسية وبريطانية ، وهولندية ، وتبلغ أرباحها السنوية أكثر من ثلثمائة مليون من الجنيهات الاسترلينية .

لقد وضع « اتحاد التعدين » السيد تشومبى على المسرح السياسى وجعل منه بوقا ينادى باستقلال « كاتانجا » وهو يعمـــل فعلا على استمرار « استغلالها » على أيدى الأجانب ، وعلى استبقائها حاجزاً بين الكونغو المستقل ، وبين المستعمرات البريطانية فى الجنوب .

وما إن وقف تشومبى على قدميه فى كاتانجا واطمأن « اتحاد التعدين » إلى نجاح المؤامرة مبدئياً — بقوة المال حتى أخذ يحتال على قرار مجلس الأمن بجلاء القوات العسكرية البلجيكية عنها ، فقد أذاعت السلطات الاستعمارية هناك أنه قد تم جلاء تلك القوات — وخاصة جنود المظلات الذين كانوا يحتلون قاعدة كامينا — جلاء تاماً . هذا فى الوقت الذى انسحب فيه هؤلاء الجنود من القاعدة إلى معسكرات أخرى وارتدوا ملابس مدنية وتم تعيينهم « خبراء » و « فنيين » فى حكومة السيد تشومبى ، وزادت الحكومة على ذلك تعاقدها مع أفواج جدد من

البلچيكيين الذين كانوا – وما زالوا – يتوافدون إلى كاتانجا (على طائرات سابينا) عن طريق : الخرطوم – أو زومبورا – البزابيث ڤيل .

وجاءت الأمم المتحدة إلى كاتانجا – فى شخصها لمسيو همرشولد – فلم تكلف نفسها أكثر من التأكد من اختفاء الملابس العسكرية . وأرسلت جنودها إلى قاعدة «كامينا» وأحاطت السيد «تشومبى» بالحماية والرعاية ...

وبدأ فصل جديد من المأساة الكونغولية ، فإن اتحاد شركات الماس فى «باكوانجا» (فى إقليم كاساى) قد أعجبه نجاح إخوانه فى كاتانجا ، وهكذا ظهر زعيم انفصالى آخر ، «يخشى من امتداد الفوضى إلى كاساى!» وشهد العالم السيد «كالونجى» وهو ينادى بتقسيم «كاساى» إلى مقاطعتين تمهيداً لإعلان استقلال «دولة كاساى» الجنوبية عن الكونغو ، ووقفت الأمم المتحدة أيضاً موقف المتفرج ، أولا من هذه المهزلة ، ثم موقف الحامى للسيد «كالونجى» من قوات الحكومة المركزية ...

ولقد عملت الحكومة المركزية – فى صمت – على إعداد العدة للقضاء على دعاة تمزيق الكونغو فى كاتانجا وكاساى ، بقواتها ، وإمكانياتها المحددة ولم تمر أيام قلائل حتى سمعنا أصوات الاحتجاج ، ثم أصوات الاستغاثة من تشومبى ، وكالونجى على السواء ، وانطلقت أبواق الدعاية الاستعمارية من جديد زاعمة أن جنود «لومومبا» الذين دخلوا «كاتانجا» ودخلوا «كاساى» يرتكبون الفظائع ، ويقتلون النساء والأطفال . .

وكانت قوات الأمم المتحدة قد بلغت أشدها فى ليوبولدفيل ، وأخذت توزع قواتها على كافة المقاطعات وأصبحت هى الآمر الناهى فى للعاصمة وفى طول البلاد ، وعرضها ، وأخذت تبذل الدعوة والأمانى بالمعونات المالية والفنيــة التى سوف تأتى لإنعاش الكونغو . . .

وفجأة تغير الجو ، وتأزمت الأمور ، فإن خزينة الكونغو بدأت تتعثر بعد أن سطا البلچيكيون على رصيد الذهب وحملوه إلى بروكسل ، واضطربت شئون الموظفين ، وشئون العسكريين كذلك من جراء التأخير ، والتعثر ، فى دفع المرتبات ، وكلما لجأت الحكومة إلى سلطات الأمم المتحدة لم تجد غير التعلل والتسويف ، وفجأة كذلك ، أعلن رئيس الجمهورية ، مسيو كازافوبو أنه قرر عزل رئيس الحكومة -- السيد لومومبا – استناداً على مادة من القانون الأســاسى المؤقت تنص على حق رئيس الجمهورية فى تعيين ، وعــزل رئيس الوزراء ، والوزراء .

ووجد هذا القرار صداه العاجل فى نيويورك فقد أعلن المسيو همرشلد أن من حق رئيس جمهورية الكونغو

أن يعزل رئيس الحكومة (ونصب نفسه بذلك مفسرا لدستور الكونغو) ..

وجرت الحوادث لاهثة تباعاً ، فقد جمع « لومومبا » البرلمان ، وأعلن البرلمان الثقة بحكومة لومومبا ، ثم عاد البرلمان واجتمع وقرر منح لومومبا سلطات استثنائية لعلاج الموقف الحالى ، وأصدر كازافوبو قراراً بتأجيل البرلمان لمدة شهر ، ثم عين «جوزيف اليو » رئيس مجلس الشيوخ رئيساً لحكومة جديدة ... وتم هذا كله فى جو سياسى ليس فيه عنف ولا تهديد باستخدام القوة . . .

وهنا ، تدخلت الأمم المتحدة ، بقواتها التى جاءت « لحفظ النظام » دون تدخل فى المسائل الداخلية . . .

فقد احتلت قوات الامم المتحدة جميع المطارات الرئيسية فى الكونغو ومنعت رئيس الحكومة (الشرعى) من استخدامها . .

واحتلت اذاعة ليوبولد ڤيل ، ومنحت لومومبا (وحده) من دخولها أو من إذاعة أى بيان منها . .

وأحاطت منزل « كازاڤوبو » بقواتها (لحمايته) وطوقت منزل لومومبا (لمنعه من الحركة) . . .

وأخيرا ضربت ضربتها القوية بأن دفعت لكازاڤوبو ٥٠ مليون فرنك كونغولى ، دفع منها — بدوره — خمسة ملايين لأحد قادة الجيش المدعو (الكولونيل امبوتو) الذى قام (بانقلاب) عسكرى يهدف — كما زعم — إلى إسكات الطرفين المتنازعين (كازاڤوبو — لومومبا) وإقامة هيئة إدارية اسمها (هيئة القوميسيرين) لإدارة أعمال الحكومة . . .

وبهذا أصبح فى الكونغو — بفضل الأمم المتحدة — حكومات أربع : حكـــومة شرعية يؤيدها البرلمان ويرأسها باتريس لومومبا ، وحكومة مفتعلة (تقيم فى قصر كازاڤوبو ولا تجرؤ عـــلى الخروج منه) ويرأسهـــا جوزيف إليو ، وحكومـــة إدارية يحركها الكولونيل امبوتو ، « الحكومة الكبرى » التى تملك السيف ، والذهب ويرأسها السيد « دايل مندوب همرشلد الشخصى فى الكونغو » .

أما فى كاتانجا ، وفى كاساى ، فقد تحركت قوات الأمم المتحدة لإقرار « الأمن والنظام » وقامت بإنشاء « منطقة حيادية حول حدود هاتين المقاطعتين ، أى قامت فى الواقع بحماية تشومبى ، وكالونجى من زحف قوات الحكومة المركزية ، وأقرت سلطات الأمم المتحدة بذلك انفصالها عن باقى البلاد وانفراد « اتحاد التعدين » و « اتحاد شركات الماس » بهما كما كان الحـــال أيام الاستعمار البلچيكى .

وفى الوقت الذى يبزل فيه ممثلو الدول الإفريقية مساعيهم فى ليوبولد ڤيل للتوفيق بين الزعماء الكونغوليين ، يعمل ممثلو « المعسكر الغربى » على تنفيذ خطة « الأباكو » القديمة الرامية إلى فصلى مقاطعة ليوبولد ڤيل نفسها عن الكونغو وضمها إلى « الكونغو الفرنسى » فى دولة جديدة تسمى الكونغو الأوسط ، تحت رعاية فرنسا وبلچيكا .

ولقد صاحب هذا كله طرد سفير الاتحادالسوفيتى ، وتشيكوسلوڤاكيا من «ليوبولد ڤيل» ، وبذلك انفرد أحد أطراف « الحرب الباردة » بالكونغو دون أن يعلم أن العاقبة لدعاة الوطنية والتحرر الإفريقى .



سكان آسيا وافريقية

للدكتور عبد العزيز كامل

ليس من الممكن ، فى حدود المعرفة الحالية ، التأكد من تعداد آسيا وإفريقية ، فالإحصاءات الدقيقة ليست متوافرة فى كل دول القارتين . هذا فضلا عن تعدد مناهج التعداد .

ويمثل السكان أكثر الظاهرات الجغرافية إثارة للاهتمام فى القارتين : من هم ؟ أين يعيشون ؟ ماذا يعملون ؟ ما مستقبلهم ؟

وفى القـــارتين تحيا مئات من السلالات البشرية . ولا يقل عدد الجماعات فى الاتحاد السوفيتى وحده عن ١٦٩ ، وفى شبه القارة (الهند وباكستان) أكثر من ٢٠٠ لغة ، من بينها عشرون لغة يتحدث بكل منها ما لا يقل عن مليون نسمة .

ومن المتعارف عليه تقسيم سلالات آسيا إلى مغول فى الشرق ، وقوقازيين فى الغرب . وهذا التقسيم نظرى . فذوو البشرة الزيتونية واللون البنى الفاتح والداكن يعيشون فى الشرق والغرب . ولا نستطيع — فى دراستنا هذه — أن نعتبر للنسبة الرأسية أو القامة أساساً للتمييز بين السلالات البشرية ، كما أن التاريخ الحضارى يقدم إلينا فروقاً واضحة بين السلالات فكثيراً ما تنقلت الجماعات البشرية ، وانتقلت المؤثرات الحضارية فى آسيا بين الشرق والغرب ، وكثيراً ما دفعت الذبذبات المناخية موجات من الجماعات المهاجرة من قلب آسيا إلى أوروبا وإفريقية والهند والصين . ووصلت هذه الموجات إفريقية من عدة أبواب : طريق المحيط الهندى ، وبوغاز باب المندب ، والبحر الأحمر ، والمدخل الشمالى الشرقى فى شبه جزيرة سيناء . ودخلت السلالات الزنجية إفريقية من زمن مغرق فى القدم ، وكان دخولها فى القلب الغالب عن طريق بوغاز باب المندب ، وانتشرت جنوباً وغرباً حتى غمرت هذه الأجزاء من القارة . وجاءت بعدها السلالات القوقازية : الحاميون أولا ، وينتشرون الآن فى شرق القارة وشمالها الغربى ؛ ثم الساميون فى بقية النصف الشمالى من القارة . وبين هذه السلالات جميعاً ، كان التقاء واختلاط .

أسطورة التفوق العنصرى :

وليس من الممكن فى ضوء البحث العلمى الموضوعى التحدث عن النقاء العنصرى . وليس هناك دليل ، فى حدود معلوماتنا الحالية ، على أن الجماعات البشرية تختلف فى مميزاتها العقلية الداخلية سواء فى الذكاء أو المزاج . وأثبت البحث العلمى أن مدى الاختلافات فى القدرات العقلية بين أفراد أى جماعة يتشابه فى كل الجماعات البشرية إلى حد كبير . وأنه ليس هناك دليل على أن اختلاط السلالات البشرية يؤدى إلى نتائج سيئة من الناحيــة البيولوجيــة . أما النتائج الاجتماعية ، سواء أكانت لأحسن أو لأسوأ ، فيمكن إرجاعها إلى عوامل اجتماعية .

وعلى هــذا الأساس ليس من الممكن أن نضع جماعة بشرية قرب الأطراف العليا أو الدنيا للبشرية كلها فى صفات كثيرة . فقد تتميز جماعة بشرية فى صفة معينة وتتميز أخرى فى صفة ثانية . ولكن كل الجماعات ليست شاذة فى معظم أحوالها ، بل إن هذا النوع من التمييز يميل إلى أن يساوى بين الجماعات إذا أردنا أن تلخص كل مميزاتها أو صفاتها . وقد تكون هذه المميزات دافعاً للإنسانية إذا توافرت للجميع الفرص لتنمية إمكانياتهم .

وقد استطاعت كثير من المجتمعات البشرية فى آسيا وإفريقية أن تتقدم بخطى واسعة عند ما تحررت من القيود الاستعمارية . وجاء هذا برهنه عملية أخرى على أسطورة الفروق العقلية بين السلالات البشرية . ولا ينفى هذا أثر البيئة الجغرافية على النشاط البشرى أو التوجيه نحو حرفة معينة ، أو تحديد إنتاج غلة من الغلات . ولا ينفى أيضاً أثر العوامل التاريخية أو الاجتماعية . ولكن الذى ينفيه هو أن الجماعات البشرية « بطبيعتها » متميزة ، وهو الاتجاه الذى رأينــاه عند غـــلاة المستعمرين ومن دار فى فلكهم من الكتاب والعلماء الذين وصل الأمر ببعضهم إلى تزييف الحقائق فيما قاموا به من أبحاث استهدفوا بها إثبات تفوق الجنس الأبيض على الملونين وبخاصة السود .

نمو السكان :

سبقت الإشارة إلى استحالة التأكد من تعداد السكان فى القارتين ويزداد الشك فى صحة التقديرات كلما رجعنا إلى الماضى حتى يصبح من المتعذر أن نعتمد عليها فى التحليل التاريخى الديموغرافى . وعلى هذا الأساس يمكن أن ننظر إلى جدول (١) الذى يلخص عدد سكان القارتين مقارناً ببقية القارات والعالم .

جدول (١) سكان العالم من ١٦٥٠ ـ ١٩٥٠

الأقطار	١٦٥٠	١٧٥٠	١٨٥٠	١٩٠٠	١٩٥٠
العالم أجمع	٤٧٠	٦٩٤	١٠٩٤	١٥٥٠	٢٤٠٦
آسيا ماعدا الاتحاد السوفيتى	٢٥٧	٤٣٧	٦٥٦	٨٥٧	١٢٧٢
إفريقية	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٢٠	١٩٩
إقيانوسيا	٢	٢	٢	٦	١٣
أمريكا	٨	١١	٥٩	١٤٤	٣٢٨
أمريكا شمال نهر ريوجراند	١	١	٢٦	٨١	١٦٦
أمريكا جنوب ريوجراند	٧	١٠	٣٣	٦٣	١٦٢
أوروبا مع الاتحاد السوفيتى	١٠٣	١٤٤	٢٧٤	٤٢٨	٥٩٤

ويبدو من الجدول كيف زاد سكان العالم إلى خمسة أضعاف ما كانوا منذ ثلاثة قرون . وهذه الزيادة لم تكن متسقة فى هذه القرون . . . كانت بطيئة فى مراحلها الأولى ثم اشتدت بعد هذا . وتتصدر آسيا قارات العالم من قبل ١٧٥٠ .

كانت آسيا ــ دون الاتحاد السوفيتى ــ ولا تزال تحوى نصف سكان العالم وهى بهذا أكبر موطن للبشر ، أما أوروبا فزاد سكانها حتى أصبحوا $\frac{١}{٣}$ سكان العالم بعد أن كانوا خمسهم ، أما إفريقية فمع زيادة عدد سكانها إلا أن نسبتهم إلى سكان العالم أجمع انخفضت من $\frac{١}{٥}$ إلى $\frac{١}{١٢}$ بينما أصبح فى أمريكا نحو $\frac{١}{٨}$ سكان العالم .

وبرغم الوثبات الكبيرة التى ارتفع بها مجموع السكان فى أوروبا وأمريكا إلا أنها ظلت محدودة نسبياً إذا قارناها بالزيادة فى آسيا .

وكان السكان أول الأمر مخلخلين فى الأرض خفاف الكثافة ، وكانت أنماط تجمعهم ضعيفة الاستقرار ، ثم اشتد ارتباطهم بالأرض وبالزراعة . وملأوا الفراغات التى كانت تفصل بينهم وبين الشعوب المحاورة ، ثم جاءت الصناعة فزادت أعدادهم إلى الأرقام الضخمة التى نراها الآن فى المناطق الجديدة .

كثافة السكان :

يبين جدول (٢) الكثافة الحسابية لسكان آسيا وإفريقية ، مقارنة بالقارات الأخرى عام ١٩٥٥ .والكثافة الحسابية أو العددية هى الناتجة من قسمة

عدد السكان على مساحة الأرض . والمعدل العالمى لهذه الكثافة ٢٠ فى الكيلومتر المربع ، وترتفع الكثافة فى آسيا إلى ٥٥ وتهبط فى إفريقية إلى ٧ بينما تسجل أوروبا أعلى المعدلات : ٨٣ وتختلف هذه الكثافة إذا حسبناها لأجزاء كل من القارتين فتصل فى وسط جنوب آسيا إلى ٩٧ وتهبط فى جنوبها الغربى إلى ١٣ .

والكثافة الحسابية لا تعطى فكرة صحيحة عن الواقع لأنها توهم بتوزيع السكان بصورة منتظمة فى القارة ، أو القطر المختار للدراسة . ولكى تكون لهذه الكثافة دلالة حقيقية ، يجب أن تحسب على أساس أصغر الأقسام الإدارية فى كل قطر .

فمن الضرورى أن نضيف إلى الكثافة الحسابية الكثافة الزراعية وهى نسبة عدد السكان إلى الأرض القابلة للزراعة . والمعروف أن المساحات الصالحة للزراعة لا تزيد عن ٧ ٪ من مســـاحة العالم إذا أخذنا فى اعتبارنا عوامل الحرارة والمطر والسطح والتربة ، وتهبط هذه النسبة فى آسيا إلى ٥,٨ وفى إفريقية إلى ٣,٣ من مجموع المساحة بينما ترتفع فى أوروبا إلى ٣٧ . وهذا التقدير قائم على أساس الموارد الزراعية فى حالتها الطبيعية دون اعتبار لمجهود الإنسان . وقد عمل الإنسان على تحسين التربة ورفع إنتاجها فى جهات كثيرة من العالم مما أدى إلى زيادة إمكانيات الاستغلال الاقتصادى .

ومع هذا فلا زالت أجزاء كثيرة من الأرض الصالحة للزراعة غير مستغلة ، والأجدر أن نقارن السكان بمساحة الأرض المستثمرة فعلا ، وهو ما يسمى بالكثافة الإنتاجية . وتصل هذه الكثافة إلى نسب ضخمة فى بعض البلدان فهى تتراوح فى اليابان مثلا ، بين ٨٠٠ و ١٠٠ . وتصل فى إقليم مصر إلى ٨٩٥ وفى إقليم سورية إلى ١٠٢ وفى لبنان إلى ٥٥٢ .

ولكن الزراعة ليست المورد الوحيد للسكان وإن كانت الحرفة الرئيسية فى آسيا وفى أجزاء كثيرة من إفريقية . ومن الخطأ أن تدمج فى هذه الكثافة سكان المدن الذين يعيشون على موارد الصناعة والتجارة والمهن المختلفة . والأصح أن نحسب الكثافة الزراعية على أساس سكان الريف فقط وهو ما ندعوه بالكثافة الريفية .

فى آسيا :

ومع هذا كله فهناك مميزات عامة لتوزيع السكان فى القارتين : فقد سبق القول بأن معظم آسيا غير صالح للسكنى ، ومن دراسة خريطة توزيع السكان نرى كيف يتركز الجانب الأكبر منهم فى آسيا الموسمية ، ففيها

وحدها نحو ١٣٠٠ مليون نسمة أى ما يعادل ٨٩٪ من مجموع سكان القارة باستثناء الاتحاد السوفيتى وما يعادل ٤٧٪ من مجموع سكان العالم ويرجع هذا الازدحام إلى عوامل طبيعية وبشرية . ففى آسيا الموسمية تتسع السهول الزراعية وتتوافر الخصوبة والمطر والحرارة اللازمة للزراعة .

والعوامل الطبيعية لا تكفى وحدها لتفسر هذا التوزيع . ولا نستطيع هنا أن نتابع أصحاب نظرية الحتم الجغرافى الذين يرجعــون الظاهرات البشرية جميعاً إلى عوامل البيئة الطبيعية . فهناك مناطق مدارية أخرى تتشابه ظروفها مع ظروف آسيا المدارية ، ومع هذا يقل فيها السكان .

ومن أوضح النماذج على ذلك إفريقية المدارية ، فالمسألة إذن ليست إمكانيات طبيعية فحسب ، بل هى أيضاً إمكانيات الإنسان نفسه ومستواه الحضارى الذى يعيش فيه ، ونوع الوسائل التى يستخدمها فى استغلال البيئة . ففى الملايو مثلا ، يقل السكان فى مناطق الجمع والالتقاط بينما ترتفع كثافتهم فى المناطق الزراعية .

ويتصل بهذا أيضاً ، أوضاع عقلية معينة فمذهب كونفشيوس وعبادة الأجداد يدعوان إلى الإكثار من النسل وتمجيده « إن الهواء نفسه فى بلاد الصين مشبع بحب الذرية » ويذكر كيزر لنج فى وصفه الرائع :

« إن الحياة كلها والموت كله يحدثان فوق الأرض الموروثة ، إن الإنسان يتبع الأرض ، والأرض لا تتبع الإنسان ، إنها لا تدع أبناءها يذهبون أبداً . ومهما زادت أعدادهم ظلوا فيها يستخرجون منها عطاياها الضئيلة بالجهد المضنى ، وعند ما يدركهم الموت يعودون إلى بطنها فى ثقة الطفل الصغير . وهناك يتابعون حياتهم إلى الأبد » .

وتاريخ آسيــا الموسميــة ملىء بالمجاعات التى حصدت الملايين من أبناء القارة ولنأخذ نموذجاً مما يحدث فى الصين :

ففى الغالب تقل الغلات كل سنة إلى درجة خطيرة قد تصل إلى القحط فى مقاطعة أو أخرى ، وتكثر هذه المجاعات فى الشمال ، وترجع إلى شدة الجفاف أو الفيضان . وفى مجاعة ١٩٢٠ — ١٩٢١ فى شمال الصين التى احتبس فيها المطر عاماً فلم تكد تسقط منه قطرة ، مات نصف مليون وأتت المجاعة على ما يمتلكه عشرون مليونا من السكان .

فى هذه الظروف القاسية يبيع الفلاح المنكوب ما يملك ، قد يبيع

أثاث بيته وأعمدة السقف وملابس الشتاء . وقد يتحول إلى الهجرة أو يشارك رجال العصابات . وكثير من الزراع فى الصين لا يملكون فائضاً يقابلون به تقلبات الأيام ، فحاجات اليوم تسدها موارد اليوم . . ومع هذا فمن الممكن مع العناية بالزراعة أن تكفى الصين نفسها بنفسها . وقد أدى تحسن المواصلات فى آسيا الموسمية إلى التقليل من أخطار المجاعات إذ أصبح من الممكن إيصال الأغذية والنجدات إلى الأجزاء المهددة ولا بد فى هذه الظروف من تعاون واسع بين الوحدات السياسية المتجاورة .

فى إفريقية :

أما عن إفريقية فأول ما يسترعى النظر فيها انخفاض الكثافة فيها عن جميع القارات الأخرى باستثناء أوقيانوسيا . ويرجع هذا إلى عظم مساحة الأجزاء الجافة وغير المستخدمة فيها . فمساحة الصحراء الكبرى وحدها ٢ مليون ميل ، أى ما يعادل مساحة الولايات المتحدة باستثناء الاسكا ، وما يعادل ⅔ مساحة إفريقية ، وفى جنوب القارة تبلغ مساحة الصحارى وأشباه الصحارى نحو ½ مساحة شبه القارة . لا ترتفع الكثافة إلى مستوى الوديان الفيضية فى آسيا الموسمية إلا فى وادى النيل الأدنى حيث الكثافة الحسابية العامة ٢٣ ، وترتفع إلى ٦٥٩ فى الأرض المأهولة ومساحتها الكلية ٣٤٨١٥ كم ، وباستثناء هذا الجزء لا ترتبط كثافة السكان المرتفعة فى إفريقية بالأنهار الهامة . فالغابات والأحراج والمستنقعات لا تساعد على تجمع السكان فى حوضى الكنغو والنيجر الأدنى . ويقل السكان فى حوض الأورانج والزمبيزى الأعلى فى جنوب إفريقية لصعوبة المواصلات والرى وطول فصل الجفاف الذى تقل فيه مياه الأنهار .

هناك إذن ارتباط فريد بين النهر وكثافة السكان فى حوض النيل الأدنى . وهناك ارتباط قوى بين كثافة السكان ومناطق التعدين الرئيسية المستغلة فى جنوب القارة ، ووسطها ، كإقليم الراند وإقليم كاتنجا . وفيما عدا هذا نجد العامل الأكبر فى توزيع السكان هو المطر . ولا زال الجفاف من أهم ضوابط السكان فى قارة ليست فيها مشروعات رى كبيرة باستثناء النيل الأدنى والأوسط .

وفيما يلى أهم المناطق التى ترتفع فيها كثافة السكان نسبياً وتعتمد فيها الحياة على معدل مطر سنوى لا يقل عن ٢٥ بوصة :

١ — ساحل غانة من غمبيا إلى النيجر مع الامتداد الساحلى إلى مصب

نهر الكنغو والظهير والممتد فى السودان . ويتسع بخاصة فى الجزء الأدنى من حوض النيجر الأوسط .

٢ — السهل الساحلى فى شرق وجنوب إفريقية من ممبسا (فى كينيا) حتى مدينة الرأس فى الجنوب . والكثافة المرتفعة هنا ليست مستمرة على طول السهل .

٣ — السهل الساحلى فى شمال إفريقية الأطلسية .

٤ — هضبة الحبشة .

الزيادة الطبيعية :

يبين جدول (٣) معدلات المواليد والوفيات ونسبة الزيادة الطبيعية فى آسيا وإفريقية مقارنة بالعالم كله والقارات الأخرى . هذه المعدلات والزيادة الطبيعية محسوبة للفترة ١٩٥١ — ١٩٥٥

ومن الدراسة المقارنة يبدو كيف أن ٥٥٪ من سكان العالم (على أساس احصاء ١٩٥٥) يسكنون آسيا ، و ٨٪ يسكنون إفريقية و ٧ ٪ يسكنون الاتحاد السوفيتى ، و ١٥٪ فى أوروبا ، و ١٤٪ فى أمريكا ، و ١ ٪ فى أوقيانوسية .

وفيما بين عامى ١٩٥٠ — ١٩٥٥ زاد سكان العالم بعامة بمعدل سنوى قدره ٤٣ مليون نسمة . من هذا القدر ٢٤ مليون فى آسيا و ٧ فى أمريكا و ٤ فى إفريقية و ٣ فى أوروبا و ٣ فى الاتحاد السوفيتى ونحو ½ مليون فى أوقيانوسيا . وهذه الزيادة المطلقة تعادل ١,٦٪ ترتفع إلى ٢,٦٪ فى أمريكا الوسطى ، وتهبط إلى ٠,٦٪ فى شمال وغرب أوروبا . وتتأثر هذه الزيادة بعوامل الهجرة التى يسرها تطور وسائل المواصلات .

ويختلف ازدحام السكان ونموهم فى آسيا الموسمية وكثير من أجزاء إفريقية فى طبيعته عما تجد فى أوروبا وأمريكا . فهو فى أقطارنا ازدحام فى بيئات لا زال يغلب عليها الطابع الزراعى برغم التقدم الصناعى فى بعض هذه الأقطار . ففى غرب أوروبا مثلا ، زاد السكان زيادة كبيرة فى القرنين الأخيرين ، ويرجع هذا إلى التقـــدم العلمى والتكنولوجى الذى أحرزته هذه الأقطار ، والذى أدى إلى ما يمكن أن نسميه بالثورات العلمية الثلاث فى ميادين الطب والزراعة والصناعة . واستطاعت الثورة الطبية أن تقلل من خطر الأمراض وهبطت بمعدلات الوفيات ، حتى أصبح من الممكن انقاذ ستة أطفال من سبعة كان من المنتظر أن يحصدهم الموت لو ولدوا منذ قرنين . وبهذا هبط معدل الوفيات من ٤٠ إلى ١٢ فى الألف وارتفع

احتمال معدل الحياة من ٢٥ — ٣٠ إلى ٦٠ — ٧٠ سنة . هذه الثورات تؤدى إلى أن ينمو السكان فى أربع مراحل.

١ — مرحلة الذبذبات العالية : وترتفع فيها معدلات المواليد والوفيات

٢ — مرحلة التوسع الباكر : وفيها تنخفض معدلات الوفيات وتثبت معدلات المواليد ويحدث هذا مع التقدم الطبى .

٣ — مرحلة التوسع المتأخر : وتنخفض فيها معدلات المواليد مع انخفاض مستمر فى معدلات الوفيات ويؤدى هذا إلى زيادة مستمرة فى عدد السكان.

٤ — مرحلة الذبذبات المنخفضة : وفيها يحدث شيء من التقارب بين معدلات المواليد والوفيات وتؤدى إلى زيادة محدودة ومنتظمة فى السكان

وغرب أوروبا مر بهذه المراحل وأدت إلى تضاعف سكانه ستة أمثال ما كانوا عليه منذ ثلاثة قرون . وكان مرور أمريكا واستراليا بالمراحل أسرع من غرب أوروبا . فقد استطاعتا أن تمتصا بالهجرة أعداداً كبيرة . هذا إلى توافر الأرض الصالحة للاستيطان وموارد الثروة مما أدى إلى تطوير زراعى وصناعى ضخم .

وأمكن أن يرتفع مستوى المعيشة مع زيادة عدد السكان . وكانت معدلات المواليد عالية ومع المستوى الطبى المرتفع وضبط الوفيات ، تضاعف عدد السكان إلى ستة أمثال ما كانوا فى قرن واحد (١٨٥٠ — ١٩٥٠) ارتفع مستوى المعيشة وتوافرت فرص واسعة للنشاط الاقتصادى فى مجالاته المتعددة .

وبينما يحدث هذا فى أوروبا وأمريكا واستراليا ، لم يتعد ⅔ سكان العالم فى آسيا وإفريقية المرحلة الثانية من مراحل دورة السكان . فلا زالت معدلات الوفيات مرتفعة . ولا زال هناك احتمال كبير لزيادة عدد السكان زيادة سريعة فى المستقبل . ويمكن أن نميز فى إفريقية وآسيا بين ثلاثة أقسام :

١ — إفريقية المدارية (جنوب الصحراء باستثناء اتحاد جنوب إفريقية) لا تزال فى المرحلة الأولى .

٢ — بقية إفريقية وآسيا الموسمية وجنوب غرب آسيا ووسطها فى المرحلة الثانية .

٣ — الجزء السوفيتى من آسيا فى المرحلة الثالثة .

جدول (٢) معدلات المواليد والوفيات ونسبة الزيادة فى آسيا وإفريقية مقارنة بالعالم والقارات الأخرى

(متوسط الفترة ١٩٥١ — ١٩٥٥)

العالم والمناطق	معدلات المواليد	معدلات الوفيات	زيادة السكان	
			النسبة فى الألف	بالمليون
العالم	٣٤	١٨	١٦	٤٢,٦
آسيا				
جنوب غرب آسيا	٤٢	٢٢	٢٠	١,٤
وسط جنوب آسيا	٤١	٢٨	١٣	٦,٣
جنوب شرق آسيا	٤٥	٢٨	١٧	٣,٠
شرق آسيا	٣٥	١٦	١٩	١٣,٣
إفريقية				
إفريقية الشمالية	٤٥	٢٥	٢٠	١,٥
إفريقية المدارية والجنوبية	٤٥	٢٥	٢٠	٢,٨
أوروبا				
شمال وغرب أوروبا	١٨	١١	٦	٠,٨
وسط أوروبا	٢٠	١١	٩	١,٢
جنوب أوروبا	٢١	١٠	١٠	١,٤
أمريكا				
أمريكا الشمالية	٢٥	٩	١٧	٣,٠
أمريكا الوسطى	٤٥	١٩	٢٦	١,٤
أمريكا الجنوبية	٤٠	١٧	٢٥	٣,٠
أوقيانوسية	٢٥	٨	٢٢	٠,٣
الاتحاد السوفيتى	٢٦	٩	١٧	٣,٢

وتشاهد القارتان الآن تقدماً محسوساً فى العناية الصحية ، ففى سيلان مثلا ، أمكن مقاومة بعوض الملاريا بالـ د . د . ت وهبط معدل الوفيات من ٢٢ إلى ٢ فى الألف فى السنوات من ١٩٤٥ — ١٩٥٢ وهو هبوط احتاج إلى سبعين عاماً فى بريطانيا وويلز ، وفى إقليم مصر حدث انخفاض ملحوظ فى نسب الوفيات خلال الفترة (١٩٤٧ — ١٩٥١) يقدر بنحو ٢٦٪ واستطاع التقدم العلمى العالمى أن يوفر فرصاً واسعة تساعد على سرعة مرور آسيا وإفريقية بمراحل دورة السكان ، وخفض نسب الوفيات ، ورفع الطاقة الإنتاجية للفرد ، والدخل القومى العام . وفى

تجربة أجريت فى ميسور بالهند زاد الدخل السنوى لـ ٧٣٠ أسرة نحو ٥٠ ج فى المتوسط أى ما يعادل ٩٣ ضعفاً لنفقات الوقاية الطبية .

وأدت السيطرة على الملاريا فى كثير من المناطق المدارية إلى خفض نسب الوفيات ، بينما ظلت نسب المواليد دون ضبط ، فزاد السكان زيادة كبيرة فى أقطار آسيا وإفريقية حيث تصل النسبة فى المتوسط إلى ما بين ٢٠ ، ٣٠ فى الألف سنوياً ، بينما الحد الأقصى للزيادة الطبيعية فى أوروبا ١٥ فى الألف . وتفوق هذه الزيادة فى القارتين ما استطاعتا أن تحققاه من تطورات زراعية وصناعية حديثة مما خلق لهما مشكلات سكانية لها خطرها .

وليس من المتوقع أن تتبع جميع الدول الدورة السكانية التى سبق عرضها . فمن الممكن حدوث انحرافات عن هذا النظام ، يرجع بعض أسبابها إلى تعديل النظم الاجتماعية التى تتبعها الدول وإن كانت هذه الانحرافات قد تؤدى ، فى الغالب ، إلى زيادة عدد السكان . ويقودنا هذا إلى السؤال الآتى :

إلى أى مدى يمكن أن ينمو سكان القارتين ؟

درس قسم السكان بهيئة الأمم المتحدة هذا الأمر فى قارات العالم واستخـــدم ثلاث مجموعـــات من التقديرات : عالية ومتوسطة ومنخفضة تتبع دورات السكان الحالية والمتوقعة واقترح التقديرات الآتية التى يوضحها جدول (٣) وجاءت فيه القارات الأخرى للمقارنة .

جدول (٣) الزيادة المنتظرة فى سكان العالم وقاراته (بالمليون)

	١٩٥٠	عال	متوسط	منخفض
العالم	٢٤٥٤	٣٩٩٠	٣٦٢٨	٣٢٩٥
إفريقية	١٩٨	٣٢٧	٢٨٩	٢٥٥
أمريكا الشمالية واللاتينية	٣٣٠	٥٧٧	٥٣٥	٤٨٧
آسيا (دون الاتحاد السوفيتى والآسيوى)	١٣٢٠	٣٣٢٧	٣٠١١	١٨١٦
أوروبا (بالاتحاد السوفيتى والآسيوى)	٥٩٣	٨٤٠	٧٧٦	٧٢١
أوقيانوسيا	١٣	١٩,٢	١٧,٥	١٦,١

وليس من الممكن التنبؤ بمدى تحقق هذه التقديرات فهى تضع الحدود الذى يمكن أن ينمو بها السكان إذا استمر السلام . وتقوم الدول الأكثر عدداً فى آسيا وإفريقية بجهود كبيرة الآن فى ضبط النسل . وتوجه اليابان ، والهند بنوع خاص إلى هذا الأمر عناية كبيرة ولا زالت أمامها صعوبات تحتاج إلى صبر طويل واقتناع عقلى .

وعلى أساس المعدلات الحالية من المنتظر أن يتضاعف سكان العالم فى النصف قرن المقبل . فكيف يمكن إطعام نصف مليار ساكن جديد فى هذا الكوكب نصفهم على الأقل فى آسيا وإفريقية ؟ لا يمكن مقابلة هذه المشكلة دون توفير الغذاء وموارد القوة والخامات الحيوية اللازمة واحتمالات زيادتها . وإذا كانت هذه المشكلة تحتاج إلى تعاون عالمى فان الحاجة إلى هذا التعاون تزداد بين الدول الآسيوية الإفريقية .

نمو المدن :

التعداد المطلق للمدن الكبيرة وسكانها فى آسيا أكبر مما نجد فى أوروبا وأمريكا الشمالية وإن كانت آسيا أقل نسبياً فى درجة نمو المدن من أى قارة أخرى باستثناء إفريقية .

وفى عام ١٩٥٠ كان نحو ١٣٪ من سكان آسيا يعيشون فى مدن عدد سكان الواحدة منها ٣٠,٠٠٠ ساكن فأكثر ، يقابل هذا ٩٪ فى إفريقية ويرتفع الرقم إلى ٢١٪ فى أمريكا الوسطى والبحر الكاريبى وإلى ٣١٪ فى الاتحاد السوفيتى و ٣٥٪ فى أوروبا (دون الاتحاد السوفيتى) و ٤٢ فى أمريكا الشمالية شمال نهر ريو جراند

وجانب كبير من النمو المدنى فى آسيا لا يمكن اعتباره فى كل تفاصيله استجابة طبيعية لمستوى الانتاج الزراعى والنشاط غير الزراعى ، وإنما تدخل فيه إلى حد كبير قوى الدفع الراجعة إلى انخفاض مستوى المعيشة فى الريف . وبعبارة أخرى لم يأت نتيجة طبيعية لقوى الجذب فى المدينة وتوافر فرص العمل فيها واحتمال الحصول على دخول أعلى من الصناعة والتجارة والخدمات الاجتماعية .

وفى كثير من الأقطار غير الكبيرة فى آسيا يبلغ عدد سكان المدينة الرئيسية خمسة أو عشرة أضعاف المدينة الثانية ، وهذا عكس الوضع فى الغرب حيث تتدرج حجوم المدن ، وجاء هذا فى آسيا نتيجة التنمية الإقتصادية المعتمدة على قوة دولة أو دول أجنبية أكثر من اعتماده على التنمية الطبيعية للاقتصاد المحلى . ولا زالت بعض المدن حتى الوقت الحاضر تمثل حلقة الاتصال بين القطر والعالم الخارجى أكثر مما تمثل التطور الطبيعى للاقتصاد المحلى ، ويمكن أن تلخص عوامل نمو المدن

فى آسيا والشرق الأقصى فيما يأتى :

١ – زيادة عدد السكان ، وما تبعه من زيادة عدد سكان الريف واكتظاظ الأرض بهم إلى درجة دفعتهم إلى الهجرة .

٢ – تأثير الحرب العالمية الثانية وما ارتبط بها من أحداث سياسية حولت نظر السكان إلى المدن .

٣ – إغراء حياة المدينة لجميع مسكان الذين عرفوها فى أثناء الخدمة العسكرية وقت الحرب العالمية الثانية .

٤ – استهلاك الموارد الاقتصادية المحلية فى بعض المناطق مما أضعف هذا الاقتصاد ودفع السكان إلى المدن .

٥ – يؤدى العمل الذراعى إلى نوع من البطالة المؤقتة الدافعة إلى الهجرة إلى المدن .

٦ – قد يكون للمدينة الرئيسية تأثير على نمو مدن أخرى وتصبح – من ثم – ذات وضع طفيلى على بقية الاقتصاد القومى .

واحتفظ كثير من مدن آسيا الكبرى والشرق الأقصى بطابع ريفى يتميز عن المدن الغربية ، أصبح فيها منطقتان متميزتان ، إحداهما على الطراز الأوروبى والثانى على الطراز المحلى الذى يتكون من مجموعة من القرى يمارس فيها السكان كثيراً من عاداتهم القومية .

وتقابل المدن الآسيوية عدداً من المشكلات من أهمها انخفاض مستوى المعيشة الذى يعكس الدخول القومية المنخفضة ويبدو هذا فى نقص المساكن وقلة الخدمات الصحية وارتفاع نسب الوفيات .

وفى إفريقية نجد المدن المبنية على الطراز الحديث محدودة وهى مركزة إلى حد بعيد فى إقليم البحر المتوسط وبخاصة فى إقليم مصر وفى جنوب إفريقية حيث مناطق التعدين الرئيسية ، وأهم المدن فى إفريقية : القاهرة والاسكندرية وهما المدينتان المليونيتان فى القارة ، وباستثناء الدار البيضاء فى المغرب وجوهانسبرج أعظم مدن جنوب إفريقية لا تكاد تصل مدينة أخرى فى القارة إلى نصف مليون .

والمدن الأخرى التى تزيد عن ١٠٠,٠٠٠ تشبه المراكز الأوروبية فى تنظيمها وتخطيطها ومعظمها موان . ولا زالت تجمعات المدن فى إفريقية المدارية محدودة فى النطاق السودانى ، ويغلب الطابع الريفى على معظمها ووسائل المواصلات فيها غير كافية باستثناء شمال القارة وبعض أجزائها الأخرى .

وقد أحست كثير من الدول الإفريقية والآسيوية بهذا فبدأت تعنى بهذه المشكلات ، وذلك بزيادة القوى الإنتاجية ومحاولة جعل حياة الريف أكثر جاذبية ، وتشجيع الصناعات الريفية وتوطين الصناعات الأخرى فى أماكن متفرقة وتحسين المواصلات ، ومشروعات إعادة الإسكان والتخطيط والإقليم ، وإن كانت هذه الأمور تسير بخطى تختلف سرعتها وفق إمكانيات الدولة والنظام الاجتماعى الذى تتبعه .

غينيا فى عامين

للأستاذ محمد رضوان ابراهيم

« خير لنا الحرية مع الفقر على الرخاء مع العبودية والذل » سيكوتورى

ينطق مجرى الحال فى غينيا بمدى ما أحرزه الشعب الغينى تحت قيادة سيكوتورى الحكيمة من تقدم ملموس فى مختلف الميادين ، وما غرسه فيه من روحه ووطنيته من الشعور بالعزة والكرامة ، والتفاخر باستقلال أمكن أن يغتصبه لبلده من بين أنيــاب المستعمرين . وليس أدل على حسن القيادة ، أو على ما وصلت إليه غينيا من مركز مرموق بين شعوب غرب إفريقية من تلك الروح التحرريــة الملموسة التى انتقلت من الرئيس سيكوتورى إلى رجال حزبه من ناحية وإلى الشعب الغينى من ناحية أخرى ، ثم أخذت تسرى بعد ذلك سريان النار بين باقى الشعوب المجاورة .

كيف استقلت غينيا :

فى ٢٥ من أغسطس سنة ١٩٥٨ أثناء زيارة الجنرال ديجول لكوناكرى ضمن برنامج زيارته للمستعمرات الفرنسية فى إفريقية قبل موعد الاستفتاء على دستور رابطة الشعوب الفرنسية ، والمعروف باسم دستور ديجول صرح بقوله : « إننا نعرض الاستقلال على غينيا فإذا قالت (لا) فى ٢٨ من سبتمبر ، بالنسبة للمشروع المعروض ، فعليها بكل تأكيد أن تتحمل النتائج » .

وبالرغم مما حمله هذا التصريح من تهديد ووعيد فقد صوّت الشعب الغينى — بقيادة زعيمه الباسل — للاستقلال ورفض الدستور المقترح للانضمام لرابطة الشعوب الفرنسية بصفة تكاد تكون إجماعية إذ بلغ عدد الأصوات ضــد المشروع حــوالى ١,١٢٠,٠٠٠ مقابل ٥٧,٠٠٠ مؤيد .

وكان أن اجتمعت الجمعيــة الإقليمية لغينيا اجتماعاً غير عادى فى ٢ من أكتوبر ١٩٥٨ برياسة سيف الله ديالو حيث أعلنت الاستقلال الوطنى للبلاد وتحويل نفسها إلى جمعية وطنية دستورية ذات سيادة يطلق على أعضائها لقب نواب . وكان سيكوتورى قد قدّم استقالته إلى الجمعية غير أنه بعد إعلان الاستقلال عادت الجمعيــة فوافقت بالإجماع على أن يعهد من جديد إلى سيكوتورى برياسة الحكومة.

الصعوبات التى واجهتها غينيا بعد الاستقلال :

(أولا) لقد كان لتقرير غينيا الانفصال عن رابطة الشعوب الفرنسية رد فعل حاسم بين الدول والأقاليم الإفريقية بصفة عامة ، وما هو منها فى غرب إفريقية بصفة خاصة ، واختلف موقف دول العالم تجاه الوضع الجديد فى غينيا . وفى الوقت الذى رحبت فيه دول الكتلة الشرقية بجهادها وكفاحها وسارعت إلى الاعتراف باستقلالها ومعاونتها واجهت غينيا تنفيذ فرنسا لوعيدها ، وتلكؤ الدول الغربية فى مد يد المساعدة للدولة الناشئة ، مراعاة منها لشعور حليفتها ، ولقد حاول سيكوتورى — بعد إعلان الاستقلال — أن يمد يده إلى فرنسا للتعاون المشترك بين البلدين وبخاصة بسبب احتياج غينيا إلى الفنيين والإخصائيين وذوى الخبرة ، بجانب احتياجها إلى رؤوس الأموال لتنمية اقتصاديات البلاد ، وتضمنت تصريحات سيكوتورى فى هذا الشأن ، والدالة على صدق النية فى التعاون مع فرنسا ، أنه يحى الشعب الفرنسى ويرحب بذلك التعاون المتبادل على أسس من العدل والمساواة ، غير أن فرنسا — وقد شذت غينيا عن باقى بلاد الرابطة — نفذت تهديداتها فقامت بسحب الفنيين والموظفين الذى كانوا يقومون بأعمال الإدارة والتعليم ، بجانب الأعمال الفنية الأخرى ، وكان الموقف الذى وقفته عندئذ أشبه بالموقف الرخيص الذى لجأت إليه الجهات الاستعمارية عند ما سحبت المرشدين الأجانب من أعمال قناة السويس قبيل الاعتداء الثلاثى .

ولم تكتف فرنسا بذلك ، بل إنها أوقفت إعانتها السنوية ووضعت الحواجز الجمركية على المحاصيل الغينية ، وأوقفت معاشات المحاربين القدماء من الغينيين ، وقدرت فرنسا أن هذه الإجراءات ستؤدى إلى شلل المرافق العامة ، وعدم إمكان المسئولين فى غينيا من التحكم فى زمام الأمور .

وبرزت إبان الأزمة شخصية سيكوتورى وحسن توجيهه وقيادته ورد على فرنسا بقوله المأثور : « إننا نؤثر الحرية مع الفقر على الرخاء مع العبودية » .

كان من الطبيعى أن تساند الكثير من الدول الغربية حليفتها فرنسا فتلكأت فى مد غينيا بالمساعدة وعلى الأخص بالأسلحة اللازمة لحفظ الأمن .

(ثانيا) من الناحية الاقتصادية وجدت غينيا نفسها غداة الحصول على الاستقلال فى موقف قاس يحتاج إلى المعونة والخبرة ، ويمكن أن نوجز صعوبة الموقف الاقتصادى وقتئذ فى النقط الآتية :

١ – وجه الاستعمار الفرنسى كل جهوده لاستغلال ثروات غينيا واستيراد مواردها الخام ومحاصيلها الزراعية متناسياً فى ذلك – كأى استعمار آخر – حق الشعب الغينى فى الحياة الكريمة .

٢ – تعتمد غينيا فى صادراتها على المحاصيل الزراعية حيث تبلغ نسبتها ٧٠٪ من إجمالى الصادرات . وأهم هذه المحاصيل البن ويمثل ٤٠٪ من القيمة الإجمالية للصادرات الزراعية ، ويلى البن فى الأهمية الموز والأرز وبالرغم من أن الأرز يكاد يكون الغذاء الرئيسى للأهالى فإن غينيا لا تستطيع أن تنتج منه ما تكتفى به ذاتياً . والمعلوم أن تعداد سكان غينيا يبلغ حوالى المليونين ونصف المليون ، تعيش الأغلبية الساحقة منهم على الزراعة . وتجدر الإشارة إلى أن أغلب المشروعات الزراعية التى تنتج الموز كانت فى أيدى الأوروبيين فيما عدا أقلية مملوكة لصغار المزارعين الغينيين الذين كانوا يقاسون مشكلة عدم استطاعتهم منافسة المشروعات الأوروبية إلا بمساعدات مادية وفنية من السلطات الغينية .

٣ – احتكار تصدير الحاصلات الزراعيـــة بوساطة شركات تصدير أجنبية ، وكانت فرنسا هى المستوردة الرئيسيـــة للإنتاج الغينى والمصدرة الرئيسيـــة للمنتجات الاستهلاكية ، وكانت لها بذلك السيطرة الكاملة على الاقتصاد الغينى ، الأمر الذى يعتبر تذليله مفخرة من مفاخر حكومة سيكوتورى .

٤ – انخفاض مستوى المعيشة بسبب مواصلة الاحتكار الأجنبى لسياسة تصدير خامى الحديد والألومنيوم دون أى تنمية أو تطوير أو تصنيع داخل الأراضى الغينية .

(ثالثا) بالنسبة إلى التأخـــر الاجتماعى والثقافى بسبب ما عانته البلاد من قسوة الاستعمار فقـــد لمس سيكوتورى أن فرنسا لم تهتم بنشر التعليم إلا بصورة رمزية وبعدد قليل من المدارس فى المدن الكبيرة ، الأمر الذى أدى إلى نقص كبير فى عدد المتعلمين والفنيين والإخصائيين ، وحتى هذه الفئة القليلة لم يكن يسمح لها بتولى الوظائف الرئيسية فى البلاد إذ كانت كلها وقفاً على الفرنسيين ، وبذلك كانت أولى الصعوبات التى واجهها سيكوتورى بكل شجاعة وحكمة عملية سحب الموظفين والخبراء الفرنسيـــين بعد الاستقلال مما أدى إلى تمكنه من سد هذا الفراغ بمن توافرت فيهم القدرة على الحلول محلهم .

تغلب سيكوتورى على الصعوبات :

١ – بالنسبة إلى نقص الفنيين وذوى الخبرة فقد أمكن لغينيا تعبئة جميع كفاياتها ، وساعدها على ذلك هذا الحماس الشديد بعد الحصول على الاستقلال .

٢ – طلبت غينيا مد يد المساعدة إليها بخبراء من الشرق والغرب ومن الدول الإفريقية الأخرى .

٣ – اهتم المسئولون فى الحزب والحكومة اهتماماً شديداً بوضع سياسة تعليمية جديدة لنشر التعليم وبناء المدارس .

٤ – بالرغم من الصعوبات الكبيرة التى تصاحب تغيير العملة فقد أنشأت غينيا عملتها الخاصة ، وانفصلت بذلك عن دائرة الفرنك الإفريقى بعد أن وجدت أن الارتباط بين هذا الفرنك والفرنك الفرنسى يؤثر تأثيراً شديداً فى تجارتها واقتصادياتها ، ويضطرها إلى الاقتصار على نظام المقايضة وبالتالى إلى حرمانها من توافر العملة الصعبة .

٥ – أما العجز فى الميزانية وانقطاع المعونة الفرنسية فقد واجهها سيكوتورى بما يأتى :

ا – التقشف فى المصروفات والمرتبات.

ب– العمل على كفاية الأداة الضريبية فقد بلغ متوسط متأخرات الضرائب عن الأعوام السابقة للاستقلال ما يقرب من ٥٠٪ من مجموعها غير أنه بعد الاستقلال ، وفى الفترة المحددة من أكتوبر سنة ١٩٥٨ إلى مارس سنة ١٩٥٩ أمكن للسلطات الغينية جمع متأخرات السنوات السابقة ونجحت فى جمع جميع ضرائب عام ١٩٥٨ و ٩٠٪ من ضرائب ١٩٥٩ الأمر الذى يدل على مدى تقدم الوعى السياسى لأفراد الشعب وتقديرهم لواجباتهم تجاه الصعوبات الطارئة .

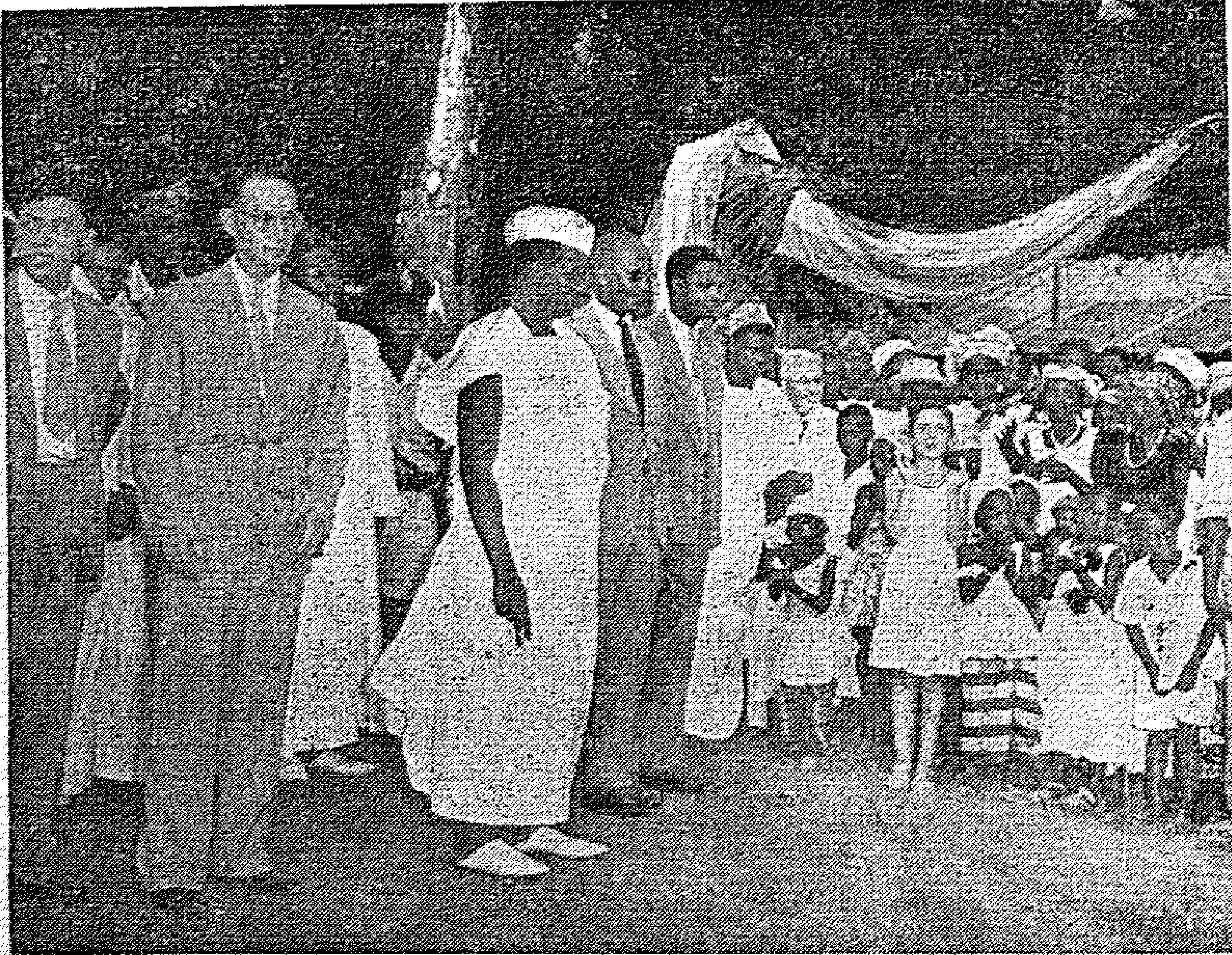
ج– قررت الحكومة أن يكون المقر الرئيسى للشركات فى غينيا نفسها ، وأصبحت بذلك خاضعة للضرائب الغينية بدلا من دفعها إلى فرنسا التى كان بها المقر الرئسى لأغلب الشركات .

د – لجأت غينيا إلى القروض الخارجية ، وأول قرض لها عقد مع غانة ومقداره عشرة ملايين جنيه تدفع على عدة أقساط ، كما عقدت بعد ذلك عدة قروض وبرامج مساعدات مع الدول الأخرى .

٦ – بالنسبة للاحتكار الفرنسى السابق للصادر والوارد فقد أمكن لغينيا أن تفتح لها عدة أسواق جديدة ، كما أمكن أن تعقد عدداً من الاتفاقيات التجارية مع دول الكتلتين .

العوامل التى ساعدت على صمود غينيا تجاه الأزمات :

١ – أهم هذه العوامل – دون أى نزاع – تماسك الشعب الغينى حول سيكوتورى ، وبفضل وحدة الأمة فى حزب واحد :



سيكوتورى فى واحد من الاحتفالات الوطنية

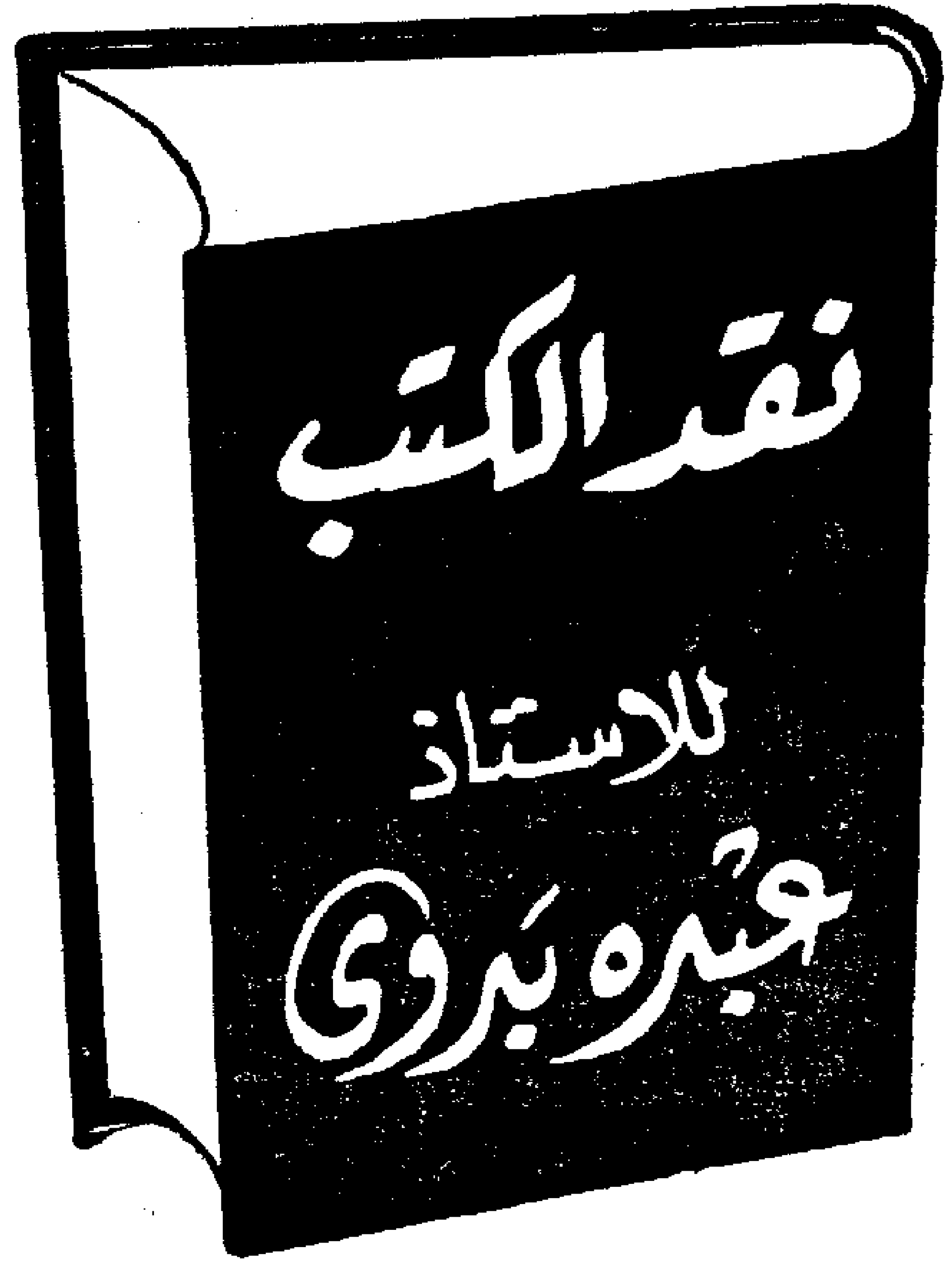
٢ – نفخ سيكوتورى من روحه فى جموع حزبه وكان من أثر ذلك نجاحه فى تعبئة الأفراد وتقوية روحهم المعنوية وتنمية الوعى السياسى ، الأمر الذى تلمس معه تفاخر أفراد الشعب به فى أعمالهم وتصرفاتهم وأحاديثهم ، حتى فى أهازيجهم ومقطوعاتهم الشعبية .

٣ – بفضل هذه الوحدة وهذا التماسك أمكن لفكرة الاستثمار الإنسانى Investissement Humaine أن تحقق معجزة كبيرة فى نهضة غينيا . وتتلخص الفكرة فى أن تخصص كل قرية جزءاً من وقت سكانها للعمل فى مشروع تستفيد منه المجموعة دون ما مقابل أو أجر . وقد استخدمت هذه الطريقة فى بناء بعض المدارس والملاعب والمساكن ، بل وقد استخدمت فى بعض الأحيان فى دفع الضريبة المفروضة على القرية حيث أمكن لسكان بعض القرى من استصلاح قطعة أرض من حدودها – ومن انتاجها دفعت الضريبة المستحقة – وقد تقرر فى غينيا الالتجاء إلى الاستثمار الإنسانى لزيادة سرعة التقدم الاقتصادى والاجتماعى على أن تقوم السلطات المحلية بتحديد المشروعات المناسبة ، وقد وصلت التجربة فعلا إلى نتائج إيجابية ممتازة ، إذ أمكن بفضلها أن ينجز الشعب الغينى تعبيد آلاف الكيلومترات ، وبناء مئات الفصول المدرسية والمنتديات والملاعب الجماعية والجوامع والمكاتب الإدارية إلى جانب الكثير من الأعمال الأخرى التى لا يقل تقدير قيمتها عن عشرة ملايين جنيه .

* * *

إن القاهرة تحى جهاد غينيا وهى ترحب بهذه المناسبة الكريمة أن تضع يدها فى يد شقيقتها كوناكرى فى سبيل تعاون مشترك فى كافة الميادين . وفى ظل قيادة عبد الناصر وسيكوتورى للشعبين العظيمين سيتصل الكفاح ضد الاستعمار وستتسع الجهود لتأييد الأحرار والمناضلين .

وإذا كان قد انبثق أمام شعوب القارة نور التحرر والأمل وبدأت صروح الاستعمار تتهاوى فى انهيار لن تقوى على إيقافه أى مقاومة . . . إلا أن الطريق شاق وطويل ، ولن يتحقق الوصول إلى تخليص القارة من شوائب الاستعمار ومخلفاته إلا إذا تكاتفت القوى واجتمعت الكلمة ، ثم إذا برزت فى المجال الدولى تلك الشخصية الإفريقية المتماسكة ونبذت الخلافات التى فتحت المجال أمام الاستعماريين لتخطيط الحدود المصطنعة فإن الخريطة الإفريقية تكون قد حققت لنفسها ألواناً جديدة من الاستقلال الحقيقى وعندها تكون الدول والشعوب الإفريقية قد هيأت لنفسها المركز السامى فى المجال الدولى .



لقد عاش القــارئ العربى إلى وقت قريب جداً منعزلاً عن كل ما يدور فى القارة الإفريقية ، فإذا شاقه أن يرى يوماً هذا العالم الذى ضرب الاستعمار بينه وبينه سداً عالياً من الحقد ، والخوف لم يجد إلا تلك الثقافة المسمومة التى تعرض بماضى هذه القارة ، وتشكك فى مستقبلها ،

وتحرمها من الثقافة ، والفهم ، والإدراك ، فهى تقدمها فى صورة غابات متشابكة ، وأنهار تائهة ، وفراغ كبير أسود ، فإذا ما أضافت إلى الصورة لمسة الإنسان ، وجدنا أن هذا الإنسان الذى تقدمه لا يخرج عن هيئة وحش يلتهم كل شىء حتى نفسه !

ورغم كل هذا الكذب المتعمد فقد حمل القارئ العربى لهذه القارة كل إعزاز ، وتقدير ، فهو يعرف أن له ماضياً كريماً فيها ، وأنه لو خلى بينه وبينها إلى الآن لقدم إليها الكثير من نفسه ، ولتوهجت كل أطرافها بالمعرفة ، وتمايلت بالخصب ، ولكنه أجبر على « التنحى » عن سير الأحداث فى القارة ، لأن الضربة كانت موجهة تماماً إلى قلبه الذى عاش تتقاسمه إفريقية كما تتقاسمه آسيا ، ولكن مد الحرية رفعه أخيراً إلى قمة الأحداث وجعله يشارك فى توجيه الحياة ، وقد كان من ثمار هذا الفهم الجديد للواقع المعاصر أن بدأت الأقلام الإفريقية والعربية معاً تسهم إسهاماً حقيقياً فى إجلاء حقيقة القارة ، وتقدمها « كما هى » لكل من يريد معرفة المزيد عنها .

ولقد كان من نتاج هذا الفهم العميق تلك الدراسة القوية للشخصية الإفريقية التى كتبها زعيم غينيا العظيم « سيكوتورى » ، وترجمها وراجعها ، وقدم لها الأساتذة كامل صموئيل مسيحه ، ولمعى المطيعى ، وماهر نسيم .

وقد بدأ الكتاب بإلقاء الضوء على الاستعمار الذى كان جاثماً هناك ، فقد اعتبرت « غينيا » مزرعة خاصة للفرنسيين يلقون فيها بتلك البذور التى يحتاجها هؤلاء الغرباء عن البلاد ، أما حاجة الناس إلى أرضهم فلم تكن فى الحسبان ، ولم تكن الأرض هى

الوحيدة التى سخرت للفرسيين ، وإنما كل شىء هناك كان فى خدمة فرنسا ، ودائماً كانت نظرة الغضب ، والحقد على الغينيين حادة ، فلم يخفف منها أنهم كانوا يقدمون كل ما انحنوا من أجله طيلة اليوم للفرنسيين ، ولم يهدئ منها أنهم كانوا يلاقون الموت من أجلهم فى الحرب ، والسلام .. فنظرة الغضب عليهم لم تهدأ فى يوم فى الأيام ! !

ولكن الشعب نفسه كان يتحرر من الداخل رغم امتصاصه ثقافياً ، وسياسياً ، فقد أخذ يعود إلى نفسه ، ويستعيد قواه ، ووقف على قمة هذا التنظيم النفسى تنظيم سياسى استلهم مصالح الشعب ، ورفاهيته فى كل خطوة يخطوها ، فقد كانت إلى جوار قوى الاستعمار قوى أخرى سلبية كالإقطاع فى الأرض ، والإقطاع فى الثقافة ، وكافة مقومات الحياة ، ولكن الشعب كله استطاع أن يتكتل أمام قوى الشر ، فى الداخل والخارج ثم يقول كلمة « لا ! » حينما استفتى فى أمر نفسه رغم التهديد ، والإرهاب وهكذا كانت هذه الكلمة الصغيرة هى الراية الكبيرة التى اندفع خلفها الشعب ليضم أطرافه ، ويحتضن نفسه ويحس بأنه موجود فعلاً ! وبذلك ضربت السياسة الفرنسية ضربة حاسمة بعد أن كانت ما تزال تحلم بعملية التوسع الإفريقى عن طريق حرب الجزائر ، وتحويل أقاليمها فى الباسفيك إلى إدارات ، وضم الصحراء الكبيرة إليها ، وامتصاص كثير من الأقاليم ، والمحميات فى تلك البلاد ، ولكن المتمرد على هذا اللون من السياسة الفرنسية وجه ضربة حاسمة إلى عملية التوسع هذه ، وجعل فرنسا تقف كالمذهولة تماماً أمام هذا البناء الذى تصدع فجأة بعد أن كان الساسة يؤكدون أن إفريقية « تتفرنس » وتأخذ طريقها إلى الذوبان السريع فى الكيان الفرنسى !

وهكذا انتصرت غينيا ، وحملت فى انتصارها فرحة الحرية إلى كل الشعوب التى لن تتعذب كما تعذبت ، ولم تقف موقفاً رائدياً كما وقفت تدافع عن الحرية بيد ، وعن الطعام بيد أخرى ، ومن هنا سعدت بالألم كما سعدت بالانتصار ، ولسيكوتورى هنا تعبير من أجمل تعابير الساسة ، ورغم أن طاقته المشعة قد تفجرت فى يد المترجم إلا أنه ما زالت فيه بقايا لمعان فهو يقول : « وإننا لندرك تماماً أنه إذا لم تتحرر إفريقية كلها فلن يمكن أن تشعر غينيا بالاطمئنان ، ولن نفهم ذلك إلا إذا تصورنا رجلا قد قطع أصبعه ، فالأصبع ذاته لا يحس بالألم إذا كان هناك ألم ، غير أن جسم ذلك الرجل كله هو الذى يسجل

هذا الألم . . . إن غينيا هى التى تسجل ألم شعوب إفريقية المستعمرة . . وإذا أردنا بناء على ذلك أن ندفع الألم كله عن روح الإفريقى وجسده — ذلك الإفريقى الذى تمثل سعادته هدفنا ونضالنا ودوافع ذلك النضال — وجب علينا أن نفحص الوسائل التى نستخدمها فى هذا الكفاح بنجاح ، ينبغى لنا أن نفحص الحرب ، والدولة ، ومؤسساتها والشعب بكل خبراته ، وتجاربه السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية » .

* * *

ثم تعرض سيكوتورى لحزب غينيا الدمقراطى وهو الحزب الوحيد القوى الذى يوجه سياسة البلاد فذكر أن هذا الحزب ليس تشكيلا سياسياً بقدر ما هو حركة قومية مفتوحة الذراعين لكل الشعب ليستطيع من خلاله مقاومة كل أعداء الوطن ، وتحقيق انتصارات له فى كافة مجالات الحياة بعيداً عن عمليات الصراع الأخرى التى كان يمكن أن تقوم بينه وبين الأحزاب الأخرى لو كانت هناك أحزاب ، فالحزب ينتظم الجميع ليحقق لهم تكاملا سياسياً فى الحياة ، كل هذا مع كثير من المرونة لأن الشعب كما تشكله اللوائح ، والقوانين ، والقرارات تشكله كذلك العادات ، والتقاليد التاريخية ، وكل ما يمكن أن يضيف له شحنة من شحنات التطور ، والنمو .

فالحزب بقدر ما هو تنظيم سياسى يعتبر وعياً جماهيرياً يسير بالشعب إلى إنجاز البرنامج القومى فى ظلال المصلحة العامة ، فهو يسير هنا على أسلوب علمى بما يلاحظ ويحلل ، وبما يصل إلى انتصارات ، وبما يربط بين ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، وإن كانت عيناه دائماً على المستقبل فالماضى والحاضر يجب أن يكون كل منهما فى خدمة الغد . . الغد دائماً .

ثم نرى سيكوته رى لا يعطى هذا الحزب قداسة ، وإنما يؤكد أنه قد يخطىء ، ولكنه إن وقع فعلا فى هذا الخطأ فسيجد فيه « عناصر مفيدة » يستطيع فى ضوئها أن يتجنب مثل هذا الخطأ فى مستقبل الأيام ، فالخطأ هنا يتحول إلى خطأ علمى تمكن دراسته ، والاستفادة منه ، ذلك لأن الذين لا يعملون هم الذين لا يخطئون ، أما الذين يخطئون فهم الذين لا يكفون عن العمل ، والبحث ، من أجل المجتمع ، فا« التطبيق » أفضل دائماً من «النظرية» ، ويمكن إدراك هذا التفوق من خلال العمل ، ونتائجه ، فبهذا وحده يتحول الحزب إلى منظمة كاملة للعمل النضالى يسهم فيه الجميع بالجهد ، وبالرغبة الصادقة فى رفع مستوى البلاد ، وبهذا لا يقف الحزب منعزلا عن الشعب ، وإنما هو الشعب بقواه ، ورغبته فى

دفع البلاد إلى الترقى ، والحصول على مكاسب تتجدد كل يوم لصالح الشعب .

« لقد قدمنا لكم هذا الحزب منذ اثنى عشر عاماً مضت ، قدمناه كمجرد بذرة ، وقلنا لكم وقتئذ إنه كى تنبت هذه البذرة يجب أن توضع فى الظروف الملائمة ، فى أفضل الظروف التى تساعد على إخصابها ، والإنتاج الكثير ، وقلنا أيضاً إن نظام الاستغلال الذى أوجده الاستعمار قد خلق ظروفاً ملائمة لإيقاظ الوعى السياسى لدى الشعوب الإفريقية ، وإننا سنضع بذرتنا هذه فى أيدى شعب غينيا ، وطلبنا من جميع شباب هذه البلاد أن يتسلحوا بالنبال ليدافعوا عن هذه الشجرة الصغيرة ، ويحموها ، فإنها الشجرة التى ترمز إلى الحزب الديمقراطى ، ولن تستطيع الطيور المؤذية أن تسلبنا أوراقها ، وثمارها ، وطلبنا من جميع النساء اللواتى يعشن على أرض غينيا أن يجلبن الماء صباحاً ومساء لتغذية هذه الشجرة .

واليوم وقد نمت الشجرة نمواً كاملا ، جاء العمال ، والفلاحون ، والرجال ، والنساء ليحيطوها بسياج متين يحميها من الحيوانات المفترسة ، ومن ثم تقدمنا إلى مبدأ آخر .

لقد قلنا لأعضاء الحزب ، وقادته الأوائل إن هـذه الشجرة ليست لأشخاصهم على الاطلاق فقد يموتون خلال العمل ، بل قبل أن يروا ثمارها ويذوقوا حلاوتها . . هذا وقد ذكرنا فى أثناء المؤتمرات العديدة أن هذه الشجرة مثل الحق ، فينبغى للشعوب أن تدرك الحق وتبينه ، وحالما تنجح هذه الشعوب فى تميز الحق من الباطل فإنها لن تحيد عن الحق مطلقاً . . »

* * *

ثم تعـرّض المؤلف لمفهـوم الديمقراطية فذكر أنها ذات أشكال متعددة ، ويمكن تفسيرها طبقاً للاتجاه الفكرى الذى يستتر وراءها ، وطبقاً للهدف ، أو القوة الاجتماعية ، ويظهر هذا واضحاً حينما نرى أن المسيحية تعمل سياسياً باسم الديمقراطية المسيحية وأن الطبقة الوسطى تعمل باسم ديمقراطية الطبقة الوسطى ، كما تبشر بعض الأقسام الاجتماعيـة بالديمقراطيـة الاجتماعية .

أما مفهوم الديمقراطيـة بالنسبة لغينيا فإنه مفهوم يقوم على مصالح الشعب ، واحتياجاته فشكل الحكم يمكن أن يحدد فى ضوء المكاسب التى تجنيها للشعب دون أى نظر لهؤلاء القادة باعتبارهم الشعب نفسه ، لأننا لا يجب أن نحكم على شعب من خلال الصفات الفردية لقادتها ، ويظهر هذا واضحاً إذا طبقناه على المانيا الهتلرية فقد كانت تحكمها أعظم الشخصيات فى الجيش ، والاقتصاد ، والعلوم ، ولكنها كانت دولة رجعية فى تفكيرها ، وقد يكون العكس .

ثم يتعرض لمفهوم عميق آخر من مفاهيم السياسة وهو مفهوم « الديكتاتورية » فيذكر أن هذه الديكتاتورية إذا كانت تنبثق من ضمير الشعب بأكمله فإنها تكون حينئذ شكلا من أشكال الديمقراطية ، وبهذا الفهم يمكن أن يقال إن سائق العربة حين يسير بركابه لا يعتبر دكتاتوراً لأنه يباشر حقه ، فالديمقراطية هي « سلطة الشعب ، يزاولها الشعب ، من أجل الشعب » ، وهي في الوقت نفسه تطابق شكل المجتمع ، والظروف التي تحيطه ، ويمكن أن يقال إن الدولة تفقد صفتها الديمقراطية حينما تكون هذه الدكتاتورية التي تزاول قاصرة على مصالح ملك ، أو طبقة اجتماعية ، أو أية مجموعة أخرى لا تأخذ طابع الدولة ، والمصلحة العامة .

* * *

أما ممارسة هذه الديمقراطية التي تعتبر الحرية أساسها الأول فيظهر في « مجلس القرية الذي يتولى السلطات الخاصة بالحياة الاجتماعية ، والاقتصادية في كل قرية ، والذي يتكون نتيجة لانتخابات نزيهة يشترك فيها الرجال ، والنساء ، ثم إن الإقليم يحتفظ بكافة سلطات الأمة داخل حدوده ويتولى شئونه مجلس يسمى مجلس الإقليم ، وبهذا الفهم يمكن أن يقال أن ميناء « كوناكرى » ليس ميناء المدينة نفسها ، وإنما ميناء الدولة جميعها ، وأن ساحل غينيا لا يخص المنطقة الساحلية بأكثر ما يخص كل شبر في الدولة ، فالموارد الجماعية ، والإمكانيات لا تعمل على مستوى قومي عام .

ومن وراء هذا كله يقوم الحزب بدور إيجابي في حياة الأمة فهو الذي يملك السلطات السياسية ، والقضائية ، والاقتصادية ، والفنية ، وهو الذي ينتخب رئيس الدولة عن طريق الانتخابات المباشرة ، وينتخب أعضاء الجمعية الوطنية لدورة تستغرق خمس سنوات بوساطة الشعب مباشرة ، بالطريقة نفسها التي ينتخب بها رئيس الجمهورية .

وهكذا نرى الحزب هو الذي يحدد ، ويراقب على مستويات القرية ، والمدينة ، والدولة . مزوداً بماضيه المشرف في تدمير الاستعمار ، وعدم التبعية وانتهاج سياسة اقتصادية تنظم المشتريات ، وتحدد التقلبات في الأثمان ، وإيجاد نسبة بين العرض والطلب ، وإيجاد نوع من التربية الجديدة في كل مرافق الحياة ، يستمد أصوله من المصادر الثقافية والإفريقية فبهذا وحده يمكن القضاء على ما كان يسمى « عقد النقص » عند الإفريقيين ، وبهذا وحده يمكن أن يعتبر كل إنسان نفسه جزءاً من كل وأن لهذا « الكل » قوانينه التي تحترم ، « فنحن نعترف بأن الأشياء التي لها قيمة حقيقية هي

فقط تلك الأشياء التى تخدم قضية الشعب » وأن محبتنا للتقدم لا تعنى شيئاً إذا كانت إرادة الأفراد ليست من نوع متماثل » .

ثم لقد ربط الحزب التعلم برد اعتبار غينيا بعد أن كانت تائهة عن نفسها من قبل ، كما ربطه بالعقلية الثورية التى تغير كل شيء فى البلاد الآن إلى ما يحدد شخصيتها ذلك لأن التربية يجب أن تكون فى خدمة الناس ، كما يجب أن تكون جزءاً من العمل اليومى للشعب ، ولن يغير من هذا اعتبار اللغة الفرنسية لغة رسمية فى البلاد — إلى أن نجد اللغة الإفريقية المناسبة — لأننا نجعل للتربية هدفاً وطنياً غايته الشعب .

* * *

ثم يذكر المؤلف أن اقتصاد بلاده يتبع عملية تطوير تعتمد كلية على الأمانى الاجتماعية ، وأن بلاده تحقق عمليات النمو الاقتصادى فى ميادين الانتاج ، والتوزيع ، والاستهلاك بالإضافة إلى أن الحقيقة الاقتصادية لا تنفصل عن الحقيقة السياسية فى بلاده ، ومن هنا يقوم الاقتصاد بعملية توازن للأمة ، ويمكن توضيح هذا بهذا المقياس الذى يحترم فى ميزانيـة البلاد فهنـاك دائماً ٥٠٪ للانتاج و ٣٠٪ للمهمات الاجتماعية ٢٠٪ للنظم الإدارية .

.. ثم يؤكد فى فصل عن « حقوق المرأة » أن الغينيين حينما كانوا يناضلون قوى الاستعمار لم يكونوا يناضلون من أجل أنفسهم فقط ، وإنما كان نضالهم من أجل إفريقية كلها ، ولكى يحقق هذا الكفاح غايته كانت النساء تقف بجوار الرجال فى المعركة ، وكما كانوا يحاربون فى الخارج كانوا يدمرون فى الداخل كذلك الأنظمة ، والعادات المتجمدة ، والمفاهيم ، والأساليب التى تقف فى طريق التقدم .

ولقد انبثق العزم على تحرير المرأة من هذا التضييق الذى كان واقعاً عليها ، ومن بعض العادات التى كانت تعمل على إذلالها ، ومن الاهتمام العميق بالعدالة الاجتماعية التى تحتم اشتراكها الكامل فى بناء المجتمع ، فتطور المجموع يعتمد على درجة التجانس الموجودة فى العلاقات التى تسود الرجال والنساء معاً ، فمقياس الصلاحية الذى نقيس به الآن فى بلادنا هو : مدى الفائدة الاجتماعية لكل إنسان ؟ ومدى إيمانه ببرنامج حزب غينيا الديمقراطى ؛ لقد قست الظروف على المرأة فى إفريقية فى الماضى . ولكنا نريدها الآن أن تسهم خارج الأسرة فهى مسئولة عن المجتمع مسئولية الرجال ، وبمقدار ما تؤكد شخصيتها تقاس الحرية فى البلد الذى تعيش فيه .

لقد أكد الاستعماريون الفوارق

بين الرجل الإفريقى والمرأة الإفريقية لأنه كان يستفيد من هذه التفرقة بينما التراث الإفريقى لا يعترف بهذه السلبية فى الحياة ، فكثير من الجماعات ما زالت تخضع لسلطان الأمومة . ذلك لأن الأم هى الركيزة الشرعية ، ورئيسة العائلة من الناحية القانونية ، وقد عرف التاريخ الإفريقى ملكات شهيرات

ثم إن المرأة فى كل العالم تسهم إسهاماً حقيقياً فى الحياة متى وجدت الفرص الملائمة لها ، فالإكراه والضغط يقللان من إمكانيات تطوير الشخصية ، وبالتالى تطوير المجتمع . وقد وقف الحزب الديمقراطى الغينى إلى جوار قضية المرأة فدفع بها إلى كافة الميادين ، وحدد سن الزواج بسبعة عشر عاماً ، وجعل موافقتها ضرورية على الزواج ، وقرر النص على الزواج المدنى قبل الزواج الدينى .

* * *

وبمثل هذا الحماس والتأييد لقضية المرأة نرى الحزب يؤيد قضيــة الشباب ، وقضية الحركة النقابيــة الإفريقية . كذلك نراه يكشف عن قضية « الجنود المسرحين » الذين كانوا يخدمون فرنسا ، والذين يثيرون الشغب فى الدولة ، ويطالبون بمناصب من الحكومة الوطنية بعد أن كانوا صمت تام فى الماضى ، بينما يوضح المزايا للجيش القائم بمهامه الآن ، والذى لا يقف عند حمل السلاح فقط ، وإنما سيزرع بيده سهول « كان كان » و « فوركاريا » و « كندارا » ، و « كوبا » ، و « مجيورى » كما سيقيم الكبارى ، ويشق الطرق ، ويشيد الخزانات ، ويبنى السدود .

. . . ثم تعرض لمبادئ المركزية الديمقراطية . فذكر أنها تتضمن المبادئ الآتية :

١ — ينتخب جميع قادة الحزب انتخاباً ديمقراطياً مباشراً ، بوساطة أعضاء الحزب الذين يتمتعون جميعاً بحرية الإرادة ، وحرية التعبير .

٢ — إن شئون غينيا هى شئون المواطنين جميعاً .

٣ — إن مسئولية القيادة مسئولية جماعية .

ثم يختم المؤلف الكتاب بقوله : يجب ألا تقبل إفريقية أى مساس باحترام شخصيتها ، وحضارتها ، وكيانها ، وألا تصبح امتداداً لأية دولة أو لأى نظام أيديولوجى . إن إفريقية وهى تناضل من جديد من أجل النصر لا تطلب سوى الحياة لشعبها ، ولا تريد إلا أن تسترد كيانها ، شمسها ، وسماءها . . وإذا كانت إفريقية بمثابة مكان الاستشفاء للذين يحملون فى نفوسهم احترام الإنسان ، والاهتمام المتزايد بتطوير المجتمع الإنسانى وزيادة تقدمه أكثر فأكثر . . فإنها

لا تستطيع أن تتحمل استخدام القوة الوحشية ، والاغتصاب ، والسلب ، والتفرقة .. أما محاولات التجزئة القديمة التى تستخدمها السيطرة الاستعمارية ، ومناورات الانقسام المستمرة التى تهدف إلى صرف الناس عن العمل المرتب عن طريق خلق الخصومات بين صفوف الجماهير المضطهدة والمستغلة ، فإن ردنا عليها هو تحقيق مزيد من التماسك ، ومزيد من التصميم على العدالة ، والكرامة ، والحرية .

أجل ينبغى أن نواصل سيرنا فى طريق تاريخنا ، ونضالنا ، ذلك النضال العظيم الذى سيمحو من فوق جبين الإنسان عار التميز العنصرى ، ويجب أن نعمل على أن تحل الصداقة مكان الحقد والضغينة ، والتضامن محل الأنانية ، والسعادة محل البؤس .

* * *

من هذا نرى الكتاب وثيقة من وثائق التفكير الإفريقى الجديد الذى يعتمد على البساطة فى كل ما يتعرض له من ألوان الحياة ، ويربط بين ماضيه وحاضره ، مؤكداً نفسه ، وشخصيته من خلال مشاكله المعاصرة وأرضه التى يعيش فوقها ، ونوع الحياة الذى يمارسه ، هادفاً من وراء ذلك إلى وجود شخصية إفريقية متكاملة يمكنها أن تسهم فى تطوير الحياة ، بحب وفهم .

ومن هنا نرى أن الكتاب كسب للمكتبة العربية التى ترجو المزيد من مثل هذا الجهد العظيم .



افريقية الجديدة

تثور الآن فى القارة عدة مشكلات يقف أمامها العالم مشدوهاً . وتتوثب من ورائها وكالات الأنباء . ودور الصحف . وأكثرها يلوّن هــذه الأحداث بلون غير حقيقى ، ويلقى عليها — ظلماً — ظلالاً شرقية أو غربية .

ومهما يكن شأن هذه التعليقات فإن هناك حقيقة كبيرة تستقر وراء هذه السحب المتناثرة من البغضاء ، وهى أن إفريقية قد حطمت قيودها ، ووقفت تستاف عبير الحرية ، وترسم سياسة جديدة لمستقبلها . ومستقبل الإنسانية !

وقد يساعد على وجود هــذه « الأكاذيب الطائرة » هذا الاختلاف الداخلى الذى ظهر واضحاً فى بعض أجزاء القارة . فهناك عملية تدمير عن « اتحاد مالى » ، وهناك اختلاف جديد من نوعه فى الكونغو . وهناك مساندة للسياسة الفرنسية — من بعض الدول التى كانت تابعة لها — فى الأمم المتحدة . وهناك أحداث من هذا اللون فى بعض أجزاء متفرقة من القارة يمكن أن نسمّيها « مخلفات الاستعمار » ولكن كل هذا لن يرجع بالقارة إلى الوراء . فالمتناحرون بين بعضهم بعضاً ، والمتقاذفون بالتّهم ، والخيانة لا يمكن لواحد منهم لو جمع زمام الأمور فى يديه أن يسمح لأية قوى دخيلة بالعودة إلى الأرض الإفريقية ذلك لأن الشعب من وراء كل هذه « الجبهات العالية » فى إفريقية هو الذى يوجه . ويومئ ، ويرسم . ويخوض المعارك . ويُبقى على من يشاء من الزعماء .

ومما يؤكد هذه الحقيقة وجود زعماء كبار خاضوا أحداث القارة ، وامتلأ قلبهم بحبها ، وبهذا الإيمان الكبير فى غدها . ذلك لأنهم ينظرون دائماً إلى القارة نظرة واقعية ، فهم لا يتحمسون لها لمجرد الحماس ، ولا يعرضون صدورهم أمامها لعاطفــة

خطابية تملأ عليهم أنفسهم ، ولا يتحدثون عن غدها لدعاية سياسية ، وإنما لأنهم يؤمنون بهذا التاريخ الذى أكد ماضيهم ، وصرح بإسهامهم الحضارى إسهاماً لا يقف عند الشمال فقط ، وإنما يتعداه إلى أكثر من مكان بالقارة ، ولأنهم لا يؤمنون بالنظريات المسمومة التى تقوم على تفوق الأجناس وتقسيم الذكاء وفقاً للون البشرة ، ولأنهم — وهذا دورهم دائماً — يحبون الناس جميعاً ، ويحاولون تأكيد السلام فى كل أرجاء العالم ، وبهذا الفهم الكبير لرسالة الجنس البشرى نرى هؤلاء الزعماء ينالون المكاسب يوماً بعد يوم ، ويطامنون من قوى الزعماء الآخرين الذين يتلاعبون بمصير الناس ، ويحلو لهم الوقوف بالبشر على « حافة الحرب » ، فقد هزوا أفكارهم العصبية ، ودمروا شخصياتهم فى أكثر من مكان فى العالم ، وأصبح هؤلاء الزعماء — وأكثرهم إفريقيون — يحجبونهم بما يملكون من قوى الخير والمحبة .

ومن هؤلاء الزعماء الذين تتكلم القارة بشفاههم ، وتتشابك أيديهم — رغم بعد الشقة — حول القادة : جمال عبد الناصر ، وكوامى نكرومة ، وسيكوتورى ، وباندا ، وجوموكنياتا ولومومبا ، وآخرون يستوحون ضمائر شعوبهم ، وتاريخ القارة فى فهم ، وحب عميقين .

... ومن هنا رأينا فى الأمم المتحدة أربع عشرة دولة إفريقية لا تتحيز ، ولا تشاكس ، ولا تغالط ، وإنما تؤكد أجمل ما فى الإنسانية من قيم ، وأنضر ما يسفر عنه الغد من طمأنينة ، وحياة سعيدة لكل الناس .

ومع أن الحقيقة تؤكد أن بعض الدول الإفريقية التى تحررت حديثاً قد سارت فى فلك فرنسا ، ومالت إلى جانبها ، وظهرت مع الكلمات الفرنسية التى تتكلم بها بعض العواطف التى ما زالت تخفق لهذه الدولة . . رغم كل هذا فإنا نؤكد أن هذه الدول لن تقف ضد دولة إفريقية ، ولن نسمع صوتاً منها يساند عمليات الإجهاز التى يقوم بها الفرنسيون ضد الجزائريين ، وعمليات التحطيم الاقتصادى التى تدبر فى غينيا ، والسنغال ، والسودان الفرنسى (سابقاً) ، وداهومى ، وموريتانيا ، وبعض الدول الأخرى ، وإن الغد لكفيل بتحويل هذه « العواطف الطائشة » ، وتعليتها — كما يقول علماء النفس — بحيث لا تخفق بعد ذلك إلا لكل ما هو خير فى العالم .

إن هناك سحباً كبيرة تطوف فى سماء هذه القارة ، ومهما يتحدث المتشائمون عن هذه السحب فإن العالم كله يدرك أن هذا العصر الذى تمر به السياسة الدولية « عصر السحب » ، وأن وراء هذه السحب سماء كبيرة

مترعة بالغد ، والفرحة ، والاشراق ، وأن « موسم الحرية » قد بدأت سنابله تملأ الصدور بينما يتوهج وميضها الذهبي في كل عين !

إن فجراً جديداً قد بدأ يطل على القارة . ومهما يكن الظلام الذى يطرز جوانبه فإنه سيسير إلى غايته ، ويشق طريقه فى قلب القارة ، وسيستقبله رجل الغابة بالحماس ، وساكن الصحراء بالحب ، وعامل المنجم بالأغنية ، كما سيستقبله جبين الفـــلاح بفجر آخر قد تجمد من العرق ، والأمل ، والانتظار !

إننا مؤمنون بغد القارة إيماننا بماضيها . ولن يقلل من هذا الإيمان أن قسما كبيراً منها تغطيه الصحراء ، والغابات ، والمياه الراكدة لأننا نملك العزم الذى سيحول الصحراء إلى جنات وارفة ، والطاقة التى تحول الغابات إلى مصانع متكبرة ، والشحنة التى تعمق لهذه المياه مجرى كبيراً ترف على شطآنه الأغنيات ، وتزدهر بالقرب منه الثمار ، وتشتعل الحياة بعيدة عنه بالإنتاج .

ولعلنا نذكر المتشككين فى مستقبل القارة بأن ما اغتصب من كنوز هذه القارة ، واعتصر منها كان كفيلا بأن يجعلها فى مقدمة القارات غنى ، وتقدماً ، وثقافة ، وأن هذا الشيء الكبير الذى انتهب ليس إلا قطرات صغيرة من بحرها الكبير الزاخر الذى سيفيض فى الغد على كل أبناء القارة ، ويسلمهم ما يستطيعون به أن يكونوا فى مقدمة البشرية جميعها .

.. لقد مضى عصر إفريقيـــة المتنحية ، وبدأ عصر إفريقية الذى يشارك فى كل الأحداث .

عصر « إفريقية الجديدة »

« ع . ب »



إفريقية فى خطبة الرئيس

كان الرئيس جمال عبد الناصر ، فى الخطاب العظيم الذى ألقاه فى الأمم المتحدة فى ٢٧ من سبتمبر عام ١٩٦٠ صوت القارة الإفريقية ، وقلبها الخافق الذى عبر عن آلامها ، وأومأ إلى غدها ، كما كان صوت كل الشعوب المحبة للسلام ، وللحرية ، وإن القارة لتفخر به كواحد من أبنائها العظام الذين يساندون كل وثبة تحرر فيها ، بل نستطيع أن نقول إنه وراء أكثر أحداث القارة فثورته التى قام بها فى الشمال وجدت صدى فى كل إفريقية ، وحرّكت ضمائر كل أبنائها ، ودفعت بأبنائها إلى التضييق على الاستعمار ، ثم التخلص منه ، وفى ضوء هذا النور الذى ما زال يتدفق من القاهرة ابتداء من عام ١٩٥٢ رفع أكثر من علم فى إفريقية ، وحطمت أكثر من قوة طاغية ، ورسمت خريطة محررة لإفريقية . . كل إفريقية

فلقد جاء فى خطاب الرئيس ما يأتى :

لقد شهدت القارة الإفريقية نهاية صورة من صور الاستعمار منذ أربعة أعوام ، وتشهد القارة الإفريقية اليوم بداية صورة جديدة من صور هذا الاستعمار .

كانت السويس نهاية الاستعمار السافر المسلح ومقبرته ، واليوم نجد أن « الكونغو » بداية الاستعمار المقنع الذى لا يتورع حتى عن محاولة استغلال الأمم المتحدة ذاتها ، كستار يخفى وراءه مطامعه ، ويقوم من خلف ظهره بمناوراته لتحقيق أغراضه ، ولقد كان المعنى الحقيقى للسويس بالنسبة للحركات التحررية فى آسيا وإفريقية أنه قد مضى ذلك العهد الذى كانت القوى الاستعمارية تملك أن تحشد الجيوش فيه ، وتوجه الأساطيل إلى ضرب حركات التحرير .

لقد أثبتت حرب السويس أن الحرية لها أسلحتها ، وأن الحرية لها أصدقاؤها فى كل مكان ، ولقد كنتم أنتم هنا فى هذا المكان ، فى هذه القاعة بالذات ، من أسلحة الحرية وأصدقائها ، وبفضلكم ، وبفضل جهودكم التى مثلت قمة الإيمان العالمى بالحرية ، استطاع شعبنا أن يصمد ضد العدوان ، وما لبث المد الاستعمارى أن انحسر عن شواطئنا ، واندحر ، وكان



الرئيس جمال عبد الناصر

انحساره ، واندحاره نهاية عهد المطامع المسلحة !

ولقد كان محتماً بعدها أن يبحث الاستعمار عن أداة أخرى لمطامعه ، ولقد شهدنا بعد السويس ما يمكن أن نسميه فترة التردد الاستعمارى ، فترة كان الاستعمار فيها ثائراً بين دوافعه ومطامعه ، وبين المراكز القوية التى استطاعت حركة التحرير أن تحصن بها نفسها ، هكذا رأينا الاستعمار متردداً بين الإقدام والإحجام ، تناديه المطامع أن يضرب وأن يبطش ، ثم تشده حقائق الحياة عن المضى إلى تنفيذ هواه .

الاستعمار والكونغو :

على أن الخطر الأكبر الذى واجهه شعب الكونغو وواجهناه معه : هو أن الاستعمار يحاول اليوم أن يتخذ من الأمم المتحدة أحد الأقنعة ، وهكذا وجدنا للمحاولة الاستعمارية فى الكونغو ضحيتين « شعب الكونغو ، والأمم المتحدة » ، ومن أجلهما الآن وهما يواجهان نفس الخطر نناشد الذين يؤمنون بالحرية ، وبالأمم المتحدة طريقاً إلى تطوير المجتمع الإنسانى ، أن يقفوا صفاً واحداً للدفاع عنهما معاً ، ولقد ذهبت الأمم المتحدة إلى الكونغو بدعوة من حكومة الكونغو الشرعية وليدة يوم الاستقلال وثمرته لتحقيق هدفين : أولهما ، حماية استقلال الكونغو ، وثانيهما ، صيانة وحدته الوطنية ، وكانت حماية الاستقلال تستهدف إجلاء جنود الاستعمار ، وكانت صيانة الوحدة الوطنية تستهدف إزالة الحواجز الصناعية التى حاول الاستعمار بواسطة أعوانه أن يمزق بها الوطن الواحد ويفرقه .

أين استقلال الكونغو :

ونسأل أنفسنا الآن ماذا حدث ، نسأل أين هو الاستقلال فى الكونغو والجواب أن الاستعمار بجهوده ، وسلاحه ما زال أجزاء من الكونغو ، ونسأل وأين هى الوحدة الوطنية ؟ والجواب أنه من المفارقات المروعة أن حكومة الكونغو الشرعية الوطنية تواجه المصاعب ، بينما جماعة التمرد التى يحركها الاستعمار هى وحدها المستقرة فى كاتنجا .

وإنه لتدهور فى الموقف خطير ، ولكن الخطر الأكبر أن ذلك كله حدث وعلم الأمم المتحدة يخفق فوق الكونغو . كيف حدث ذلك ؟ ومن المسئول عنه ؟

تلك أسئلة من حقنا هنا ، بل من واجبنا أن نجد الإجابة عنها ، لا من أجل شعب الكونغو وحده ، وإنما أيضاً ، من أجل الأمم المتحدة ، ومن أجل شرف علمها ، ولسوف يبقى بعد ذلك كله سؤال .. كيف نواجه الموقف ؟ والجواب فى رأى الجمهورية العربية المتحدة أنه لا بد أن تعود الأمور

سيرتها الأولى . إن تصحيح الخطأ يقتضى الرجوع إلى ما قبل نقطة بدايته ، وإذا ما جال فى تصور أى منا أن طريق الرجوع صعب المنال ، وأن الأمر الواقع كما هو الآن يصلح ليكون أساساً لإصلاح الموقف ، فإنى أسمح لنفسى من تجربتنا الخاصة ، ومن آلام منطقتنا من العالم أن أرفع صوتى بالتنبيه ، والتحذير .

إن السكوت على خطأ يؤدى إلى سلسلة من الأخطاء ، وإن جذور المشاكل وإن بدت صغيرة لو تركت فى الأرض الآن ، فإن مرور الزمان لن يدفع بها إلى النسيان ، بل إن هذه الجذور سوف تكبر مع كل يوم ، ولن يزيدها مر السنين إلا تعقيداً وخطورة .

إن التعلل بالأمر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادئ ، ولو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السارق لنسترد منه ما سرق ، ولنقتص منه بحكم القانون ، ذلك أن سرقته تصبح بعد اتمامها أمراً واقعاً .

إنما الأمر الواقع على غير أساس من العدل ، وحكم القانون اعوجاج ينبغى على المجتمع تقويمه ، وتلافيه .

فرنسا والجزائر :

وإننا لنرى أمامنا المثال الصارخ الفاضح لهذا التجاهل فى سياسة فرنسا تجاه الجزائر ، فلقد عرقلت الحكومة الفرنسية كل محاولة للأمم المتحدة تستهدف وضع حد للمجازر الاستعمارية فى الجزائر ، وراحت هذه الحكومة تتصور أنها قادرة بالمدافع على أن تغير إرادة الله الذى جعل الجزائر قطعة من القارة الإفريقية ، وجعل شعبها جزءاً من الأمة العربية ، فإذا هى تحاول أن تجعل من أرضها امتداداً جغرافياً لفرنسا ، ومن شعبها شعباً تابعاً مستعبداً ، وبرغم كل المحاولات التى بذلتها الحكومة الجزائرية الحرة التى تعبر عن تصميم شعب الجزائر ، وترمز لإصراره على الاستقلال ، رغم كل المحاولات التى بذلتها هذه الحكومة الجزائرية من أجل الوصول إلى حل سلمى فإن هذه المحاولات كلها لم تصل إلى نتيجة إيجابية .

بل لقد حدث فى مطلع عام ١٩٥٦ أن وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت مر بالقاهرة وكان حديثنا بالطبع عن الحرب فى الجزائر ، وكانت هذه الحرب قد سلخت حينذاك أقل من عام من عمرها ، وطلبت منى الحكومة الفرنسية بلسان وزير خارجيتها أن أتوسط لإيجاد حل سلمى وكان ردى أننى على استعداد للتوسط صيانة للحقوق ، وصيانة للدماء ، وأنه ليس أحب إلينا من عقد سلم شريف يصون لكل صاحب حق حقه ، وأبدت الحكومة الفرنسية فى ذلك الوقت

رغبتها فى إرسال وفد إلى القاهرة ليتولى المفاوضات مع زعماء المقاومة فى الجزائر ، ولقد أرسلت فعلا إلى هؤلاء الزعماء أدعوهم إلى القاهرة ليلتقوا بالوفد الفرنسى حين يجىء لعل المحاولة أن تسفر عن بارقة رجاء .

ومن أسف أن الوفد الفرنسى وصل إلى القاهرة فعلا ، والتقى بالوفد الجزائرى ، ثم سافر هذا الوفد إلى فرنسا لإجراء مشاورات مع حكومته وظل الوفد الجزائرى فى انتظاره فى القاهرة ، ولكن الوفد الفرنسى لم يعد حتى هذه اللحظة إلى القاهرة ، بل كان أكثر مدعاة للأسف إذ ظلت فرنسا تتحين الفرص بهؤلاء الزعماء حتى استطاعت أن ترغم طائرة مدنية كانوا بين ركابها فوق البحر على النزول فى أحد المطارات الخاضعة لسيطرتها ، ثم ألقت القبض على هؤلاء الزعماء ، ولو أن هذه الرغبة فى السلم القائم على العدل من الجانب الجزائرى العربى ، بل ومن الإجماع العربى عموماً لقيت ما كانت تستحقه من نية حسنة لما مضت الحرب بعد ذلك أربع سنوات كاملة .

وإنه لمن دواعى الأسف أن الحكومـــة الفرنسيـــة راحت تقيم معسكرات الاعتقال ، وراحت تجرى كل ألوان التعذيب الوحشى ضـــد الأحرار من ثوار الجزائر ، الأمر الذى ثار له الضمير العالمى حتى فى فرنسا ذاتها ، وإنه لمن المؤلم أن وفد الحكومة الجزائرية لم يجد حين ذهب أخيراً إلى « ميلون » فى فرنسا وراء الأمل الشاحب فى إيجاد حل غير تلك المعاملة الفظة المتجبرة الراغبة فى إملاء شروطها . ولكن وفد الحكومة الجزائرية الحرة لم يذهب إلى « ميلون » للاستسلام ، وإنما ذهب للسلام .

وليس يخالجنا شك فى أن الحرب الدائرة فى الجزائر اليوم ، والتى قدم لها الشعب الجزائرى طواعية أرواح مليون من أبنائه حتى الآن لا يمكن أن تنتهى بغير انتصار الحرية ، وأن الأمم المتحدة اليوم يتعين عليها أن تقوم بواجبها . وما أظن أننا نغالى فى الطلب إذا تقدمنا الآن نطلب حق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره على أساس استفتاء يتم تحت إشراف الأمم المتحدة ، وفى رقابتها وحمايتها .

التفرقة العنصرية :

لا بد للأمم المتحدة فى ذلك كله ، وفى غيره . وعلى الأخص فى مشكلة التمييز العنصرى المقيت ، وفى أمر كفاح الشعب العربى فى عمان ، والمحميات فى شبه الجزيرة العربية أن تذكر وجودها حتى نفرض هذا الوجود باعتباره المفهوم الوحيد للسلام القائم على العدل .

مؤتمر باندونج :

ولقد كان مؤتمر باندونج الذى

جتمعت إليه الشعوب الإفريقيــة الآسيوية ذروة من ذرا كفاحنا الوطني في الدعوة الإيجابية إلى مبادئنا ، كذلك فإن هذه القاعة بالذات ، قاعة الجمعية العامـــة قد شهدت ذروة استعدادنا للدفاع عن هذه المبادئ .

كذلك حينما وقفت الأمة العربية ترد العدوان المسلح على مصر فى شهرى أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٦ ، ولقد كان مما شرف كفاحنا ، ورفع من قدره أن المجتمع الدولى المتحضر ، ممثلا فى هذه الجمعية العامة للأمم المتحدة قد انتصر لدفاعنا عن مبادئنا ، ووقف ضد محاولة العدوان عليها ، ذلك هو إيماننا بعدم الانحياز طريقاً إلى السلام ، إيماننا بدعوة صادقة خالصة ، وإيماننا به نضالا إيجابياً مقاتلا .

من هذا الإيمان بالحق ، وبالسلام المستند عليه تجئ الجمهورية العربية المتحدة إلى هذه الدورة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتشارك فى أعمالها بكل طاقاتها ، وإمكانياتها .

أعلن مؤتمر باندونج أساسين بارزين للوصول إلى السلام ، فتح باب الأمم المتحدة أمام جميع الدول ، ثم ضرورة نزع السلاح ، وتحريم إنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية ، وتجربتها .

إن الحاجة ماسة خصوصاً فى آسيا ، وإفريقية إلى التقدم الاجتماعى ، وإلى مستويات أعلى للحياة ، وإن الطاقة الذرية ، وتوجيهها إلى الأغراض السلمية ، يمكن أن يواجه مشاكل التنمية فى الدول المتطلعة إليها .

إن استقرار السلام أو التحرر من الشك والخوف يفرض على الأمم أن تمارس التسامح ، وأن تعيش معاً فى السلام ، ولرسم حدود هذا التعايش السلمى ، وضع المؤتمر صورة للقواعد الأخلاقية التى يمكن أن تربط العلاقات بين الدول .

إن الشعوب المناضلة كلها الآن مستعدة للحرية ، مستعدة لتحمل مسئولياتها ، مستعدة للتعاون على أوسع مدى فى سبيل هذه الحرية وتمكينها ، وإن مما يضاعف من مسئوليتنا هنا أن الظرف الذى نواجهه خطر ، والمشاكل التى تحكمه معقدة ، والجو المحيط بنا جميعاً هو جو الشك ، والحرص ، والتربص ، وإن خطأ واحداً فى الحساب من جانب أى من الأطراف قادر فى بضع دقائق على الإطاحة بأجمل ، وأعظم ما حصل عليه جنسنا البشرى خلال كفاح رائع طويل .

هذا هو الدستور الذى أعلنه الرئيس فى الأمم المتحدة ، والذى فى ضوئه تمكن أن تعيش البشرية فى وئام ، ومن خلال هذا كله نلمح حباً كبيراً للقارة الإفريقية ، وإيماناً قوياً بماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها

الصومال بعد الاستقلال

للأستاذ : سعد غزال

إن الاستعمار الاقتصادى ، هو المبعوث الأمريكى غير الرسمى فى الصومال ، بل فى كافة البلاد الإفريقية التى تحررت أو التى على أبواب التحرر — والتى هى بحكم ظروفها ، ميدان لتنافس القوى العالمية التى تتسابق لتدعيم نفوذها .

ووراء الدولارات الأمريكية ، الاستعمار الأمريكى الذى لم يعد قناعه يحجب شيئاً عن ذى عينين . . .

وأسلوب الاستعمار الأمريكى يختلف عن غيره بأنه لا يعتمد على الضغط من الخارج بقدر ما يلجأ إلى ما يسمى « الغزو من الداخل » .

وقبل الحديث عن دور هذا السلاح نرى لزاماً أن نشير إلى أهمية الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى هذا « القرن الإفريقى » ، ولماذا كان النشاط الأمريكى بالذات أقوى وأبرز نشاط غربى فى هذه المنطقة .

فالواقع أن النشاط الأمريكى بوجهه الاقتصادى أو السياسى أو العسكرى ، يقوم بدور هام لا فى منطقة الصومال فحسب ، وإنما فى غالبية البلاد الإفريقية — لتدعيم نفوذ الولايات المتحدة فى أجزاء من المنطقة ، أو لخلق مناطق نفوذ جديدة فى أجزائها الأخرى .

وتشير الدلائل إلى أن هناك اتفاقاً على إطلاق يد الولايات المتحدة فى الصومال فى نظير تأييدها لبقاء السيطرة البريطانية على جنوب الجزيرة العربية والخليج العربى ، وأن تتعاون الدولتان فى السيطرة على المناطق الاستراتيجية فى المنطقتين لاستكمال سلسلة القواعد العسكرية التى تمتد فى مصوع ونيروبى وعدن والبحرين .

فمن المعروف أن الحالة الاقتصادية فى الصومال تمر بأزمة ترجع إلى عهد ما قبل الاستقلال ،وتعانى الميزانية فى كل من صوماليا والمحمية عجزاً امتد إلى ما بعد الاستقلال والوحدة ، بل تفاقم بسبب التزامات الدولة المستقلة الموحدة بالإضافة إلى توقف المعونة البريطانية التى كانت تمنح سنوياً لمحمية الصومال قبل الاستقلال ، والتى توقفت بعد الاستقلال . ولذلك تقدمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا بعروض لتقدم مساعدات اقتصادية للصومال المستقل .

والولايات المتحدة حين تقدم مساعداتها الاقتصادية أو الفنية فإنما

همها من ذلك أن يظل الصومال يشعر أنه دائماً فى حاجة إليها ، وأنه لا يستطيع الاستغناء عنها ، فى الوقت الذى تخدم فيه هذه المعونات المصالح الأمريكية قبل مصالح الأهلين . وتقوم هذه المعونات — أيا كانت صورتها — بدور كبير فى الدعاية الأمريكية .

ولذلك لجأت رؤوس الأموال الأمريكية منذ مدة طويلة إلى المشاريع الاستغلالية بعيدة المدى ، كالتعدين — وحرصت بصفة خاصة على الهيمنة على عمليات البحث عن البترول التى أنفقت عليها الأموال الطائلة[1] — وإن كانت بعض المعلومات تؤكد أن الشركات الأمريكية القائمة على هذه المشاريع كانت توفد بعثات من موظفيها لجوب البلاد من أقصاها إلى أقصاها لجمع المعلومات عنها، ودراسة أحوالها ونفسية أهلها ورسم خرائط دقيقة للبلاد لاستخدامها فى الأغراض العسكرية مستقبلاً . وكل ذلك يتم تحت ستار « البحث عن المعادن » .

وكان طبيعياً أن تلاقى هذه السياسة الأمريكية نجاحاً فى تدعيم النفوذ الأمريكى فى الصومال فى عهد ما قبل الاستقلال ، لأن كلا من نظام الوصاية الإيطالية والحماية البريطانية يسمح للولايات المتحدة بتقوية نفوذها فى الصومال ، بل كان يعمل على تشجيع النفوذ الأمريكى تدعيماً للجبهة الغربية فى بلد على أبواب الاستقلال .

وكان معروفاً بالطبع أن الاستقلال وما يترتب عليه من زوال الإدارة الإيطالية والبريطانية من صوماليا والمحمية — سيضع أمام السياسة الأمريكية صعوبات وعراقيل جديدة . لذلك صارحت الولايات المتحدة على لسان ساستها وصحافتها بمعارضة فكرة استقلال الصومال .

ففى نوفمبر من عام ١٩٥٨ أعلن الحاكم الإدارى (الإيطالى) بالصومال أن بلاده مستعدة لإنهاء وصايتها على الصومال فوراً إذا أراد الشعب ذلك . فما كان من سفير الولايات المتحدة فى روما إلا أن بادر بتقديم احتجاج إلى وزير الخارجية الإيطالية على تصريح الحاكم الإدارى هذا .

وقد نشرت الصحف الأمريكية فى العام الماضى تصريحاً منسوباً لأحد المسئولين الأمريكيين فى مقديشيو يقول فيه« إن استقلال صوماليا فى عام ١٩٦٠ أو ما بعد ذلك أمر غير متوقع ، فإن هذه الدولة لا تتوافر لها المقومات الاقتصادية وغير الاقتصادية المطلوبة

(١) تدل المعلومات المستقاه من شركة سنكر الأمريكية للبترول على أن النفقات التى أنفقتها هذه الشركة وحدها فى الصومال ما بين عامى ١٩٥٠ — ١٩٥٧ بلغ ما يعادل ٢ر٤ مليون جنيه استرلينى .

لإقامة الدولة ، ولا تستطيع الاعتماد على نفسها ولا أن تعيش وحدها كدولة . ومن الخير بالنسبة لمستقبلها أن تضم إلى الإمبراطورية الأثيوبية . ! »

لهذا لم يكن غريباً أن تنبرى الصحافة الأمريكية إلى تسفيه فكرة الاستقلال وإظهار عجز الصومال الاقتصادى بمظهر الداء العضال الذى لا علاج له إلا ببقاء البلاد تحت الإدارة الأجنبية . وقد قام مكتب الاستعلامات الأمريكى بمقديشيو بدور فعَّال فى هذا المجال حيث أصدر عديداً من الكتب والنشرات تدعو إلى المعونات الفنية والاقتصادية كمشروع النقطة الرابعة الأمريكية .

من أجل هذا كان أمام الصوماليين فى مطلع عهد الاستقلال هذا أن يجابهوا هذه المشكلة بالغة الخطورة ، وهى النفوذ الأمريكى السافر عن طريق المعونة الاقتصادية .

ومما يذكر فى هذا المجال أن الجمهورية العربية المتحدة قد قدَّمت اقتراحاً فى مجلس الوصاية — قبل إعلان الاستقلال — بتكوين صندوق دولى تابع للأمم المتحدة مهمته أن يتلقى المساعدات التى تتقدم بها الدول لمساعدة الصومال ، وأن يكون هذا المشروع تحت إشراف الأمم المتحدة ، وذلك لقطع الطريق على أى نفوذ أجنبى جديد فى الصومال يأتى عن طريق المعونة الأجنبية .



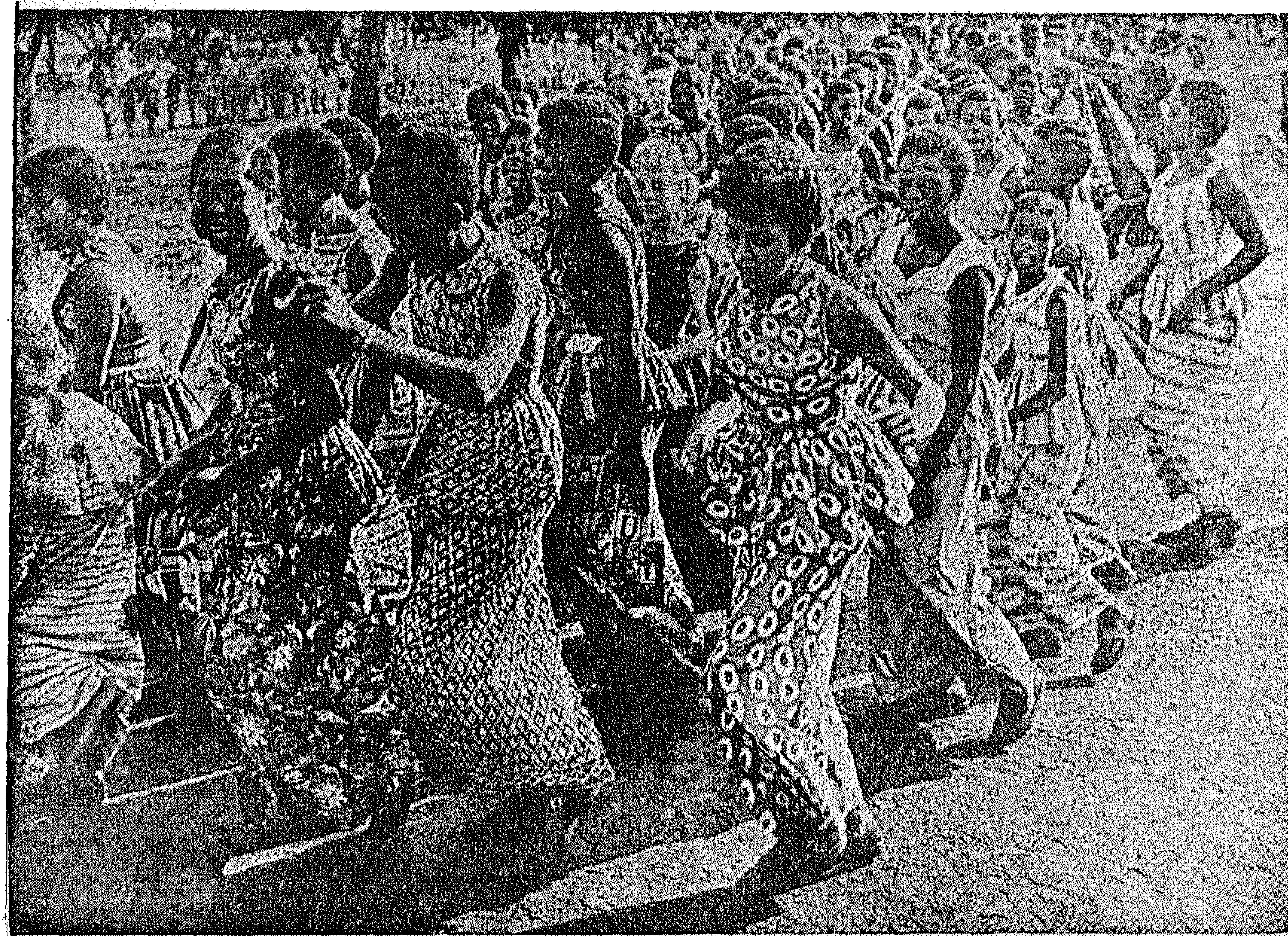
جولة مصورة حول



« من الفن الإفريقى »



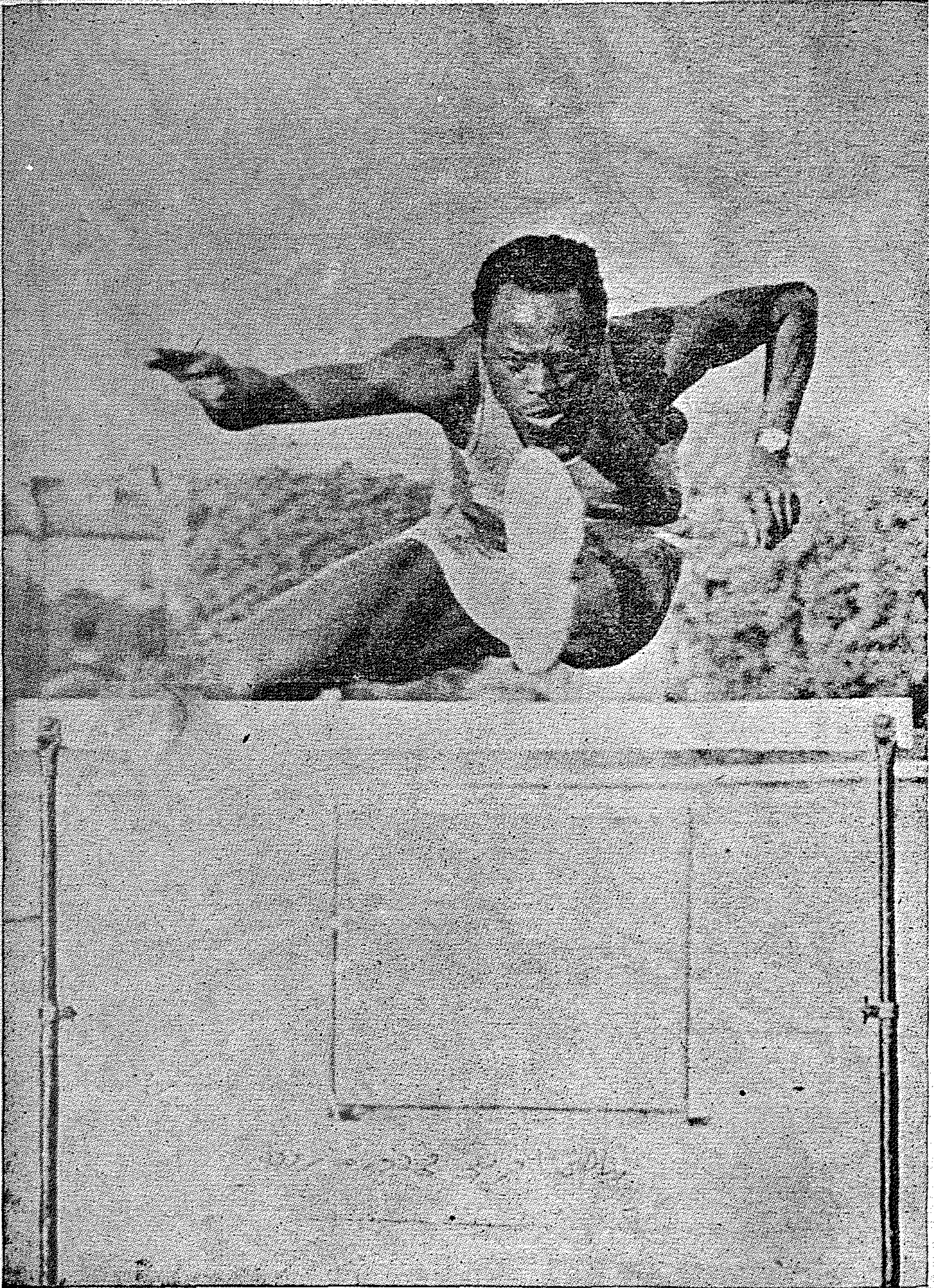
« فى السوق »



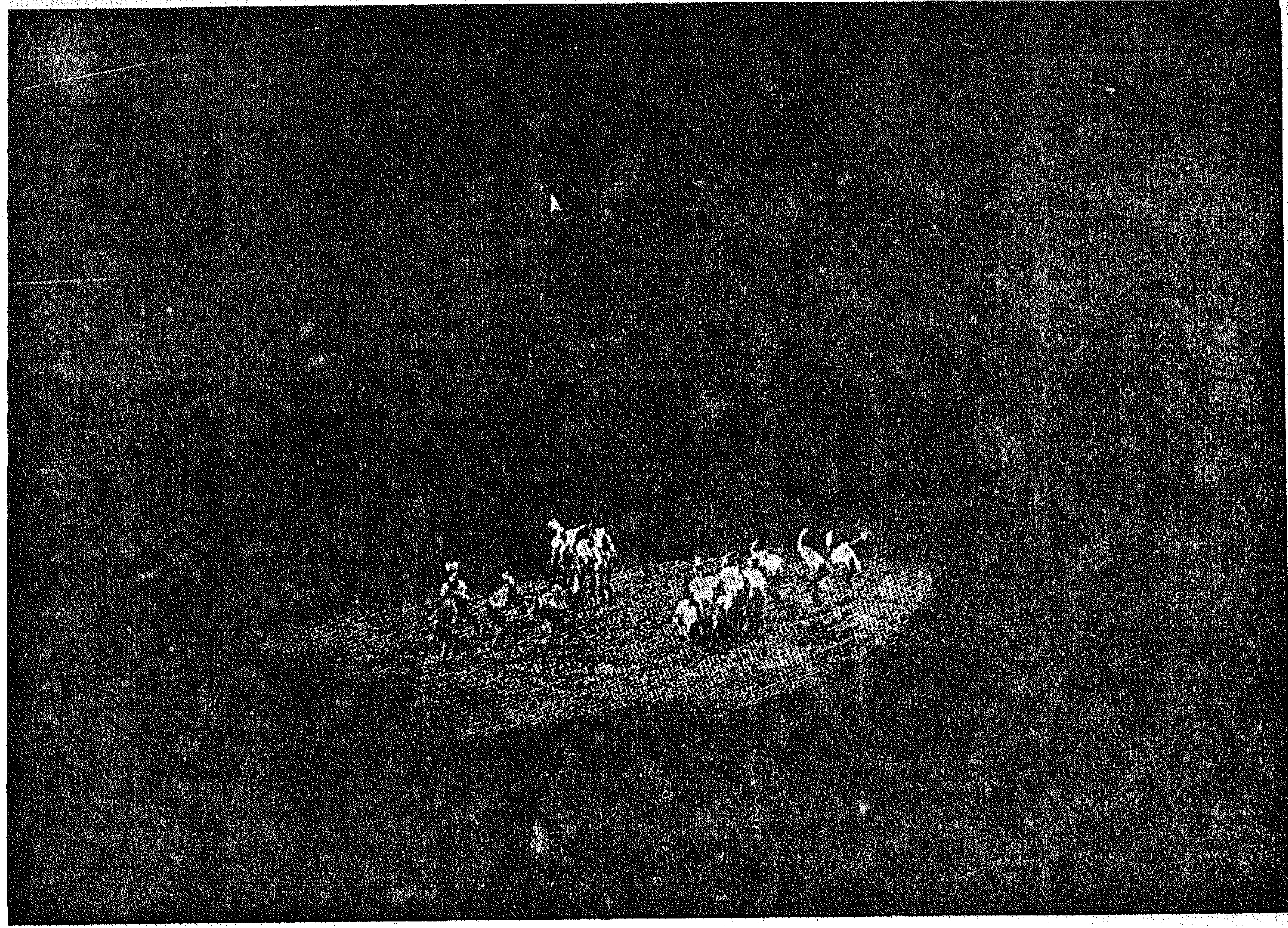
وقت المرح فى جامعة « اشيموتا »



« حاملات الجرار »



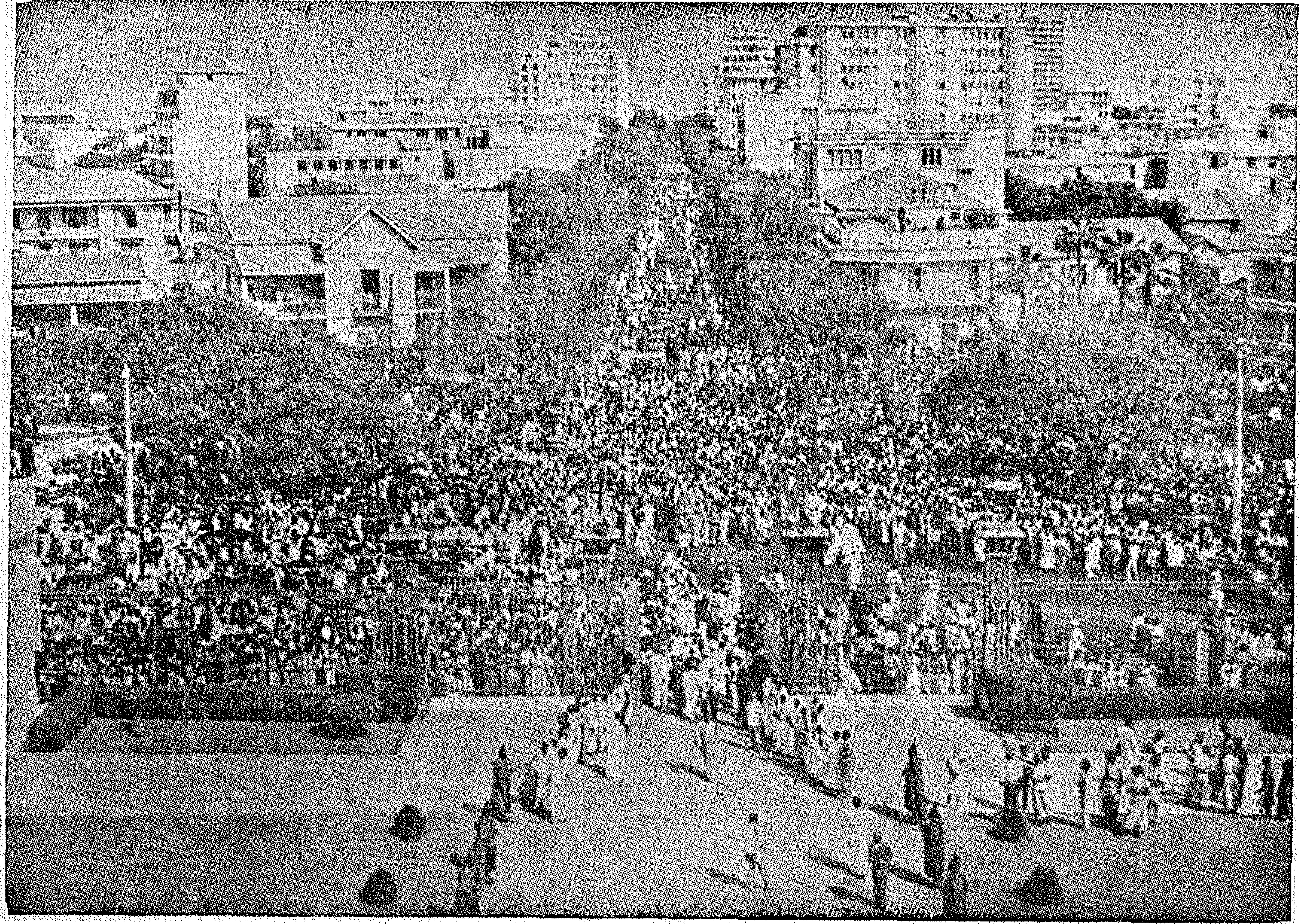
« رياضي إفريقي في دورة روما »



«من فن الباليه الإفريقى»



« من ريف غانة »



«الاحتفال باستقلال مالي»

السياسة الأمريكية فى الكونغو

بقلم عبد الواحد ابراهيم الانبالى

فى الخطاب الذى ألقاه «أيزنهاور» أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم فى دورتها التى ضمت أقطاب العالم ، أعلن عن مشروع مفصل للمساعدات التى يمكن أن تقدم لإفريقية باعتبار أن دولها من الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، وليس من شك فى أن هذا الموقف من جانب أيزنهاور إنما يعبر عن مدى اهتمام الحكومة الأمريكية بتطور الأحداث فى دول القارة الإفريقية ، كما أن ظهرت المئات من الكتب التى وضعها كتاب أمريكيون عن إفريقية ، واهتمام الصحافة الأمريكية على اختلاف نزعاتها بشئون هذه القارة .

كل هذه الاتجاهات الجديدة التى أصبحت تميز موقف السياسة الأمريكية من إفريقية تدل على أن حكومة الولايات المتحدة قد بدأت تشترك مع الدول الاستعمارية فى استغلال ثروات الشعوب المتخلفة خدمة للمصالح الذاتية ، بل ليس حديث أيزنهاور عن ضرورة المساعدات التى يجب أن تقدم إلى دول إفريقية بالأمر الجديد على السياسة الأمريكية ، فإن دالاس وزير الخارجية السابق قد أكد — فى حديث له — مدى أهمية دور « المساعدات والاستثمارات الأمريكية » فى قارة إفريقيا التى تتطور فيها الأحداث بصورة سريعة مذهلة .

ولندع الآن جانباً ، مسألة اهتمام أمريكا بالقارة الإفريقية وحرصها على تثبيت أقدامها فى مختلف مجالات النشاط فيها ولنتحدث فقط عن سياستها فى الكنغو ، وعلاقاتها بهذا الجزء من إفريقية وتحديد موقف المسئولين فيها من الأحداث التى يشهدها هذا البلد الإفريقى اليوم .

فى عام ١٩٠٦ سعى ج . ب مورجان — وهو من كبار الرأسماليين الأمريكان ، وجون روكفلر وتوماس فريتشن إلى مقابلة الملك ليوبولد ملك بلجيكا باعتباره صاحب السلطة فى الكنغو وعرضوا عليه السماح لرأس المال الأمريكى بالاشتراك فى استثمار ثروة الكنغو ، ولم تمضى إلا أيام حتى حصلت شركة ديان ودانيل الأمريكية على امتياز فى الكنغو البلجيكى لمدة ٩٩ عاماً لجمع المطاط وغيره من

المنتجات النباتية فى مساحة تزيد عن ٤٠٠٠ ميل مربع من غابات الكونغو ، وعرضت الشركة أيضاً على ليوبولد شراء ٢٠٠٠ ميل مربع .

لم يكد يأتى عام ١٩٢١ حتى استطاعت هذه الشركة أن تحتكر التجارة فى منطقة من الغابات تبلغ مساحتها حوالى ٣٨٦ ميلا مربعاً ، ونجحت أيضاً ، فى الحصول على امتياز لمدة ٩٩ عاماً للبحث عن المعادن فى مناطق أخرى ، فعثرت على الماس وسارعت العناصر الرأسمالية الأمريكية بإقامة شركة دولية تتولى احتكار منتجات الغابات والمعادن فى الكنغو ، وحصلت هذه الشركة على امتياز يخول لها حق استغلال المناجم التى تم كشفها خلال ست سنوات ، ويتضمن هذا الامتياز التصريح لهذه الشركة بضم مساحة واسعة تقدر بنصف مساحة الكنغو كله وظلت الشركة تحتل هذه المنطقة باعتبارها منطقة تحت الكشف عن المعادن لمدة ٩٩ سنة ، ومن المخزى بالنسبة للسياسة البلجيكية أن ليوبولد وأصحاب البنوك قد استولوا لأنفسهم على أنصبة كبيرة من هذه الامتيازات

وهكذادخلت أمريكا بلاد الكنغو وبدأت الحلقة الأولى من اتصالها بهذا الجزء من إفريقية بدافع من الاستغلال واحتكار الثروات المعدنية فيها ، حتى ظهر فى الأفق رجل وضع أيدى المسئولين فى الولايات المتحدة على مصدر من أهم مصادر القوى فى الميزان الحربى ، هذا الرجل هو ادجار ادوار سنجيبه رئيس مجلس إدارة اتحاد التعدين لكاتانجا العليا وهو الاتحاد الذى يسيطر على الشركة العامة التى تتحكم — بدورها — فى ماجريات الأمور فى دولة الكنغو كلها ، لقد استطاع سنجيبه فى بداية الحرب أن يقدم لأمريكا مادة اليورانيوم التى تتوافر بكثرة فى أرض الكنغو ، فنجحت الولايات المتحدة بفضل وجود هذه المادة بين يديها فى صنع القنبلة الذرية التى أنهت الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء .

وفى عام ١٩٥٥ زار جورج ألان وكيل وزارة الخارجيــة الأمريكية إفريقية ، وذهب إلى الكنغو حيث كتب تقريراً ضافياً عن الأوضاع فيها ، فظهر مدى اهتمام أمريكا بالأوضاع الاقتصادية والاستراتيجية فى هذا الجزء من إفريقية .

وفى ١٥ من يونيو عام ١٩٥٥ تم اتفاق جديد لتعديل النظام الذى ظل سارياً منذ الحرب لاستغلال يورانيوم الكنغو الذى يمثل الجانب الأكبر من احتياجات أمريكا من هذه المادة .

والاتفاق الجديد يحرم على بلجيكا أن تصدر لأى بلد خلاف أمريكا وبريطانيا شيئاً من إنتاج الكنغو من اليورانيوم إلا إذا تأكدت أنه لا

يستخدم إلا فى الأغراض السلمية ، وعليها فى هذه الحالة ألا تقدم على ذلك إلا بعد التشاور مع أمريكا ، كما يقضى الاتفاق بأن تتولى « وكالة التنمية المتحدة » شراء خام اليورانيوم ، وأن تكون لها الأولوية فى شراء ٩٠٪ من الإنتاج خلال سنتى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ثم ٧٥٪ خلال السنوات من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٠ ، وأن تقدر بلجيكا بعد سنة ١٩٦٠ مدى ما تحتاجه من هذه المادة بالتشاور مع أمريكا . ومن المؤسف أن شعب الكنغو لم يكن طرفاً فى هذا الاتفاق الذى يعطى أمريكا سيطرة كاملة على هذه المادة الرهيبة التى يشكل حصول أمريكا عليها عاملا إيجابياً فى سباق التسلح الذرى .

ولقد نشرت جريدة « أمريكا » قصة العلاقة بين الملك ليوبولد والرأسمالية الأمريكية فى بداية القرن العشرين . وبين هيرست صاحب المقال كيف كان يعمل ليوبولد على اكتساب عطف الأمريكيين فى مقابل فتح أبواب الكنغو لهم للاستغلال والاستثمار ، وأفشى هيرست سر الرشاوى البلجيكية التى استولى عليها أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب ، كما تحدث عن استعانة ليوبولد بالعلماء البلجيكيين الذين أوفدهم لتضليل زملائهم الأمريكيين ، وعن استخدامه حتى لسلطة الكاثوليك الدينية لتحقيق أغراضه .

فى ظل هذه الحقائق التاريخية والوقائع الثابتة يمكن أن نفهم سر اهتمام الولايات المتحدة بدولة الكنغو واتجاه التيارات السياسية فيها ، فهدف السياسة الأمريكية دائماً ، سواء كان فى الكنغو أم فى أى جزء آخر من أية قارة ، يتلخص فى الحصول على الموقع الاستراتيجى لإقامة محطاتها العسكرية فيها واستغلال الثروات المختلفة لتنمية رأس المال الأمريكى ، والاستيلاء على سوق رائجة لتوزيع الفائض الصناعى والاقتصادى الأمريكى ثم أخيراً نشر الثقافة الأمريكية لتشكيل عقلية أهل البلاد بالطابع الذى يرضى غرور المفكرين الأمريكيين .

كما تحيا بعد السويس

بقلم : فوزى سليمان

يقول الدكتور كوامى نكرومة : « على شعوب إفريقية أن تتضامن فى كفاحها وأن تساند الكونغو فى معركته ، فإن معركة الكونغو استمرار لمعركة السويس » .

والواقع أن معركة الحرية واحدة وقد بدأ الاستعمار يسلك طريق التراجع والتسليم بعد حرب السويس ولا محيد له عن أن يستمر فى التراجع والتسليم فى أية معركة مقبلة من معارك الحرية .

ولقد كان لانتصار الحركات التحررية والقومية فى شمال القارة ولتأكيد التضامن الإفريقى الآسيوى أثره فى شد أزر الحركات التحررية فى القارة الإفريقية كلها ، فقامت شعوب المستعمرات تطالب بالاستقلال التام ، واندلعت الثورات من الجزائر إلى الكونغو تقض مضجع الأجنبى المستعمر وتحيل أمنه إلى خوف وجزع حتى تنتزع منه حقها المسلوب .

وبعـد كفاح مرير اضطرت بلجيكا إلى التسليم بحق الكونغو فى الاستقـلال ووقف لومومبا رئيس الوزراء يخطب فى الجموع المحتشدة احتفالا بالاستقلال الوليد ويقول : « ليس جديراً بحمل لقب مواطن فى الكونغو من يستطيع أن ينسى يوماً ذلك الجهد المرير الذى يبذل لنيل الاستقلال ، ولقد تحملنا الإهانات والصفعات ليل نهار وكنا نعلم أن القانون لم يكن يسوى مطلقاً بين البيض والسود . . لقد كانت معركة الدماء والنار معركة شريفة لازمة لوضع حد للإذلال الذى فرضته القوة علينا »

ولكن . . أيسهل على الاستعماريين أن يتركوا الكونغو – البقرة السوداء الحلوب – ، ودرة التاج البلجيكى بمثل هذه البساطة ؟ . . إن الملك « ليوبولد الثانى » ملك بلجيكا نفسه ، لم يكن يحلم بأن الكونغو غنى بموارده الطبيعية كما ثبت فعلا فيما بعد . . وهو حقاً قطر غنى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان . ويقوم اقتصاده على أسس قوية حتى أنه يعتبر بلا نزاع أغنى المستعمرات الأوروبية فى إفريقية على الإطلاق . وعند ما حل الاستعمار البلجيكى بأرض الكونغو كانت إذ ذاك أرضاً عذراء لا تزال على طبيعتها لم تمسسها يد إنسان بالتغيير والاستغلال

وكان سكانها من القلة بحيث تكفيهم زراعة بعض الأراضى ، فوجد البلجيكيكيون كنوزها كما هى .. غابات بالغة الثراء .. وقوى مائية غير محدودة .. وثروات معدنية دفينة لا تكاد تنضب وطاقة بشرية يسخرونها لتحقيق أغراضهم ، وكان هم البلجيكيين هو حفظ النظام والقضاء على كل عاص أو متمرد ثم التفرغ لجنى خيرات البلاد ..

وتركزت فى إقليم كاتنجا — على وجه الخصوص — الثروة المعدنية ، فتكونت شركات الاحتكار البلجيكية التى منحت لها امتيازات لا يتصورها العقل لتسهيل عملية الاستغلال .. وقد اكتشف النحاس والقصدير والكمبرليت (خام الماس) والكوبلت والذهب والفضة وغيرها من المعادن — بوفرة — فى إقليم كاتنجا ، ومعظم هذه المعادن ذات أهمية بالغة للانتاج الذرى الحربى والنحاس تستغله فى كاتنجا شركة «اتحاد التعدين فى كاتنجا العليا» . وقد بلغ أول إنتاج لها سنة ١٩١٢ ٢٥٠٠ طن .. ووصل عام ١٩٥٦ إلى ٢٤٩,٩٦٤ طنا .. ويصدر من النحاس كل عام ما قيمته ٣٠ مليون جنيه على الأقل .. أما اليورانيوم فقد قدر الخام الموجود منه فى كاتنجا بـ ٦٠٪ من الخام العالمى .. كما بدأ استخراج الزيت من طبقات الغار قرب ستانلى فيل .

وفى كلمة يمكن أن نقول : إن كنوز الكونغو المعدنية فضلاً ، عن إمكانياته الزراعية لا حد لها ، فإذا أضفنا إلى ذلك وفرة المساقط المائية اللازمة لتوليد الكهرباء بشكل يبلغ أضعاف ما يوجد فى الولايات المتحدة (٢٥٪ من قوى العالم المائية ولا يستغل منها إلا ١٪ فقط) — ثم اكتشاف غاز الميثيلين الذى يستغل فى إنتاج القوى الحرارية بقوة ووفرة ، فقد يعطينا هذا صورة عن الجنة الإفريقية التى يسيل لها لعاب الغرب .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تطمع فى أن ترث بلجيكا فى الكونغو فأخذت تتسرب عن طريق رؤوس أموالها داخل الكونغو وتسهم فى الشركات الاحتكارية البلجيكية وتحاول أن تبتلعها . ذلك لأنها تعتمد فى إنتاجها على المواد الخام الإفريقية ، خاصة عند ما يأخذ رصيدها المحلى فى التناقص فى الوقت الذى يزداد فيه إنتاجها .

وفى هذا يقول أحد رجال الصناعة الأمريكان «لن يأتى عام ١٩٧٠ حتى يكون استهلاكنا من المواد الأولية قد تضاعف فى الوقت الذى بدأت مواردنا تضمحل ، وسيضطرنا هذا إلى الدخول فى منافسة مع الدول التى نالت استقلالها حديثاً ، وبدأت تتخذ طريقها إلى التصنيع ، وإذا كان ازدهارنا الاقتصادى لم يتأثر كثيراً بحرماننا من تدفق المواد الأولية الآسيوية

فإن الحال على عكس ذلك تماماً ، فى إفريقية — إن فى باطن هذه القارة احتياطياً هائلا من المواد المعدنية التى لم تستغل بعد ، تكفى احتياجاتنا مئات السنين ، وسيترتب على حرماننا منها نكسة خطيرة فى ازدهارنا الاقتصادى»

وقد عقدت الولايات المتحدة مع الحكومة البلجيكية عدة اتفاقيات من شأنها أن تجعل أمريكا المحتكر الأول لإنتاج الكونغو المعدنى وبخاصة مواد الفوسفات واليورانيوم والكوبلت والنحاس . وكل ما يلزم للإنتاج الذرى وسباق التسلح الحالى . .

لكل هذه الأسباب لعبت الدول الاستعمارية — وعلى رأسها أمريكا — دورها من وراء الستار فى تشجيع بلجيكا على الوقوف فى وجه استقلال الكونغو ، فكانت مؤامرة فصل إقليم كاتنجا عن الكونغو ، وهى تهدف بذلك إلى :

(أ) قطع أوصال الكونغو بحرمانه من أغنى مقاطعاته .

(ب) أن يحصل الاستعمار على هذا الإقليم غنيمة باردة .

(ج) أن تقوم حرب أهليه فى الكونغو مما يتيح الفرصة لعودة الحكم الاستعمارى إليه .

(د) إن أى نكسه فى استقلال هذا البلد سيكون لها أثرها على البلاد الإفريقية المجاورة له والواقعة تحت سيطرة الاستعمار والتى ستشتد الحركات تحررية فيها بعد استقلال الكونغو .

وبدأت المؤامرة فأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٨ من يونيو سنة ١٩٦٠ بارجة حربية وناقلة جنود وحاملة طائرات إلى حدود الكونغو لاستعراض العضلات ، وتذكير الشعوب المطالبة بالحرية بقوة زعيمة العالم الحر .

وفى الداخل اتصلت بلجيكا بعملائها ممن عاشوا على فتات موائد الاستعمار وعلى رأسهم « تشومبى » — وهو ابن تاجر من أذناب الاستعمار — وهو يقوم بالاتجار فى السياسة لحسابه الخاص ، وأوعزت إليه أن يعلن انفصال كاتنجا — الإقليم الغنى الذى يمثل أكثر من ٧٠٪ من قوة الكونغو الاقتصادية . . . وأخذت الأموال الأجنبية تتسرب ، بل تتدفق على الكونغو فيسيل لها لعاب الأذناب . وتدفق الحمراء البلجيكيون إلى كاتنجا لمعاونة الخائن تشومبى . .

وحاولت الدول الاستعمارية أن تستغل الأمم المتحدة لتحقيق مآربها فى القطر الإفريقى فتساعد تشومبى فى الوقت الذى تقيد فيه لومومبا .

إنها معركة الحرية معركة إفريقية كلها وسيكون استقلال أى بلد إفريقى فى خطر دائم طالما أن هناك بلداً إفريقياً لم يستقل بعد .

وكما كانت معركة السويس داعياً للتضامن بين البلاد العربية والآسيوية والإفريقية وكل الشعوب الحرة . كذلك كانت معركة كاتنجا داعياً للتضامن بين الدول الإفريقية . .

داهومي في ركب الحرية

للأستاذ : سمير سويلم

مقدمة :

أخيراً رضخت فرنسا لإرادة الحركة الوطنية فى غرب إفريقية وأعلنت استقلال داهومى والفولتا العليا والنيجر وساحل العاج .

ويربط هذه الدول الأربع منظمة تسمى « مجلس الاتفاق الإفريقى » ، كما تسمى الدول الأربع « بدول مجلس الاتفاق » وقد تشكلت هذه المنظمة السياسية بعد أن حصلت هذه الدول على الحكم الذاتى ، وكان ذلك على وجه التحديد فى ٢٩ من مايو ١٩٥٩ . وأصبحت أبيجان عاصمة ساحل العاج مركزاً لاجتماعات هذا المجلس .

ويعقد هذا المجلس اجتماعاً سنوياً فى عاصمة إحدى دول الاتفاق ، وذلك تحت رئاسة رئيس وزراء الدولة المنعقد فيها ، ويتشكل المجتمعون من رؤساء الجمعيات التشريعية ، وكذلك من الوزراء ذوى الشأن .

ويسهم هذا المجلس الإفريقى فى منح معونات مالية إلى الدول الأعضاء المتأخرة اقتصادياً . ويخصص حوالى ١٠ فى المائة من إيرادات كل دولة لتوضع فى صندوق هذا المجلس . وتوزع أربعة أخماس هذه المالية إلى الدول الأعضاء ويبقى الخمس فى الصندوق استعداداً للطوارئ

ومن أهم ما جاء فى دستور « مجلس الاتفاق الإفريقى » هو أن تتشكل الجمعية التشريعية فى أى دولة من دول الاتفاق الإفريقى على نظام الانتخابات العامة المباشرة ، وأن تصبح مدتها حوالى خمس سنوات ، وأن تخول لهذه الجمعية سلطة تعيين أو عزل رئيس مجلس الوزراء . ويهدف هذا « المجلس » إلى تعزيز موقف الدول الإفريقية التى استقلت عن فرنسا وإعلان سيادتها الدولية حتى لا تتعرض مرة أخرى للاحتلال الاستعمارى .

وسوف نتعرض فى هذا المقال لدراسة الوضع الذى فرضته فرنسا على « داهومى » — بالأخص — وكيف أنها استطاعت بطريقتها الوحشية أن تقضى على النظام ، الإدارى والسياسى والاقتصادى الإفريقى . . وأن تستبدله بنظام آخر فرنسى .

لمحة تاريخية :

يبدأ تاريخ « داهومى » المدون منذ القرن السابع العشر ، فى الوقت الذى كانت مقسمة فيه إلى ثلاث ممالك هى « ألادا » Allada و « بورتو نوفو » Porto Novo و « داهومى » Dahomey . وكانت « داهومى » قد هزمت كلا من « ألادا » و « بورتو نوفو » فى القرن الثامن عشر . وأخذ ملوك « داهومى » يواصلون غزواتهم حتى وصلوا إلى بلدة « ماهى » ، وهناك استطاعوا أن يسيطروا على تجارة العبيد . ومن هنا بدأ احتكاك « داهومى » بالمستعمرين البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز .

ثم جاء القرن التاسع عشر وحرمت

تجارة العبيد . فى هذا القرن بدأت فرنسا تظهر نواياها الاستعمارية فى احتلال داهومى، فنراها فى عام ١٨٥١ توقع مع ملك داهومى معاهدة تاريخية، ثم نراها تفرض سيطرتها على كل من « كوتونو » و « بورتونوفو » وذلك فيما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٥ .

وحينما تولى الحكم الملك بيهانزن Behanzin فى عام ١٨٨٩ — وهو العام الذى وقعت فيه الاتفاقية الأنجلوفرنسية بخصوص المستعمرات ، وبـــدأت المتاعب بين فرنسا وداهومى . . وجد الملك نفســه يواجه عدواً يريد أن يحتل البلاد . وتحت ضغط من القوات الفرنسية أجبر الملك على توقيع معاهدة فى عام ١٨٩٠ أخذت بمقتضاها فرنسا « بورتونوفو » و « كوتونو » نظير دفع جزية سنوية تقــدر بحوالى ٨٠٠ جنيه .

ولكن بيهانزن أراد أن يحارب الفرنسيين ، وفعلا ، حدث ذلك فى عام ١٨٩٢ . وحينئذ زحفت على إفريقية الغربية قوات فرنسية وسنغالية بقيادة « دودز » وهزم الملك بيهانزن ، واضطر لأن يسلم فى عام ١٨٩٤ .

وهكذا بدأت فرنسا تزحف إلى داهومى خطوة خطوة . . حتى احتلتها . وحينما تأسس الاتحاد الفرنسى أصبحت داهومى إحدى دول « فرنسا فيما وراء البحار » .

النظام الإدارى :

وقد مارست داهومى نوعاً من الحكم الذاتى ، وذلك عقب الحرب العالمية الأولى . ومن الجدير بالذكر أن القوات الفرنسية التى كانت فى داهومى اشتركت فى مهاجمة توجلاند التى كان يحتلها الألمان خلال الحرب الأولى . فقد كان يحكم داهومى حاكم فرنسى يساعده مجلس به أعضاء يعينهم الفرنسيون ، وأعضاء ينتخبهم الإفريقيون ويقسم هذا المجلس إلى اثنتى عشرة دائرة أو مقاطعة يدير كلا منها مدير له سلطات واسعة .

وكان هذا النظام الذى يقوم أساساً على تمليك السلطة العليا لفرنسا . . لا يزال مطبقاً حتى قبل إعلان إستقلال داهومى فى أغسطس الماضى ، ولكن مع بعض التغييرات . فقد كانت داهومى تخضع لسلطة حاكم فرنسى مسئول أمام المبعوث السامى الفرنسى فى غرب إفريقية ، ويساعد الحاكم سكرتير عام ومجلس استشارة . وقد أنشئت جمعية إقليمية لتنظيم الإدارة وكان تشكيلها كالآتى :

١ — ١٨ عضواً يختارهم الفرنسيون

٢ — ٣٢ عضواً يختارهم الجانب الإفريقى .

ومن الناحية السياسية يمثل « داهومى » فى الاتحاد الفرنسى نائبان ، كما تمثل « داهومى » أيضاً فى مجلس الجمهورية . فى باريس بعضوين من الشيوخ ، ومندوب فى الجمعية الوطنية

وكانت « داهومى » — فى الفترة الأخيرة تقسم إلى عشرة مراكز ، ويرأس كل مركز مدير له سلطة واسعة .

التجارة والزراعة :

وتمتاز داهومى بتربة خصبة فى كثير من أجزائها . وأهم منتجاتها زيت النخيل ولب النخيل والفول السودانى والقمح والقطن والذرة والبطاطس

وجوز الهند والبرتقال والليمون والتفاح الإفريقى والبهارات والزنجبيل والقصب والبصل والطماطم ، وكانت معظم تجارة داهومى قبل الحرب العالمية الثانية مع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا ، وكانت فرنسا تستولى على ٣٠ فى المائة من تجارة داهومى . وداهومى تستورد البضائع القطنية من بريطانيا ، والمعادن والكحول والآلات من ألمانيا .

وهناك أهمية اقتصادية كبيرة فى الناحية التجارية لزراعة النخيل . فحسب الإحصائية الزراعية سنة ١٩٥٠ يتضح لنا أنها تصدر من زيت النخيل حوالى ١٥,٠٠٠ طن وحوالى ٣٥,٠٠٠ طن من لب النخيل .

السكان والمدن :

وتعيش فى داهومى قبائل الفون Fon واليوربا Yoruba والباريبا Bariba وغيرها من قبائل الفولة Fulas والهوسا Hausas والداندى Dandy وفى قبائل الهينا والناجو والباريبا والفلة والكوتوكولى تجد أن الإفريقيين ينحدرون من أصل زنجى .

وأهم المدن فى داهومى مدينة بورتونوفو . عاصمة داهومى المستقلة ، وهى مدينة ساحلية تمتاز بأنها ميناء تجارى ،وكوتونو وهى الميناء الرئيسى لداهومى ومركز هام للسكك الحديدية .

ويبلغ عدد سكان داهومى حوالى ١,٨٠٠,٠٠٠ حسب تقرير نشر عن الأمم المتحدة . أما عدد الأوروبيين الذين يعيشون فى داخلها فهم حوالى ٢,٠٠٠ أوروبى حسب إحصاء ١٩٥١ . وتبلغ مساحتها حوالى ٤٣,٨٠٠ ميل مربع .

انتصار الحركة الوطنية :

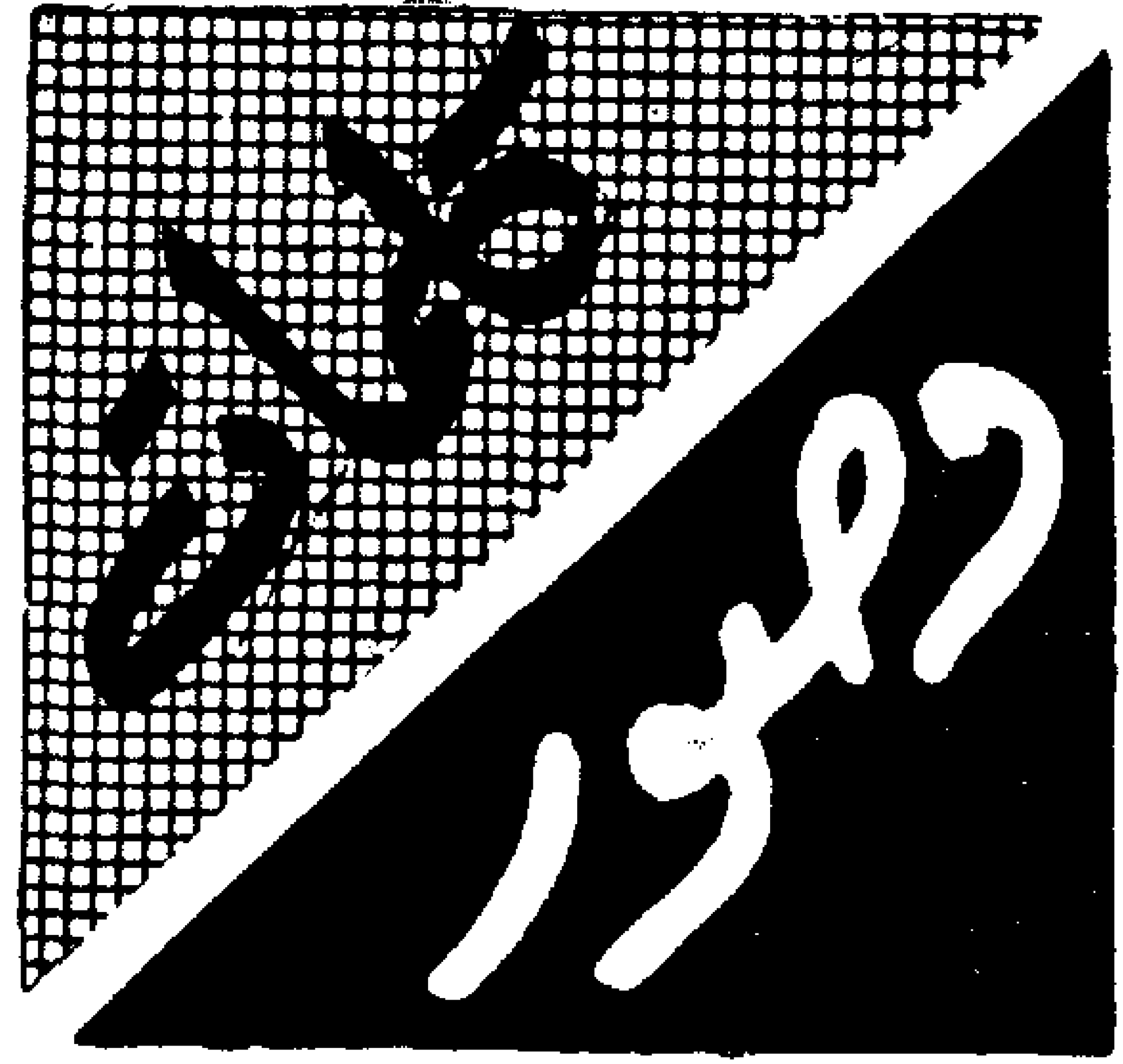
وبعد هذه الجولة السريعة فى داهومى . . نحب أن نؤكد أن الحركة الوطنية فى داهومى قد انتصرت على الاستعمار الفرنسى . ولكن هناك شباك تحاول فرنسا وضعها فى طريق داهومى حتى توقعها فى اتفاقيات وارتباطات عسكرية .

قد كان حزب التجمع الديمقراطى الذى كان يقوده « فيلكس فوفوى بوانى » رئيس جمهورية ساحل العاج الحالى يفضح هذه المؤمرات ويكشفها أولاً بأول .

وشعب داهومى الذى قاس من الاستعمار الفرنسى أكثر من نصف قرن . . . يعرف هذه المؤامرات والمناورات التى تهدف إلى تكبيل استقلاله .

ونأمل أن يتم تصفية الاستعمار الفرنسى عن آخره ،والقضاء على عملاء الاستعمار الفرنسى فى داهومى . . على يد رئيس الجمهورية الداهومية الفتية هيوبرت ماجا . . الذى كان يقود الحركة الديمقراطية الداهومية .





الرئيس وإفريقية :

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث خطير إلى « وودر ووايت » عضو مجلس العموم البريطانى ، ومندوب التليفزيون ، تعرّض فيه إلى المشكلات التى تعانيها القارة ، وإلى مستقبلها ، ودور الجمهورية العربية فى مساندة قضاياها .

— « سيدى الرئيس . . ما هى الدروس التى تظن سيادتكم أن العالم يجب أن يستخلصهـــا من حوادث الكونغو » .

الجواب : « إن الشك يجب أن يواجه بوحدة جميع البلاد للعمل من أجل إزالته ، كما سبق أن قلت عن الشرق الأوسط ، وهناك شكوك فى إفريقية ، وشكوك كذلك فى الكونغو ، وقد عانى شعب الكونغو طويلاً من الاستعمار وقاسى من الاضطهاد العنصرى ، وقاسى من انخفاض مستوى المعيشة ، كما قاسى من انعدام الفرص لتعليم أبنائه من أجل خدمة بلادهم .

ولذلك فإنه يشعر بأن أولئك الذين سيطروا على بلاده معادون له ، كما كانوا ، وكما سيظلون دائماً معادين له ، ولذلك يجب أن تبذل جهود ضخمة لإيجاد الاستقرار والتفاهم على أساس متكافئ .

— « هل تظنون سيادتكم أن هناك مساهمة من نوع خاص يمكن أن تقدمها الجمهورية العربية المتحدة للمساعدة على استقرار الأمور فى الكونغو » .

الجواب : « أعتقد أن السلام أساساً ، مسألة سيكولوجية ، وأن الشعب لا يمكن أن يتجاهل ما يرى ، فهناك مؤامرات من الدول الاستعمارية ، وهناك مؤامرات من البلجيكيين ، والشعب يدرك أن البلاد الأوروبية تؤيد تقسيم الكونغو ، وتفتيته ، ويمكن أن نلقى نظرة على صحفكم ، لقد قرأت صحفكم فى الأسبوع الماضى ، وقد قالت جميعها باستثناء واحدة أو اثنتين منها بتقسيم الكونغو . . بل إن إحدى صحفكم قالت صراحة « إن علينا أن نتخلص من رئيس الوزراء ، وأن نحاول وضع الكونغو تحت وصاية الأمم المتحدة ؛ فكيف يمكن للثقة أن تسود شعب الكونغو .

— « لماذا يا سيدى الرئيس تهاجمون البريطانيين فى إفريقية . . إننا نسمع من راديو القاهرة . ولاسيما من صوت إفريقية الحرة ، عن حكمنا الاستعمارى وأعتقد أن هناك من يتفقون معنا فى

أننا نؤدى عملنا على وجه طيب بوجه عام كاستقلال غانة ، ونيجيريا ، والمحادثات الدائرة بشأن كينيا ، ونياسلاند ، وغيرها » .

الجواب : « إننا لا نهاجمكم وإنما نهاجم الاستعمار . فنحن إنما نقف ضد الاستعمار ، ونؤيد حق تقرير المصير ، والحرية لجميع البلاد ، وإذا كنتم تقولون إن بلادكم واحدة من دول العالم الحر فليست العبرة بالأقوال ، وإنما بالأفعال ، وليست بالشعارات ، وإنما بالسياسات الواقعة ! » .

— « ولكن ألا تظن أننا نقوم بدور طيب نحو استقلال ، وحرية هذه البلاد فى إفريقية » .

الجواب : « إنكم ، على سبيل المثال ، حين تنفون زعيم كينيا ، وتضعون زعماء البلاد الأخرى فى السجن . . فإنكم لا تؤدون عملكم على وجه طيب ، لقد قابلت أحد زعماء نياسلاند وكان عائداً من لندن ، وعند وصوله ألقى القبض عليه » .

— « ما هو الموقف بالنسبة لهدف وحدة العالم العربى ، وهو واحد من الأهداف التى كتبتم سيادتكم عنها فى كتابكم (فلسفة الثورة) . . هل تشعرون سيادتكم أن هذا الهدف يقترب من التحقيق . . وهل تعتقدون سيادتكم أن هناك تقدماً حقيقياً فى هذا السبيل ؟ »

الجواب : « لقد تحدثت فى كتابى « فلسفة الثورة » عن القومية العربية ، وقلت مراراً بعد ذلك إننا ندعو إلى الوحدة العربية ، ولكن الوحدة العربية أمر تقرره الشعوب العربية ، كما لا يمكننا أن نقبل الوحدة العربية كنتيجة للانقلابات لأنها ستضعف الوحدة ولا تقويها ، بل ستنتهى بتفككها ، وعلى هذا فإننا من أنصار القومية العربية ، واتحاد البلاد العربية ، ونحن كذلك من الداعين إلى وحدة الشعوب العربية ، ولا يستطيع أحد أن يحدد تاريخاً لها .



لومومبا

يحمل السود فى أمريكا ذلك الإحساس الحاد بالاضطهاد ، والتفرقة العنصرية فكل الدلائل تؤكد أن الأمريكيين يعتبرونهم غرباء عن هذه البلاد . وعلى أن هذه البلاد تغص بالناس من كل مكان ، وأن هؤلاء الناس قد جاءوا . واندمجوا فى السكان وأصبحت لهم كافة الحقوق التى تفرضها الإنسانية . إلا أن « الإنسان الأسود » يحس دائماً أنه غريب عن هذه البلاد . فمع أن الأرض تشرب من عرقه ، والمصانع تمتاح من نور عينيه . ومع أنه يؤدى كافـــة واجبات المواطن الصالح فى حب ، وإخلاص . إلا أنه يحس دائماً أن كل ما يقدمه غير مرضى عنه ، وأن كل شىء من حوله يصرخ فى وجهه بأنه غريب عن هذه البلاد .

وقد تفرض عليه الظروف أن يعلق بنفسه لافتة تصرخ بأنه لا مكان للزنوج . والكلاب ، رغم أنه يسهم إسهاماً حقيقياً فى إثراء البلاد ، ومع كل هذا لا يستطيع مباشرة حياته مباشرة كاملة ، وللإحساس بهذا يكفى أن يتصور الإنسان ، أى إنسان أن هناك أشياء عزيزة فى وطنه محرمة عليه ، فهو يسير بينما يتردد فى ذهنه هل هذا السير من حقه ؟ ويتكلم بينما إحساس يضغط عليه بأنه هل من حقه أن يعبر عن نفسه ، ويعيش دائماً تحت ضغط أنه « غريب ! »

ولكن هذه الأمواج المتسائلة بدأت تنحسر فى نفسه ، وبدأ يرى أن من حقه أن يعيش كل حياته بعمق ، وفهم ، وحب .

وقد تردد كل هذا فى المنظمة الاجتماعية الأمريكية فى نيويورك التى عرضت عليها الاصطدامات الأخيرة التى وقعت فى « جاكسون فيل » بين البيض والسود ، والتى رأت العمل بمبدأ تكافؤ الفرص بينهم وبين غيرهم بعد أن ظهر أنهم يعيشون أسوأ عيشة يحياها المواطنون الأمريكيون سواء فى الولايات الشمالية أو الولايات الجنوبية ، وأنهم لا يتساوون مع أحد حتى فى المعاملة أمام « القانون » . وقد رأى وفد السود فى هذا الاجتماع أنه ليس من العدالة فى شىء ألا يستطيعوا الجلوس جنباً إلى جنب مع البيض فى السيارات ، والمحال ، والندوات ، كما أنه ليس من العدل أن يكون هناك نوعان من صنابير المياه فى مكان، واحد منها للبيض ، والآخر لهم ، ويتساءلون بتهكم « لماذا لا تفرق المياه هى الأخرى بينهم وبين غيرهم ! » .

إن الدولة الآن ليست بناطحات السحاب قدر ما هى ناطحات ظلم !

كينيا والثورة :

لا أحد ينكر أن كينيا كانت من أوائل الدول الإفريقية التى قاومت الاستعمار ، وسقت بدمائة الغابات ، وأودعت فى قلبه أكثر من رمح ، وأكثر من سهم ، ولكن الضربات القاتلة التى وجهها الإنجليز لجماعة الماو ماو كانت من القسوة ، والتدمير بحيث زلزلت أعماق الشعب الكينى ، وحطّمت قواه .

ولكن لم يمر إلا القليل حتى استعاد الشعب أشلاءه ، وجمع أعضاءه ، ووقف عملاقاً يطل من فوق الإنجليز ، ومن تحتهم ، ومن حولهم ، ومع أن الإنجليز عادوا واختطفوا جوموكنياتا — رايتهم الشاهقة — وأودعوه فى سجن بعيد عنهم ، إلا أنه خلف وراءه تعاليم ، وإصراراً ، وحضاً على المقاومة المستمرة ، وهكذا عادت لهم « الراية » مرة أخرى ، وأصبح اسم « جوموكنياتا » يخفق فوق الرؤوس ، ويدفع بخطواتهم إلى معركة فاصلة لاسترداد حق الشعب ، وإعادة حريته إليه .

ولكن الإنجليز عادوا يهددون فى هذه الأيام ، وينذرون الشعب بموقعة أخرى تتدفق فيها الدماء ، وتشل الحياة ، فقد أعلن « باتريك رينسون » حاكم كينيا أن عينيه مفتوحتان على كل شىء من حوله ، وأنه سيضرب بقسوة على أيدى الزعماء الذين يحلمون بالاستقلال ، أما الشعب فسوف يسبح هو وجنوده البريطانيون فى دمائه ، فليس أجمل فى الحياة من التجديف فى نهر أحمر .

وكان آخر ما قاله : « إن على الإفريقيين أن يعتقدوا بأن الأوروبيين لن يتركوا هذه البلاد لأنها صارت بلادهم ، وأضحوا شركاء لهم فى كل شىء فيها ، وأنه يتوعد كل من تحدثه نفسه بالثورة » .

ولكنا نحس أن كل شىء يتوعده هو الآخر هناك . فليس هناك من رمح إلا ويتوثب إلى دمائه ، وليس من رصاصة إلا وتشتاق إلى لحمه الذى اكتنز من خيرات هذه البلاد .

لقد كان صوته جهيراً وهو يتكلم لأنه كان قد تناول قبل أن يتحدث مباشرة طعـــام عشرات من أهل البلاد ، ولكن بعدد الوجبات المسروقة التى تناولها فى هذه البلاد ستنهال على رأسه قبضات المكدودين الذين سرقهم ، واستنزفهم ، ووقف بقواهم ، يتحدى ، وينذر . ويجمع قبضته ، ويصر بأسنانه .

لقد توعدهم بالقتل ، وإفريقية كلها تتوعده بالخروج من البلاد ، إنى أحس براحتيها الكبيرتين تهمان بدفعه عنها . . إنهما تتحركان ! !

فلسفة الرقص :

فى كلمات مؤثرة ، وإحساس متفائل بغد إفريقية الممتلىء بالنور كتب الأستاذ « فاروق القاضى » فى يومياته بالمساء عن فلسفة الرقص :

« هم هنا يرقصون فى كل مكان ، وفى كل وقت ، يرقصون إذا ما خطب لومومبا ، ويرقصون إذا ما أقاموا عرساً ، ويرقصون إذا ما أعلنوا حرباً .

الناس هنا يرقصون عند ما يفرحون فيكون لرقصهم إيقاع سريع محزن نشوان ، ويرقصون عند ما يحزنون فيكون لرقصهم أنين ، وتنساب موسيقاهم كالدموع ، إنهم يرقصون للحب ، ويرقصون للكراهية ، ويرقصون للتعبد ، ويرقصون لتمضية الوقت .

إنهم يرقصون بحمية ، وإصرار ، وأصالة لا يستطيع أى جنس آخر أن يجمع بينها ، أصغر جماعة لها رقصها الخاص ، وملابسها المميزة ، وحركاتها الذاتية ، والتمبو الذى يختلف عن أى جماعة أخرى .

لقد ظهر الرقص هنا أولا كفن طليعى وقيادى ، ثم أتت الموسيقى ، والفنون الزخرفية لتكمل الرقص ، وتخدم تعبيره ، وتجعل منه موضوعاً متكاملا .. إن أساس الموسيقى الزنجية الطبلة التى يحتمل أن تكون اختراعاً زنجياً كاملا ، وتنوع الطبول لانهائى تقريباً ، يبدأ من طبول الإشارة الضخمة التى يتحدثون بوساطتها سوياً عبر الجبال ، والغابات ، والوديان ، إلى الطبول الصغيرة التى يعلقونها حول رقابهم ، وهم قادرون على استعمال الطبول بطريقة خارقة حتى أن مجموعة من الطبول لا تزيد على أربع وحدات لقادرة على إنتاج عديد من الأنغام لا يقدر عليه أوركسترا بأكمله .

لقد خرج الإفريقيون اليوم من القرية وهم يرقصون ، إنهم لا يرقصون للمطر حتى يهطل ، ولا للنهر حتى يفيض ، ولا للبركان حتى يهدأ ، ولا للوباء حتى يزول . إنهم يرقصون لشىء أكبر وأسمى .

هم يرقصون لساكن الغاب حتى يصبح سيد الغاب ، وهم يرقصون للأسود كى لا يحرم من أماكن لأنها مخصصة للبيض ، هم يرقصون حتى يخرج الرجل الأبيض نهائياً من بلادهم ! !

هم يرقصون حتى ينعموا بسلام لا تقطع فيه أيديهم ، ولا توخز أنوفهم .

هم يرقصون لانتصار إفريقية ! ! »

من ذكريات جوموكنياتا :

حضر « جوموكنياتا » مؤتمر الشعوب الإفريقية فى مانشستر عام ١٩٤٥ ، ودون بعض هذه الذكريات فى كتابه « كينيا أرض الصراع » فقال : ألّف المسيو هارى توكو فى أعقاب الحرب العالمية الأولى منظمة سياسية إفريقية للدفاع عن حقوق الإفريقيين .

وقد كان المستوطنون البيض قد أخذوا يكتسحون الأرض ، ويتوغلون فيها بعد أن يطردوا منها أصحابها ، وقد أخذت المنظمة فى إشعال الوعى القومى عند الكينيين ، مما ترتب عليه ضيق الحكومة ، وإلقاء القبض على السيد هارى توكو وإيداعه فى السجن مما اضطر الشعب الكينى إلى الثورة لأول مرة عام ١٩٢٢ ، وإعلانه الإضراب لأول مرة كذلك فى تاريخ شرق إفريقية .

فقد تدفقت الجموع إلى منزل الحاكم العام فى « نيروبى » على هيئة مظاهرة سلمية تحتج على اعتقال الزعيم

« هارى توكو » ، وقــد أمضى المتظاهرون الليل كله وهم يرددون الصلاة ، ويرددون الأدعيه ، وينادون بالإفراج عنه ، فلما كان الصباح أرسلوا وفداً منهم لمقابلة الحاكم العام ، وفى الوقت نفسه تحرش البوليس بهم ، وأطلق عليهم النار فسقط الكثير منهم ، وقد قابل الشعب هذا الغضب بغضب أقوى منه لأنه كان غضب الشعب ! وبخاصة حينما ألقى القبض على كثير من الزعماء .

وقد اعتصر الأهالى دموعهم ، وأقواتهم ، وأودعوها نقوداً فى يد محام إنجليزى يسمى « درايكون » ، ولكنه إلى جانب خيانته إنسانيته خان « العدالة » لأنه ما كاد يستولى على النقود التى جمعها الشعب بعرقه حتى سافر إلى إنجلترا كخائن ، وكلص !

ومهما يكن من شىء فقد انتظمت فى كينيا المقاومة السرية قبل أن تعرف هذا النوع من المقاومة أوروبا نفسها »

آسيا وإفريقية :

من كتاب الإسلام فى القرن العشرين للأستاذ عباس محمود العقاد :

« وكل بحث فى مستقبل المسلمين يستتبع البحث فى مستقبل القارتين آسيا وإفريقية على الخصوص لأن تسعة أعشار المسلمين يسكنون هاتين القارتين وحولها تحوم اليوم مطامع الاستعمار والاستغلال والتبشير . . . وجملة ما يقال فى آسيا أن شعوبها أضخم من أن تبتلع فى بنية شعب آخر ، وجملة ما يقال فى إفريقية أنها أبعد أصلا من أن تندمج فى الغرب وهى قائمة على تربتها .

إنما ينظر فى هذه وتلك إلى عاقبة السيطرة الثقافية ، ولا نعنى بالسيطرة الثقافية سيطرة العلم الحديث فان الأمم التى تتقدم فى العلم الحديث لا تقع تحت سيطرة أمة من جراء ذلك وقد تنقلب بعلمها على السيطرة الأجنبية ، إن كانت واقعة فى قبضتها ، وإنما نعنى بالسيطرة الثقافية سيطرة العقيدة من جانب المذاهب الاجتماعية أو من جانب التبشير . . إن الدول الكبرى التى تتجاذب سياسة العلم هى الولايات المتحــدة وبريطانيا العظمى وروسيا الشيوعية .

والظاهر أن سياسة بريطانيا فى القرن العشرين أن تتراجع عن آسيا وعن الشرق الأقصى خاصة وتترك ميدان السباق فيــه للروس والأمريكيين ، ثم تلوذ بمفترق الطرق بين القارات الثلاث فى آسيا القريبة أى فى بلاد العرب التى تمتد من العراق إلى البحرين الأبيض والأحمر .

. . . أما السيطرة الروسية فهى تقوم على نشر الشيوعية ، وهى مذهب لا يوافق الإسلام من أساسه ، ولكن الإسلام يغنى عنه إذا اتبع المسلمون قواعد المساواة والإنصاف ، وعملوا بأصول دينهم فى التوسط بين التهالك على الدنيا والإعراض عنها ، وينبغى أن نذكر فى هذا المقام أن بلاد الروس وما جاورها هى قطعة من أوروبا أخذتها آسيا من زمن غير بعيد ، وقد يحدث فى المستقبل تكرار لهذه الظاهرة على صورة أخرى ويكون للإسلام شأن كبير فى هذا التكرار .

وتتسابق الدولتان الروسية والأمريكية على المناجم وينابيع النفط ونقط الاستحكام فى هذه القارة الواسعة ، ومآل كل ذلك حتما إلى أبناء البلاد ، لأن حبل الزمن أطول من حبل المال وحبال السياسة ، وذلك على شرط واحد هو الاحتفاظ بكيان الأمة وقوامها ، وليس فى آسيا قوة روحية أقدر من الإسلام على حفظ الكيان والقوام للأمة التى تؤمن بدينه .

أما بلاد العرب حتى تتراجع الدولة البريطانية فقد أحيطت بحلقات من المشيخات والسلطنات تتعاقد معها بريطانيا على ضروب من الحماية المقنعة وتحسب من وراء ذلك حساب المواصلات وآبار النفط ومواضع

الاستحكام العسكرى فى حالة الحرب العالمية ولكنها لا تهمل حساب التبشير ولا تنكر مسعاه فى حمايتها ، وهذه عبارة فى سلسلة السيطرة العالمية تدل على كثير .

يقول هارولد ستورم فى كتابه إلى أين يا جزيرة العرب .

« إن قبائل الجبال وراء ظفار — وهم سلالة مخالفة كل المخالفة تستخدم لهجات غير عربيــة كالسخرية والمهرية والبــوطهارية والحرسوسية وكل لهجة من هذه اللهجات لا يفهمها المتكلمون باللهجات الأخرى ، وقد تمكن العالم اللغوى الألمانى الدكتور مكسمليان بيتر Bethover من رسم اللهجتين السخرية والمهرية بالكتابة ، وهما على ما يلوح لى على قرابة من إحدى اللغات الهندية حيث تدل بعض الروايات على هجرة سابقة من الهند إلى ظفار ، ولا تزال ثمة عادات قريبة من عادات الهنود ، وقد اضطررت إلى استخدام مترجم بين هذه القبائل حين عشت فى بلادها وتبين لى من صعوبة اللغــة أن العمل بينها — أى عمل التبشير — عسير .

« ولما كانت ظفار على بعد ٥٠٠ ميل من مسقط تحت سيادة سلطانها فكل محاولة لتكوين العمل هنا تستلزم ، لا محالة ، رجوعاً إلى العمل الذى تأسس فى مسقط نفسها ، ويدعو موقف السلطان الودى فى الوقت الحاضر إلى الأمل فى الانتفاع بهذه الفرصة لإنجاز شىء إذ تنتقل بعثات التبشير بغير عائق فى عمان ويرجى من تقرير مركز مسقط مزيد من العمل ، وهناك فى داخل عمان قبائل لا حكم عليها للسلطان نجحت بعثات مسقط فى حمل رسالة الإنجيل إليها على نطاق أوسع مما تيسر قبل الآن فى أى مكان .

أما القارة الإفريقية فقد أحيطت كذلك بحلقات من الجهات الأربع تسيطر عليها الدولة البريطانية ، وتكاد المصنفات الكثيرة عن هذه القارة أن تجمع على اعتبارها فى عالم الاستعمار « حظيرة خاصة » ببريطانيا العظمى وأحد هذه المصنفات صريح بهذا المعنى فى عنوانه وهو « إفريقية إمبراطورية بريطانيا الثالثة » من تأليف جورج بادمور .

وقد ظهر باللغة الإنجليزية فى السنوات الأخيرة أكثر من مائة كتاب عن القارة الإفريقية وبعض عناوينها ينم على مبلغ الأمل والحذر من هذه الجهة التى أحاط بها الظلام إلى أوائل القرن العشرين .

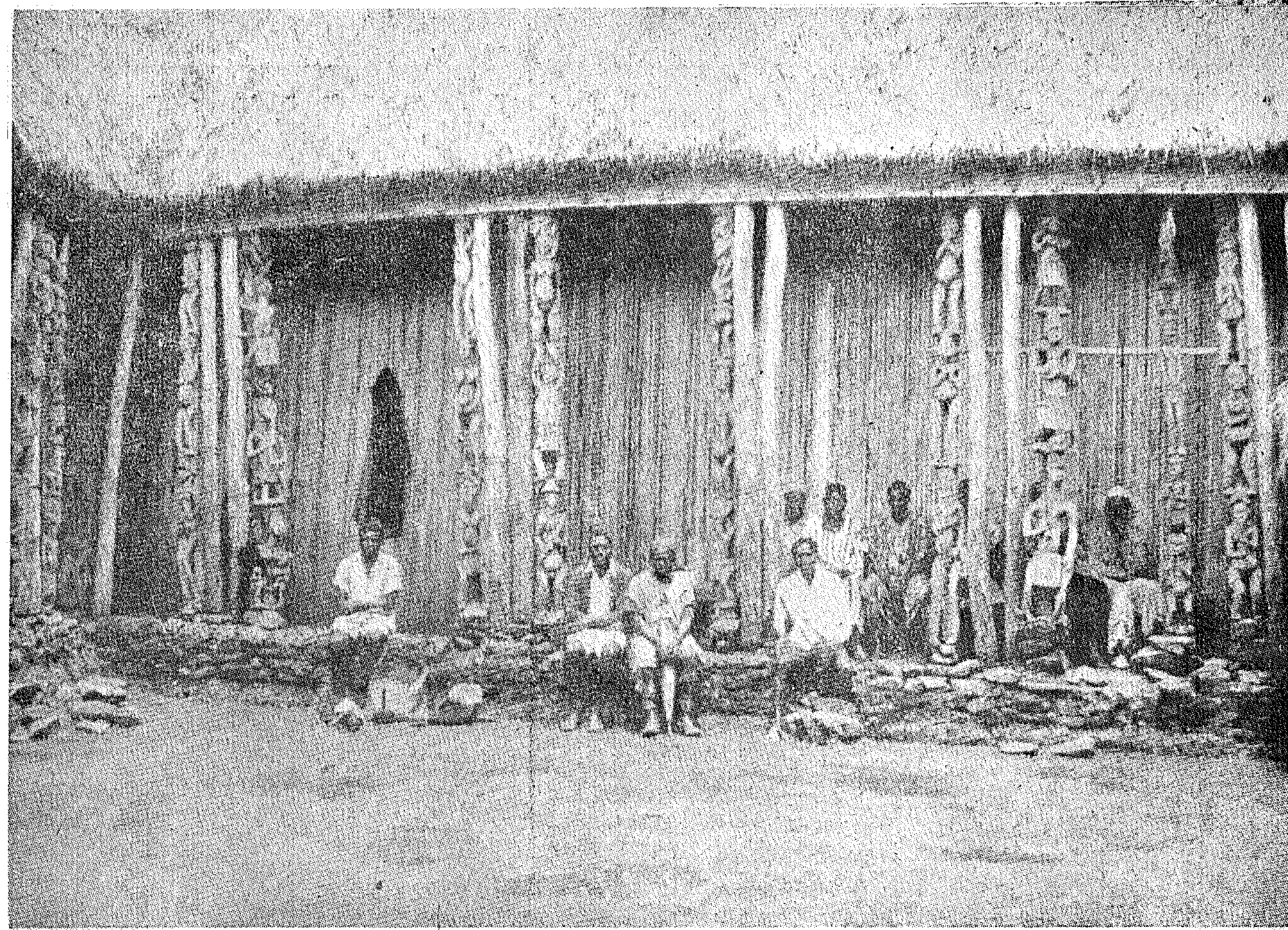
من عناوين هذه الكتب عنوان « الأمل فى إفريقيا » لمؤلفه آلبورت وعنوانه « إفريقيا الغربية الجديدة » لأربعة مؤلفين وعنوان « الإفريقى اليوم وغداً » لمؤلفه ديدرنج وسترمان وعنوان « قضية الحرية الافريقية » لمؤلفه جويس كارى وعنوان « إفريقيا تنهض » لمؤلفه و . م . مكميلان وعنوان « قارة الغد » لمؤلفه بطرس بن ولوس ستريت . . وهكذا عشرات من التصانيف الجديدة تتلوها عشرات .

وما من كتاب من هذه الكتب خلا من ذكر الإسلام والتحدث عن سهولة انتشاره بين الشعوب الإفريقية ونجتزئ بنماذج من هذه الإشارات للدلالة على السياسة التى قد توحيها معلومات القوم من أثر هذا الدين فى مستقبل الإفريقيين .

ويصف وسترمان دين الإسلام وصفاً غريباً يعلل به قابلية الشعوب الفطرية للإصغاء إلى دعوته فيقول عنه : إنه دين مذكر ، أو دين ذو رجولة Masculine يعجب الإفريقى ببساطته وقوته ، ثم يقول « إن المسلم لا يهبط إلى مثل هذا الاقتداء الخاضع الذى يهبط إليه الزنجى الوثنى فبينما يعجز الزنجى الوثنى إذا أتيح له أن يلف نفسه بخرقة عتيقة يلقيها الأوروبى إليه ويعرض نفسه للسخرية بهذه القدوة الهزلية لا يخطر على بال المسلم أن يستبدل ملابس الأوروبيين بردائه .



« لومومبا يصافح رئيس التحرير »



« من متاحف الفن الحديث فى إفريقية »

التوفيق بين الأدب الإفريقي في قصتين

بقلم الأستاذ تلمادج

كتب الأستاذ « مونجوباتى » – وهو كاتب من الكمرون ، ثلاث قصص . نشر أولها وهى « المدينة القاسية » ، التى كان قد كتبها وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ، تحت اسم مستعار هو « إذابوتو » ضمن المجموعة الإفريقية الحديثة « ثلاثة كتاب إفريقيين » .

ونشر قصته الثانية وهى أطول بعنوان « يسوع بومبا الفقير » فى عام ١٩٥٦ . ثم نشر قصته الأخيرة « البعثة المنتهية » فى باريس عام ١٩٥٧ . والتى ظهرت باسم « بعثة إلى كالا » عند ترجمتها فى إنجلترا .

وكان اهتمام الأستاذ باتى منصباً أساساً ، فى كل هذه المؤلفات الثلاثة على نقطة واحدة فيما يبدو ، ذلك لأن أهمية العمل الفنى بالنسبة له كانت تتركز فى مشكلة حيوية واحدة : هى كيف يستطيع أبطال قصصه أن يعيشوا مرة أخرى فى مجتمع كانوا منفصلين عنه ، وكيف يستطيعون العيش فى إفريقية المتحررة بعد أن عاشوا فيها وهى مستعمرة !

والذى يخرج به المرء من أعمال الأستاذ « باتى » هو تأكيد لواحد من الموضوعات الحيوية فى الأدب الإفريقى المعاصر ، ويتضمن البحث فى مشكلات التوفيق التى تواجه الإفريقيين الذين يعيشون فى بلد – من حسن حظه أو سوئه – قد تأثر تأثراً قوياً باصطدامه ببيئة تختلف عن بيئته . على أن شخصيات الأستاذ « باتى » ليست كشخصيات الأستاذ « أويونو » لأنها فى صراع مباشر مع الوجود الأوروبى فى إفريقية ، وهؤلاء فى صراع مع ظروف المعيشة المتغيرة ، مع تلك الأعباء المختلفة ، والاحتمالات التى حتمها الوجود الأوروبى فى إفريقية ، والتى يجد كل بطل من أبطال « باتى » نفسه وجهاً لوجه مع هذه المشكلة الأساسية . ومع أن أبطاله مراهقون ما زالوا تحت الوصاية إلا أننا نراه يضعهم فى اللحظة التى يوشكون فيها أن يتحرروا منها (كإفريقية التى توشك أن تتحرر من الوصاية الأوروبية عليها) .

وأول هؤلاء الأبطال هو « باندا »

ذلك الفتى القروى الصغير الذى نقابله فى أنحاء القرية حيث يشعر أنه ليس على وفاق مع أساليب الحياة التقليدية ، وأنه عاجز عن الاندماج فى حياة المدينة حيث يرعبه منظر الصراع ، والقسوة اللذين يسودانها ، وحيث نراه فاشلا فى تعلم حرفة من الحرف التى يمكن أن تعينه على الحياة ، ويتأكد بوساطتها وجوده .

أما «دنيس» صبى الكاهن فى قصة « يسوع بومبا الفقير » فهو مراهق أيضاً وزاهد فى الحياة ، فنحن نراه منعزلاً يمارس حياته فى ظل صورة خالدة للإله الذى يستحيل أخيراً إلى مجرد سحابة عابرة ، وفى هذه اللحظة يرى نفسه على حقيقتها ، ويشعر بضعفه وجهله . وعند ما يرحل عنه الكاهن وهو مقتنع بفشل مهمته نجد أن الفتى قد ترك وحيداً إلى الأبد ليواجه هذا العالم الذى يضغط عليه ، والذى لا يستطيع الاندماج فيه . ويشبه « ميتذا » بطل « البعثة المنتهية » الشخصيتين السابقتين وإن كانت شخصيته أكثر تعقيداً منهما ، فهو غريب عن كل ما يحيط به ، غريب عن قرية « كالا » البدائية التى لا يستطيع أن يشارك فى نشاطها أو أن يؤمن بخرافاتها ، وهو أيضاً غريب عن عالم أبيه الذى يمثل الرغبة فى التقدم عن طريق تعلم أساليب الرجل الأبيض ، ثم هو غريب عن عالم الرجل الأبيض الذى يكره بقاءه فى أرضه ، وفى ذكرياته ، ولذا نراه يجد ملاذه الوحيد فى الهروب بدون هدف . وينتهى الكتاب بهذه الفكرة . . .

« إن مأساة أمتنا هى مأساة الرجل الذى ترك لأخطائه فى عالم لم يخلقه أو يفهمه . إنها مأساة الرجل الذى حرم من القدرة على التفكير ، الرجل الذى يتخبط فى طرقات مدينة معادية وعيناه معصوبتان بلا غاية » .

هذا هو « البطل » الذى نقابله دائماً فى قصص غرب إفريقية وإن اختلفت الأشكال وتعددت الأماكن .

« فأموذا سانجو » بطل « أكونزى » فى قصة « شعب المدينة » يشبه إلى حد كبير أبطال الكاتب « باتى » فى حيرته ، وعدم شعوره بالطمأنينة ، وفى أنه غير قادر على أن يشكل العالم حسب رغباته ، أو أن ينجح فى تكييف نفسه وفقاً لمقتضيات الحياة من حوله . وتعطى حياة الإفريقيين فى باريس كما فى قصة « سراب باريس » صورة مماثلة للمجتمع الذى لا يقوم على أى أساس . فإن تكيف الإفريقيين السطحى بالبيئة الأوروبية أدى إلى شل إرادتهم بحيث أصبح كل همهم هو أن يظلوا طافين على سطح الحياة ، وأن يعيشوا على الأوهام يوماً بعديوم وإنه ليهمنا أن نقارن بين هذه الشخصيات وبين بعض أبطال القصص والمسرحيات الإنجليزية الحديثة التى تشبههم فى الضياع بمجتمع ظهرت فيه حريات جديدة ، وفراغ جديد، فليس المجتمع الإفريقى هو الذى يعانى فقط ، من التغير المستمر الذى تحطمت فيه الأشكال القديمة ، وأصبح يستشرف بقلق القيم الجديدة . فالظروف التى تجعل أبطال روايات « باتى » يعيشون فى عزلة تبدومشابهة بالعلاقات التى يعانى منها أبطال مسرحيات « أوزبرن » وكذلك أبطال روايات « واين » .

على أن « ميتذا » — بوجه خاص — له كثير

من الخصائص المميزة لشخصية البطل المعاصر التي تتمثل في روح الاستخفاف ، والسخرية اللاذعة والشعور الداخلي بالضياع ، والوحدة

هذه المشكلات التي تدور حول مشكلة التوفيق نجدها بصورة منتظمة في مجموعة المسرحيات الثلاث ذات الفصل الواحد التي كتبها الكاتب النيجيرى « جيمس هنشو » بعنوان « هذه هي فرصتنا » . فهذه المسرحيات ذات مغزى بسيط ، وغير معقدة في طريقة العرض للموضوع ، وتبدو صفتها التعليمية واضحة ، فهي تظهر — بإيجاز — وجهاً من أوجه المجتمع الإفريقى المتطور . فالأولى تظهر الصراع الذى ينشأ بين المعتقدات القديمة ، وبين الأفكار الحديثة ، والثانية تشير إلى ما يمكن أن يفقده المرء إذاما أهمل العادات القديمة الخاصة بالضيافة ، والمعتقدات الخاصة به ،

وأما الثالثة فتوقفنا على صعوبة الاحتفاظ بالقيم القديمة في المجتمع الجديد . ذلك لأن صراع « فاى » بطل الكاتب أوزمان في « يا وطنى الجميل » يعتبر صراعاً نامياً من أجل توحيد عالمين مختلفين يتقابلان وجهاً لوجه ، على أنه يمكن النظر إلى المشكلة من الناحية الدراسية الخارجية فصراع « فاى » لا يدور في أعماق نفسه مثل صراع « ميتذا » لأنه يتجمع غالباً ضد الأوضاع الخارجية — كالصراع الذى يدور بين عائلته وبين زوجته الأوروبية ، وبين عقيدة أبيه المتوارثة وعقيدته التي لا تؤمن إلا بالأشياء التي يحس بها ، وكالصراع الذى يدور بين عادات المزارعين التي تقابل كل شيء باستسلام وبين إصراره على أن يخضع كل شيء للتجربة .

وهذا الاختلاف يظهر واضحاً في العلاقات المتشابكة في قصة « يا إفريقية إننا نجهلك » فهو صراع بين اندفاع الشباب وجمود الكهول ، وبين ما هو تقليدى وما هو مبتكر ، ثم أخيراً بين ما يدور من علاقات حادة بين الإفريقيين والأوروبيين .

إن تركيز الاهتمام في كل هذه المؤلفات — على الشخصية الرئيسية بنوع خاص — ليعطينا تاريخاً صادقاً للأعماق المتصارعة في إفريقية ، وبخاصة ما يدور منها في نفس الكاتب الذى يحس بالأزمة قبل غيره . فعمل الكتاب جاء نتيجة لتجاربهم الشخصية ولاحتكاكهم بالواقع الذى تأثروا به . وبالأحداث الرهيبة التي تلف مجتمعهم القديم الذى تنبثق عنه حياة جديدة ، وفهم جديد لأعماق الصراع الذى يظهر متوتراً في كل عمل فنى !

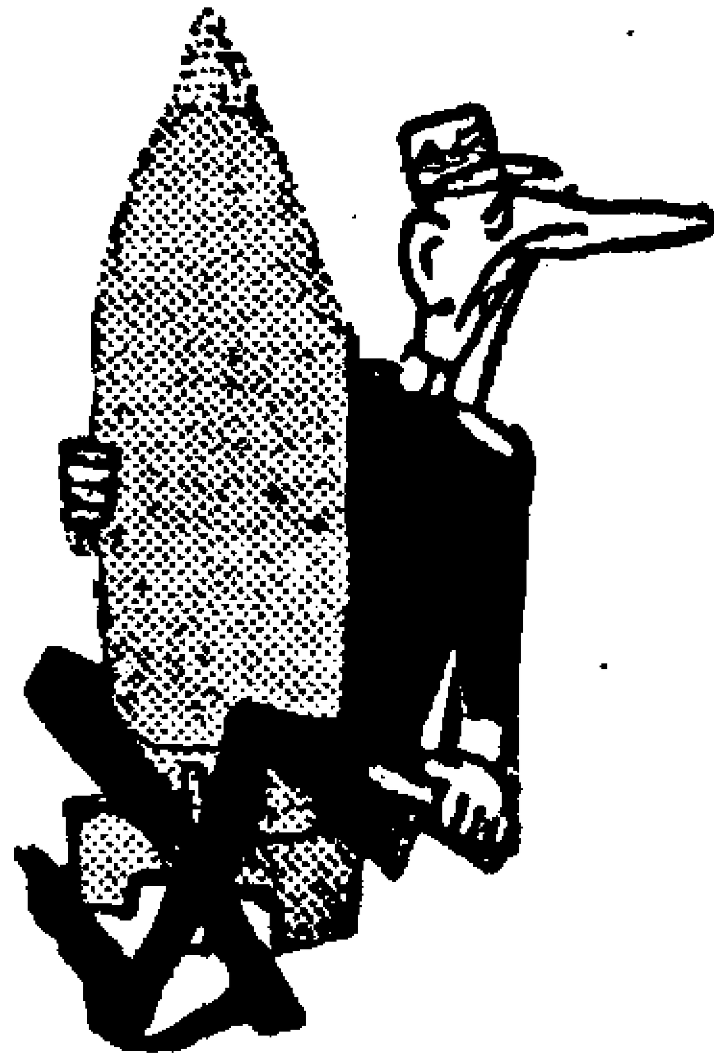
ومما هو جدير بالذكر أن كل مؤلفات « باتى » تنتهى في اللحظة التي تبدأ فيها مشكلة التوفيق . وإننا لنجد محاولة في قصة « نينى » « لأبدولاى سادجى » لتقديم المشكلات بطريقة موضوعية توحى بأنه قد توصل إلى خيطها الأخير .

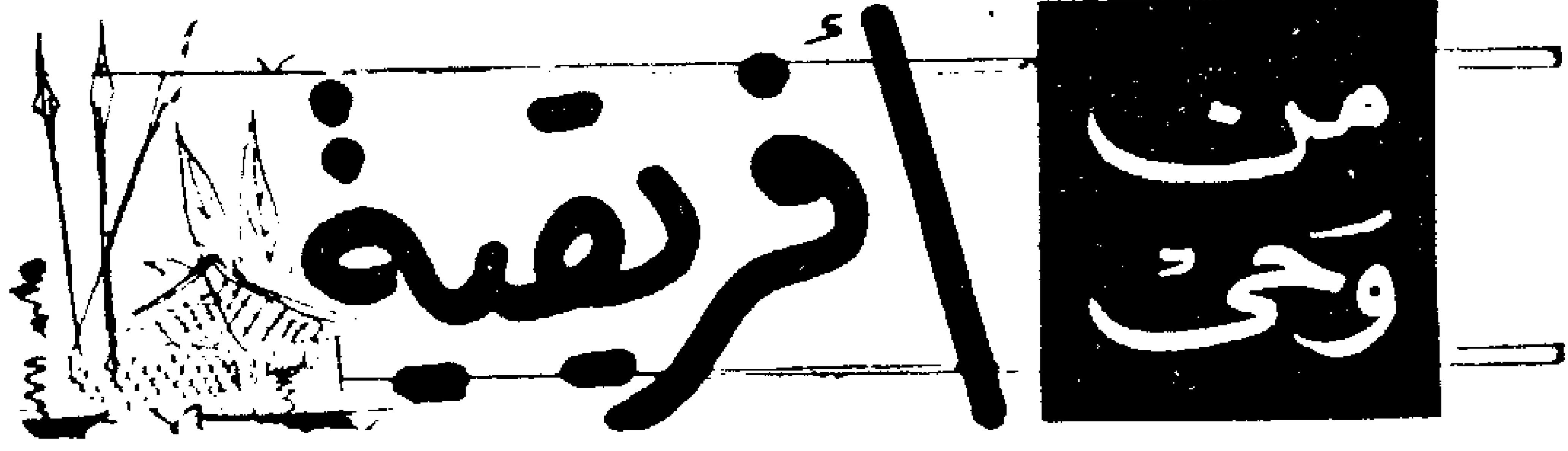
وقد أشار «سادجى» فى مقدمته أنه قصد أن تكون قصته عبارة عن وصف لحالة معينة يمكن أن تمثل النظام العام ، على أننا فى الواقع نرى أن طبيعة القصة الرمزية تمتد إلى أعماق بعيدة . فقصة «نيني» ترمز إلى كل هذه الصعوبات والمضايقات التى تحدث عند نقطة الالتقاء بين عالمين وبيئتين مختلفتين . فالبطلة ابنة لأب أبيض وأم إفريقية ورثت التعصب ، والطموح ، وطرق التفكير الذى فطر عليه هؤلاء الذين قاموا على تربيتها نتيجة لتأثرهم بظروف الحياة البسيطة . فلقد تشكلت الصبية وصبت فى قالب بحيث لا تستطيع أن تتكيف إلا بحالة واحدة من هذه الحالات ، ولكن هذه الحالات فى تغير ، ومأساتها تنبع من أنها عاجزة عن مسايرة هذا التغير من حولها ، ويذكرنا الكتاب ببعض الحوادث المتشابهة التى وقعت فى أوقات أخرى مثل تلك الحوادث التى حدثت فى أمريكا الجنوبية بعد الحرب الأهلية ، وبالتوتر الذى يسود الطائفة الأنجلو هندية فى كتاب «ممر عبر الهند» . ذلك لأن الزمن قد طور الأشياء التى كانت تعتبر من الضروريات الاجتماعية القصوى . ولقد تعلمت «نيني» أن قيمة السعادة الكبرى هى احتمال زواجها بانسان من العالم الأبيض . وشعرت أن شرفها قد خدش عند ما تقدم إليها أحد الافريقيين طالباً يدها . وأصبحت «نيني» تعطى نفسها للموظفين البيض الواحد تلو الآخر على أمل أن تصبح واحدة من هذه العلاقات مستمرة ودائمة .

فشخصية «نيني» لها مقومات الشخصية التراجيدية : ذلك لأن الطريقة التى وقعت بها نهايتها المفجعة كانت تحوذ على إعجاب أرسطو قطعاً ، فإن مأساتها كانت قضاء وقدراً ، ونتجت عن خطأ كبير فى الحكم على الأشياء . وهذا الكتاب لا يعتبر دراسة للدوافع تغيير الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية كما هو الحال فى الكتب الاخرى مثل «كليمبيا» ، و «يا وطنى الجميل» ولكنه دراسة عميقة للحاجة إلى تغيير القيم الأخلاقية ، والعادات الموروثة .

ويعتبر كتاب «سادجى» فريداً فى نوعه بين تلك القصص التى تبحث بتعمق فى مسألة التوفيق ، وفى أنه يتعدى التفرقة الظاهرة فى النظام الاستعمارى إلى الأخطاء الخفية فى الأحوال والأحكام التى يحدثها هذا النظام . وإنه لتوجد فى هذا النوع من الدراسة مادة خصبة للكاتب الإفريقى .

عن الإنجليزية ، ترجمة :
هدى هنرى





من شعر البانتو

الشاعر : جولسه صو

(١)

أغنية للطفولة :

يا طفولتى البعيدة
ما زالت هناك حركاتنا ، ولعبنا
وسيرنا على حافة الوديان الجميلة حيث نصرخ لنسمع صدانا !
وحيث الأفق يعمق اللانهائية .
فعند شجرة « الليمون » تضىء لى السماء
وأرى أكواخاً تعشش بين أشجار الموز المشمسة
النابتة فى أرضنا
حيث تلتف قرانا ، وتلمع النيران التى نوقدها
ويتمايل النخل الذى يحرسنا .
.. فكل شىء هنا يعانق الإنسان دائماً .. دائماً .

* * *

كم من طريق ضائع يحفُّ بالحياة ؟
كم من طريق هنا يصل إلى القلب
فمن مكاننا هنا فى القمم المتوهجة
نشاهد كل شىء .
كل شىء حتى الخواطر التى تمر فى النفوس

* * *

أيتها الإنسانية المشدوهة من الجمال على الأرض
حيث السماء تظلل الطفولة .
.. هل يمكن أن نعلم أسرار الينابيع التى عاشت من زمان بعيد

والتى لا تزال تعيش فى عالمنا المضطرب
فما زالت على الأرض ظلال
وما زال كل شيء يخدم الإنسان
فللإنسان قد خلقت الحياة ! !

(٢)

عند خط الاستواء :

قافلة الفجر على دروب الشعر .
والكلمات تغنّى فى أعماقنا بجرس مؤثر
بينما اصطفّ الحالمون فى ساعة البكور يرصدون أرزاقهم
من الأرض ، ومن السماء ،
ومن حيث ستخرج الحياة للوجود
فما زال النهار جنيناً فى قبضة الكون
وما زالت الغابة تجاهد فى إظهار قواها الخضراء
. . . إن الكلمات هنا تترنم بفرحة الحياة تحت النخيل
وهو يسير فى إثر نهار يفقد كلما سار طفولته
والفجر يفيض على قمم أحلامنا

* * *

هذه قافلة قد لمحت فى الأفق
بينما مدّها البشرى يعلو ، ويهبط
على طرق يجهلها الظلام
فنحن — أيها الشاعر — على طريق مشمس
من غنائك الذى كان عليه بقايا ساعات البكور
والذى يطرزه كذلك الغموض ، اللانهائى

* * *

إن القبيلة الراحلة توقف أحياناً خطواتها
كما يعود أدراجها على أثر قد انمحى
بينما تتساءل .
هل تعود الروح التى تمضى مع أفول الشمس
راضية بما قسم لها على طريق الحياة
ترى هل تعود إلينا كما تعود ينابيع المياه
أو كما تعود ينابيع الضوء حينما تلده السماء

أضواء على قضية المرأة السودانية

للأستاذة خديجة صفوت

من أبرز ملامح عصرنا هذا أن البلدان المتخلفة تملك الوقوف على قمة تجارب الأمم التي تقدمتها . والسودان ، كبلد ناشئ ، يمكن اعتباره أنموذجاً لذلك . فالتطورات في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي تسير في خطوات سريعة ، تتعثر أحياناً إلا أنها ، بلا شك ، ستتخطى مراحل بأكملها . .

إن التخلف الاقتصادي ينعكس بصورة مطابقة على الأوضاع والمؤسسات الاجتماعية في أي جماعة من الجماعات ، والسودان يتألف من مجموعات شتى تنتظمها مؤسسات ومواصفات اجتماعية مختلفة منعكسة عن وسائل الإنتاج لدى تلك المجموعات

وبما أنه من الصعب تعميم مقياس بالنسبة للمجتمع السوداني ، فإنه من الصعب بالتالي إطلاق مقياس لموقف المرأة السودانية من المجتمع والعكس .

إن الاقتصاد السوداني يعتمد أساساً على الزراعة . بمعنى أن أكبر عدد من الأيدي العاملة تشتغل بالزراعة ، يلي ذلك الرعي وكلاهما دليل على اعتماد اقتصادنا على إنتاج الخامات فحسب ، وتمتهن القلة الأعمال ذات الطابع الفني أو الإداري ، ويمكن حصر ذلك بشكل خاص في المدن وبخاصة العاصمة . كذلك التجارة ، بالإضافة إلى العمال غير الفنيين وهؤلاء أيضاً يؤلفون أعداداً قليلة نسبياً .

وهنا يجب الإشارة إلى الضيق الشديد الذي تعاني منه البلدان الناشئة ، والمستقلة حديثاً ومرد هذا الضيق السياسة المتحيزة التي خضعت لها تلك البلدان لفترات متفاوتة من تاريخها تحت الحكم الأجنبي . والسودان أحد هذه البلدان . وإذا تأكد لنا أن أي مظهر من مظاهر القهر السياسي أو الاقتصادي ينعكس بصورة واضحة على مصالح النساء كطائفة من المجتمع مرة ومرة أخرى كجنس باسم الرواسب والتقاليد المحافظ عليها بسوء قصد وتدبير خبيثين وضح لدينا مبلغ الغبن المزدوج الذي ، لاشك ، يقع على النساء في المجتمعات الناشئة . ومجرد هذه الصفة تحمل دلالة حتمية أخرى هي أن النساء غير مساويات للرجال . وأن حقوقهن مصادرة . وإمكانياتهن

موقوفة ، ومن ثم يستحيل انتظامهن فى عداد قوى المجتمع المنتجة . وهذا نتيجة لعملية « المصادرة على المطاوب » المطبقة — على نحو متعددات أيضاً — ذلك أن الذكاء والعبقرية صنفان تكتسبان — فى رأيى — بالممارسة ، وهـذا السبب يوضح عـدم وجود عظمات أو حتى منتجات جيدات فى مجتمعنا ، فالنساء لا يشاركن فى اقتصاد البلاد ، ومن ثم لا يمارسن حقهن الطبيعى فى استغلال مواهبهن ، وإذن فالفرص غير متواجدة لإثبات مجرد صلاحيتهن للعمل إطلاقاً . . ناهيك عن تفوقهن أو إجادتهن لعمل من الأعمال .

وقد قلت إن هذا المآل مسبب بالمحل الأول بوجود عوامل قاهرة خارجية توجه مقدرات البلاد الطبيعية وغيرها نحو هدف آخر غير تطويره ومراعاة مصالح أبنائه .

ولا يؤلف هذا الأخير الإشكال الوحيد بحيث يزول بزوال المؤثر — أى القوى الضاغطة المغرضة مطلقاً ! ! إنه بالضرورة يؤلف مشكلات فرعية مزمنة .

من هذه المشكلات بعض مواصفات الناس الرجعية التى روعى المحافظة عليها بهدف خلقه قضايا انصرافية مهيئة لأصلح بيئات الاستغلال والتغلغل .

وتعانى المرأة السودانية فى الوقت الحاضر من جراء التركة المثقلة التى ما زالت عدواً عظيم الخطر .

إن الوضع الاقتصادى للمرأة يحدد مكانتها الاجتماعية والسودان بلد زراعى ومع ذلك يستحيل إسدال حكم عام على وضع المرأة فى المجتمع السودانى .. حيث تختلف الحياة ووسائلها من قطاع إلى آخر . فمثلاً المرأة فى الشمال تختلف عنها فى الغرب وفى الجنوب . ففى الجنوب يستطاع القول بأن الحياة ما زالت فى بداءتها الأولى إلا أن المرأة هناك تملك حقوقاً أكبر — نسبياً — وهى تشارك فى عملية الارتزاق والرعى أساساً مع قليل من أعمال الزراعة ومن ثم فى اقتصاد تلك المجموعات . . . وهى لذلك لها مكانة تمكنهـا من مساواتها بالرجل ، كما أن تطور أسباب الحياة نحو التحضر السريع كفيل بدفعها إلى المقدمة على نحو ما هو مستطاع فى الحالات التى تكثر فيها المتناقضات والرواسب أو تقل .

وفى الغرب بالرغم من اشتراكها الفعلى فى الإنتاج ، بل فى قيامها بصورة أساسية فى اقتصاد مجتمعها إلا أنها مع ذلك تعتبر ، تمشياً مع النظرة القائلة بتفوق الرجل وسيادته ، تعتبر مهضومة الحقوق مثقلة الواجبات . (يقع الغرب تحت تأثير الأفكار الطائفية) .

وفى الشمال تقوم فروق عريضة بين نساء المدن ونساء القرى ، وهكذا . .

وعلى العموم فإن المرأة فى السودان تكتفى بالأعمال المنزلية ، ومن ثم يصبح الرجل هو المتكسب الوحيد فى الأسرة . وهذه العزلة عن الإنتاج الاجتماعى تحرم المرأة الإسهام فى اقتصاد البلاد فخدمات النساء داخل البيوت لا تقدر عند اعتبار الدخل القومى .

ونعود إلى ما بدأنا به وهو أسباب الحالة التى وجدت المرأة السودانيه نفسها فى معمعتها . .

أولا — انعدام فرص التأهيل المهنى أمام النساء ، وهذا راجع إلى قلة التعليم الذى يكاد أن يكون معدوماً فى بعض الأقاليم وعلى مستوى كبير فى

اغلبها . . وهذا نتيجة لسياسة ذات أهداف استغلالية طبعاً .

ثانياً — القول بأن المرأة ناقصة التكوين غير مؤهلة لبعض الأعمال مما يصادر إمكانياتها بلا أساس علمي لذلك .

ثالثاً — الأفكار الرجعية — المؤسسة بقصد وتدبير — التى لا تؤيد خروج النساء بتبريرات لاموضوعية . .

رابعاً — عدم وجود ميادين لعمل النساء .

ذلك أن نظام التعليم فى السودان كان يسير على نحو يكفل تغذية مكاتب وأجهزة الحكومة بنوع خاص من الموظفين فحسب ، وبما أن النساء لا يصلحن لهذه الأعمال فإن مسألة تعليمهن أحيطت بأكبر قدر من العراقيل المحاكة بمهارة لستر النوايا الحقيقية . .

ومن هنا نرى من ثمرة ذلك أن نسبة التعليم بين النساء ٤٪ فقط حتى هؤلاء لم يستطعن الإفادة بصورة كاملة بسبب عداء الأغلبية الجاهلة .

مما تقدم يبدو أن الوضع العام فى بلادنا انعكس دائماً ، وبصورة صادقة على قضية المرأة . وما دام للمرأة، إلى جانب ذلك ، مشكلاتها الخاصة كجنس — مثل مشكلات الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والأجور والحضانة والتقاليد الرجعية وغير ذلك من مظاهر الظلم الاجتماعى — فإن وضع المرأة السودانية يحتاج ، كيما يكتسب المظهر العادل ، إلى تحقيق عدالة اجتماعية تضمن للأمة أن يملأ مناصبها أصلح أبنائها بغض النظر عن جنسه ، أى تكافوء الفرص ، فإنها تحتاج إلى اعتبار قضيتها جزءاً من هيكل مجتمعها . إن القضية لم تتأزم منفصلة وإنما كانت نتيجة حتمية لأوضاع تاريخية اقتصادية وسياسية معينة ولذلك فإن أى تحول فى اقتصاد السودان يهم النساء السودانيات كطائفة فى المجتمع .

وما دام السودان عضواً فى الأسرة العالمية يتأثر بما يدور فى المجال العالمى فإن أى انتصار ، وكل تقدم إنسانى يؤلف انتصاراً لنا كشعب ناشئ يعضد استقلاله استتباب السلم العالمى كأصلح أجواء الازدهار للإنسان ، ونجاح الشعوب الأخرى فى المحافظة على استقلالها وحريتها وفى تحقيق انتصارات جديدة ومزيد من الميزات العلمية لرفاهية ومجد البشرية . إننا كنساء نعلم أنه ما من صالح للعالم فى الحرب والسلم أصلح لسيادة ودفء أبنائنا إننا بيقين وإدراك من يعى دوره جيداً نؤيد جميع القطاعات الصاعدة فى المجتمع الإنسانى . . إننا بذلك نضمن عامل الزمن إلى جانبنا ذلك أن الأسطع والأبهى والأسعد من أيامنا لا بد آت ، وهذه ضرورة حتمية وتاريخية .

بهذا اليقين ، قد تقابلنا صعاب على الطريق الذى ، وإن طال هدفه ، فإنه أكيد الحصاد .



« الوزير الرحيم »

بقلم عباس خضر

سمع الأمير بجمال بنت السلطان الذى يحكم بلاداً بعيدة عن بلاده ، وأصغى لما ورد إليه من الأخبار التى تشيد بحسنها ورقتها وحميد صفاتها ، فراح يتصورها فى خياله ويتملى من صورتها ، حتى أحبها وصارت أمنيته أن تصبح زوجة له .

وكان لهذا الأمير وزير مخاص له ، لا يدخر جهداً فى خدمته والعمل لإسعاده ، فوثق به حتى وكل إليه جميع شئون إمارته .

أفضى الأمير إلى وزيره بحقيقة مشاعره نحو بنت السلطان ، وقال له انه لا يهنأ له بال ولا يسعد بعيش إلا إذا تزوجها . ثم أمره أن يرحل إلى السلطان ويخطب له ابنته ، وحمله هدايا كثيرة تليق بمقام السلطان .

انصاع الوزير للأمر ورحل إلى بلاد السلطان . وبينما كان فى الطريق وجد صقراً مكسور الجناح يتألم من جرحه ولا يستطيع الطيران ، فرق له قلبه ، ونزل عن فرسه ، وربط له الكسر ، ونثر أمامه بعض ما معه من طعام ، وقدم له بعض الماء ، فأكل الصقر وشرب وزال ما به من ألم ، فأراد أن يجازى الوزير على معروفه وجميل صنعه ، فنزع ريشة من جناحه وقدمها له قائلا :

« إذا احتجت إلى مساعدة فادعك هذه الريشة تجدنى أمامك ألبى جميع طلباتك »

استأنف الوزير رحلته ، فسار حتى اشتد به العطش فمال إلى نهر قريب ليروى ظمأه ، وبالقرب من النهر وجد سمكة خارج الماء تتقلب وتلهث من شدة التعب ، فأخذها فى يديه برفق وحنان وألقاها فى الماء فأهدت إليه قشرة من قشرها ، وقالت له :

« إذا احتجت إلى مساعدة فادعك هذه القشرة تجدنى أمامك ألبى جميع طلباتك »

ومضى الوزير فى رحلته لا يعبأ بما يلاقيه من متاعب ومشقات ، حتى صار قريباً من بلاد السلطان ، وفى طريقه رأى نملا كثيراً متجمعاً فى عرض الطريق ، فتنحى عنه حتى لا

تدوس حوافر فرسه النمل فتقتله ، وشاهدت ذلك منه كبيرة النمل ، فتقدمت إليه وشكرته ، وأهدت إليه حبة قمح ، وقالت له :

« إذا احتجت إلى مساعدة فادعك هذه الحبة تجدنى أمامك ألبى طلباتك »

ولما بلغ الوزير قصر السلطان استأذن عليه ومثل بين يديه وأنهى إليه رغبة الأمير فى زواج ابنته ، فوافق السلطان ، على شرط أن ينفذ الوزير جميع ما يطلب منه ، وإذا أخفق فى أمر واحد فسيكون مصيره الموت . فقبل الوزير الشرط .

أمر السلطان بجمع حبوب من مختلف الأنواع وخلطها وجعلها كومة واحدة ، وطلب من الوزير فصل كل نوع منها وحده ، على أن يتم ذلك فى يوم واحد .

حار الوزير فى هذا الأمر ، ولكن حيرته لم تطل ، فقد تذكر الحبة التى أعطتها له النملة ، فدعكها ، فإذا النملة حاضرة أمامه ، فاستشارها فى الأمر ، فذهبت وأحضرت عدداً كبيراً جداً من النمل استطاع أن يفصل الحبوب ويضع كل نوع منها على حدة فى وقت قصير .

ثم أخبر الوزير السلطان بأنه فرغ من فصل الحبوب وتميز بعضها من بعض .

ولما شاهد السلطان كل نوع من الحبوب وحده دهش . . ثم طلب من الوزير أن يحضر له خاتماً سقط منه فى النهر منذ سنين .

ذهب الوزير إلى النهر ، ودعك قشرة السمكة ، فإذا هى أمامه ، فحدثها بالأمر ، فجمعت سمكاً كثيراً للبحث عن الخاتم ، وفى مدة قصيرة خرجت السمكة من الماء تحمل الخاتم .

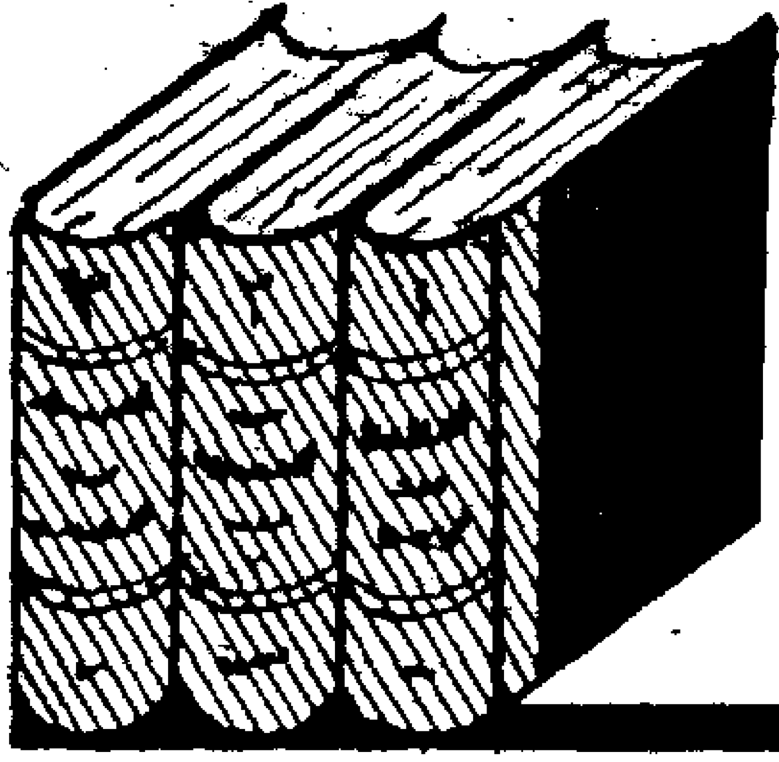
أخذ الوزير الخاتم وذهب به إلى السلطان ، فدهش وفرح به . ثم قال له :

« بقى مطلب واحد إن أنجزته تمت الخطوبة ، ذلك أنه يوجد ماء يحيي الميت فى غابة تسكنها الوحوش ، والمطلوب منك أن تملأ لنا زجاجة من ذلك الماء » .

وكاد اليأس يدب فى نفس الوزير ولكنه تذكر الصقر وريشته ، فدعك الريشة ، فإذا الصقر أمامه ، فطلب منه أن يحضر الماء الذى طلبه السلطان . فغاب الصقر قليلا ، ثم عاد يحمل الماء المطلوب . . .

عجب السلطان من الوزير ولم يسعه إلا أن يقبل زواج ابنته من الأمير

وعاد الوزير إلى أميره ، وفى صحبته عروسه بنت السلطان ، وكان الأمير قد اشتد به الشوق إلى رؤيتها ، فسر بها سروراً عظيما ، ورحب بالوزير وأعجب بإخلاصه ، ونزل له عن جزء من أمارته وصار من أحب الناس إليه .



كتاب الشهر

أمل جديد فى إفريقية

عرض وتلخيص العميد ا . ح محمد عبد الفتاح ابراهيم

هذا الكتاب

كتاب صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٢ أى منذ ثمانى سنوات ، وثمانى سنوات ليست شيئاً فى سجل تاريخ العالم ، هذا السجل المتعدد الصفحات المليئة بالأحداث ، ولكن فى هذه السنوات الثمانية تغيرت خريطة أوروبا تغيراً لم يكن من الممكن إطلاقاً أن يفكر إنسان فى إمكان حدوثه ، بل فى أن يحدث هذا كله بهذه السرعة الخاطفة ، وفكرة أن الكتاب قد صدر فى سنة ١٩٥٢ تكفى لإعطائنا فكرة أن المؤلف كان محقاً عند ما قال إنه ليس هناك وقت للتفاؤل بالنسبة لمستقبل إفريقية ، فكل ما يتوافر لنا هو الأمل .. مجرد الأمل ، ذلك لأن الطابع المرير للحياة يغطى المشكلات القائمة فى إفريقية بسحب قاتمة تخفى حقيقتها ، ونحن أحوج ما نكون اليوم للكشف عن هذه المشكلات للوصول إلى حل لها .

* فما هو المعنى الحقيقى للتفرقة العنصرية ؟
* وما هى الأسباب الدافعة لتنازع الأجناس ؟
* هل كانت تجربة ساحل الذهب (غانة) تجربة خاطئة ؟
* هل يمكن حل مشكلة المحميات ؟
* ما هو الدور الذى يجب أن يكون للاستثمار الخاص والعام فى تطور إفريقية ؟
* هل يقوم اتحاد وسط إفريقية لصالح كل الأجناس ؟

ويبدو أن هذه الأمثلة ومثيلاتها كانت هى التى رسمت للمؤلف تنظيم تقسيم كتابه الذى أشرف على المائتى صفحة ، وإن كان من الضرورى أن ندرك من البداية أن المؤلف قد عنى العناية كلها بإفريقية التى كانت تتبع إمبراطورية بلاط سان جيمس بلندن ، وإن كان قد أشار إشارات عابرة لغيرها من بعض نواحى إفريقيـــة الوثيقة الصلة بها .

ومن الضرورى أيضاً أن ندرك بأن الرجل لم يقدم جديداً فى القسم الأول من كتابه[1] وهو عرض تسجيلى سبقه إليه كثيرون وتبعه فيه كثيرون فهو تسجيل معروف لم يعد يخفى اليوم

(١) فى الواقع اعتباراً من الفصل الثالث لأنه وقف الفصلين الأول والثانى فى الحديث عن نفسه وعن مشاعره عند ما نزل شرق إفريقية أثر اندفاع الغزو اليابانى لجنوب شرق آسيا كضابط فى قوات شرق إفريقية .

على أحد ، ومن ثم كان أهم ما فى الكتاب القسمين الثانى والثالث ، ففى القسم الثـانى ناقش الرجل ، اللون والمسيحية والشيوعية ، كما ناقش بداية الثورة الاقتصادية وعرض للطابع الاجتماعى فى عصر التغير ثم عرض فى إيجاز لدور إفريقية الجديد فى الاستراتيجية العالمية . وفى القسم الثالث عرض لدوافع الأمل الذى استهدف إيضاحه ، وكان فصله الأخير « أمل فى إفريقية » هو الفصل الذى خرج منه بعنوان كتابه .

والآن . . .

كيف عالج الرجل موضوعه

يبدأ الرجل حديثه بوصول ممثل الشركة الإمبراطورية لشرق إفريقية إلى مساكن الملك موانجا ملك أوغندة فى اليوم الأول لأسبوع الميلاد سنة ١٨٩٠ ، وفى سطور ينتقل للحديث عن علاقات عملاء بريطانيا وممثليها مع السلاطين : سعيد ومجيد وبرغش الذين حكموا زنجبار لثمانين سنة بين سنة ١٨٠٦ وسنة ١٨٨٨ ، ويثب مرة أخرى ليتحدث عن الاستعمار الألمانى وعن الفرنسيين وعن محاولا اسماعيل (الخديوى) وعن البعثات البلجيكية التى وصلت زنجبار وكل ما يستهدفه هو أن يصور لنا شرق إفريقية فى نشاط المحموم ، ينزلها أناساً من مختلف الأجناس مع تباين الأغراض ، من التجار والمبشرين والمغامرين والعملاء السياسين ، ويبرز كيف أن كل حكومات أوروبا قد بقيت مترددة طويلا لا تسمح لنفسها بالانغمار فى مد قوتها السياسية إلى إفريقية ، حتى لم يعد من وقت لإيقاف بعض التعقدات التى كان من الممكن تمنها لو كانت هذه الحكومات قد عملت مبكرة .

ويسير بنا مع دور شركة إفريقية الشرقية لورجارد حتى سنة ١٨٩٥ عند ما وافقت الحكومة البريطانية على أن تدفع ربع مليون جنيه للشركة . كتعويض عما أنفقته وأن تضم كينيا وأوغندة لمستعمراتها .

ويتبع الأسلوب التسجيلى للحوادث فى إيجاز غير مخل ليقدم لنا ما حدث فى روديسيا وجنوب إفريقية وغربى القـارة ليستكمـل الصـورة العامة لإمبراطورية بريطانيا فى إفريقية ، الإمبراطورية التى أسماها جورج بادمور « الإمبراطورية الثالثة » ، وكل ما نستطيع أن نجده جديداً السطور التى تحدث فيها عن الاحتكاك بين الطبقات العليا والطبقات الوسطى الصاعدة وبين السلطات القبلية التقليدية القديمة ، وهى احتكاكات يبدو طابعها جلياً فى الصحافة الإفريقية مثل « الديلى سرفس» فى نيجيريا لسان حال حركة الشباب ، ومثل صحافة « زيك » التى تعكس وجهات نظر الدكتور أزيكوى وحزبه

فى نيجيريا ؛ وغير ما ذكره فى عرض عاجل من أن التطور التاريخى لغربى إفريقية كان يخالف تماماً ، تطور شرقى القارة ، ولهذا ولا شك دوره فى تطور مستقبل القارة ، ويعتبر هذا الخلاف درساً هاماً لا ينكره إلا أولئك المعنيون بالأمر فعلا والمسئولون حقاً عن مستقبل إفريقية ، وذلك لأنهم لم يضعوه فى تقديرهم قط (! ! !) .

وهنا يكون الرجل قد غطى ثمانين صفحة من كتابه وقد انتهى القسم الأول منه ، القسم التسجيلى للتأريخ لإفريقية من فجر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين .

* * *

وهنا يخرج المؤلف إلى القسمين الثانى والثالث من كتابه ، أى إلى القسمين اللذين قلت عنهما إنهما أهم ما فى الكتاب من ناحية القيمة الدراسية للباحث الحديث ، ولكن هذا الكلام يتطلب تحديداً بدلا من إطلاقه هكذا فى صورة عامة ، ففى هذين القسمين من الكتاب يقدم المؤلف دراسات يمكن أن نجد فيها لفتات تستحق الدراسة ، وقد يكون من الطريف أن نعرض لها هنا دون التقيد بالترتيب الذى عرضها فيه المؤلف .

اللون والشيوعية

إن مشكلات العلاقات بالنسبة للجنس ليست جديدة ، وإن كانت قد برزت كعامل له خطورته فى السنوات الأخيرة ، وهى مشكلات لو كانت قد منحت الوقت ، والتدابير المنطقية المعقولة لكان من الممكن أن تحقق الجهود حلا سليما صحيحاً لها .

والخطأ كل الخطأ أن يظن بأن النزاع الجنسى فى إفريقية يرجع إلى العملاء الشيوعيين الذين يعملون وسط السكان الوطنيين بالرغم من وضوح الأدلة على النشاط المتزايد لهؤلاء العملاء منذ سنة ١٩٤٥ ، ذلك لأن بذور هذا النزاع ترجع إلى فجر استيطان الأوروبيين الإفريقية ، وإن كان عملاء السوفييت ينتفعون فى الواقع من كل مشكلة تصلح لدعايتهم ، ولما كانت الأرض فى إفريقية تملكها الجماعة وليس الفرد ، والأرض تسيطر عليها السلطة القبلية نيابة عن أفراد القبيلة ، فلا توجد مشكلة الفلاح المعدم الذى لا يملك أرضاً إلا فى مناطق قليلة ، ومن ثم فان حرب اللون تحولت لتكون حرب الطبقات فى إفريقية ؛ وهكذا فانه تبعاً لأن تكون متاعب الفرد راجعة إلى مسألة لا يد له فيها هى مسألة لون بشرته تحولت مشكلة اللون لتكون جزءاً من « الحرب الباردة » وواجهت أوروبا أعقد مشكلة فى التاريخ ذلك لأن الجنس مسألة لا يجادل الناس فى شأنها بعقولهم ، بل بدمائهم .

وهنا يقول المؤلف إن مشكلة اللون إنما تثب من اتجاهات المرأة الأوروبية ومن الوضع المهين المنخفض للمرأة الإفريقية ، ومن ثم فان حل المشكلة يقع ، إلى حد كبير ، على عاتق الكتلة النسائية فى كلا المجموعتين من البيض والسود .

اللون والمسيحية

وقد فرض اللون بعض تقاليد لم تغير منها تعاليم عقيدة المسيحية ، ويقول المؤلف إنه حضر فى أرض الكيكويو حفلاً أقيم لختان عدد من النساء الإفريقيات ، وعرضهن للزواج – بعد إجراء الختان – بطريق المزايدة ، على نظام الكيكويو ، وكان إلى جواره رجل إفريقى متعلم يعمل ناظراً لمدرسة وقد حوله المبشرون إلى الديانة المسيحية

وعند ما ناقشه فيما يجرى أمامهما أدهشه أن يذكر الرجل أن له ابنتين بين هذه المجموعة من الفتيات التى تجرى لهن عملية الختان وأنه يرجو أن تباعا لرجلين مسنين ليحصل على ثمن مرتفع فهو سيحصل فى هذه الحال على ألفى شلن ثمناً لكل فتاة .فضلا عما سيعطى من ماشية ، وهو يحتاج النقود لشراء سيارة .

وهكذا يبدو أن تقاليد اللون لا تزال قوية مسيطرة .

اللون والحاجز الاقتصادى

ومع أن اللون لا يوجد حاجزاً اقتصادياً فى كثير من المناطق الإفريقية فإن له تأثيره السيئ فى بعض المناطق ، ففى روديسيا الشمالية مثلا اتفق اتحاد العمال البيض مع شركات السكك الحديدية ومع شركات التعدين على ألا تستخدم فى الأعمال التى تتطلب مهارة عمالاً من السود ، وقد لا يكون هذا بأسوأ من موقف اتحادات العمال الإنجليز من إصدارها على ألا تستخدم الشركات عمالا أجانب فى الوقت الذى تفتقر إليه فى الكثير من الصناعات إلى عمال من طراز خاص لا يتوافر العدد الكافى منه بين العمال الإنجليز ، وفى روديسيا الجنوبية ينص قانون سنة ١٩٤٥ على أن يقل أجر العامل الإفريقى عن أجر مثيله العامل الأوروبى ، بل ولا يفضل عامل إفريقى على عامل أوروبى مهما كانت درجة مهارته .

بدأ الثورة الاقتصادية

تكمن مشكلة تخلف إفريقية فى عدم القدرة على إدراك الأسباب الحقيقية لفقرها التاريخى ، والواقع أن أسباب تخلفها هى نقص المواصلات فهى تفتقر إلى القوة ، ومواردها المائية لا تكفى أو أنها موزعة توزيعاً سيئاً بين الغابات والمستنقعات من جهة ، ومن جهة أخرى بين مناطق فسيحة من الصحارى ، وقد بقت قلة المواصلات مناطق كثيرة واسعة لجنوب الصحراء بمعزل عن الحضارة ، ولم تكن الصحراء هى المانع بقدر ما كانت المنطقة بين خطى العرض الشماليين ٧ و ١٠ درجات هى المانع بسبب الذباب تسى تسى ومرض النوم .

وفى مطلع القرن العشرين أو ما قبل هذا بقليل أشار جوزيف تشيمبرلن بضرورة استثمار ثورة إفريقية لصالح سكانها ، ثم لصالح العالم الواسع خارجها ، مما أسماه لوجارد « الانتداب الثنائى » .

وقد بدأت فى إفريقية منذ بدء الحقبة الثانية من القرن العشرين عدة مشروعات خاصة . ما كان للاستثمار منها على سبيل المثال مد الخط الحديدى من لاغوس إلى كانو سنة ١٩١١ مما يمكن من زيادة تصدير « الفول

السودانى » من ٢٥٠٠ طن إلى ١٩٠٠٠ طن، ومثل مشروع كسلافى السودان ، ومشروع قطن الجزيرة الذى بدأ سنة ١٩٢٢ ، ومشروعات صناعات الكاكاو فى غربى إفريقية ، ولكن كل هذه المشروعات وغيرها أثبتت أنه ما لم يتم تزويد البلاد بمواصلات حديثة ، وما لم يتم السيطرة على الموارد المائية فلن يمكن أن يصل ثراء إفريقية إلى ما قدر له من قبل من أنه ثراء غير محدود .

على أنه من بين المشروعات الحديثة مشروع نهر فولتا فى ساحل الذهب (غانة) لتوليد الكهرباء بمعدل ٥٠٠,٠٠٠ كيلووات بنفقات تصل إلى ٤٠ مليون جنيه تقدمها صناعات الألومنيوم فى بريطانيا وكندا ، وستستخدم هذه القوة فى استثمار مستودعات أبو كسيت وفى أعمال الرى وفى إضاءة مدن غانة . واحتياجات بلاد إفريقية إلى المشروعات تتضح عند ما ننظر مثلا إلى أوغندة ، فان مساحة الأرض الصالحة للزراعة ٥٥ ألف ميل مربع يزرع الأهلون خمسها بمعدل ٤ أفدنة للأسرة الواحدة ، والانتاج يكفى سكان أوغندة الحاليين (٥ ملايين) ولكن ماذا تكون الحال عند ما يتضاعف عدد السكان إلى عشرة ملايين ؟ الإجابة الوحيدة هى التصنيع ! !

والمشروعات تتطلب المال وقد قدرت فى سنة ١٩٥٢ احتياجات روديسيا الجنوبية بمبلغ ١٧١ مليون جنيه منها ٧٥ مليوناً لمشروع القوى الكهربائيـة عنـد كاريبا على نهر الزمبيزى .

وهنا يقول المؤلف إنه لو لم تستطع بريطانيا القيام بهذه المشروعات فانها ستقع فى أيدى أخرى ولكنها لن تكن أيدى الولايات المتحدة ، بل أيدى الاتحاد السوفييتى (! !)

الطابع الاجتماعى فى عصر التغير ! !

قد جاءت هذه الثورة الاقتصادية التى تمر بها إفريقية اليوم بتغيرات كثيرة فى طابع المجتمع الإفريقى ، ولا بد أن سرعة هذه الخطى ستزيد فى المستقبل وسيكون تأثيرها أن تستكمل وتزيد من سرعة تفتت النظام القبلى القديم ، ولكن هذا بدوره سيخلق شداً خطيراً لا نستطيع أن نفعل شيئاً الآن لتجنبه فلا يمكن إعادة الساعة للوراء ولا يمكن أن نوقف من التطور السياسى والاجتماعى حتى لو أردنا هذا .

لقد كان للتسرب الأوروبى إلى إفريقية تأثير هو فى بساطة تدمير الحالة البدائية للفرد وتحطيم كل ما فى معتقداته القديمة من حقائق يؤمن بها هو ، والمبشر الذى يعتبر منطقى الحديث فيما يبشر به من تعاليم دينية بالنسبة لرد الفعل من جانب الأوروبيين والإفريقيين على السواء ، يحتمل — مثله مثل غيره — خطأ رفض مواجهة الحقائق ، فهو يعرف مدى صعوبة إبقاء مجتمع مادى حديث يستنغم مع تعاليم المسيحية ، وهو ينسب فشل جهوده إلى ضغط هذا التأثير على رعايا كنيسته ، وهو ينسى أن الذين سبقوه من المبشرين هم الذين أوجدوا هذا الضغط وهذا التأثير فى إفريقية ، وهم لا ينظرون إلى هذا ، كعامل وقد لا تنشأ المسيحية بين الوثنين ، بل ظنوه عاملا معاوناً ، وفشل الكثير من الهيئات التبشيرية فى تفهم هذه الثورة التى لا يمكن تجنبها والتى صنعها الضغط الأوروبى الذى يمنعهم اليوم من أن يلعبوا دورهم كاملا لتصحيح

هذه التبعيات غير المرغوب فيها .

والغريب أن المبشرين يعرفون التجارب التى مرت بها بريطانيا فى الانتقال من إقطاعية القرن السابع عشر للمجتمع الزراعى إلى الدمقراطية الصناعية للقرن العشرين ، كما يعرفون تجربة انتقال بريطانيا من الوثنية إلى المسيحية ، ومع هذا فإنهم لا ينظرون نظرات صحيحة إلى تطور المجتمع الإفريقى فى مروره بهذه الثورات الثلاث فى ميادين السياسة والاقتصاد والدين ، وعند ما يتفكك نظام اجتماعى قائم بتأثير ضغط قوى سياسية واقتصادية حديثة ، فإن الواجب الأول أن توجد للفرد حالة ثابتة مستقرة داخل المجتمع الجديد ، وهكذا يجب أن يؤهل لينظر إلى المجتمع الذى هو عضو فيه للمعونة وللتشجيع فى مواجهة متاعب الحياة ، ومن أجل هذا (الغرض) فانه من الأهمية بمكان أن يكون هذا الوضع (للفرد) دائماً أكثر من أن يكون ضامناً للمساواة بالغير ؛ والنظام القبلى القديم يضمن الثبات والاستقرار وإن لم يضمن المساواة ، فهو يمكن الفرد من أن تكون له حقوق قبل المجتمع سواء أكان هذا المجتمع (هذه الوحدة) أسرة أو قبيلة ، والوضع الذى يوجده النظام القبلى للفرد يمكنه من الحصول على كل ضروريات البقاء فالرجل الذى يعود إلى قريته بعد عمله لسنوات فى المدينة يطالب حال وصوله بنصيب من أرض القبيلة ليزرعه ، وكبار السن الذين لا يستطيعون العمل يعاونهم المجتمع فى حياتهم ، ولهذا فإن الأسرة الإفريقية والنظام القبلى يوجدان للفرد ما لم يحققه المجتمع الحديث للأفراد إلا منذ البدء بتطبيق نظم الخدمات الاجتماعية .

على أن الخطر بالنسبة للموقف الثورى — على مثال ما هو فى إفريقية اليوم — إنما يكمن فى أن المشكلات تتطور بسرعة على حين أن حلولها تسير فى بطء ، ومن الغباء ألا نعتقد بأن حلول الكثير مما يحدث فى إفريقية اليوم إنما هى حلول معنوية قبل أن تكون مادية ، وأنه من الضرورى معاونة الإفريقى ليستطيع مواجهة هذه الصعاب بروح أفضل وهذا يمكن من إيجاد مزيد من فرص للنجاح ، ولكن يجب قبل كل شىء أن تتوافر هذه الروح الطبيعية فى قلوب الرجال والنساء — من كل جنس — الذين يعنون بمستقبل إفريقية .

دور إفريقية الجديد فى الاستراتيجية العالمية .

كتب العلامة ماكيلان سنة ١٩٥٨ من كتيبه لورد هيلى فى كتابه « مسح جغرافى » من أنه لا ضرورة لذكر مشكلات الدفاع عن إفريقية ، وعلة هذا أنه ظهر له أن القارة بعيدة جداً عن مسارح الحرب الرئيسية ، ولكن الواقع أن وصول روسيا

إلى حواف المحيط الهندى ، كأن تصل مثلا إلى الخليج الفارسى يقلب الأوضاع الاستراتيجية رأساً على عقب بين يوم وليلة فى جزء كبير من – إن لم يكن فى كل – قارة إفريقية ، ثم إن إفريقية حتى جنوب الصحراء كانت فى الحربين العالميتين الأخيرتين مورداً للأفراد والمواد للمساهمة بقدر كبير فى الحرب ، كما كانت مصدراً هاماً للأورانيوم الخام من شينكولوجوى فى كاتانجا من جمهورية الكونغو ، ولهذا فان مشكلات الدفاع فى إفريقية ليست مجرد مسائل أكاديمية .

على أنه من الخطأ أيضاً أن تنظر إلى الدور الاستراتيجى لإفريقية على أساس ما أسهمت به فى الحرب العالمية الثانية من قوات للقتال فى الحرب الحبشية، وما أعد من فرق أرسلت إلى بورما لقتال اليابانيين أو لوحدات للخدمة فى الخط الثالث وفى منطقة خطوط المواصلات فى الشرق الأوسط ، من الخطر أن ينظر إلى المسألة من ناحية العدد، ذلك لأنه فى قارة كإفريقية يعتبر العدد عاملا خطراً للتأثير الذى له كنقص الأيدى العاملة للزراعة فلا يوجد الأفراد اللازمين لإنتاج المحصول الضرورى ، ومن ثم تحدث المجاعة ما لم تتمكن الحكومات من استيراد كميات الأغذية اللازمة ، وليس هذا بالأمر اليسير فى وقت الحرب

والواقع أن مسألة الدور الاستراتيجى لإفريقية تتوقف على اتجاهاتها السياسية ، وقد جاء وقت كانت دول الغرب تضع فى تخطيطها إمكان إعداد القواعد للمقذوفات الصاروخية عابرة القارات فى غرب إفريقية مع حشد الاحتياطى فى القوى البشرية وحشد الطائرات التى تقوم بالعمل المضاد فى شرق إفريقية (١) وقد لا يكون هذا الموقف قائماً مستمراً مع هذا الطابع الحيادى الذى يبدو واضحاً فى اتجاهات كل الدول الإفريقية الحديثة العهد بالاستقلال ، وهو حياد له دوافعه، ومنها أمكن الحصول على المعاونات والقروض من كلا المعسكرين المتضادين ضمن برامج مساعدة الأمم المتخلفة .

على أنه مهما كان الاتجاه فان الوضع الاستراتيجى لإفريقية يوجه النظر إلى ضرورة العناية بطرق المواصلات وإيصال الخطوط الحديدية بين شرق وجنوب ووسط القارة ، والإكثار من الطرق البرية التى تعبر القارة فى اتجاه أفقى من الشرق إلى الغرب أو بالعكس مع العناية كذلك بمناطق العبور وبخاصة فى أعالى الأنهار .

إن الدور الاستراتيجى لإفريقية من ناحية القوى البشرية ومن ناحية سعة الرقعة ، ومن ناحية المواد الخام وبخاصة بالنسبة للمعادن كبيرة القيمة الاستراتيجية هام ما فى هذا شك ولكن تخطيط استراتيجية إفريقية ، ككتلة واحدة ، غير مستطاع إلا من زاوية واحدة هى الزاوية الحيادية التى يبدو أنها الطابع الأوضح صورة فى إفريقية اليوم .

عوامل مؤثرة فى التخطيط للمستقبل

هكذا يصل بنا المؤلف ونحن نلهث من الوثبات السريعة التى يسير بها بين شرق القارة وجنوبها وغربها حتى يصل إلى صفحة ١٢٣ من كتابه ليبدأ القسم الثالث من الكتاب وهو القسم الذى عاد فيه ليتحدث فى طابع حديث عن المناطق التى عرض لها من ناحية التسجيل التاريخى فى القسم الأول من كتابه .

وهو هنا يحدثنا عن « معنى المشاركة فى شرق إفريقية » وعن « الاتحاد فى وسط إفريقية » ، وعن العنصرية فى جنوب إفريقية » ، ثم عن « طابع الدول الإفريقية فى غربى القارة » ،

(١) كانت الفكرة نقل جزء من قاعدة تموين الشرق الأوسط إلى ماكينون رود على مسافة ٨٠ ميلا للداخل من ممباسا

وذلك حتى يصل بنا إلى فصله الأخير « أمل فى إفريقية » ، وهو الفصل الذى أخذ منه العنوان الذى رسم به الكتاب .

ولا شك أن المؤلف يقدم فى هذه الفصول الستة الأخيرة من كتابه ، والتى تشغل أربعاً وأربعين صفحة فقط ، بعض النقاط الحرية بالدراسة ، وقد نجح فى عرضها مختزلة .

معنى المشاركة

وقد اتبعت المملكة المتحدة فى الثلاثين سنة الأخيرة سياسة فى كينيا تعرف باسم « السياسة الثنائية » سياسة تستهدف من ناحية محاولة التقدم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لصالح الإفريقيين ، ومن الناحية الأخرى ، تستهدف ضمان تمكين دخول المنطقة للأوروبيين والهنود ! ! ليسهموا فى تطور المجتمع كله كوحدة واحدة ، وقد تقبل الأوروبيون هذه السياسة على أساس أنهم رأوا من واجبهم ألا يوجدوا منطقة أخرى للبيض تضاد مصالح الإفريقيين . ويوضح المؤلف « المشاركة » على أنها تعنى أن تتوافر لكل جنس الفرص المتكافئة المتساوية للإسهام فى حياة المجتمع الخاص به تبعا لما يتوافر لأفراده من كفاية خاصة ومن سابق تجربة .

وفى سنة ١٩٤٩ كان تعداد الأوروبيين فى شرق إفريقية ٤٣,٧٥٠ منهم ثلاثون ألفاً فى كينيا وحدها ، بل كان اثنا عشر الفاً يتركزون محتشدين فى نيروبى وما حولها ، وكان تعداد الإفريقيين فى الأقطار الثلاثة سبعة عشر مليوناً والهنود ١٦٨,٥٠٠ .

وقد حاولت بريطانيا سياسة تشجيع المسئوليات السياسية المحلية ، وقد عمدت إلى إيجاد مجلس تنفيذى فى كينيا يتكون من سبعة من الموظفين بحكم عملهم وخمسة أعضاء بالتعيين أحدهم هندى ، وبين الأوروبيين عضو واحد يمثل مصالح الإفريقيين ، وكان أول إفريقى عين للمجلس التنفيذى هو اليودمانيو سنة ١٩٤٤ ، وفى أوغندة شكل المجلس سنة ١٩٥٠ من عشرة من الموظفين ثم بالتعيين و ٤ أعضاء من الأوروبيين ومثلهم من الهنود و ٨ من الإفريقيين واقترح حاكم تنجانيقا فى السنة نفسها أن يزاد عدد الأعضاء المعينين إلى واحد وعشرين عضواً سبعة لكل من الأوروبيين والهنود والإفريقيين لتكون هذه المساواة أصدق دليل على المشاركة ، وأثارت نسبة التمثيل نقاشاً واسعاً حتى اقترح لورد « ليتلتون » أن يكون العدد ستة أعضاء من الإفريقيين وستة من الهنود واثنين من العرب وأن يزاد عدد الأوروبيين من أحد عشر إلى أربعة عشر ، وهكذا تركت مسألة إيجاد الحل للتمثيل النيابى للمجتمعات نفسها .

على أن المؤلف ينصرف هنا للتحدث عن المشاركة فى القوة السياسية، ولكنه يقدمها فى طابع ملتو ، لأنه يقول على وجه التحتيم بأن مركز الثقل يجب أن يبقى فى جانب الأوروبيين حتى تصل مساهمة الآسيويين والإفريقيين إلى درجة أكبر مما هى عليه الآن ، وفى الوقت نفسه يجب بذل كل جهد لزيادة الفرص لكل الأجناس للقيام بمساهمة متساوية فى تطور البلاد .

ومعنى هذا أنه لا يجب توجيه كل العناية إلى توزيع الحقوق السياسية ، بل توجه إلى زيادة الفرص التعليمية والاقتصادية .

اتحاد وسط إفريقية

مسألة التفكير فى توحيد كتلة وسط إفريقية قديمة ، بدأت سنة ١٩١٦ بمشروع شركة تشارترد لإدارة الروديسياتين معاً ، ولكن عطل المشروع خشية روديسيا الجنوبية أن يؤخر هذا من حصولها على الحكم الذاتى ، وفى سنة ١٩٢٩ وضعت لجنة هيلتون يونج مشروعاً مماثلا ولكن بضم روديسيا الشمالية ونياسالاند إلى إفريقية الشرقية ، وبعد عام أثارت الورقة البيضاء ، التى أصدرتها وزارة المستعمرات عن مصالح الإفريقيين ، مخاوف الأوروبيين فى روديسيا الشمالية ، وفى سنة ١٩٣٨ أوصت لجنة لورد بليديسليو بعد زيارتها للثلاثة مناطق بعدم ضمها معاً ولم تجد فى الاتحاد الفدرالى حلا تبادلياً للضم ، ولكنها أوصت بزيادة تعاونها .

وعطلت الحرب العالمية الثانية من دراسة الموضوع ، ولكن لم يلبث الأمر أن أثير من جديد نتيجة لمؤتمر « فيكتوريا فولز » فى فبراير سنة ١٩٤٩ ، وهو مؤتمر غير رسمى اجتمع بتفكير روى ويلنسكى زعيم الأعضاء الأوروبيين فى المجلس التشريعى لروديسيا الشمالية ، ومر عام ، وأشار مستر جريفس وزير المستعمرات بعقد مؤتمر حكومى ، كعمل استيضاحى دون تقييد أى من الحكومات المشتركة لتنفيذ المقترحات وقد أوصى هذا المؤتمر — على نقيض لجنة بليديسليو بأن الفدرالية هى الحل الوحيد لتحقيق اتحاد هذه الأخطار الثلاثة ، وقد أشار المؤتمر إلى أن تظل المسائل الخاصة بالتعليم والصحة والأراضى خاضعة للإدارة الوطنية فى كل منطقة ، ولكن يكون من اختصاص حكومة الاتحاد المسائل الخاصة بالدفاع والهجرة والتخطيط الاقتصادى والمواصلات والقوى الكهربائية والجمارك ، وتمثل حكومة بريطانيا بالحاكم العام وتكون للاتحاد وزارة من ستة وزراء مع مجلس تشريعى من ٣٥ نائباً يمثل منهم روديسيا الجنوبية ١٧ نائباً ويمثل ١١ نائباً روديسيا الشمالية ، أما نياسالاند فتمثل بسبعة نواب .

واقترح أن يمثل المصالح الإفريقية ثلاثة نواب يكون اثنان منهم من الإفريقيين ، وأن يتولى الشئون الإفريقية وزير يعينه الحاكم العام بموافقة وزير المستعمرات .

وقد تعدلت بعض هذه المقترحات فى مؤتمر لندن ، إبريل سنة ١٩٥٢ .

(وفى أغسطس سنة ١٩٦٠ تم الاتفاق فى مؤتمر (قصر لانكاستر) بلندن على دستور نياسالاند الجديد الذى يضمن للإفريقيين أغلبية فى المجلس التشريعى ، تمثيل فى المجلس التنفيذى ، حق فى الانتخاب ولكنه لا يعتبر تحرراً عاماً ، وذلك بسبب القيود التى تفرض على الناخبين : أى قصر الانتخاب على من يحصلون على أجر مقداره ١٢٠ جنيهاً فى السنة وبذلك ربما يصل مجموع الناخبين الإفريقيين غير المؤهلين تأهيلا عالياً إلى ١٠٠,٠٠٠ عن ثلاثة ملايين)

وسيكون للإفريقيين ٢٠ عضواً من المنتخبين مقابل ثمانية من الأوروبيين واثنين من الآسيويين ، وقد فرض الدستور للحاكم العام حق تعيين أعضاء إضافيين لضمان أغلبية للحكومة ؛ وسيكون للإفريقيين ثلاثة أعضاء من مجموع المجلس التنفيذى الذى يصل أفراده إلى عشرة ، منهم اثنين من الأوروبيين وآسيوى واحد ، ويعين الحاكم العام الباقين .

العنصرية فى جنوب إفريقية

يقول المؤلف إن كلمة « تفرقة عنصرية » كان لها معنى غير طيب ولو كانت قد استعملت كلمة (فصل) أو (تجزئة) لكانت السياسة التى تدل عليها أقل وقعاً فى إذن الشخص الإنجليزى .

ولكن الواقع أن استخدام كلمتى (تفرقة عنصرية) إنما كان من اصطناع أولئك الذين يعارضـــون المصالح البريطانية فى إفريقية .

وقد أشار الفيلد ماريشال سمطس فى خطبة ألقاها بأكسفورد سنة ١٩٢٩ إلى تقبل لجنة هيلتون يونج لفكرة (الفصل الجنسى) على ما جاء بها لوجارد .

وفى هذا الفصل الذى يغطى ثمانى صفحات كاملة من الكتاب يدور المؤلف حول كلمات لسمطس وحول نظم حكومة مالان ، والغريب أن يذكر أن تعليم الإفريقيين فى ميزانية الاتحاد لسنة ١٩٥٠ - ٥١ قد وصل إلى ستة ملايين من الجنيهات من ميزانية جملتها ١٥٠ مليونا من الجنيهات على حين أن مساهمة الإفريقيين فى الضرائب لم تزد على مليونى جنيه .

ولم يحدثنا المؤلف عن نصيب الإفريقيين من رأس المال الذى يستحق الضرائب ، ولم تتوافر له الجرأة ليذكر أن هذين المليونين إنما جمعتهما الحكومة من الضرائب التى تفرضها على العمال السود برغم قلة أجورهم وعلى ما تتقاضاه من غرامات ومن رسوم تصاريح الانتقال التى يعرضون للسجن لو سار أحدهم بدونها ! ! .

أمل فى إفريقية

وهنا يصل المؤلف إلى الفصل الأخير من كتابه وهو الفصل الذى خرج بعنوانه ليكون عنواناً للكتاب كله .

ويبدأ حديثه بقوله إن الكثيرين ينظرون اليوم إلى مستقبل إفريقية نظرة متفائلة ، فهم ينظرون إلى المشكلات فى بساطة على أنها مشكلة اللونين الأبيض والأسود ، ولكن ينتشر اليوم فى جزء كبير من إفريقية الشعور بالخوف خوف الهندى المسلم من الهندى الهندوكى ، وخوف الإفريقى من الأوروبى ، وخوف الأوروبى من أصل إنجليزى من الأوروبى الهولندى وغيره الذى عاش وتوالد فى جنوب إفريقية ، فليست المشكلة مشكلة لون ، ومصالح الأوروبيين والإفريقيين تتوازى ولا تتضاد ! ! ولكن المشكلة أنه لو اختفى النفوذ الأوروبى من القارة فان إفريقية تنتكس بعد عشرين سنة على الأكثر وتصل إلى الحال التى أنقذها منه قبل أكثر من نصف قرن وصول الأوروبيين إليها ! !

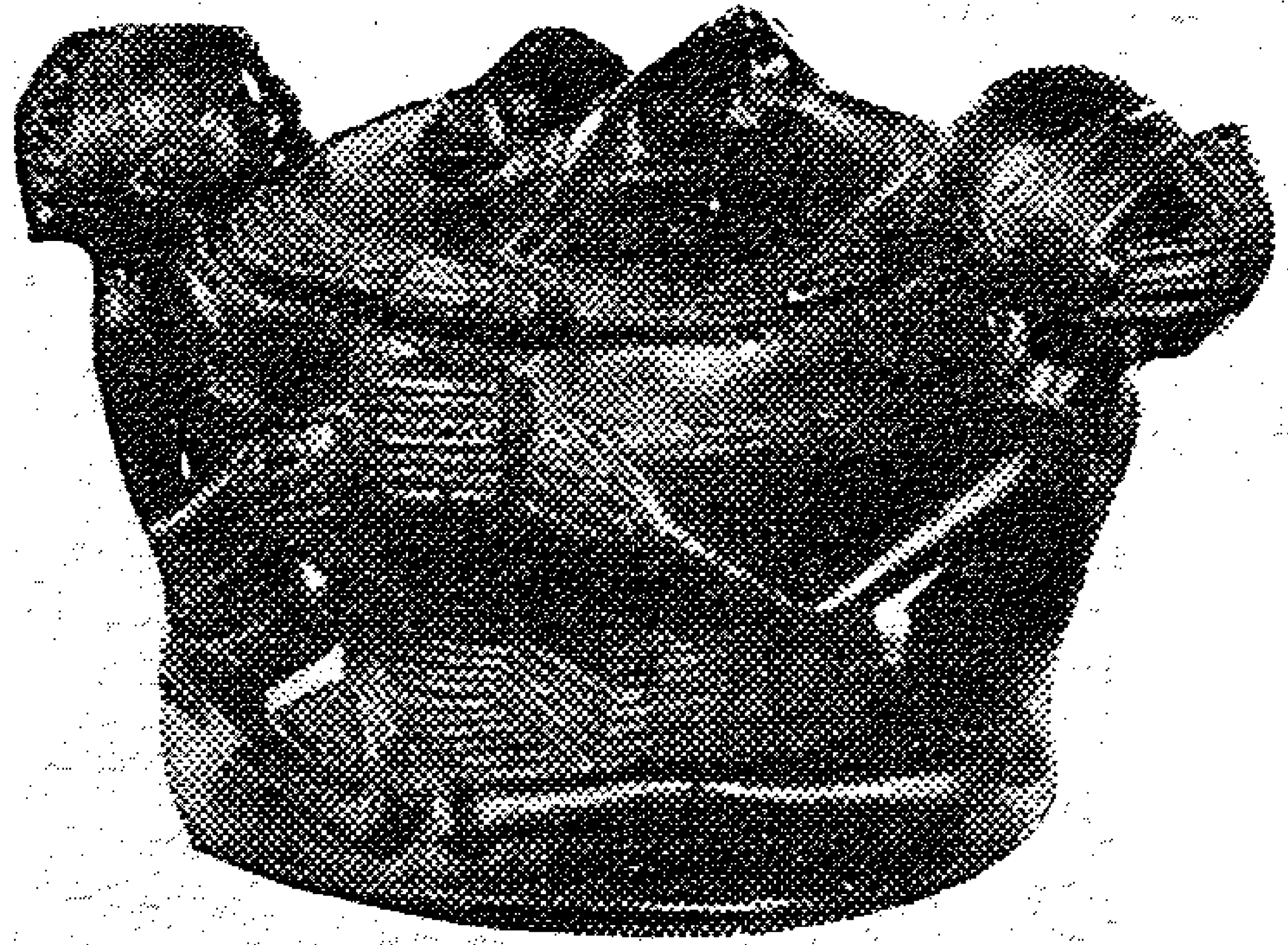
ويقول هنا إنه لو نفضت بريطانيا يديها من شئون إفريقية فان وصول الهند إلى الساحل الشرقى لإفريقية مسألة مقدرة منذ بعيد ، ثم إن وصول رووسيا إلى الخليج العربى (! !) يجعل الشيوعية على مرمى حجر من قلب إفريقية .

فالأمل فى إفريقية – هكذا يقول المؤلف – يرتبط باستمرار بقاء مسئولية بريطانيا بالمناطق التى ارتبطت بها منذ بعيد ، ومع استمرار بقاء اتحاد جنوب إفريقية ضمن دول الكومنولث البريطانى ومع اتساع المجتمعات الأوروبية التى جعلت مقامها فى كينيا وروديسيا الجنوبية اللتين لم تعودا بلاداً للرجل الأسود ، فالأوروبيون الذين يعيشون هناك من حقبتين أو ثلاث أحقاب لهم كل الحق فى البقاء أسوة بالقبائل الإفريقية التى جاءت إلى البلاد قبلهم بأحقاب قليلة من السنين !!! .

والأمل فى إفريقية يجىء أيضاً نتيجة لما تقوم به الطبقات الإفريقية المتوسطة – التى جاءت بها إلى الوجود السياسة البريطانية – تجاه المسئوليات والفرص التى تتوافر لأفرادها .

ثم ينصرف الرجل إلى حديث قصير لا منطق له لأنه يدعو إلى قيام تجربة سياسية جديدة ، وسياسة تضع تخطيطها بريطانيا وتنفذها ، لأن الأمل فى إفريقية يرتبط بالانجليز وبالانجليز وحدهم . . .

ولله فى خلقه شئون ! !



of "public administration" financed by the State Department.

[illegible] items in the U.S. News and World Report (June 25) predicting that Katanga would declare its independence soon after Congo became Republic. That amazing clairvoyance is not so amazing if one recalls that U. S. News has close links with the Wall Street and that the prediction was made soon after Tshombe's visit to the United States. There need be no doubt that all his subsequent actions follow patterns set in Washington. Masterminded.

All this throws revealing light on the plot of the Western monopolies and their paid agents in Katanga, a plot masterminded by U.S. diplomatists. The purpose is to partision the republic and turn Katanga into an American imperialist bastion in Africa.

The plotters are trying to use the U.N. flag as a shield. There are two security Council decisions calling on Belgium to withdraw her troops, but the Belgians do not intend to quit the Congo and U.N. representatives there are doing nothing to make them quit. Belgian paratroopers are in virtual control of Katanga, and the U.N. Command is, ineffective, encouraging the intervention by refusing to dispatch U.N. forces to the province. General-von Horn the Swedish U.N. Commander has openly stated that he has no intention of "replacing Belgian units" with U.N. troops.

That attitude is evidence that under imperialist pressure some U.N. officials are playing a double game. For the Security Council decision clearly demands the withdrawal of Belgian forces from every part of the Congo, including Katanga. That decision must be carried out.

Federation of Rhodesia and Nyasaland. In March, the Federation's Prime Minister, Sir Roy Welensky, publicly stated that Katanga ought to become part, of Northern Rhodesia. But that was the last thing Katanga population wanted — it was not prepared to exchange one brand of colonialism for another.

It insisted on a national independence within a united Congo Republic. That demand was voiced by the patriotic parties, the Congolese Movement of which Prime Minister Patrice Lumumba is head, and the union of three local parties, the Association of Baluba People in Katanga, the Katanga Democratic Federation and the Atcar Party. They organised popular resistance to the London-Welensky plan.

Meanwhile another plan was taking shape in Washington sever Katanga from Congo Republic and make it an "independent state" under factual U.S. tutelage. In short Katanga was to become another Taiwan.

Implementation of this plan began with the formation in Elizabethville of a separatist party, the Confederation of Katanga (Conakat) an almagamation of two pro-imperalist reactionary groups, the Katanga Association and the Katanga Union.

But this "operation Katanga" needed a man who would play the part of Chiang Kai-Shek And such an adventurer was found in Moise Tshombe, the Prime Minister of the province and leader of the Conakat party organised by foreign monopolies. They financed Tshombe.

Tshombe is a son of a rich planter. After graduating secondary school he took a course in accounting, obtained a position in one of the financial houses and abused it for fraudulent purposes, for which he was subsequently tried. This probably commended him to the colonial administration and his career was assured. According to Time magazine (July 25) the force behind his political career is the Union Miniere which lavishly financed his election campaign and his climb to the premiership. Shortly before the proclamation of the Congolese independence Tshombe made a mysterious visit to the United States and since his return the Time magazine says, "he wears button-down collars and drives in black Cadillac and says "We need Americans more than any one else".

Back copies of American papers and magazines reveal some interesting things about Mr. Tshombe. The Washington Star (June 2) for instance, reported that in the U.S. capital Tshombe was instructed to select 25 reliable Katangese for a course

nomy of Belgium's former colony and practically the whole of Katanga.

Exploitation of Katanga's mineral wealth has been entrusted to the Societe's subsidiaries, the Union Miniere du Haut Katanga, the Compagnie geologique et miniere and several more. But the decisive organisation is the Union Miniere,, with assets of 26,000 million francs and concessions in Katanga covering an area of 15,000 square kilometres.

The present arrangement is the result of long years of rivalry and struggle for control. At first the struggle was between Belgian and Britsh interests. Cecil Rhodes wanted to round off his conquests in Africa by annexing Katanga to Rhodesia. He found an astute rival in King Leopold II of Belgium —Katanga was his personal property and he was determined to keep it, or as much of it as he could. In 1906 an agreement was concluded with Tanganyika Concessions (Tanks), one of Rhodes's entreprises giving it a 40 per cent interest in Union Miniere.

U.S. PENETRATION ...

American penetration began in World War II. Belgium was greatly weakened and in 1944 her government in exile was induced to sign an agreement under which all the uranium mined in Katanga was to be delivered to the U.S. and Britain. True, the agreement was reviewed after the war but even now the U.S. and Britain get as much as 75 per cent of Katanga's uranium ore.

The first American monopoly to get its finger into the Katanga pie was the Morgan group, which surviving the war acquired a substantial share in the Societe Generale. After the war several American Banks among them Lizards, Ledenburg-Talman and the Rockfellers, acquired in Tanks. Somewhat later the US monopolies took over the control another big Belgian comany operating in Katanga, Compagnie geologique et miniere (Geomines).

Their profits are fantastic, in 1956, Union Miniere shareholders and directors netted over 3.6000 million francs. By comparison average wages in Elizabethville are 26 francs a day.

The Congolese movement for national liberation was advancing such a rapid pace that neither Belgian colonialists nor the the international monopolies could maintain their position for any length of time. Something had to be done to keep hold of Katanga. There were several plans. One of them, originating in London, was to unite the province with the British-controlled

MONOPOLIST PLOT IN KATANGA UNMASKED

Belgian paratroops landed at Elizabethville, capital of Katanga, a province of the Republic of Congo, on July 10. After two days of hard fightings they gained control of the city and somewhat later of other parts of the province. On the evening of July 11, the head of the provincial government, Moise Tshombe, proclaimed Katanga an "independent state" and appealed to Belgium for technical and military assistance".

A few days later he summoned an emergency meeting of the provincial parliament — attended only by a few of his own fellowers — to endorse the decision to secede from the Congo. That was the beginning of Operation Katanga, a component part of the plot against the Congolese Republic.

URANIUM— THE BIGGEST PRIZE

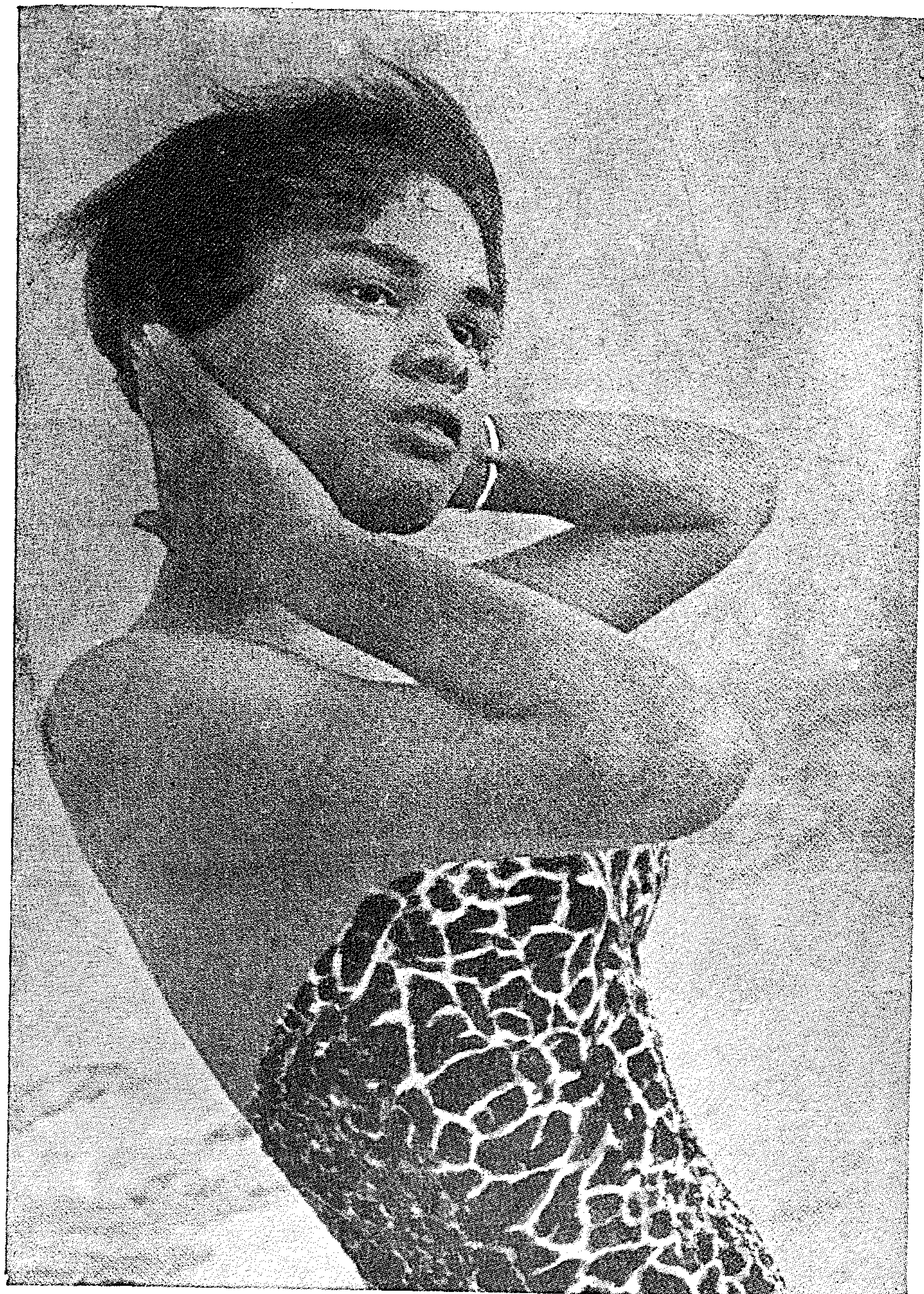
Katanga covers an area of 484,000 square kilometres and has a population of about one million. But it will probably be hard to find any other area of equal size; so fabulously rich in minerals. These include copper —one of the biggest deposits in the capitalist world, iron, tin, lead, zinc, maganese, coal, gold, silver and diamonds. But the biggest prize is, of course uranium ; also the newly-discovered strategic minerals —cobalt, used in the manufacture of missiles, and germanium, widely used in electronics.

Katanga accounts for 8 percent of capitalist world output of copper, 14 per cent in tin, 60 per cent in industrial diamonds, 75 per cent in cobalt and nearly 100 per cent in radium. A short while ago it was producing 60 per cent of all the uranium used in the capitalist world. Incidentally, the uranium that went into the making of the American atomic bombs dropped on Hiroshima and Nagasaki came from Katanga.

EXPLOITATION

Who owns this immense wealth? Many capitalists in many different parts of the capitalist world. The financial geography of Katanga begins in Brussels at the old-fashioned three-storey building on the Montagne du Parc where the Societe Generale de Belgique has its headquarters. The Societe is the managing body of several big Belgian banks with total assets of 170,000 million francs, of which about one-fifth, 33,000 million are invested in the Congo. s

controls -



« ملكة جمال إفريقية »

Third Year No. 35. October 1960



Nahdatu IFRIQUIAH

96 pages

PRICE : P.T. 3.

IN THIS ISSUE

- The Congo Enters the Cold War.
- New Africa.
- Guinea in two years.
- Somalia since Independence.
- Book analysis.